

الكتاب الثاني من أغنية الجليد والنار

صداً الملوك

مكتبة
الفكر الجديد

25-02-2017



جورج ر. ر. مارتن

ترجمة هشام فحفي

السور

الكتاب الثاني من أغنية الجليد والنار

أغنية الجليد والنار

صندام الملوك

جورج ر. ر. مارتن



صندام
الملوك

I

السور



جورج ر. ر. مارتن

ترجمة هشام فحسي

السور

<https://www.facebook.com/1New.Library/>

<https://telegram.me/NewLibrary>

<https://twitter.com/Libraryiraq>

چوچ ر. ر. مارتن

أغنية الجليد والنار

صدام الملوك

الكتاب الثاني الجزء الأول

الكتاب: صدام الملوك I (الكتاب الثاني من أغنيّة الجليد والنار) / رواية

المؤلف: جورج ر. و. مارتن

ترجمة: هشام فهمي

عدد الصفحات: 528 صفحة

الترقيم الدولي: 978-977-6483-92-7

رقم الناشر: 2015/22115

الطبعة الأولى: 2017

هذه ترجمة مرخصة لكتاب:

A Clash of Kings by George R.R. Martin

Published by agreement with the author and the author's agents, The Lotts Agency Ltd

Copyright © 1999 by George R.R. Martin

Excerpt from A Storm of Swords copyright © 2000 by George R.R. Martin

All rights reserved

جميع حقوق النسخة العربية محفوظة لدار التنوير ©

الناشر

 دار التنوير للطباعة والنشر

لبنان: بيروت - بثر حسن - سنتر كريستال، الهزيم - الطابق الأول

هاتف: 009611843340

بريد إلكتروني: darattanweer@gmail.com

مصر: القاهرة - 2 شارع فؤاد سراج الدين (السرايا الكبرى سابقا) - جاردن سيتي

هاتف: 00227963545

بريد إلكتروني: cairo@dar-altanweer.com

تونس: 24، نهج سعيد أبو بكر - 1001 تونس

هاتف وفاكس: 0021670315690

بريد إلكتروني: tunis@dar-altanweer.com

موقع إلكتروني: www.dar-altanweer.com

چوچ ر. ر. مارتن

أغنية الجليد والنار

صدام الملوك

الكتاب الثاني الجزء الأول

ترجمة: هشام فهمي



إلى چون وجايل
من أجل كل ما جمع بيننا من طعام وشراب



تمهيد

شَقَّ ذيل المذنب الفجر كجرح أحمر يتزف من كبد السماء التي اصطبغت بمزيج من الوردي والأرجواني فوق جروف دراجونستون.

كَانَ المايستر يقف في الشرفة المكشوفة للرياح خارج مسكنه. إلى هنا تأتي الغدقان بعد التحليق الطويل، وقد لَوَّت فضلاتها التمثالين اللذين يرتفع كل منهما اثني عشر قدماً، أحدهما يُمَثِّل وايفرن⁽¹⁾ والآخر كلباً من كلاب الجحيم⁽²⁾، بينما يطلُّ من على أسوار القلعة العتيقة أَلْفٌ من الكراجل⁽³⁾ الأخرى. كان جيش المسوخ الحجريَّة يبثُّ فيه شعوراً بعدم الرَّاحة في بداية مجيئه إلى دراجونستون، لكنه اعتادَ وجودها مع مرور الزَّمن حتى باتت بمثابة أصدقاءٍ له؛ والآن وقف بين صديقيه هذين لينتطلع ثلاثتهم إلى السماء بتوجُّس.

لم يكن المايستر كرسن يُؤمن بالثَّذر، وعلى الرغم من سنوات عُمره المديد لم يسبق له أن رأى مذنباً يتوهَّج بهذه الصُّورة على الإطلاق، أو بهذا

(1) الوايفرن مخلوق أسطوري شبيه بالثَّنين، لديه جسد كالسحلية وساقان وذيل سمكة، ولا ينفث النار.

(2) كلاب الجحيم مخلوقات خياليَّة يرد ذكرها في أساطير شعوب عدَّة، وتوصَّف بأنها سوداء اللون وحمرء العينين، وشديدة القوَّة ولها حضور شبحي ورائحة كريهة.

(3) الكراجل مخلوقات أسطوريَّة ذات مظهر مشوه مخيف، تم تصويرها في منحوتات عدَّة، وبالأخص على الجدران الخارجيّة لعددٍ من كنائس العصور الوُسطى، حيث تتخذ شكل ميزاب ناتئ.

اللُّون الرَّهيب، لون الدَّم واللَّهَب والغروب. تساءَل إن كانت كراجله رأت
مثيلاً له من قبل، إذ سبقَ وجودها هنا وجوده بزمانٍ طويلٍ للغاية، وستظلُّ هنا
بعد أن يرخل بكثير. ليت الألسنة الحجرية قادرة على الكلام...

استندَ إلى سور الشُّرفة شاعرًا بملبس الأحجار السوداء الخشن تحت
أصابعه والأمواج تتلاطم في الأسفل، وقال لنفسه: كراجل متكلمة ونبوءات
في السماء، يا للحماقة! أيصحُّ أن أفكر كطفل طائش وأنا رجلٌ هَرَمٌ يقف على
عتبة القبر؟ هل تخلَّت عنه الحكمة التي لم يدخر جهدًا طول حياته لاكتسابها
كما تخلَّت عنه صحته وقوته؟ إنه ما يستر تعلم وتدرَّب في قلعة البلدة القديمة
العظيمة، وهناك طوق عُتقه بسلسلة جماعته، فإلى أي شيء استحال الآن وقد
ملأت الخُرافة رأسه كأنه مجرد فلاح أجير جاهل؟

ومع ذلك... ومع ذلك... كان المذنب يتقد طول الوقت الآن، حتى في
النَّهار، بينما يتصاعد البخار الرمادي الباهت من فتحات بُركان دراجونمونت
السَّاخنة وراء القلعة، وصبيحة الأمس أتى غُداً أبيض حاملاً خبراً من
«القلعة» نفسها، خبراً طال توقُّعه وطال الخوف من مجيئه، خبراً يُعلمهم
بنهاية الصَّيف. نُذِّرُ كلها، وأكثر عددًا من أن يُنكرها أو يتجاهلها، حتى إنه
يُريد أن يصرخ بأعلى صوته: ما الذي يعنيه كلُّ هذا؟!

- «مايستر كرسن، لديك ضيوف»، قال پايلوس بصوتٍ خافت كأنه يكره
أن يقطع على كرسن تأملاته الوقور، بينما لو أدرك الهراء الذي ملأ رأس
العجوز لحظتها لصاح دهشة. «الأميرة ترغب في رؤية الغُداً الأبيض».
پايلوس على صوابٍ دائماً، والآن كان يدعوها «الأميرة» بما أن السيّد والدها
ملك، ملك صخرة في عرض البحر المالح العظيم تتصاعد منها الأدخنة
والأبخرة، لكنه ملك على الرغم من ذلك. «المهرِّج معها كذلك».

أدارَ العجوز ظهره للفجر وقد أبقى يده على تمثال الوايفرن كي يقف
بشبات، وقال: «أخذني إلى مقعدي ودعهما يدُخلان».

أمسك پايلوس ذراعه وقاده إلى الدَّاخل. في شبابه كان كرسن يمشي
بخطواتٍ سريعةٍ رشيقه، لكنه الآن يدنو من يوم ميلاده الثمانين، وساقاه

أصبحنا هشتين مرتعشتين. قبل عامين سقط المايستر وكسر وركه، ومنذ ذلك الحين والكسر لم ينجر كما ينبغي، وفي العام الماضي عندما كان طريح فراش المريض، أرسلت «القلعة» بايلوس من البلدة القديمة قبل أيام قلائل من إغلاق اللورد ستانيس الجزيرة. قالوا إنه جاء لیساعده في مهامه، لكن كرسن كان يدرك الحقيقة، أن بايلوس هنا ليحل محله عندما يموت. لم يكن يُمانع، فعلى أحدهم أن يأخذ مكانه في النهاية، وبأسرع مما كان ليرغب في الحقيقة. ترك الرجل الشاب يساعده على الجلوس وراء كتبه وأوراقه، ثم قال: «اذهب وتعال بها. من السئ أن نترك الليدي تنتظر»، ولوح بيده بحركة تدل على العجالة من رجل لم تعد العجالة شيئاً يقوى عليه. كانت بشرته مجعدة مليئة بالبقع، والجلد رقيقاً كورقة حتى إنه يستطيع أن يرى شبكة العروق وأشكال العظام من تحته، ولكم صارت يده دائمتي الارتجاف، هاتان اليدان اللتان كانتا دوماً ثابتتين قويتين في الماضي.

عاد بايلوس والفتاة معه وقد بدت خجولاً كالمتعاد، ومن ورائها جاء مهرجها بمشيته الجانبية الغربية التي تجمع بين جر القدمين والتواؤب، وقد وضع على رأسه خوذة مصنوعة من صفيح دلو قديم، رُبط حول قمتها حزام بُنيت فيه قرون وعل يتدلى منها عدد من الأجراس الصغيرة التي تُعلق في أعناق الأبقار، ومع كل خطوة متمائلة يخطوها كانت الأجراس تُجَلجل فيصدر كل منها رنيناً مختلفاً عن الآخر، كلانجا-دانج بونج-دونج رينجا-لينج كلونج كلونج كلونج!

قال كرسن: «من جاء لزيارتنا في هذه الساعة المبكرة يا بايلوس؟». أجابته الطفلة وعيناها الزرقاوان ترمقانه بنظراتهما البريئة: «إنها أنا أيها المايستر، ومعني ذو الوجه المرقع». وجهها هي لم يكن بالوجه الجميل للأسف، فمن السيد والدها ورثت فكّه المرقع البارز، ومن أمها الأذنين الكبيرتين، وأضيف إلى هذا التشوه الذي أصابها، والذي تبقى معها كتذكّار دائم لصراعها مع الداء الأرمد الذي كاد يودي بها وهي لا تزال في المهد. عبر نصف وجنتها وبطول عنقها كانت بشرتها جافة ميتة، وقد تشقق جلدها

وتَقَشَّرَ وشَاعَت فيهِ البُقَع السَّوداءُ والرَّمَادِيَّةُ، فإذا لَمَسْتَهُ فَكَأَنَّكَ تَلْمَسُ حَجَرًا. تَابَعَت الصَّغِيرَةُ: «بَايَلُوسَ قَالَ إِنَّا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَرَى الْغُدَافَ الْأَبْيَضَ». رَدَّ كَرْسَنُ: «بِكُلِّ تَأْكِيدٍ». كَانَهُ يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يَحْرِمَهَا هَذَا وَقَدْ حُرِمَتْ الْكَثِيرَ جَدًّا فِي سَنِينِهَا الْقَلِيلَةِ بِالْفِعْلِ. كَانَ اسْمُهَا شِيرِينَ، وَفِي يَوْمِ مِيلَادِهَا الْمَقْبَلِ سِتْتِصِيرَ فِي الْعَاشِرَةِ مِنْ عُمْرِهَا، وَهِيَ أَتَعَسَ طِفْلَةٌ عَرَفَهَا الْمَيْسْتَرُ كَرْسَنُ فِي حَيَاتِهِ عَلَى الْإِطْلَاقِ. قَالَ الْمَعْجُوزُ لِنَفْسِهِ: تَعَاسَتْهَا هِيَ عَارِي، عَلَامَةُ أُخْرَى عَلَى فَشْلِي، ثُمَّ قَالَ مَخَاطِبًا الشَّابَّ: «مَيْسْتَرُ بَايَلُوسَ، هَلَّا تَفَضَّلْتَ بِإِحْضَارِ الطَّائِرِ مِنَ الْمِغْدَفَةِ⁽¹⁾ لِتَرَاهُ الْيَدِي شِيرِينَ؟».

- «بِكُلِّ سُرُورٍ». كَانَ بَايَلُوسَ شَابًّا مَهَذَّبًا، لَمْ يَتَجَاوَزِ الْخَامِسَةَ وَالْعِشْرِينَ مِنَ الْعُمْرِ، لَكِنْ شَدِيدُ الْوَقَارِ كَرَجُلٍ فِي السِّتِّينَ. لَيْتَهُ فَقَطْ يَتَحَلَّى بِالْمَزِيدِ مِنْ حَسَنِ الدُّعَابَةِ، بِالْمَزِيدِ مِنَ الْحَيَاةِ، فَذَلِكَ بِالضَّبْطِ مَا يَحْتَاجُهُ هَذَا الْمَكَانُ. الْأَمَاكِنُ الْجَهِيمَةُ فِي حَاجَةٍ إِلَى الْخَفَّةِ وَلَيْسَ الْوَقَارُ، وَدَرَا جُونِسْتُونُ بَلَا أَدْنَى شَكٍّ مَكَانَ جَهِيمٍ، قَلْعَةٌ وَحِيدَةٌ تَقِفُ فِي مَتْنَصَفِ هَذَا الْقَفْرِ الْبَلِيلِ، لَا يُحِيطُ بِهَا غَيْرُ الْمَلْحِ وَالْعَوَاصِفِ، بَيْنَمَا يُلْقَى عَلَيْهَا الْجَبَلُ الدَّاخِنُ ظِلَّهُ مِنَ الْوَرَاءِ. عَلَى كُلِّ مَيْسْتَرٍ أَنْ يَذْهَبَ حَيْثُ أُرْسِلُوهُ، وَقَدْ جَاءَ كَرْسَنُ إِلَى هُنَا مَعَ سَيِّدِهِ اللَّوْرْدِ قَبْلَ اثْنَيْ عَشَرَ عَامًا، وَقَضَى تِلْكَ الْأَعْوَامَ فِي الْخِدْمَةِ، وَأَبْلَى بَلَاءً حَسَنًا فِي خِدْمَتِهِ، وَإِنْ كَانَ لَمْ يَسْتَطِعْ قَطُّ أَنْ يُحِبَّ دَرَا جُونِسْتُونُ أَوْ يَشْعُرَ أَنَّهَا بَيْتُهُ حَقًّا. فِي الْآوَنَةِ الْأَخِيرَةِ كَانَ كَثِيرًا مَا يَسْتَيْقِظُ مِنْ أَحْلَامِهِ الْمَزْعُجَةِ الَّتِي تُسَيِّرُ عَلَيْهَا الْمَرْأَةُ الْحُمْرَاءَ، لِيَجِدَ أَنَّهُ لَا يُدْرِكُ أَهْنًا هُوَ.

أَدَارَ الْمَهْرَجُ وَجْهَهُ الْمَرْقَعُ بِالْأَلْوَانِ لِثَرِاقِبِ بَايَلُوسَ وَهُوَ يَصْعَدُ الدَّرَجَاتِ الْحَدِيدِيَّةَ الْمُنْحَدِرَةَ إِلَى الْمِغْدَفَةِ، فَرَنَّتِ الْأَجْرَاسُ مَعَ حَرَكَةِ رَأْسِهِ، وَقَالَ: «تَحْتَ الْبَحْرِ الطُّيُورُ تَكْسُوهَا الْحِرَاشِفُ بَدَلًا مِنَ الرِّيشِ. أَعْرِفُ، أَعْرِفُ، أَوْهَ، أَوْهَ، أَوْهَ».

حَتَّى بِالنَّسْبَةِ لِمَهْرَجٍ، كَانَ ذُو الْوَجْهِ الْمَرْقَعِ شَيْئًا مَثِيرًا لِلشَّفَقَةِ حَقًّا، فَلَرَبَّمَا

(1) المِغْدَفَةُ عِبَارَةٌ عَنْ قَفْصٍ كَبِيرٍ بِمَثَابَةِ عُشِّ لَطِيُورِ الْغُدَافِ.

كان في الماضي يستطيع أن يُفَجِّر الضَّحَكَاتِ بِدُعَايَةٍ صَغِيرَةٍ، لكن البحر استلبَ منه هذه الموهبة، ومعها نصف عقله وذاكرته كلها. كان بديناً ضعيفاً وكثيراً ما يُصيبه التشنُّج والرَّعْشَةُ، وفي أغلب الأحيان لا يُمكنك أن تستوعب شيئاً مما يقوله. الفتاة كانت الوحيدة التي يُضْحِكُهَا الآن، الوحيدة التي تعباً بحياته أو موته.

فتاة صغيرة قبيحة ومهرَّج حزين، والمَياستر نالهم... حكاية كفيفة بإراقة دموع الرُّجَال. أشارَ كرسن إليها بالاقتراب قائلاً: «اجلسي معي يا طفليتي. الوقت مبكرٌ للغاية على الزَّيارات. الفَجْر طلعَ منذ قليلٍ فقط، ومن المفترض أن تكوني متدثرةً في فراشك».

قالت شيرين: «رأيتُ أحلاماً مخيفةً. كانت التَّنانين قادمةً لتأكلني». كانت الصَّغيرة مبتلاةً بالكوابيس منذ فترةٍ أطول من أن يتذكَّرها كرسن، فقال لها بلهجةٍ لطيفة: «لقد تكلمنا عن هذا من قبل، الحياة لا يُمكن أن تُدبَّ في التَّنانين لأنها منحوتة من الحجارة يا صغيرتي. في الماضي البعيد كانت جزيرتنا أقصى نقطة مراقبةٍ غربيَّة تابعة لمعقل فاليريا الحُر العظيم، والقاليريُّون هم من سَيَدُوا القلعة، وكانت لديهم طُرق لتشكيل الحجارة لم نَعُد نُدرِكها. ينبغي في كلِّ قلعةٍ أن يُقام بُرجٌ حيشماً يلتقي سوران من أجل الدِّفاع عنها، وقد أقام القاليريُّون هذه الأبراج على شكل تنانين بغية أن يجعلوا قلعتهم تبدو مهيبَةً أكثر، تماماً كما توجَّوا الأسوار بألْفٍ من الكراجل بدلاً من الميازيب التَّقليديَّة»، وأخذَ يدها الوردية الصَّغيرة في يده المبَّعَّة الهشَّة واعتصرها برقَّةٍ مضيقاً: «ليس هناك ما يستحقُّ الخوفَ إذن كما ترين».

قالت شيرين وقد بدا عليها عدم الاقتناع: «وماذا عن هذا الشَّيء في السَّماء؟ دالا وماتريس كانتا تتكلَّمان عند البشر، وقالت دالا إنها سمعت المرأة الحمراء تقول لأُمِّي إنها أنفاس التَّنانين. إذا كانت التَّنانين تتنَفَّس، ألا يعني هذا أن الحياة تُدبُّ فيها بالفعل؟».

قال المَياستر كرسن لنفسه بامتعاظ: المرأة الحمراء. سيئٌ بما فيه الكفاية أنها ملأت رأس الأم بالجنون، أفيجب أن تُسمَّم أحلام البنت كذلك؟ عليه أن

يُوجِّه تحذيرًا صارمًا لدالا ويقول لها ألا تَنْشُر تلك الحكايات. «الشيء الذي في السَّماء مَذْنَبٌ يا حُلُوتِي، نجمٌ مَذْيَلٌ ضائعٌ في الأعالي، وسيختفي عمَّا قريب ولن نراه في حياتنا هذه ثانية. سترين».

أجابته شيرين بهزَّة شُجاعة من رأسها، ثم قالت: «أمِّي تقول إن الغُدف الأبيض يعني أن الصَّيف انتهى».

- «هذا صحيح يا سيِّدتي، فالغُدفان البيضاء تأتي من قلعة البلدة القديمة فقط»، وتحسَّس كرسن السِّلْسلة المحيطة بعُنقه، التي صُنِعَتْ كُلُّ حلقةٍ فيها من معدنٍ مختلفٍ يَرْمُزُ إلى إتقانه لفرع من فروع المعرفة. سلسلة المايستر هي العلامة المميِّزة لجماعته، وكان كرسن يرتدي سلسلته في ريعان شبابه بمتهى البساطة، أمَّا الآن فقد صارت تُثْقِلُ عُنقه وتُسْعِرُه بملمسها البارد على جلده. «إنها أكبر حجمًا وأذكى من الغُدفان الأخرى، وتُرَبَّى على حمل أهمِّ الرِّسائل على الإطلاق. هذا الغُدف جاءنا لِيُعَلِّمَنَا بأن مجمع المايسترات انعقد ودرسَ التَّقارير والقياسات التي قامَ بها كُلُّ مايستر في جميع أنحاء البلاد، وأعلنَ أن هذا الصَّيف العظيم قد انتهى أخيرًا بعد أن دامَ عشرة أعوام ودورتين قمرئيتين وستَّة عشر يومًا؛ أطول صيفٍ في ذاكرة البشر».

- «هل سيسود البرد الآن؟». كانت شيرين من أطفال الصَّيف ولم تعرف معنى البرد الحقيقي قط.

أجاب كرسن: «مع الوقت، لكن قد نشاء الآلهة أن تُنعم علينا بخريفٍ دافئ ومحاصيل وفيرة كي نكون مستعدين للشَّتاء القادم». يقول العامة إن الصَّيف الطَّويل يعني مجيء شتاءٍ أطول، لكن المايستر لم يَرِ سببًا لإثارة خوف الطُّفلة بتلك الحكايات.

جلجلَ ذو الوجه المرقَّع أجراسه ودندن: «تحت البحر الصَّيف بلا نهاية، وتُرَبَّى عرائس البحر شعرها بشقائق التُّعمان، وتغزل ثيابًا من الطُّحلب الفضي. أعرفُ، أعرفُ، أوه، أوه، أوه».

ضحكت شيرين قائلة: «أحبُّ أن أرتدي ثوبًا من الطُّحلب الفضي». قال المهرَّج: «تحت البحر يسقطُ الثَّلج، والمطر جافٌ كالعظام. أعرفُ أعرفُ، أوه، أوه، أوه».

سألته الصَّغيرة: «هل سَيَسْقُطُ الثَّلَجُ حقًّا؟».

- «نعم»، قال كرسن. لكن ليس قبل سنوات كما أتمنى، وليس لوقت طويل. «آه، ها هو پايلوس ومعه الطَّائر».

أطلقت شيرين صيحةَ فَرَحَةٍ، وحتى كرسن قال لنفسه إنه لا يستطيع إنكار جاذبيَّة الطَّائر الأبيض كالثلج والأكبر حجمًا من أيِّ صقر، بعينه السُّوداوين اللَّامعتين اللَّتين تعنيان أنه ليس مجردَ غُداف أمهق، بل غُداف أبيض أصيل من «القلعة». قال المايستر: «إليَّ»، ففردَ الغُداف جناحيه ووثبَ لِيَحُلِقَ ويخفق بصوتٍ صاخبٍ في هواءِ العُرفة، قبل أن يَحُطَّ إلى جواره على المنضدة.

قال پايلوس: «سأذهبُ لإحضار إفطارك»، فأوما كرسن برأسه ثم قال محدثًا الغُداف: «هذه هي الليدي شيرين». حرَّك الطائر رأسه ذا اللَّون الشَّاحب إلى أعلى وأسفل كأنه ينحني، ونعَبَ: «ليدي! ليدي!».

فغرت الصَّغيرة فاها وقالت مذهولة: «إنه يتكلَّم!».

- «كلمات قليلة فقط. هذه الطُّيور ذكيَّة كما قلت».

عادت أجراس ذي الوجه المرقَّع تُصدِر رنينها وهو يقول: «طائرٌ ذكي، رجلٌ ذكي، مهرَّجٌ ذكيٌّ ذكي. أوه، مهرَّجٌ ذكيٌّ ذكيٌّ ذكي»، ثم بدأ يترنم: «الظلال تأتي لترقص يا سيدي، لترقص يا سيدي، لترقص يا سيدي»، وأخذ يحجل من قدم إلى أخرى مواصلاً: «الظلال تأتي لتبقى يا سيدي، لتبقى يا سيدي، لتبقى يا سيدي». كان يهزُّ رأسه بحركةٍ حادَّةٍ مع كلِّ كلمة، لترتفع جلجلة الأجراس المدلَّاة من قرون الوعل وتتردَّد في المكان.

أطلقَ الغُداف صرخةً ووثبَ في الهواء خافقًا بجناحيه، ثم استقرَّ على الشُّور الحديدي لِسُلَّم المِغْدفة، وبدا كأن حجم شيرين يتقلَّص وهي تقول بوجل: «إنه يُردَّد هذه الأغنية طول الوقت. قلتُ له أن يَكْفَ عن غنائها لكنه يَرُقُص. اجعله يتوقَّف. إنها تُخيفني».

تساءلَ العجوز في قرارة نفسه: وأتى لي أن أفعل ذلك؟ في الماضي كان يُمكنني أن أُسكته إلى الأبد، لكن الآن...

لقد جاءهم ذو الوجه المرقَّع وهو صبيٌّ صغير. كان طيِّب الذِّكر اللورد

ستفون قد عثر عليه في فولانتيس على الجانب الآخر من البحر الضيق، بعد أن أرسله الملك -الملك القديم، يريس تارجارين الثاني، الذي لم يكن مجنوناً إلى هذا الحد حينئذ- للبحث عن عروسٍ للأمير ريجار الذي كان بلا أختٍ يتزوَّجها، وقبل أسبوعين من عودته من مهمته صُفر اليدين، كتبَ حضرة اللورد إلى كرسن قائلاً: «عثرنا على مهرجٍ رائع. إنه مجرد صبي، لكنه رشيق كالقروء وخفيف الظل كدستة كاملة من رجال الحاشية، ويُجيد ألعاب الحواة والأحاجي والحيل السحرية، كما يُغني بصوتٍ عذب بأربع لغات. لقد اشترينا حُرَّيته ونأمل أن نعود به معنا. سيسعد روبرت به كثيراً، ولربما يُعلِّم ستانيس كيف يضحك مع مرور الوقت كذلك».

شعرَ كرسن بالحُزن لما تذكَّر تلك الرسالة، فستانيس لم يتعلَّم الضحك من أحدٍ قط، وبالذات من هذا الصَّبي ذي الوجه المرقَّع. العاصفة هبَّت على حين غرة وارتفع عُواضها المدوّي، وأثبتَ خليج الشُّفن الغارقة أنه اسم على مسمّى، عندما تحطَّمت سفينة اللورد ذات السَّاريتين المسماة «الرَّيح الفخور» على مرأى من قلعة التي وقفَ ولداه الكبيران على أسوارها، ليشهدا سفينة أبيهما وهي تنهشم على الصُّخور قبل أن تبلعها المياه. مئة من البحَّارة والمجدِّفين غرقوا مع اللورد ستفون باراثيون والسيدة زوجته يومها، وبعدها ظلَّ المندُّ أياً ما يُلقَى مجموعاتٍ جديدة من الجُثث المتفخخة على الشَّريط السَّاحلي تحت قلعة ستورمز إند.

جرَّفت المياه الصَّبي إلى الشَّاطئ في اليوم الثالث. كان المايستر كرسن قد نزلَ مع بقية الرُّجال لِيساعِد في التعرُّف على الجُثث، وعندما عثروا على المهرج كان عارياً وقد التصَّفت الرَّمال المبتلة بجلده الأبيض المجعَّد. في البدء حسبه كرسن جثةً أخرى، لكن عندما أمسكه جومي من كاحليه ليجُرَّه إلى عربة الموتى، سعلَ الصَّبي الماء الذي امتلأ به صدره واعتدلَ جالساً؛ وحتى فارقَ جومي الحياة كان يُقسِم أن جسد ذي الوجه المرقَّع كان بارداً رطباً تماماً.

لم يستطع أحدٌ قطُّ تفسير ما حدثَ خلال هذين اليومين اللذين قضاهما

المهرج ضائعاً في البحر، وإن راق الصيادين أن يقولوا إن حورية بحر علمته كيف يتنفس تحت الماء مقابل أن يضع فيها نطفته، أمّا ذو الوجه المرقع نفسه فلم يقل شيئاً على الإطلاق، فالصبي اللّمّاح خفيف الظل الذي كتب عنه اللورد ستفون لم يبلغ ستورمز إند حقاً، ومن عثروا عليه كان شخصاً آخر عليل الجسد والعقل في آن واحد، بالكاد يقدر على الكلام ناهيك عن إبداء خفة الظل. غير أن وجهه لم يدع مجالاً للشك في هويته، فمن دأب أهل مدينة فولانتيس الحرة أن يدقوا الأوشام على وجوه العبيد والخدم، ومن عنقه إلى فروة رأسه كان الصبي موشوماً بمرئعاتٍ من الأخضر والأحمر.

- «الصبي البائس فقد عقله، ويتألم، وعديم الجدوى لأي أحد، خصوصاً نفسه»، قال السير هاربرت المعجوز، الذي كان أمين قلعة ستورمز إند في تلك السنوات. «أرحم ما يمكن فعله معه، أن تملأ كأسه بحليب الخشخاش⁽¹⁾ وتسقيه إياه. سيغيب في نوم بلا ألم حتى تأتي النهاية. كان ليدعو لك بالبركة من أجل هذا لو كان لا يزال محتفظاً بعقله». لكن كرسن رفض، وفاز في النهاية، مع أنه حتى اليوم وبعد مرور كل تلك السنين ما زال يجهل إن كانت بهجة ذلك الانتصار قد طالت ذا الوجه المرقع بشكل أو بآخر.

- «الظلال تأتي لترقص يا سيدي، لترقص يا سيدي، لترقص يا سيدي»، ترنّم المهرج مؤرجحاً رأسه لترنّ أجراسه وتصلصل، بونج دونج، رينجا- لينج، بونج دونج، بينما صرّخ الغداف الأبيض: «سيدي! سيدي! سيدي! سيدي!».

قال المايستر للأميرة الخائفة: «المهرج يُعني ما يُعنيه، لكن لا ينبغي أن تأخذي كلماته على محمل الجد. قد يتذكر أغنية أخرى غداً فلا تسمعي هذه ثانية أبداً». يُعني بصوت عذب بأربع لغات، قال اللورد ستفون في رسالته... دلف بايلوس إلى الغرفة قائلاً: «أستمحيك عذراً أيها المايستر».

قال كرسن مبتسماً: «أرى أنك نسيت الثريد». لم يكن هذا من عادة بايلوس على الإطلاق.

(1) حليب الخشخاش مشروب حقيقي مخدر ومسكن للألم.

- «لقد عادَ السير دافوس ليلة أمس أيها المايستر. كانوا يتكلمون عنه في المطبخ، وخطرَ لي أنك ستُريد أن تعرف على الفور».

- «دافوس... تقول ليلة أمس؟ أين هو؟».

- «مع الملك. لقد أمضى معظم الليل في صُحبته».

في زمنٍ سابق كان اللورد ستانيس لِيُوقِظَه من نومه مهما تأخَّرت السَّاعة، كي يكون حاضراً معه ويُعطيه المشورة. قال كرسن مستاءً: «كان ينبغي أن تُوقظوني»، وحلَّ أصابعه من أصابع شيرين قائلاً: «معدرةٌ يا سيِّدتي، لكن يجب أن أتكلَّم مع السيِّد والدك. ناولني ذراعك يا بايلوس. هذه القلعة مليئة بالسَّلام، ويبدو لي أنهم يُضيفون المزيد منها كلَّ ليلة على سبيل إغاطتي لا أكثر».

تبعتهما شيرين وذو الوجه المرقَّع إلى الخارج، لكن سرعان ما أصيبت الصَّغيرة بالضَّجر من خطوات العجوز الأقرب إلى الرَّحف، واندفعت تتجاوزهما والمهرَّج يتمايل وراءها وقد أخذت أجراس الأبقار المعلقة على رأسه ترنُّ بدويٍّ مجنون.

ذَكَرَه نزول سلالم بُرج «تئين البحر» المستديرة بأن القلاع ليست بالأماكن التي تُعامل الواهين بلُطفٍ بالمرَّة. لا بُدَّ أنه سيجد اللورد ستانيس في قاعة «المائدة المرسومة» الواقعة في أعلى «الطَّلبة الحجريَّة»، الحصن المشيِّد في مركز دراجونستون الذي اكتسب اسمه من الطريقة التي تُردَّد بها جدرانُه العتيقة أصوات الهدير والهزيم عندما تحتدم العواصف. كي يصلا إليه، عليهما أن يعبرا الرُّواق ويَمرَّا عبر الأسوار الوُسطى والذَّاخليَّة التي تحرُّسها الكراجل وتستقرُّ فيها البوابات الحديدية السوداء، ثم يصعدا عددًا آخر من السَّلام لا يرغب كرسن في أن يُفكِّر فيه. الشُّباب يصعدون السَّلام درجتين درجتين، أمَّا بالنسبة للمسنَّين ذوي الأوراك الهشَّة فكلُّ درجةٍ عذاب. على الأقل بايلوس معه لِيُساعدَه على الحركة، وهو ممتنٌّ لهذا.

مرَّا في مشيتهما البطيئة في الرُّواق بصَفٍّ من النَّوافذ المُقنَّطَرة الطَّويلة التي تُطلُّ على الفناء الذَّاخلي والحائط السَّاتر ومن ورائه قرية الصَّيَّادين.

في السّاحة كان الرّماة يُطْلِقون سهامهم على أهداف التّدريب مع نداء «بُتّت، اسحب، أطلق»، لتُصدِر السّهام صوتاً كسرب من الطّيور يشبّ محلّقاً في الهواء، بينما تحرّك الحرّاس فوق الأسوار جيئةً وذهاباً ناظرين من بين الكراجل إلى الجيش المعسكر في الخارج. كان هواء الصّبح ملبّداً بالدخان المتصاعد من نيران الطّهي المنتشرة في كلّ مكان، إذ جلس ثلاثة آلاف رجل ليتناولوا طعام الإفطار تحت رايات لورداتهم، ووراء المعسكر الممتد ازدحم المرفأ بالشّفن، حيث لم يُسمَح ولو لقارب واحدٍ ظهرَ على مرأى من دراجونستون خلال نصف العام المنصرم بالمغادرة ثانية، حتى كاد قادس⁽¹⁾ اللورد ستانيس ذو الثلاثة مستويات والثلاثمئة مجذاف المسمّى «الثّورة» يبدو أصغر حجماً بالمقارنة ببعض القراقير⁽²⁾ والأكواج⁽³⁾ الأخرى ذات البطون الكبيرة التي أحاطت به.

تعرّف الحرّاس الواقفون خارج «الطّيلة الحجريّة» المايسترين في الحال وسمحوا لهما بالدّخول، وفي الدّاخل قال كرسن لپايلوس: «انتظر هنا، من الأفضل أن أراه بمفردي».

- «لكن هناك الكثير من الدّرجات أيها المايستر».

ابتسم كرسن وقال: «هل تحسبني نسيت؟ لقد صعدتُ هذه الدّرجات كثيراً جدّاً للدرجة أنني أعرف اسم كلّ منها».

على أنه شعرَ بالنّدم على قراره هذا في منتصف الطّريق إلى أعلى، فتوقّف ليلتقط أنفاسه ويريح وركه من الألم بعض الشّيء، قبل أن يسمع صوت احتكاك الحذاء الجليدي بالحجر قادماً من أعلى ويرى السير دافوس سيوورث أمامه مباشرةً.

(1) القادس نوع من الشّفن المزوّدة بمجاديف، يتميّز بيدنه الطّويل الرّفيع، والقدرة على الملاحة في الظروف غير المواتية، واستُخدم في الحرب والتّجارة والقرصة.

(2) القرقور سفينة ضخمة تحمل آلات الحرب والمؤن والعتاد، وتُتّسع لعدد كبير من المجذفين والبحّارة.

(3) الكوج سفينة صغيرة الحجم لها شراع واحد مربّع، وتُبنى عادةً من خشب البلوط.

كان دافوس رجلاً نحيلًا، طُبعَ نَسبه الوضيع على ملامحه التَّقليديّة
بمنتهى الوضوح ووَخَطَ الشَّيْبَ لحيته القصيرة، يضع على كتفيه الهزيلتين
معطفًا أخضر رثًا وسنخه الملح ورذاذ البحر ولَوَّحت الشَّمْسُ لونه، ويرندي
من تحته سُرَّةً وسراويل بُنَيّن كشعره وعينه، وقد تدلَّى على صدره جراب
من الجلد البالي معلق في شريط يُحيط بعنقه، وغطَّى قَفَاز جِلدي يده اليُسرى
المجدوعة.

توقَّف الرَّجُل عندما رأى كرسن، وقال المايستر: «سير دافوس، متى
عُدت؟».

- «قبل أن يُنير النَّهار، ساعتِي المفضَّلة». يُقال إن لا أحد يملك نِصف
مهارة دافوس ذي اليد القصيرة في التحكُّم في المراكب ليلاً، وقبل أن يُنصِّبه
اللورد ستانيس فارسًا كان أشهر المهرَّبين في الممالك السَّبع كلها وأكثرهم
مراوغةً وتضليلًا.

- «إذن؟».

هَزَّ الرَّجُل رأسه وقال: «كما حدَّرتَه، إنهم لن يقوموا أيها المايستر، ليس
من أجله. إنهم لا يُحبُّونه».

قال كرسن لنفسه: نعم، لا يُحبُّونه، ولن يفعلوا أبدًا. إنه قويٌّ وقدير
وعادل... نعم، عادلٌ أكثر مما تقتضي الحكمة... لكن هذا لا يكفي، ولم
يكن كافيًا قط. «هل تكلمت معهم كلهم؟».

- «كلهم؟ لا، مع من وافقوا على مُقابلتي فقط. عليه القوم هؤلاء لا يُكِنُّون
لي أيَّ حُبٍّ أنا الآخر، وبالنسبة لهم سأظلُّ فارس البصل دائماً»، قالها وكوَّر
قبضته اليُسرى ذات الأصابع القصيرة، التي كان اللورد ستانيس قد بترَ أطرافها
كلها عند المَفْصِل الأخير باستثناء الإبهام. «تناولتُ الطَّعام مع چوليان سوان
وینروز العجوز، بينما وافق آل تارث على مُقابَلَةٍ في منتصف اللَّيْلِ في بُستان،
أمَّا بقيَّتهم... بريك دونداريون مفقود ويقول البعض إنه قُتِلَ، واللورد كارون
مع رنلي، برايس كارون البرتقالي رجل خرس قوس قزح».

- «خرس قوس قزح؟».

أجاب المهرب السابق: «رنلي كوّن حرسه الملكي الخاص، لكن هؤلاء السبعة لا يرتدون الأبيض، وكلّ منهم يرتدي لونًا يختلف عن الآخر. لوراس تايرل يقودهم».

فكرة كنتك من شأنها أن تستهوي رنلي باراثيون حقًا؛ نظام جديد مبهر للفروسية مزوّد بكسوة جديدة فاخرة تُجاهر به. حتى في صباه كان رنلي يُحبّ الألوان الزاهية والأقمشة الفاخرة، ويُحبّ الألعاب كذلك، فكان يجري في أروقة ستورمز إند يضحك ويصيح: «انظروا إليّ، انظروا إليّ، أنا تثنّ، أو «انظروا إليّ، أنا ساحر»، أو «انظروا إليّ، انظروا إليّ، أنا إله المطر». الصّبي الصّغير الجريء ذو الشّعر الأسود الثّائر والعينين الصّاحكتين أصبح رجلًا ناضجًا الآن، في الحادية والعشرين من العُمر ولا يزال يلعب. انظروا إليّ، أنا ملك، فكّر كرسن مغتمًا، يا رنلي، رنلي يا صغيري الغالي الجميل، هل تُدرك ما تفعله؟ وهل ستبالي إذا أدركت؟ وهل هناك من يهتم بك سواي؟ ثم إنه سأل السير دافوس: «وما الأسباب التي أعطاك اللوردات إياها لرفضهم؟».

- «آه، بالنسبة لهذا، بعضهم ردّ عليّ بكلمات ناعمة أو فظة، والبعض الآخر اختلق أعذارًا أو أعطى وعودًا أو اكتفى بالكذب لا أكثر»، وهزّ كتفيه مضيفًا: «الكلام مجرد قبض ريح في النّهاية».

- «ألم تستطع أن تأتي إليه بأيّ أمل؟».

أجاب دافوس: «الأمل الكاذب فقط، وأنا لا أفعل هذا. لقد أخبرتّه بالحقيقة كاملة».

تذكّر المايستر كرسن اليوم الذي نُصّب فيه دافوس فارسًا بعد حصار ستورمز إند. كان اللورد ستانيس قد دافع عن القلعة مع رجال حاميته الصّغيرة لما يقرب من عام كامل ضدّ جيش اللوردين ردواين وتايرل العرمرم، وحتى البحر كان مغلقًا أمامهم وقوادس ردواين الحربيّة تُراقبه ليل نهار وقد ارتفعت عليها رايات «الكرمة» ذات اللون الخمري. داخل ستورمز إند نفسها كانت الخيول قد أكلت منذ فترة طويلة بالفعل، وكذلك القطط والكلاب، ولم يتبقّ من طعام لرجال الحامية غير الجذور والجردان. ثم جاءت ليلة كان القمر

فيها محاقًا وتوازَت النُّجوم وراء الشُّحب السُّوداء، ليلة تحدَّى فيها دافوس المهْرَب حصار ردواين البحري وصخور خليج الشُّفن الغارقة على حدِّ سواء. كانت سفينته الصَّغيرة سوداء البدن والأشْرة والمجاذيف، وعلى متنها حمولة مكْدَّسة من البصل والسَّمك المملَّح، كميَّة صغيرة لكنها كانت كافية لإبقاء رجال الحامية على قيد الحياة حتى بلغ إدارد ستارك ستورمز إند أخيرًا ليكسر الحصار.

كافًا للورد ستانيس دافوس بأراضٍ ممتازة وحصنٍ صغير في «رأس الغضب» وكرَّمه كفارس... لكنه قضى كذلك أن يفقد مَفْصِلًا من كلِّ إصبع في يده اليسرى عوضًا عن السَّنين التي أمضاها في التَّهريب. أذعن دافوس، بشرط أن يُنقذ ستانيس الحُكم بنفسه، فلم يقبل أن يتلقَّى العقاب على يد شخص أقلَّ منزلةً، وهكذا استخدم اللورد ساطور جرَّار لتكون ضربته نظيفةً مُحْكَمَةً. اختارَ دافوس بعدها اسم سيوورث لعائلته الجديدة، واتَّخذ لرايته سفينةً سوداء على خلفيَّة رماديَّة باهتة، ورسمَ على الأشْرة بصلة. كان المهْرَب السَّابق مغرمًا بترديد أن اللورد ستانيس أسدى له خدمةً عندما قُلِّل عدد الأظفار التي ينبغي عليه تنظيفها وتشذيبها.

لا، رجلٌ كهذا لن يُعطبك أملًا كاذبًا أبدًا، أو يهُوِّن قسوة الحقيقة. «سير دافوس، من شأن الحقيقة أن تكون مرَّةً الابتلاع أحيانًا، حتى بالنسبة لرجلٍ مثل اللورد ستانيس. إنه لا يُفكِّر إلَّا في العودة إلى كينجز لاندنغ بكامل قوَّته، لينتزع السُّلطة من أعدائه ويستحوذ على ما هو له شرعًا، إنما الآن...».

- «إذا قادَ هذا الحشد الصَّغير إلى كينجز لاندنغ، فهو ذاهبٌ إلى حتفه. إنه لا يملك أعدادًا كافية، ولقد قلْتُ له هذا، لكنك تعرف كبرياءه»، ورفع دافوس يده المخطَّاة بالقُفَّاز مُردِّفًا: «ستَبُتُ أصابعي مرَّةً أخرى قبل أن يُصْغِي هذا الرَّجل لصوت العقل».

تنهَّد العجوز وقال: «لقد فعلت كلَّ ما في وسعك، والآن عليَّ أن أضْمَّ صوتي إلى صوتك»، وعادَ يصعد السُّلالم بخطواتٍ متعبَةٍ.

كان مقرُّ اللورد ستانيس باراثيون عبارةً عن قاعةٍ مستديرةٍ فسيحة ذات

جدران من الحجر الأسود غير المطلي، وأربع نوافذ مرتفعة ضيقة يُطلُّ كلُّ منها على إحدى جهات البوصلة الأربعة، وفي منتصف القاعة كانت المائدة الضخمة التي استمدَّت اسمها منها، اللوح هائل الحجم المنحوت من الخشب، الذي صُمِّمَ وصُنِعَ بأمر من إجون تارجارين قبل غزوته. بلغت المائدة المرسومة أكثر من خمسين قدماً طويلاً، وربما نصف هذا الرقم عرضاً في أعرض أجزائها، لكن أقلَّ من أربعة أقدام في أضيق جزء، وكان نجارو إجون قد جعلوها على شكل أراضي وستروس، مُشكِّلين كلَّ خليج وشبه جزيرة بمناشيرهم حتى لم تُعد هناك أيُّ خطوطٍ مستقيمة في المائدة على الإطلاق، وعلى السطح رُسِّمَت خريطة الممالك السَّبع كما كانت في أيام إجون، الأنهار والجبال، المُدن والقلاع، البحيرات والغابات؛ كلها اكتسب لوناً فاتماً بعد ما يقرب من ثلاثمئة عام من المعالجة بالورنيش.

مقعد واحد لا أكثر كان في القاعة، موضوعاً بعناية عند المكان الذي تحتله دراجونستون على ساحل وستروس على الخريطة، ومرفوعاً بما يكفي لإعطاء الجالس نظرة شاملة على سطح المائدة، وعلى المقعد جلس رجل يرتدي شترَةً طويلة ضيقة من الجلد وسراويل من الصوف البني الخشن. رفع الرجل ناظره عندما دلف المايستر كرسن إلى القاعة، وقال: «كنت أعرف أنك ستأتي أيها العجوز، سواء استدعيتك أم لا». كانت هناك لمحة من الدَّفء في صوته، وهذا شيء نادر الحدوث.

كان ستانيس باراثيون - سيّد دراجونستون، وبركة الآلهة الوريث الشرعي لعرش ممالك وستروس السَّبع الحديدي - رجلاً عريض الكتفين ناحل الأطراف، لوجهه وبشرته شدة كالجلد الذي قدّته الشمس حتى أصبح بقسوة الفولاذ. «صُلب» هي الكلمة التي يستخدمها النَّاس عند الكلام عن ستانيس، وصُلْباً كان حقاً، وعلى الرغم من أنه لم يبلغ من العمر الخامسة والثلاثين بعد، فلم يتبقَّ على رأسه غير النَّزْر اليسير من الشعر الأسود الخفيف الذي يدور وراء أذنيه كظلٍّ لتاج. كان أخوه، الملك الرَّاحل روبرت، قد أطلقَ لحيته في سنواته الأخيرة، تلك اللحية التي لم يرها المايستر كرسن قط، لكنهم

قالوا إنها كانت كتّة نائرة تُثير الرّهبة في النّاظرين. وكأنّه ردٌّ من ناحيته، حافظ ستانيس على شعر لحيته قصيرًا مشدّبًا، لينتظم كظلٍّ أزرق ضارب إلى السّواد عبر فكّه المربّع ووجتيه الغائرتين. عيناه جرحان مفتوحان أسفل حاجبيه الكثيفين، زُرقتهما داكنة كالبحر تحت سماء اللّيل، وفمه قمين بالقاء أكثر المهرّجين طرافةً في هوة اليأس، فمّ مخلوقٍ للعبوس والرّم وتوجيه الأوامر الصّارمة، ذو شفّتين رفيعتين شاحبتين وعضلات فكّ مشدودة كالأوتار، فمّ نسيّ كيف يتسم ولم يعرف معنى الضّحك قطّ. أحيانًا عندما يُهيمن الصّمت والشكّون على العالم في جوف اللّيل، كان المايستر كرسن يتخيّل أنه يسمع اللورد ستانيس يصرّ بألسانه في الجانب الآخر من القلعة.

قال العجوز: «في وقتٍ سابق كنت لتوقظني».

- «في وقتٍ سابق كنت شابًا، أمّا الآن فأنت عجوز مريض وتحتاج إلى النّوم». لم يتعلّم ستانيس قطّ أن يُزوّق كلماته أو يُرائي ويتملّق. إنه يقول ما يُفكر فيه دائمًا، وليذهب إلى الجحيم من لا يروقه هذا. «كنتُ أعرفُ أنك ستعلم بما قاله دافوس سريعًا. هذا دأبك دائمًا، أليس كذلك؟».

قال كرسن: «لن أقدر على تقديم المساعدة لك إذا لم أفعل. لقد قابلتُ دافوس على السّلالم».

- «وأعتقدُ أنه أخبرك بكلّ شيء. كان يجدر بي أن أقصّر لسانه مع أصابعه».

- «لم يكن ليصلح مندوبًا عنك إذن».

- «كان مندوبًا فقير النّفع في كلّ الأحوال. لوردات أراضي العواصف لن يقوموا من أجلي، فيبدو أنهم لا يُحِبُّونني، وعدالة دعواي لا تعني شيئًا لهم. سيجلس الجُبناء منهم وراء أسوارهم لينتظروا ويروا في أيّ اتجاه تهبُّ الرّيح ولمن يلوح النّصر، والشّجعان أعلنوا بالفعل تأييدهم رنلي... رنلي!». لفظ الاسم كأنه يبصق سُمًا من على لسانه.

- «أخوك كان سيّد ستورمز إند طول الثّلاث عشرة سنة الماضية، وهؤلاء

اللوردات هم حملة رايته الذين أقسموا له على الولاء، و...».

قاطعه ستانيس: «حملة رايته والعدل أن يحملوا رايتي أنا. إنني لم أطلب

دراجونستون ولم أرغب فيها قَطُّ، لكنني أخذتها لأن أعداء روبرت كانوا هنا وقد أمرني باقتلاعهم. لقد بنيتُ أسطوله وقمتُ بعمله بطاعة الأخ الصَّغير لأخيه الكبير، الطَّاعة التي ينبغي أن يدين لي بها رنلي. وكيف يشكرني روبرت بعد كلِّ هذا؟ يُسمِّني سيِّد دراجونستون ويُعطي ستورمز إند ودخولها لرنلي. ستورمز إند تنتمي لعائلة باراثيون منذ ثلاثمئة عام، وشرعًا كان يجب أن تكون من نصيبي عندما أخذَ روبرت العرش الحديدي».

كانت مَظْلَمَةٌ قديمةٌ يُعاني منها ستانيس في أعماقه، الآن أكثر من أيِّ وقتٍ سابق. هذا هو صميمُ نُقْطة ضَعْف سيِّده، فدراجونستون على الرغم من قِدَمها وقوَّتها لا تحظى إلا بولاء حفنةٍ من اللوردات الأقلِّ شأنًا، وأراضي جُزْرهـم الحجريَّة غير مأهولةٍ بما يكفي من الشُّكَّان لَمَدِّ ستانيس بالرجال الذين يحتاجهم. حتى في وجود المرتزقة الذين جاءَ بهم عبر البحر الضيق من مدينتي مير وليس الحُرَّتين، كان الجيش المخيَّم خارج الأسوار أصغر بكثير من أن يستطيع إسقاط آل لانستر بكلِّ قوَّتهم.

رَدَّ المايستر كرسن بحذر: «روبرت ظلمك حقًا، وإن كانت لديه أسبابه، فدراجونستون ظَلَّتْ زَمَنًا طويلًا معقلًا لعائلة تارجارين، وأخوك احتاج رجلاً قويًا ليحكم هنا، بينما كان رنلي مجردَ طفل».

قال ستانيس بصوتٍ تردَّدت نبرته الغاضبة في أرجاء القاعة الخاوية: «ولا يزال طفلًا، طفلًا سارقًا يصبو إلى اختطاف التَّاج من فوق رأسي. ماذا فعلَ رنلي بالضُّبط كي يستحقَّ العرش غير حضور جلسات المجلس لتبادل الدُّعابات مع الإصبع الصَّغير، وعندما تُقام المباريات يرتدي درعه الفاخرة ويسمح لنفسه بأن يُسْقِطه رجال أفضل منه عن حصانه. هذا هو مبلغ أخي رنلي وقدره، وبحسب أنه يجب أن يكون ملكًا. قُل لي، لماذا ابتلتني الآلهة بهذين الأخوين؟».

- «لا أستطيعُ الإجابة نيابةً عن الآلهة».

- «يبدو لي أنك نادراً ما تُجيب عن أيِّ شيء هذه الأيام. مَن المايستر الذي يستعين به رنلي؟ لعلَّ من الأفضل أن أُرسل لأستدعيه، فقد تروفتي مشورته

أكثر. ما الذي قاله هذا المايستر في رأيك عندما قرّر أخي أن يسرق تاجي؟ ما المشورة التي قدّمها زميلك للحمي ودمي الخائن؟».

- «سأندعش لو أن اللورد رنلي طلب المشورة أصلاً يا جلالة الملك». أصغر أبناء اللورد ستفون باراثيون كبير وصار رجلاً جريئاً لكن طائش، يُحرّك الاندفاع تصرّفاتة بدلاً من التدبير، وفي هذا - كما في أشياء أخرى كثيرة - كان رنلي يُشبه أخاه روبرت، وفي الآن نفسه على التّقيّض تمامًا من ستانيس.

- «جلالة الملك»، ردّد ستانيس بمرارة. «تلقّيني بالملك سخريّة، لكن ملك على أيّ شيء أنا؟ دراجونستون وبضع صخور أخرى في البحر الضيّق، تلك هي مملكتي»، ونزل سلالم مقعده ليقف أمام المائدة فيسقط ظلّه على مَصَبِّ النّهر الأسود والغابة المرسومة التي تحتلّ كينجز لاندنج مكانها الآن. هناك وقف مُسدِّداً التّ نظرات العابسة إلى المملكة التي يسعى إلى الظّفر بها، قريبة في متناول اليد، وبعيدة إلى أقصى حد. «الليلة سأتناول العشاء مع اللوردات حملة رايتي، إن جاز أن أعتبرهم هكذا. سلتيجار، فيلاريون، بار إمون، كلّ هؤلاء التّافهين. ذلك القُرصان اللايسيني سالادور سان سيكون حاضراً كذلك ومعه آخر كشف حساب بما أدين به له، أمّا موروش عريس البحر فسيُحدّرني من حالات المدّ والعجز وعواصف الخريف، بينما سيهمهم اللورد صنجلاس ببضع كلمات ورعة عن مشيئة «السّبعة»، ويؤدي سلتيجار رغبته في أن يعرف من سينضمّ إلينا من لوردات أراضي العواصف، ويهدّدني فيلاريون بأن يأخذ جنوده ويعود إلى دياره ما لم تضرب في الحال. ماذا أقول لهم؟ ماذا أفعل الآن؟».

أجاب المايستر كرسن: «آل لانستر هم أعداؤك الحقيقيون يا سيّدي، فإذا تحالفت مع أخيك ضدهم...».

قاطعه ستانيس بلهجة لا تحتلّ النقاش: «لن أتفاوض مع رنلي أبداً ما دام يُسمّي نفسه ملكاً».

قال المايستر باستسلاام: «ليس رنلي إذن». كان سيّده بالغ العناد والترفع، وعندما يعزم على أمرٍ ما فلا سبيل لتغيير رأيه. «ثمّة آخرون يُمكنهم أن

يدعموك في مسعاك. لقد أعلن ابن اللورد إدارد ستارك ملكًا في الشمال، ووراءه قوة ويتبرغل وريفرن كلها».

قال ستانيس: «صبي أخضر، وملك زائف آخر. هل من المفترض أن أقبل مملكة ناقصة؟».

- «مؤكد أن نصف مملكة خير من لا مملكة على الإطلاق، وإذا ساعدت الصبي على الانتقام لمقتل أبيه، ف...».

- «ولماذا أنتقم لإدوارد ستارك؟ إنه لم يعن لي شيئًا. أوه، لن أنكر أن روبرت أحبه حقًا، أحبه كأخ له، فكم مرة سمعتُ أنا هذه الكلمة؟ ند ستارك لم يكن أخا روبرت، وإنما أنا، لكنك لم تكن لتعرف الفارق من الطريقة التي عاملني بها. لقد دافعتُ عن ستورمز إند وحافظتُ عليها من أجله، وشاهدتُ رجالًا صالحين يتصورون جوًا بينما أقام مايس تايرل وباكستر ردواين الولايم خارج أسواري، فهل شكرني روبرت؟ لا، بل شكر ستارك لأنه رفع الحصار عندما لم يُعد لدينا من طعام غير الجردان والفجل. لقد بنيتُ أسطولا بأمر من روبرت وأخذتُ دراجونستون باسمه، فهل ربّت على يدي وقال: أحسنت يا أخي، ماذا كنتُ لأفعل من دونك؟ لا، بل لآمني على السماح لويلم داري بتهريب فسيرس وشقيقته الرّضيعة، كأن منعه كان في إمكاني. لقد جلستُ في مجلسه طيلة خمسة عشر عامًا، وساعدتُ جون آرن على حكم المملكة بينما يسكر روبرت ويُعاشِر البغايا، فهل نصّبي أخي يدًا للملك عندما مات جون؟ لا، بل هرعَ إلى صديقه الغالي ند ستارك وعرضَ عليه هذا الشرف، وانظر إلى ما آل إليه كلاهما».

قال المايستر كرسن برفق: «ليكن يا سيّدي، لقد تعرّضت لإجحافٍ عظيم بالفعل، لكن الماضي واره الثراب، بينما ما زال في مقدورك أن تكسب المستقبل إذا تحالفت مع آل ستارك. هناك آخرون يُمكنك أن تجسّ نبضهم كذلك. ماذا عن الليدي آرن؟ لو أن الملكة قتلت زوجها حقًا، فلا بُدَّ أنها ترغب في العدالة. إن لديها ابنًا صغيرًا، وريث جون آرن، فإذا خطبت شيرين له...».

بتر ستانيس كلامه قائلاً باعتراض: «الصَّبِيّ ضعيف وسقيم، وأبوه نفسه كان يرى هذا عندما طلبَ مني أن أربيّه في دراجونستون. كان ليتفجع من الخدمة كمُرافقٍ لفارس، لكن ابنة لانستر الملعونة سَمَّمت اللورد آرن قبل أن نفعل هذا، والآن تُحَبِّثه لايسا في «العُش». أو كُذِّ لك أنها لن تسمح بأن يفترق الصَّبِيّ عنها أبداً».

قال المايستر بإلحاح: «فلترسل شيرين إلى «العُش» إذن. دراجونستون بيت شديد الكآبة بالنسبة لطفلة. دَعْ مهرَّجها يذهب معها، كي يكون بمثابة وجه مألوف».

قَطَّب ستانيس جبينه مفكِّراً وقال: «مألوف ودميم... ومع ذلك قد يستحقُّ الأمر المحاولة».

تدخَّل صوت امرأة في حوارهما قائلاً بحدَّة: «أبنيغي أن يتسَوَّل سيِّد الممالك السَّبْع الشرعي المساعدة من الأرامل والغاصيين؟».

التفت المايستر كرسن وحنى رأسه شاعراً بالضيق من أنه لم يسمعها تدخَّل، وقال: «سيِّدتي».

حدَّجها اللورد ستانيس بنظرة عابسة، وردَّ: «أنا لا أتسَوَّل شيئاً من أيِّ أحد. احرصني على أن تتذكَّري هذا يا امرأة».

- «يُسُرُّني أن أسمع هذا يا سيِّدي». كانت الليدي سيليس طويلة القامة كزوجها، ناحلة الوجه والجسد، وبارزة الأذنين وحادَّة الأنف، ويستقرُّ فوق شفتها العليا شاربٌ خفيفٌ للغاية تنتف شعيراته يومياً وتلعنه بانتظام، لكنه لا ينفكُّ يعود للثُمُو من جديد. كانت باهتة العينين وقاسية الفم وصوتها لاسعٌ كالسيَّاط، والآن شَقَّت به الهواء قائلة: «الليدي آرن تدين لك بالولاء، وكذا آل ستارك وأخوك رنلي والآخرون كلهم. إنك ملكهم الشرعي الوحيد، ولا يليق بك أن تُناشِدهم وتتفاوض معهم على ما هو حقُّ لك ببركة الإله».

قالت «الإله» وليس «الآلهة». لقد ظفرت بها المرأة الحمراء قلباً وقالبا، جعلتها تُنكر آلهة الممالك السَّبْع قديمها وجديدها، لتعبد مَنْ يُسمُّونه إله الضياء.

قال اللورد ستانيس الذي لا يُشارك زوجته حرارة إيمانها الجديد: «فليحفظ إلهك بركته. ما أحتاجُ إليه هو السُيوف وليس البركة. ألدريك جيش مخبئاً في مكانٍ ما ولم تُخبريني بأمره؟». لم تحمل نبرته أيَّ عاطفة، فطيلة عُمره وستانيس يشُعر بعدم الرّاحة في حضرة النّساء، حتى زوجته نفسها، التي تركّها في دراجونستون مع ابنتهما عندما ذهبَ إلى كينجز لاندنج لينضمَّ إلى مجلس روبرت، ومنذ ذلك الحين ورسائله إليها قليلة وزياراته أقل، وعلى الرغم من أنه كان يقوم بواجبه في فراش الزّوجيّة مرّةً أو مرّتين في العام، فإنه لم يكن يفعل هذا على سبيل المُنتعة، والأبناء الذين كان يأمل في مجيئهم من صُلبه لم يأتوا قطّ.

قالت له: «أخوأي وأعمامي وأبناؤهم لديهم جيوش. ستحتشد عائلة فلورنت تحت رايتك».

- «عائلة فلورنت لا تستطيع أن تحشد أكثر من ألفي رجل في أفضل الأحوال»، ردّ ستانيس الذي يُقال إنه يعرف قوّة كلّ عائلةٍ في الممالك السّبع بلا استثناء. «كما أنك تضعين ثقةً أكبر بكثيرٍ مني في أخويك وأعمامك يا سيّدتي. أراضي عائلة فلورنت تقع على مقربةٍ شديدةٍ من هايجاردن، وعمّك اللورد لن يُخاطر بإثارة غضبة مايس تايرل».

دنت منه اللبدي سيليس قائلة: «ثمّة سبيل آخر. ألقي نظرةً خارج النّوافذ يا سيّدي وسترى العلامة التي تنتظرها تُزيّن السّماء، أحمر لونها، أحمر كاللّهب، أحمر كقلب الإله الحقّ الثّاري. إنها رايتي ورايتك أيضاً، فانظر كيف تتجلى في السّماوات كأنفاس الثّين الحارّة، وأنت سيّد دراجونستون. معنى هذا أن أوانك أنّ يا جلالة الملك. إنه يقينٌ فوق كلّ يقين، وقدرك أن تُبحر من هذه الصّخرة البائسة المهجورة مثل إجون الفاتح من قبلك، لتكتسح كلّ ما في طريقك كما فعل. ما عليك إلّا أن تقول الكلمة وتُسَلِّم بقُدرة إله الضّيّاء». سألتها ستانيس: «وكم سيّفاً سيضع إله الضّيّاء في يدي؟».

أجابَت زوجته واعدة: «كلّ ما تحتاجه، سيوف ستورمز إند وهايجاردن كبداية، وجميع اللوردات حمّلة رايتيهما».

- «ستجدين أن دافوس يُخالفكِ الرَّأي. لقد أقسموا بهذه السيوف لرنلي بالفعل. إنهم يُحبُّون أخي الصَّغير ذا الطَّبَّاع السَّاحرة كما أحبُّوا روبرت من قبل، وكما لم يُحبُّوني قط».

ردَّت: «نعم، لكن إذا حدث أن مات رنلي...».

ضيق ستانيس عينيه وظلَّ يرمُق زوجته، حتى عجزَ كرسن عن التزام الصَّمَت أكثر من هذا، واندفع يقول: «لا يُمكنك أن تأخذ هذا بعين الاعتبار. جلالة الملك، أيَّا كانت الحماقات التي اقترَفها رنلي...».

- «حماقات؟ إنني أعدُّها خيانات»، قال ستانيس، ثم التفتَ إلى زوجته وأجابها: «أخي شابٌ وقوي، ومُحاط بجيشٍ ضخم، بالإضافة إلى حرس قوس قزح هؤلاء».

- «لقد نظرتَ مليساندرا في اللَّهب ورأته ميتًا».

مصعوقًا قال كرسن: «أن تقتل أخاك... سيّدي، هذا شرٌّ مستطير لا يوصف بكلمات... اصنع إليَّ أرجوك».

تمعّنت فيه الليدي سيليس قائلة: «وبم سُنخِره أيها المايستر؟ كيف أنه سيربح نصف مملكةٍ إذا زحفَ إلى آل ستارك وباعَ ابنتنا للآيسا آرَن؟».

قال اللورد ستانيس: «لقد سمعتُ نصيحتك يا كرسن، والآن سأسمعُ نصيحتها. يُمكنك الانصراف».

حتى المايستر كرسن ظهَره المتبيّس، وغادرَ العُرفة بيّطٍ شاعرًا بنظرات الليدي سيليس المسلّطة عليه، ولدى بلوغه نهاية السَّلام كان يَبْذُلُ كُلَّ ما تَبَقَّى من طاقته بالفعل ليستطيع الوقوف مشدود القامة. قال لپايلوس: «ساعِدني».

صرفَ كرسن الشَّاب عندما عادَ إلى مسكنه سالمًا، ثم خرجَ بخطى عرجاء إلى شُرفته من جديد، ليقف بين الكرّجلين ويُحدِّق في البحر. كانت واحدة من سُفن سالادور سان تمرُّ بالقلعة في هذه اللَّحظة، بدنِها المخطَّط بالألوان الزَّاهية يَمُحِّر المياه الخضراء الرَّماديّة بينما ترتفع مجاذيفها وتنخفض، وراقبها كرسن حتى غابت وراء لسانٍ من الأرض، ثم قال لنفسه: ليت مخاوفي تغيب بهذه الشهولة. أهذا ما عاشَ كُلُّ تلك السنين من أجله؟

عندما يرتدي المايستر سلسلة جماعته، فإنه يتخلّى عن الأمل في أن تكون له ذُرِّيَّة، لكن كثيرًا ما أحسَّ كرسن بالأبوة على الرغم من ذلك. روبرت وستانيس ورنلي، ثلاثة أبناء ربّاهم بعد أن ابتلع البحر الغاضب أباهم اللورد ستفون، فهل أبلى في تربيتهم بلاء بهذا الشؤ حتى أصبح عليه ألا يُحرّك ساكنًا بينما يقتل واحد منهم الآخر؟ لا، لا يُمكنه أن يسمح بهذا، ولن يسمح به أبدًا.

المرأة هي قلب المسألة. ليس الليدي سيليس، بل الأخرى، المرأة الحمراء كما أطلق عليها الخدم وقد أصابهم الخوف من نُطق اسمها. قال كرسن لكلب الجحيم الحجري: «أمّا أنا فسانطقُ اسمها، مليساندرا، هي!». مليساندرا الآشائية، المشعوذة، أسيرة الظلال، وراهبة راهلور إله الضياء، قلب النَّار، ربّ اللهب والظل.

مليساندرا التي لا ينبغي السماح لجنونها بأن يتشر أبعد من دراجونستون. بدا مسكنه كئيبيًا معتمًا حتى بعد سطوع النهار، وبيديْن ثقيلتين أشعلَ العجوز شمعةً وحملها إلى عُرفة العمل أسفل سلالم المغدفة، حيث ترتصُّ قوارير دهاناته وعقاقيره وأدويته على الرُّفوف بترتيب محكّم. على الرّف السفلي، وراء صفٍّ من الجرار الخزفية الصّغيرة، وجدَ قنينة من الرُّجاج ذي اللون النّيلي لا يتجاوز حجمها حجم خنصره. خشخشَت القنينة عندما رجّها ونفخَ طبقةً من القُبار من عليها، ثم حملها إلى منضدته وألقى نفسه على المقعد، قبل أن يخلع السّداة ويسكُب محتويات القنينة، لتدحرج دسته من البلّورات التي تُشبه البذور في الحجم على الرّق الذي كان يقرأه من قبل. تألّقت البلّورات كالجواهر في ضوء الشّمع، لونها أرجوانيٌّ شديد العمق، لدرجة أن المايستر وجدَ نفسه يُفكّر أنه لم يرَ هذا اللون على حقيقته من قبل على الإطلاق.

شعرَ بالسّلسلة المحيطة بعُنقه شديدة الثّقل وهو يمدُّ يده ليمسّ واحدةً من البلّورات بخفّةٍ بطرف إصبعه الصّغير. شيءٌ بالغ الصّغر يملك سلطان الحياة والموت. كانت البلّورات مصنوعةً من نبتةٍ معيّنة لا تنمو إلا في جُزر بحر الشّيب

في النصف الآخر من العالم، وينبغي أن تُعْتَق أوراق تلك النبتة وتوضع في نقيع من الزيزفون والماء المسكّر وعددٍ من التوابل النادرة من جُزر الصّيف، وبعدها يتمّ التخلص من الأوراق، لكن يُضاف الدّرّار إلى العقّار كي يُصبح ثخينًا ثم يُترك حتى يتبلور. إنها عملية بطيئة معقّدة، وضروريّاتها باهظة الثمن ويصعب الحصول عليها، وإن كان الكيميائيون في ليس يُجيدونها، وكذلك طائفة الرّجال عديمي الوجوه في برافوس... بالإضافة إلى المايسترات في جماعته بالطّبع، وإن لم يكن هذا شيئًا يتكلّمون عنه خارج أسوار «القلعة». العالم كله يعرف أن المايستر يُضيف الحلقة الفضّيّة إلى سلسلته عندما يتعلّم فنّ العلاج، لكن العالم يختار أن يتناسى أن هؤلاء الرّجال الذين يعرفون كيف يُعالجون النّاس قادرون على قتلهم كذلك.

لم يُعد كرسن يتذكّر الاسم الذي يُطلقه الآشايثيون على النبتة، أو حتى الاسم الذي يُطلقه قتلّة السّموم اللايسيثيون على البلّورات، لكنهم في «القلعة» أعطوا هذا السّم اسمًا بسيطًا هو «الخنّاق»، فعندما يذوب في النّيد من شأنه أن يجعل عضلات الحلق تنقبض بقوة لا تقدر عليها أيّ قبضة لتسدّ القصبة الهوائيّة تمامًا، ويُقال إن لون وجه الضحيّة يستحيل إلى أرجوانيّ شديد العمق كالبلّورة الشّبيهة بالبذرة التي نبتَ منها هذا الموت، وإن كان هذا ما يحدث مع من يختنقون بلقيمةٍ من طعام أيضًا.

والليلة سيقيم اللورد ستانيس مأدبةً للوردات حمّلة رايته، ومعهم زوجته... والمرأة الحمراء، مليساندرا الآشايّة.

قال المايستر لنفسه: يجب أن أستريح، يجب أن أكون بكامل قوّتي مع حلول الظّلام. لا ينبغي أن ترتجف يداي أو تخور شجاعتي. ما سأفعله شنيع، لكن لا مناص منه. إذا كان للألهة وجود، فلا بدّ أنها ستسامحني. كان نومه لا يُشعره بأيّ راحة إطلاقًا في الفترة الأخيرة، لكن من شأن غفوة أن تمنحه شيئًا من الشّشاط قبل المهمّة المقيّنة التي تنتظره. بخطواتٍ واهية متعبّة ذهب إلى فراشه، لكن حتى بعد أن أغلق عينيه ظلّ يرى ضوء المذنب أحمر ناريًا زاهيًا

لأقصى درجة في غمار ظلمة أحلامه، وإذا اكتنفه النوم أخيرًا قال لنفسه بآخر ما لديه من وعي: لعلة مذنبى أنا، نذير الدّم يبنى بالقتل... نعم...

كان الظلام قد سادّ بالكامل بالفعل عندما استيقظ المايستر ليرى الموجودات في غرفة نومه سوداء تمامًا ويشعر بالوجع في كل مفصل في جسده. دفع نفسه إلى الجلوس معتدلًا ورأسه ينبض بالصّدا، ثم قبض على عكازه وأتكأ عليه ليتزل بلا ثباتٍ من الفراش. تأخّر الوقت كثيرًا، ولم يستدعوني. دائمًا ما كان كرسن يُستدعى إلى المآدب ويجلس بالقرب من المملحة ومن اللورد ستانيس. سبّح وجه سيّده في الهواء أمامه، ليس الرّجل الذي صار به بل الصّبي الذي كانه، يقف في الظلّ شاعرًا بالبرد بينما تسطع الشّمس على أخيه الأكبر. كل شيء فعله ستانيس سبقه روبرت إليه، وفعله أفضل منه. الصّبي المسكين... يجب أن يُسرّع إليه من أجل صالحه.

وجد المايستر البلّورات حيث تركّها، فجمعها من على الرّق. لم يكن كرسن يملك أيّا من تلك الخواتم ذات الفصوص المفرّغة، التي يُقال إن قتلة السموم في ليس يُفضّلون استخدامها، لكن عددًا وافرًا من الجيوب مختلفة الأحجام كان مخبّطًا في كُمّي معطفه الفضفاضين من الدّاخل، قدسّ بذور الخنّاق في أحدها، ثم فتح الباب منادياً: «پايلوس، أين أنت؟». لم يتلق جوابًا، فنادى ثانية بصوتٍ أعلى: «پايلوس، أريدُ مساعدتك». لم يتلق جوابًا هذه المرّة أيضًا، ما كان غريبًا، فحجيرة المايستر الشّاب تقع في منتصف عطفة الشّلم، ويُمكنه أن يسمعه بسهولة. في النهاية اضطرّ كرسن لأن يزق منادياً الخدم، وقال لهم: «أسرّعوا، لقد نمّت أطول من اللازم. لا بُدّ أنهم يأكلون الآن... ويشربون... كان يجب أن يوقظني أحد». ما الذي حدث للمايستر پايلوس؟ إنه لا يفهم حقًا.

مرّة أخرى قطع الرّواق الطّويل، وعبر النّوافذ الضّخمة أتت ريح اللّيل هامسةً ومحمّلةً برائحة البحر الغنيّة، وترافقت أضواء المشاعل على أسوار دراجونستون وفي المعسكر المنسوب وراءها، حيث رأى المئات من البقع التي اشتعلت فيها نار الطّهي، كأن حقلاً من النّجوم هوى على الأرض. في

السَّاءُ اتَّقَدَ المَذْنَبَ بِالحُمْرَةِ وَالْغِلِّ، وَقَالَ المَایِستَرُ لِنَفْسِهِ: أَنَا أَكْبَرُ سَئًا وَأَكْثَرُ حِكْمَةً مِنْ أَنْ أَخَافَ تِلْكَ الْأَشْيَاءَ.

كَانَتْ أَبْوَابُ القَاعَةِ الْكَبِيرَةِ مَثْبَتَةً فِي فَمِ تَيْنِ حَجَرِي، وَعِنْدَهَا قَالَ لِلْخَدَمِ أَنْ يَتْرُكُوهُ فِي الْخَارِجِ، مَفَكَّرًا أَنْ مِنَ الْأَفْضَلِ أَنْ يَدْخُلَ بِمُفْرَدِهِ كَيْ لَا يَتَبَدَّى ضَعْفُهُ. هَكَذَا اتَّكَأَ عَلَى عُكَّازِهِ بِشِدَّةٍ لِيَصْعَدَ الدَّرَجَاتُ الْقَلِيلَةَ الْمُتَبَقِيَّةَ، وَتَقَدَّمَ أَسْفَلَ الْأَسْنَانِ الْهَابِطَةِ مِنْ سَقْفِ الْمَدْخَلِ، فَفَتَحَ اثْنَانِ مِنَ الْحَرَسِ الْبَايِنِ الْأَحْمَرِينَ الثَّقِيلِينَ أَمَامَهُ، لِيَنْصَبَّ وَابِلٌ مِنَ الضُّوْءِ وَالضُّوْءِ عَلَيْهِ مِنَ الدَّاخِلِ. ثُمَّ خَطَا كَرْسَنَ فِي حُلُقُومِ التَّيْنِ.

فَوْقَ ضِجَّةِ السَّكَاكِينِ وَالْأَطْبَاقِ وَالْهَمِهَمَاتِ الْخَفِيضَةِ الْقَادِمَةِ مِنَ الْمَوَائِدِ، سَمِعَ ذَا الْوَجْهِ الْمَرْقَعِ يُعْنِي بِضُجْبَةِ أَجْرَاسِ الْأَبْقَارِ: «... لَتَرْقُصْ يَا سِيدِّي، لَتَرْقُصْ يَا سِيدِّي». الْأَغْنِيَةُ الْكَرِيهَةُ ذَاتَهَا الَّتِي كَانَ يُرَدِّدُهَا هَذَا الصَّبَاحُ. «الظَّلَالُ نَأْتِي لَتَبْقَى يَا سِيدِّي، لَتَبْقَى يَا سِيدِّي، لَتَبْقَى يَا سِيدِّي». كَانَتْ الْمَوَائِدُ السُّفْلَى مَزْدَحِمَةً بِالْفُرْسَانِ وَالرُّمَامَةِ وَالرَّبَّابَةِ، الَّذِينَ أَخَذُوا يُمَرِّقُونَ أَرْغِفَةَ الْخُبْزِ الْأَسْوَدِ لِيَغْمِسُوهَا فِي أَطْبَاقِ يَخْنَةِ السَّمَكِ. لَا تُسَمِعُ هُنَا أَصْوَاتَ الضُّحُكِ الصَّاخِبِ أَوِ الصَّيْحِ الْفَظِّ الَّتِي تَحْطُّ مِنْ وَقَارِ أَصْحَابِهَا كَمَا فِي مَادَبِ الْآخَرِينَ، فَالْلُورْدُ سَتَانِيسُ لَا يَسْمَعُ بِهَذَا.

عَمَدَ كَرْسَنَ إِلَى الْمَنْصَةِ الْمَرْتَفِعَةِ حَيْثُ جَلَسَ اللَّورْدَاتُ مَعَ الْمَلِكِ، مَاشِيًا فِي دَوْرَةٍ وَاسِعَةٍ بَعِيدًا عَنِ ذِي الْوَجْهِ الْمَرْقَعِ الَّذِي انْشَغَلَ بِالرَّقْصِ عَلَى رَنِينِ أَجْرَاسِهِ، فَلَمْ يَرَ أَوْ يَسْمَعْ المَایِستَرَ يَقْتَرِبُ. وَاثْبًا مِنْ قَدَمٍ إِلَى أُخْرَى ارْتَطَمَ الْمَهْرَجُ بِكَرْسَنِ لِيَطِيرَ عُكَّازُهُ مِنْ يَدِهِ وَيَضْرِبَ الْإِثْنَانِ الْأَرْضَ مَعًا فِي كِتْلَةٍ مُتَشَابِكَةٍ مِنَ الْأَذْرُعِ وَالسِّيْقَانِ افْتَرَشَتِ الْبَسَاطَ، بَيْنَمَا تَفَجَّرَتْ عَاصِفَةٌ مُفَاجِئَةٌ مِنَ الضُّحُكِ مِنْ حَوْلَهُمَا. لَا شَكَّ أَنَّ الْمَنْظَرَ هَزَلِيٌّ لِلْعَايَةِ.

زَحَفَ ذُو الْوَجْهِ الْمَرْقَعِ فَوْقَهُ بِنِصْفِ جَسَدِهِ، وَدَنَا مِنْهُ بِوَجْهِهِ الْمَلُونِ وَقَدْ سَقَطَتْ خُوذَتُهُ الصَّفِيحِيَّةُ ذَاتَ الْقُرُونِ وَالْأَجْرَاسِ مِنْ عَلَى رَأْسِهِ، وَقَالَ: «تَحْتَ الْبَحْرِ يَسْقُطُ الْمَرْءُ إِلَى أَعْلَى. أَعْرِفُ، أَعْرِفُ، أَوْه، أَوْه، أَوْه»، ثُمَّ رَاحَ يُقَهِّقُهُ وَتَدَحْرَجُ مِنْ فَوْقِ الْعَجُوزِ وَوُثِبَ وَاقِفًا لِيُعَاوِدَ الرَّقْصَ.

رسم المايستر ابتسامة واهنة على شفثيه وكافح لينهض وقد قرّر أن يُحاول تحقيق أفضل استفادة ممكنة من الموقف، لكن الألم البالغ الذي سرى في وركه جعله يخشى أنه كسره مرةً أخرى. ثم إنه شعرَ بيدين قويتين تلتقطانه من تحت إبطيه وتوقفانه على قدميه، فغمغم: «أشكرُك يا سيّدي» وهو يلتفت ليرى وجه الفارس الذي جاء لمساعدته...

- «مايستر كرسن»، قالت الليدي مليساندرا بصوتها العميق المنكّه بموسيقى بحر اليشب. «يجدُر بك أن تأخذ حذرُك أكثر». كديدها، كان الأحمر يكسوها من قِمة رأسها حتى أخمص قدميها، فُستانها الطويل الفضفاض مشغول من الحرير الوضء كالنّار وذو كُمين واسعين طُرُزَت عليهما أشكال زخرفيّة مدوّرة، تكشف الشقوق العميقة في صدره عن نسيج آخر من تحته له لون داكن قانٍ كالدم، وحول عنقها ارتدت قلادة من الذهب الأحمر أضيق من أيّ سلسلة يرتديها مايستر، تُزيّنها ياقوته كبيرة واحدة. لم يكن شعرها بلون ثمار البرتقال أو الفراولة كذوي الشعر الأحمر التقليديين، بل كان ذا لونٍ نحاسيّ مصقول يبرّق في ضوء المشاعل، وحتى عيناها كانتا حمراوين... لكن بشرتها ملساء بيضاء من غير سوء، تمامًا كالقشدة. نحيلة كانت، ورشيقة، وأطول قامة من معظم الفُرسان، ذات نهدين ممثليين وخصر نحيف ووجه كالقلب في شكله، وبمجرّد أن تسقط عليها أبصار الرّجال فلا يقوى أحدهم على تنحيّتها عنها بهذه البساطة أو السرعة، حتى إذا كان مايسترا. وصفها كثيرون بالجمال، لكنها لم تكن جميلة، بل حمراء، رهيبة وحمراء.

- «أشكرُك يا سيّدي».

قالت مليساندرا بكياسة: «رجلٌ في سنّك ينبغي أن ينظر أين يخطو، فالليل حالٌك ومقعّم بالأهوال».

كان يعرف هذه العبارة التي تُعدّ دعاء ما لدى المؤمنين بعقيدتها. لا يهمّ، فأنا أيضًا لديّ إيماني. قال لها: «فقط الأطفال يخافون الظلام»، لكن بينما ينطق هذه الكلمات سمعَ ذا الوجه المرقّع يستأنف أغنيته من جديد: «الظلال تأتي لترقص يا سيّدي، لترقص يا سيّدي، لترقص يا سيّدي».

قالت: «أمامنا الآن أحجية، مهرج ذكي وعجوز حكيم أحقق»، ثم انحنت والتقطت خوذة ذي الوجه المرقع من حيث سقطت، وبستها على رأس كرسن، فأصدرت الأجراس رنينًا خفيفًا والدلو الصفيحي ينزل على أذنيه، بينما تابعت مليساندرا: «تأجّ يتماشى مع سلسلتك يا سيدي المايستر»، ومن كل مكان حولهما ارتفعت ضحكات الرجال الساخرة.

زَمَّ كرسن شفّيته مكافحًا لتهدة الغضب المتصاعد داخله. إنها تظنّه هشا عاجزًا، لكنها ستدرك العكس قبل أن تنقضي الليلة. قد يكون عجوزًا، لكنه لا يزال مايسترًا تعلّم في «القلعة». قال لها وهو يخلع خوذة المهرج من على رأسه: «لا أحتاج تأجًا غير الحقيقة».

- «في هذا العالم حقائق لا يُعلّمونها في البلدة القديمة»، قالتها مليساندرا ودارت مبتعدة عنه في دوامة من التحرير الأحمر، لتشقّ طريقها عائدة إلى المائدة العالية حيث جلس الملك ستانيس وزوجته، فناول كرسن الدلو ذا القرون لذي الوجه المرقع وتحرك في أعقابها.

وكان المايستر پايلوس جالسًا في مكانه.

لم يكن في وسع العجوز غير الوقوف والحملقة، حتى قال أخيرًا: «مايستر پايلوس، إنك... إنك لم توقظني».

قال پايلوس وقد تورّد وجهه خجلًا: «جلالته أمرني بأن أتركك تستريح، قال لي إن لا حاجة إليك هنا».

نقل كرسن ناظره بين الفُرسان والزبابة واللوردات الجالسين بصمت في أماكنهم. كان اللورد سلتيجار المُسنّ القَطُّ يرتدي معطفًا مزركشًا بأشكال سرطان البحر المطرزة بالعقيق الأحمر، واختار اللورد فيلاريون الوسيم معطفًا من الحرير الأخضر البحري يتناسق دُبُوسه ذو شكل فرس البحر المصنوع من الذهب الأبيض مع شعره الأشقر الطويل، بينما لفّ اللورد بار إمون -الصّبي السمين ذو الأربعة عشر عامًا- نفسه بالمخمل البنفسجي المقلّم بالفقمات البيضاء، وظلّ السير أكسل فلورنت بسيط المنظر حتى في معطفه الخُمري وفراء الثعلب حول كتفيه، أمّا اللورد صنجلاس المعروف

بورعه فقد زينت أحجار القمر الكريمة كلاً من عنقه وخصره وأصابعه، وخطف الرُبان اللاسيني سالادور سان الأبصار بالحرير القرمزي والذهب والجواهر. وحده السير دافوس ارتدى ثياباً بسيطة لم تتعد سترّة بُنيّة ومعطفًا أخضر من الصوف، ووحده السير دافوس التفت عيناه بعيني المايستر وفي نظراتهما لاحت الشفقة.

- «أنت أشدّ مرضاً وأكثر تشوّشاً من أن تكون ذا فائدةٍ لي أيها العجوز». كان الصّوت كصوت ستانيس تماماً، لكن لا يُمكن أن يكون هو، لا يُمكن أن يكون هو. «پابلوس سيكون مستشاري من الآن فصاعداً. إنه يتولّى أمر الغدّان بالفعل، بما أنك لم تُعدّ تستطيع الصُّعود إلى المغدفة. لن أسمح بأن تُقتل نفسك في خدمتي».

أغمض المايستر كرسن عينيه وفتحهما كأنه لا يُصدّق. ستانيس، يا صغيري العابس الحزين، يا ولدي الذي لم أنجبه، لا تفعل هذا. ألا تدري كيف رعينك وعشتُ من أجلك وأحييتك رغم كلِّ شيء؟ نعم، أحببتك، أكثر من دوبرت وحتى رنلي، فالحُبُّ كان ينفُصك أنت، وأنت أكثر من احتاجني. على أن كلِّ ما قاله هو: «كما تأمر يا سيّدي، لكني... لكني جائع، أفلا تسمح لي بمكانٍ على مائدتك؟». إلى جانبك، مكاني إلى جانبك...

نهض السير دافوس من على الدُّكّة قائلاً: «يُسرّفني أن يجلس المايستر هنا إلى جوارِي».

- «كما تشاء»، قال اللورد ستانيس والتفت يُخاطب مليساندرا التي جلست إلى يمينه في موقع التّكريم العالي، بينما جلست الليدي سيليس إلى يساره وعلى وجهها ابتسامة ساطعة هسّة كالجواهر التي تحلّت بها.

رمى كرسن البقعة التي جلسَ فيها دافوس وقال لنفسه بفتور: بعيدة جداً. كان نصف اللوردات حملة الرّاية يجلسون بين المهرّب والمائدة العالية. ينبغي أن أكون أقرب إليها إذا أردتُ أن أضع الخنّاق في كأسها، لكن كيف؟ كان ذو الوجه المرقّع يتوانب مرحاً والمايستر يدور ببطءٍ حول المائدة نحو دافوس سيورث، وصاح المهرّج بسعادةٍ وهو يُلوح بسمكة قد كأنها

صولجان: «هنا نأكل السمك، وتحت البحر تأكلنا الأسماك. أعرف، أعرف، أوه، أوه، أوه».

انزاح السير دافوس ليفسح مكانًا على الدُّكَّة، وقال بكآبة بينما جلس كرسن إلى جواره: «يجدر بنا جميعًا أن نرتدي ثياب المهرجين الليلة، فما يحدث الآن تهريج. لقد أبصرت المرأة الحمراء النَّصر في اللهب، وعليه ينوي ستانيس أن يبدأ الرَّحف على الرغم من الأعداد القليلة. أخشى أننا سنرى كلنا ما رآه ذو الوجه المرقع قبل أن تفرغ تلك المرأة مما تفعله، قاع البحر».

دَسَّ كرسن يديه في كُمِّه كأنه يَشُدُّ الدَّفء، وتحسَّست أصابعه الكُتْل الصُّلبة التي صنعتها البلورات في الصُّوف، ثم رفع صوته قائلاً: «أيها اللورد ستانيس».

التفت ستانيس عن المرأة الحمراء، لكن الليدي سيليس هي من ردَّت: «اسمه الملك ستانيس. يبدو أنك نسيت نفسك أيها المايستر».

- «إنه عجوز شارد العقل»، قال لها الملك بخشونة. «ما الأمر يا كرسن؟ قُل ما لديك».

- «بما أنك عزمت على الإبحار، فمن الضَّروري أن تتحالف مع اللورد ستارك والليدي آرن...».

قال ستانيس باراثيون: «أنا لا أتحالف مع أحد».

وأضافت الليدي سيليس وهي تلتقط يده: «تمامًا كما لا يتحالف الثور مع الظَّلام».

أوما ستانيس برأسه مؤمَّنًا على كلامها، وأردف: «آل ستارك يسعون إلى سرقة نصف مملكتي، كما سرق آل لانستر عرشي، وسرق أخي المحبوب ما هو لي شرعًا من رجالٍ وخدمٍ ومعاقِل. كلهم غاصبون، وكلهم أعدائي».

فكَّر كرسن قانطًا: لقد فقدته. لو يستطيع فقط أن يقترب من مليساندرا دون أن يراه أحد... إنه لا يحتاج إلى أكثر من لحظةٍ واحدة تُتاح فيها كأسها له. قال

والْيَاسُ يَغْمُرُ كَلِمَاتِهِ: «أنت الوريث الشرعي لأخيك روبرت، وسيّد الممالك السبع الحقيقي، وملك الأنداليس والروبنار والبشر الأوائل، لكن حتى مع هذا لا يمكنك أن تأمل في النَّصر بلا حُلُفاء».

قالت الليدي سيليس: «إن لديه حليفًا، راهلور إله الضياء، قلب النار، ربّ اللهب والظل».

ردّ العجوز بإصرار: «الآلهة في أفضل الأحوال حُلُفاء لا يُعتمد عليهم، وذلك الإله ليس له سلطان هنا».

- «أهذا ما تحسبه؟». سقط الضوء على البياقوتة المعلقة على خلق مليساندرا وهي تُدير رأسها، وللحظة بدت كأنها تتوهج كالمدّنب. «ما دُمت ستغفوه بتلك الحماقات أيها المايستر، فحرّي بك أن ترتدي تاجك من جديد».

قالت الليدي سيليس: «نعم، خوذ ذِي الوجه المرقّع تُناسِبك أيها العجوز. أملك أن تضعها على رأسك ثانية».

وردّد المهرّج: «تحت البحر لا يرتدي أحد القُبُعات. أعرف، أعرف، أوه، أوه، أوه».

كانت عينا اللورد ستانيس مظلّلتين بحاجبيه الثقيلين وفمه مكبوسًا عن آخره وقد أخذَ فكّه يتحرّك بصمت، فدائمًا ما يُصِرُّ بأسنانه عندما يفضب. دمدم أخيرًا: «أيها المهرّج، هذا أمرٌ من السيّدة زوجتي، أعطِ كرسن خوذتك». لا، هذا ليس أنت، ليس أسلوبك، لقد كنت عادلاً دومًا، صلبًا دومًا لكنك لم تكن قاسيًا لمجرّد القسوة إطلاقًا، إنك لا تفهم الاستهزاء، تمامًا كما لم تفهم الضحك قطّ.

دنا منه ذو الوجه المرقّع راقصًا لترنّ أجراسه، كلانجا-لانج، دينج-دينج، كلينك-كلانك-كلينك-كلانك، وجلس المايستر صامتًا بينما ثبّت المهرّج الدّلُو ذا القرون على رأسه، وجعله وزنه الثقيل يحني رأسه.

قالت الليدي سيليس على خلفيّة من رنين الأجراس: «ربما عليه أن يُلقِي نصائحه غناءً من الآن فصاعدًا».

رَدَّ اللورد ستانيس: «أنتِ تتمادين يا امرأة. إنه رجل عجوز، ولقد خدمني بإخلاص».

فكَّر كرسن وقد رأى السَّيْل فجأة: وسأظلُّ أخدمك حتى آخر نفس في صدري يا سيّدي الحبيب، يا ولدي الوحيد المسكين. كانت كأس السير دافوس أمامه، لا تزال نصف ممتلئة بالتَّيِّد الأحمر اللّاذع، فأخرج رقاقةً صلبةً من البلّور من كُفِّه وأطبقَ عليها بإحكام بين سبّابه وإبهامه وهو يمدُّ يده إلى الكأس، وتضرّع في قرارة نفسه: حرّكات رشيقة ناعمة، لا ينبغي أن أرتبك الآن، ويبدو أن الآلهة استجابت له، ففي غمضة عين لم يَعد هناك شيء بين إصبعيه. لم تكن يداه بهذا الثَّبات لسنين طويلة، ولا مرتين لهذه الدَّرجة. الوحيد الذي رآه هو دافوس، لكنه واثق بأن لا أحد غيره فعل. هكذا نهضَ حاملاً الكأس وقال: «لعلِّي كنتُ أحقَّ حقًا. ليدي ملبساندرا، هلاً تقاسمتِ كأسًا من التَّيِّد معي على شرف إلهكِ الضَّياء؟ هلاً شربنا معًا نخب قدرته؟».

حدّجته المرأة الحمراء بإمعان، وقالت: «إذا أردت».

كان يشعُر بنظرات الجميع المسلّطة عليه. تشبّث دافوس به وهو ينهض من على الدُّكَّة، مُطِيقًا على كُفِّه بأصابعه التي قصَّرها اللورد ستانيس، وهمس: «ماذا تفعل؟».

أجاب المايستر كرسن: «ما ينبغي فعله، من أجل البلاد ومن أجل روح سيّدي»، ونفضَ يد دافوس لتهتَزَّ الكأس وتنسكب قطرة من التَّيِّد على البساط.

قابَلته عند منتصف المائدة العالية وأعْيَن كلَّ مَنْ في المكان عليهما، لكن كرسن لم يرَ سواها، الحرير الأحمر والعينين الحمراءين والياقوتة الحمراء عند حلقها والشَّفتين الحمراءين اللتين ارتسمت عليهما بسمه باهتة إذ وضعت يدها فوق يده حول الكأس، ليَشعُر ببشرتها ساخنة كالمحمومين. ما زال يُمكنك أن تَسْكُب التَّيِّد أيها المايستر».

بصوتٍ مبجوح همس: «لا، لا».

- «كما ترغب»، والتقطت ملبساندرا الأشياء الكأس من يده وأخذت منها جرعة طويلة، حتى لم يتبق فيها غير نصف رشفة في القاع عندما أعادتها إليه قائلة: «دورك».

كانت يدها ترتجفان، لكنه أجبر نفسه على أن يكون قويًا، فلا ينبغي أن يشعر ما يستر من «القلعة» بالخوف. أحس بمذاق النّيد اللّاذع على لسانه قبل أن يترك الكأس لتسقط وتهشم على الأرض، وقالت المرأة والياقوتة على عنقها نومض بالأحمر: «إن لديه سلطانًا هنا يا سيدي، والنّار تُطهر».

حاول كرسن أن يردّ، لكن الكلمات احتبست في حلقه، واستحال الشعال إلى صفيّر رفيع رهيب وهو يكافح لامتصاص الهواء، وأطبقت أصابع من حديد على عنقه. وإذا تهاوى على ركبته ظلّ يهزّ رأسه، ظلّ يُنكرها، يُنكر قوّنها ويُنكر سحرها ويُنكر إلهها وجلجلت الأجراس المعلقة في قرونها مغنية: أحمر، أحمر، أحمر، بينما رمقت المرأة الحمراء من أعلى بأسفٍ ولهب الشموع يتراقص في أحمر عينيها العميق.



آريا

في ويترفل كانوا يُطْلِقون عليها «آريا وجه الحصان»، وكانت تحسب أن هذا أسوأ شيء ممكن، حتى سَمَّاها الصَّبي اليتيم لومي أخضر اليد «رأس الجِرْل».

عندما تحسَّست رأسها وجدته مليئًا بالجِرْل بالفعل. لقد حسبت أن يورن يهْمُ بقتلها عندما جرَّها إلى ذلك الرُّقاق، لكن العجوز الفظَّ ثَبَّتَها في مكانها بإحكام لِيَجِزَّ جدائل وعقد شعرها بخنجره. تذكَّرت كيف أطارَ النَّسيم حَفَنَات الشعر البُنيَّ المتسخ لتتأثر على الأرض المعبَّدة بالحجارة نحو السَّيْت الذي مات فيه أبوها، وكيف قال لها يورن بغلظةٍ والفلواز الحادُّ يحتكُّ برأسها: «سأخذُ معي رجالًا وصِبيَّةً من المدينة. اثبت في مكانك يا ولدي!»، ولمَّا انتهى كانت فروة رأسها عبارةً عن زغبٍ وجُذامَةٍ لا أكثر.

بعد ذلك أخبرها أنها بدايةً من الآن وحتى يبلُغوا ويترفل ستكون آري الصَّبي اليتيم. «لن يكون الخروج من البوابة صعبًا، لكن الطريق مسألة أخرى، فعليك أن تقطعي مسافةً طويلةً في ضُحبةٍ سيئة. إن معي ثلاثين هذه المرَّة، رجالًا وصِبيَّة في طريقهم إلى «الجدار»، لكن إياك أن تحسبي أنهم يُشبهون أخاكِ النَّغل في شيء»، وهزَّها مُتَابِعًا: «لقد تركني اللورد إدارد أنتقي من أشياء من الزَّنازين، وبالطبع لم أجد أيَّ سادةٍ صغار هناك. نصف هؤلاء الشُّرذمة على استعدادٍ لتسليمك إلى الملكة في غمضة عين من أجل الحصول على عفو، ولربما بعض القِطْع الفضيَّة كذلك، ونصفهم الثَّاني سيفعل المِثْل،

لكن بعدما يفتصبونك أولاً، فانفردي بنفسك وتبوّلي في الغابة. أصعب جزء سيكون التبؤل، فلا تشربي أكثر من حاجتك».

كان الخروج من كينجز لاندنج سهلاً بالفعل كما قال لها. حُرّاس لانستر الواقفون على البوّابة كانوا يُوقِفون الجميع، لكن يورن نادى واحداً منهم بالاسم، فأشاروا لعرباتهم بالمرور دون أن يلتفت أحدهم إلى آريا، فهم يبحثون عن فتاة كريمة النسب، ابنة يد الملك، وليس عن صبيّ هزيل مقطّع الشعر. لم تلتفت آريا إلى الورااء ولو مرة، وتمتّت لو يثور فيضان من النهر الأسود ليكتسح المدينة كلها، «جُحر البراغيث» والقلعة الحمراء والشبث الكبير، يكتسح كلّ شيء وكلّ شخص، خاصّة الأمير جوفري وأمه. لكنها كانت تعرف أن ذلك لن يحدث، وعلى كلّ حالٍ سأنزا لا تزال في المدينة، ما يعني أن الفيضان سيَجرفها بدورها. قرّرت آريا مع هذا الخاطر أن تتمي العودة إلى ويترفل بدلاً من ذلك.

على أن يورن كان مخطئاً بشأن التبؤل، الذي اتّضح أنه ليس الجزء الأصعب على الإطلاق. لومي أخضر اليد وذلك المسمّى هوت باي كانا الجزء الأصعب. كانا من الأيتام الذين حصّدهم يورن من الشوارع وأعدّا إياهم بطعام لبطونهم وأحذية لأرجلهم، أمّا الآخرون فقد أتى بهم من الزّنازين، وقال لهم جميعاً عندما بدأوا رحلتهم: «حرس اللّيل يحتاجون رجالاً صالحين، لكننا سنضطرّ للاكتفاء بكم». أخذ يورن من الزّنازين عدداً من الرّجال البالغين كذلك، منهم اللّص والصّيّاد غير القانوني والمُغتصب وأمثالهم، لكن أسوأهم الثلاثة الذين عثر عليهم في الزّنازين السّوداء، والذين يبدو أنهم أثاروا خوفه هو نفسه، لأنه أبقاهم مكبّلي الأيدي والأقدام في مؤخّرة إحدى العربات، وأقسم أنه لن يفكّ الحديد عنهم قبل أن يصلوا إلى «الجدار». أحدهم كانت في وجهه فجوة تحتلّ مكان أنفه المقطوع، والثاني الأصلع البدين مُقرّف المنظر له أسنان مدبّية وعلى خدّيه قروح ينزّ منها القيح، وعيناه ليستا كعيني إنسان.

خرجوا من كينجز لاندنج بخمس عرباتٍ محمّلة بالمؤن التي سيأخذونها معهم إلى «الجدار»: جلود حيوانات ولقّات من القماش، قضبان من الحديد

الخام وقفص غدفان، كُتب وورق وجبر، حزمة من التَّيغ المُر وبرطمانات من الزَّيت وعُلب من الأدوية والتَّوابل. سَجَبَت مجموعات من أحصنة الجَرَّ العربات، وكان يورن قد أحضرَ حصانين وسَتَّة حمير للصَّبية، وفكَّرت آريا أنها تُفَضِّل أن تركب حصانًا حقيقيًّا، لكن ركوب الحمار أفضل من ركوب العربة على كلِّ حال.

لم يُعِرها الرِّجال انتباهًا، وإن لم يُحالفها الحَظُّ لهذا الحَدِّ مع الصَّبية. كانت تُصغِّر أصغر الأيتام عُمرًا بعامين كاملين، فضلًا عن ضالَّة حجمها ونحولها، وفَسَّر لومي وهوت باي صمتها بكونها خائفة أو حمقاء أو صمًا. «انظر إلى هذا السَّيف الذي يحمله رأس الجِرْل معه»، قال لومي ذات صباح وهم يقطعون طريقهم بيْطءٍ مرورًا بالبساتين وحقول القمح. كان صبيًّا في ورشة صَبَّاغ قبل أن يُقبض عليه متلبِّسًا بالسرقة، لذا اصطبغت ذراعاها باللُّون الأخضر حتى المرفقين، وعندما يضحك يُصدر صوتًا كتهيق الحمير التي يركبونها. «من أين حصلَ جردٌ مثل رأس الجِرْل على سيفه؟».

مضغت آريا شفرتها عابسةً وهي تَرْمُق ظَهر معطف يورن الذي بهت لونه الأسود في طليعة العربات، لكنها عزمَت على ألا تهرع إليه لتَطْلُب مساعدته. قال هوت باي: «لعلَّه مُرافق صغير لأحد الفُرسان، أو مجرد تابع نافه لأحد اللوردات، هذا كلُّ شيء». كانت أمُّه خبَّازة قبل أن تموت، تدفع عربتها في الشوارع طول اليوم مناديةً: «فطير ساخن! فطير ساخن!». - «بالطبع ليس مُرافقًا، انظر إليه. أراهن أن هذا ليس سيفًا حقيقيًّا أصلًا، أراهن أنه سيف لعبة مصنوع من الصَّفيح».

كرهت آريا أن يتهمَّها على إهانتها، فاندفعت تقول بحدَّة وهي تلتفت لتحذجهما بنظرة قاسية: «إنه فولاذ مطروق في قلعة يا أحمق، وخير لك أن تخرس».

أطلق الصَّبَّيان اليتيمان صيحةً مستهزئة، ثم سأل هوت باي: «ومن أين حصلت على سيف كهذا يا وجه الجِرْل؟».

قال لومي مصحِّحًا: «رأس الجِرْل. سرقة غالبًا».

صاحت: «غير صحيح!». كان چون سنو هو من أعطاهما «الإبرة». ربما

عليها أن تتركهما يُناديانها برأس الجِرْل، لكنها لن تسمح لهما باتهام چون بالسرقة.

قال هوت پاي: «إذا كان قد سرقه، يُمكننا أن نأخذه منه إذن. إنه ليس ملكه على كلِّ حال، وسيفٍ مثل هذا سينفعني».

قال لومي محفّزاً: «هَلَمْ إذن، خُذه منه، أتحدّاك».

ركل هوت پاي حماره واقترب به قائلاً: «أنت يا وجه الجِرْل، أعطني هذا السيف». كان شعره بلون القش وقد سفعت الشمس وجهه السمين فبدأ يتقشّر. «أنت لا تعرف كيف تستخدمه».

كان من الممكن أن تقول آريا: بل أعرف. لقد قتلْتُ ولدًا، ولدًا بديناً مثلك، طعنته في بطنه ومات، وسأقتلك أنت أيضاً ما لم تدعني وشأني... إلا أنها لم تجرؤ، فرغم أن يورن لم يكن يعرف بأمر صبيّ الاسطبل، فقد خشيت ردّة فعله إذا عرف. إنها واثقة تماماً بأن بعض الرّجال الآخرين في مجموعتهم قتلة بدورهم، خصوصاً الثلاثة المكبلين بالأغلال، لكن الملكة لا تبحث عنهم، لذا فالأمر مختلف.

نهق لومي أخضر اليد قائلاً: «انظر إليه، أراهن أنه سيكي الآن. هل تُريد أن تبكي يا رأس الجِرْل؟».

في منامها ليلة الأمس بكت آريا وهي تحلم بأبيها، ولما جاء الصّباح استيقظت بعينين جافّتين محمّرتين، وليس بإمكانها أن تذرف دمعاً واحدةً أخرى ولو كانت حياتها تعتمد عليها.

قال هوت پاي: «سيبّل سراويله».

- «دعاه وشأنه»، قالها الصّبي ذو الشعر الأسود الأشعث الذي ركب وراءهم، الذي أطلق عليه لومي اسم «الثور»، بسبب خوذته ذات القرنين التي يُلمّعها طول الوقت لكن لا يرتديها أبداً. لم يكن لومي يجرؤ على الشّخيرة من الثّور، فهو أكبر منهم سنّاً وكبير الحجم بالنسبة لسنّه، وعريض الصّدر وقويّ الذّراعين.

قال لومي: «أفضل لك أن تُعطي هوت پاي السيف يا آري، إنه يُريده بشدّة. لقد ركل ولدًا حتى الموت، وأراهن أنه سيفعل بك المثل».

وعَلَّقَ هَوْتَ پاى مزهواً: «طرحته أرضاً وركلته في خصيتيه، وظللتُ أركله حتى تمزَّق لحمه وتهتكت خصيتاه وسالَ منهما الدَّمُ واسودَّ قضييه، فخيرٌ لك أن تُعطيني السَّيفَ».

سحبتُ آريا سيفَ التَّدريبِ الخشبي من حزامها، وقالت له غير راغبة في الشَّجار: «يُمكنك أن تأخذ هذا».

ردَّ معترضاً: «إنها مجردُ عصا»، واقتربَ منها أكثر بحماره وحاول أن يمدَّ يده إلى مقبضِ إبرتها.

وجعلتُ آريا العصا الخشبيَّةَ تصغر وهي تشقُّ الهواء إذ هَوَّت بها على مؤخِّرة حماره، الذي نهقَ وأسقطَ راكبه أرضاً، قبل أن تثب هي من فوق حمارها وتكز الصَّبي البدين في بطنه وهو يُحاولُ التَّهوض، فعادَ يستلقي على الأرض مُطلقاً أنَّهُ، ثم إنها نزلت على وجهه بضربةٍ من عصاها، لِئَصْدِرَ أنفه طقطقةً كفُصٍّ شجرةً ينكسر ويسيل الدَّمُ من منخريه، وعندما بدأ هوت پاى يُولول ألماً، دارت آريا ملتفتةً إلى لومي الذي جلسَ على حماره مغفور الفم، وصاحت فيه: «هل تُريدُ السَّيفَ أنت أيضاً؟»، لكن كان من الواضح أنه لا يُريده، لأنه رفعَ يديه المصبوغتين بالأخضر أمام وجهه وصرخَ فيها أن تبتعد عنه.

صاحَ الثَّور: «وراءك!»، فدارت آريا على عقبيها بسرعةٍ لتجد هوت پاى على رُكبتيه، وقد كوَّر قبضته حول صخرةٍ كبيرة مليئة بالبروزات، فتركته يقذفها وخفضت رأسها فلم تُصب غير الهواء، ثم انقضَّت هي عليه. رفعَ يده لكنها ضربتها ثم هَوَّت بضربتين خاطفتين على وجنته ورُكبتيه، وحاول أن يُمسكها لكنها وثبت جانباً بحركةٍ راقصةٍ ووجهت ضربةً أخرى بالسَّيفِ الخشبي على مؤخِّرة رأسه. سقطَ الصَّبي البدين ونهضَ واندفعَ وراءها متعثراً ووجهه المحتقن ملطَّخ بالثَّراب والدَّم، فأخذت آريا وضع راقصي المياه وانتظرت حتى أصبحَ على مسافةٍ كافيةٍ منه لِتُسَدِّدَ ضربةً شديدة العُنف بين ساقيه، فلو كان لسيفها الخشبي رأسٌ مدبَّبٌ لخرجَ من بين فلقتي مؤخِّرتِه. عندما انتزعها بورن من فوقه أخيراً، كان هوت پاى يفتريش الأرض باكباً بعد أن ضربته آريا مرَّةً وثانيةً وثالثةً، وقد توسَّخت سراويله باللُّون البني وفاحت منها رائحة ننتة.

«كفى!»، هذر الأخ الأسود وهو يُخَلِّص السَّيْفَ الخشبي من بين أصابعها. «هل تُريد أن تُقتل هذا الأحمق؟»، والتفت إلي لومي وبعض الآخرين الذين أخذوا في الولوجة، وزعق فيهم: «اخرسوا وإلا أخرجتكم بنفسي. استمروا وساقيدكم وراء العربات وأجزكم جزاً حتى «الجدار»، ثم بصق وأضاف: «اعتبر الكلام موجَّهاً لك مرّتين يا أري. تعال معي يا ولد، فوراً».

كانوا ينظرون إليها جميعاً، حتى الثلاثة ذوو الأغلال في مؤخرة العربة. طفق البدن أسنانه المديبة معاً وفح في وجهها، لكنها تجاهلته.

جرّها العجوز مسافةً بعيدةً عن الطريق إلى كتلةٍ متشابكةٍ من الأشجار وهو يرغي ويزيد طول الوقت: «لو كانت لديّ ذرّة عقل، لتركك في كينجز لاندنج. هل تسمعي يا ولد؟». دائماً ما يُزَمِّجُ بتلك الكلمة مضيقاً إليها نبرةً لاذعةً كي يضمن أن تسمعا. «حلّ سراويلك وأنزلها، هلمّ، لا أحد سيراك هنا، هيا». أطاعته آريا بعبوس، فقال لها: «هناك، قبالة شجرة البلوط هذه، نعم، هكذا». لفّت ذراعيها حول جذع الشجرة، وضغطت وجهها في الخشب الخشن، فقال: «والآن اصرخ، اصرخ بأعلى صوتك».

لنفسها قالت آريا بعناد: لن أفعل، لكن عندما نزل يورن بالسَّيْف الخشبي على ظهر فخذيها، تفجّرت الصّرخة من فمها رغماً عنها. «أتحسب أن هذا مؤلم؟ جرّب هذه إذن»، وهوت العصا مصفرةً لتصرّخ آريا ثانيةً وتشبّث بالشجرة لتمنع نفسها من السقوط. «واحدة أخرى»، فتمسّكت بالشجرة أكثر وهي تمضغ شفقتها، وجفّلت عندما سمعت العصا تشقّ الهواء، وهذه المرّة جعلتها الضّربة تشب وتعوي. لن أبكي، لن أفعل ذلك، أنا من آل ستارك أبناء ويترفل، الذئب الرّهيب رمزنا، والذئاب الرّهيبة لا تبكي. كانت تحسّ بخيط الدّم الذي سأل على ساقها اليسرى وقد اشتعلت فحذاها وأليتيها ألماً، وقال يورن: «لعلّي نلّ انتباهك الآن. المرّة القادمة عندما تضرب أحد إخوتك بهذه العصا، سينولك ضعيف ما نال، مفهوم؟ والآن غطّ نفسك».

هؤلاء ليسوا إخواني، فكّرت آريا وهي تميل لترفع سراويلها ثم ثورتها بالأربطة والحزام، لكنها كانت أعقل من أن تُصارح بأفكارها. كان يورن يتطلّع إليها، وسألها: «هل جرححت؟».

قالت لنفسها: بهدوء المياه الرَّاكدة، تمامًا كما علَّمها سيريو فورل، ثم أجابته: «بعض الشَّيء».

رَدَّ بحدَّة: «وهذا الصَّبي هوت باي جروحه أسوأ منك. ليس هو من قتل أباك يا فتاة، وليس ذلك اللص لومي أيضًا، وضربهما لن يُعيده». غمغمت آريا بكآبة: «أعرف».

- «سأخبرك بشيء لا تعرفينه. ما حدث لم يكن من المفترض أن يحدث. لقد كنتُ أستخدم لمفادرة المدينة بالفعل وقد ابتعتُ وحملت العربات وكل شيء، ثم يأتي لي رجل ومعه لي صبي وكيس من الثَّغود ورسالة، لا عليك بمن أرسلها، يقول لي إن اللورد إدارد سيرندي أسود حرس اللَّيل، يقول لي أن أنظر لأنه سيأتي معي. لماذا تحسبيني كنتُ هناك؟ لكن شيئًا غامضًا حدث».

تنهَّدت آريا وقالت: «جوفري. يجدر بأحدهم أن يَقتله».

قال يورن: «أحدهم سيفعل، لكنه لن يكون أنا، ولا أنت»، وألقى لها سيفها الخشبي، وأثناء عودتهما إلى الطَّريق قال لها: «معي القليل من التَّبغ المُر في العربة. امضغيه وسيُخفِّف الألم».

وخفَّف التَّبغ المُر الألم بعض الشيء بالفعل، وإن كان مذاقه كريها وجعل بُصاقها بلون الدَّم، وعلى الرغم من هذا وجدت نفسها مرعمة على المشي في اليوم التَّالي واليوم الذي تلاه والذي تلاه، بما أن الألم لم يخفَّ لدرجة أن تستطيع ركوب الحمار. أمَّا هوت باي فكان أسوأ حالًا، واضطرَّ يورن لتحريك بعض البراميل كي يستطيع الصَّبي التمدُّد في مؤخرة واحدة من العربات فوق أجولة الشَّعير، وكلما دأست عجلة على صخرة كان يُطلق أنينًا متوجِّعًا، بينما ابتعد لومي أخضر اليد عن آريا لأقصى مسافة ممكنة على الرغم من أن ضررًا لم يُصبه، وقال لها الثَّور وهي تمشي إلى جوار حماره: «إنه يرتعش كلما نظرت إليه». لم تُجبه، إذ بدا أن عدم الكلام مع أحدٍ على الإطلاق أكثر أمانًا.

تمدَّدت تلك اللَّيلة على دنارها الخفيف فوق الأرض الصُّلبة ورمقت المذنب الأحمر العظيم الذي بدا بهيئًا ومخيفًا في الآن نفسه. أطلق عليه الثَّور

اسم «السيف الأحمر»، مدعيًا أنه يبدو كسيف لا يزال نصله متقدًا وقد خرجَ للتو من كير الحدّاد، وعندما ضيّقت آريا عينيها ونظرت من الزاوية الصحيحة استطاعت بدورها أن ترى السيف، وإن لم يكن سيفًا جديدًا، بل «جليد»، سيف أبيها العظيم المصنوع من الفولاذ الغالييري المموج، والأحمر هو دماء اللورد إدارد التي صبغت النصل بعد أن قطع عدالة الملك السير إلين رأسه. لقد جعلها يورن تنظر بعيدًا عندما حدث هذا، لكن بدا لها أن المذنب يبدو كما فعل «جليد»... بعدها.

عندما غابت في التّوم أخيرًا حلمت بالوطن. طريق الملوك يمرُّ بوينترفل قبل أن ينتهي بـ«الجدار»، ويورن وعدّها بأنه سيتركها هناك دون أن يملك أحدٌ أيّ فكرة عن هويّتها. إنها تشتاق لرؤية أمّها من جديد، وروب وبران وريكون... لكن چون سنو كان أكثر من فكّرت فيه، وتمنّت لو أمكنَ بشكلٍ ما أن يبلغوا «الجدار» قبل وينترفل، كي ينفس چون شعرها ويُنَادِيها بـ«أختي الصّغيرة». كانت لتقول له إنه أوحشها، وكان ليقول في اللحظة ذاتها إنها أوحشته أيضًا، كعادتهما الدائمة في قول الأشياء في آنٍ معًا. لكم تمنّت أن يحدث هذا، لكم تمنّت أن يحدث أكثر من أيّ شيءٍ آخر.



سانزا

بزغ الصُّباح يوم ميلاد الملك جوفري مُشرقاً كثير الرِّيح، التي دفعت السَّحاب في السَّماء، ليلوح من خلاله الذَّيل الطويل الممتدُّ من المذنب العظيم. كانت سانزا تتطلَّع إليه من نافذة عُرفتها في البُرج، عندما وصل السير آريس أوكهارت لثِرافِقتها إلى مضمار المباريات، فسألته: «ما الذي يعنيه في رأيك؟».

أجاب السير آريس من فوره: «يعني المجد لخطيبك. انظري كيف يتوهَّج عبر السَّماء في يوم ميلاد جلالته، كما لو أن الآلهة نفسها رفعت رايةً على شرفه. لقد سمَّاه العامة «مذنب الملك جوفري»».

لا ريب أن هذا ما قالوه لجوفري، لكن سانزا لم تكن واثقةً بصحَّته، فقالت: «سمعتُ بعض الخدم يُسمُّونه «ذيل التَّنين»».

- «الملك جوفري يجلس حيث جلسَ إجون التَّنين من قبل، في القلعة ذاتها التي شيَّدها ابنه. إنه خليفة التَّنين، والأحمر لون عائلة لانستر، وهذه علامة أخرى. ليس لديَّ شكُّ في أن الآلهة أرسلت هذا المذنب لتُبشِّر بصعود جوفري إلى العرش. معناه أنه سيتصر على أعدائه».

أهذا صحيح؟ هل يُمكن أن تكون الآلهة بهذه القسوة؟ إن أمَّها من أعداء جوفري الآن، وشقيقها روب عدوٌّ آخر. لقد مات أبوها بأمر الملك، فهل جاء الدَّور على روب والسيدة والدتها؟ المذنب أحمر اللون بالفعل، لكن جوفري ينتمي إلى عائلة باراثيون تماماً كما ينتمي إلى عائلة لانستر، ورمز عائلة باراثيون وعل أسود على خلفيّة ذهبيّة. أفلم يكن من المفترض أن تُرسل الآلهة لجوف مذنباً ذهبياً إذن؟

أغْلَقَتْ سَانْزَا مَصْرَاعِي النَّافِذَةِ وَالتَفَتَتْ بَعِيدًا عَنْهَا بِحَرَكَةٍ حَادَّةٍ، فَقَالَ السَّيْر آرِيسُ: «تَبْدِينَ رَائِعَةَ الْجَمَالِ الْيَوْمَ يَا سَيِّدَتِي».

- «أَشْكُرُكَ يَا سَيِّدِي». كَانَتْ سَانْزَا تَعْرِفُ أَنَّ جَوْفَرِي سَيَقْضِي بِأَنَّ تَحْضُرَ دَوْرَةَ الْمُبَارَاةِ الْمُقَامَةِ عَلَى شَرَفِهِ، وَلِهَذَا أَوَّلَتْ وَجْهَهَا وَثِيَابَهَا عَنَاءَةً خَاصَّةً، فَارْتَدَّتْ فُسْتَانًا مِنَ الْحَرِيرِ الْأَرْجَوَانِيِّ الْفَاتِحِ وَشَبَكَةً شَعْرٍ مِنْ أَحْجَارِ الْقَمَرِ أَهْدَاهَا إِيَّاهَا مِنْ قَبْلِ. كَانِ الْفُسْتَانُ طَوِيلَ الْكَثْمَيْنِ لِيُخْفِيَ مَا عَلَى ذِرَاعَيْهَا مِنْ كَدَمَاتٍ، هِيَ هَدِيَّةٌ مِنْ جَوْفَرِي أَيْضًا، فَعِنْدَمَا نَمَا إِلَيْهِ نَبَأُ تَنْصِيبِ رُوبٍ مُلْكًا فِي الشَّمَالِ كَانَتْ غَضَبَتَهُ عَاتِيَةً، وَأَرْسَلَ السَّيْرُ بَوْرُوسَ لِيُضْرِبَهَا.

- «هَيَا بِنَا؟»، قَالَ السَّيْرُ آرِيسَ وَمَدَّ ذِرَاعَهُ لِيَتَنَبَّطَهَا، فَتَرَكْتَهُ يَقُودُهَا إِلَى خَارِجِ غُرْفَتِهَا. إِذَا لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ مَفْرُؤٌ مِنْ أَنْ يُلَازِمَهَا أَحَدُ فُرْسَانِ الْحَرَسِ الْمُلْكِيِّ كَظِّلِهَا، فَهِيَ تُفَضِّلُ أَنْ يَكُونَ هُوَ وَلَيْسَ أَحَدًا مِنَ الْآخَرِينَ، فَالسَّيْرُ بَوْرُوسَ سَرِيعَ الْغَضَبِ، وَالسَّيْرُ مَرِينُ بَارِدِ الْأَسْلُوبِ، وَالنَّظَرَةُ الْمِيَتَةُ فِي عَيْنِي السَّيْرِ مَانِدُونَ تُشْعِرُهَا بِعَدَمِ الرَّاحَةِ، بَيْنَمَا يُعَامِلُهَا السَّيْرُ بِرِسْتُونِ كَطْفَلَةٍ بِلَهَاءٍ. السَّيْرُ آرِيسَ أَوْ كَهَارَتَ - عَلَى عَكْسِ هَؤُلَاءِ - لَطِيفُ الْمَعْشَرِ وَيُعَامِلُهَا بِدُمَانَةٍ، حَتَّى إِنَّهُ اعْتَرَضَ ذَاتَ مَرَّةٍ عِنْدَمَا أَمَرَهُ جَوْفَرِي بِأَنْ يَضْرِبَهَا. صَحِيحٌ أَنَّهُ ضَرَبَهَا فِي النَّهَايَةِ، لَكِنْ لَيْسَ بِالْقُوَّةِ نَفْسَهَا كَالسَّيْرِ مَرِينُ أَوْ السَّيْرِ بَوْرُوسَ، وَعَلَى الْأَقْلَ جَادِلٌ قَبْلَ أَنْ يُطِيعَ الْأَمْرَ. الْآخَرُونَ يُطِيعُونَ بِلَا مَنَاقَشَةٍ... بِاسْتِثْنَاءِ كَلْبِ الصَّيْدِ، وَإِنْ لَمْ يَحْدُثْ أَنْ أَمَرَهُ جَوْفُ أَنْ يُعَاقِبَهَا مِنْ قَبْلِ، فَهُوَ يَسْتَعِينُ دَائِمًا بِالْخَمْسَةِ الْآخَرِينَ لِهَذَا الْغَرَضِ.

كَانَ لِلْسَّيْرِ آرِيسَ شَعْرٌ بُنِّيٌّ فَاتِحٌ وَوَجْهٌ لَيْسَ بِالْقَبِيحِ، وَالْيَوْمَ جَعَلَ مِنْ نَفْسِهِ صُورَةً بِالْغَةِ الْأَنَاقَةِ وَقَدْ ثَبَّتَ مَعْطَفَهُ الْحَرِيرِيَّ الْأَبْيَضَ عِنْدَ الْكَتِفِ بِدُبُوسٍ عَلَى شَكْلِ وَرْقَةِ شَجَرٍ ذَهَبِيَّةٍ، وَارْتَدَى سُتْرَةً زَيْتَ صَدْرَهَا شَجَرَةُ سَنْدِيَانٍ غَزِيرَةِ الْفُرُوعِ مَشْغُولَةٌ بِخِيوطٍ ذَهَبِيَّةٍ بِرَّاقَةٍ. سَأَلَتْهُ سَانْزَا وَهَمَا يَنْزِلَانِ السَّلَاحَ وَقَدْ تَأَبَّطَتِ ذِرَاعُهُ: «مَنْ تَحْسِبُهُ سَيَفُوزُ بِمَرَاتِبِ الشَّرَفِ الْيَوْمَ؟».

أَجَابَ السَّيْرُ آرِيسَ مَبْتَسِمًا: «أَنَا، لَكِنِّي أَخْشَى أَنَّهُ سَيَكُونُ فَوْزًا بِلَا طَعْمٍ، فَالْمُضْمَارُ صَغِيرٌ وَمَتَوَاضِعٌ، وَلَنْ يَشْتَرِكَ فِي الْمُبَارَاةِ غَيْرُ أَرْبَعِينَ عَلَى

الأكثر، بمن فيهم مُرافِقو الفُرسان والمُحاربون غير النُظاميين. ليس هناك الكثير من الشرف في إسقاط صبيٍّ غرَّ عن ظُهر حصانه».

تذكّرت سانزا دورة المباريات السّابقة وكم كانت مختلفةً. كان الملك روبرت قد أقامها على شرف أبيها، ومن جميع أنحاء البلاد أتى كبار اللوردات والأبطال الذين تُحكى عنهم الحكايات ليُشاركوا فيها، وجاءت المدينة كلها لتستفّرج. تذكّرت كم كانت بهيئةً تُكَلِّلها الفخامة؛ الحقل المليء بالشراذقات المنصوبة بطول النّهر وكيف علّق كلُّ فارس تُرسه أمام بابه، والصّف الطويل من الرّايات الحريريّة التي تُرفرف في الهواء، وألّق نور الشّمس المنعكس على الفولاذ اللّامع ومهامز الخيل المذهّبة. طول النّهار دوّت أصوات الأبواق والحوافر، وامتلات اللَّيالي بالولائم والأغاني. تلك كانت أكثر الأيام سِحْرًا في حياتها على الإطلاق، لكنها تبدو الآن كذكرى من زمن آخر، فقد مات روبرت باراثيون، ومات أبوها مقطوع الرّأس باعتباره خائنًا على عتبة سيّط بيلور الكبير، والآن هناك ثلاثة ملوك في البلاد، والحرب مشتعلة وراء نهر الثّالوث، بينما تمتلئ المدينة بالبانسين اليائسين. لا عجب أنهم أقاموا دورة مباريات خوف وراء أسوار القلعة الحمراء الحجريّة السّميكة.

- «هل تعتقد أن الملكة ستحضر؟». كانت سانزا تشعُر دومًا بأمانٍ أكثر في وجود سرسي التي تكبح جماح ابنها.

- «أخشى أنها لن تفعل يا سيّدتي. المجلس مجتمع لمسألة عاجلة»، أجاب السير آريس، ثم خفض صوته مضيّفًا: «اللورد تايبوين استقرّ في هارنغال بدلًا من أن يقود جيشه إلى المدينة كما أمرت الملكة، وجلالته مستشيطة غضبًا»، ولادّ بالصّمت مع مرور طابورٍ من حرس لانستر بهما، وقد ارتدوا المعاطف القرمزيّة والخوذات ذات ريشة الأسد. السير آريس مولّع بالنّميمة، لكن فقط عندما يستوثق من أن لا أحد غير مرغوبٍ يسمعه.

نصب النّجارون المنصّة والمضمار في الفناء الخارجيّ. كان المنظر بانسًا في الحقيقة، والحُضور القلائل الذين جاءوا ليُشاهدوا المباريات لم يملأوا أكثر من نصف المقاعد. معظم المتفرّجين كانوا من حرس المدينة ذوي المعاطف الذّهبيّة أو حرس عائلة لانستر ذوي المعاطف القرمزيّة، أمّا

اللوردات والليديئات فلم يحضر منهم غير القلة القليلة التي تبقت في البلاط. كان اللورد جايلز روزبي يسئل في منديل مربع من الحرير الوردي، والليدي تاندا محاطة بابتيتها، لوليس البليدة الهادئة وفاليس ذات اللسان اللاذع. الأمير جالابار شو ذو البشرة الأنوسية كان منفيًا بلا ملاذٍ آخر، والليدي إرميساند مجرد رضيعة جالسة في حجر مُرضعتها. يقولون إنهم سيُرَّوَّجونها قريبًا من أحد أبناء عمومة الملكة، كي يُسيطر آل لانستر على أراضيها.

كان الملك مسترًا من الشمس تحت ظلة قرمزية، وقد أراح ساقه باستهتارٍ على ذراع كرسية الخشبي المنقوش، وجلست الأميرة مارسلا والأمير تومن وراءه، فيما وقف ساندور كليجاين في مؤخرة المقصورة الملكية منتبهًا وقد أراح يديه على حزام سيفه، وانسدل معطف الحرس الملكي الأبيض المثبت بدبوس محلى بالجواهر من على كتفيه العريضتين، وقد بدا لون فُماش المعطف الثلجي غير طبيعي بشكل ما فوق الصدر البنية الخشن والشرة الجلدية المرصعة بالأزرار الحديدية اللتين ارتداهما. «الليدي سانزا»، أعلن كلب الصيد باقتضاب بصوته الخشن كالمنشار في الخشب عندما رآها، وقد ارتعش جانب فمه كما يفعل كلما تكلم، بسبب التدوب التي خلفها الحريق في وجهه وعُنقه.

هزت الأميرة مارسلا رأسها بتحيرة خجول على ذكر اسم سانزا، أمّا الأمير تومن الصغير ذو الجسم الممتلئ فوثب من مكانه بحماسة قائلًا: «هل سمعت يا سانزا؟ سأشارك في المباريات اليوم. أمي سمحت لي بالركوب». كان تومن في الثامنة من العمر لا أكثر، يُذكرها بأخيها الصغير بران لكون الاثنين في السن نفسها.

بران في ويترفل الآن، قعيد لكن آمن، وكانت سانزا لتدفع أي ثمن لتكون معه في هذه اللحظة. قالت لتومن برصانة: «كم أخشى على حياة خصومك إذن».

قال جوف وهو ينهض: «خصومه سيكونون محشونين بالقش». كان الملك يرتدي وافي صدرٍ مذهَّبًا نُقش عليه أسدٌ فغر فاه بالزئير، كأنه يتوقّع

أن يتلعمهم الحرب في أي لحظة. إنه في الثالثة عشر من العمر اليوم، وطويل القامة بالنسبة لسنه، له ذهب شعر أبناء عائلة لانستر وخضرة أعينهم. قالت وهي تنحني تحية: «جلالة الملك».

وانحنى السير آريس بدوره قائلاً: «أستمحيك عُذراً يا جلالة الملك، يجب أن أجهز نفسي للمضمار».

صرفه جوفري بإشارة مقتضية من يده وقد أمعن النظر في سائزنا من قمة رأسها حتى أخمص قدميها، ثم قال: «يسُرُّني أنك ارتديت أحجاري الكريمة». إذن فقد قرّر الملك أن يلعب دور الشهم النبيل اليوم. بثّ هذا شعوراً بالارتياح في سائزنا، فقالت: «أشكرك عليها... وعلى كلماتك الرقيقة. أتمنى لك يوم ميلاد مباركاً يا جلالة الملك».

- «اجلسي»، قال جوف بلهجة أمرة وهو يُشير إلى الكرسي الفارغ المجاور له. «هل سمعت؟ لقد مات الملك الشحاذ».

- «من؟». للحظة خشيت سائزنا أنه يقصد أخاها روب.

- «فيسرس، آخر أبناء الملك المعجون إيرس. كان يهيم في المذن الحرة من قبل أن أولد ويدعو نفسه ملكاً. أمي تقول إن الدوثرافي توجوه أخيراً... بالذهب المصهور»، وأطلق ضحكة وتابَع: «هذا طريف، أليس كذلك؟ التين كان رمزهم، فلو أن ذبّا قتل أخاك الخائن لكان الأمر بالطرافة نفسها تقريباً. ربما أطعمه للذئب فعلاً بعد أن أوقع به. هل قلت لك إنني أنوي أن أواجهه في قتال فردي؟».

- «كم أحب أن أرى هذا يا جلالة الملك». أكثر مما تتوقع. ألقت سائزنا ردها بنبرة هادئة مهذبة، وعلى الرغم من ذلك ضيق جوفري عينيه محاولاً أن يستشف إن كانت تسخر منه، فسارعت تسأله: «هل ستشارك في المباريات اليوم؟».

عقد الملك حاجبيه مجيباً: «السيدة والدتي قالت إن هذا لن يليق لأن المباريات مُقامة على شرفي، ولولا هذا لكنت البطل اليوم، أليس كذلك أيها الكلب؟».

ارتعش فم كلب الصيد وهو يردُّ: «ضد هذه الشُرذمة؟ طبعاً، ولِمَ لا؟».

تذكّرت سانزا أنه كان بطل دورة المباريات التي أقيمت على شرف أبيها، فسألته: «هل ستشارك في التّزال اليوم يا سيّدي؟».

أجابها كليجاين بصوتٍ امتلأ بالازدراء: «الأمر لا يستحقُّ أن أسلّح نفسي حتى. إنها دورة للبعوض».

قال الملك ضاحكاً: «لكلبي نباخ هادراً حقاً. ربما عليّ أن أمره بأن يُقاتل بطل اليوم حتى الموت». كان چوفري مغرماً بجعل الرّجال يتقاتلون حتى الموت.

- «عندئذٍ سيُنقّصُ فرسانك واحداً». لم يُردّد كلب الصّيد قسَم الفرسان قط، لكن أخاه فارس، وهو ييغض أخاه.

دوّت الأبواق، فعاد الملك يستقرُّ في كرسيه والتقط يد سانزا. في السّابق كان هذا كفيلاً بأن يجعل ضربات قلبها تتسارع، لكن ذلك كان قبل أن يستجيب لالتماسها الرّحمة بأن قدّم لها رأس أبيها. الآن تملؤها لمسته بالاشمئزاز، لكنها أعقل من أن تُبدي هذا، فجعلت نفسها تجلس بمتنهي الثّبات.

نادى مُنادٍ: «السير مرين ترانت فارس الخرس الملكي».

دخل السير مرين من الجهة الغربيّة للسّاحة مدرّعاً بالصّفائح المعدنيّة البيضاء البرّاقة التي نُقِشت بالذهب، وقد امتطى جواداً أبيض كالخليب له لبدة رماديّة مسترسلة، وخفّ معطفه من ورائه كحقلٍ اكتسى بالثلّوج، وفي يده حملٌ رُمحاً طوله اثنا عشر قدماً.

صاح المُنادي: «السير هوبر سليل عائلة ردواين من «الكرمة»، فدخل السير هوبر من الشّرق راكباً فحلاً أسود عليه كسوة جمعت بين اللّونين الخمري والأزرق، وهما اللّونان نفساهما اللّذان رُسِمَت بهما الخطوط على رُمحه، بينما زيّن عنقود العنب رمز عائلته الثّرس الذي يحمله. كان التّوأمان ردواين ضيفيّ الملكة بغير إرادتهما، تماماً مثل سانزا نفسها التي تساءلت عن صاحب فكرة أن يشترك الأخوان في دورة مباريات چوفري، وخمّنت أنها ليست فكرتهما.

بإشارة من قيّم الاحتفالات، سدّد المُقاتلان رُمحيهما وهمز كلّ منهما حصانه، لترتفع صيحات الحراس المتفرّجين واللوردات والليديّات

الجالسين على المنصة، وفي منتصف الساحة التقى الفارسان بصدمة هائلة من الفولاذ والخشب، وانفجر الرُمح الأبيض قبل الرُمح المخطط إلى آلاف الشظايا بفارق ثانية واحدة، لبتَرَنج هوبر ردواين من عُنف الارتطام، وإن تمكّن بشكل ما من أن يظلّ فوق سرجه. دار الفارسان بحصانيهما عند طرفي المضممار القصيين والتقط كل منهما رُمحاً جديداً من مُرافقه، بينما صاح السير هوراس ردواين توأم السير هوبر مشجّعاً أخاه. لكن في المحاولة الثانية سدّد السير مرين رأس رُمحه ليضرب السير هوبر في صدره ويُسقِطه من على ظهر الحصان فيضرب الأرض بضجّة مسموعة. أطلق السير هوراس سباباً وهرع ليُساعد أخاه المضعّض على الخروج من المضممار. أعلن الملك چوفري: «أداء سيّء».

جاءت صيحة المُنادي: «السير بالون سوان من ستونهلّم في منطقة «الذئب الأحمر»، فدخل السير بالون وقد زَيّن خوذته العظيمة جناحان أبيضان منبسطان، بينما تقاطلت البجعات البيضاء والسوداء على تُرسه. ثم صاح المُنادي من جديد: «موروس سليل عائلة سلينت وورث اللورد چانوس سيّد هارنهال».

- «انظروا إلى هذا الأبله المختال»، صاح چوف مستهزئاً بصوت سمعه نصف من في الساحة. كان موروس مجرّد مُرافقٍ لفارس، وحديث العهد في هذا كذلك، وتجلّت مُعاناته في التحكّم في رُمحه وتُرسه للجميع. كانت سائزّا تعرف أن الرُمح هو سلاح الفارس، بينما عائلة سلينت كلها وضيعة النّسب، واللورد چانوس لم يكن أكثر من قائدٍ لحرس المدينة قبل أن يرفعه چوفري لسيادة هارنهال ويضمّه إلى مجلسه.

فكرت سائزّا بمرارة: ليته يسقُط ويكُلّل نفسه بالخزي، ليت السير بالون يقتله. عندما أعلن چوفري موت أبيها، كان چانوس سلينت هو من قبض على رأس اللورد إدارد المقطوع من شعره ورفعه عاليّاً ليراه الملك والجمهور، بينما انفجرت سائزّا في البكاء والشراخ.

ارتدى موروس معطفاً ذا مربّعات من الأسود والذهبي فوق درع سوداء عليها زخارف ذهبيّة ملوّبة، وعلى تُرسه كان الرُمح الدّامي الذي اختارَه أبوه

رمزاً لعائلته الجديدة، لكن يبدو أنه لم يكن يدري ماذا يفعل بالثرس وهو يحث حصانه على التقدّم، فضرب رأس رُمح السير بالون الرّمز المربّع على ثُرسه مباشرةً، وأسقط موروس رُمحه وهو يُكافح للحفاظ على توازنه لكنه أخفق، وعلقت قدمه في ركاب الحصان وهو يسقط، فجّر الحصان الهارب الشاب حتى نهاية المضمار ورأسه يرتطم بالأرض. أطلق جوف صيحةً ساخرةً، بينما تساءلت سائزاً مرتاعةً في قرارة نفسها إن كانت الآلهة قد سمعت دُعاءها المحمّل برغبة الانتقام، لكن عندما نجحوا في تحرير موروس سليت من حصانه وجدوه يتزف لكن حثاً. «لقد اخترنا الخصم الخطأ لك يا تومن»، قال الملك لأخيه. «الفارس المصنوع من القشّ يستطيع التّزال أفضل من هذا».

بعدها جاء دور السير هوراس ردواين الذي أبلى بلاءً أحسن من توأمه، وتغلّب على فارس مُسنّ زينت كسوة حصانه الجريفيّات⁽¹⁾ الفضّية على خلفيّة من خطوط الأزرق والأبيض، لكن على الرغم من بهاء مظهره كان أداء العجوز ضعيفاً، فقال جوفري متبرّماً: «هذا عرض رديء».

قال كلب الصّيد: «لقد حذّرتك، إنهم بعوض لا أكثر».

كان الملك قد بدأ يُصاب بالأسّام، وهو ما أثارَ تورّث سائزاً، فخفّضت نظرها وقرّرت أن تلتزم الصّمت مهما حدث. عندما يعتل مزاج جوفري باراثيون، فمن شأن أيّ كلمة طائشة أن تُشعل واحدةً من نوبات ثورته.

صاح المُنادي: «لوثور برون، مُحارب غير نظامي في خدمة اللورد بايلش. السير دونتوس الأحمر سليل عائلة هولارد». كان المُحارب غير النظامي رجلاً صغير الحجم يرتدي درعاً مليئةً بالانبعاجات وخاليةً من الرّموز، وقد دخل من فوره من جانب السّاحة الغربي، بينما غاب كل أثر لخصمه، إلى أن لاح للأعين أخيراً فحل كستنائي كُسوته كدوّامة من الحرير القرمزي والأحمر الدّموي، لكن السير دونتوس نفسه لم يكن على متنه. ظهر الفارس بعد لحظات وهو يسبّ ويترنّح، وقد ارتدى واقي صدر وخوذة مزينة بالريش، ولا شيء آخر. كانت ساقاه مصفرتين نحيلتين، وتمايل ذكره بشكل

(1) الجريفيّين مخلوق أسطوري له جسم أسد ورأس وجناح عقاب.

مَقْرُوزٌ وهو يهرع وراء حصانه. هَدَرَ المتفَرِّجون وضَجُّوا بالشَّتائم، بينما أمسَكَ السير دونتوس الحصان من لِحامه محاولاً أن يمتطيه، لكن الحيوان رفض أن يثبت في مكانه، والفارس كان ثَمَلًا لأقصى حَدٍّ وحاول أن يضع قدمه الحافية في الرِّكَّاب عدَّة مرَّاتٍ ولم ينجح. عندئذٍ كان ضحك المتفَرِّجين يُدَوِّي في المكان كله... جميعهم باستثناء الملك. في عيني جوفري كانت نظرة تذكُّرها سائزاً جيِّداً، النُّظرة ذاتها التي أَطَلَّتَ منهما في ذلك اليوم في سِيت بيلور الكبير عندما حَكَمَ بالموت على اللورد إدارد ستارك. في النِّهاية استسلم السير دونتوس الأحمر وجلس في الثُّراب وخلع خوذته ذات الرِّيش، وصاح: «أنا الخاسر، أحضروا لي نبيذاً».

نهَضَ الملك وصاح: «برميل نبيذ من الأقبية! سأجعله يفرق فيه!».

سمعت سائزاً نفسها تشهق وتندفع قائلة: «لا، لا يُمكنك أن تفعل هذا».

أدار جوفري رأسه لها وقال: «ماذا قلتِ؟».

لم تُصدِّق سائزاً أنها تكلمت حقًّا. هل جُنَّتْ؟ تقول له لا أمام نصف الحاشية؟ إنها لم تعن أن تقول شيئاً، لكن... السير دونتوس كان ثَمَلًا وسخيًّا وعديم القيمة، لكنه لا يقصد إساءةً.

- «هل قلتِ إنني لا يُمكنني؟ أهذا ما قلتِ؟».

ردَّت سائزاً: «أرجوك. قصدتُ فقط أنه... أنه طالعٌ سيِّئ يا جلالة الملك إذا... إذا قتلت رجلاً في يوم ميلادك».

قال جوفري: «أنتِ تكذِّبين. حرِّي بي أن أغْرِقَ معه بما أنك تهتمِّين لأمره هكذا».

خرجت الكلمات منها يائسةً راجفةً وهي تقول: «أنا لا أبالي به إطلاقاً يا جلالة الملك. فلتُغرِّقه أو تقطع رأسه، إنما... اقتله غداً إذا أردت، لكن أرجوك... ليس اليوم، ليس في يوم ميلادك. لن أحتمل أن يُصيبك طالعٌ سيِّئ، طالعٌ شنيع حتى بالنِّسبة للملوك... كلُّ المغنِّين يقولون هذا...».

رمقها جوفري مقطَّباً وجهه. كان يعرف أنها تكذب، وهي تعي هذا، وسوف يجعلها تنزف من أجل ما قالت.

- «الفتاة على حق»، قال كلب الصَّيد بصوته المبحوح. «ما يزرعه الرَّجل

يوم ميلاده يحصده طيلة أيام العام». كانت نبرته خاليةً من أيّ تعبير، كأنه لا يكثر مقدار ذرّةٍ إن صدّقه الملك أم لا. أمن الممكن أن هذا حقيقيٌّ فعلاً؟ لم تكن سائزاً تعرف، وما قالته كان مجرد كلام تُحاول أن تتحاشى به العقاب. اعتدلّ جوفري بغير رضا في جلسته، وطرّق أصابعه ناحية السير دونتوس قائلاً: «خذوه. سأمرُّ بقتل هذا المهرّج غداً».

قالت سائزاً: «هو كذلك حقاً، مهرّج. كم أنت لئاح لثرى هذا. إنه يصلح لأن يكون مهرّجاً لا فارساً، أليس كذلك؟ يتجذّر بك أن تلبسه ثياب المهرّجين وتجعله مهرّجاً حقيقياً. إنه لا يستحقّ رحمة الموت السريع».

نفخّصها الملك لحظةً، ثم قال: «لعلّك لستِ بالغباء الذي تظنّه أمّي»، ورفّع صوته معلناً: «هل سمعت سيّدتي يا دونتوس؟ من اليوم أنت مهرّجي الجديد. يُمكنك أن تنام مع فتى القمر وترندي ثياب المهرّجين».

اعتدلّ السير دونتوس ليجلس على رُكبتيه وقد أفاق مع احتكاكه الوشيك بالموت، وقال: «أشكرُك يا جلالة الملك، وأنّ يا سيّدتي، أشكرُك».

قاده اثنان من حرس لانستر بعيداً، بينما اقترب قيّم الاحتفالات من المقصورة وسأل: «هل أستدعي مُنازلاً جديداً لبرون يا جلالة الملك، أم نشرع في التّزال التّالي؟».

- «لا هذا ولا ذاك. هؤلاء بعوض وليسوا أفرساناً. كنْتُ لأمر بقتلهم جميعاً لولا أنه يوم ميلادي. المباريات انتهت. فليغرّبوا جميعاً عن وجهي».

انحنى قيّم الاحتفالات، لكن الأمير تومن لم يتحلّ بطاعته، وقال معترضاً: «لكن من المفترض أن أنازل الرّجل القش».

- «ليس اليوم».

- «لكني أريد أن أركب!».

- «لا أبالي بما تُريده».

- «أمّي قالت إنني سأركب!».

قالت الأميرة مارسلا مؤكّدة: «هذا ما قالته».

قال الملك ساخراً: «أمّي قالت. لا تكوني طفوليّة هكذا».

ردّت مارسلا بكبرياء: «نحن أطفال، من المفترض أن نكون طفوليّين!».

ضحك كلب الصَّيد قائلاً: «لديها حقٌّ تمامًا».

قال جوفري وقد غلبَ على أمره: «ليكن. حتى أخي لن يكون أسوأ من هؤلاء الآخرين. أحضِر الطَّاووس⁽¹⁾ أيها القيِّم، فتومن يُريد أن يكون بعوضة». أطلقَ تومن صيحة فرح وهرعَ لِجَهْزِوه ولحم ساقيه الصَّغيرتين الثَّخيتين يهتَزُّ بقوة، وناذته سانزا قائلة: «حظاً سعيداً».

نصَّبوا الطَّاووس في أقصى المضمار بينما تم تزويد حصان الأمير القزم بسرجه. كان خصم تومن عبارة عن مُحاربٍ جلدِيٍّ في حجم طفل، محشو بالقشِّ ومثبت على محور، في يده ثُرس وفي الثَّانية رُمح مصنوع من البطانة. كان أحدهم قد ركَّب قرني وعل على رأس الفارس، وتذكَّرت سانزا أن الملك روبرت أبا جوفري كان يضع قرونًا على خوذته... وكذلك عمُّه اللورد رنلي شقيق روبرت، الذي استحال خائنًا وتوجَّ نفسه ملكًا.

ساعدَ اثنان من مُرافقي الفُرسان الأمير على ارتداء درعه المزخرفة ذات اللَّوْنين الفُضِّي والقرمزي، ومن رأس خوذته امتدَّت ريشات حمراء طويلة، وعلى ثُرسه أخذَ أسد لانستر ووعل باراثيون المتوجَّ يمرحان معًا. عاونه الصَّبيان على ركوب حصانه القزم، ثم تقدَّم السير أرون سانتاجار قيِّم السَّلاح في القلعة الحمراء وناولَ تومن سيفًا طويلًا ذا نصل غير حاد له شكل ورقة الشَّجر، صنَّع لِئَناسِب يد الأمير ذي الثَّمانية أعوام، فرفعَ تومن السَّيف عاليًا وصاحَ بصوتٍ صيانيٍّ مرتفع: «كاسترلي روك!»، ووكَّز الحصان واندفعَ فوق الأرض الممهَّدة نحو الطَّاووس. أطلقتَ الليدي ناندا واللورد جايلز صيحات تشجيعٍ ضعيفة، فضمَّت سانزا صوتها إليهما، بينما جلسَ الملك وتفرَّج صامتًا.

هروَل الحصان القزم برشاقةٍ حاملاً تومن الذي لَوَّح بسيفه بقوةٍ وسدَّد ضربةً مُحكمةً لثُرس الفارس أثناء اندفاعته، فدارَ الطَّاووس وطارَ معه الرُمح المبطن ليضرب الأمير على مؤخِّرة رأسه بعنف، لِيَسْقُطَ من فوق السَّرج

(1) الطَّاووس مجسَّم على شكل إنسان، يُستخدَم في التَّدريب على التَّزال، وعادةً ما يُثبت ثُرس في إحدى يديه، وفي الثَّانية سيف أو رُمح غير حاد.

وَتُخَشِّشْ درعه كجوالٍ من القدور القديمة وهو يصطدم بالأرض. طَارَ سيفه من يده وَحَبَّ الحصان بعيدًا عبر الفناء، بينما تَفَجَّرَت الضَّحَكَات الساخرة من الحضور، وكانت ضحكات جوفري هي الأعلى والأطول. صاحت الأميرة مارسلا: «أوه!»، واندفعت خارجةً من المقصورة نحو أخيها الصَّغير.

وجدت سائزا نفسها وقد تملَّكتها شجاعة خرقاء غريبة، فقالت للملك: «يَجْدُرُ بك أن تذهب معها، فلربما تأذَى أخوك». هَزَّ كتفيه قائلاً: «وماذا في ذلك؟».

- «يَجْدُرُ بك أن تُساعدَه وتُخبرَه أنه أبلى بلاءً حسنًا في الرُّكوب». كان يبدو أن سائزا لا تستطيع أن تمنع نفسها من الكلام.

- «لقد سقطَ عن حصانه في الثَّراب. هذا ليس بلاءً حسنًا».

تَدَخَّلَ كلب الصَّيد قائلاً: «انظُر، الصَّبي شجاع وسيُحاول ثانية».

فَكَّرت سائزا وهُم يُساعدون الأمير تومن على ركوب الحصان القزم: ليت تومن كان الأخ الأكبر وليس جوفري. ليس لديّ مانع في الزواج بتومن.

فاجأتهم الأصوات التي آتت من مبنى البوابة دون سابق إنذار، وصلصلت السَّلاسل والشَّبكة الحديدية تُسحب إلى أعلى، ثم انفتح المصراعان الضَّخمان لتُصدر مَفصلاتهما صريرًا. سأل جوفري: «مَن قال لهم أن يفتحوا البوابات؟». كانت بوابات القلعة الحمراء مغلقةً منذ أيام مع الاضطرابات السَّائدة في المدينة.

خرجَ صَفٌّ من راكبي الخيل من تحت الشَّبكة الحديدية يصحبهم رنين الفولاذ وهدير الحوافر، فخطا كليجاين من فوره مقتربًا من الملك وقد وضع يده على مقبض سيفه الطَّويل. كان الرُّؤار منهكين مغَّبرين ويرتدون دروعًا كثيرة الانبعاجات، وإن حملوا راية لانستر ذات الأسد الذهبي على خلفيته القرمزية. بعضهم كان يرتدي المعاطف الحمراء وقمصان الحلقات المعدنية كجنود لانستر، لكن أكثرهم من المُحاربين غير النِّظاميين والمرترقة الذين يرتدون دروعًا غير متناسقة ويحملون أسلحةً من الفولاذ الحاد... وكان هناك آخرون، رجال همجيُّون مخيفو المنظر خرجوا من واحدةٍ من حكايات

العجوز نان القديمة، الحكايات المرعبة التي أحبّها بران، يرتدون الفرو الرثّ والجِلد المقوّى بالزّيّت المغلي ولهم شعر طويل ولحيّ ثائرة. كان بعضهم يضع ضمّاداتٍ ملوّنة بالدماء على جبهته أو يلقّها حول يده، والبعض الآخر تنقّصه أعين وآذان وأصابع.

وفي وسطهم، على صهوة حصانٍ أحمر طويل وفوق سرج عالٍ يحتضنه من الأمام والخلف، كان تيريون لانستر أخو الملكة القزم الذي يُسمّونه العفريت. كان قد تركَ لحيته تنمو لتُغطّي وجهه المضغوط إلى الدّاخل حتى أصبحت كتلةً متشابكةً كثّة من الشعر الأصفر والأسود الخشن كالسِّلْك، وعلى ظهره انسدلَ معطف مصنوع من فرو قِطط الظّل الأسود المخطّط بالأبيض. كان يُمسِك العنان بيده اليمنى، بينما وضع ذراعه اليسرى في مِعلاقٍ من الحرير الأبيض، لكن فيما عدا ذلك بدا متنافر الملامح كما تذكّرتّه سانزا من زيارته لوبيترفل، وبجبهته المتفتحة وعينه غير المتماثلتين كان لا يزال أقبح رجلٍ رآته على الإطلاق.

لكن تومن همزَ حصانه القزم واندفعَ به بلا تردّدٍ عبر السّاحة وهو يصيح بسرور، فتحرّك واحد من الهمجّيين -رجل ضخم الجثّة ثقیل الحركة، كثيف الشعر جدّاً لدرجة أن ملامحه كادت تغيب وراءه- والتقط الصّبي بدرعه وسيفه من فوق السّرج وأودعه على الأرض إلى جوار خاله، وتردّد صدى ضحكات تومن اللاهثة على الجدران وتيريون يُرَبّت على واقِي ظهره، وأدهش سانزا أن رأت أن الاثنين طولهما واحد. جاءت مارسلا تجري بعد أخيها، ورفعتها القزم من خصرها ودارَ بها في دائرة وهو يصيح، ثم عادَ الرّجل الصّغير يضعها على الأرض وطبع قُبلة خفيفةً على جبهتها، قبل أن يقطع السّاحة بخطواتٍ متمايلة نحو جوفري وفي أعقابهِ اثنان من رجاله، مرتزق أسود الشعر والعينين يتحرّك بخفّة القِطّة، وشاب نحيف ذو محجر عينٍ خاوٍ، ومن ورائهما جاء تومن ومارسلا.

ركع القزم على رُكبته أمام الملك قائلاً: «جلالة الملك».

قال جوفري: «أنت».

- «أنا»، قال العفريت. «وإن كنتُ أَسْتَحِقُّ تَحِيَّةَ لُطْفٍ مِنْ هَذِهِ بِصِفَتِي خَالِكَ وَأَكْبْرِكَ سَيِّئًا».

قال كلب الصَّيْد: «قالوا إنك مُتٌ».

نَظَرَ الرَّجُلُ الصَّغِيرَ إِلَى الرَّجُلِ الْكَبِيرِ بِعَيْنَيْنِ إِحْدَاهُمَا خَضِرَاءُ وَالثَّانِيَةُ سُودَاءُ، وَكِلَاهُمَا بَارِدَةٌ تَمَامًا، وَقَالَ: «كَنتُ أَخَاطِبُ الْمَلِكَ وَلَيْسَ كَلْبُهُ».

قَالَتِ الْأَمِيرَةُ مَارَسَلَا: «أَنَا سَعِيدَةٌ لِأَنَّكَ لَمْ تَمُتْ».

- «أَشَارَكَكَ الرَّأْيُ يَا حُلُوتِي»، ثُمَّ التَفَتَ إِلَى سَانِزَا قَائِلًا: «سَيِّدَتِي، أَنَا آسَفٌ لْخُسَارَتِكَ. الْآلَهَةُ قَاسِيَةٌ حَقًّا».

لَمْ تَسْتَطِعْ سَانِزَا التَّفَكِيرَ فِي كَلِمَةٍ تَقُولُهَا لَهُ. كَيْفَ يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ آسَفًا لْخُسَارَتِهَا؟ أَيْسَخِرُ مِنْهَا؟ لَيْسَتْ الْآلَهَةُ هِيَ الْقَاسِيَةُ، بَلْ جُوفَرِي.

قَالَ الْقَزَمُ: «آسَفٌ لْخُسَارَتِكَ أَيْضًا يَا جُوفَرِي».

- «أَيُّ خُسَارَةٍ؟».

- «خُسَارَةُ أَيْبِكَ عَلَى مَا أَعْتَقِدُ؟ كَانَ رَجُلًا ضَخْمًا قَوِيًّا أَسْوَدَ اللَّحْيَةِ. سَتَتَذَكَّرُهُ إِذَا حَاوَلْتَ. كَانَ الْمَلِكُ قَبْلَكَ».

- «أَوْه، هُوَ، نَعَمْ، كَانَ هَذَا مُحْزِنًا لِلْغَايَةِ، أَنْ يَقْتُلَهُ خَنْزِيرٌ بَرِّي».

- «أَهَذَا مَا يَقُولُونَهُ يَا جَلَالَةُ الْمَلِكِ؟».

قَطَّبَ جُوفَرِي وَجْهَهُ، فَشَعَرَتْ سَانِزَا أَنْ عَلَيْهَا أَنْ تَقُولَ شَيْئًا. مَا الَّذِي كَانَتْ السَّيِّئَةُ مُورِدَنُ تُرَدِّدُهُ لَهَا؟ الْيَدِي دَرَعَهَا اللَّبَاقَةُ، نَعَمْ. هَكَذَا ارْتَدَّتْ دَرَعَهَا وَقَالَتْ: «يُؤَسِّفُنِي أَنْ السَّيِّئَةَ وَالِدَتِي أَخَذَتْكَ أَسِيرًا يَا سَيِّدِي».

رَدَّ تِيرَبُونُ: «أَنَاسٌ كَثِيرُونَ لِلْغَايَةِ آسَفُونَ لِهَذَا، وَقَدْ يَأْسَفُ الْبَعْضُ أَكْثَرَ بِمَرَا حُلِّ قَبْلِ أَنْ أَنْتَهِيَ، لَكِنْ أَشْكُرُكَ عَلَى رَقَّتِكَ. جُوفَرِي، أَيْنَ يُمَكِّنُنِي أَنْ أَجِدَ أَمْلَكَ؟».

أَجَابَ الْمَلِكُ: «إِنَّهَا مَعَ أَعْضَاءِ مَجْلِسِي. أَخُوكَ جَايَمِي يَخْسِرُ الْمَعْرَكَةَ وَرَاءَ الْمَعْرَكَةِ»، وَحَدَّجَ سَانِزَا بِنَظَرَةٍ غَاضِبَةٍ كَأَنَّهُ خَطَّوْهَا. «لَقَدْ أَسْرَهُ آلُ سَتَارِكٍ وَخَسِرْنَا رِيْقَرَزَنَ، وَالْآنَ أَخُوهَا الْأَحْمَقُ يُسَمِّي نَفْسَهُ مَلِكًا».

ابْتَسَمَ الْقَزَمُ ابْتِسَامَتَهُ الْمَعُوجَّةَ وَقَالَ: «كُلُّ أَصْنَافِ النَّاسِ يُسَمُّونَ أَنْفُسَهُمْ مَلُوكًا هَذِهِ الْأَيَّامَ».

لم يدرِ جوف ماذا يستتج من هذا، وإن بدا مرتاباً مرتبكاً، ثم قال: «نعم، طيب، أنا مسرور لأنك لم تُمت يا خالي. هل أحضرت لي هدية ليوم ميلادي؟».

- «نعم، عقلي».

- «أفضل رأس روب ستارك»، قال جوف موجّهاً نظره خبيثاً إلى سانزا. «تومن، مارسلا، هيا بنا».

تخلف ساندور كليجاين عنهم لحظةً وقال محدّراً: «لو كنت مكانك لحفظت لساني أيها الرّجل الصّغير»، ثم تحرّك بخطوات واسعة وراء مليكه. هكذا تُركت سانزا وحدها مع القزم ووحوشه. حاولت أن تُفكر في شيء آخر تقوله، وفي النهاية خرجت منها الكلمات: «لقد جرحت ذراعك».

- «واحد من رجالكم الشماليين أصابني بكرة سائكة في معركة الفرع الأخضر، ونجوتُ منه بالوقوع من فوق حصاني»، ثم استحالَت ابتسامته الساخرة إلى تعبيرٍ ألطف وهو يُمعِن النظر في وجهها ويقول: «أألم فقدان أبيك هو ما يجعلك بهذا الحزن؟».

ردّت سانزا في الحال: «أبي كان خائناً، وأخي والسيدة والدتي خائنين كذلك». الاستجابة التي تعلّمتها بسرعة. «أنا مخلصه لمحبي جوفري».

- «بلا شك، مخلصه كغزالٍ مُحاط بالذئاب».

- «بالأسود»، همست بلا تفكير وتطلّعت حولها بتوتّر، لكن لم يكن هناك أحد قريب يسمع.

مدّ لانستر يده والتقطَ يدها وضغطها قائلاً: «أنا مجرّد أسدٍ صغير يا طفلي وأقسم لك أنني لن أفرسك»، ثم انحنى مضيقاً: «لكن يجب أن تسمح لي بالانصراف الآن، فلديّ عمل عاجل مع الملكة والمجلس».

راقبته سانزا إذ ابتعدَ وجسده يتمايل من جانب إلى جانب مع كلّ خطوة كشيءٍ من مسرحيّة غرائبيّة. كلامه معي أرق من جوفري، لكن الملكة كانت تُكلمني برقة هي الأخرى. إنه لانستر رغم كل شيء، أخوها وخال جوف، وليس صديقاً لي. ذات يوم كانت تُحبُّ الأمير جوفري من صميم قلبها، وتحترم أمّه الملكة وتثقُ بها، لكنهما ردّا الحبّ والثقة برأس أبيها، وسانزا لن ترتكب هذا الخطأ ثانية أبداً.



تيريون

بدا السير ماندون مور في ثياب الحرس الملكي ذات اللون الأبيض البارد كجثة ملفوفة بالأكفان وهو يقول: «جلالتها أمرت بعدم إزعاج المجلس المنعقد».

قال تيريون: «لن أشكل إلا إزعاجاً صغيراً يا سيدي»، وسحب الرق من كُمه وتابع: «إنني أحمل رسالة من أبي اللورد تاوين لانستر، يد الملك، وها هو ختمه».

- «جلالتها لا ترغب في الإزعاج»، كرّر السير ماندون ببطء كأن تيريون أبله ولم يسمعه أول مرة.

كان چايمي قد قال له ذات مرة إن مور أخطر رجال الحرس الملكي (مستثنياً نفسه كالمعتاد)، لأن ملامحه لا تشي بالمرّة بما قد يفعله في اللحظة التالية، وكان تيريون ليترحب بأي إشارة من الرجل. على الأرجح سيقتل برون وتيميت الفارسي إذا وصل الأمر لرفع السلاح، رغم أنها لن تكون بشارة خير إطلاقاً إذا استهل وجوده هنا بقتل أحد حُماة جوفري. لكن أين سلطته إذن لو ترك الرجل يصرفه؟ جعل نفسه يبتسم، وقال: «سير ماندون، أنت لم تلتقي برفيقي. هذا تيميت بن تيميت، يد حمراء من قبيلة الرجال المحروفين، وهذا برون. لعلك تذكر السير فارديس إيجن الذي كان قائد حرس أهل بيت اللورد آر، أليس كذلك؟».

- «أعرف الرجل». كانت عينا السير ماندون ذاتي لون رمادي شاحب، مُطفأتين على نحو عجيب ولا حياة فيهما البتّة.

قال برون مصحّحًا بابتسامة خفيفة: «كنت تعرفه».

لم يُحاول السير ماندون أن يبدو عليه أنه سمعَ ما قيلَ، بينما قال تيريون بكياسة: «على كلِّ حال، ينبغي حقًّا أن أرى أختي وأقدِّم لها الرِّسالة يا سيِّدي، فهلَّا تُلطِّفت وفتحت لنا الباب؟».

لم يستجب الفارس الأبيض، وكان تيريون على وشك محاولة استخدام القوَّة للمرور، عندما تنحَّى السير ماندون جانبًا فجأة وقال: «يُمكنك الدُّخول، أمَّا هما فلا».

انتصارٌ صغير، لكن حُلُو المذاق. لقد نجحَ في اختباره الأول، وهكذا دخلَ تيريون لانستر من الباب وهو يكاد يشعُر بقامته تستطيل، ليبتُر خمسة من أعضاء مجلس الملك الصَّغير حوارهم، وتقول أخته سرسي بنبرة جمعت بين الإنكار والتُّفور: «أنت».

- «أرى الآن ممَّن تعلَّم جوفري الدِّمائية»، قال تيريون وتوقَّف لِيَسدِّد نظرات الإعجاب إلى تمثالي أبي الهول الثاليرتَيْن اللذين يحُرِّسان الباب، وقد أحاطَ نفسه بهالة من الثَّقة بالنَّفْس واللامبالاة، فسرسی تشمُّ الضَّعف كما تشمُّ الكلاب الخوف.

جاست فيه عينا أخته الخضر اوان الجميلتان بلا أدنى أثرٍ للعاطفة، وسألته: «ماذا تفعل هنا؟».

- «أوصلُ رسالةً من السيِّد والدنا»، وتقدَّم بتؤدَّة إلى المائدة ووضع الرِّقَّ المطويَّ بإحكام بينهما.

التقطَ الخصيُّ فارس الرِّسالة وأدارها في يديه الرِّقيقتين المدهونتين بالمساحيق، وقال: «لُطف بالغ من اللورد تايبين، وشمع الحَتم ذو درجة جميلة من الذهب»، وتفحص الحَتم بعناية مُردفًا: «كل شيء فيه يوحى بأصالته».

قالت سرسي: «إنه أصيل بالطبع»، ونشَّت الرِّسالة من يديه لتكسر الشَّمع وتفرد الرِّق.

راقبها تيريون وهي تقرأ. كانت أخته قد أخذت مقعد الملك لنفسها، ما جعله يستنتج أن جوفري -تمامًا مثل روبرت- لا يُزعج نفسه كثيرًا بحضور

اجتماعات المجلس، فصعدَ تيريون إلى مقعد اليد وقد بدا له هذا مناسبًا تمامًا. قالت الملكة أخيرًا: «هذا سُخف. السيّد والذي أرسلَ أخي ليحلّ محلّه في المجلس، ويدعوننا لأن نقبل تيريون يدًا للملك حتى يحين الوقت ويستطيع الانضمام إلينا بنفسه».

داعبَ المايستر الأكبر بايسل لحيته البيضاء الكثيفة وهزّ رأسه بتثاقلٍ قائلاً: «يبدو أن من الواجب أن نُرحّب بك إذن».

- «بالتأكيد»، قال چانوس سلينت الأصلع ذو اللُغد الثَقيل، الذي يبدو في واقع الأمر كضفدعة، ضفدعةٍ متأنقةٍ معتدّةٍ بنفسها دون وجه حق. «إننا في أمسّ الحاجة إليك يا سيّدي، فالتمرّد في كلّ مكان، وهناك هذا التّذير المروّع في السّماء، والشّغب في طرقات المدينة...».

قالت سرسي محتدّة: «وخطأ من هذا أيها اللورد چانوس؟ رجالك ذوو المعاطف الذّهبيّة مكلفون بالحفاظ على النّظام. أمّا أنت يا تيريون فيمكنك أن تخدمنا بشكل أفضل في ميدان المعركة».

ردّ ضاحكاً: «لا، شكرًا، لقد نلتُ كفايتي من ميادين المعارك. إنني أفضلُ أن أجلس على كرسيّ لا حصان، وأن أحمل كأسًا من النّبيذ لا بلطة. هل تعرفين ما يقولونه عن هدير الطُّبول وبريق الشّمس على الدُّروع وكيف تصهل الجياد العظيمة وترمح؟ حسن، الطُّبول أصابتنني بالصّدا، وبريق الشّمس عليّ درعي طبّخني كالوزّة في عيد الحصاد، وتلك الجياد العظيمة تتغوّط في كلّ مكان! لكنني لا أشتكي، فبعد كرم الضّيافة الرّائع الذي استمتعتُ به في وادي آر، أجدُ أن الطُّبول وبراغ الخيل ولسعات الذّباب من أشياءي المفضّلة».

ضحك الإصبع الصّغير وقال: «أحسنت القول يا لانستر، أوافقك الرّأي تمامًا».

ابتسمَ تيريون له وهو يتذكّر خنجراً معيّنًا ذا مقبض من عظام التّنين ونصل من الفولاذ الفاليري. يجب أن نتكلّم عن هذا، وفريقًا. تُرى هل سيجد اللورد پيتر ذلك الموضوع مُضحكًا أيضًا؟ قال لهم: «رجاء دعوني أقدم ما أستطيع من خدمات، حتى وإن صغرت».

قرأت سرسي الرّسالة مجدّدًا، ثم سألته: «كم رجلًا أحضرت معك؟».

- «بضع مئات، أغلبهم رجالي، فأبي لم يرغب في الاستغناء عن أي من رجاله. إنه في حرب رغم كل شيء».

- «وما فائدة البضع مئات هؤلاء إذا زحف رنلي على المدينة أو أبحر ستانيس من دراجونستون؟ أطلب جيشاً فيرسِل لي أبي قزماً. الملك هو من يُنصَّب اليد بتصديق من المجلس، وجوفري نصَّب السيّد والدنا يداً».

- «والسيّد والدنا نصَّبني».

- «لا يُمكنه أن يفعل هذا دون موافقة جوف».

- «اللورد تاويون في هارنهال مع جيشه إذا كنتِ ترغيبين في مُناقشة الأمر معه»، قال تيريون بكياسة، ثم التفتَ يُخاطِب الآخرين قائلاً: «أيها السّادة، هلاً سمحتم لي بالانفراد بأختي؟».

نهض فارس بخفةٍ وقد رسم ابتسامته المدهنة على وجهه، وقال: «لا بُدَّ أنك اشتقت لسماع صوت أختك العذب. أيها السّادة، من فضلكم، لنمنحهما بعض الوقت معاً. مشكلات بلادنا واضطراباتنا باقية».

نهضَ جانوس سلينت بترُدِّد والمياستر الأكبر پايسل يتثاقل، لكنهما نهضا على كلِّ حال، وتبعهما الإصبع الصَّغير قائلاً: «هل أخير الوكيل أن يُجهز مسكنًا في حصن ميجور؟».

- «أشكرك أيها اللورد پيتر، لكني سأستقرُّ في مسكن اللورد إدارد السَّابق في بُرج اليد».

قال الإصبع الصَّغير ضاحكاً: «أنت أشجع مني يا لانستر. إنك تعرف مصير آخر يدين، أليس كذلك؟».

- «آخر يدين؟ إذا كنت ترغب في إخافتي، فلم لا تقول آخر أربعة؟».

رفع الإصبع الصَّغير حاجباً وقال: «أربعة؟ هل لاقى اليدان السَّابقان للورد آرَن نهايةً مؤسفةً ما في البُرج؟ أخشى أني كنتُ صغيراً ولم أهتم بهما كثيراً».

- «بد إيرس تارجارين الأخير قُتل أثناء نهب كينجز لاندننج، وإن كنتُ أشكُّ أنه وجدَ الوقت ليستقرَّ في البُرج، فقد مارسَ مهام منصبة مدَّة أسبوعين فقط. اليد الذي سبقه أحرقَ حتى الموت، وقبلهما جاءَ يدان آخران ماتا طريدين مُعديمين في المنفى واعتبرا نفسيهما محظوظين. أعتقدُ أن السيّد

والذي كان آخر يد يخرج من كينجز لاندنج بألقابه وأملاكه وأعضائه كلها سليمة».

قال الإصبع الصغير: «مدهش. هذا سبب أقوى يجعلني أفضل الثوم في زنزانة».

قد تنال تلك الأمانة، فكرر تيريون لكنه قال: «الشجاعة بنت عم التهور، أو أن هذا ما سمعته. أيا كانت اللعنة التي تسكن بُرج اليد، فأتمنى أن أكون صغيراً بما يكفي لئلا ألفت انتباهها».

ضحك جانوس سلينت وابتسم الإصبع الصغير، وتبعهما المايستر الأكبر بايسل إلى الخارج وقد انحنى بوقار.

قالت أخته حينما صارا وحدهما أخيراً: «أتمنى أن أبي لم يجعلك تقطع كل تلك المسافة لتُعَذِّبنا بدروس التاريخ».

تنهَّد تيريون وقال لها: «لكم اشتقت لوقوع صوتك الجميل!».

ردَّت سرسي: «لكم اشتقت لاقتلاع لسان ذلك الخصيِّ بكُلَّية ساخنة! هل فقدَ أبونا عقله أم أنك زوّرت هذه الرسالة؟»، وقرأت الرُّقَّ من جديد وضيّقها يتعاضّم، ثم أضافت: «لماذا يبتليني بك؟ لقد أردته أن يأتي بنفسه»، وسحقت أصابعها رسالة اللورد تايوين واستطرَدت: «أنا الوصيَّة على جوفري، وأرسلتُ له أمراً ملكيّاً!».

قال تيريون: «وهو تجاهله. إن لديه جيشاً كبيراً ويستطيع أن يفعل هذا، وهو ليس أول من يفعلها على كلِّ حال، أليس كذلك؟».

شدَّت سرسي فمها ورأى تيريون وجهها يحترق وهي تقول: «لو أعلنتُ أن هذه الرسالة مزوَّرة وقلتُ لهم أن يُلْقوك في زنزانة فلا أحد سيتجاهل هذا، أو كذِّلك».

كان يعرف أنه يظأ أرضاً غير صلبة الآن، وأيُّ خطوة خاطئة كفيلة بأن يسقط وتبتلعه. هكذا ردَّ بلهجة لطيفة: «لا أحد، وخصوصاً أبانا، هذا الذي يملك جيشاً. لكن لم ترغبين في إلقائي في زنزانة يا شقيقتي العزيزة وقد قطعْتُ هذه المسافة الطويلة كلها لأساعدكِ؟».

- «وأنا لا أحتاجُ مساعدتك. وجود أبي هنا هو ما أمرتُ به».

قال: «نعم، لكن من ترغيبين في وجوده حقاً هو چایمی».

كانت أخته تتوسم في نفسها المكر، لكنه تربى معها، ويستطيع أن يقرأ ملامحها كما يقرأ واحداً من كتبه المفضلة، وما قرأه الآن هو الغضب، والخوف، واليأس. «چایمی...».

قاطعها: «... أخي مثلما هو أخوك. أعطيني دعمك وأعدك بأننا سنحرر چایمی ونعيده إلينا سالمًا».

قالت سرسي: «كيف؟ صبي ستارك وأمه لن ينسيا أننا قطعنا رأس اللورد إدارد».

وافقها تيريون: «هذا صحيح، لكنك ما زلت تحوزين ابنتيه، أليس كذلك؟ لقد رأيت الفتاة الكبيرة في الساحة مع جوفري».

أجابته الملكة: «سانزا فقط. القصة المعلنة أن المزعجة الصغيرة لدي أيضاً، لكنها كذبة. لقد أرسلت مرين ترانت ليقبض عليها عندما مات روبرت، لكن معلّم الرقص الملعون تدخل وفزت الفتاة ولم يرها أحد منذ ذلك الحين. إنها ميتة في الغالب. كثيرون جداً ماتوا يومها».

كان تيريون يأمل في وجود ابنتي ستارك الاثنتين، لكن قد تكفي واحدة منهما. «كلميني عن أصدقائنا في المجلس».

رمقت سرسي الباب وسألته: «ماذا عنهم؟».

- يبدو أن أحداً منهم لا يروق أبي. كان يتساءل عندما تركته عن شكل رؤوسهم على الأسوار إلى جوار رأس اللورد إدارد، ومال إلى الأمام عبر المائدة وقال: «هل أنت متأكدة من إخلاصهم؟ هل تثقين بهم؟».

بحدّة ردّت سرسي: «أنا لا أثق بأحد، لكني أحاجهم. هل يعتقد أبي أنهم يتلاعبون بنا؟».

- «يرتاب بالآخرى».

- «لماذا؟ ما الذي يعرفه؟».

هزّ تيريون كتفيه قائلاً: «يعرف أن حُكم ابنك القصير لم يكن غير استعراضي طويل من الحماقات والكوارث حتى الآن، ما يعني أن أحدهم يُسدي جوفري نصائح في غاية الشؤء».

حدّثته سرسي بنظرة متفحّصة، وقالت: «چوف لا يفتقر إلى النّصائح السّديدة، لكن طيلة عُمره وهو عنيد، والآن يرى وقد بات ملكًا أن عليه أن يفعل ما يروقه، لا ما يُملَى عليه».

قال تيريون: «التّيجان تفعل أعجب الأشياء طرًا بالرّؤوس التي تستقرّ فوقها. ما حدث مع إدارد ستارك، أهو من صنّع چوفري؟».

تجهّمت ملامح سرسي وهي تُجيب: «كانت تعليماته أن يعفو عن ستارك ويسمح له بالانضمام لحرس الليل، ما كان كافيًا بإبعاده عن طريقنا إلى الأبد، ولربما استطعنا التّصالح مع ابنه كذلك، لكن چوف قرّر من تلقاء نفسه أن يُعطي الغوغاء عرضًا أفضل، وماذا كان بمقدوري أن أفعل؟ لقد طلبَ رأس اللورد إدارد أمام نصف المدينة، وأدعَى چانوس سلينت والسير إلين بمتهى التّرحاب وقطعا عُقّ الرّجل دون كلمة واحدة مني!»، وضمت قبضتها مضيفةً: «السّبتون الأعلى يزعم أننا دُنّسنا سيّت بيلور بالدم بعد أن كذبنا عليه بخصوص نيّتنا».

قال تيريون: «يبدو أن لديه حقًا بالفعل. إذن چانوس سلينت هذا اشترك في الأمر، أليس كذلك؟ أخبريني، من صاحب الفكرة العبقرية وراء منحه هارنغال وضّمّه إلى المجلس؟».

- «الإصبع الصّغير قام بالتّرتيبات. كنا في حاجةٍ إلى رجال سلينت، لأن اللورد إدارد كان يتأمّر مع رنلي وكتبَ إلى اللورد ستانيس عارضًا عليه العرش. كان يُمكن أن نخسر كلّ شيء، وكان ذلك وشيكًا بالفعل، فلو لم تأت لي سانزا وتُخبرني بخُطط أبيها كلها...».

مندهشًا قال تيريون: «حقًا؟ ابنته؟». لقد بدّت سانزا له دائمةً طفلةً لطيفةً، رقيقةً ومهذّبةً.

- «الفتاة كانت غارقةً في الحُبّ حتى النّخاع، وكانت لتفعل أيّ شيءٍ من أجل چوفري، إلى أن قطعَ رأس أبيها وقال إنها رحمة، ليقضي بالتّالي على هذا الحُبّ».

- «لدى جلالته أسلوب فريد لكسب قلوب رعاياه»، قال تيريون بابتسامةٍ

ملتوية. «أكانت رغبة جوفري أيضًا أن يصرف السير باريستان سلمى من حرسه؟».

تنهّدت سرسي وأجابّت: «جوف أراد أحدًا يُلام على موت روبرت، وفارس اقترح السير باريستان. ولمَ لا؟ لقد أعطى هذا جايمي قيادة الحرس الملكي ومكانًا في المجلس الصّغير، وأتاح لجوف أن يُلقى عظمةً لكلبه، فهو مولّع جدًا بساندور كليجاين. كنا على استعداد لأن نعرض على سلمى بعض الأراضي ومترلاً ذا بُرج، وهذا أكثر مما استحقّ ذلك العجوز الأحمق عديم القيمة».

- «سمعتُ أن العجوز الأحمق عديم القيمة فنكّ باثنين من رجال سلينت عندما حاولوا القبض عليه عند بوابة الطّمي».

بدّت أخته شديدة الاستياء وهي تقول: «كان ينبغي أن يُرسل چانوس رجالًا أكثر. إنه ليس بالكفاءة التي تمنّيناها».

قال تيريون ضاغطًا على كلماته ليذكّرها: «السير باريستان كان قائد حرس روبرت باراثيون الملكي. هو وجايمي آخر اثنين من حرس إيرس تارجارين السّبعة، والعامة يتكلّمون عنه كما يتكلّمون عن سروبين ذي الثّرس المرأة والأمير إيمون الفارس الثّين. ماذا تحسّبنهم سيقتدونه عندما يرون باريستان الباسل يركب إلى جوار روب ستارك أو ستانيس باراثيون؟».

أشاحت سرسي بنظرها قائلة: «لم أضع هذا في الاعتبار».

قال تيريون: «لكن أبي فعل، ولهذا أرسلني إلى هنا، لأضع نهايةً لتلك الحماقات وأجبر ابنك على الطّاعة».

- «جوف لن يكون أسهل انقيادًا مني».

- «قد يكون».

- «ولمَ؟».

- «لأنه يعرف أن أدّى لن يُصيبه منك أبدًا».

ضيّقت سرسي عينها وقالت: «إذا كنت تحسب أنني سأسمحُ لك بأن تؤذي ابني، فأنت مريض بالحمّى».

زفر تيريون. لقد أغفلت المقصد كعادتها المتكرّرة، فقال لها مُطمئنًا:

«جوفري في أمانٍ معي تمامًا كما هو معكِ، لكن الصَّبي سيكون أُميلَ إلى الإصغاء ما دامَ يَشْعُرُ بالتهديد»، وأمسكَ يدها مُردِّفًا: «أنا أخوكِ، وأنتِ تحتاجينني سواء أقررتِ بهذا أم لا، وابنتكِ يحتاجني إذا كان يأمل أن يحتفظ بذلك الكرسي الحديدي القبيح».

قالت أخته وقد بدَّت مصدومةً من لمسته لها: «طيلة عُمركِ وأنتِ داهية». رسمَ على شفثيه ابتسامةً واسعةً وقال: «بطريقتي الصَّغيرة».

- «قد يستحقُّ الأمرُ المحاولة... لكن اصغِ إليَّ جيِّدًا يا تيريون. إذا قبلتِكِ، ستكون يد الملك اسمًا لكن يدي أنا حقيقةً. سَتُطْلِعُنِي على كُلِّ خُطْطِكَ ونيَّاتِكَ قبل أن تتصرَّف، ولن تفعل شيئًا على الإطلاق دون مُوافقتي، هل تفهميني؟».

- «أوه، أفهمكِ».

- «وهل تُوافق؟».

قال كاذبًا: «بالأكيد، أنا تحت أمركِ يا أختاه». حتى تنتفي حاجتي إلى هذا. «طيب، الآن وقد صارت غايتنا واحدةً، فلا ينبغي أن تكون هناك أسرار بيننا. تقولين إن جوفري أمرٌ بإعدام اللورد إدارد، وفارس هو من صرفَ السير باريستان من الخدمة، والإصبع الصَّغير أهدانا اللورد سلينت، فمن اغتالَ چون آرن؟».

انترَعَت سرسي يدها منه قائلةً: «وما أدراني؟».

- «الأرملة الحزينة في «العُش» تعتقد أنه أنا، فما الذي أعطاه تلك الفكرة يا تُرى؟».

- «لا أدري حقًا. ذلك الأحمق إدارد ستارك اتَّهمني بالشَّيء ذاته، ولَمَحَ إلى أن اللورد آرن شكٌّ في... أو اعتقدَ أن...».

- «أنكِ تُضاجعين عزيزنا جايمي؟».

وصفَعته سرسي.

قال تيريون وهو يَفْرُكُ وجنته: «أتحسبيني أعمى مثل أيننا؟ لا يهْمُنِي مَنْ تنامين معه... وإن كان لا يبدو من العدل أن تفتحي ساقيكِ لأخٍ دون الثَّاني».

وصفَعته سرسي.

- «رِفْقِكِ يا سرسي، إِنني أَمَارِحِكِ لا أَكْثَر. الْحَقُّ يُقالُ إِنني أَفْضَلُ عَاهِرَةً لَطِيفَةً عَلَيْكِ، فلم أَفْهَمُ قَطُّ ما يَراهِ چايِمي فِيكِ بِخِلافِ انْعِكَاسِهِ». وَصَفَعَتْهُ سَرَسِي.

كَانَتْ وَجَتاهُ مُحَمَّرَتَيْنِ مُتَقَدِّتَيْنِ الآنَ، لَكِنَّهُ ابْتَسَمَ وَقَالَ: «قَدْ أَغْضِبُ إِذَا اسْتَمَرَرْتَ فِي هَذَا».

أَوْقَفَ قَوْلُهُ يَدَهَا، وَرَدَّتْ: «وَلِمَ أَبَالِي إِذَا غَضِبْتَ؟».

قالَ تيريونَ: «إِن مَعِيَ بَعْضُ الْأَصْدِقَاءِ الْجُدُدِ، وَلَنْ يُعْجِبُوكَ عَلى الإِطْلاقِ. كَيْفَ قَتَلْتَ رُوبِرْتَ؟».

- «هُوَ قَتَلَ نَفْسَهُ، وَنَحْنُ سَاعِدُنَاهُ لا أَكْثَر. عَندَما رَأى لَانْسلُ أَنَّهُ يَنْوِي اصْطِبادَ خَنْزِيرِ بَرِي، أَعْطاهُ نَبِيذًا قَوِيًّا، نَوْعُهُ اللَّاذِعُ الْمَفْضَلُ لَكِنْ مَقْوًى ثَلاثَ مَرَّاتٍ عَمَّا اعتَادَ عَلَيْهِ، وَالْمَأْفُونُ الشَّكَرَانُ أَحَبُّهُ. كانَ يُمكنُهُ أَن يَتَوَقَّفَ عَن تَجَرُّعِهِ فِي أَيِّ وَقْتٍ شاءَ، لَكِنْ لا، لَقَدْ أَفْرَغَ قَرِبةً كَامِلَةً فِي جَوْفِهِ وَقَالَ لِلانْسلِ أَن يُحْضِرَ أُخْرى، وَالخَنْزِيرُ قَامَ بِالْباقِي. كانَ يَجْدُرُ بِكَ أَن تَحْضِرَ المَادِيَةَ يا تيريونَ، فلم أَذُقَ لَحْمَ خَنْزِيرٍ شَهِيًا كَهَذَا مَن قَبْلَ قَطُّ. لَقَدْ طَهِوهُ بِالْفِطْرِ وَالتَّفَّاحِ، وَكانَ لَهُ مِذاقُ النُّصْرِ».

- «لَقَدْ وُلِدْتَ لِتَكُونِي أَرْمَلَةً حَقًّا يا أُختاهُ». كانَ رُوبِرْتَ باراثيونَ يَروقُ تيريونَ فِي الحَقِيقَةِ، عَلى الرَغمِ مَن كَوْنُهُ أُخْرَقَ وَصَلَفًا كَثيرًا... وَلا شَكَّ أَن مِقتَ أُختِهِ لَروبرتَ لَعِبَ دَورًا فِي هَذَا. «والآنَ عَلَيَّ أَن أَنْصَرِفَ إِذا كُنْتُ قَدْ فَرِغْتُ مَن صَفْعِي»، وَثنى ساقِيهِ وَنَزَلَ مَن مَقْعَدِهِ بِصُعُوبَةٍ.

قالَتِ سَرَسِي عابِسَةً: «لَمَ أَعطيكِ الإِذنَ بِالانْصِرافِ. أريدُ أَن أَعْرِفَ كَيْفَ تَنْوِي تَحْزِيرَ چايِمي».

- «سَأُخْبِرُكَ عَندَما أَعْرِفُ. الخُطَطُ كَالْفَاكِهَةِ، تَتَطَلَّبُ دَرَجَةً مَعَيَّنَةً مَن التُّضْجِ، أَمَّا الآنَ فَأَفْكَرُ فِي الخُروجِ إِلى الشُّوارعِ وَأُخَذَ قِياساتِ هَذِهِ المَدينَةِ»، وَأَرأَحَ يَدَهُ عَلى رَأْسِ أَبِي الهُولِ المِجاوِرِ لِلبابِ، وَقَالَ: «طَلَبْتُ واحِدَ قَبْلَ أَن أَتَرَكَ، مَن فَضْلِكَ تَأْكُدي مَن عَدمَ وَقُوعِ مَكْرُوهِ لَسانِزَا اسْتارَكِ، فَلَنْ يَنْفَعُنَا أَن نَفْقدَ كِلْتا الفَتاتينِ».

هَزَّ تيريونَ رَأْسَهُ لِلسَّيرِ مَاندونَ خارِجَ قاعةِ المَجلِسِ وَقَطَعَ الرُّواقَ المَقنَطَرَ

الطَّويل، يتبعه برون، بينما لم يكن هناك أثر لتيميت بن تيميت، فسأل: «أين يدنا الحمراء؟».

- «شعرَ برغبةٍ مُلِحَّةٍ في الاستكشاف. إن أمثاله لم يُخلَقوا للانتظار في الأروقة».

- «أملُ ألا يُقتلَ أحدًا مهمًّا». رجال القبائل الذين نزلَ بهم تيريون من معاقلمهم في جبال القمر مخلصون على طريقتهم الضَّارية الخاصَّة، إلا أنهم متغطرسون ومشاكسون كذلك، ويجنحون إلى ردِّ الإهانة - حَقِيقَةً كانت أو متخيَّلةً - بالسَّلاح. «حاول أن تجده، واعمل أيضًا على أن يُسَكَنَ البقيَّةُ ويُطعموا. أريدُهم في الثُّكنة الواقعة أسفل بُرج اليد، لكن لا تجعل الوكيل يضع الغريبان الحجريَّةَ بالقرب من إخوة القمر، وقُلْ له أن يُخصَّصَ قاعةٌ كاملةٌ للرجال المحروقين وحدهم».

- «وأين ستكون أنت؟».

- «سأعودُ إلى السَّنْدان المكسور».

ارتسكت ابتسامة وقحة على وجه برون، وقال: «هل تحتاج حراسة؟ يقولون إن الشَّوارع مليئة بالأخطار».

- «سأطلبُ قائدَ حرس أهل بيت أختي وأذكِّره بأنِّي لانسُترِ مثلها بالضَّبط. ينبغي أن يتبَّه إلى أن قَسَمه لكاسترلي روك، وليس سرسي أو جوفري».

وبعد ساعةٍ خرجَ تيريون من القلعة الحمراء، مصحوبًا بدستةٍ من حرس لانسُترِ بمعاطفهم القرمزيَّة وخوذاتهم القصيرة ذات ريشة الأسد. كانوا يمرُّون من تحت الشَّبكة الحديدية عندما لاحظَ الرؤوس المعلَّقة على الأسوار، وقد اسودَّت تمامًا بفعل العفن والقطران القديم وصارت مستحيلة التَّمييز منذ فترة طويلة، فنادى قائلاً: «أيها القائد فايلار، أريدُ إنزال هذه الرؤوس غداً. أعطوها للأخوات الصَّامتات ليُنظِّفنها». خطرَ له أن توفيق كلِّ رأس مع الجثة الذي ينتمي إليها سيكون عذاباً، لكنه شرٌّ لا بُدَّ منه، فحتى في خضمِّ الحرب ينبغي الحفاظ على بعض الأصول.

قال فايلار بتردُّد: «جلالته قال لنا إنه يُريد أن تبقى رؤوس الخونة على الأسوار حتى يملأ تلك الخوازيق الثلاثة المتبقية هناك».

- «دعني أخطِر بتخمين جنوني، أحدها من أجل روب ستارك والآخَران من أجل اللوردين ستانيس ورنلي، أليس كذلك؟».

- «بلى يا سيّدي».

- «ابن أختي في الثالثة عشر من العمر اليوم يا فايلار، فحاول أن تتذكّر هذا. أريدُ إنزال هذه الرُّؤوس غداً، أو قد يحتل رأس شخصٍ مختلف أحد الخوازيق الثلاثة الباقية. هل تفهمني أيها القائد؟».

- «سأشرفُ على إنزالها بنفسي يا سيّدي».

- «عظيم»، قال تيريون ووكّز حصانه وانطلق به تاركاً ذوي المعاطف الحمراء يتبعونه بأقصى سرعة لديهم.

لقد قال لسرسي إنه ينوي أخذ قياسات المدينة، ولم يكن كاذباً تماماً. لم يرضَ تيريون لانستر عن الكثير مما رآه، فعلى الرغم من أن شوارع كينجز لاندنج كانت دوماً مزدحمةً وصاخبةً ومزعجةً، فالآن تفوح رائحة الخطر من كلّ شبر منها على نحو لا يتذكّره من زيارته السّابقة. رأى جيئةً مُلقاةً في بالوعة الصّرف بالقرب من شارع النّسّاجين وقطيعاً من الكلاب الضّارية ينهش لحمها، دون أن يبدو على أحدٍ أنه يُبالي، مع أن وجود حرس المدينة كان واضحاً وهم يقطعون الأزقة أزواجاً في معاطفهم الذّهبيّة وقمصان الحلقات المعدنيّة السّوداء وهراواتهم الحديديّة في متناول أيديهم طول الوقت، بينما ازدحمت الأسواق بأناس يرتدون ثياباً رثة يُحاولون أن يبيعوا ما في بيوتهم من ممتلكاتٍ بأيّ سعر... وفي الآن نفسه وبوضوح تام خلّت الأسواق من أيّ مُزارعين يبيعون طعاماً. كان ثمة بائع متجول يُنادي على جرذان مشويّة على سيخ صائخاً: «جرذان طازجة! جرذان طازجة!». لا شك أن النّاس يُفضّلون أكل الجرذان الطّازجة على الجرذان الباتّة المتعفّنة، لكن ما أثار رُعبه حقّاً أن الجرذان بدت شهيةً المنظر أكثر من معظم ما يبيعه الجرزّارون. في شارع الدّقيق رأى تيريون حُرّاساً يقفون على أبواب كلّ محلّين من ثلاثة، وفكّر أن الخبّازين أنفسهم يُمكنهم أن يجدوا مرتزقة أرخص من الخُبز عندما تُصبح الأيام عجافاً.

قال لفايلار: «لا يوجد طعام يدخل المدينة، أليس كذلك؟».

أجاب القائد: «القليل جدًا. الطرق مغلقة من الجنوب والغرب بسبب الحرب الدائرة في أراضي النهر وحشد اللورد رنلي للمتمردين في هاي جاردن».

- «وما الذي فعلته أختي العزيزة في هذا الصدد؟».

قال فايلار مُطمئناً: «إنها تتخذ الخطوات الضرورية لإعادة سلام الملك. اللورد سلينت ضاعف عدد حرس المدينة ثلاث مرّات، والملكة كلّفت ألفاً من الحرفيين بالعمل على الدفّاعات. البناؤون يقومون بتدعيم الأسوار، والتجارون يبنون العرّادات⁽¹⁾ والمجانيق بالمشات، وصانعو السهام منشغلون بصنعها، والحذّادون يُطَرِّقون الشيوف، ورابطة الخيميائيين تعهّدت بعشرة آلاف من جرار النّار السّعواء⁽²⁾ بخلاف كلّ هذا».

تحرك تيريون بغير راحة فوق سرجه. كان مسروراً لأن سرسي لم تتلکأ، لكن النّار السّعواء شيء لا يؤمن جانبه، وعشرة آلاف جرّة تكفي لأن تنفخهم كينجز لاندنج بأكملها. «أين وجدت أختي النّقد الكافي لكلّ هذا؟». ليس سراً أن الملك روبرت ترك العرش غارقاً في الدُّبُون، ثم إنه من غير المعروف عن الخيميائيين أنهم يفعلون شيئاً بلا مقابل.

- «اللورد الإصبع الصّغير يجد وسيلة دائماً يا سيّدي. لقد فرض ضريبة على من يرغبون في دخول المدينة».

- «نعم، سيصلح هذا»، قال تيريون وهو يُفكّر: وسيلة ذكيّة، ذكيّة وقاسية. عشرات الآلاف فرّوا من القتال إلى الأمان المفترّض في كينجز لاندنج، ولقد رآهم على طريق الملوك، جماعات من الأمّهات والأطفال والآباء المتوتّرين، كلهم يرمق خيوله وعرباته بنظرات كلها اشتها. سوف يبيعون كلّ ما يملكون لا محالة بمجرد وصولهم إلى المدينة، بغية أن يضعوا تلك الأسوار العالية المُطمئنة بينهم وبين الحرب... وإن كانوا اليّفكّرون مرّتين إذا عرفوا بأمر النّار السّعواء.

(1) العرّادة ضرب من المجانيق تُقذف به الأحجار والسّهام الكبيرة.

(2) النّار السّعواء تُعرف في عالم الواقع باسم نار الإغريق، وهي سائل حارق سريع الاشتعال تکرّر استخدامه في المعارك البحريّة قديماً، ولا أحد يعرف مكوّناته على وجه الدقّة.

كان الخان الذي تعلق بابه لافتة السندان المكسور يستقرُّ على مرأى من تلك الأسوار، بالقرب من بوابة الآلهة التي دخلوا منها هذا الصُّباح، واندفع صبيُّ لِيُساعد تيريون على التَّرجُّل عن حصانه فور أن رآه يَدْخُلُ فناء الخان مع حُرَّاسه. قال القزم لفايلار: «خُذ رجالك وعُد بهم إلى القلعة. سأقضي اللَّيلة هنا».

بدا قائد الحرس متردِّداً وهو يقول: «هل ستكون في أمان يا سيِّدي؟» - «بالنسبة لهذا أيها القائد، الخان كان مليئاً بالأذان السوداء عندما غادرتَه هذا الصُّباح، ما يعني أن لا أحد في أمانٍ كاملٍ في وجود تشلا بنت تشيك»، وتحرك تيريون متمائلاً نحو الباب تاركاً فايلار يحزر معنى كلامه.

استقبلته عاصفة من المرح وهو يَدلف إلى قاعة الخان العامَّة، وتعرَّف على فقهه تشلا الجشَّاء وموسيقى ضحكة شاي الأكثر رَقَّة. كانت الفتاة جالسةً إلى مائدة خشبيَّة مستديرة على مقربةٍ من المستوفد، ترشف التَّبِيذ في صُحبة ثلاثة من الأذان السوداء الذين تركهم لحراستها، بالإضافة إلى رجلٍ ممثلي الجسد يُوليه ظهره، فافترض أنه صاحب الخان... إلى أن نادَتْ شاي تيريون بالاسم فنهض المتطفِّل. «سيِّدي العزيز، كم أنا مسرور لرؤيتك»، قال الرَّجل بلهفةٍ وعلى وجهه المغطى بالمساحيق ابتسامة الخصيِّ النَّاعمة.

كان تيريون مشدوهاً وهو يقول: «لورد فارس، لم أتوقَّع أن أراك هنا. فليأخذه «الآخرون». كيف عثر عليهم بهذه السَّريعة؟

ردَّ فارس: «سامحني على تطفُّلي، لكنني شعرتُ بلهفةٍ مفاجئةٍ لرؤية الليدي السَّابَّة».

- «الليدي السَّابَّة»، قالت شاي مستطعمةً الكلمات. «أنت نصف مُحِق يا سيِّدي، فأنا سَابَّة فعلاً».

في الثَّامنة عشر من العُمُر، في الثَّامنة عشر وعاهرة، لكن سريعة البديهة ورشيقة كِقِطَّة تحت الأغطية، عيناها داكنتان واسعتان وشعرها أسود ناعم، ولديها فمٌ عذب ولينٌ وجائع... وملكي أنا! عليك اللَّعنة أيها الخصي. قال بكياسةٍ أرغم نفسه عليها: «أخشى أنني أنا المتطفِّل يا لورد فارس. كنت منغمساً في المرح لما دخلتُ».

قالت شاي: «سيدي فارس أثنى على آذان تشلا وقال إنها قتلت رجالاً كثيرين بالضرورة كي تصنع قلادة رائعة كهذه». أثار استياءه أن يسمعا تدعو فارس بـ «سيدي» بتلك الثبرة التي تدعوه بها وهما يلعبان في الفراش. «وتشلا قالت له إن الجبناء وحدهم يقتلون المهزومين».

- «من الأشجع أن يترك الرجل حيًا ولديه فرصة أن يغسل عاره بأن يستردَّ أذنه إذا استطاع»، قالت تشلا السمرء صغيرة الحجم التي علقت في قلاذتها البشعة ما لا يقل عن ست وأربعين أذنًا جافة مجمعة. كان تيريون قد عدها ذات مرة. «بهذه الطريقة فقط يمكنك أن تثبت أنك لا تخاف أعداءك».

صاحت شاي ضاحكة: «ثم قال سيدي إنه لم يكن لينام أبدًا لو كان من الأذان السوداء، خشية أن يحلم برجال ذوي أذن واحدة». قال تيريون: «هذه مشكلة لن أضطرَّ لمواجهتها أبدًا، فأنا أشعرُ بالرعب من أعدائي، ولهذا أقتلهم جميعًا».

هقهة فارس وقال: «هل ستحتسي النبيذ معنا يا سيدي؟».

- «سأحتسي النبيذ»، قال تيريون وهو يجلس إلى جوار شاي. كان يُدرك ما يحدث هنا وإن لم تُذكر تشلا والفتاة. كان فارس يوصل رسالة، وعندما قال: شعرتُ بلهفة مفاجئة لرؤية الليدي الشابة، فما قصده هو: لقد حاولت أن تُحبِّبها، لكنني عرفتُ مكانها ومن تكون، وها أنا ذا. تساءل عمن خانته، صاحب الخان أم صبي الاسطبل أم حارس على البوابة... أم أحد رجاله؟ قال فارس لشاي وهو يصبُّ النبيذ في الكؤوس: «أحبُّ دائمًا أن أدخل المدينة من بوابة الآلهة، فالنقوش على مبنى البوابة رائعة الجمال بحق، وتجعلني أبكي كلما رأيتها. الأعين... إنها معبرة للغاية، أليس كذلك؟ تبدو كأنها تكاد تبعك بنظراتها وأنت تمرُّ من تحت الشبكة الحديدية».

ردت شاي: «لم ألاحظها يا سيدي، لكنني سألقي نظرة عليها غدًا إذا أردت».

فكر تيريون وهو يُدوِّر النبيذ في كأسه: لا تُعجبني نفسك يا خلوتي، إنه لا يُبالي مقدار خردلية النقوش. تلك الأعين التي يزو بها أعينه هو، وما يقصده أنه كان يُراقب وأنه عرف بوجودنا هنا لحظة دخولنا من البوابة.

قال فارس: «توخي الحذر يا صغيرتي، فكينجز لاندنج ليست آمنة جدًا هذه الأيام. إنني أعرف هذه الشوارع جيدًا، لكنني كدت أخشى أن آتي اليوم وأنا بمفردي وأعزل. الخارجون على القانون في كل مكان في أوقاتنا العصيبة هذه، أوه، نعم، رجال سلاحهم بارد وقلوبهم أكثر برودة». كانت ترجمة كلامه: حينما يُمكنني الذهاب بمفردي ودون سلاح، فمن الممكن أن يذهب آخرون وفي أيديهم السيوف.

اكتفت شاي بضحكة وقالت: «إذا حاولوا مضايقتي ستعوز كلاً منهم أذن عندما تفرغ منه تشلا».

ضحك فارس كأن هذا أطرف شيء سمعه على الإطلاق، لكن عينيه كانتا خاليتين من الضحك تمامًا عندما أدارهما إلى تيريون قائلاً: «سيدتك الشابة شديدة اللطف. لو كنت مكانك لاعتنيت بها لأقصى حد».

- «هذا ما أنتوبه. إذا حاول أحد أن يؤذيها... الحقيقة أنني أصغر حجمًا من أن أكون أذنًا سوداء، ولست أدعي الشجاعة». أرايت؟ إنني أتكلّم اللغة نفسها أيها الخصي. امسها بأذى وسأقطع رأسك.

نهض فارس وقال: «سأترككما الآن. أعرف أنك مرهق للغاية، لكنني أردت أن أرحّب بك يا سيدي وأخبرك كم أنا مسرور بوصولك. إننا في حاجة ماسة إليك في المجلس. هل رأيت المذنب؟».

قال تيريون: «أنا قصير القامة ولست أعمى». على طريق الملوك بدا المذنب كأنه يُغطّي نصف السماء وقد فاق الهلال سطوعًا.

قال فارس: «يسمونه في الشوارع «الرّسول الأحمر»، ويقولون إنه يأتي كنذير قبل مجيء ملك، ليحذر من النار والدّماء التي تتبعه»، وفرك الخصي يديه المدهونتين بالمساحيق معًا وأردف: «هل تسمح لي بأن أغادرك بأحجية صغيرة أيها اللورد تيريون؟»، ولم ينتظر الإجابة وواصل: «في غرفة يجلس ثلاثة رجال عظماء، ملك وراهب وثريّ معه ذهبه، وبينهم يقف مرتزق، رجل تقليدي بلا حسب أو نسب أو ذكاء خاص، وكلّ من الثلاثة العظماء يطلب منه أن يقتل الاثنين الآخرين. يقول الملك: افعلها، فأنا مليكك بالشرع والقانون، ويقول الرّاهب: أمرك أن تفعلها باسم الآلهة، ويقول الثّري: افعلها، ولك كلّ

ما معي من ذهب. قُل لي إذن، من يعيش ومن يموت؟»، وانحنى الخصي بشدة وأسرع يُغادر المكان خاطبًا بحُفَهِ النَّاعِمِينَ. أطلَّقت تشلا نَخيرًا عندما رحلَ، بينما قطَّبت شَيَّي وجهها قائلةً: «إنه الثَّري، أليس كذلك؟».

رشفَ تيريون من نبيذه مفكَّرًا وغمغمَ: «ربما، وربما لا. يبدو أن المسألة تعتمد على المرتزق نفسه»، ثم وضع كأسه وقال: «هيا، لنصعد إلى أعلى». اضطَرَّت لأن تنتظره على قَمَّة السَّلالِم، فساقاها نَحيلتان لَيَّتَانِ بينما ساقاه قصيرتان غير مكتملتَي النُّمو وتؤلَّمانه بشدَّة، لكنها كانت تبتسم عندما بلغها أخيرًا، وقالت مداعبةً وهي تُمسِك يده: «هل أوحشتك؟».

قال تيريون: «للغاية». كان طولها يزيد على الأقدام الخمسة بقليل، ومع ذلك عليه أن يرفع عينيه إليها... لكنه وجد في حالتها أنه لا يُمانع، فالتطلع إلى مُحَبَّابها الجميل من أسفل لا بأس به على الإطلاق.

قالت وهي تقوده إلى عُرفتها: «ستفتقدني طيلة الوقت في قلعتك الحمراء وأنت وحدك تمامًا في فراشك البارد في بُرج اليد هذا».

- «صحيحٌ تمامًا». كان تيريون ليُبقِيها إلى جواره بكلِّ ترحاب، لكن السيِّد والده نهاه عن ذلك. لن تأخذ العاهرة معك إلى البلاط، قال اللورد تايرين أمراء، ومجيء تيريون بها إلى المدينة كان أقصى تحدٍّ يقدر عليه. كلُّ سُلطته هنا مستمدة من أبيه، وعلى الفتاة أن تفهِّم هذا. وعدَّها قائلًا: «لن تكوني بعيدة، وسيكون لديك منزل بخدم وخرس، وسأزورك كلما استطعت».

ركلت الباب لتُغلِّقه، وعبر ألواح رُجاج النَّافذة القاتمة استطاع أن يُميِّز سِهت بيلور الكبير متوجَّأً نَلَّ فيزيينا، وإن جذب انتباهه منظر آخر عندما انحنَّت شَيَّي وشدَّت فُستانها من حافَّتِه وسحبته فوق رأسها، ثم ألقته بعيدًا ليلوح أنها لا تؤمن بارتداء الثَّياب الدَّاخِلِيَّة. «لن تتمكن من الرَّاحة أبدًا»، قالت وهي تقف أمامه عاريةً متورِّدةً تسرُّ العين، وقد وضعت يدها على وركها. «ستُفكر فيَّ كلما خلدت إلى فراشك، وعندها ستتصب ولن تجد أحدًا يُساعدك ولن تستطيع النَّوم أبدًا حتى...»، وارتسمت على شفَّتها تلك الابتسامة الخبيثة التي يُحِبُّها تيريون مستكملةً: «ألهذا يُسمُّونه بُرج اليد يا سيدي؟».

قال أمراً: «اصمتي وقبّليني».

تذوّق طعم التّبيّد على شفّتها، وأحسّ بنهديها المشدودَيْن الصّغيرَيْن ينضغطان عليه وهي تحلُّ أريطة سراويله بأصابعها. «أسدي»، همست عندما قطع القُبلة ليخلع ثيابه. «مولاي الجميل، عملاقي ابن لانستر». دفعها تيريون إلى الفراش، وعندما ولجّها صرّحت بصوت كفيل بإيقاظ بيلور المبارك في قبره، وتركت أظفارها تقوّتا في ظهره. في حياته لم يشعُر بالمِ أحبّه كهذا على الإطلاق.

أحمق، قال لنفسه بعد أن فرغا وتمدّدا في منتصف حشّة الفراش المرتخية بين الملاءات المتشابكة، ألن تتعلّم أبداً أيها القزم؟ إنها عاهرة عليك اللعنة، تحبّ نفودك لا قضيبك. هل تذكّر تايشا؟ لكن عندما مسّت أصابعه حلمتها بخفّة شعّر بها تتصبّب، ورأى العلامة التي خلّفتها عضّته في نهدها في خضمّ نشوته.

سألته وهو يطوّق لحم التّهد الدّافئ اللّدن بيده: «ماذا ستفعل الآن يا سيدي وقد أصبحت يد الملك؟». غمغم وقد دسّ وجهه في عنقها الممشوق: «سأفعلُ شيئاً لن تتوقّعه سوسي أبداً، سأقيم العدل».



بران

يُفَضَّلُ بران الجلوس على المقعد الحجري الصُّلب المجاور للتَّافِذَةِ، على الرَّاحَةِ تحت الأغطية على فراشه المحشُو بالرَّيش. في الفراش يَشْعُرُ كأنَّ الجُدران تنطَبِقُ عليه والسَّقف ينضِغُ بِثِقَلٍ من فوقه، وفي الفراش تكون غُرْفَتُهُ زَنَازَنَةً وويترفل سجنه، لكن من خارج التَّافِذَةِ لا يزال العالم الواسع يُناديه. هو لا يستطيع أن يمشي أو يتسلَّق أو يصطاد أو يُقاتِلَ بسيفٍ خشبيٍّ كما اعتاد أن يفعل من قبل، لكنه ما زال يستطيع أن يَنْظُرَ. إنه يُحِبُّ أن يتفرَّجَ على التَّوافِذِ إذ يبدأ الوهج يلوح منها في كلِّ أرجاء ويترفل، مع اشتعال الشموع والمستوفدات من وراء ألواح الرُّجَاج ذات الشُّكل الماسي في الأبراج والقاعات، ويُحِبُّ أن يُصغي لغناء الذُّبَّيْن الرَّهْيَيْنِ للنجوم.

في الفترة الأخيرة كان يَحُلُمُ كثيرًا بالذَّئاب، ويقول لنفسه عندما يعلو عواء الذُّبَّيْن الرَّهْيَيْنِ: إنهما يَكَلِّمانني كما يَكَلِّمُ الأخ أخاه، بل ويكاد يفهمهما... ليس تمامًا، وليس حقًّا، لكن تقريبًا... كأنهما يُغَنِّيَانِ بُلْغَةً كان يُجيدُها ذات يوم وإن نسيها بشكل ما. قد يكون الصَّبَّيَّانِ والدر خائفَيْنِ منهما، إلا أن دماء الذَّئاب تجري في عُرُوقِ أبناء ستارك كما أخبرته العجوز نان من قبل، وإن أضافت محذرة: «لكنها أقوى في البعض من البعض الآخر».

عواء سمر طويل وحزين، مليء باللوعة والاشتياق، بينما عواء شاجيدوج أكثر ضراوةً ووحشيةً. تردَّد صدى صوتيهما عبر السَّاحات والقاعات حتى ارتفع رنينه في القلعة كلها، فبدأ كأن قطيعًا عظيمًا من الذَّئاب الرهيبة يَسْكُنُ ويترفل بدلًا من اثنين منها لا أكثر... الاثنين اللذين تَبَقَّيا ممَّن كانوا ستَّة.

تُرى هل يفتقدان أخويهما وأختيهما مثلي؟ هل يُناديان جراي ويند وجوست ونايميريا وطيف ليدي؟ هل يُريدان أن يعودوا إلى بيتهم ليكونوا قطيعًا واحدًا معًا؟

- «مَنْ يدري ما يدور في عقول الذئاب؟»، قال السير رودريك كاسل عندما سأله بران عن سبب العواء المستمر. كانت السيِّدة والدة بران قد عيّنت الفارس العجوز أمينًا لويترفل في غيابها، وواجباته لا تترك له الكثير من الوقت للأسئلة عديمة الجدوى.

- «يُريدان الحرّية»، أعلن فارلن قِيم وجار الكلاب، الذي لا يُكِنُّ للذئاب الرّهية حُبًّا أكثر مما تفعل كلابه. «إنهما يكرهان الحبس، ومَنْ يلومهما؟ الكائنات الضّارية مكانها البراري لا القلاع».

- «يُريدان الصِّيد»، قال جايج الطّاهي مؤمنًا علي كلامه وهو يُلقي مكعبات من شحم الماشية في قدر ضخمة من اليخنة. «الذئاب تستطيع السَّم أفضل من أيِّ إنسان، وغالبًا اشتتًا رائحة فريسة ما».

لم يُوافقهما المايستر لوين الرّأي، وقال: «غالبًا ما تعوي الذئاب للقمر، أمّا هذان فيعويان للمذنب. أترى كم هو ساطع؟ من الوارد أنهما يحسبان القمر». وحين أفضى بران بهذا لأوشا، ضحكّت الهمجيّة بصوت عالٍ قائلة: «هذان الذئاب أذكى من مايستركم بكثير، إنهما يعرفان حقائق نسيها العجوز منذ زمن». الطّريقة التي قالتها بها جعلته يرتجف، وعندما سألها عن معنى المذنب أجابت: «الدّم والنّار أيها الصّبي، ولا خير على الإطلاق».

سأل بران السّتون كايِل عن المذنب وهما يتصفّحان بعض المخطوطات التي استنقذوها من حريق المكتبة، فقال له: «إنه السّيف الذي يَقتُل الفصول»، وبعدها بفترة قصيرة جاء الغُدا ف الأبيض من البلدة القديمة حاملًا نبأ الخريف، فلا شك أن الرّجل كان مُحققًا إذن.

على أن العجوز نان خالّفته الرّأي، وتلك المرأة عاشت سنينًا أطول من أيِّ منهم، وقالت وهي ترفع رأسها وتنشّق الهواء: «التّانين». كانت شبه ضريرة ولم تر المذنب حقًا، وإن ادّعت أنها تشم رائحته، وقالت بإصرار: «إنها التّانين أيها الصّبي». كعادتها، لا تُخاطبه نان بـ«الأمير» أبدًا.

وقال هودور: «هودور»، الكلمة الوحيدة التي لا يقول غيرها.

**ولا يزال هواء الذئبين الرهيبين يرتفع عاليًا، جاعلاً الحُرَّاس على الأسوار
يُذمِّدون باللُّعنات، وكلاب الصَّيد تنبح بهياج في الوَجَار، والخيول تُرْفَس
في الاسطبلات، والصَّيَّتين والدر يرتجفان إلى جوار النَّار. حتى المايستر
لوين اشتكى من الأرق، بينما بران هو الوحيد الذي لم يُمانع. كان السير
رودريك قد حبسَ الذَّئبين في أَيْكة الآلهة بعد أن عَضَّ شاجيدوج والدر
الصَّغير، لكن الصَّوت يُمارِس حيلًا غريبةً بين أحجار ويتربَّل، ليدو كأن
الذَّئبين يقفان تحت نافذة بران مباشرةً، وفي أحيانٍ أخرى كان يُقسِم أنهما
يتواثبان هنا وهناك على الأسوار الواقعة كأنهما يحُرَّسانها.
كم يتمنَّى أن يراهما.**

ما كان يراه هو المذنب المعلق في السَّماء فوق قاعة الحُرَّاس وبُرج
الجرس ومن ورائهما القلعة الأولى بتكوينها المكتنز المستدير، وقد
استحالت كراجلها أشباحًا سوداء على خلفيّة الفسق الأرجواني كلون
الكدمات. في السَّابق كان بران يعرف كلَّ حجر في تلك المباني من الدَّاخِل
والخارج، فقد تسلَّقها جميعًا وصعدَ على الجُدُرَان بالبساطة ذاتها التي يجري
بها بقية الصَّبية نازلين السَّلام، فأصبحت الأسطح مخبأ السَّرِّي والغربان
فوق البُرج المكسور أصدقاءه.
ثم سقط.

لا يذكُر بران السَّقطة، لكنهم يقولون إنه سقط، فلا بُدَّ أن هذا صحيح
وأنه كان على شفا الموت. عندما رأى الكراجل التي أبلتها عوامل الطَّقس
فوق القلعة الأولى حيث كانت السَّقطة، تمكَّن منه إحساس غريب بالشَّد في
معدته، والآن لا يستطيع التسلُّق أو المشي أو الجري أو التَّزال بالسَّيف، وكل
أحلام الفُروسيَّة في مخيلته راحت هباءً.

عوى سَمِر يوم سقطَ ولأيام طويلة بعدها بينما كان بران مكسورًا طريح
الفِراش، كما أخبره روب قبل أن يُغادر إلى الحرب. لقد بكاه سَمِر، وانضمَّ
إليه شاجيدوج وجراي ويند في حُزنه، وليلة جاء الغُدا فالدَّامي بخبر موت

أيّيه أدرك الذئبان هذا أيضًا. ليلتها كان بران في بُرج المايستر مع ريكون، يتكلّم عن أطفال الغابة، عندما أغرق سمر وشاجيدوج صوت لوين بعوّائهما. من يندبان هذه المرأة؟ هل قتل أحدهم الملك في الشّمال الذي كان أخاه روب حتى فترة قريبة؟ هل سقط أخوه النّغل چون سنو من فوق «الجدار»؟ هل ماتت أمّه أو إحدى أختيه؟ أم أن هناك سببًا آخر كما يتصوّر المايستر والسّبتون والعجوز نان؟ قال لنفسه مغتمًا: لو كنتُ ذنبًا رهيبًا حقًا لفهمتُ الأغنية. في أحلام الذئاب التي يراها يعدو صاعدًا الجبال، جبالًا جليديّة حادّة الصّلوع وأعلى من أيّ بُرج، وفوق القمّة يقف تحت القمر المكتمل والعالم كله من تحته كما كان من قبل.

صاح بران بنبرة متردّدة: «آووو!»، ثم إنه ضمّ يديه حول فمه ورفع رأسه إلى المذنب وعوى: «آوووودودودودودودودودودو! آهوودودودودودودو!».

بدا الصّوت سخيّفًا، مرتفعًا وأجوف ومرتجفًا كعواء طفل صغير وليس ذنبًا، غير أن سمر جاوبه بصوته العميق الذي طغى على صوت بران الرّفع، وانضمّ إليهما شاجيدوج ليصنع جوقة من ثلاثتهم، وعوى بران من جديد وتجدّد عواء الثلاثة معًا، آخر من تبّعوا من قطيعهم.

جذبت الصّوضاء حارسًا إلى عُرقته، هايهد ذا الكيس الذهني على أنفه، الذي دسّ رأسه من فُرجة الباب ليرى بران يعوي في النّافذة، فقال: «ماذا تفعل أيها الأمير؟».

كان شعور غريب ينتاب بران كلما دعاه أحدهم بـ«الأمير»، على الرغم من أنه وريث روب، وروب هو الملك في الشّمال الآن. أدار رأسه ليعوي في وجه الحارس: «آوووودودودو! آوو-وودودودودودودودو!».

قطّب هايهد وجهه وقال: «توقّف عن هذا».

- «آوو-وودودودو! آوو-وودودودودودودودودودو!».

انسحب الحارس، وعندما عادَ كان معه المايستر لوين الذي ارتدى ثيابه الرماديّة بالكامل وسلسلته المشدودة حول عنقه، وقال: «بران، هذان الحيوانان يُصدّران ضجّة كافية دون مساعدتك»، وقطع العُرفة ووضع يده على جبهة الصّبي مضيقًا: «لقد تأخّر الوقت، وينبغي أن تكون نائمًا بعمق».

أزاح بران يد العجوز وقال: «إنني أكلّمهما».

- «هل أجعل هايبه يحملك إلى سريرك؟».

- «يُمكّني الذهاب إلى السرير وحدي». كان يمكن قد دَقَّ صفًا من

القضبان الحديدية في الجدار، ليستطيع بران أن يسحب نفسه عبر الغرفة بذراعيه، وهي العملية البطيئة العسيرة التي أوجعت كتفيه، وإن كان يكره أن يُحلم كذلك. «وعلى كلِّ حالٍ لستُ مضطرًا لأن أنام إذا كنتُ لا أرغب».

- «ينبغي أن ينام الجميع يا بران، حتى الأمراء».

قال بران: «إنني أتحوّل إلى ذئب عندما أنام»، وأشاح بوجهه ليرمق الليل

من جديد وتساءل: «هل تحلم الذئاب؟».

- «كل المخلوقات تحلم على ما أعتقد، لكن ليس مثل البشر».

- «وهل تحلم الموتى؟»، سأله بران وهو يُفكر في أبيه. في السرايب

المظلمة أسفل ويترفل كان ثمة نحات ينقش ملامح أبيه في الجرانيت.

أجاب المايستر: «البعض يقول نعم والبعض يقول لا، أمّا الموتى أنفسهم

فلا يُعلّقون على تلك المسألة».

- «وهل تحلم الأشجار؟».

- «الأشجار؟ كلا».

- «بل تحلم»، قال بران بيقين مفاجئ. «إنها تحلم أحلام الأشجار، وأنا

أحلم بشجرة أحيانًا، شجرة ويروود كالتي في أيكة الآلهة. إنها تُناديني... لكن

أحلام الذئاب أفضل، ففيها أشم رائحة كلِّ شيء، وأحيانًا أحسُّ بمذاق الدّم

على لساني».

شدَّ المايستر لوين سلسلته حيث حكّت عنقه، وقال: «ليتك تقضي المزيد

من الوقت مع بقيّة الصّبية».

- «إنني أكره بقيّة الصّبية»، قاطعه بران قاصدًا الصّبيّين والدر بالتحديد، ثم

قال: «أمرّك بأن تصرف الودرين».

ردّ لوين بصرامة: «الصّبيان فراي ريبان لدى السيّدة والدتك، وأرسلنا

لينشًا هنا بأمر صريح منها، وليس لك أن تطرّدهما، وليس من اللطف أن

تفعل. أين سيذهبا إذا صرفناهما؟».

- «إلى ديارهما. إنها غلظتهما أنك ترفُض أن يكون سمر معي».
- «صبيّ فراي لم يَطْلُب أن يتعرّض للهجوم، تمامًا كما لم أطلب التعرّض إليه من قبله».

- «شاجيدوج هو مَنْ هاجمَه». كان ذئب ريكون الأسود الكبير شديد الضّراوة للدرجة أن بران نفسه كان يخشاه أحيانًا. «سمر لم يعصّ أحدًا من قبل».

- «سمر مزقَ خلقَ رجل في هذه العُرفة بالتَّحديد، أم أنك نسيت؟ الحقيقة أن تلك الجراء الجميلة التي عثرت عليها مع أخويك وسط الثلوج كبرت وصارت وحوشًا خطيرة، والصّبيان فراي حكيমান بما يكفي لأن يحذرا منها».
- «يجدُر بنا أن نضع الوالدين في أيكَة الآلهة. فليلعبا «سيد المعبر» هناك كما أحبّا، ولينم سمر معي هنا مجدّدًا. لِمَ لا تُصغون إليّ ما دمتُ الأمير؟ أردتُ أن أركب دانسر كذلك، لكنّ ألبلي لا يسمح لي بالخروج من البوّابة».
- «وهو على حق. غابة الذّئاب تعجُّ بالأخطار، وكان ينبغي أن تُعلّمك رحلتك الأخيرة إلى هناك هذا. هل تُريد أن يختطفك خارج ما على القانون ويبيعك إلى عائلة لانستر؟».

قال بران بعناد: «سمر سيُنقذني. من المفترّض أن يكون مسموحًا للأمرء بركوب البحر وصيد الخزائير البريّة في غابة الذّئاب والنّزال بالرّماح».
- «بران يا صغيري، لماذا تُعذّب نفسك هكذا؟ قد تفعل بعض تلك الأشياء ذات يوم، لكنك مجرّد ولدٍ في الثامنة الآن».

- «أفضّل أن أكون ذئبًا. عندها سأعيشُ في الغابة وأنامُ حينما أريدُ، وأعثرُ على آريا وسانزا كذلك. سأعرفُ أين هما من راثحتيهما وأذهبُ لإنقاذهما، وأحاربُ إلى جوار روب مثل جراي ويند عندما يذهب إلى المعركة، وأمزقُ خلقَ قاتل الملك بأنياي تمزيقًا، ثم ستنتهي الحرب ويعود الجميع إلى ويترفل. لو كنتُ ذئبًا...»، وعاد يعوي من جديد: «أوو-ووو-وووودودودودودو».

رفع لوين صوته قائلاً: «الأمير الحقُّ يرحّب بـ...».

وقاطعه بران عاويًا بصوتٍ أعلى: «آهوودودودو! أووو-أووو-أووو!».

قال المايستر باستسلام: «كما تشاء أيها الصغير»، وبنظرة نصفها حزن ونصفها امتعاض غادر الغرفة.

فقد العواء نكهته بمجرد أن أصبح بران بمفرده، وبعد فترة لاذ بالصمت وقال لنفسه مستاء: لقد رجبتُ بهما، كنتُ سيّدًا وبترفل، كنتُ سيّدًا حقيقيًا، ولا يمكنه أن يقول العكس. عندما وصلَ والدبران من «التّوأمتين»، كان سيكون هو من أرادهما أن يرحلا، وصرخَ الطّفل ذو الأعوام الأربعة بأنه يُريد أمّه وأباه وروب، وليس هذين الغريبين، فكان على بران أن يُهدّته ويُرحّب بابني فراي، فقدّم لهما الطّعام والشّراب وأجلسهما إلى جوار المستوقد، وحتى المايستر لوين نفسه قال بعدها إنه أبلى بلاءً حسنًا. غير أن ذلك كان قبل اللّعبة.

تطلّب اللّعبة جذع شجرة وعصًا ومسطّحًا مائيًا، والكثير جدًّا من الصّباح. أكّد والدِر ووالدِر لبران أن الماء هو الجزء الأهمّ على الإطلاق، حيثُ يمكنكُ أن تستعِض بلوح خشبٍ قوي أو صَفٍّ من الأحجار عن الجذع، وتستخدم فرع شجرة بدلًا من العصا، وليس من الضروري أن تصيح، لكن من غير الماء ليست هناك لّعبة. بطبيعة الحال لم يكن المايستر لوين والسير رودريك ليسمحا للأطفال بالتّجوال في غابة الذّئاب بحثًا عن جدول ماء، فاكثفوا بواحدة من البرك التي يتصاعد منها البخار في أبكة الآلهة. لم يكن والدِر ووالدِر قد رأيا مياهاً ساخنة تفور من الأرض من قبل، وإن أقرّا بأن هذا سيجعل اللّعبة أفضل كثيرًا.

كلاهما كان اسمه والدِر فراي، وقال والدِر الكبير إن هناك مجموعات كاملة ممّن اسمهم والدِر في «التّوأمتين»، كلهم ممسّى تيمُنًا بجدهم اللورد والدِر فراي. قال لهما بران بغطرسةٍ عندما سمعَ هذا: «لكلّ منا اسمه الخاص هنا في ويترفل».

تُمارَس اللّعبة بأن تضع جذع الشّجرة عبر الماء بالعرض، ويقف أحد اللّاعبين في المنتصف حاملًا العصا باعتباره سيّد المعبر، وعندما يأتي إليه لاعب آخر يقول له: «أنا سيّد المعبر، مَنْ هناك؟»، فيكون على اللّاعب الآخر أن يلقي خطابًا يصف فيه من هو ولم ينبغي أن يُسمَح له بالعبور. يستطيع السيّد

أن يجعل الآخرين يُقسِمون على أشياء ويُجيبون على أسئلته، وإن لم يكن من الضروري أن يقولوا الحقيقة، بينما القسم مُلزم، ما لم يتضمَّن كلامك كلمة «ربما»، أي أن الحيلة هنا أن تقول «ربما» دون أن ينتبه سيّد المعبر. بعدها يمكنك أن تُحاول أن تُسقطه في الماء لتُصبح أنت سيّد المعبر، لكن فقط إذا قلت «ربما»، وإلا ستُخرج من اللعبة. يستطيع سيّد المعبر أن يُسقط أيّ لاعب يُريد في الماء في أيّ وقت، وهو الوحيد المسموح له باستخدام العصا.

من الناحية العمليّة كانت اللعبة تُلخّص غالبًا في الصّياح والضّرب والسّقوط في الماء، مع الكثير من الشّجار الصّاحب الذي يدور حول قول أحدهم «ربما» من عدمه. غالبًا ما كان والدر الصّغير هو سيّد المعبر، وكان الصّغير على الرغم من أنه طويلًا ممتلئ الجسم ولديه وجه أحمر وبطن كبير مستدير، أمّا والدر الكبير فكان حادّ الملامح نحيلًا وأقصر قامَةً ينصف قدم. قال والدر الصّغير مفسّرًا: «إنه يَكْثُرُني باثنين وخمسين يومًا، وكان أكبر مني حجمًا في البداية لكن نموّي كان أسرع منه».

وأضاف والدر الكبير (الأصغر حجمًا): «إننا ابنا عم ولسنا أخوين. أنا والدر بن جاموس، وأبي ابن اللورد والدر من زوجته الرّابعة. هو والدر بن مريت، وجدّته كانت زوجة اللورد والدر الثّالثة، سليله عائلة كراكهول. إنه يسبقني في تسلسل الوراثة مع أنني أكبره سنًا».

قال الصّغير محتجًا: «باثنين وخمسين يومًا فقط، ولا أحد منا سيُصبح سيّد «الثّوأميتين» أيها الأحمق».

ردّ الكبير: «أنا سأصبح سيّد «الثّوأميتين». على كلّ حال هناك آخرون اسمهم والدر. السير ستفرون لديه حفيد اسمه والدر الأسود، وهو الرّابع في تسلسل الوراثة، وهناك والدر الأحمر ابن السير إامون، والدر الثّغل الذي لا يتضمّنه التّسلسل أصلًا، لأن اسمه والدر ريفرز وليس والدر فراي، كما أن هناك بنات اسمهن والدا كذلك».

- «وتير أيضًا، دائمًا ما تنسى تير».

قال والدر الكبير بلا مبالاة: «اسمه والتير وليس والدر، ثم إنه بعدنا في تسلسل الوراثة، فلا أهميّة له. الواقع أنني لم أحبه قط».

قضى السير رودريك أن يتقاسما غرفة جون سنو القديمة، بما أن جون في حرس الليل الآن ولن يعود أبداً، ولقد كرة بران هذا لأنه شعر أن ولدي فراي يُحاولان سرقة مكان جون.

كان بران يتفرّج مغتماً بينما يتبارى الوالدان مع تورنيب صبيّ الطّاهي وباندي وشايرا ابنتي چوزث، وقد عَيّن الوالدان بران حكماً لِيُقَرَّر إن كان أحدهم قد قال «ربما» أم لا، لكنهم نسوا أمره تماماً بمجرد أن بدأوا اللّعب. سرعان ما جذب الصّباح وبعثرة الماء آخريّن: بالا عاملة وِجار الكلاب، وكالون ولد كاين، وتومتو الذي مات أبوه توم السّمين مع أبي بران في كينجز لاندنج؛ ولم يمض وقت طويل حتى كانوا كلهم غارقين في الماء وملوّثين بالأوحال، ورأى بران بالا وقد غطّاه اللون البنيّ من رأسها إلى قدميها وعلّق الطّحلب في شعرها بينما تقطّعت أنفاسها من فرط الضّحك. لم يسمع بران كلّ هذا الضّحك منذ اللّيلة التي أتى فيها الغُداث الدّامي، وفكّر بمرارة: لو كانت ساقاي سليميتين لأسقطتهم جميعاً في الماء، ولما كان للمعبر سيّد سواي.

أخيراً جاء ريكون يجري إلى أيكة الآلهة وفي أعقابهِ شاجيدوج، وشاهد بينما تصارع تورنيب والدِر الصّغير على العصا، إلى أن فقد تورنيب توازنه وسقط في الماء ليُرْشّه في كلّ مكان وهو يُلّوح بذراعيه، ثم صاح ريكون: «أنا! إنه دوري! أريد أن ألعب!»، فأشار إليه والدِر الصّغير بالتقدّم وبدأ شاجيدوج يتبعه، فقال له أمراً: «لا يا شاجي، الذّئب لا تلعب. انتظر مع بران». ولقد أطاعه شاجي...

... إلى أن ضرب والدِر الصّغير ريكون بعصاه على بطنه، وقبل أن يرتدّ إلى بران طرفه كان الذّئب الأسود يطير بسرعة السّهم فوق لوح الخشب، وكان هناك دم في الماء، والوالدان يصرّخان كأن هناك من أشعل فيهما النّار، وريكون يجلس في الوحل ويضحك، وهودور جاء يعدو بجسده العملاق صائحاً: «هودور! هودور! هودور!».

الغريب أن بران قرّر بعدها أنه يُحبّ الوالدين. لم يلعبوا «سيّد المعبر» ثانية منذ ذلك اليوم، وإن تنوّعت ألعابهم الأخرى بين «الوحوش والعذارى»

و«قَطَط وفثران» و«تعالَ إلى قلعتي»، وغيرها. هكذا بدأ الوالدان وريكون في صُحبتهما السَّطو على الفطائر وأقراص العسل في المطبخ، وتسابقوا حول الأسوار، وألقوا العظام إلى الجراء في الوِجار، وتدرَّبوا بسِيوفٍ خَشِيَّةٍ تحت نظر السير رودريك الثَّاقِب، حتى إن ريكُون أَرَاهُمَا السَّرَادِيب العميقة تحت الأرض، حيث كان النَّحَات يَنْقُشُ مقبرة السَّيِّد والده. صرَّخَ بران في أخيه لَمَّا علِمَ بهذا: «لم يكن لديك حق! هذا مكاننا نحن، مكان أبناء ستارك!»، لكن ريكُون لم يكثر إثْـمًا إطلاقًا.

انفتحَ بابُ غُرْفَةِ نومِه، ودخلَ المَيسْتر لُوين حَامِلًا برطمانًا أخضر، وهذه المَرَّة كانت معه أوشا وهايهيد. «أعددتُ لك عَقَّارًا للنَّوم يا بران». رَفَعَتْهُ أوشا بذراعيها النَّاحِلَتَيْن. كانت طويْلَةً بالنَّسْبَةِ لامرأة وقويَّةً للغَايَةِ، وحملته إلى فِرَاشِه بلا أيِّ مَشَقَّة.

قال المَيسْتر لُوين وهو يخلع سِدَادَةَ البرطمان: «سيجعلك تنام نومًا عميقًا بلا أحلام».

قال بران وهو يُريد أن يُصَدِّقَه: «حقًّا؟».

- «نعم، اشرب».

وشربَ بران. كان العَقَّارُ ثَخِينًا وله مذاق كالطَّبَّاشِير، وإن كان محلَّى بالعسل، فاستطاعَ ابتلاعه بسهولة.

قال لُوين: «سَتُصْبِحُ أَفْضَلَ مع حلول الغد»، ومنَحَ بران ابتسامةً ورَبَّتْ على كتفه قبل أن ينصرف.

لم تلحق به أوشا وسألت بران: «أهي أحلام الذَّنَاب ثَانِيَّة؟».

أومأ برأسه إيجابًا.

- «لا ينبغي أن تُقاوِمَ بهذه القوَّةَ أيها الصَّبي. إنني أراك تُكَلِّمُ شجرة القلوب، ولعلَّ الآلهة تُحاوِلُ الرَّدَّ عليك».

- «الآلهة»، تمتَمَ وقد بدأ يَشْعُرُ بالتُّعَاس بالفعل، وتشوَّشَ وجهه أوشا أمامه وصارَ ضَبَائِبًا. نوم عميق بلا أحلام.

لكنه وجدَ نفسه في أَيْكَةِ الآلهة عندما أَطْبَقَ عليه الظَّلَام، يتحرَّكُ بصمْتٍ تحت أشجار الحارس بلونِها الأخضر والرَّمَادِي وأشجار البلوط القديمة

كالزَّمن ذاته، وفكَّر متهلِّلاً: إنني أمشي! جزءٌ منه كان يعرف أنه مجرد حُلُم، لكن حتى الحُلُم بالمشي أفضل من واقع عُرفته بجدرانها وسقفها وبابها. كان الظَّلام سائداً بين الأشجار، لكن المذنب أضاء طريقه وجعل خطاه واثقةً وهو يتحرَّك على أربع قوائم سليمة وقويَّة وسريعة. أحسَّ بالأرض من تحته، والطَّفْطقة الخافتة التي تُصدِّرها أوراق الشَّجر السَّاقطة، والجذور السَّميكة والحجارة الصُّلبة، والطبقات العميقة من دُبال التُّربة. كان إحساساً رائعاً.

أفعمت الرِّوائح المُشكِرة المفعمة بالحياة رأسه، رائحة العطن الخضراء الموحلة القادمة من البرك الساخنة، وعطر التُّربة الغنيَّة التي تتعفن تحت حوافره، والسَّناجب في أشجار البلوط كثيرة العُقد. جعلته رائحة السَّناجب يتذكَّر مذاق الدِّماء الحارَّة وكيف تتكسَّر العظام بين أسنانه، وامتلأ فمه باللُّعاب. كان قد أكلَ منذ نصف يوم على الأكثر، لكن ليس هناك ما يدعو للابتهاج في اللَّحم الميت، حتى لحم الأيل. كان يسمع صرير السَّناجب وحفيفها من فوقه وقد لاذت بأوراق الأشجار، لكنها لن تنزل أبداً إلى حيث يتسكَّع مع أخيه.

كان يشمُّ رائحة أخيه كذلك، الرَّائحة المألوفة القويَّة الغنيَّة بالتُّربة، الرَّائحة السوداء كفرائه، وقد أخذ يتراخى عند الأسوار. كان يدور ويدور، ليلةً بعد ليلةٍ بعد ليلة، بلا كمد، يبحث... يبحث عن فريسة، عن طريق للخروج، عن أمِّه، عن إخوته، عن قطيعه... يبحث ويبحث ولا يعثر على شيء أبداً.

ارتفعت الأسوار من وراء الأشجار أكواماً فوق أكوام من صخور بني الإنسان الخالية من الحياة، التي تلوح من ثغرة صغيرة مفتوحة في الخشب الحي. ارتفعت الأسوار مرقطة بالرمادي ومبقعة بالطحالب، لكن سميكة قويَّة وأعلى من أن يستطيع أيُّ ذئب أن يقفز، وسدَّ الحديد البارد والخشب الجارح كلَّ الفتحات في الأحجار المكوَّمة التي تُطوَّقهما. كان أخوه يتوقَّف عند كل فتحة ويكسَّر عن أنيابه غضباً، لكن كلَّ الطرق ظلت مغلقةً.

لقد فعل الشيء نفسه أول ليلة وتعلَّم أنه بلا طائل. الزَّمجرة لن تشقَّ أيَّ طُرقٍ هنا، والدَّوران حول الأسوار لن يدفعها لأن تنفتح، ورفع السَّاق ووضع

علامتك على شجرة لن يُبعد أيّ بشريّ عنك. لقد ضاقَ العالم من حولهما،
لكن وراء الأيكة المسوّرة ما زالت تقع صخور كهوف بني الإنسان الرّماديّة
الضّخمة. جاءه الصّوت فجأةً قائلاً: وبترفل، ومن وراء جروف بني الإنسان
العالية كالسّماء يُناديه العالم الحقيقي، وهو يعرف أن عليه أن يُلَبّي النّداء أو
يموت.



آريا

كانوا يمضون على الطريق من الفجر إلى الغسق، يمرّون بالغابات والبساتين
والحقول بالغة الجمال، وعبر القرى الصغيرة والبلدات التجاريّة المزدهمة
والمعازل القويّة، وعندما يحلّ الظلام يُخيّمون ويلتهمون طعامهم على ضوء
«السيف الأحمر»، ويتولّى الرّجال الحراسة بالتناوب. كانت آريا تلمح نيراناً
تومض من بين الأشجار في مخيّمات المسافرين الآخرين، وبدأ لها أن عدد
المخيّمات يزداد كلّ ليلة، كما تزداد الحركة على طريق الملوك بالنّهار.
يأتي المسافرون في الصّبح والظّهر والمساء، مُسِنَّين وأطفالاً ورجالاً
منهم كبير الحجم وضيّله، وفتيات حافيات وأمهات تضمّ كلّ منهن رضيعها
إلى صدرها، بعضهم يقود عربات المزارع والبعض يركب متخبّطاً في مؤخّرة
عربات تجرّها الثّيران، لكن عدداً أكبر امتطى أحصنة الحقل والخيول القزّمة
والبغال والحمير، أيّ شيء يُمكنه أن يمشي أو يجري أو يتدحرج. كانت امرأة
ما تجرّ بقرة حلوباً على ظهرها فتاة صغيرة، ورأت آريا حدّاداً يدفع عربة يد
وفيها أدواته، المطارق والمِلْقَط وحتى السّندان، ويعدّ قليل رأت رجلاً آخر
يدفع عربة يد أخرى، وإن كانت هذه تحوي رضيعين ملفوفين بدثار. أغلبهم
يقطع الطريق سيراً على الأقدام، وقد حمّلوا ممتلكاتهم على أكتافهم وفي
أعنيهم لاحت نظرات متعبّة متشكّكة، يتّجهون جنوبيّاً صوب المدينة، صوب
كينجز لاندنج، بينما يتّجه يورن ومن معه شمالاً، ما جعل عدداً محدوداً للغاية
من المسافرين يلتفت إليهم ويوجّه لهم كلمة مقتضبة. تساءلت آريا عن سبب
كونهم الوحيد الذين يسلكون هذا الاتّجاه.

مسافرون كثيرون كانوا مسلّحين، ورأت آريا سكاكين وخناجر ومناجل وفؤوسًا، وسيوفًا هنا وهناك، بينما صنع بعضهم هراوات من فروع الأشجار أو حفز عصيًا كثيرة البروزات. كانوا يتحسّسون أسلحتهم ويُسلطون أنظارهم مع مرور العربات بهم، وفي النهاية يتركون الرّكب يمضي، فثلاثون رجلًا عدد كبير، أبا كانت قيمة ما لديهم في تلك العربات.

كما قال لها سيريو فورل: انظري بعينيك، واسمعي بأذنيك. في يوم أخذت امرأة مجنونة في الصّراخ فيهم من على جانب الطريق: «يا حمقى! سيقتلونكم يا حمقى!». كانت نحيفة كالفرّاعة، زائغة النظرات ودامية القدمين. في الصّباح التّالي توقّف تاجر أنيق يمتطي فرسًا رماديّة إلى جوار يورن، وعرض عليه شراء عرباته بكلّ ما فيها برّيع ثمنها، وقال: «إنها الحرب، وسوف يأخذون ما يُريدون، فأفضل لك أن تبيعني ما لديك يا صديقي»، فأشاح يورن بوجهه عنه ولوى كتفيه المحيّتين وبصق على الأرض.

لاحظت آريا القبر الأول يومها، كومة الثّرى الصّغيرة المحفورة لطفل على جانب الطريق. كانت هناك بلّورة تستقرّ في الثّربة الطريّة، وأراد لومي أن يأخذها، لكن الثّور قال له أن يدع الأموات وشأنهم، وبعد بضعة فراسخ لمحّ يارد المزيد من القبور، فإذا به صَفّ كامل محفور حديثًا. بعدها لم يكن يوم يمرّ دون أن يروا قبرًا آخر على الأقل.

في مرّة استيقظت آريا في الظّلام شاعرة بالخوف بلا سبب واضح، لترى «السّيف الأحمر» يتفاسم السّماء مع مئات النّجوم من فوقها. بدا لها الهدوء الذي ساد ليلتها غريبًا، وإن بلغ مسامعها غطيط يورن الخشن وطققة النّار، وحتى تملثل الحمير الخافت، لكن على الرغم من هذا شعرت كأن العالم يحبس أنفاسه، وجعلها الصّمت ترتجف، فعادت إلى النوم وهي تقبض على إبرتها. ثم، عندما طلع النّهار ولم يستيقظ يارد، أدركت آريا أن الصّوت الذي افتقدته ليلاً كان صوت سُعاله. هكذا كان القبر المحفور لواحدٍ منهم هذه المرّة، ودفّنا المرتزق حيث نام. جرّده يورن من ممتلكاته الثّمينة قبل أن يُواروه الثّراب، فأخذ رجل حذاءه وآخر خنجره، بينما اقتسم رجلان قميصه المعدني وخوذته، وأعطى يورن سيفه الطويل إلى الثّور قائلاً:

«بذراعيك هاتين تستطيع أن تتعلّم كيف تستخدمه». في النهاية ألقى صبيّ اسمه تاربر حفنة من جوزات البلوط فوق جثة يارد، كي تنمو منها شجرة تُعلّم مرقده الأخير.

ليلتها توقّفوا في قرية عند خان مغطى بفروع اللّبلاب، حيث أحصى يورن مامعه من عملة في كيس الثّقود، وقرّر أن معهم ما يكفي لوجبة ساخنة. «سننام في الخارج كما هي العادة، لكن لديهم حمّامًا هنا إذا كان أحدكم يرغب في القليل من الماء الساخن والصّابون».

لم تجرؤ آريا على الاستحمام، على الرغم من أن رائحتها صارت كريهة لأقصى حدّ كرائحة يورن، فمخلوقات كثيرة من التي تعيش في ثيابها الآن قطعت معها كلّ هذه المسافة من «جحر البراغيث»، ولم يبدّلها أن من الصّواب أن تُميتها غرقًا. انضمّ تاربر وهوت باي والثور إلى صفّ الرّجال المتوجّهين إلى أحواض الاستحمام، بينما ازدحم البقيّة في قاعة الخان العامّة، كما أرسل يورن لومي حاملاً دوارق بيّرة إلى الثلاثة الذين تركوا مكبّلين بالأصفاد في مؤخّرة إحدى العربات.

تناول من استحمّوا ومن لم يستحمّوا عشاء من فطائر الخنزير الساخنة والثّقاق المخبوز، بل ودعاهم صاحب الخان إلى دور من البيّرة على حسابه. «لديّ أخ ارتدى الأسود منذ سنوات. كان خادماً ويتمتّع بالذكاء، لكن هناك من ضبطه يسرق الفلفل من على مائدة سيّدنا اللورد. إنه يُحبّ مذاق الفلفل لا أكثر. كانت مجرد حفنة من الفلفل، لكن السير مالكوم رجل قاس. ألدّيكُم فلفل على «الجدار»؟»، ولمّا هزّ يورن رأسه نفياً تنهّد الرّجل وقال: «يا للخسارة، لينك يُحبّ الفلفل».

أخذت آريا رشفات قصيرة من دورقها وهي تلتهم الفطير الساخن، متذكّرة أن أباهما كان يسمح لهم أحياناً بشرب كوبٍ من البيّرة، التي كانت سانزا تمتعض من مذاقها وتقول إن التّبيذ أحلى بكثير، بينما راقّت آريا بما فيه الكفاية. أشعرها التّفكير في سانزا وأبيها بالأسى.

اكتظّ الخان بالتّازحين جنوبيًا، وضجّت القاعة العامّة بالسّخرية عندما أخبرهم يورن أنهم ذاهبون في الاتّجاه الآخر، وقال صاحب الخان بثقة:

«سرعان ما ستعودون أدراجكم. لا أحد يذهب شمالاً والحقول نصفها محروق ومن تبقوا من الأهالي متحصّنون داخل معاقلمهم. هنا ترحل مجموعة فجراً ومع مجيء الفسق تحل مكانها مجموعة أخرى».

قال يورن بإصرار: «كلّ هذا لا يعنيني في شيء، ولا فارق لدينا بين تلي ولانستر. حرس الليل لا دخل لهم في شؤون البلاد».

اللورد تلي جدّي. هذا يصنع فارقاً لديها هي، لكنها لم تتكلّم وأخذت تمضغ شفرتها وهي تُصيح السّمع.

قال صاحب الخان: «المسألة أكبر من لانستر وتلي. هناك الهمجيّون الذين نزلوا من جبال القمر، فجرب أن تقول لهؤلاء إن لا دخل لك. وهناك عائلة ستارك أيضاً تحت قيادة اللورد الشاب، ابن يد الملك الرّاحل».

اعتدلت آريا في جلستها وأرهفت السّمع. هل يقصد روب؟ قال رجل أصفر الشعر يحمل دورقاً في يده: «سمعتُ أن الصّبي يخوض المعركة على ظهر ذئب».

قال يورن: «كلام فارغ».

- «الرّجل الذي سمعتُ منه هذا رآه بنفسه، وأقسم أنه ذئب كبير كالحصان».

- «كونه أقسم لا يجعل ما قاله حقيقةً يا هود. أنت مثلاً تُقسّم طول الوقت أنك سترّد ما تدين به لي، وحتى الآن لم أر منك قطعة عملة واحدة»، قال صاحب الخان، فانفجر الحضور ضاحكين واحتقن وجه الرّجل ذو الشعر الأصفر.

تدخّل رجل شاحب الوجه يرتدي معطفاً أخضر وسّخه السّفر: «إنه عام سيئ فيما يخصّ الذّئاب. القطعان حول بُحيرة «عين الآلهة» أصبحت أكثر جراءة من أيّ وقت مضى، وتقتل كما تشاء من خرافٍ وأبقار وكلاب دون تفرقة، ولا تخاف البشر على الإطلاق. دخول المرء تلك الغابات ليلاً يُكلّفه حياته لا محالة».

- «آه، تلك مجرد حكايات أخرى خالية من الحقيقة كغيرها».

قالت عجوز: «سمعتُ الكلام نفسه من ابنة عمّتي، وهي ليست من النّوع

الذي يكذب. تقول إن هناك قطيعًا عظيمًا فيه المئات من الذئاب قاتلة البشر، تقودهم ذئبة أنثى من الجحيم السابعة».

ذئبة أنثى. تجرّعت آريا البيرة والتساؤلات تُفهم عقلها. هل تقع «عين الآلهة» على مقربة من نهر الثالث؟ تمتّ لو أن معها خريطة. لقد تركت نايميريا بالقرب من الثالث رغمًا عنها لمّا قال چوري إن لا خيار هنالك، وإنهم سيقتلون الذئبة إذا عادت معها لأنها عصّت چوفري، رغم أنه استحقّ هذا. يومها أخذًا في الصّباح والصّراخ وإلقاء الأحجار، وأخيرًا بعد أن أصابتها بعض أحجار آريا، كفت الذئبة الرّهية عن اللّحاق بهما. ربما لا تتذكّرني أصلًا، وإذا تذكّرتني فلا بدّ أنها ستكرهني.

قال ذو المعطف الأخضر: «سمعتُ أن ذئبة الجحيم تلك دخلت قرية ذات يوم... كان يوم الشوق والنّاس في كلّ مكان، وإذا بها تدخّل وتتزع رضيعًا من بين يدي أمّه، وعندما بلغت الحكاية أسمع اللورد موتون وأبنائه، أقسموا أنهم سيقضون عليها، وافتنوا أثرها إلى وكرها ومعهم قطع من كلاب صيد الذئاب، وبالكاد استطاعوا النّجاة بحياتهم، أمّا الكلاب فلم يرجع منها ولو واحد».

اندفعت آريا تقول قبل أن تستطيع كبج نفسها: «هذه مجرد حكاية، الذئاب لا تأكل الرّضع».

سأل ذو المعطف الأخضر: «وما الذي نعرفه عن هذا يا فتى؟». قبض يورن على ذراعها قبل أن تستطيع التّفكير في إجابة، وقال: «البيرة أسكرت الصّبي، هذا كلّ ما هنالك».

- «كلا، الذئاب لا تأكل الرّضع...».

- «إلى الخارج يا ولد... وابقِ هناك حتى تتعلّم أن تخرس تمامًا عندما يتكلّم الرّجال»، ودفعها بقوة نحو الباب الجانبي الذي يقود إلى الاسطبلات. «اذهب وانظر إن كانوا قد سقوا الخيول».

خرجت آريا تميّز غيظًا، ودمدمت وهي ترُكل صخرة صغيرة: «إنها لا تأكل الرّضع!».

تدحرجت الصخرة حتى استقرت تحت العربات، وسمعت آريا صوتًا ودودًا يُنادي: «أيها الصبي، أيها الصبي الجميل».

كان واحد من الثلاثة المكبلين بالحديد يُكَلِّمها، فذنت آريا من عربتهم بخطوات حذرة وقد وضعت يدها على مقبض إبرتها.

رفع السجين دورقًا فارغًا، فأصدرت سلاسله صليلاً وهو يقول: «الرجل يرغب في مقدار آخر من البيرة، الرجل يُشعر بالظمأ من ارتداء هذه القيود الثقيلة». كان أصغر الثلاثة سنًا، نحيل الجسد وحسن القسمات ودائم الابتسام، شعره أحمر اللون على جانب رأسه وأبيض على الجانب الثاني، وقد تلبّد وأتسخ تمامًا بفعل الحبس والسفر. قال لمّا رأى الطريقة التي ترفقه بها آريا: «الرجل يرغب في حمام أيضًا، والصبي يُمكنه أن يكسب صديقًا». قالت آريا: «لديّ أصدقاء».

قال عديم الأنف: «لا أرى أحدًا منهم هنا». كان سمينًا ثخين الجلد ضخيم اليدين، وغطى الشعر الأسود ذراعيه وساقيه وصدره وحتى ظهره، فذكر آريا برسم رأته ذات مرّة في كتاب لقرء من جُزر الصَّيف. كانت الفجوة في وجهه تجعل النظر إليه طويلًا صعبًا.

فتح الأصلع فمه وفحّ في وجهها كسحليّة بيضاء ضخمة، وعندما تراجعت آريا مُجفلةً فغرّ فاه عن آخره وهزّ لسانه لها، أو بقايا لسانه بالأحرى، فقالت مغضبة: «كفّ عن هذا».

قال الوسيم ذو الشعر الأحمر والأبيض: «الرجل لا يختار رفاقه في الزنازين السوداء». ذكرها شيء ما في طريقة كلامه بسيريو. ثمة تشابه بشكل ما بين الاثنين، لكن ثمة اختلاف أيضًا. «هذان الاثنان لا يتحلّيان بأيّ تهذيب، ولذا يطلب الرجل منك المَعذرة. اسمك آري، أليس كذلك؟».

قال عديم الأنف: «رأس الجِزَل، رأس الجِزَل وجه الجِزَل فتى العصا. احترس يا لوراث ولا تضربك بعصاه».

- «لا مفرّ من أن يخجل الرجل من صُحبته يا آري»، قال الوسيم، ثم أشار إلى نفسه مضيقًا: «هذا الرجل له شرف أن يكون چاكن هاجار، من مدينة لوراث الحرّة فيما مضى. ليت كان في وطنه الآن. رفيقًا هذا الرجل المذمومان

هما رورج...»، وأشار بدورقه إلى عديم الأنف. «... والعَضَاض». فَحَّ العَضَاض في وجهها من جديد، ليكشف عن أسنانه المصفرَّة ذات الرُّؤوس المدبَّية. «ينبغي أن يكون للرَّجل اسم، أليس كذلك؟ العَضَاض لا يستطيع الكلام، العَضَاض لا يستطيع الكتابة، لكن أسنانه شديدة الحدَّة، وعندما يُناديه الرَّجل بالعَضَاض يتسم. أنت مسحور أم ماذا؟».

تراجعت آريا بعيدًا عن العربية قائلة: «لا». لا يُمكنهم أن يمسُّوني بأذى، إنهم مكبَّلون.

قلبَ دورقه قائلاً: «على الرَّجل أن يكي».

قذفَ رورج عديم الأنف دورقه في وجهها مُطلقاً سبَّةً، وإن جعلته قيوده لا يُحكِّم التَّسديد، ومع ذلك كان الدُّورق الثَّقيل المصنوع من القصدير ليصطدم برأسها مباشرة، لولا أنها وثبت جانبًا. صاحَ فيها: «أحضِر لنا البيرة الآن أيها الحشرة! الآن!».

- «أخرس!». حاولتَ آريا أن تصوِّر ما كان سيريو ليفعله في هذا الموقف،

ثم إنها سحبت سيف التَّدريب الخشبي.

قال رورج: «اقترِب وسأدسُّ هذه العصا في شَرجك وأنيكك بها حتى

تدمى».

ضربة الخوف أمضى من السَّيف. جعلتَ آريا نفسها تدنو من العربية وكلَّ خطورةٍ تخطوها أصعب من سابقتها. بشراصة الؤلقرين، بهدوء المياه الرَّاكدة. تردَّدت الكلمات في عقلها كالغناء، وفكرت أن سيريو لم يكن ليخاف الآن. كانت على وشك أن تلمس العجلة عندما نهض العَضَاض فجأةً وحاولَ أن يقبض عليها، ليتعالى صليل الأغلال الحديدية، التي أوقفت يديه على بُعد نصف قدم لا أكثر من وجه آريا، فَفَحَّ مرَّةً أخرى.

وضربته هي بعُنْفٍ بين عينيهِ الصَّغيرتين مباشرةً.

تراجع العَضَاض مترنِّحًا وهو يصرُخ بألم، ثم ألقي بوزنه كله إلى الأمام، فانزلقت حلقات السَّلاسل ودارت وشدَّت عن آخرها، وسمعتَ آريا صرير الخشب الجاف القديم والحلقات الحديدية الكبيرة تُكافح للتحرُّر من ألواح أرضية العربية، ورأت يدين شاحبتين ضخمتين تُلوَّحان أمامها في محاولةٍ

لإمساك بها وقد انتفخت العروق في ذراعي العضاض، لكن القيود ظلت متماسكة، وأخيراً تراجع الرجل وتهاوى أرضاً، وسرى الدّم من قروح وجهه. قال مَنْ سَمَى نفسه چاكن هاجار: «الصّبي لديه شجاعة أكثر من العقل». تراجعَت آريا بتؤدة بعيداً عن العربية، وعندما شعرت باليد توضع على كتفها، دارت على عقبيها رافعة سيفها الخشبي من جديد، لكنه كان الثور لا أكثر، فسألته بحدة: «ماذا تفعل؟».

رفع يده بحركة دفاعيّة مجيئة: «يورن أمرنا بعدم الاقتراب من هؤلاء الثلاثة».

- «إنهم لا يُخيفوني».

قال الثور: «إذن فأنت أحمق، فهم يُخيفونني أنا!»، ووضع يده على مقبض سيفه، فبدأ رورج يضحك. «لنبتعد عنهم».

جرت آريا قدميها على مضض، لكنها تركت الثور يقودها إلى مقدّمة الخان، بينما تبعتهما ضحكات رورج وفحيح العضاض. «هل تُريد القتال؟»، سألته شاعرة بالرغبة في أن تضرب شيئاً.

رمقها مندهشاً وقد سقطت خصل مبتلة من شعره الأسود الكثيف على عينيه ذواتي اللون الأزرق العميق، وقال: «سأؤذك».

- «لن تفعل».

- «أنت لا تعرف كم أنا قوي».

- «وأنت لا تعرف كم أنا سريع».

سحب سيف بارد الطويل، وقال: «أنت من طلبت. هذا فولاذ رخيص، لكنه سيف حقيقي».

وسحبت آريا إبرتها قائلة: «وهذا فولاذ ممتاز، أي أنه حقيقي أكثر من سيفك».

هز الثور رأسه وقال: «أتعد ألا تبكي إذا جرحتك؟».

قالت: «أعدك إذا وعدتني بالمثل»، ودارت جانباً متخذة وضع راقصي المياه، لكن الثور لم يتحرك، بل كان يتطلع إلى شيء ما وراءها، فسألته: «ما الأمر؟».

عقدَ حاجيه عن آخرهما وأجاب: «ذوو المعاطف الذهبية».

قالت آريا لنفسها: مستحيل، لكنها رأتهم قادمين على طريق الملوك عندما التفتت، سبَّه منهم يرتدون قمصان الحلقات المعدنية السوداء والمعاطف الذهبية ككلَّ حرس المدينة. كان أحدهم ضابطاً، يرتدي درع صدرٍ سوداء من المينا تُزيئها أربعة أقراص ذهبية. توقَّفوا أمام الخان، فبدأ لآريا كأن صوت سيريو يهمس لها: انظري بعينيك، وما رأته عينها كان الرغوة البيضاء تحت سرج كلِّ حصان، ما يعني أن راكبي الخيول انطلقوا بها بأقصى سرعة لمسافة طويلة. يهدوء المياه الزاكدة أخذت الثور من ذراعه وسحبته إلى وراء سياج من الشجيرات الطويلة المورقة.

قال لها: «ماذا هناك؟ ماذا تفعل؟ دعني».

همست وهي تسحبه إلى أسفل: «بهدوء الظلال!».

كان بعض رجال يورن الآخرين يجلسون أمام مدخل الحمام في انتظار دورهم، فصاح فيهم واحد من ذوي المعاطف الذهبية: «أيها الرجال، أنتم المجموعة التي غادرت للانضمام لحرس الليل؟».

أجابته أحدهم بحذر: «ربما».

وقال رايزن المعجوز: «نُفَّض أن ننضم إليكم يا أولاد، فقد سمعنا أن البرد

شديد على «الجدار»».

ترجَّل الضابط وقال: «معي تفويض بالتحفظ على صبيٍّ معيَّن...».

خرج يورن من الخان مداعباً لحيته السوداء المتشابكة، وقاطعه: «ومن

يُريد هذا الصَّبي؟».

كان بقية ذوي المعاطف الذهبية يترجَّلون ليقفوا إلى جوار خيولهم، وسأل

الثور آريا هامساً: «لماذا نخشى؟».

همست آريا في أذنه التي لا تزال تحمل رائحة الصَّابون: «إنهم يُريدونني

أنا، فاصمت».

قال الضابط: «الملكة تُريده أيها المعجوز، وإن لم يكن هذا من شأنك»،

وسحب شريطاً من حزامه وأضاف: «هاك، ختم جلالتها وتفويضها».

هَزَّ الثَّوْرَ رَأْسَهُ بِشَكِّ وَرَاءَ سِيَاحِ الشُّجَيْرَاتِ، وَقَالَ: «وَلِمَاذَا تُرِيدُكَ الْمَلَكَةُ أَنْتَ بِالذَّاتِ يَا أَرِي؟».

لَكَمَتَهُ فِي كَتِفِهِ قَائِلَةً: «صَمْتًا!».

دَاعَبَتْ أَصَابِعُ يورن الشَّرِيْطَ ذَا كُتْلَةِ الشَّمْعِ الذَّهْبِيِّ، وَقَالَ بَازِدرَاءُ: «جَمِيلٌ، لَكِنِ الْمَشْكَلَةُ أَنَّ الصَّبِيَّ أَصْبَحَ فِي حَرَسِ اللَّيْلِ، وَأَيًّا كَانَ مَا فَعَلَهُ فِي الْمَدِينَةِ لَا يَعْنِي مَقْدَارَ قَطْرَةٍ مِنْ بَوْلِ الْآن».

- «الْمَلَكَةُ لَا تُبَالِي بِوَجْهَةِ نَظَرِكَ أَيُّهَا الْعَجُوزُ، وَلَا أَنَا كَذَلِكَ. سَأَخْذُ الصَّبِيَّ مَعِي».

فَكَرَّتْ أَرِيَا فِي الْهَرَبِ، لَكِنِّهَا أَدْرَكَتْ أَنَّهَا لَنْ تَبْتَعِدَ كَثِيرًا وَهِيَ تَرْكَبُ حِمَارًا بَيْنَمَا يَرْكَبُونَ الْخِيُولَ. إِنَّهَا مَتَعَبَةٌ بِحَقٍّ مِنَ الْهَرَبِ. لَقَدْ هَرَبَتْ حِينَ جَاءَ السَّيْرُ مَرِينَ لِأَخْذِهَا، وَهَرَبَتْ ثَانِيَةً عِنْدَمَا قَتَلُوا أَبَاهَا. لَوْ كَانَتْ رَاقِصَةً مِائِهِ حَقِيقَةً، لَخَرَجَتْ إِلَيْهِمْ بِإِبْرَتِهَا وَقَتَلْتَهُمْ جَمِيعًا لَتَكْفٍّ عَنِ الْهَرَبِ إِلَى الْأَبَدِ.

قَالَ يورن بَعْنَادٍ: «لَنْ تَأْخُذَ أَحَدًا. ثَمَّةُ قَوَانِينٍ تَحْكُمُ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ».

اسْتَلَّ ذُو الْمَعْطَفِ الذَّهْبِيِّ سَيْفًا قَصِيرًا، وَقَالَ: «هَـا هُوَ قَانُونُكَ».

رَمَقَ يورن السَّيْفَ، وَرَدَّدَ: «هَذَا لَيْسَ قَانُونًا، بَلْ مَجْرَدُ سَيْفٍ، وَيَتَصَادَفُ أَنَّ مَعِي وَاحِدًا أَيْضًا».

ابْتَسَمَ الضَّابِطُ قَائِلًا: «أَيُّهَا الْعَجُوزُ الْأَحْمَقُ، إِنْ مَعِيَ خَمْسَةُ رِجَالٍ».

بَصَقَ يورن وَقَالَ: «وَأَنَا مَعِيَ ثَلَاثُونَ».

ضَحَكَ ذُو الْمَعْطَفِ الذَّهْبِيِّ، وَقَالَ آخَرُ كَبِيرِ الْحُجْمِ وَضَبَعَ الشَّكْلَ ذُو أَنْفٍ مَكْسُورٍ: «هَذِهِ الشَّرْذِمَةُ؟»، ثُمَّ صَاحَ وَهُوَ يَسْحَبُ سَيْفَهُ: «مَنْ الْأَوَّلُ؟».

التَّقَطَّ تَارِيرٌ مَذْرَافًا مِنْ كُومَةِ قَشٍّ، وَقَالَ: «أَنَا».

- «لَا، أَنَا»، زَعَقَ الْبَنَاءُ الْمَمْتَلِئُ كَتَجَاكٍ وَهُوَ يُتَمَرَّرُ مَطْرِقَتَهُ عَلَى الْمَثْرَرِ الْجَلْدِيِّ الَّذِي يَرْتَدِيهِ دَائِمًا.

وَتَقَدَّمَ كُورُزٌ حَامِلًا سَكِّينَ السَّلَاحِ وَرَدَّدَ: «أَنَا».

وَشَدَّ كُوسٌ قَوْسَهُ الطَّوِيلَ قَائِلًا: «أَنَا وَهُوَ».

- «كُلُّنَا»، قَالَ رَايْزَنُ مَخْنَطَفًا عُكَازَهُ الطَّوِيلَ الْمَصْنُوعَ مِنَ الْخَشَبِ الْقَوِي.

خرج دوبر من الحمام مكوّمًا ثيابه بين يديه، ولمّا رأى ما يحدث ألقى كلّ ما فيه يده باستثناء خنجره، وسألهم: «أهذا قتال؟».

- «أظنّ هذا»، أجاب هوت باي وهو يزحف على أربع بحثًا عن صخرة كبيرة يقذفها، بينما لم تُصدّق آريا ما تراه عيناها. إنها تكره هوت باي بحرارة، فلماذا يُخاطر بحياته من أجلها؟!

حافظ ذو الأنف المكسور على نبرة الاستهانة في صوته وهو يقول: «من الأفضل أن تضعن تلك الحجارة والعصيّ أيتها الفتيات قبل أن تُصفعن على مؤخراتكنّ. لا واحدة منكن تعرف من أيّ طرفٍ يُمسك السيف».

- «أنا أعرف!». لن تسمح آريا بأن يموتوا من أجلها مثل سيريو، لن تسمح أبدًا! هكذا دفعت جسدها عبر سياج الشجيرات وفي يدها إبرتها، وأخذت وضع راقصي المياه.

قهقه ذو الأنف المكسور ساخرًا، وتطلّع إليها الضابط من أعلى إلى أسفل، ثم قال: «أبعدي هذا السيف أيتها البنت، فلا أحد يُريد أن يؤذيكَ».

صرخت غاضبة: «لستُ بنتًا!». ماذا بهم؟ لقد قطعوا كلّ تلك المسافة من أجلها، وها هي ذي أمامهم، لكنهم يتسمون لها لا أكثر. «أنا من تُريدون!».

- «هو من تُريد»، قال الضابط مشيرًا بطرف سيفه القصير إلى الثور الذي تقدّم ليقف إلى جوارها، وفي يده سيف بارد الرّخيص.

لكنه أخطأ عندما أبعد عينيه عن يورن ولو لحظة، فتلّك اللحظة هي كلّ ما استغرقه الأخ الأسود ليضغط نصل سيفه على تُفّاحة حلق الضابط، ويقول: «لن تأخذ أيهما، ما لم تكن تُريدني أن أرى إن كانت تُفاحتك قد نضجت. إن معي عشرة إخوة أو خمسة عشر آخرين داخل هذا الخان، إذا كنت ما زلت في حاجةٍ إلى الاقتناع. لو كنتُ مكانك لتخلّيت عن ممزّق الأحشاء هذا، ووضعتُ فلقتيّ مؤخرتي على هذا الحصان البدين وانطلقتُ عائدًا إلى المدينة»، ثم بصق وضغط رأس سيفه بقوةٍ مضيّفاً: «الآن». وعندما حلّ الضابط أصابعه ليسقط سيفه أرضًا، قال يورن: «سنحتفظ بهذا، فدائمًا ما نحتاج الفولاذ الجيّد على «الجدار»».

- «كما نقول... في الوقت الحالي. هيا بنا يا رجال»، ودسّ ذوو المعاطف

الذهبية سيفهم في أغمدها وعادوا يمتطون خيولهم، بينما أردف الضابط: «خير لك أن تُسارع بالعودة إلى جداركم هذا أيها العجوز، فعندما أمسك بك المرأة القادمة، سأخذ رأسك مع رأس الصبي النفل».

قال يورن: «رجال أفضل منك حاولوا من قبل»، وصفع كفل حصان الضابط بجانب سيفه المسطح، لينطلق جاريًا على طريق الملوك، وتبعه بقيتهم.

بدأ هوت پاي يهتف عندما غابوا عن الأنظار، لكن يورن بدا غاضبًا للغاية وهو يزعم فيه: «أيها الأحمق! هل تحسب أنه انتهى منا؟ المرأة القادمة لن يقف متبحرًا ويتأولني شريطًا مختومًا. قولوا للبقية أن يخرجوا من الحمام، فعلينا أن نتحرك. قد نتمكن من أن نسبقهم بعض الشيء إذا ركبنا طول الليل»، ثم التقط السيف القصير الذي أسقطه الضابط وسألهم: «من يريد هذا؟». صاح هوت پاي: «أنا!».

- «لا تستعمله ضد آري»، وناول السيف للصبي من مقبضه، ثم أتجه نحو آريا، وإن قال موجَّهًا كلامه للثور: «الملكة تُريدك بشدة يا ولد». قالت آريا حائرة: «لماذا تُريده هو؟!».

رمقها الثور عابسًا وقال: «ولماذا تُريدك أنت؟ أنت مجرد جرد حقير!». - «وأنت لست أكثر من نفل!». أم أنه يتظاهر فحسب بأنه نفل؟ «ما اسمك؟».

أجاب كأنه ليس واثقًا تمامًا بالإجابة: «جندري».

قال يورن: «لا أرى سببًا يدعو أحدًا لأن يُريد أيكما، لكن لا أحد يُمكنه أن يأخذكما في جميع الأحوال. اركبا هذين الحصانين، ومع أول لمحة لذوي المعاطف الذهبية انطلقا نحو «الجدار» كأن تينًا يُطارِدكما. بقيتنا لا يُمكنون لهم شيئًا».

علقت آريا: «باستثنائك أنت. ذلك الرجل قال إنه سيأخذ رأسك أيضًا». ردَّ يورن: «آه، بالنسبة لهذا، إذا استطاع أن يقطعه من فوق كفتي، فهنئيًا له به».



چون

نادی چون بصوتٍ خفيضٍ: «سام؟».

كان الهواء يعبق برائحة الورق والغبار والسَّنين، ومن أمامه ارتفعت الرُّفوف الخشبيَّة العالية حتى السَّقْف المعتم، وقد تكدَّست عليها الكتب ذات الأغلفة الجلدِيَّة، وصناديق المخطوطات العتيقة، بينما تسرَّب من بين أكوام الورق وهجٌ أصفر خافت يأتي من مصباح غير مرئي. أطفأ چون الفئيل المكسوَّ بالشَّمع الذي يحمله، مفضلاً ألا يُخاطر بالتحرك باللَّهب المكشوف وسط كلِّ هذه الأوراق القديمة الجافة، وبدلاً من هذا اتَّبع الضَّوء وشقَّ طريقه في الممرَّات الضيقة تحت الشُّقوف المقنطرة المرتفعة. كان يبدو كظلٍّ يسري بين الظلال يشابه السَّوداء تماماً وشعره الدَّاكن ووجهه الطويل وعينه الرَّمادِيَّتين، وقد غطَّى قُفَّازان أسودان من جلد الخُلد يديه؛ اليُمْنى لأنها محروقة، واليُسرى لأن أيَّ رجل سيَشعرُ بالحماقة وهو يرتدي قُفَّازاً واحداً.

كان سامويل تارلي يجلس منكِفئاً على طاولةٍ موضوعة في كُوةٍ محفورة في الحائط الحجري، والوهج يأتي من المصباح المعلق فوق رأسه. رفع عينيه عندما سمع خطوات چون، الذي بادره: «هل قضيت اللَّيل كله هنا؟». بدا سام مأخوذاً وهو يقول: «لا أدري. هل قضيته كله هنا؟».

- «إنك لم تتناول إفطارك معنا، ولم تنم في فراشك». كان راسك قد اقترح أن سام تهزَّب من الخدمة، لكن چون لم يصدِّق ذلك لحظة، فالتَهَرَّب يتطلب نوعاً خاصاً من الشَّجاعة، الشَّيء الذي يملك سام نزرًا يسيراً جدًّا منه. - «أهو الصَّباح؟ لا توجد وسيلة لمعرفة الوقت هنا».

قال جون: «سام، أنت أحمق طيّب. سوف تفتقد فراشك وأنت نائم على الأرض الباردة الصّلبة، أعدك بهذا».

تثاءب سام، ثم قال: «المَايستر إيمون أرسلني للعثور على خرائط لحضرة القائد. لم أعتقد قط أن... جون، الكتب! هل رأيت شيئاً كهذا من قبل؟ هناك آلاف منها!».

تطلّع حوله قائلاً: «مكتبة ويترفل فيها أكثر من مئة كتاب. هل وجدت الخرائط؟».

أجاب سام: «أوه، نعم»، ولوّح بيده عبر المائدة مشيراً بأصابعه السّمينّة كأنها أصابع سُجق إلى الكتب واللفائف المكوّمة أمامه. «دستة على الأقل»، وبسط لفافة مربّعة من ورق الرّقوق مضيقاً: «لقد بهتت الألوان، لكن يُمكنك أن ترى أين عيّن من رسم الخريطة مواقع قُري الهمج. ثمة كتاب آخر... أين هو؟ كنتُ أقرأه منذ لحظات»، وأزاح بعض اللفائف جانباً ليكشف عن مجلّد مُترّب مغلف بمجلّد تعفن منذ زمن، وقال برهبة: «هذه وقائع رحلة من بُرج الظلال وحتى نُقطة لورن على السّاحل المتجمّد، دوّنّها جوّال اسمه ردوين. إنها ليست مؤرّخة، لكنه يذكّر ملكاً في الشّمال اسمه دورين ستارك، فلا بُدّ إذن أن تلك الرّحلة سبّقت «الغزوة». لقد قاتلوا عمالقاً يا جون! وثمة معاملات تجارية أيضاً تمّت بين ردوين وأطفال الغابة. القصة كلها مذكورة هنا»، وقلب الصّفحات بلمسة في منتهى الخفة من إصبعه، واستطرّد: «ثم إنه رسم خرائط، كما ترى...».

- «ربما يُمكنك أن تُدوّن وقائع رحلتنا يا سام».

كان جون يقصد أن يُشجّعه، ولكنه تفوّه بالقول الخطأ، فلا يحتاج سام الآن إلى من يُذكّره بما ينتظرهم يوم غد. أخذ سام يُرتّب اللفائف بلا نظام معيّن قائلاً: «هناك المزيد من الخرائط. لو كان لديّ وقت لأبحث... كلُّ شيء هنا مختلط، لكن يُمكنني أن أرّبه، أعرفُ أنني أستطيع، لكن هذا سيستغرق وقتاً... بضع سنوات في الحقيقة».

قال جون: «مورمونت يُريد تلك الخرائط أسرع من هذا»، والتقط لفافة من أحد الصّناديق ونفخ ما استطاع من غبارٍ من عليها، وتفتّت ركنها بين أصابعه

وهو يَسْطُهَا، فغمغم وقد ضَيَّقَ عينيه ليقْرَأ الكلمات الباهتة: «انظر، هذه بدأت تتلف».

- «تعامَلْ بلُطْف»، قال سام، ودَارَ حول الطَّاولَة ليلتقط اللُّفافة من يده، وحملها كما لو أنها حيوان جريح. «كانوا ينسخون الكُتُب المهمة عندما يحتاجونها، وغالبًا نَسَخَ عدد من الكتب الأقدم نصفمئة مرّة على الأقل».

- «طَيِّب، لا تُزعج نفسك بنسخ هذه. 23 برميلًا من سَمَك القُد المملَّح، 18 برطمانًا من زيت السَّمَك، برميل من الملح...».

- «إنه جرد، أو فاتورة بيع ربما».

- «ومن يُبالي بِكَم القُد المملَّح الذي كانوا يأكلونه منذ ستمئة عام؟».

قال سام: «أنا أبالي»، وأعاد اللُّفافة إلى حيث أخذها جون، وأردف: «يُمكنك أن تتعلَّم الكثير جدًّا من تلك الدَّفاتر، حقًّا وبلا مزاح، فمثلاً يُمكنك أن تعرف منها كم رجلاً كانوا في حرس اللَّيل في حينها، وكيف عاشوا وماذا كانوا يأكلون...».

- «كانوا يأكلون طعامًا ويعيشون مثلما نعيش».

- «ستجد الكثير مما يُدهشك. هذا السُّرداب كنز حقيقي يا جون».

- «لو أن هذا رأيك». لم يكن جون مقتنعًا، فالكنوز تعني الذهب والفضَّة والجواهر، وليس الغبار والعناكب والجِلد المتعفن.

اندفع الصَّبي البدين يقول: «هذا رأيي». كان يكبرُ جون سنًّا، رجلًا بالغًا طبقًا للقانون، لكن من الصَّعب أن تُفكر فيه باعتباره أكثر من صبي. «لقد وجدتُ رسومًا للوجوه المحفورة في الأشجار، وكتابًا عن لغة أطفال الغابة... أعمالًا لا تملكها «القلعة» ذاتها، مخطوطات من قاليريا القديمة، إحصاءات للفصول دَوَّنَها مايسترات ماتوا قبل ألف عام...».

- «ستظلُّ الكتب هنا عندما نعود».

- «إذا عُدنَا...».

- «الدُّب العجوز سيقود مَتَي رجل مخضرم، ثلاثة أرباعهم من الجوّالة، وكورين ذو النُّصف يد سيأتي بمئة أخ آخر من بُرج الظلال. ستكون آمنًا كما لو أنك في قلعة السيّد والدك في هورن هيل».

ارتسمت ابتسامة حزينة على شفتي سامويل تارلي وهو يقول: «لم أكن آمناً قط في قلعة أبي كذلك».

قال چون لنفسه: الآلهة دُعَابَاتُهَا قاسية بحق. سوف يبقى ييب وتودر - المتلهّفان على الاشتراك في جولة التقصّي العظيمة - في القلعة السوداء، بينما على سامويل تارلي - الصّبي الخانع شديد البدانة الذي أقرّ علناً بجبنه ولا يُجيد ركوب الخيل أكثر مما يُجيد المبارزة - أن يُواجه الغابة المسكونة. من المفترض أن يأخذ الذّب العجوز معه ققصين من الغدّان التي ستحمل أخبار تقدّمهم إلى إخوتهم على «الجدار»، والمَيسِتر إيمون كفيف وأوهن من أن يركب معهم، ولهذا ينبغي أن يذهب وكيله بدلاً منه. «إننا نحتاجك من أجل الغدّان يا سام، ويجب أن يُساعدني أحدهم على كبح جماح جرنٍ كذلك».

ارتجفت ذقن سام المشقوقة وهو يقول بنبرة يائسة تمكّنت من صوته: «يُمكنك أن تعتني بالغدّان، أو يعتني بها جرن، أو أيّ أحد، يُمكنني أن أريك كيف. ثم إنك تُجيد القراءة والكتابة، وتستطيع أن تكتب رسائل اللورد مورمونت مثلي تمامًا».

- «أنا وكيل الذّب العجوز، وعليّ أن ألبيّ أوامره وأُعنى بحصانه وأنصب خيمته، ولن يكون لديّ وقت للعناية بالطيور كذلك. سام، لقد ردّدت الكلمات، والآن أنت أخ في حرس الليل».

- «لا ينبغي أن يكون أخ في حرس الليل خائفًا هكذا».

- «كلنا خائفون، فمن الحقّ ألا نخاف». جوّالة كثيرون فقدوا خلال

العامين المنصرمين، حتى بنجن ستارك عمّ چون. ثم إنهم عثروا على اثنين من رجال عمّه صريعتين في الغابة، لكن الجثتين نهضتا في برد الليل. ارتعشت أصابع چون المحترقة بحركة عصبية وهو يتذكّر. كان لا يزال يرى الجثة الحيّة في أحلامه، أو ثور الميت ذا العينين المتقدتين بالأزرق واليدين السوداوين الباردتين، لكن ذلك كان آخر شيء يُريد سام أن يتذكّره الآن. «ليس هناك ما يُخجل في الخوف كما قال لي أبي، وما يهمّ حقًا هو كيف نُواجهه. هلمّ، سأساعدك على جمع الخرائط».

هَزَّ سام رأسه ببؤس. كانت مسافات رأسية ضيقة للغاية تفصل بين الرفوف، فجعلتهما يتحرَّكان واحدًا وراء الآخر في طريقهما إلى الخارج. ينفُتِح السُّرداب على واحدٍ من الأنفاق التي يُسمِّيها الإخوة الشُّود «المسالك الدُّوديَّة»، تلك الممرات الملتوية التي تربط بين حصون وأبراج القلعة السُّوداء تحت الأرض. نادرًا ما تُستخدَم تلك المسالك الدُّوديَّة في الصَّيف، لكن الشِّتاء شأن آخر، فعندما تتراكم الثلوج على ارتفاع أربعين أو خمسين قدمًا، وتهبُّ الرِّياح الجليديَّة عاصيةً من الشَّمال، تُصيح الأنفاق الشَّيء الوحيد الذي يُحافظ على تماسك القلعة السُّوداء.

قريبًا، فُكِّرَ جون وهما يصعدان. لقد رأى النَّذير الذي جاء المايستر إيمون حاملاً نبأ نهاية الصَّيف، غُداً «القلعة» العظيم الأبيض الصَّامت كجوست. كان قد شهدَ شِتاءَ ذات مرَّةٍ وأظفاره لا تزال ناعمةً، لكن الجميع اتَّفَقوا على أنه كان شِتاءً قصيرًا ومعتدلاً، أمَّا هذا الشِّتاء القادم فسيكون مختلفًا. إنه يَشعرُ بهذا في عظامه ذاتها.

كان سام يلهث بقوةٍ كمفناخ الحدَّاد من ارتفاع السَّلام الحجرية المنحدرة عندما بلغا السَّطح، حيث صارا مكشوفَين للرَّيح القارسة التي شدَّت معطف جون وطيرته بعُنف. كان جوست نائمًا ممدَّد الجسد إلى جوار حائط صومعة الغلال المبني بالطِّين وأعواد السَّنط، لكنه استيقظَ عندما ظهرَ جون وانتصبَ ذيله الأبيض ذو الشَّعر الكثيف وهو يُهرول إليهما.

ضيق سام عينيه ورفعهما إلى «الجدار» الذي حجبَ نصف السَّماء من أمامهما، الجُرف الجليدي العملاق الذي يرتفع سبعةً قدم كاملة. أحيانًا يبدو لـجون أنه كائن حي له أُمزجته الخاصَّة التي تتبدَّل، إذ يتغيَّر لون الجليد مع كلِّ اختلافٍ في الصَّو، ففي حين يكون أزرق الأنهار المتجمِّدة العميق، وفي حين هو الأبيض المتسخ كالثلج القديم، وعندما تمرُّ سحابة وتُخفي وجه الشَّمس يغمق ليصير رماديًّا باهتًا كنواة لُفْظت من ثمرتها منذ زمن بعيد. امتدَّ «الجدار» شرقًا وغربًا على مدي البصر، ضخماً لدرجة جعلت حصون القلعة الخشبيَّة وبروجها الحجرية تنقلص مقارنةً به إلى أشياء بالغه الضَّالة... إنه حافة العالم.

ونحن ذاهبون وراءها.

انتشرت سُحب رماديّة خفيفة في سماء الصّباح، لكن الخطّ الأحمر الباهت ظلّ واضحًا من خلفها. كان الإخوة الشّود قد أطلقوا على الجرم السماوي اسم «شعلة مورمونت»، وقالوا (وكلامهم ليس بريئًا تمامًا من المزاح) إن الآلهة أرسلته بلا شكّ ليُنير طريق العجوز في الغابة المسكونة. قال سام مظللاً عينيه بالكتب: «المذنب متّقد للغاية الآن، حتى إنك تستطيع أن تراه نهارًا».

- «لا عليك بالمذنبات، فما يُريده الدّب العجوز هو الخرائط».

سبقهما جوست متواثبًا، وقد بدا المكان مهجورًا هذا الصّباح مع ذهاب عددٍ كبير جدًّا من الجوّالة إلى الماخور في بلدة المّناجذ، ليُنقّبوا عن الكنوز الدّفيئة - كما يُطلقون على العاهرات هناك - ويشربوا حتى الثّمالة. كان جرن قد ذهب معهم بعد أن عرض عليه پيپ وهالدِر وتودر أن يتاعوا له أول امرأة احتفالًا بجولته الأولى، وأرادوا أن يذهب چون وسام معهم كذلك، لكن سام يخاف العاهرات كما يخاف الغابة المسكونة، وچون لا يرغب في أن يكون له دور في هذا، وقال لتودر: «لقد حلفتُ يمينًا».

سمع أصواتًا ترتفع بالإنشاد وهما يمرّان بالسّبت. بعض الرّجال يُريد عاهرات عشية المعركة، والبعض يُريد الآلهة. تساءل چون عمّن من الفرقتين يجد نفسه شاعرًا بالارتياح بعد أن ينال ما يُريده، فالسّبت لا يجتذبه أكثر من الماخور بحال، لأن معابد آلهته تقع في البراري، حيث تبسط أشجار الويروود أغصانها البيضاء كالعظام. «السّبعة» لا سلطان لهم وراء «الجدار»، لكن آلهتي ستكون في الانتظار.

كان السير إندرو تارث يعمل خارج مستودع السّلاح مع عددٍ من المجنّدين المستجدين الذين وصلوا ليلة أمس مع كونوي، أحد الغربان المتنقلين الذين يجوبون الممالك السّبع ليجمعوا رجالًا جُددًا للخدمة على «الجدار». تكوّن هذا المحصول الجديد من شيخ يتكئ على عُكّاز، وصبيّين أشقرين يبدو أنهما أخوان، وشاب متأنّق يرتدي الحرير المتّسخ، ورجل ذي قدم مشوّهة يرتدي الأسمال، وأحمق دائم الابتسام يتخيّل نفسه محاربًا. كان السير إندرو

يُري هذا الأخير كم هو مخطئ في ذلك التَّصوُّر، وعلى الرغم من أنه قيِّم سلاح أكثر اعتدالاً من السير أليس ثورن، فإن دروسه لا تزال تترك كدماتٍ على أجساد متدربيِّه. جفَلَ سام مع كلِّ ضربة، أمَّا جون سنو فتابعَ تدريبات المبارزة بتركيز شديد.

- «مارأيك فيهم يا سنو؟»، قال دونال نوي الذي وقفَ في مدخل مستودع السِّلَاح عاري الصدر تحت مئزرٍ جلدي، وقد ظهرَ ما تبقى من ذراعه اليسرى المقطوعة، الشَّيء الذي نادراً ما يحدُث. منظر نوي ليس سارّاً ببطنه الكبير وصدره الضَّخْم وأنفه المسطَّح واللَّحية الكَثَّة حول فمه، وإن رَحَّب به جون في كلِّ الأحوال، فقد أثبتَ صانع السِّلَاح أنه صديق جيِّد.

قال جون والسير إنדרو يُهاجم خصمه بعُنفٍ فيُطيح به: «رائحة الصَّيف نفوح منهم. أين عثرَ عليهم كونوي؟».

أجاب الحدَّاد: «في زنزانة أحد اللوردات في بلدة الثَّوارس. لص وحلاق وشحاذ وصبيَّان يتيَّمان وفتى يعمل عاهرةً. بهؤلاء نحمي حمى البَشَر».

- «سيصلحون»، قال جون مانحاً سام ابتسامةً جانبيَّةً. «كما صلحنا نحن». جذبَه نوي مقرَّباً إياه، وقال: «هل سمعت أخبار أخيك؟».

- «ليلة أمس». كان كونوي ورجاله قد جاءوا بالأخبار شَمالاً معهم، فكانت محور الحديث في القاعة العامَّة. لم يكن جون متأكِّداً بعدُ من شعوره حيال هذا. روب ملكاً؟ الأخ الذي لعبَ معه وتشاجرَ معه وتقاسمَ أول كوب نبيذٍ شربه معه؟ لكن ليس لبن الأم، لا، والآن سيحتسي روب النبيذ الصَّيفي من كؤوس محلَّاة بالجواهر، بينما أركعُ أنا عند جدولٍ ما وأمتصُّ الثلج الذائب بين يديَّ. أجاب بإخلاص: «سيكون روب ملكاً صالحاً».

قال صانع السِّلَاح رامقاً إياه بنظرة صريحة: «حقاً؟ أتمنَّى هذا يا فتى، وإن كنتُ قد قلتُ الشَّيء نفسه عن روبرت من قبل».

قال جون متذكِّراً: «يقولون إنك صنعت مطرقة الحريَّة».

- «أجل، كنتُ رجله، رجل باراثيون، حدَّاداً وصانع سلاح في ستورمز إند إلى أن فقدتُ ذراعي. أنا كبير بما يكفي لأن أتذكَّر اللورد ستفون قبل أن يتلمعه البحر، وأعرفُ أبناءه الثلاثة منذ مولدهم. دَعني أخبرك بهذا: روبرت لم يَعد

كما كان على الإطلاق منذ ارتدى ذلك التاج. بعض الرّجال كالشّيف، مخلوقون للقتال، فإذا علّقوا أصابهم الصّدأ». - «وماذا عن أخويه؟».

فكّر صانع السّلاح لحظةً قبل أن يُجيب: «روبرت كان الفولاذ الحقيقي، وستانيس حديد خالص، أسود وصلب وقوي، نعم، لكنه هشّ كما الحديد، سينكسر قبل أن ينحني. أمّا رنلي فهو النّحاس، لامع ومزخرف ويحلو التطلّع إليه، لكن لا يُساوي الكثير في النّهاية».

ومن أيّ معدنٍ قدّ روب؟ لم يسأل جون، فنوي من المخلصين لآل باراثيون، وغالبًا يعدّ چوفري الملك الشّرعي وروب خائنًا. في أخوة حرس اللّيل ثمة ميثاق غير مُعلن يجعلهم لا يخوضون طويلاً في تلك المسائل، فالرّجال يأتون إلى «الجدار» من كلّ أنحاء الممالك السّبع، وليس من اليسير أن ينسوا من كانوا يُجِبّونهم ويُخلّصون إليهم من قبل، مهما كان عدد الأيمان التي حلفوها... كما يعي جون نفسه بشدّة الآن، وحتى سام الذي أقسم أبوه على الولاء لهايجاردن، التي يدعم سيّدها اللورد تايرل الملك رنلي. من الأفضل عدم الدّخول في تلك الأحاديث، فحرس اللّيل لا يتدخّلون في شؤون البلاد. قال جون: «اللورد مورمونت ينتظرنا».

ربّت نوي على كتفه وابتسم قائلاً: «لن أعطلكما عن الدّب العجوز إذن. فلتكن الآلهة معكم غداً يا ستو. عودوا بعمّك الغائب، هل تسمعنني؟». وعده قائلاً: «سنفعل».

كان حضرة القائد مورمونت قد نقل إقامته إلى بُرج الملك بعد أن التهم الحريق بُرجه. تركّ جون جوست مع الحُرّاس خارج الباب، وقال سام بتعاسٍ وهما يبدآن الصّعود: «المزيد من السّلالم. كم أكره السّلالم!». - «هذا شيء لن نواجهه في الغاية».

لمحهما الغداف بمجرد أن دخلا الغرفة الشّمسيّة، وصرخ: «سنو!»، فبتر مورمونت محادثته وقال لسام: «قضيت وقتاً طويلاً في العثور على تلك الخرائط»، وأزاح بقايا إفطاره ليُفّسح مكاناً على الطاولة، وأضاف: «ضعها هنا. سألقي نظرة عليها فيما بعد».

رمقَ ثورين سمولود -الجوّال عصبي الملامح ذو الذّقن الضّعيفة والضم الأضعف المخفي تحت لحيته الخفيفة المشعّنة - چون وسام بنظرة باردة. إنه من رجال أليس ثورن المخلصين، ولا يُكنُّ لهما أيّ مودّة. قال لمورمونت متجاهلاً إياهما: «مكان حضرة القائد في القلعة السّوداء، يُلقَى الأوامر والتّعليمات، هذا ما يبدو لي».

خفق الغداف بجناحيه الأسودين الكبيرين مردّداً: «لي، لي، لي». قال مورمونت للجوّال: «إذا جاء يوم وأصبحت القائد، فيمكنك أن تفعل ما تُريد، لكن يبدو لي أنا أني لا ميتٌ ولا وضعك الإخوة مكاني». ردّ سمولود بعناد: «أنا الجوّال الأول الآن مع غياب بن ستارك ومقتل السير چارمي، ومن المفترض أن تكون القيادة لي غداً».

لم يكن مورمونت يرغب في أيّ نقاش، وقال بحسم: «لقد أرسلتُ بن ستارك شمالاً، وأرسلتُ السير وايمار من قبله، ولا أنوي أن أرسلك وراءهما وأجلسُ متسائلاً كم من الوقت ينبغي أن أنتظر قبل أن أعدك مفقوداً بدورك. ثم إن ستارك سيظلّ الجوّال الأول حتى نتيقّن من موته، فإذا جاء ذلك اليوم، سأكون أنا من يختار من يخلفه، وليس أنت. والآن كُفّ عن تضییع وقتي. سوف تتحرّك مع أول خيوط الفجر، أم أنك نسيت؟».

نهض سمولود قائلاً: «كما تأمر يا سيّدي»، وكشّر في وجه چون في طريقه إلى الخارج، كأنها بشكل ما غلطته.

- «الجوّال الأول!»، قال الدّب العجوز باستنكار، واستقرّت عيناه على سام فأردف: «أهون عليّ أن أعينك أنت جوّالاً أول! لديه من الوقاحة ما يجعله يقول في وجهي إنني عجوز جدّاً على الرّكوب معه. هل أبدو عجوزاً لك يا ولد؟». كان الشّعْر الذي انسحب من على فروة رأس مورمونت المنقطة قد عادَ يجتمع تحت ذقنه في لحيّة شيّاء خشنة غطّت مساحةً كبيرة من صدره، وقد ضربها بقوة قائلاً: «هل أبدو ضعيفاً؟».

فتح سام فمه وخرج منه صرير قصير، فهو يرهّب الدّب العجوز لأقصى حدّ، فندخل چون بسرعة قائلاً: «لا يا سيّدي، إنك تبدو قويّاً كال... كال...». قاطعه مورمونت: «لا تملّقني يا سنو، فأنت تعلم أني لا أحبّ هذا. دعني

ألقي نظرة على هذه الخرائط»، وأطلع عليها بحركات خشنّة، معطيًا كلاً منها نظرة سريعة وصوتاً ينم عن عدم الرضا، ثم قال: «أهذا كلُّ ما وجدته؟». قال سام متلعثماً: «أنا... سسسيدي... هناك... هناك المزيد، لكن... الفوفوضى...».

- «هذه خرائط قديمة»، قال مورمونت متذمّراً، وردّد غدافه صدى الكلمة الأخيرة صائحاً بحدّة: «قديمة، قديمة!».

أشارَ جون قائلاً: «قد تنشأ القرى وتضمحل، لكن التلال والأنهار ستظل في المواضع نفسها».

- «هذا صحيح. هل اخترت غدفاًك يا تارلي؟».

- «المِمايستر إيمون بينوي أن ينيثقيها هذا المساء بعد إلإطعامها».

- «أريد أفضل ما لديه، طيوراً ذكيّة وقويّة».

وقال طائرته وهو يسوّي ريشه: «قويّة، قويّة، قويّة».

- «إذا حدث أن دُبحنا في العراء، فأريد أن يعرف خليفتي أين وكيف مِنّا». أصاب الكلام عن الذبح سامويل تارلي بالخرس، فمال مورمونت إلى الأمام قائلاً: «عندما كنتُ صبيّاً في نصف عُمرِكَ يا تارلي، قالت لي أمي إنني إذا وقفتُ وفمي مفتوح هكذا، سيظنّه ابن عُرس وكره ويحشر نفسه في حلقي. إذا كان لديك ما تقوله فقلّه، وإلا فاحذر من ابن عُرس»، ولوّح بيده بفضاظةٍ مضيقاً: «اذهب، فأنا مشغول وغير راغبٍ في الحماقات. لا شك أن المايستر لديه عمل ما لك».

ازدرد سام لُعباه وتراجعَ وهرعَ منسحباً بسرعةٍ حتى إنه كاد يتعثّر في البساط، وقال حضرة القائد بعدما ذهب: «أهذا الصّبي أبله كبير كما يبدو حقّاً؟»، وردّد الغداف: «أبله!»، بينما لم ينتظر مورمونت إجابةً من جون، وواصل: «السيد والده صاحب مرتبةٍ عالية بين مستشاري الملك رنلي، وأفكر أن أرسله لـ... لا، من الأفضل ألا أفعل. رنلي لن يُعطي ولدًا بدينًا يرتجف كالورقة أيّ اهتمام. سأرسلُ السير آرئل. إنه أكثر ثباتًا بكثير وأمه كانت من آل فوسواي ذوي الثّفاحة الخضراء».

- «إذا سمحت يا سيّدي، ما الذي تُريده من الملك رنلي؟».

- «الشيء ذاته الذي أريده منهم جميعاً يا فتى، الرِّجال والخيول والسِّلاح والدُّروع والغلال والجُبْن والنَّبِيذ والصُّوف والمسامير... حرس اللَّيل ليسوا مترفِّعين، وناخذ ما يُقدِّم لنا»، ونقرّ على ألواح الطاولة الخشنة بأصابعه مكملًا: «من المفترَض أن يبلِّغ السير أليس كينجز لاندنج مع دورة القمر الجديدة، لكنني لا أدري إن كان ذلك الصَّبِي جوفري سيُعيّره انتباهًا. عائلة لانستر لم تكن صديقةً لحرس اللَّيل قطّ».

- «ثورن معه يد الجِنَّة الحَيَّة لثريهم إياها». كانت شيئًا بشعًا أسود الأصابع، ترتعش وتتحرك في البرطمان كما لو أنها لا تزال حيَّة.

- «ليت كانت لدينا يد أخرى نُرسِلها إلى رنلي».

- «دايوين يقول إن من الوارد أن نجد أيَّ شيء وراء «الجدار»».

قال مورمونت ساخرًا: «نعم، دايوين يقول، وآخر مرّة خرج في جولة قال إنه رأى دُبًّا طوله خمسة عشر قدمًا. يُقال إن أختي اتَّخذت دُبًّا عشيقًا لها، وسأصدّق هذا قبل أن أصدّق وجود دُبّ طوله خمسة عشر قدمًا... مع أنه في عالم ينهض فيه الموتى... آه، ولو، على الرَّجل أن يُصدّق عينيه فقط. لقد رأيتُ المَوتى يمشون، لكنني لم أرَ دِبةً عملاقة»، ثم رمقَ جون بنظرة طويلة فاحصة، وقال: «لكننا كنا نتكلّم عن الأيدي، فكيف حال يدك؟».

- «أفضل»، قال جون وخلع القُفَّاز لثريه. كانت الثُّدوب تُعْطِي نصف ذراعه حتى المرفق، ولا يزال يشعُر بالجلد المرقش الملتهب مشدودًا رقيقًا، وإن كان في طريقه إلى الشِّفاء. «إنها تستحكّني، لكن المايستر إيمون يقول إن هذا جيّد، وأعطاني دهانًا أخذه معي عندما تُغادر».

- «هل تستطيع استخدام «المخلب الطويل» رغم الألم؟».

أجاب جون وهو يشي يده فاتحًا ومغلِقًا الأصابع كما أراه المايستر: «بما فيه الكفاية. سأمرّن أصابعي كلّ يوم كما قال المايستر إيمون لتبقى نشطة».

- «قد يكون أعمى، لكن إيمون لا يفعل الأشياء اعتباطًا. إنني أدعو الآلهة أن تُبقيّه معنا عشرين عامًا أخرى. هل تعرف أنه كان من الممكن أن يُصبح ملكًا؟».

رَدَّ چون مأخوذاً بالمفاجأة: «لقد أخبرني أن أباه كان ملكاً، لكن ليس... حسبُ أنه أصغر الأبناء ربما».

- «إنه كذلك. أبو أبيه كان دايرون تارجارين الثاني، الذي صَمَّ دورن إلى المملكة. كان جزء من المعاهدة أن يتزوَّج أميرة دورنية، فأنجبت منه أربعة أبناء، وكان مايكار أبو إيمون أصغرهم، وإيمون كان ثالث من أنجبهم مايكار. اعلم أن كلَّ هذا حدث قبل أن أولد، مهما حسبي سمولود هَرِمًا».

- «المايستر إيمون سُمِّيَ تيمناً بالفارس التَّين».

- «صحيح. يقول البعض إن الأمير إيمون كان أبا الملك دايرون الحقيقي، وليس إجون غير الجدير، لكن في كلِّ الحالات افتقر إيمون الخاص بنا إلى طبيعة الفارس التَّين العسكرية، ويُحِبُّ أن يقول إنه كان بطيء القتال وإنما سريع البديهة. لا غرو أن جدَّه صرفه إلى «القلعة». كان في التاسعة أو العاشرة وقتئذٍ على ما أعتقد... والتاسع أو العاشر في تسلسل الوراثه كذلك».

يعرف چون أن المايستر إيمون شهد أكثر من مئة يوم ميلاد، ومن الصَّعب عليه أن يتخيَّل هذا الرَّجل الواهن المنكمش الذَّابل الضَّرير صبيّاً صغيراً في عُمَر آريا.

تابع مورمونت: «كان إيمون يدرِّس عندما قُتِلَ عُمُّه الأكبر ولِّيَّ العهد في حادثٍ في دورة مباريات. كان قد خَلَفَ ابنين، لكنهما تبعاه إلى القبر بعد فترة لم تَطُل، خلال الوباء الرَّبيعي العظيم، ومات الملك دايرون أيضاً، فانتقل النَّاج إلى ابنه التَّاني إيرس».

قال چون حائراً: «الملك المجنون؟». إيرس كان الملك قبل روبرت، ولم يكن هذا منذ زمن بذلك الطول.

- «كلا، أقصدُ إيرس الأول. مَن خلعه روبرت كان التَّاني».

- «متى كانت تلك الأحداث؟».

أجاب الدُّب العجوز: «منذ ثمانين عاماً أو نحوها، وقبل أن تسأل، لا، لم أكن قد وُلِدْتُ بعدُ وقتها، وإن كان إيمون قد صاعَ نصف دسْتة من الحلقات في سلسلته في ذلك الحين. تزوَّج إيرس أخته كما كانت عادة آل تارجارين، وحكم عشرة أعوام أو اثني عشر. خلال هذه الفترة حلفَ إيمون يمينه وغادرَ

«القلعة» ليعخدم في بلاط لورد صغير ما... إلى أن مات عمُّه الملك دون أن يترك وريثاً، وانتقل العرش الحديدي إلى آخر أبناء الملك دايزون الأربعة، مايكار أبي إيمون. استدعى الملك الجديد أبناءه كلهم إلى البلاط، وكان ليجعل إيمون جزءاً من مجلسه، لكنه رفض قائلاً إن هذا اغتصاب للموقع الذي ينتمي شرعاً للمايستر الأكبر، وبدلاً من هذا خدم في حصن أخيه الأكبر، الذي كان اسمه دايزون أيضاً. هذا الأخ مات كذلك تاركاً فتاةً واهنة العقل كوريثة. اعتقد أنها عدوى أصيب بها من عاهرة ما. الأخ التالي كان إريون». كان جون يعرف هذا الاسم، فاندفع يسأل: «إريون الوحش؟». كانت الأمير الذي حسب نفسه تينياً واحدة من أكثر الحكايات المخيفة التي روتها لهم العجوز نان، وقد أحبها أخوه الصغير بران كثيراً.

- «هو بالضبط، وإن كان قد سُمي نفسه إريون اللهب الساطع. في ليلة وهو شمل شرب جرّة من النّار الشعواء بعد أن قال لأصدقائه إنها ستُحيله إلى تين، لكن الآلهة كانت عطوفةً فحوّلت النّار إلى جثّة بدلاً من هذا. بعدها بأقل من عام مات الملك مايكار في معركة ضد لورد خرج على القانون». لم يكن جون جاهلاً تماماً بتاريخ البلاد، فقد تأكد المايستر لوين من تعليمه، فقال: «كان ذلك عام المجلس العظيم، عندما تجاوز اللوردات ابن الأمير إريون الرضيع وابنة الأمير دايزون وأعطوا النّاج لإجون».

- «نعم ولا. في البداية عرضوه بهدوء على إيمون، وبهدوء رفض قائلاً إن الآلهة تريد منه أن يخدم لا أن يحكم، ثم إنه أصرّ على أنه لن يحث بيمينه أبداً، على الرغم من أن السّبتون الأعلى نفسه عرض أن يُعفيه. على كل حال، لم يكن أحد يرغب في أن يجلس واحد من دم إريون على العرش، وابنة دايزون كانت محدودة العقل علاوة على كونها أنثى، فلم يكن لديهم خيار غير الاتجاه إلى أخي إيمون الأصغر، إجون الخامس الذي لقّب بإجون المستبعد وقد وُلد ابناً رابعاً لابن رابع. كان إيمون يعرف -ولديه الحق- أن من يعرضون على حكم أخيه سيسعون إلى استغلاله، وهكذا جاء إلى «الجدار»، وهنا ظلّ بينما حكم أخوه وابنه وابن ابنه وماتوا على التّوالي، إلى أن وضعّ جايمي لانستر نهاية لآخر ملك تين».

نَعَبَ الْغُدَافُ: «مَلِكٌ»، ثُمَّ رَفَرَفَ عِبرَ الْغُرْفَةِ لِيَحُطَّ عَلَى كَتِفِ مَورْمُونَتٍ
مَكْرُزًا: «مَلِكٌ» وَهُوَ يُحَرِّكُ رَأْسَهُ إِلَى الْأَمَامِ وَالْخَلْفِ.
قَالَ چُونِ مِتْسَمًا: «إِنَّهُ يُحِبُّ هَذِهِ الْكَلِمَةَ».
- «كَلِمَةُ يَسْهُلُ قَوْلُهَا، كَلِمَةُ يَسْهُلُ حُبُّهَا».
وَرَدَّدَ الطَّائِرُ: «مَلِكٌ».
- «أَظْنُهُ يُرِيدُكَ أَنْ تَرْتَدِي تَاجًا يَا سَيِّدِي».

قَالَ مَورْمُونَتُ: «الْبِلَادُ فِيهَا ثَلَاثَةُ مَلُوكٍ بِالْفِعْلِ، أَيُّ أَنَّ الْعِدَدَ الَّذِي يَرُوقِي
زَائِدٌ مَلَكِينَ دُفْعَةً وَاحِدَةً»، وَأَخَذَ يُدَاعِبُ الْغُدَافَ تَحْتَ مَنْقَارِهِ دُونَ أَنْ تُغَادِرَ
عَيْنَاهُ چُونِ سَنُو لِحْظَةٍ.

أَصَابَهُ هَذَا بِالْقَلْقِ، فَسَأَلَ: «سَيِّدِي، لِمَاذَا حَكَيْتَ لِي مَا حَكَيْتَهُ عَنِ الْمَايسْتَرِ
إِيْمُونُ؟».

- «أَمِنَ الضَّرُورِي أَنْ يَكُونَ لَدَيَّ سَبَبٌ؟»، وَاعْتَدَلَ مَورْمُونَتُ فِي مَقْعَدِهِ
مَقْطَبًا جِهَتَهُ وَقَالَ: «لَقَدْ تَوَجَّحَ أَخُوكَ رُوبُ مَلَكًا فِي الشَّمَالِ، أَيُّ أَنَّ هَذَا شَيْءٌ
مَشْتَرَكٌ بَيْنَكَ وَبَيْنَ إِيْمُونِ، كَلَاكَمَا لَهُ أَخٌ مَلِكٌ».
قَالَ چُونُ: «وَنَشْتَرِكُ فِي الْقَسَمِ الَّذِي رَدَّدْنَاهُ كَذَلِكَ».

أَطْلَقَ الذُّبَّ الْعَجُوزَ نَخِيرًا مَرْتَفَعًا، فَوَثَبَ الْغُدَافُ لِيُحَلِّقَ فِي دَائِرَةٍ فِي
سَمَاءِ الْغُرْفَةِ. «أَعْطَنِي رَجُلًا مُقَابِلَ كُلِّ قَسَمٍ رَأَيْتَهُ يُنَكِّثُ وَلَنْ يَفْتَقِرَ الْجِدَارُ»
إِلَى مَنْ يُدَافِعُونَ عَنْهُ أَبَدًا.

- «كَنتُ أَعْرِفُ دَوْمًا أَنَّ رُوبَ سَيُصْبِحُ سَيِّدٌ وَيَنْتَرِفِلُ».

صَفَرَ مَورْمُونَتُ، فَعَادَ الطَّائِرُ يَسْتَقَرُّ عَلَى ذِرَاعِهِ وَهُوَ يَقُولُ: «سَيِّدُ قَلْعَةٍ
شَيْءٌ وَمَلِكٌ شَيْءٌ آخَرُ»، وَرَفَعَ يَدَهُ إِلَى الْغُدَافِ بِحَفْنَةٍ مِنَ الدُّرَّةِ مِنْ جِيْبِهِ
وَتَابَعَ: «سَوْفَ يَكْسُونُ أَخَاكَ رُوبَ بَحْرِيرٍ وَمُخْمَلٍ مِنْ مِثْلَةِ لَوْنٍ وَلَوْنٍ، بَيْنَمَا
تَعِيشُ أَنْتِ وَتَمُوتِ مَرْتَدِيًا قَمِيصُ الْحَلَقَاتِ الْمَعْدَنِيَّةِ الْأَسْوَدِ، وَسَيَتَزَوَّجُ هُوَ
أَمِيرَةً جَمِيلَةً مَا وَيُنْجِبُ مِنْهَا أَبْنَاءً، وَأَنْتِ سَتُظَلُّ بِلا زَوْجَةٍ دَائِمًا وَلَنْ تَحْمِلِ
طِفْلًا مِنْ دَمِكَ بَيْنَ يَدَيْكَ أَبَدًا. رُوبُ سَيَحْكُمُ وَأَنْتِ سَتُخْدَمُ، وَسَيَدْعُوكَ
النَّاسُ بِالْغُرَابِ وَيَدْعُونَهُ بِجَلَالَةِ الْمَلِكِ. سَيُجْمَدُ الْمَغْنُونُ كُلُّ شَيْءٍ صَغِيرٍ

يفعله بينما لن يُغْنِي أحد كلمةً عن أعظم إنجازاتك. قُل لي إن لا شيء من هذا
يُزَعِّجك يا جون وسأعِدُّكَ كَذَّابًا، واعلم أنني أعرفُ الحقيقة».
شدَّ جون قامته عن آخرها حتى صارت كوتر القوس، وقال: «ولو كنتُ
منزعجًا حقًّا، فماذا يُمكنني أن أفعل وأنا مجرد نغل؟».
سأله مورمونت: «ماذا يُمكنك أن تفعل وأنت مجرد نغل؟».
أجاب جون: «سأنزعج... وأصون قسَمي».



كاتلين

كان تاج ابنها قد خرجَ لتوّه من كبر الحدّاد، وخُيِّلَ لكاتلين ستارك أنه يضغط بوزنه الثَّقيل على رأس روب.

لقد فُقدَ تاج ملوك الشَّتاء العتيق منذ ثلاثة قرونٍ كاملة، بعد تسليمه إلى إيجون الفاتح، عندما ركعَ تورين ستارك أمامه معلنًا خضوعه، ولا أحد يدري ما فعله به إيجون. على أن حدّاد اللورد هوستر أدّى عمله على أكمل وجه، فبدأ تاج روب مشابهاً جدًّا للآخر الذي وردَ وصفه في الحكايات التي تُحكى عن ملوك ستارك القُدّامى: دائرة صغيرة مفتوحة من البرونز المطرّق نُقِشت عليها أبجدية البشر الأوائل، تعلوها تسعة قضبان حديدية سوداء على شكل سيوفٍ طويلة. غابَ كلُّ أثر للذهب والفضّة والجواهر من التّاج، فمن قديمِ البرونز والحديد معدنا الشَّتاء، كلاهما داكُنَّ قويَّ أثناء القتال ضد البرد.

كانوا ينتظرون مثل السّجين أمامهم في قاعة ريفررَن الكُبرى، ورأت روب يدفع التّاج إلى الوراء على شعره الكستنائي الكثيف، ثم يُحرّكه إلى الأمام ثانية بعد لحظات، ثم إنه أدّاه رُبع دورة، كأن هذا سيجعله يستقرُّ بسهولةٍ أكثر على حافة رأسه. فكُرت كاتلين وهي ترقّبه: ليس من السّهّل أن يرتدي أحدهم تاجًا، لا سيّما صبيًّا في الخامسة عشر.

طلبَ روب سيفه عندما جاءوا بالأسير، فقدّمه له أوليفار فراي من المقبض، وسحبَ ابنها السّيف من غمده وأراحه على حجره كتهديدٍ واضح للعيان، وأعلنَ السير روبن رايجر قائد حرس نلي: «الرّجل الذي طلبته يا جلالة الملك».

زَعَقَ ثِيون جَرايچوي: «اركَع أمامَ الملك يا لانسَتر!»، ودَفَعَ السير روبن السَّجِين لِيَنزِلَ عَلى رُكْبَتِيهِ.

خَطَرَ لَكَاتِلِينَ أَنَّهُ لَا يَبْدُو كَأَسَدٍ، فَهَذَا السَّير كَلْيُوسُ فَرَاي هُوَ ابْنُ اللَّيْدي چِنَا أُخْتُ اللُّورد تايوِين لانسَتر، لَكِنَّهُ لَا يَتَمَتَّعُ بِشَيْءٍ مِنْ جَمَالِ عَائِلَةِ لانسَتر المَشْهُورِ، الشَّعْرُ النَّاعِمُ والأَعْيُنُ الخَضِرَاءُ، وَبَدَلًا مِنْ هَذَا وَرَثَ الشَّعْرِ البَنِّي اللَّيْفِي وَالدَّقْنُ الضَّعِيفَةُ وَالوَجْهُ النَّحِيلُ مِنْ أَبِيهِ السَّير إِمُون فَرَاي، الابْنُ الثَّانِي لِلُّورد وَالدَّر العَجُوزِ. كَانَتْ عَيْنَاهُ بَاهِتَتَيْنِ دَامِعَتَيْنِ، وَتَطْرَفَانِ بِسُرْعَةٍ لَا يَسْتَطِيعُ السَّيْطَرَةُ عَلَيْهَا، لَكِنْ لَعْلُ الضُّوءِ هُوَ السَّبَبُ لَا أَكْثَرَ، فَالزَّنَازِينِ الْوَاقِعَةُ أَسْفَلَ رِيْفَرُونِ مَظْلَمَةٌ وَرَطْبَةٌ... وَمَتَخِمَةٌ هَذِهِ الْأَيَّامُ كَذَلِكَ.

- «انْهَضْ يَا سِير كَلْيُوسَ». لَمْ يَكُنْ صَوْتُ ابْنِهَا جَلِيدِيًّا كَصَوْتِ أَبِيهِ، إِلَّا أَنَّ نَبْرَتَهُ لَمْ تَكُنْ كَصَبِيٍّ فِي الْخَامِسَةِ عَشَرَ كَذَلِكَ، فَالْحَرْبُ جَعَلَتْ مِنْهُ رَجُلًا قَبْلَ أَوَانِهِ، رَجُلًا يَلْتَمِعُ نُورَ الصَّبَاحِ بِخُفُوفٍ عَلَى حَافَةِ السَّيْفِ الْفُولَازِي الْمُسْتَقَرِّ فَوْقَ رُكْبَتِيهِ.

لَكِنْ السَّيْفُ لَمْ يَكُنْ مَا أَثَارَ قَلْقَ السَّير كَلْيُوسُ فَرَاي، بَلِ الْوَحْشُ. سَمَّاهُ ابْنُهَا جَرَاي وَبِنْدَ، الذَّنْبُ الرَّهِيبُ الَّذِي يُنَازِلُ كَلَابَ الْإِلَكةِ⁽¹⁾ حَجْمًا، وَلَهُ جَسَدُ نَحِيلٍ رَشِيقٍ وَفَرُو دَاكِنٍ كَالدُّخَانِ وَعَيْنَانِ كَالذَّهَبِ الْمَصْهُورِ، وَقَدْ تَنَازَلَتْ رَائِحَةُ الْخَوْفِ إِلَى أَنْوْفِ الْحَاضِرِينَ كُلِّهِمْ عِنْدَمَا تَقَدَّمَ الْحَيَوَانُ وَتَشَمَّمُ السَّير كَلْيُوسَ. كَانَ الْفَارَسُ قَدْ أُسِرَ فِي مَعْرَكَةِ الْغَابَةِ الْهَامِسةِ، حَيْثُ مَزَّقَ جَرَايُ وَبِنْدُ حَنَاجِرَ نِصْفِ دَسْتَةٍ مِنَ الرُّجَالِ.

نَهَضَ الْفَارَسُ مَسْرَعًا وَهُوَ يَمِيلُ بَعِيدًا بِشِدَّةٍ جَعَلَتْ عِدَدًا مِنَ الْمَوْجُودِينَ يَضْحَكُونَ بِصَوْتٍ عَالٍ، وَقَالَ: «أَشْكُرُكَ يَا سَيِّدِي».

- «يَا جَلَالَةُ الْمَلِكِ»، هَدَرَ اللُّورد چُون أَوْمِرَ الْكَبِيرِ، الْأَصْخَبُ دَوْمًا بَيْنَ حَمَلَةِ رَايَةِ رُوبِ الشَّمَالِيِّينَ وَأَخْلَصَهُمْ وَأَقْوَاهُمْ... أَوْ أَنَّ هَذَا مَا يُصِرُّ عَلَيْهِ. كَانَ أَوَّلُ مَنْ نَادَى بِابْنِهَا مَلَكًا فِي الشَّمَالِ، وَلَا يَسْمَحُ بِأَيِّ إِسَاءَةٍ لَشَرَفِ عَاهِلِهِ الْجَدِيدِ.

(1) نَوْعٌ مِنَ الْكَلَابِ يُسْتَخْدَمُ فِي الْحِرَاسَةِ وَالصَّيْدِ، لَا سَيِّمًا حَيَوَانَاتِ الْإِلَكةِ، وَمِنْ هُنَا جَاءَتْ التَّسْمِيَةُ، وَإِنْ كَانَ يُسْتَخْدَمُ فِي صَيْدِ الذَّنَابِ وَالذَّبِّهِ كَذَلِكَ.

صَحَّح السير كليوس بتردُّد: «يا جلالة الملك، معذرة».

خطرَ لكاتلين أنه ليس بالرجل الشجاع، ففيه من آل فراي أكثر من آل لانستر في الحقيقة، بينما كان ابن خاله قاتِل الملك لِيُشَكِّل مسألة أخرى تمامًا، فلم تكن عبارة التَّشريف تلك لتُخْرِج من بين أسنان السير چايمي لانستر النَّصِيْدة أبدًا.

- «لقد أخرجتك من زنزانتك لتحمل رسالة مني إلى ابنة خالك الملكة سرسي في كينجز لاندينج. ستُساوِر تحت راية سلام في ضُحبة ثلاثين من أفضل رجالي».

قال السير كليوس وقد بدا جليًّا أنه تخفَّف من مخاوفه: «يُسْرُنِي للغاية أن أحمل رسالة جلالتك إلى الملكة».

قال روب: «عليك أن تفهم أنني لا أعطيك حرَّيتك. لقد تعهَّد لي جدُّك اللورد والدريدعمه ودعم عائلة فراي، وكثير من أعمامك وأبنائهم ركبوا معنا في الغابة الهامسة، أمَّا أنت فاخترت أن تُقاتِل تحت راية الأسد، ما يجعلك لانستر لا فراي. أريدُ تعهَّدًا منك بشرفك كفارس أنك ستعود برَدَّ الملكة بعد إيصال رسالتي، لستأنف سجنك».

أجاب السير كليوس من فوره: «أتعهَّد بهذا».

- «كلُّ رجل في هذه القاعة سمعك»، قال السير إدميور تلي شقيق كاتلين منذرًا، بصفته المتحدِّث باسم ريفرزن ولوردات الثالوث في غياب أبيهما المحتضر. «إذا لم تُعُد، ستعرف البلاد كلها أنك تعهَّدت كذبة».

ردَّ السير كليوس بجمود: «سأفعلُ كما تعهَّدتُ. ما الرِّسالة؟».

- «عرضُ بالسلام»، قال روب ناهضًا وفي يده سيفه الطَّويل، ودنا جراي ويند ليقف إلى جانبه، بينما خيَّم الصَّمت على القاعة. «أخبر الملكة الوصيَّة على العرش أنني سأضعُ هذا السَّيف في غِمدِه إذا وافقت على شروطي، وأضعُ معه نهايةً للحرب بيننا».

في مؤخِّرة القاعة لمحت كاتلين شبح اللورد ريكارد كارستارك النَّاحِل الطَّويل يدفع كتفيه عبر صَفٍّ من الحُرَّاس ليُخْرِج من الباب. لم يتحرَّك أحد آخر، ولم يُلْقِ روب بالآل للحركة، بل قال أمرًا: «الرَّق يا أوليفار»، فأسرع مرافقه

يتناول منه السيف ويُنْأوله رَقًّا مطويًّا، بسطه روب قائلاً: «أولاً، على الملكة أن تُطلق سراح أختي وتزوَّدهما بوسيلة نقل عبر البحر من كينجز لاندنج إلى الميناء الأبيض. من المفهوم ضمناً أن خِطْبَة سانزا لجوفري باراثيون تُعدُّ مفصومة. عندما أتلقي خبراً من أمين قلعتي بأن أختي قد عادتا سالمين إلى ويتترفل، سأطلق سراح ابني عمّ الملكة، ويلم لانستر مُرافق الفارس وأخيك تيون فراي، وأرسل من يصحبهما بأمان إلى كاسترلي روك أو أي مكان آخر ترغب في تسليمهما فيه».

تمنّت كاتلين ستارك لو أنها تستطيع قراءة الأفكار المتوارية وراء كل وجه وكل حاجب معقود وشفيتين مضمومتين.

- «ثانياً، يُرَدُّ إلينا رُفات السيّد والدي، كي يستريح إلى جوار أخيه وأخته في السّرايب أسفل ويتترفل كما كان ليرغب، ولا بُدَّ أيضاً من رَدِّ رُفات رجاله الذين ماتوا في كينجز لاندنج».

من ذهبوا جنوبياً أحياء يُرزَقون لن يعود منهم غير العظام الباردة. كان ند على حق، قال إن مكانه في ويتترفل، فهل رضى أن أسمعهُ؟ لا، قلتُ له، اذهب، يجب أن تكون يد روبرت من أجل عائلتنا وأجل أطفالنا... ما حدث كان من صُنْعي، من صُنْعي أنا وليس غيري...

- «ثالثاً، يُسَلَّم سيف أبي العظيم «جليد» إلى يدي هنا في ريفرزن».

راقبت أخاها السير إدمور تلي وقد تعانق إبهاماه فوق حزام سيفه وملامحه جامدة كالحجر.

- «رابعاً، تأمر الملكة أباه اللورد تاويين بإطلاق سراح فُرساني واللوردات حملة رايتي، الذين أسرهم في معركة فرع الثالوث الأخضر، وبمجرد أن يفعل هذا سأطلق سراح الأسرى الذين أخذناهم من الغابة الهامسة ومعركة المعسكرات، باستثناء چايمي لانستر وحده، الذي سيبقى رهيتي لضمان أن يُحسِن أبوه الأدب».

تمنّنت في ابتسامة ثيون جرايچوي الخبيثة متسائلة عن معناها. ذلك الشّاب يبدو دائماً كما لو أنه يعرف دُعاة سرّيّة لا يطلع غيره عليها، الشّيء الذي لم يَرُق لكاتلين قط.

- «أخيراً، لا بُدَّ أن يُعلنَ الملكُ جوفري والملكة الوصيَّةُ التَّخْلِي عن أيِّ دعاوٍ للسَّيَادَةِ على الشَّمال. من الآن فصاعداً نحن لسنا جزءاً من مملكتهم، بل مملكة حرَّةٌ مستقلَّةٌ كما كنا قديماً. سيضمُّ نطاق سيطرتنا كلَّ أراضي ستارك الواقعة شمال «العُتْق»، وإضافةً إلى هذا الأراضي التي يرونها نهر الثَّالوث وروافده، نهايةً بـ«النَّاب الذَّهبي» غرباً وجبال القمر شرقاً».

- «الملك في الشَّمال!»، دَوَّى جون أومبر الكبير وقبضته الضَّخمة تدقُّ الهواءَ كالطرقة مع هتافه. «ستارك! ستارك! الملك في الشَّمال!».

طوى روب الرِّق وتابع: «المَيسِتر فايماَن رسمَ خريطةً تُوضِّح الحدود التي تُطالبُ بها، وستأخذُ معك نسخةً للملكة. يجب أن ينسحب اللورد تاوين إلى ما وراء تلك الحدود، وينقطع عن الغارات والحرق والنَّهب، ولن تُطالبَ الملكة الوصيَّةُ وابنها بأيِّ ضرائب أو دخول أو خدمات من شعبي، وسيُحرَّران جميع لورداتي وفُرساني من كلِّ أقسام الولاء والتعهدات والتَّدور والذَّيُون والالتزامات التي يدينون بها للعرش الحديدي وعائلي باراثيون ولاستِر. بالإضافة إلى هذا سيُوصَّلُ لنا آل لانستر عشرةً من الرِّهائن كَريمي النَّسب سنشترك في الاتِّفاق عليهم، على سبيل التَّعهد بالسلام. سأعامل هؤلاء كضيوفٍ مكرَّمين طبقاً لمراكزهم، وما دُمت ملتزمين بشروط هذه المعاهدة دون أيِّ إخلال، سأطلقُ سراحَ رهيَّتين منهم كلَّ عام وأعيدهما بأمانٍ إلى عائليتهما»، ثم ألقى الرِّق المطويَّ عند قدمي الفارس وقال: «هذه هي الشُّروط، فإذا قبلتها الملكة، سأمنحها السلام، وإذا لم تقبل...»، وأطلقَ صفيراً فتقدَّم جراي ويند مزمجراً، فأكمل: «... سأمنحها غابةً هامسةً أخرى».

- «ستارك!»، هدرَ جون الكبير من جديد، وهذه المرَّة انضمت إليه أصوات أخرى لتهتف: «ستارك، ستارك، الملك في الشَّمال!»، وألقى الذُّب الرَّهيب رأسه إلى الوراء وراح يعوي.

كان وجه السير كليوس ممتعاً تماماً وهو يقول: «ستمسح الملكة رسالتك يا س... جلالة الملك».

قال روب: «عظيم. سير روبن، اعمل على أن يتناول وجبةً طيِّبةً ويرتدي ثياباً نظيفةً. سيتحرَّك مع أول خيوط الفجر».

أجاب السير روبن رايجر: «كما تأمر يا جلالة الملك».
- «انتهينا إذن». هكذا انحنى الفرسان وحملت الرّاية المجتمععون لروب وهو يدور ليُغادر وجراي ويند في أعقابهِ، بينما أسرع أوليفار فراي ليفتح الباب، وتبعنهم كاتلين إلى الخارج وأخوها إلى جوارها.
قالت لابنها في الشّرفة التي تقود من مؤخّرة القاعة: «أبليت بلاءً حسنًا، وإن كانت حركة الذّئب تلك لهوًا يُناسب صبيًا لا ملكًا».
حكّ روب جراي ويند وراء أذنه، وقال مبتسمًا: «هل رأيت النّظرة على وجهه يا أمّي؟».

- «ما رأيته هو اللورد كارستارك يُغادر القاعة».
- «رأيتهُ أيضًا»، قال روب وخلع الثّاج بكلتا يديه وأعطاه لأوليفار قائلاً:
«ضع هذا الشّيء في غُرّة نومي».

قال المُرافق: «فورًا يا جلالة الملك»، وأسرع يُلَبّي الأمر.
قال أخوها إدميور: «أراهن أن هناك آخريّن يُشاركون اللورد كارستارك الشّعور. كيف نتكلّم عن السّلام ورجال لانستر ينتشرون كالوباء في أراضي أبي، يسرقون محاصيله ويذبحون ناسه؟ أكرّر أننا ينبغي أن نزحف على هارنغال».
- «لسنا نملك القوّة»، قال روب وإنما بغير رضا.

قال إدميور بإصرار: «وهل نزداد قوّةً بجلوسنا هنا؟ إن جيشنا يتضاءل بصفةٍ يوميّة».

محتدّة قالت كاتلين لأخيها: «وخطأ من هذا؟». بِالْحَاجِ من إدميور أعطى روب لوردات الثّهر الإذن بِالرّحيل بعد تنويجه، ليدافع كل منهم عن أراضيهِ الخاصّة، فكان السير مارك بايير واللورد كاريل فانس أول المغادرين، ثم تبعهما اللورد جونوس براكن الذي أقسم أن يستردّ قلعته التي صارت هيكلًا محترقًا ويدفن موتاه، والآن أعلن اللورد جيسون ماليمستر نيّته العودة إلى مقرّه في سيجارد، التي من الرّحمة أن شيئًا من القتال لم يمَسّها بعدُ.

قال السير إدميور: «لا يُمكنك أن تطلّبي من لوردات الثّهر أن يتكاسلوا بينما تُنهَب حقولهم ويُقتل ناسهم، لكن اللورد كارستارك من الشّمال، وستكون خسارة إذا تخلّى عنا».

رَدَّ روب: «سأنتكلمُ معه. لقد فقدَ ابنين في الغابة الهامسة، فمن يُمكنه أن يلومه إذا كان لا يرغب في السَّلام مع قاتليهما... قاتلي أبي؟».

قالت كاتلين: «إرافة المزيد من الدِّماء لن تُعيد أباك إلينا، ولا ابني اللورد كارستارك. كان ينبغي أن يُقدِّم عرض، وإن كان رجل أحكم ليعرض شروطًا أحلى بعض الشيء».

- «أحلى من هذا وكنتُ لأتقيًا». كانت لحية ابنها قد نمت بلونٍ أعمق من شعره الكستنائي، وبحسب روب أنها تجعله يبدو قويًا، ملكيًا... وأكبر سنًا. لكن بلحية أو من غيرها لا يزال روب صبيًا في الخامسة عشر، ولا تقلُّ رغبته في الثَّأر عن ريكارد كارستارك. لم يكن سهلاً على الإطلاق إقناعه بتقديم هذا العرض على الرغم مما فيه من تعنُّت.

- «سرسي لانستر لن تُوافق أبدًا على مبادلة أختيك باثنين من أبناء عمِّها. سوف تُريد أخاها كما تعي جيّدًا جدًّا». كانت قد أخبرته بالشيء نفسه من قبل، وإن وجدت أن الملوك لا يُصغون بنصف انتباه الأبناء.

- «لا أستطيع إطلاق سراح قاتِل الملك، حتى لو أردتُ. لن يرضى لورداتي عن هذا أبدًا».

- «لورداتك جعلوك ملكهم».

- «ويُمكنهم خلعي بالبساطة نفسها».

- «إذا كان تاجك هو الثَّمن الذي يجب أن ندفعه لنستعيد آريا وسانزا آمتين، فمن المفترض أن ندفعه عن طيب خاطر. نصف لورداتك يرغبون في قتل لانستر في زنزانته، فإذا مات وهو سجينك، سيقول النَّاس...».

- «... إنه استحقَّ القتل».

سألته كاتلين بحدّة: «وماذا عن أختيك؟ هل سنستحقِّق الموت كذلك؟ أوكدُ لك أن سرسي ستردُّ لنا الدَّم بالدَّم إذا مَسَّ أخاها أذى».

قال روب: «لانستر لن يموت. لا أحد يتكلَّم معه حتى دون إذنٍ مني. إن لديه طعامًا وماءً وقشًا نظيفًا، وسائل راحة أكثر مما يستحقُّ، لكنني لن أحرِّره، ولا حتى من أجل آريا وسانزا».

أدركتِ كاتلين أن ابنها يتعالى عليها، وتساءلت: أهى الحرب التى جعلته يكبر بهذه الشريعة، أم الناتج الذى وضعوه على رأسه؟ «هل تخشى أن ينزل جايمي لانستر إلى الميدان ثانية؟ أهذه هى الحقيقة؟».

زمر جرّاي ويند كأنه أحسّ بغضب روب، ووضع إدميور تلى يده بحنان أخويّ على كتفها قائلاً: «كات، لا تقولي هذا. الصّبي على حق».

- «لا تدعني بالصّبي»، قال روب مستديرًا إلى خاله، لتصبّ غضبته كلها على إدميور المسكين، الذى أراد أن يُسانده فحسب. «إنني أكادُ أكونُ رجلًا بالغًا، كما أنني ملك، ملكك أيها الفارس، ولستُ أخشى جايمي لانستر. لقد هزّمته فى ميدان المعركة مرّةً، وسأهزمه ثانيةً إذا لزم الأمر...»، وأزاح خصلةً من الشّعْر سقطت على عينيه، وهزّ رأسه مكملًا: «كان من الممكن أن أبادل قاتل الملك بأبي، ولكن...».

كان صوتها باردًا كنهْر من الجليد وهى تقول: «... ولكن ليس بالفتاتين. الفتيات لسن مهمّات بما فيه الكفاية، أليس كذلك؟».

لم يُجب روب وإن تبدّى الألم فى عينيه، هاتين العينين الزرقاوين، عيني أولاد عائلة تلى، العينين اللتين ورثهما منها. لقد جرّخته، لكنه ابن أبيه ولن يعترف بهذا أبدًا.

قالت لنفسها: لم يكن هذا يلىق بي. ما الذى سيحدث لي بحقّ الآلهة؟ إنه يبدّل أقصى ما لديه، يفعل أفضل ما يمكنه، أرى هذا وأشعرُ به، لكن... لقد فقدتُ حبيبي ند، الصّخرة التى شيدت عليها حياتي، ولا يمكنني احتمال فقدان الفتاتين كذلك...

قال روب: «سأفعلُ كلّ ما أقدرُ عليه من أجل أختي. إذا كانت الملكة تملك عقلاً فستقبل شروطي، وإذا لم تفعل سأجعلها تدم على اليوم الذى تُرفّضني فيه». كان من الواضح أنه ضاقَ ذرعًا بالكلام فى هذا الموضوع، عندما غيّرهُ قائلاً: «أمي، متأكّدة من أنك لن تُوافقي على الذهاب إلى «التّوأمنين»؟ ستكونين أبعد عن القتال هناك، ويُمكنك التعرّف على بنات اللورد فراي، لتُساعديني على اختيار عروسي عندما تنتهى الحرب».

فَكَرَّتْ كَاتِلِينَ مَتَعَبَةً: يُرِيدَنِي أَنْ أَرْحَلَ. يَبْدُو أَنَّهُ مِنْ غَيْرِ الْمَفْتَرَضِ أَنْ تَكُونَ لِلْمُلُوكِ أَمَهَات، كَمَا أَنِّي أَقُولُ لَهُ أَشْيَاءَ لَا يَرِغِبُ فِي سَمَاعِهَا. «أَنْتِ كَبِيرُ كَفَايَةِ لَتَقَرَّرَ مَنْ تُفَضِّلُ مِنْ بَنَاتِ اللُّوردِ وَالْدَرْدُونِ مَسَاعِدَةَ أَمْلِكُ يَا رُوب».

- «ثِيُونُ سِيغَادِرِ غَدًا، فَادْهَبِي مَعَهُ إِذَنْ. سَيُسَاعِدُ رِجَالَ مَالِيَسْتِرَ عَلَى اصْطِحَابِ عَدَدٍ مِنَ الْأَسْرَى إِلَى سِيْجَارْدِ، ثُمَّ يَسْتَقِلُّ سَفِينَةً إِلَى جُزْرِ الْحَدِيدِ. يُمَكِّنُكَ أَنْ تَجِدِي سَفِينَةً بِدُورِكَ وَتَعُودِي إِلَى وَيْتَرْفَلِ خِلَالَ دُورَةِ قَمَرٍ إِذَا كَانَتِ الرِّيحُ مَوَاتِيَّةً. بَرَانُ وَرِيكَوْنُ فِي حَاجَةٍ إِلَيْكَ».

أَمَّا أَنْتِ فَلَا، أَهَذَا مَا تُرِيدُ أَنْ تَقُولَهُ؟ «السَّيِّدُ وَالَّذِي لَيْسَ أَمَامَهُ وَقْتُ طَوِيلٍ، وَمَا دَامَ جَدُّكَ عَلَى قَيْدِ الْحَيَاةِ فَمَكَانِي فِي رِيْثَرَرَنْ إِلَى جَانِبِهِ».

- «أَسْتَطِيعُ أَنْ أَمْرِكُ بِالذَّهَابِ، أَسْتَطِيعُ بِاعْتِبَارِي مُلْكًا». تَجَاهَلْتِ كَاتِلِينَ هَذَا، وَقَالَتْ: «أَكْرَرُ أَنِّي أَفْضَلُ إِرْسَالِ أَحَدٍ آخَرَ إِلَى پَايِكِ وَبِقَاءِ ثِيُونِ قَرِيبًا مِنْكَ».

- «مَنْ أَفْضَلُ مِنْ ابْنِ بَالُونِ جَرَايْچُوي لِيَتَعَامَلَ مَعَهُ؟». - «جِيْسُونُ مَالِيَسْتِرِ، تَايْتُوسُ بِلَاكُودِ، سَتَقْرُونُ فَرَايَ، أَيْ أَحَدٌ... لَكِنْ لَيْسَ ثِيُونُ».

جَلَسَ ابْنُهَا الْقَرْفَصَاءُ إِلَى جَوَارِ جَرَايَ وَيَنْدُ وَرَاحَ يَنْفَشُ فِرْوُ الذُّئْبِ مِتْفَادِيًا هِينِيهَا بِشَكْلِ عَرَضِي، وَقَالَ: «ثِيُونُ حَارِبٌ مَعَنَا بِشَجَاعَةٍ، وَقَدْ قَلْتُ لَكَ كَيْفَ أَنْقَذَ بَرَانُ مِنْ مَجْمُوعَةِ الْهَمْجِ فِي غَايَةِ الذُّئَابِ. إِذَا رَفَضَ آلُ لَانْسْتِرِ السَّلَامَ، سَأَحْتَاجُ سَفْنَ اللُّوردِ جَرَايْچُوي الطَّوِيلَةَ».

- «سَتَضْمَنُ أَنْ تَأْتِيكِ السَّفْنُ أَسْرَعَ إِذَا احْتَفَقْتَ بِابْنِهِ رَهِينَةً». - «لَقَدْ أَمْضَى نِصْفَ حَيَاتِهِ رَهِينَةً».

- «لِسَبَبٍ وَجِيهِ. بَالُونُ جَرَايْچُوي لَيْسَ رَجُلًا جَدِيرًا بِالثَّقَّةِ. تَذَكَّرْ أَنَّهُ هُوَ نَفْسُهُ كَانَ يَرْتَدِي تَاجًا، وَلَوْ لِفَصْلِ وَاحِدٍ، وَلَعَلَّهُ يَتَطَلَّعُ إِلَى ارْتِدَائِهِ ثَانِيَةً».

نَهَضَ رُوبُ قَائِلًا: «وَلَنْ أَلُومَهُ عَلَى هَذَا. إِذَا كُنْتُ مُلْكًا فِي الشَّمَالِ، فَلْيُصْبِحْ مُلْكُ جُزْرِ الْحَدِيدِ بِدُورِهِ إِذَا كَانَتْ هَذِهِ رَغْبَتُهُ. سَأُعْطِيهِ تَاجًا بِكُلِّ اسْرُورٍ، شَرِيطَةً أَنْ يُسَاعِدَنَا عَلَى إِسْقَاطِ عَائِلَةِ لَانْسْتِرِ».

- «روب...».

- «سأرسلُ ثيونَ. طابَ يومك يا أمّاه. جراي ويند، تعالَ»، قال روب وجدّ الخُطى مبتعدًا والذئبُ الرَّهيبُ إلى جواره.

لم تستطع كاتلين غير أن تُشاهده يذهب. ابنها والآن مليكها. كم هو شعورٌ غريب. في خندق كايلن قالت له: قدّ، فقادّ. قالت بلهجة حادّة: «سأذهبُ لزيارة أبي. تعالَ معي يا إدميور».

- «يجب أن أتكلّم مع الرّؤاة الجُدد الذين يُدربهم السير دزمووند. سأزوره فيما بعد».

إذا ظلّ حيّاً، فكّرت كاتلين وإن لم تنفوّه بشيء. يُفضّل أخوها أن يُواجه المعركة على مواجهة عُرفة المرض تلك.

أقصر طريق إلى الحصن المركزي حيث يحتضر أبوها يمرُّ بأبكة الآلهة، بما فيها من كلاً وزهور بريّة وصفوف سميكة من أشجار الدردار والخشب الأحمر. كانت ثروة من الأوراق ذات الحفيف المسموع لا تزال متمسكةً بالغصون، متجاهلةً تمامًا النّبأ الذي جاء به العُدف الأبيض إلى ريفررن قبل أسبوعين. أعلنَ مجمع المايسترات مجيء الحَريف، لكن الآلهة لم ترأن من المناسب أن تُخبر الرّياح والغابات بعدّ، ما أشعرَ كاتلين بامتنانٍ شديد. دائماً ما يكون الحريف وقتاً مفعماً بالخواف وشبح السّماء يلوح في الأفق، وحتى أكثر النّاس حكمة لا يعرف إن كان حصاده التّالي هو الأخير أم لا.

تمدّد هوستر تلي سيّد ريفررن على فراشه في عُرفته السّمسية، التي تُشرف شرقاً على ملتقى نهري الجُلمود والفرع الأحمر وراء أسوار القلعة. كان نائماً عندما دلّقت كاتلين إلى المكان، شعره ولحيته أبيضان تماماً كالريش الذي يُنخِم حشيتة فراشه، وقد أصيب جسده الذي كان ممثلاً ذات يومٍ بالهزال والوهن، من جرّاء الموت الذي يتشر داخله.

إلى جوار الفراش جلسَ أخو أبيها الملقّب بالسّمكة السّوداء، لا يزال يرتدي قميص حلقات معدنيّة أسود ومعطفاً وسّخه السّفر، وقد تغبّر حدّاه وتناثر عليه الوحل الجاف. سألتَه: «هل يعلم روب أنك رجعت يا عمّاه؟». السير برايندن تلي بمثابة عيني وأذني روب، قائد كشافته وفرّق استطلاعاً.

- «لا، جئتُ من الاسطبلات إلى هنا مباشرةً لَمَّا قالوا لي إن بلاط الملك معقود. أعتقدُ أن جلالتَه سيرغبُ في سماعِ الأنباء التي لديّ على انفراد». كان السّمكة السّوداء رجلاً نحيلاً فارغ الطول، أشيب الشّعر وواثق الحركة، وتبدو على وجهه الحليق آثار التعرّض المستمر للريّح. «كيف حاله؟»، سأَلها فأدرَكَت أنه لا يعني روب.

- «كما هو إلى حدّ كبير. المايستر سقاه نبيذ التّوم وحليب الخشخاش لتخفيف الألم، فينام أغلب الوقت ويأكل قليلاً جدّاً. يبدو أضعف مع كلّ يومٍ يمرّ». - «هل يتكلّم؟».

- «نعم... لكن ما يقوله أصبح أقلّ وأقلّ معقوليّة. إنه يتكلّم عن أشياء تُشعره بالندم، عن أعمال لم تكتمل، عن أناس ماتوا منذ زمن وأوقات فاتت. أحياناً لا يعرف في أيّ فصل نحن، أو مَنْ أكون، وفي مرّة ناداني باسم أمّي». قال السير برايندن: «ما زال يفتقدها. إن لديك وجهها. يُمكنني أن أراه في عظام وجنتيك وفكّك».

ردّت: «أنت تتذكّرها أكثر مني. لقد مضى زمن طويل»، وجلست على الفراش وأزاحت خصلةً من الشّعر الأبيض الناعم انسَدّت على وجه أبيها. - «كل مرّة أعادُرُ فيها أتساءلُ إن كنتُ سأجده حيّاً أم ميتاً عندما أعود». على الرغم من خلافاتهما، فثمة رابط عميق بين أبيها وأخيه الذي تبرأ منه ذات يوم. - «على الأقل تصالحتما».

جلسا صامتين بعض الوقت، قبل أن ترفع كاتلين رأسها وتقول: «كنت تُكلّم عن أنباء ينبغي أن يسمعها روب؟». تأوّه اللورد هوستر وانقلب على جانبه كما لو أنه سمع، فنهض برايندن وقال: «لنتكلّم في الخارج. من الأفضل ألا نُوقظه». تبعته إلى الشّرفة الحجريّة التي تبرز بجوانبها الثلاثة كمقدّمة سفينة، ورفع عُمّها رأسه إلى أعلى مقطّباً جبهته وغمغم: «يُمكنك رؤيته بالنّهار الآن. رجالي يُسمّونه «الرّسول الأحمر»... لكن ما هي الرّسالة؟».

رفعت كاتلين عينيها إلى حيث شقّ خطّ المذنب الأحمر البعيد طريقه عبر

أزرق السَّماء العميق كخدش على وجه الإله. «جون الكبير قال لروب إن الآلهة القديمة رفعت علمًا أحمر رمزًا للانتقام لند، ويعتقد إدميور أنه بشير بالنَّصر لريفررن، فهو يرى سمكةً طويلة الذَّيل باللوان عائلة تلي، أحمر على أزرق»، وتنهَّدت وأضافت: «ليتني أتحلَّى بثقتهم. القرمزي لون لانستر». قال السير برايندن: «هذا الشَّيء ليس قرمزيًا، ولا أحمر تلي كطمي النَّهر كذلك. ما تريه في الأعلى هو دم يا صغيرتي، دم يُلطَّخ السَّماء». - «دمنا أم دمهم؟».

قال عُمها: «هل سمعت من قبل عن حرب سالت فيها دماء طرفٍ واحد؟»، وهزَّ رأسه وتابَّع: «أراضي النَّهر غارقة في الدَّم والنَّار حول «عين الآلهة» كلها، والقتال امتدَّ جنوبًا حتى النَّهر الأسود وشمالًا عبر الثَّالوث وحتى «الثَّوَّامتين» تقريبًا. مارك باير وكاريل فانس حقَّقا عددًا من الانتصارات الصَّغيرة، واللورد الجنوبي الصَّغير بريك دونداريون يُغير على المُغيرين، يُهاجم خطوط إمداد اللورد تاويين على حين غرَّة ثم يخنفي في الغابة من جديد. يُقال إن السير يرتون كراكهول كان يزهو بأنَّه قتل دونداريون، إلى أن قاد موكبه إلى أحد أفخاذ اللورد بريك وتسبَّب في مقتلهم جميعًا». قالت كاتلين متذكِّرة: «بعض رجال ند من كينجز لاندنج مع اللورد بريك. لتحفظهم الآلهة».

- «دونداريون وهذا الرَّاهب الأحمر الذي يركب معه ذكَّيان بما فيه الكفاية للحفاظ على نفسيهما إذا صَحَّت الحكايات، لكن حكاية حملة راية أبيك محزنة أكثر. لم يكن يجدرُ بروب أن يسمح لهم بالرحيل أبدًا، فقد تفرَّقوا كطيور السَّمَّان ليُحاول كلُّ منهم أن يحمي ماله، وهذه حماقة يا كات، حماقة. جونوس براكن جُرح في القتال وسط خرائب قلعته، وقُتل هندري ابن أخيه، وتايتوس بلاكوود كنس جنود لانستر من على أرضه، لكنهم أخذوا كلَّ بقرة وخنزير وحبة قمح، ولم يتركوا له شيئًا يُدافع عنه غير رافترتي هول وصحراء خالية، أمَّا رجال داري فقد استردُّوا حصن سيدهم ولم يُحافظوا عليه أكثر من أسبوعين، قبل أن ينقضَّ عليهم جريجور كليجاين ويقتل كلَّ مَنْ في الحامية، بما فيهم اللورد نفسه».

قالت كاتلين مرتاعة: «داري كان مجرّد طفل!».

- «نعم، وآخر أفراد عائلته كذلك. كان الصّبي ليجلب فديةً لا بأس بها، لكن ماذا يعني الذهب لكلب مسعور مثل جريجور كليجاين؟ سيكون رأس هذا الحيوان هديّة رائعة لأهل البلاد، أقسمُ على هذا».

كانت كاتلين تعرف سُمعة السير جريجور البغيضة، ولكن... «لا تُكلّمني عن الرُّؤوس يا عمّاه وقد علّقت سرسي رأس ند على خازوق فوق أسوار القلعة الحمراء وتركته للذّباب والغربان». حتى الآن لم يزل من الصّعب عليها أن تُصدّق أنه رحل حقًا، وفي ليالٍ تستيقظ في الظّلام والنّوم لا يزال يكتنفها، وللحظة تتوقّع أنها ستجده إلى جوارها. «كليجاين ليس أكثر من مخلب للورد تاويين». تؤمن كاتلين تمامًا بأن تاويين لانستر -سيد كاسترلي روك، وحاكم الغرب، ووالد الملكة سرسي والسير جايمي قاتل الملك وتيريون العفريت، وجد جوفري باراثيون الملك الصّبي الجديد- هو الخطر الحقيقي.

قال السير برايندن: «هذا صحيح، وتاويين لانستر ليس بالأحمق. إنه يجلس آمنًا وراء أسوار هارنهال، يُطعم جيشه من محاصيلنا ويُحرق ما لا يستطيع سلبه. جريجور ليس الكلب الوحيد الذي أطلقه، فالسير أموري لورك في الميدان كذلك، بالإضافة إلى مُرتزق ما من كوهور يُفضّل تشويه النّاس على قتلهم. لقد رأيتُ ما يُخلفونه وراءهم، قرى كاملة محترقة ونساء مغتصبات ممثّلات بجثثهن وأطفالًا مذبحين تُركوا بلا دفنٍ ليجتذبوا الذّئاب والكلاب الضّارية... شيء يُثير غثيان الموتى أنفسهم».

- «سيشتعل إدميور غضبًا عندما يسمع هذا».

- «وهذا ما يُريده اللورد تاويين بالضّبط. حتى الإرهاب هناك غرض منه يا كات، لانستر يرغب في استفزازنا لخوض المعركة».

قالت كاتلين بتبرّم: «غالبًا سيُحقّق روك له تلك الرّغبة. جلوسه هنا يجعله متوترًا كالقِطط، وسيحثّه إدميور وچون الكبير وغيرهما على الخروج». لقد حقّق ابنها نصرين عظيمين، محطّمًا جايمي لانستر في الغابة الهامسة وهازمًا جيشه الذي بلا قائد خارج أسوار ريفررن في معركة المعسكرات، لكن الطريقة التي يتكلّم بها عدد من حملة رايته عنه تجعله يبدو كما لو أنه إجون الفاتح وقد وُلد من جديد.

قَوْس برايندن السَّمكة السّوداء حاجبه الأشيب الكثيف، وقال: «هُم أكثر حماقةً. أول قاعدة عندي للحرب يا كات: لا تُعطي العدوَّ شيئاً يرغب فيه أبداً. اللورد تاوين يُريد القتال في ميدانٍ من اختياره هو، يُريدنا أن نزحف على هارنهل».

- «هارنهل». كلُّ طفلٍ في أراضي الثَّالوث يعرف حكاية هارنهل، القلعة العملاقة التي شيَّدها الملك هارن الأسود على ضفاف بحيرة «عين الآلهة» قبل ثلاثمئة عام، عندما كانت الممالك السَّبع لا تزال سبع ممالك، والرَّجال الحديدِيُّون أبناء الجُزر يحكُمون أراضي النُّهر. بعجرفته البالغة، رغِبَ هارن في أن تكون له أعلى قاعة وأطول بروج في وستروس كلها، ومَرَّت أربعون عاماً ارتفعت فيها القلعة شيئاً فشيئاً كَظِلِّ عَظِيمٍ على شاطئ البحيرة، بينما نهبت جيوش هارن من جيرانه الحجارة والأخشاب والذهب والعُمال. مات آلاف الأسرى إمّا في المحاجر أو مقيّدين بالسَّلاسل إلى المزلجات أو عملاً على الأبراج الهائلة الخمسة، وقُطِعَت أشجار ويروود عُمرها ثلاثة آلاف عام لتُصنَّع العوارض والألواح من خشبها. أتى هارن على ثروات أراضي النُّهر وجُزر الحديد على حدِّ سواء لِيُزيِّن حُلْمه، وعندما وقَّفت هارنهل مكتملةً أخيراً، وفي اليوم ذاته الذي اتَّخذ فيه هارن منها مقرّه، رسا إيجون الفاتح في كينجز لاندنج. تذكَّرت كاتلين العجوز نان وهي تحكي الحكاية لأطفالها في ويسترفل، التي يكون ختامها دائماً أن «الملك هارن تعلَّم أن الأسوار السَّميكة والأبراج العالية بخسة الفائدة أمام الثَّنائين، ذلك أن الثَّنائين تطير». هلك هارن ونسله في المحرقة التي ابتلعت القلعة بضخامتها الشَّديدة، وعانت كلُّ عائلةٍ سيطرت على هارنهل من حُطَّ عاثر منذ ذلك الحين. قد تكون قويَّة، لكنها مكان كتيب وملعون.

قالت كاتلين: «لا أريدُ أن يُحاربِ روب في ظلِّ تلك القلعة يا عمَّاه، لكن ينبغي أن نفعل شيئاً».

وافقها عمُّها قائلاً: «وقريباً. إنني لم أخبركِ بأسوأ جزءٍ يا صغيرتي. الرُّجال الذين أرسلتهم غريباً عادوا بأخبارٍ عن جيشٍ جديدٍ يحترق في كاسترلي روك».

جيش لانستر آخر. أصابتها الفكرة بالغثيان. «يجب إخبار روب في الحال. من سيقود هذا الجيش؟».

أجاب: «يُقال إنه السير ستافورد لانستر»، والتفت ليتطَّلَع إلى النَّهْرِين والتَّسِيم يُحَرِّك معطفه ذا اللَّوْنَيْنِ الأحمر والأزرق.

- «ابن أخ آخر؟». عليهم اللعنة آل لانستر أبناء كاسترلي روك، إنهم عائلة كبيرة وشديدة الخصوبة حقًا.

قال السير برايندن مصحَّحًا: «ابن عم، شقيق زوجة اللورد تاوين الرَّاحلة، أي قريب لهم من جهتين. إنه عجوز وعلى شيءٍ من الغباء، لكن لديه ابنًا هو السير دافن الذي يتمتَّع بهيئةٍ أكبر».

- «لنأمل إذن أن يقود الأب لا الابن الجيش إلى الميدان».

- «ما زال أمامنا بعض الوقت حتى تتوجَّب علينا مواجهتهم. ستكون تلك الشُّرْذمة من المُرتزقة والمُحاربين غير النُّظاميين والصُّبية الخُضر القادمين من أزقة لانسهورت، وينبغي أن يتأكَّد السير ستافورد من تسليحهم وتدريبهم قبل أن يُخاطر بخوض المعركة... وتأكَّدي أن اللورد تاوين ليس كقاتل الملك، ولن يندفع بهوْرٍ إلى القتال، بل سينتظر بصبرٍ حتى يبدأ السير ستافورد الزَّحف قبل أن يَخْرُج من وراء أسوار هارنغال».

قالت كاتلين: «ما لم...».

استحثَّها السير برايندن: «ماذا؟».

- «ما لم يُجَبَّر على مغادرة هارنغال لمواجهة تهديدٍ آخر».

رمقها عُمها مفكرًا وقال: «اللورد رنلي».

- «الملك رنلي». إذا كانت ستطلَّب المساعدة من الرَّجل، فعليها أن تلحق باسمه اللَّقب الذي أعطاه لنفسه.

ارتسمت ابتسامة خطيرة على وجه السَّمكة السوداء وهو يقول: «ربما، لكن سيرغب في مقابل ما بالتأكيد».

قالت: «سيرغب في ما يرغب فيه الملوك دائمًا، البيعة».



تيريون

كان چانوس سلينت ابناً لجزار، له ضحكة كصوت تقطيع اللحم. سأله تيريون: «المزيد من النبيذ؟»، فرفع اللورد سلينت -الذي لبطنه شكل البرميل وسعته- كأسه محبباً: «لن أعترض، لن أعترض على الإطلاق. إنه نوع أحمر ممتاز. أهو من «الكرمة»؟».

- «من دورن». أشار تيريون، فصَبَّ خادمه النبيذ. باستثناء خدمه، كانت القاعة الصغيرة تضمُّه واللورد چانوس فقط، وقد جلسا إلى مائدة صغيرة مُضاءة بالشَّمْع والظَّلام يُحيط بهما. «لَقِيَّة رائعة في الحقيقة، لأن الخمر الدورنيَّة لا تكون غنيَّة هكذا في المعتاد».

ردَّد الرَّجُل الكبير ذو وجه الضَّفدعة وهو يأخذ جرعة كبيرة: «غنيَّة». ليس چانوس سلينت بالرَّجُل الذي يشرب النبيذ على رشفات، الشَّيء الذي لاحظَه تيريون من قبل وسجَّله في ذاكرته. «نعم، غنيَّة، هذه هي الكلمة التي كنتُ أبحثُ عنها بالضَّبْط، هي بالضَّبْط. إن لديك موهبة في التَّعامل مع الكلام يا لورد تيريون، إذا سمحت لي بأن أقول هذا، وحكاياتك شديدة الطرافة، نعم، شديدة الطرافة».

- «يَسُرُّني أن هذا رأيك... لكني لستُ لوردًا مثلك. يُمكنك مخاطبتي بتيريون ببساطة أيها اللورد چانوس».

قال: «كما تشاء»، وصَبَّ المزيد من النبيذ في حلقه، لتساقط قطرات منه على وجه سُترته الحريريَّة السوداء. كان يرتدي حرملَةً قصيرةً من قُماش

الذهب مثبتة بمشبك صغير على شكل رُمح رأسه مطلّي بالأحمر الدّاكن، وكان ثملًا تمامًا.

تجنّأ تيريون وقد غطّى فمه على سبيل التّهذيب. على عكس اللورد چانوس، لم يكن قد شرب كثيرًا، وإن شعرَ بالامتلاء التّام. أول شيء فعله بعد أن استقرّ في بُرج اليد، أنه استخبرَ عن أفضل طاهية في المدينة وألحقها بخدمته، والليّلة تناولا على العشاء من طهيها حساء ذيل الثور، والخضراوات الصّيفيّة المقلّبة مع جوز البيقان والعنب والسّمّار الأحمر والعجين المفتّت، وفطيرة سرطان بحري ساخنة، وطبقًا من القرع المتبلّ، بالإضافة إلى طيور السّمّان الغارقة في الرّيدة. جاء كلّ صنفٍ مصحوبًا بنوعه الخاص من التّبيّذ، واعترف اللورد چانوس بأنه لم يأكل بهذه الشّهية من قبل إطلاقًا، فقال تيريون: «لا شكّ أن هذا سيتغيّر عندما تتخذ مقرّك في هارنغال».

- «بكلّ تأكيد. ما رأيك إذا طلبتُ من طاهيتك هذه أن تلتحق بخدمتي؟».

- «هناك حروب اندلعت لأسباب أهون من هذا»، قال تيريون، واشترك الاثنان في ضحكة مرحة طويلة. «جرأة منك أن تستقرّ في هارنغال حقًا. إنها مكان شديد الكآبة، وضخم، وصيانه تكلف الكثير... وبعضهم يقول إنها ملعونة كذلك».

ضحك سلينت استهزاء بالفكرة، وقال: «هل من المفترض أن أخاف كومة من الحجارة؟ لقد وصفتني بالجرأة، وينبغي أن تكون جريئًا كي تترقّى في هذا العالم، كما فعلتُ أنا وترقيتُ إلى هارنغال، نعم! ولم لا؟ أنت تعرف، فأنت أيضًا رجل جريء كما يُخبرني حدسي. صغير الحجم ربما، لكن جريء!».

- «أنت شديد اللطف. المزيد من التّبيّذ؟».

- «لا، لا، إني حقًا... أوه، لتحلّ اللّعة بالآلهة، نعم، ولم لا؟ الرّجل العجريء يشرب حتى يرتوي!».

صَبَّ تيريون التّبيّذ في كأس اللورد سلينت قائلاً: «هذا صحيح. بالمناسبة، لقد ألقيتُ نظرةً على الأسماء التي طرحتها لحلّ محلّك في قيادة حرس المدينة».

- «رجال صالحون، رجال أكفاء. أيّ من الستّة سيصلح، لكن رأيي أن

تختار آلا رديم. إنه ذراعي اليمنى، رجل عظيم عظيم، ومخلص. اختره ولن تأسف، إذا وافق عليه الملك».

رشف تيريون من نبيذه، وقال: «بالتأكيد. كنت أفكر في السير چاسلين بايووتر. إنه قائد بوابة الطمي منذ ثلاث سنوات كاملة، وخدم ببسالة خلال تمرّد بالون جرايچوي، ونصبه الملك روبرت فارسًا في پايك، ومع ذلك لا أرى اسمه في قائمتك».

جرع اللورد چانوس سليت من التبيذ ومضمض به فمه لحظة، قبل أن يتلعه ويقول: «بايووتر، نعم، رجل شجاع بالتأكيد، لكن... هذا الرجل قاس، كلب غريب الأطوار، والرجال لا يحبونه، ثم إنه معاق أيضًا وقد فقد يده في پايك. هذا ما منحه الفروسيّة. صفقة خاسرة في رأيي أن تبادل يدك بقلب سير»، وضحك وأضاف: «السير چاسلين يقرط في تقدير نفسه وشرفه في رأيي، وأفضل لك أن تدعه في مكانه يا لو... تيريون. آلا رديم هو رجلك المناسب».

- «ديم غير محبوب في الشوارع على حدّ علمي».

- «لكنه مرهوب، وهذا أفضل».

- «ما الذي سمعته عنه؟ كانت مشكلة ما في ماخور على ما أظن».

- «تلك الحادثة؟ لم تكن غلطته يا لو... تيريون، لا، إنه لم يقصد إطلاقًا أن يقتل المرأة. كانت غلطتها هي. لقد حذرّها وأمرّها بالتّحّي جانبًا وتركه يؤدّي واجبه».

قال تيريون: «ولو... الأمّهات وأطفالهن... كان من المفترض أن يتوقّع أنها ستحاول إنفاذ الرّضيعه»، ثم ابتسم وأشار قائلاً: «جرب هذا الجبن، إنه رائع مع التبيذ. أخبرني، لماذا اخترت ديم لتلك المهمّة الكريهة؟».

- «القائد الحقّ يعرف رجاله يا تيريون، بعضهم مناسب لنوع معيّن من المهام والبعض لنوع آخر. التخلّص من طفلة لا تزال ترضع من ثدي أمّها يتطلّب نوعًا خاصًا من الرجال، فهذا عمل لا يقوى عليه أيّ شخص تقليدي، حتى إذا كان التّكليف مجرد عاهرة ما وصغيرتها».

- «أعتقد أن معك حقًا»، قال تيريون وقد سمع مجرد عاهرة ما ليتّجه

تفكيره إلى شيء، وتايشا التي سبقتها بزمنٍ طويل، وكلّ الأخريات اللاتي تلقَيْن ماله وتطفته على مرّ السنين.

واصل سلينت وهو غافل عمّا يدور في خلد تيريون: «رجل قاس للمهام القاسية، هذا هو ديم، يفعل كما يؤمّر ولا يتفوّه بكلمة بعدها»، وقطع شريحة من الجبن مضيئاً: «جبن جيّد، لاذع المذاق. أعطني سكّيناً حادّاً وجبناً لاذعاً فأكون في غاية السّعادة».

هزّ تيريون كتفيه قائلاً: «استمتع به بينما تستطيع، فمع اشتعال النّار في أراضي النّهر وإعلان رنلي ملكاً في هايجاردن، سيصبح الجبن الجيّد سلعة نادرة قريباً. قل لي إذن، من أرسلك وراء الثّغلة بنت العاهرة؟».

رمق اللورد چانوس تيريون بنظرة حذرة، ثم ضحك ولوّح بشريحة من الجبن في وجهه قائلاً: «خبثٌ أنت يا تيريون. كنت تحسب أنك ستخدعني، أليس كذلك؟ ليس بمجرّد التّبيذ والجبن يُفصح چانوس سلينت عن أكثر مما ينبغي. هذا من دواعي فخري، لا أسئلة ولا كلمة واحدة بعدها، ليس معي أنا».

- «مثل ديم».

- «مثله تماماً. اجعله القائد عندما أغادرُ إلى هارنهال ولن تندم».

قضم تيريون قطعة صغيرة من الجبن. لاذع المذاق بالفعل، ومجرّع بالتّبيذ، اختيار ممتاز. «أيّا كان من سيختاره الملك سيجد صعوبة في سدّ الفراغ الذي ستتركه، هذا واضح لي. اللورد مورمونت يُواجه المشكلة ذاتها».

بدت الحيرة على اللورد چانوس وهو يقول: «حسبْتُ أنها الليدي مورمونت، تلك التي تُضاجع الدّبية، أليس كذلك؟».

- «أتكلّم عن أخيها، چيور مورمونت، حضرة قائد حرس اللّيل. خلال زيارتي له على «الجدار» ذكرّ أنه مشغول بمسألة العثور على رجل يصلح لخلافته، فهم يفترقون بشدّة إلى الرّجال الأكفء هذه الأيام»، وارتسمت على شفتي تيريون ابتسامة واسعة وهو يُضيف: «أنصوّرُ أنه سينام باطمئنانٍ أكبر إذا كان لديه رجل مثلك، أو مثل آلا ديم الشّجاع».

دوّت ضحكة اللورد چانوس في القاعة مع صيحته: «احتمال بعيداً».

قال تيريون: «قد نظرُ هذا، لكن الحياة تتخذ منعطفاتٍ عجيبة حقّاً. إدارد

ستارك على سبيل المثال يا سيدي، لا أعتقد أنه تخيل أبدًا أن حياته ستنتهي على عتبة سبت بيلور».

ردّ اللورد چانوس مقهقهًا: «قليلون للغاية تخيلوا هذا».

قهقهة تيريون أيضًا وقال: «من المؤسف أنني لم أكن موجودًا لأشهد المنظر. يقولون إن فارس نفسه أخذته المفاجأة».

كانت ضحكة اللورد چانوس صاخبةً قويّةً للغاية هذه المرّة، لدرجة أن بطنه الكبير ارتجّ بشدّة، وقال متهكمًا «العنكبوت الذي يعرف كلّ شيء، يقولون، لكنه لم يعرف شيئًا عن ذلك!».

- «وأتى له أن يعرف؟»، قال تيريون وقد وضع اللّمحة الأولى من البرودة في صوته. «لقد ساعد على إقناع أختي بأن يتمّ العفو عن ستارك، بشرط أن يرتدي أسود حرس اللّيل».

حدّج چانوس سلينت تيريون بنظرة فارغة وهو يُغمغم: «إيه؟». كرّر تيريون بنبرة أقوى بعض الشيء هذه المرّة في حال لم يفهم الأحق من يقصد: «أختي سرسي، الملكة الوصيّة على العرش». ابتلع سلينت القليل من التّيذ وقال: «نعم، بالنّسبة لهذا... الملك هو من أمر به يا سيدي، الملك بنفسه».

- «الملك في الثّالثة عشر من العُمر».

قال سلينت وقد ارتجف لغده كعادته عندما يعبس: «لكنه الملك، سيّد الممالك السّبع».

قال تيريون بابتسامة مستخفّة: «سيّد واحدة أو اثنتين منها على الأقل. هل تسمح أن أرى رُمحك؟».

مرتبكًا حدّق فيه اللورد سلينت وردّد: «رُمحي؟».

أشار تيريون مجيبًا: «المشبك الذي يُبكت حرماتك».

خلع اللورد چانوس الحلية متردّدًا وناولها لتيريون، الذي قال: «لدينا صاغة في لانسبورث يقومون بعمل أفضل. الطّلاء الأحمر الدّموي مبالغ فيه بعض الشيء، إذا سمحت لي بالقول. قل لي يا سيدي، هل غرست الرّمح في ظهر الرّجل بنفسك أم أعطيت الأمر فقط؟».

- «أعطيت الأمر، وسأعطيه ثانية لو عادَ بي الزَّمن. اللورد ستارك كان خائناً». كانت البُقعة الصَّلعاء في منتصف رأس سلينت محمَّرة كشمرة البنجر الآن، وقد انزلت حرملته القصيرة المصنوعة من قُماش الذهب من على كتفيه إلى الأرض. «لقد حاول أن يشتريني».

- «دون أن يتصوَّر أن صفقة شرائك تَمَّت بالفعل».

قرع سلينت المائدة بكأسه صائحاً: «هل أنت سكران؟ إذا كنت تحسب أنني سأجلسُ هنا وأسمعُ بالتشكيك في شرفي...».

- «عن أيِّ شرفٍ تتكلَّم؟ اعترفُ أنك أجريت صفقةً أكثر ربحاً من السير جاسلين، اللورديةَ ومعها قلعة مقابل طعنة في الظَّهر، ولم تضطرَّ إلى طعن الرَّجل بنفسك حتى»، وألقى تيريون الحلية إلى جانوس سلينت، فارتدت عن صدره وسقطت على الأرض وهو ينهض.

- «أسلوبك لا يروقني أيها اللو... العفريت. أنا سيّد هارنغال وعضو في مجلس الملك، فمن تكون لتؤبِّخني هكذا؟».

مالَ تيريون برأسه جانباً، وقال: «أظنُّك تعلم من أكونُ جيِّداً جداً. كم ابناً لديك؟».

- «وما أهميَّة أبنائي لديك أيها القزم؟».

توهَّج غضبه على ملامحه وهو يقول: «قزم؟ كان ينبغي أن تتوقَّف عند العفريت. أنا تيريون سليل عائلة لانستر، وذات يوم، إذا كنت تملك من العقل ما أعطته الآلهة ليرقة في البحر، ستهوي على رُكبتك شكراً لأنك تعاملت معي أنا وليس السيّد والدي. والآن، كم ابناً لديك؟».

رأى تيريون الخوف المفاجئ في عيني جانوس سلينت إذ أجاب: «ثلاثة يا سيّدي، وبنت. أرجوك يا سيّدي...».

انزلق من مقعده ووقف قائلاً: «لست في حاجةٍ إلى التوسُّل. لك كلمتي بأن أدّى لن يُصيّهم. سيتلقَّى الولدان الصَّغيران من التَّربية والإعداد ما يؤهِّل كلاً منهما لأن يكون مُرافقاً لفارس، وقد يُنصَّب فارسين في الوقت المناسب إذا أخلصا في خدمتهما، كي لا يقول أحد أبداً إن عائلة لانستر لا تُكافئ من يخدمونها. وسيرث ولدك الكبير لقب اللورد سلينت ورمزكم القبيح هذا».

وركل الرُّمَحَ الذَّهَبِيَّ الصَّغِيرَ ليتدحرج على الأرض، وأضاف: «سوف تُعَيِّنُ له بعض الأراضي، ويُمكنه أن يبنى مقرًّا لنفسه. لن يكون هارنغال، لكنه سيكونه، كما أن عليه ترتيب زيجة للفتاة».

استحالَ وجه جانوس سلينت من الأحمر إلى الأبيض وهو يقول متلعثمًا: «ماذا... ماذا...». كان لُغده يرتعش الآن ككتلة من شحم الماشية.

- «ماذا أنوي أن أفعل بك؟». تركَ تيريون المغفل يرتجف لحظةً، قبل أن يُجيب: «السَّفِينَةُ «حُلُمُ الصَّيْفِ» سَتُبحر مع تيار الصَّبَاح، ورُبَّانها أخبرني أنها ستُرسو في بلدة النَّوَّارِس و«الأخوات الثلاث» وجزيرة سكاغوس، ثم قلعة البحر الشرقيَّة. بلُغِ حضرة القائد مورمونت تحيَّاتي الحارَّة عندما تراه، وقُلْ له إنني لم أنسَ احتياجات حرس اللَّيْلِ. أتمنَّى لك حياةً طويلةً وخدمةً موفَّقةً يا سيَّدي».

ارتدَّت الدِّماء إلى وجه جانوس سلينت بمجرد أن أدرك أنه لن يُعَدَم في الحال، ومَطَّ شفتيه قائلاً: «سنرى أيها العفريت، القزم، ربما تتركب أنت تلك السَّفِينَةُ، ما رأيك؟ قد تكون أنت الذَّاهِب إلى «الجدار»، وأطلقَ ضحكةً عصبيةً وقَعها كالنَّبَاح وواصلَ: «أنت وتهديداتك، حسن، سنرى. إنني صديق الملك كما تعلم، وسنرى ما يقوله جوفري عن هذا، والإصبع الصَّغِير والمملكة، أوه، نعم، جانوس سلينت لديه أصدقاء كثيرون. أعدك أننا سنرى من سيُبحر صباحًا، نعم، سنرى»، ودارَ على عقبيه كالحارس الذي كانه ذات يوم، وقطَعَ طول القاعة الصَّغيرة نحو الباب وحذاؤه يدقُّ الأرض الحجرية دَقًّا، ثم إنه صعدَ الدَّرَجَات ودفعَ مصراعِي الباب... ووجدَ نفسه وجهاً لوجهٍ مع رجلٍ طويل القامة مربَّع الفك يرتدي واقِي صدرٍ أسود ومعطفًا ذهبيًا، وقد استقرَّت يد حديدية على معصمه الأيمن بدلًا من يده المبتورة. «جانوس»، قال الرَّجل وعينه العميقتان تلتمعنان من تحت جبهته البارزة وشعره الكثيف الذي امتزج فيه الأبيض بالأسود، وتقدَّم سِتَّة من ذوي المعاطف الذهبية إلى داخل القاعة بهدوء، ليراجع جانوس سلينت.

نادى تيريون من مكانه: «لورد سلينت، أعتقد أنك تعرف السير چاسلين بايوترو، قائد حرس المدينة الجديد».

خاطَبَ السير چاسلين سلينت قائلاً: «هناك حمالة في انتظارك يا سيدي، فأرصفة المرفأ مظلمة وبعيدة، والشوارع ليست آمنة ليلاً. يا رجال». قال ذوو المعاطف الذهبية قائدهم السابق إلى الخارج، بينما نادى تيريون السير چاسلين إليه، ثم ناو له رقاً مطوياً وقال: «إنها رحلة طويلة، وسيرغب اللورد سلينت في ضجة. اعمل على أن ينضم إليه هؤلاء الستة على متن «حلم الضيف»».

ألقى بايووتر نظرة على الأسماء، وابتسم قائلاً: «كما ترغب». قال تيريون بهدوء: «ثمة واحد منهم، ديم، قل للربان إننا لن نسيء الفهم إذا تصادف أن سقط من فوق حاجز السفينة قبل أن يبلغوا القلعة الشرقية». رد السير چاسلين: «معلوماتي أن تلك المياه الشمالية عاصفة للغاية يا سيدي»، وانحنى ثم انصرف ومعه يتموج من ورائه، وفي طريقه داس حرملة سلينت المصنوعة من قماش الذهب.

جلس تيريون وحده يرشف مما تبقى من النبيذ الدورني الممتاز، وجاء الخدم وذهبوا رافعين الأطباق عن المائدة. قال لهم أن يتركوا النبيذ، وعندما انتهوا دخل فارس القاعة بخطوات ناعمة وقد ارتدى ثوباً أرجوانياً فضفاضاً وفاخت منه رائحة زهور الخزامى، وقال: «أوه، تنفيذ في منتهى الحلاوة يا سيدي العزيز».

قال تيريون: «ما سبب المذاق المر في فمي إذن؟»، وضغط صدغه بأصابعه مضيقاً: «قلت لهم أن يلقوا آلا ديم في البحر، وأشعرُ ياغراء شديد بأن أفعل بك المثل».

رد فارس: «قد تحبب النتيجة أملك. العواصف تهب وتهب، والأمواج تعلو وتكسر، والسّمك الكبير يأكل السّمك الصغير، وأظن أنا أجدف. هل تسمح لي بقليل من النبيذ الذي استمتع به اللورد سلينت؟». أشار تيريون إلى الإبريق عابثاً، فملاً فارس كأساً وتذوق قائلاً: «آه، حلو كالضيف ذاته»، وأخذ رشقة أخرى وتابع: «أسمع العنب يُغني على لساني».

- «كنتُ أتساءل عن مصدر تلك الضوضاء. قل للعنب أن يصمت لأن رأسي على وشك أن ينفلق. إنها أختي، هذا ما رفض آية الإخلاص اللورد

چانوس أن يقوله، إن سرسي هي من أرسلت ذوي المعاطف الذهبية إلى الماخور».

أطلق فارس ضحكة عصيئة مكتومة، ما نبه تيريون إلى أنه كان يعرف طول الوقت بالفعل، فقال له بآثام: «لم تُخبرني بهذا الجزء».

قال فارس بأسى شديد حتى بدا كأن دموعه على وشك الانهمار: «أختك العزيزة بنفسها، شيء من الصَّعب أن تُخبر به أحدًا يا سيدي، وكنتُ أخشى ردَّة فعلك. هلاً سامحتني؟».

أجاب تيريون منفعلًا: «كلا، عليك وعليها اللعنة». إنه يعرف أنه لا يستطيع أن يمسَّ سرسي، ليس بعد، حتى لو كان يرغب، وهو لا يزال بعيدًا كلَّ البُعد عن التأكد من أنه يرغب، إلَّا أن المرارة تعتمل في نفسه من جرَّاء جلوسه هنا ليلعب دوره في تمثيلية العدالة، بمعاقة الثَّافهين على شاكلة چانوس سلينت وآلار ديم، بينما تمضي أخته قُدما في سبيلها الوحشي. «سُتُخبرني في المستقبل بما تعرفه أيها اللورد فارس، بكل ما تعرفه».

ابتسم الخصيُّ بخبث وهو يُجيب: «سيستغرق هذا وقتًا طويلاً للغاية يا سيدي العزيز، فأنا أعرف الكثير جدًّا».

- «ليس ما يكفي لإنقاذ تلك الطُّفلة على ما يبدو».

- «للأسف لا. كان هناك نغل آخر، صبيٌّ أكبر سنًّا، وقد اتَّخذتُ خطواتٍ لإبعاده عن طريق الأذى... وإن كنتُ أعترفُ بأنِّي لم أتخيَّل قطُّ أن تكون الرِّضِعة في خطر. ابنة زنى عُمَرها أقلُّ من عامٍ واحد وأمُّها عاهرة، فأني تهديد شكَّلتُ؟».

قال تيريون بمرارة: «التَّهديد أنها ابنة روبرت، ويبدو أن هذا كان كافيًا لسرسي».

- «نعم، هذا محزن حقًّا، ويجب أن ألوم نفسي على ما حدثَ للطُّفلة المسكينة وأمُّها، التي كانت صغيرةً للغاية وأحبَّت الملك».

- «حقًّا؟». لم يرَ تيريون وجه الفتاة القليلة، لكنها كانت في مخيِّلته شاي وتايشا في آنٍ واحد. «تُرى هل من الممكن أن تُحبَّ عاهرة أحدًا بحق؟ لا، لا تُحب. ثَمَّة أشياء لا أحبُّ أن أعرفها». كان قد أسكنَ شاي إيوانًا فسيحًا

مبيتًا من الخشب والحجارة، به بئر ماء واسطبل وتُحيط به حديقة، وخصَّص لها خدمًا يُلبَّون احتياجاتها، وأهداها طائرًا أبيض من جُزر الصَّيف لئُسَلِّيها، وابتاع لها حريرًا وفضةً وجواهر تتحلَّى بها، وعيَّن حرسًا لحمايتها، وعلى الرغم من كلِّ هذا بدتْ صَجَرَةً، وقالت إنها تُريد أن تكون معه أكثر وأن تخدمه وتُساعدَه. «أنتِ تُساعديني هنا أكثر، بين الأغطية»، قال لها ذات ليلة بعد أن فرغا من الحُب، وقد استلقى إلى جوارها ووسَّد رأسه نهدها وراح ذكَّره بنبض بالألم اللَّذيد. لم يتلقَّ إجابةً إلَّا من عينيها، ورأى في نظراتهما أنها لم تكن الإجابة التي أرادتَها.

تَهْد تيريون ومَدَّ يده نحو التَّبيذ، ثم إنه تذكَّر اللورد چانوس فدفع الإبريق بعيدًا، وقال: «يبدو أن أختي كانت تقول الحقيقة عن موت ستارك، وعلينا أن نشكر ابنها على هذا الجنون».

- «الملك چوفري أعطى الأمر، وچانوس سلبت والسير إلين باين نفَّذاه من فورهما وبلا تردُّد...».

- «... كأنهما كانا يتوقَّعاه. نعم، لقد خُضنا في هذه المنطقة من قبل وبلا نتيجة. إنها حماقة».

- «وجود حرس المدينة في يدك يضعك في موقع يُتيح لك أن تحول دون ارتكاب جلالته المزيد من... الحماقات. لكن بالتأكيد ما زال ينبغي وضع حرس أهل بيت الملكة في الاعتبار».

هَزَّ تيريون كتفيه قائلاً: «ذوو المعاطف الحمراء؟ فايلار ولاؤَه لكاسترلي روك، ويعرف أنني هنا بتفويض من أبي، ما يجعل من الصَّعب على سرسي أن تستخدم رجاله ضدي... كما أن عددهم مئة فقط، بينما لديّ مئة وخمسون رجلًا، بالإضافة إلى سِتَّة آلاف من ذوي المعاطف الذَّهبيَّة، إذا كان بايووتر كما تزعم حقًّا».

- «ستجد أن السير چاسلين شجاع وشريف ومطيع، ومُقرَّر بالجميل كذلك».

- «لَمَن يا تُرى؟». لا يثق تيريون بفارس على الإطلاق، وإن كان لا يُمكنه إنكار قيمته، فلا شكَّ أنه يعرف أشياء كثيرة جدًّا. «ما الذي يجعلك متعاونًا

لهذه الدرجة أيها اللورد فارس؟»، سأله وهو يُمعِن النظر في يديه النَّاعمتين، ثم إلى وجهه الحليق ورأسه الأصلع بما عليهما من مساحيق، وابتسامته الصَّغيرة اللزجة.

- «أنت يد الملك، وأنا أخذُ البلاد والملك وأخدمك».

- «كما خدمت جون آرن وإدارد ستارك؟».

- «لقد خدمتُ اللورد آرن واللورد ستارك بأفضل ما لديّ، وأحزّني

وأزعجني موتهما المبكر لأقصى درجة».

- «تخيّل كيف أشعرُ إذن، فمن المحتمل أن الدَّور دوري».

قال فارس وهو يُدَوِّر التَّيِّذ في كأسه: «أوه، لا أظنُّ هذا. السُّلطة شيء غريب يا سيّدي. تُرى هل فكّرت في الأحجية التي طرحتها عليك في ذلك اليوم في الخان؟».

- «لقد دارت في عقلي مرّة أو اثنتين بالفعل. الملك والرَّاهب والثَّري... من يعيش ومن يموت؟ من الذي سيُطِيعه صاحِب السَّيف؟ إنها أحجية بلا حل، أو أن حلولها عديدة بالأحرى. كل شيء يعتمد على من يحمل السَّيف».

قال فارس: «ومع ذلك هو مجرد نكرة، لا يملك تاجًا أو ذهبًا أو حظوة من الآلهة، بل مجرد قطعة مدبَّبة من الفولاذ».

- «قطعة الفولاذ تلك لديها سُلطة الحياة والموت».

- «بالضَّبْط... لكن إذا كان ذوو السُّيوف هم من يَحْكُمون في الحقيقة، فلمَ ننظاها بأن السُّلطة في أيدي ملوكنا؟ لماذا ينبغي على رجل قوي يحمل سيفًا أن يُطِيع ملكًا طفلًا مثل جوفري، أو جلفًا سَكَّيرًا مثل أبيه؟».

- «لأن هؤلاء الملوك الأطفال والأجلاف السَّكَّيرين يستطيعون استدعاء المزيد من الرُّجال الأقوياء بسيوفهم».

قال فارس مبتسمًا: «إذن فمن يتمنَّع بالسُّلطة الحقيقيّة هم أصحاب السُّيوف الآخرون. لكن أهذا صحيح؟ من أين أنت سيوفهم إذن؟ ولماذا يُطِيعون؟ البعض يقول إن المعرفة سُلطة، والبعض يقول إن كلّ السُّلطات تأتي من الآلهة، وغيرهم يقول إنها تُستمدُّ من القانون، وعلى الرغم من هذا، يومها على عتبة سِبْت بيلور، كان كلّ من السَّبْتون الأعلى خادِم الآلهة، وملكتنا

الوصية على العرش بالقانون، وخادمك المطلع على كل شيء عاجزين تمامًا كأني إسكافي أو صانع براميل بين الحاضرين. من قتل إدوارد ستارك حقًا في رأيك؟ جوفري الذي ألقى الأمر، أم السير إلين باين الذي ضرب عنقه بالسيف... أم غيرهما؟».

حنى تيريون رأسه جانبًا، وقال: «هل تنوي الإجابة عن أحجيتك اللعينة أم ستجعل رأسي يؤلمني أكثر؟».

ابتسم الخصي وقال: «إليك الإجابة إذن. السلطة تكمن حيثما آمن الناس بوجودها، لا أكثر ولا أقل».

- «السلطة لعبة خِوَاةٍ إذن؟».

غمغم فارس: «ظل على الحائط، لكن الظلال يُمكنها أن تقتل، وكثيرًا ما يستطيع رجل صغير للغاية أن يُلقِي ظِلًّا كبيرًا جدًّا».

ابتسم تيريون بدوره، وقال: «لورد فارس، لقد بدأتُ أصاب بالولع بك على نحو غريب. قد أقتلك في النهاية، لكنني أظن أنني سأحزنُ عليك».

- «ساعتبرُ هذا مديحًا وافراً».

- «ماذا تكون يا فارس؟ يقولون إنك عنكبوت». كان تيريون يرغب في أن يعرف حقًا.

- «نادرًا ما يعرف الجواسيس والمُخبرون حُبًّا من الناس يا سيدي، وأنا مجرد خادم مخلص للبلاد».

- «وخصي، دعنا لا ننسى هذا».

- «نادرًا ما أفعل».

- «الناس يدعونني بنصف الرّجل أيضًا، ولو أنني أعتقد أن الآلهة كانت

أرحم معي. إنني صغير الحجم وساقاي مقوّستان، ولا تنطلع إليّ النساء بأيّ شوق، لكنني ما زلتُ رجلًا. شاي ليست أول من تُشرف فراشي، وقد يأتي يوم أتخذ فيه زوجةً وأنجبُ ابنًا، وبمشيئة الآلهة سيبدو كعمّه ويُفكر كأبيه، أمّا أنت فبلا أمل يجعلك تُحافظ على بقائك. الأقزام دُعاة قدرية من الآلهة... أمّا الخَصِيان فَمِنْ صُنع البشر. مَنْ قطعَ أعضائك يا فارس؟ ومتى ولماذا؟ من أنت حقًا؟».

لم تهتزَّ ابتسامة الخصي، لكن في عينيه التمع شيء لا يمتُّ بصِلَةٍ للضحك وهو يُجيب: «لطف منك أن تسأل يا سيدي، لكن حكايتي طويلة وحزينة، وثمة أعمال خيانة لا بُدَّ أن نناقشها»، وسحب رَقاً من كُمِّه قائلاً: «رَبَّانِ قَدَسِ الملك «الأيل الأبيض» يُحَطِّطُ لِلتَّسَلُّلِ مِنَ المرسى بعد ثلاثة أيامٍ مِنَ الآن ليعرض خدماته على اللورد ستانيس ومعها السَّفينة». زفرَ تيريون قائلاً: «أعتقدُ أن علينا أن نجعل منه عبرةً تردع غيره، أليس كذلك؟».

- «من الممكن أن يُرتَّبَ السير جاسلين اختفائه، لكن من شأن محاكمة أمام الملك أن تُساعد على اطمئناننا لولاء الرِّبَابَةِ الآخرين المستمر». وأن تُلهي ابن أختي كذلك. «كما تقول. خصَّص له جرعةً من عدالة جوفري».

وضَعَ فارس علامةً على الورقة، ثم قال: «السير هوراس والسير هوبر ردواين قاما برشوة أحد الحُرَّاس، ليسمح لهما بالخروج من بَوَّابَةٍ جانبيَّة ليلة بعد غد، وتمَّ إجراء التَّرتيبات لهما كي يُبحرا على متن القادس الپيتوشي «عداء القمر» متنكرين كبَحَّارين».

قال تيريون مبتسماً: «هل يُمكننا أن نتركهما يعملان على المجاذيف بضعة سنوات ونرى كم يروقهما هذا؟ لا، ستغضب أختي كثيراً إذا فقدت ضيفين غاليين مثلهما. بلغ السير جاسلين، واجعله يقبض على الرَّجل الذي رشياه ويشرح له فضل الخدمة كأخ في حرس اللَّيل، وضَعَ رجلاً حول «عداء القمر»، فلربما يجد الأخوان ردواين حارساً آخر يُعاني من ضائقةٍ ماليَّة».

قال فارس: «كما تأمر»، ووضع علامةً أخرى على الورقة. «رجلك تيميت قتلَ ابن بائع نبيذ هذا المساء في وكرٍ للقمار في شارع الفضة. أنَّهمم بالغشِّ في لعبة البلاطات».

- «وهل كان على حق؟».

- «أوه، بلا شك».

- «إذن فأهل المدينة الشُّرفاء يدينون لتيميت بالامتنان. سأعملُ على أن ينال شكر الملك».

أطلقَ الخصيُّ ضحكةً عصيَّةً ووضعَ علامةً أخرى، ثم قال: «لدينا أيضًا غزو من رجال الدين، فالمذنبُ جلبُ إلى المدينة كلِّ أنواع الرُّهبان والمبشرين والأنبياء على ما يبدو. إنهم يتسوّلون في الحانات الرُّخيصة ومحال الأكل، ويتنبّئون بالهلاك والدَّمار لكلِّ من يتوقَّف ويُصغى إليهم».

هَزَّ تيريون كتفيه قائلاً: «إننا ندنو من الذكري الثلاثمئة لرسو إجون، فأظنُّ أن هذا متوقَّع. دَعهم يُترثرون».

- «إنهم يَنشرون الخوف يا سيّدي».

- «حسبْتُ هذا عملك».

غطَّى فارس فمه بيده، وقال: «قسوة بالغة منك أن تقول هذا. ثَمَّة مسألة أخيرة، الليدي تاندا أقامت حفلة عشاءٍ صغيرة ليلة أمس، ومعها قائمة الطَّعام والضيوف لتطلع عليها. بعد صَبِّ النِّيد، نهَضَ اللورد جايلز ليرفع كأسًا في صحَّة الملك، وسَمِعَ السير بالون سوان يقول: سنحتاج ثلاث كؤوس من أجل هذا، فضحك كثيرون».

رفعَ تيريون يده قائلاً: «كفى. السير بالون ألقى مزحةً لا أكثر. إنني لا أعبأ بالكلام الموحى بالخيانة على موائد الطَّعام يا لورد فارس».

- «أنت حكيم بقدر ما أنت كريم يا سيّدي»، واختفى الرِّق في كُمِّ الخصيِّ وهو يقول: «سأتركك الآن، فكلانا لديه عمل كثير».

جلسَ تيريون فترةً طويلةً بعد ذهاب الخصيِّ يُراقب الشَّمعة وينساءل كيف ستلقَى أخته خبر صرْفَ چانوس سلينت. ليس بترحاب طبعًا إذا كان قادرًا على الحُكم، لكن فيما عدا إرسال كلمة احتجاج إلى اللُّورد تايوين في هارنغال، فهو لا يرى ما تستطيع سرسي أن تفعله بأيِّ شكل. إن لديه حرس المدينة الآن، بالإضافة إلى مئة وخمسين رجلًا قويًّا من مُحاربي القبائل، وقوَّة متنامية من الممرزقة الذين يُجنِّدُهم برون. يبدو إذن أنه محميٌّ تمامًا.

لا شكَّ أن إدارد ستارك كان يتصوَّر الشَّيء نفسه.

كانت القلعة الحمراء مظلمةً ساكنةً عندما غادرَ تيريون القاعة الصَّغيرة، وفي انتظاره في غُرْفته الشَّمسيَّة كان برون، الذي سأله عندما رآه: «سلينت؟».

- «سيُبحر اللورد چانوس إلى «الجدار» غدًا صباحًا. فارس يُريدني

أن أصدق أنني استبدلتُ واحدًا من رجال جوفري بواحدٍ من رجالي، بينما الغالب أنني استبدلتُ رجل الإصبع الصَّغير بآخر يملكه فارس، لكن ليكن». - «من الأفضل أن تعرف، تيميت قتلَ رجلًا...».

- «فارس أخبرني».

لم يبدُ المرتزق مندهشًا، وقال: «الأحمق ظنَّ أن خداع رجل بعين واحدة سيكون أسهل. تيميت ثبتَ معصمه في المائدة بخنجرٍ ومزَّقَ خنجرته بيديه. لديه تلك الحيلة حيث يُجمِّد أصابعه و...».

- «اعفني من التفاصيل الشنيعة، فالطَّعام يتقلَّب في معدتي بالفعل. ما أخبار التَّجنيد؟».

- «لا بأس على الإطلاق. ثلاثة رجالٍ جُدد اللَّيلة».

- «وكيف تعرف من تستأجر منهم؟».

أجاب برون: «أفحصهم بنظري، وأستجوبهم لأعرف أين حاربوا ومدى براعتهم في الكذب»، وابتسم وأكمل: «وأعطيهم فرصةً لفتلي بينما أفعل الشيء نفسه معهم».

- «وهل قتلَ أحدًا؟».

- «لا أحد كان باستطاعتنا الانتفاع منه».

- «وإذا قتلَ أحدهم؟».

- «سيكون هذا من ترغيب في استجاره».

كان تيريون ثملًا بعض الشيء ومتعبًا للغاية، لكنه قال: «قل لي يا برون، إذا طلبتُ منك أن تقتلَ طفلة... بتنا رضيعة مثلاً... هل ستفعلها؟ وبلا أسئلة؟». أجاب المرتزق: «بلا أسئلة؟ كلا»، وفرك سبَّابه وإبهامه معًا وأردف: «سأسأل كم ستدفع».

ولم أجدُ أيَّ حاجةٍ إذن إلى رجلك آلا رديم أيها اللورد سلبنت؟ إن لديَّ مئة منه بالفعل.

أرادَ تيريون أن يضحك، وأرادَ أن ييكي، لكن أكثر من أيِّ شيءٍ آخر أرادَ شيًا.



آريا

لم يزد الطريق على أخذودين ضيقين عبر الحشائش.

الجزء الجيد، أن تدني عدد المسافرين الشديد لن يجعل هناك من يشي بهم ويقول في أي اتجاه ذهبوا، فالطوفان البشري الذي انهمر على طريق الملوك من قبل ليس إلا محض قطرات هنا. الجزء السيئ، أن الطريق يلتف على نفسه جيئةً وذهاباً كالثعبان، لينشأ بك مع دروب أصغر فأصغر، وفي أحيان يختفي بالكامل، فقط ليعاود الظهور بعد مسافة نصف فرسخ عندما يكونوا قد فقدوا الأمل في العثور عليه مجدداً. كرهت آريا الطريق حقاً، فعلى الرغم من أن الأرض معتدلة كفاية هنا، تتناثر فيها التلال المائجة والحقول المدرجة وتُرصعها المروج والغابات والوديان الصغيرة، التي تحتشد فيها أشجار الصّفصاف عند جداول المياه البطيئة الضحلة—على الرغم من كل هذا ظلّ سبيلهم بالغ الضيق والاعوجاج، حتى إن حركتهم غدت أقرب إلى الزحف.

العربات بالتّحديد هي ما أبطأ تقدّمهم، إذ تتحرك بمتهى التّشاقُل ومُحاور عجالاتها تُصرّ تحت وزن حمولتها الثّقيلة. كانوا يُرغمون على التوقّف عشر مرّاتٍ على الأقل كلّ يوم لتخليص عجلة انحصرت في حفرة، أو لمضاعفة الجهد لصعود منحدر جعلته الأوحال زلّقا، وذات مرّة، في منتصف دغل كثيف من أشجار البلوط، وجدوا أنفسهم وجهاً لوجه مع ثلاثة رجالٍ ينقلون حمولةً من الحطب على عربةٍ يجرّها ثور، بلا وسيلةٍ لدوران أيٍّ من المجموعتين حول الأخرى. الحلّ الوحيد كان الانتظار حتى فكّ الحطّابون

ثورهم وقادوه عبر الأشجار، ثم دَوَّروا العربية وربطوا الثَّور بها من جديد، قبل أن يتحرَّكوا في الجهة التي جاءوا منها. كان الثَّور أبطأ من العربات بمراحل، فلم يقطعوا مسافة تُذكر يومها.

لم تستطع آريا الكفَّ عن النَّظر وراءها، متسائلة متى سيلحق بهم ذوو المعاطف الذهبية، وفي اللَّيل تستيقظ مع أقلِّ صوتٍ وتمدُّ يدها إلى مقبض «الإبرة». إنهم لا يُخَيِّمون دون تعيين حراسةٍ منهم الآن، وإن كانت آريا لا تُشعر بالثقة نحوهم، خصوصًا الصَّبية الأيتام، فربما استطاع هؤلاء البقاء على قيد الحياة في أزقة كينجز لاندنج، لكنهم ضائعون هنا في العراء لا محالة. عندما تتحرَّك بهدوء الظلال، تستطيع الانسلال منهم جميعًا وتمضي بخفية مهتدية بنور النجوم، لتُلبِّي نداء الطَّبيعة في الغابة حيث لا يراها أحد، وفي ليلةٍ عندما كان لومي أخضر اليد يتولَّى الحراسة، تسَلَّقت شجرة بلوط وتنقَّلت من عُصن إلى آخر حتى باتت فوق رأسه تمامًا، ولم يرها على الإطلاق. كان من الممكن أن تقفز فوقه مباشرة، لكنها عرَّفت أن صرخته ستُوقظ المخيم كله، وقد يضربها يورن بالعصا ثانية.

يُعامل لومي وبقية الأيتام الثَّور على أنه شخصيَّة ذات أهميَّة خاصَّة الآن، لأن الملكة تُريد رأسه، وإن كان هو نفسه رافضًا لكلِّ هذا، وقال لهم غاضبًا: «لم أفعل شيئًا للملكة أبدًا، كلُّ ما فعلته هو القيام بعملِي، المنفاخ والملقط وهات وشِل. كان من المفترض أن أصبح صانع سلاح، ثم يأتي السيّد توبهو في يوم ويقول إنني سألتحقُ بحرس اللَّيل، وهذا كلُّ ما أعرفه». يُكرَّر عليهم كلامه ثم ينصرف إلى تلميع خوذته. كانت خوذة جميلة حقًّا، مدوَّرة وذات منحنيات ومقدمة مشقوقة طولًا، ويعلوها قرنا ثور معدنيَّان ضخمان. ترقُّبه آريا وهو يُلَمِّع المعدن بخرقةٍ مبلَّلة بالزَّيت، إلى أن تلمع الخوذة تمامًا وتنعكس نار الطهي على فولاذها، لكنه لا يضعها على رأسه أبدًا.

- «أراهنُ أنه نغل ذلك الخائن»، قال لومي في ليلةٍ بصوتٍ خفيض كي لا يسمعه جندري. «اللورد الذئب، الذي قطعوا رأسه على عتبة بيلور».

قالت آريا بحسم: «لا، ليس هو». أبي كان لديه نغل واحد هو جون. شقَّت طريقها خلسة بين الأشجار متمنية لو تستطيع أن تركب فرسها وتهرع

إلى الدِّيار. إنها فَرَسٌ ممتازة، كستائِيَّة اللَّون وذات غُرَّة ناصعة البياض على جبهتها، ولطالما كانت آريا خَيَّالَةً ممتازة كذلك، ويُمكنها أن تنطلق في أيِّ وقتٍ فلا ترى أحدًا منهم ثانية أبدًا ما لم ترغب في ذلك، لكنها عندئذٍ لن تجد من يتقَصَّى الطَّرِيقَ أمامها، أو يُراقِبها من ورائها، أو يحْرُسها وهي غافية، وعندما يقبض عليها ذوو المعاطف الذَّهِيَّة ستكون وحيدة تمامًا. أكثر أمانًا لها أن تبقى مع يورن والآخريين.

قال لهم الأخ الأسود ذات صباح: «لسنا بعيدين عن «عين الآلهة». طريق الملوك لن يكون آمنًا حتى نَعْبُرَ الثَّالوث، لذا سندور حول البحيرة مع شاطناتها الغربي، فمن المستبعد أن يبعثوا عنا هناك»، وفي البُقعة الثَّالِيَّة حيث يتقاطع أخذودان معًا، أدار العربات غربيًا.

هنا تتراجع المَزارع أمام الغابات، والقرى والمعازل أصغر ومتباعدة عن بعضها البعض، والثَّلَال أعلى والوديان أعمق، والعشور على الطَّعام صارَ عسيرًا. كان يورن قد حمَّل العربات في المدينة بالسَّمَك المملَّح والخُبز الجامد والدَّهْن واللُّفْت، وأجولة من الفاصوليا والشَّعِير، وقوالب من الجبن الأصفر، لكن كلَّ لقيمةٍ أَكَلَتْ بالفعل، والآن وقد أصبحوا مُجَبَّرين على التَّعِيش مما تُنتِج الأرض، لجأ يورن إلى كوس وكورز اللذين قُبِضَ عليهما لاحتراقهما الشَّرْقَة من أراضي الغير، فكان يُرْسِلهما في طليعة الرِّكَب إلى الغابة، ومع حلول الغسق يعودان بظلي معلق من عمودٍ بينهما، أو بزوجين من طيور السَّمَان يتدَلَّيان من حزاميهما، بينما يعمل الصُّبْيَة الأصغر على قطف الثَّوْت الأسود الثَّابِت على الطَّرِيق، أو يتسلَّقون الأسوار ليملاؤا جوالًا بالتُّفَّاح إذا تصادف أن مروا ببُستان.

كانت آريا بارعةً في التسلُّق وسريعةً في جمع الثَّمار، وتُحِبُّ الاختلاء بنفسها. في يوم وقعت على أرنب بالصدفة المحضة، ووجدته بيئًا سمينًا طويل الأذنين وعصبي الأنف. تستطيع الأرانب العدو أسرع من القِطَط، وإن كانت لا تقدر على تسلُّق الأشجار ينصف براعتها، وهكذا ضربت آريا الأرنب بعصاها وأطبقت على أذنيه، وطهاه يورن مع الفطر والبصل البرِّي. نالت آريا ساقًا كاملة بما أنه أرنبها، فتقاسمتها مع جندي، وحصل كل من الآخريين على نصيبٍ من الليخنة، حتى الثلاثة المقيدين. شكرها چاكن هاجار بأدبٍ

على الوجبة اللذيذة، بينما لعق العضاض الذهن من على أصابعه المتسخة وفي عينيه نظرة راضية، أمّا رورج عديم الأنف فضحك وقال: «الصبيّاد البارع، وجه الجِرْزَل رأس الجِرْزَل قاتِل الأرناب».

حاصرهم عدد من عُمَّال الحقل في حقل ذرة خارج معقل يُدعى بريارووتر، وطالبوا بثمان الأكواز التي أخذوها. تأمل بورن المناجل في أيديهم، ثم طوّح لهم ببعض العملات النحاسية قائلاً بمرارة: «في زمن ماض كان من يرتدون الأسود يجدون الحفاوة في كل مكان من دورن إلى ويتنرفل، وحتى كبار اللوردات كانوا يعتبرون إيواءهم في بيوتهم شرفاً، والآن يشترط الجُبناء من أمثالكم الثمن مقابل قضيعة من التفاح المدود». قالها وبصق.

ردّ واحد منهم بخشونة: «إنها ذرة خلوة، أفضل مما يستحق طائر أسود عجوز كربه الرائحة مثلك. اخرج من حقلنا حالاً، وخذ هؤلاء للصوص والقنلة معك، وإلاّ علّقناكم وسط الذرة لتُخيفوا الغربان».

قاموا بشواء الذرة في قشرتها تلك الليلة، ودوّروا الأكواز بعصي طويلة مفرّعة وأكلوها ساخنة. راق مذاقها آرياً كثيراً، لكن بورن كان أكثر غضباً من أن يأكل، وبدا كأن ثمة سحابة غائمة معلقة فوق رأسه، سوداء وخشنة كمعطفه، وقد راح يذرع المخيم بخطى متوتّرة وهو يُدَمِّم لنفسه.

في اليوم التالي عاد كوس عدواً ليُحذّر بورن من مخيم أمامهم، وقال: «عشرون أو ثلاثون رجلاً يرتدون القمصان المعدّنة والخوذات القصيرة، بعضهم جروحهم بالغة، ويبدو أن أحدهم يحتضر كما تشي الأصوات التي يُصدرها. كان صوته عاليًا للغاية، فاقتربت. لديهم حراب وتروس وحصان واحد أعرج. اعتقد أنهم هناك منذ فترة كما توحى رائحة المكان».

- «هل رأيت راية؟»-

- «قط أشجار مرقط بالأسود والأصفر على خلفية بيّنة بلون الطمي».

دسّ بورن ورقة من الشبغ المُر في فمه ولاكها مفكراً، ثم قال: «لا أدري، قد يكون طرفاً وقد يكون الآخر، وإذا كانت إصاباتهم سيئة لهذه الدرجة، فعالباً سيأخذون ما معنا من دواب أيّا كانوا، وقد يأخذون ما هو أكثر. اعتقد أننا سندور دورة واسعة حولهم». أبعدهم هذا أميلاً عديدة عن طريقهم وكلفهم يومين على الأقل، لكن العجوز قال إنه ثمن زهيد. «سيكون لديكم كل الوقت

الذي تُريدونه على «الجدار»، ما تبقى من أعماركم في الغالب، فلا يبدو لي إذن أن هناك داعيًا للاستعجال».

بدأت أرى ترى المزيد والمزيد من الرجال يحرسون الحقول لَمَّا انعطفوا شمالًا ثانية. في أغلب الأحيان يقفون صامتين على جانب الطريق، يرمقون كلَّ من يمرُّ بنظراتٍ باردة، وفي أماكن أخرى يقومون بدورياتٍ عليّ متني الخيول، فيتحرَّكون بطول الأسلاك التي صُنِعت منها أسوارهم وقد علق كل منهم بلطةً في سرجه. في بقعةٍ ما أبصرت رجلًا كامئًا في شجرة ميتة، في يده قوسه وعلى الفرع المجاور له كنانته، وبمجرد أن لمحهم ثبت سهمًا في وتر القوس، ولم تُفارقهم نظراته لحظة حتى غاب آخر العربات عن نظره. ظلَّ يورن يسبُّ ويلعن طول الوقت، وقال مغضبًا: «ذلك القابع في الشجرة، لنزكم سيحبُّ البقاء هناك عندما يأتي «الآخرون» ليأخذوه. سوف يصرخ مستنجدًا بحرس الليل، حتمًا سيفعل».

بعدما بيوم لمح دوبر وهجًا أحمر في سماء المساء، فقال: «إمّا أن الطريق يلتف ثم ينبسط من جديد، أو أن الشمس تغرب في الشمال». تسلق يورن مرتفعًا ليلقي نظرةً أفضل، ثم أعلن: «إنه حريق»، ولحق إبهامه ورفعهُ مضيقًا: «من المفترض أن تبعده الريح بعيدًا عنا، لكن لا مانع من مراقبته».

وهكذا راقبوا الحريق، وإذا تسربل العالم بالظلام توهَّجت النيران أكثر فأكثر، حتى بدا كأن الشمال كله مشتعل، وبين الحين والآخر كانت رائحة الدخان تَبْلُغ أنوفهم، وإن ظلَّ اتَّجاه الرِّيح ثابتًا ولم يدنُ اللهب منهم إطلاقًا. خمد الحريق مع طلوع الفجر، لكن أحدًا منهم لم ينم بارتياح ليلتها. كان النهار قد انتصف عندما وصلوا إلى المكان الذي كانت القرية تحتله، ليجدوا الحقول خرابًا متفحمًا لآميالٍ في كلِّ جهة، والبيوت مجرد هياكل مسودة، وقد تناثرت جُثث الحيوانات المحروقة والمذبوحة على الأرض، تحت غطاءٍ خبيٍّ من الغربان آكلة الجيفة، التي تنعب غاضبةً إذا قطع عليها أحد وجبتها. كان الدخان لا يزال يتصاعد من داخل المعقل، الذي بدا سياجه الخشبي قويًا من بعيد، وإن اتَّضح العكس مع دنوهم.

تقدَّمت أرى العربات بفرسها، ورأت جثثًا محروقةً معلقةً على خوازيق

حادّة فوق الأسوار، وقد رفع أصحابها أيديهم أمام وجوههم كأنما يُحاولون مقاومة النيران التي التهمتهم التهامًا. أمر يورن بالتوقف على مسافة مناسبة من المكان، وقال لآريا والصّبية الآخرين أن يحرسوا العربات ريثما يدخل مع مورش وكتشاك سيرًا على الأقدام. حلق سرب من الغدقان من داخل الأسوار عندما دخلوا من البوابة المحطمة، فنادتها الغدقان التي معهم في الأقفاص بنعيب صارخ يصمّ الأذان.

- «ألا ينبغي أن نذهب وراءهم؟»، سألت آريا جندري بعد أن غاب يورن والآخرون فترة طالت.

- «يورن قال أن نتنظر». بدا صوت جندري أجوف، ولمّا التفتت لتنظر إليه وجدته يرتدي خوذته الفولاذية اللامعة ذات القرنين المنحنيين.

عندما عادوا أخيرًا، كان يورن يحمل طفلة صغيرة بين ذراعيه، بينما حمل مورش وكتشاك امرأة في معلاق مصنوع من لحاف قديم ممزّق. كانت الفتاة في الثانية من العمر على الأكثر وتبكي طيلة الوقت، تُصدر نحيبًا خشنًا كأن هناك شيئًا عالقًا في حلقها. إمّا أنها لم تتعلّم الكلام بعد، أو أنها نسيت كيف تتكلّم. المرأة كانت ذراعيها اليمنى تنتهي بمرفقي دام، ولا يبدو أنها ترى شيئًا، حتى وهي تنظر إليه مباشرة. كانت تتكلّم لتقول كلمة واحدة فقط، «أرجوك، أرجوك، أرجوك»، تصيح بها مرّة بعد مرّة. وجدّ رورچ هذا طريقًا، وضحك من الفتحة التي كان أنفه يحتلها في وجهه، وبدأ العضاض يضحك بدوره، حتى انهال عليهما مورش وبابل من الشّتائم وأمرهما بأن يخرسا.

جعلهم يورن يُفسّحون مكانًا للمرأة في مؤخرة عربة قائلًا: «وأسرعوا، فمع حلول الظلام سنجد ذنابًا هنا، وما هو أسوأ».

- «أنا خائف»، متمّ هوت پاي حين رأى المرأة ذات الذراع الواحدة تتلوّى كالمحمومين في العربة.

قالت آريا معترفة: «وأنا أيضًا».

اعتصر كنفها قائلًا: «لم أركل ولدًا حتى الموت حقًا يا آري، كنتُ أبيع فطير أمّي لا أكثر».

كانت آريا تسبق العربات بأطول مسافة تجرّ عليها، كي لا تسمع الفتاة الصّغيرة تبكي أو المرأة تهمس: أرجوك. تذكّرت قصّة حكّتها العجوز نان

ذات مرّة، عن رجل سجنه العمالقة الأشرار في قلعة مظلمة، وإن كان شديد الشجاعة والذكاء، فاستطاع خداع العمالقة والهروب... لكنه لم يكد يخرج من القلعة حتى أخذه «الأخرون» وشربوا دماء الحمراء الساخنة. الآن تُدرك كيف كان يشعُر.

ماتت المرأة بعد غروب الشمس، فحفر لها جندري وكتنچاك قبرًا على جانب تلّ تحت صفصافة باكية، وعندما هبّت الرّيح خيّل لآريا أنها تسمع الأغصان الطويلة الممتدة نهمس: أرجوك، أرجوك، أرجوك، فانتصبت الشّعيرات القصيرة على مؤخره عنقها، وكادت تعدو مبتعدة عن القبر.

قال لهم يورن: «لا نار الليلة». تكوّن الغشاء من حفنة من الفجل البرّي عثر عليها كوس، وكوب من الفاصوليا الجافة، وماء من غدير قريب. كان للماء مذاق غريب، فقال لهم لومي إنه مذاق الجُثث التي لا بدّ أنها تتعفن في مكان ما عكس النّيار، وكان هوت باي ليضربه لولا أن رايزن العجوز فصل بينهما.

شربت آريا ماء كثيرًا جدًّا، فقط كي تملأ معدتها بأيّ شيء. لم تحسب أنها ستمكّن من النّوم، لكنها نامت بشكل ما، وعندما استيقظت كان الظلام دامسًا ومثانتها توشك على الانفجار، وقد تكوّم النائمون حولها ملتفّين بالأغطية والمعاطف. التفطت إبرتها ونهضت مصغية، فسمعت الوقع الخافت لقدمي أحد الحُرّاس، والرّجال يتقلّبون في نومهم غير المريح، وغطيط رورج الخشن، والفحيح الغريب الذي يخرج من العضاض وهو نائم، ومن عربة أخرى جاء الصّوت الإيقاعي الثّابت لاحتكاك الفولاذ بالحجر، حيث جلس يورن يَمْضُغ التّبغ المُر ويشحذ حافة خنجره.

كان هوت باي واحدًا من الصّبية السّاهرين للحراسة، وسأل آريا عندما رآها متّجهة نحو الأشجار: «إلى أين أنت ذاهب؟»، ولمّا أشارت بحركة مبهمّة نحو الغابة، قال: «لا، لن تذهب». إنه أكثر جرأة الآن وقد أصبح معه سيف في حزامه، وإن كان مجرد سيف قصير يتعامل معه كأنه ساطور. «العجوز قال أن يبقى الجميع قريبين الليلة».

- «أريد أن أقضي حاجتي».

أشار قائلًا: «حسن، استخدم تلك الشّجرة هناك. إنك لا تدري ما الموجود في الغابة يا آري، لقد سمعتُ غواء ذئاب منذ قليل».

لن يروق يورن أن تتشاجر معه، فحاولت أن تبدو خائفةً وهي تُردّد:
«ذئاب؟ حقًا؟».

- «سمعتها بنفسي».

- «لا أظنُّ أنني أريدُ أن أبول إذن». عادت إلى دثارها وتظاهرت بالنوم حتى سمعت خطوات هوت پاي تبتعد، ثم إنها تدرجت وتسللت بهدوء الظلال إلى الغابة على الجانب الآخر من المخيم. كان هناك حرس واقفون في هذه الجهة أيضًا، إلا أن آريا لم تجد صعوبةً في تحاشيهم، وعلى سبيل الحيلة ابتعدت ضعف المسافة المعتادة، وعندما تأكدت من عدم وجود أحدٍ في الجوار، أنزلت سراويلها وقرصت لتقضي حاجتها.

كانت تُفرغ مثانتها وثيابها متشابكة حول كاحليها، عندما سمعت الحفيف القادم من تحت الأشجار، فقالت لنفسها مذعورة: هوت پاي، لقد تبعتني. ثم إنها رأت العينين اللامعتين في ظلام الغابة وقد توهجتا بنور القمر المنعكس فيهما. انقبضت معدتها تمامًا وهي تلتقط إبرتها غير عابئةٍ إن بالّت على نفسها، وبدأت تُحصى الأعين.

عينان، أربع، ثمان، اثنتا عشرة، قطع كامل...

خرج أحدها من تحت الأشجار، وحدّق فيها كاشفًا عن أسنانه، وكلُّ ما استطاعت التفكير فيه أنها كانت غبيةً حقًا، وكم سيتبجح هوت پاي عندما يجدون جثتها نصف المأكولة في الصباح التالي. غير أن الذئب استدار وجرى غائبًا في الظلام، وسرعان ما غابت بقية الأعين بدورها. مرتجفةً، نظّفت آريا نفسها وربطت سراويلها، ثم اتبعت صوت الاحتكاك البعيد إلى المخيم وإلى يورن، وتسلمت العربة لتجلس إلى جواره وقد اهتزّ كيانهَا، وغمغمت بصوتٍ مبحوح: «ذئاب في الغابة».

قال دون أن ينظر إليها: «نعم، لا بُدَّ من وجودها هناك».

- «لقد أخافتني».

بصق وقال: «حقًا؟ يبدو لي أن أمثالك مغرمون بالذئاب».

احتضنت آريا نفسها مجيبةً: «نايميريا كانت ذئبةً رهيبةً، نوع آخر، ولقد ضاعت على كلِّ حال. أخذتُ وجوري نقذفها بالحجارة حتى هربت، وإلاَّ

لكانت الملكة قتلتها. أراها لو كانت في المدينة، لما تركتهم يقطعون رأس أبي». أثار فيها الكلام شعورًا بالحزن البالغ.

قال يورن: «الصّبية الأيتام ليس لهم آباء، أم أنك نسيت؟». كان التّبع المُرقد صَبَغَ لُعابه بالأحمر، فبدأ فمه كأنه ينزف. «التّوع الوحيد من الذّئاب الذي يجدر بنا أن نخافه هو الذي يرتدي جلد البشّر، كمن نَقَدُوا مذبحة تلك القرية».

قالت بأسى: «أتمنى لو أنني في الدّيار الآن». لقد حاولت بكلّ قوّتها أن تكون شجاعَةً، أن تكون شرسةً كالوولفرين وما إلى ذلك، لكنها تشعُر في أحيان أنها مجرّد فتاة صغيرة رغم كلّ شيء.

قطع الأخ الأسود ورقةً من حزمة التّبع المُر الموضوع على العربة، وحشا بها فمه قائلاً: «لربما كان من الأفضل أن أتركك حيث وجدتك يا ولد، كلكم في الحقيقة، فالمدينة أكثر أمانًا على ما يبدو».

- «لا أبالي. أريد أن أعود إلى الدّيار».

لمعت الرّغوة على فم يورن كفقاقيع من الدّم وهو يقول: «ثلاثون سنة قضيتها في المجيء بالرجال إلى «الجدار»، وطول كل تلك السّنين فقدتُ ثلاثة فقط، عجوزًا ماتت بالحُمّى، وفتى من المدينة لدغته ثعبان وهو يتغوّط، وأحمق حاول أن يقتلني في نومي، فنال ابتسامة حمراء تقديرًا لمجهوده»، وسحب خنجره على عنقه ليُرِيها ما يعنيه. «ربما كان من الحكمة أن نستقلّ سفينة. أي نعم لا توجد فرصة للعثور على المزيد من الرجال خلال الطّريق، لكن مع ذلك... سيُسافر الرّجل الذّكي بالسّفينة، لكن أنا... ثلاثون سنة وأنا أسافر على طريق الملوك»، ودسّ خنجره في غمده وقال: «نَمْ يا ولد، هل تسمعني؟».

وحاولت أريا أن تنام حقًا، غير أنها ظلّت تسمع الذّئاب تعوي وقد تمدّدت تحت غطاءها الرّقيق... وصوتًا آخر خافتًا، ليس أكثر من همسة في الرّيح، لعلّه كان صراخًا.



دافوس

أفعم الذخان المتصاعد من حريق الآلهة هواء الصّباح وخضبه بلون قاتم. كانت النّار مضطربةً فيهم جميعًا الآن، «العدراء» و«الأم»، و«المُحارب» و«الحدّاد»، و«العجوز» بعينيهما اللؤلؤيتين، و«الأب» بلحيته المذهّبة، وحتى «الغريب» المنحوت ليبدو حيوانًا أكثر منه إنسان. التهاب الخشب الجاف القديم المغطى بطبقات لا تُحصى من الطّلاء والورنيش بضوء قويّ نهم، لتلفح الحرارة الهواء البارد لفحًا، ومن ورائهم بدت الكراجل والثّنائين الحجرية على أسوار القلعة ضبايئة مشوشة، كأن دافوس يتطلع إليها عبر حجاب من الدّموع. أو كأن الحركة بدأت تدبّ في تلك الوحوش...

- «شيء مذموم»، قال آلارد، وإن كان لديه من العقل ما حدا به لأن يخفض صوته، وتمتم دايل متفعمًا معه.

قال دافوس: «صمتًا، تذكّرنا أين أنتم». أبناؤه رجال صالحون حقًا، لكن صغار، وآلارد بالذّات معروف باندفاعه. لو بقيت مهربًا، لانتهى الأمر بآلارد على «الجدار»، لكن ستانيس عتقه من ذلك المصير. شيء آخر أدين له به... مئات جاءوا إلى بوابات القلعة ليشهدوا احتراق «السبعة»، وفاخت في الجوّ رائحة قبيحة، وحتى الجنود وجدوا أن من الصّعب أن يمنعوا أنفسهم من الشّعور بالقلق والتطّير من تلك الإهانة الفادحة للآلهة التي عبدها معظمهم طيلة حياته.

دارت المرأة الحمراء حول النّار ثلاثًا، مبتهلة مرّة بلسان آساي، ومرّة بالفاليريّة الفصحى، وثالثة باللّغة العاميّة (التي لا يعرف دافوس غيرها)،

ورفعت صوتها قائلة: «أيا راهلور، تعال إلينا في ظلمتنا. أيا إله الضياء، لك نُقَدِّم هذه الآلهة الزائفة، هؤلاء السبعة الذين هُم واحد، وهو العدو، داعين أن تتقبلهم منا وتجعل نورك يسطع علينا، فالليل حالك ومفعم بالأهوال». ردّدت الملكة سيليس الكلمات كالصدى، وإلى جوارها وقف ستانيس يتفرّج بملامح جامدة، فكّه صُلب كالحجر تحت الظل الأزرق الضارب إلى السواد، الذي تُلقبه لحيته المشدّبة بعناية. كان متأنقا على غير العادة، كأنه ذاهب إلى السّبت.

سبت دراجونستون هو المكان الذي ركع فيه إجون الفاتح ليُصلّي عشية إبحاره إلى وستروس، وإن لم تُنفذ هذه الحقيقة المكان من رجال الملكة، الذين قبلوا كلّ مذبح وأسقطوا كلّ تمثالٍ وحطّموا الرُّجّاج الملون بمطارق الحرب. ساعتها وقف السّبتون بار مكتوف اليدين ولم يستطع إلا أن يلعنهم، لكن السير هوبارد رامبتون قادّ أبناءه الثلاثة إلى السّبت ليُدافعوا عن آلهتهم، ونجحوا في إسقاط أربعة من رجال الملكة بالفعل قبل أن يتكاثروا عليهم. بعدها أخبر جانسر صنجلاس -أكثر اللوردات كياسةً وتقوى- ستانيس بأنه لم يُعدّ يستطيع تأييده في دعواه، والآن يتقاسم الرّجل زنانه ضيقةً قائظةً مع السّبتون وابني السير هوبارد اللذين ظلّا على قيد الحياة؛ وهكذا استوعب بقيّة اللوردات الدّرس بلا إبطاء.

لم تكن الآلهة الكثير لدافوس المهرّب طيلة حياته، وإن كان معروفاً عنه أنه، كمعظم النّاس، يُقدّم القرابين إلى «المُحارب» قبل المعركة، وإلى «الحدّاد» عندما يُبحر بسفينة، وإلى «الأم» عندما يتنفخ بطن زوجته بحملٍ جديد. شعر بالغثيان وهو يراهم يحترقون، وليس من جرّاء الدخان فقط.

كان المايستر كرسن يستطيع وضع حدّ لهذا. لقد تحدّى العجوز إله الضياء فأهلكه نكرانه، أو أن هذا ما يقوله النّمامون لبعضهم بعضاً. غير أن دافوس يعرف الحقيقة، فلقد رأى المايستر يُسقط شيئاً في كأس التّبيد التي أخذها منه. سُم. ماذا عساه يكون سوى هذا؟ لقد شرب كأساً من الموت ليحرّر ستانيس من مليساندرا، لكن إلهها حماها بشكل ما. كان ليسعده أن يقتل المرأة الحمراء من أجل هذا، لكن ما فرصته في النّجاح حيثما أخفق

مايستر من قلعة البلدة القديمة؟ إنه مجرد مهرَّب رُقِّي إلى مرتبة عالية، دافوس ابن «جُحر البراغيث»، فارس البصل.

أَلَقَّت الآلهة المحترقة ضوءاً جميلاً وقد أحاطت بها غلالات من اللهب الرَاقص. كان السِّتون بار قد قال لدافوس ذات مرَّة إنها منحوتة من صواري الشُّفن التي حملت باكورة من خرجوا من عائلة تارجارين من فاليريا، وعلى مرَّ القرون طَلِيَتْ وأعيدَ طلاؤها ومُوِّهَتْ بالذهب والفضَّة وحُلِيَتْ بالجواهر. «جمالها سيُضاعف رضا راهلور»، قالت مليساندرا عندما أُخبرت ستانيس أن يُسِفِط الآلهة ويَجَرَّها إلى خارج بوابات القلعة.

كانت «العذراء» منطرحَةً بالعرض فوق «المحارب» بذراعين مفتوحتين عن آخرهما كأنها تحتويه، وبدا كأن رعدة تسري في جسد «الأم» وألسنة اللهب تلعق وجهها، وقد انغرس في قلبها سيف طويل دبَّت النَّار في مقبضه الجِلدي. كان «الأب» أول من سقط، وراقب دافوس يد «الغريب» تتلوَّى وتتجعَّد إذ اسودَّت الأصابع وتساقطت واحداً تلو الآخر، حتى لم يتبقَّ منها غير فحم متَّقَد. على مسافة قريبة كان اللورد سلتيجار يسْعَل بعُنفٍ ويُعْطِي وجهه المَجْعَد بمنديل كَتَّاني مطرَّز بأشكال سراطين البحر الحمراء، بينما تبادلَ عرسان البحر الذُّعابات وهُم يستمتعون بدفء الثَّيران، واكتسى وجه اللورد بار إمون الصَّغير بلونٍ رماديٍّ مَبْعَع، أمَّا اللورد فيلاريون فكان يُسَدِّد نظراته نحو الملك وليس الحريق.

كان دافوس ليدفع ثمنًا كبيرًا ليعرف ما يُفَكِّر فيه، لكن رجلاً مثل فيلاريون لن يُفْضِي إليه بما يُكِنُّه أبداً، فأصلُ سيِّد المَد والعَجزر ينحدر من فاليريا القديمة، وحدث ثلاث مرَّات أن تزوجت نسوة من عائلته أمراء من عائلة تارجارين، بينما تفوح رائحة السَّمك والبصل من دافوس سيوورث. ولا تختلف الحال في شيءٍ مع بقية اللوردات، فهو لا يثق بأحدٍ منهم، وكذا لن يَضُمُّوه هُم إلى مجالسهم السَّريَّة أبداً، كما أنهم يحتقرون أبناءه كذلك ويسخرون منهم. لكن أحفادي سينازلون أحفادهم في دورات المباريات، وقد يمتزج نسلهم بنسلي ذات يوم، ومع الوقت ستخفق رايتي ذات السَّفينة السَّوداء الصَّغيرة عاليًا كحصان بحر فيلاريون أو سراطين سلتيجار الحمراء.

هذا إذا فاز ستانيس بعرشه، أمّا إذا خسر... كلُّ ما أنا عليه أدينُ به له. ستانيس هو من رَفَّاه إلى الفروسيَّة، ومنحه موضع شرفٍ على مائدته، وقادسًا حربيًّا يُبحر به بدلًا من مركب التهريب الشَّراعي الصَّغير، كما أن كلاً من دايل وآلارد يقود قادسًا بدوره، وماريك رئيس المجذفين على متن «الثَّورة»، وماثوس يُساعده على متن «بنا السَّوداء»، كما اتَّخذ الملك من دقان مُرافقًا ملكيًّا، وذات يوم سيُنصَّب فارسًا، والولدان الصَّغيران كذلك. ماريا سيُده لحصن صغير في «رأس الغضب»، ولديها خدم يُخاطبونها بـ «سيِّدتي»، ويستطيع دافوس أن يصطاد الطُّبَّاء الحمراء في غابته الخاصَّة. كل هذا ناله من ستانيس باراثيون مقابل بضعة مفاصل أصابع. كان عادلاً ما فعله معي، بعدما هزأتُ بقوانين الملك طيلة حياتي. إنه يستحق ولائي. تحسَّ دافوس الجراب الصَّغير المعلَّق في شريطٍ جلدي يُحيط بعُنقه. إن أصابعه بمثابة حَظَّة، وهو في حاجةٍ إلى الحَظِّ الآن. كما نحتاجه كلنا، لا سيَّما اللورد ستانيس.

ارتفعت السنة اللَّهب الباهتة إلى السَّماء الغائمة، ومعها الدُّخان الدَّاكن يتلوَّى ويتمعَّج، تدفعه الرِّياح نحوهم فتطُرِف أعين الرِّجال ونسيل منها الدُّموع فيقرُّكونها. أشاح آلارد بوجهه وهو يسْعَل ويشتم، وفكَّر دافوس: عيَّة مما هو آتٍ. كثيرون سوف يحترقون قبل أن تضع هذه الحرب أوزارها. اكتست ملبساندرا بالحرير القرمزي والمخمل الدَّموي، عيناها حمراوان كالياقوتة الضَّخمة التي تنلأ على رقبتها كأنها تشتعل نازًا بدورها. «في مخطوطات أشاي القديمة كُتِبَ عن يوم سيأتي بعد صيفٍ طويل، عندما تنزف النُّجوم وتبسط ريح الظَّلام الباردة أجنحتها على العالم، وفي ساعة الخوف تلك سيسحب مُحاربٌ سيفًا وهاجًا من قلب النَّار، وسيكون ذلك السَّيف «جالب الضَّياء»، سيف الأبطال الأحمر، ومن يحمله سيكون أزور آهاي العائد من جديد، ومنه سيفُ الظَّلام»، ورفعت صوتها كي يبلُغ مسامع المحتشدين وأنشدت: «أزور آهاي، حبيب راهلور! ابن النَّار ومُحارب النَّور! تقدِّم، فسيفك يتظرك! تقدِّم وخُذه بيدك!».

تقدِّم ستانيس باراثيون بخطواتٍ واسعة كجنديٍّ يسير إلى المعركة، فأسرع

مُرافقاه لمعاونته، وشاهد دافوس ابنه دَفان يُثَبِّت قُفَّازًا مَبْطَّنًا طويلاً على يد الملك اليمنى، وقد ارتدى الصبي سُرَّةَ صفراء باهتة خُيِّطَ على صدرها قلب ناري، وارتدى بايرن فارنج سُرَّةَ مشابهة وهو يربط حرملة جلدية سميكة حول عُنق جلالته. تنهى إلى مسمع دافوس من الورداء رنين الأجراس وجلجلتها، وصوت ذي الوجه المرقع يُعْنِي في مكان ما: «تحت البحر يتصاعد الدخان في فقايع، ويحترق اللهب بالأخضر والأزرق والأسود. أعرف، أعرف، أوه، أوه، أوه».

خطا الملك في النَّار ضاعطاً على أسنانه بقوة، وقد رفع الحرملة الجلدية أمامه لتقيه من اللهب، وأتجه صوب «الأم» مباشرة، وأطبق على السيف بيده المغطاة بالقُفَّاز، وانتزع من الخشب المحترق بشدة قوة واحدة، ثم إنه تراجع رافعاً السيف عاليًا واللبب الأخضر كاليشب يدور كإعصار حول الفولاذ الأحمر كالكرز. اندفع الحُرَّاس ليُخمدوا الجمرات الصغيرة التي علقت بتياب الملك، بينما هتفت الملكة سيليس: «سيف من نار!»، والتقط السير أكسل فلورنت وبقية رجال الملكة منها الهتاف ليُرَدِّدوا: «سيف من نار! يتوهج! يتوهج! سيف من نار!».

رفعت مليساندرا يديها فوق رأسها ونادت: «أبصروا! آية! آية! آية! شهدنا! أبصروا! جالب الضياء! قد عاد أزور آهاي من جديد! فليهتف الجميع لمُحارب النور! فليهتف الجميع لابن النار!». رددت موجة خشنة من الأصوات الهتاف، فيما بدأ قُفَّاز ستانيس يشتعل، فأطلق الملك سُبَّةً وغمس رأس السيف في التربة الرطبة وأخمد النار ضرباً على ساقه.

وصاحت مليساندرا: «يا إلهنا، اجعل نورك يسطع علينا!». - «فالدليل حالك ومفعم بالأهوال»، ردت سيليس ورجالها، وتساءل دافوس في أعماقه وأصابه المقصرة ترتعش: أبنخي أن أردد تلك الكلمات بدوري؟ هل أدين لستانيس بهذا القدر؟ أهذا الإله النَّاري إله بحق؟ خلع ستانيس قُفَّازه وتركه يسقط أرضاً. كان التعرف على الآلهة التي احتوتها المحرقة شبه مستحيل الآن، وسقط رأس «الحداد» في سحابة من

الجمر والرَّمَاد، بينما أُنشِدَت ملبساندرا بلُغة آشاي، يرتفع صوتها وينخفض
كأمواج البحر، وفكّ ستانيس حرملته الجِلْدِيَّة التي احترقَ سطحها وأصغى
صامتًا. مغروسًا في الأرض، كان «جَالِب الضِّيَاء» لا يزال متَّقِدًا بالأحمر،
لكن اللَّهب الذي تعلَّق بالسِّيف بدأ يتضاءل وينطفئ.

مع انتهاء الأَغْنِيَّة، لم يكن شيء قد تبَقَّى من الآلهة غير قطع من الخشب
المتفحَّم، ونفدَ صبر الملك أخيرًا، فأخذَ زوجته من مِرْفَقها واصطحبها عائداً
إلى داخل دراجونستون، وترك «جَالِب الضِّيَاء» في مكانه. تخلَّفت المرأة
الحمراء وهلةً لثُرَاقِب دافن وبايرن فارنج إذ ركعا ولفًا السِّيف المحروق
المسودَّ بحرملة الملك الجِلْدِيَّة، وفكَّر دافوس: سيف الأبطال الأحمر يبدو
في حالةٍ يُرْتَى لها. تخلَّف عدد من اللوردات كذلك ليتكلَّموا بأصواتٍ هادئةٍ
وقد وقفوا عكس اتِّجاه الدُّخان، لكنهم لا ذوا بالصَّمت عندما رأوا دافوس
يَنْظُر صوبهم. إذا سقطَ ستانيس فسيسقطوني وراءه قبل أن يرتدَّ إليَّ طرفي. إنه
لا يُعَدُّ من رجال الملكة، تلك المجموعة من الفُرسان الطموحين واللوردات
صغار الشَّان الذين وهبوا أنفسهم لإله الضِّيَاء، ومن ثَمَّ نالوا تأييد ومحبوبةٍ
الليدي - لا، الملكة، تذكر هذا - سيليس.

كان الحريق قد بدأ يخدم بالفعل مع رحيل ملبساندرا والثُرَاقِبين بالسِّيف
الظَّمين، وانضمَّ دافوس وولدها إلى الحشد الذي يمضي نحو السَّاحل والشُّفن
الرَّاسِيَّة، وقال وهو يمشي: «دُفان أبلي بلاءٌ حسنًا».

قال دايل: «نعم، حملُ القَفَّاز دون أن يُسْقَطه».

هَزَّ آلارد رأسه وقال: «تلك الشَّارة على سُترته، القلب النَّاري، ماذا تكون؟

إن رمز عائلة باراثيون هو الوعل المتوجَّج».

ردَّ دافوس: «اللورد يستطيع اختيار أكثر من شارة».

ابتسم دايل قائلاً: «مثل سفينة سوداء وبصلة يا أبي؟».

ركل آلارد حجرًا وقال: «فليأخذ «الآخرون» بصلتنا... وذلك القلب

النَّاري أيضًا. حرق «السَّبعة» شيء مذموم».

سأله أبوه: «منذ متى هذا التدنُّين؟ وما الذي يعرفه ابن مهرَّبٍ عن أفعال

الآلهة؟».

- «أنا ابن فارس يا أبي. إذا كنت لا تتذكر، فلماذا ينبغي أن يفعلوا هم؟»
 - «ابن فارس لكن لست فارساً، ولن تصبح واحداً أبداً إذا تدخلت فيما لا يخصك. ستأيس ملكنا الشرعي، وليس لنا أن نشارك فيما يفعله. إننا نبحر بشفنه ونطيع أوامره وهذا كل شيء».

قال دابل: «بالنسبة لهذا يا أبي، فبراميل الماء التي أعطوني إياها من أجل الطيف لا تروقني. إنها مصنوعة من الصنوبر الأخضر، وسيتلف الماء خلال رحلة من أي طول».

قال آلارد: «حصلت على الشيء نفسه من أجل الليدي ماريا». رجال الملكة وضعوا أيديهم على كل الخشب المعالج».

رد دافوس: «سأكلّم الملك في هذا الشأن». من الأفضل أن يأتي الكلام منه لا من آلارد، فأبناءؤه محاربون بارعون وبخّارة أبرع، لكنهم لا يعرفون كيف يخاطبون اللوردات. كانوا وضيعي النسب مثلما كنت، لكنهم لا يبحثون تذكر ذلك. عندما ينظرون إلى رايتنا، فكل ما يرونه هو سفينة سوداء طويلة تُحلق في الرّيح، ويغمضون أعينهم عن البصلة.

وجد دافوس المرفأ يعجّ بالرجال كما اعتاده دائماً، وازدحم كل مرسى بالبخّارة الذين يحملون المؤن، وكلّ خانٍ بالجند المنهمكين في لعب البلاطات أو الشرب أو البحث عن عاهرة... وهو بحث بلا طائل على كل حال، بما أن ستانيس حرّم وجودهن على جزيرته تماماً. كانت السفن مصطفة بطول الساحل، قوادم حربيّة ومراكب صيد، وقرابير ضخمة وأكواج كبيرة البطون، وقد خُصّص أفضل المراسي لأكبر السفن، «الثورة» سفينة القيادة الخاصّة بستانيس، التي تتأرجح على سطح الماء بين «اللورد ستفون» و«وعل البحر»، وسفينة اللورد فيلاريون «فخر دريفتمارك» ذات البدن الفضّي مع أخواتها الثلاث، و«المخلب الأحمر» سفينة اللورد سلتيجار بزخارفها وزيتها، و«سيّاف البحار» الثّقيلة ذات المقدّمة الحديدية الطويلة، و«فاليريان» سفينة سالادور سان الضّخمة التي ألقت مرساتها على مسافة أبعد في البحر، وقد أحاطت بها دستان من القوادم اللايسيّة الأخرى الأصغر حجماً بأبدانها المخططة.

ثُمَّ حَانَ صَغِيرٌ مِنْهَا لِكَ يَسْتَقِرُّ عِنْدَ نَهَايَةِ الرَّصِيفِ الْحَجَرِيِّ، حَيْثُ تَتَقَاسَمُ «بَنَاتُ السَّوْدَاءِ» وَ«الطَّيْفُ» وَ«الليدي ماريَا» مَسَاحَةَ الْحَوْضِ مَعَ نِصْفِ دَسْتِهِ أُخْرَى مِنَ الْقَوَادِسِ ذَاتِ الْمِئَةِ مَجْذَافٍ أَوْ أَقْلَ، وَكَانَ دَاْفُوسٌ يَشْعُرُ بِالظُّمَأِ، فَأَلْقَى التَّحِيَّةَ عَلَى ابْنِهِ وَانْصَرَفَ فِي اتِّجَاهِ الْخَانِ، الَّذِي يَجْثُمُ خَارِجَهُ كَرَجْلٍ بَارْتِفَاعِ الْخَصْرِ ضَرْبَتِهِ مِيَاهُ الْمَطَرِ بِلَا هَوَادَةٍ حَتَّى تَأْكُلَ وَانْطَمَسَتْ مَعَالِمُهُ تَمَاقًا. عَلَى أَنَّ دَاْفُوسَ يَعُدُّهُ صَدِيقًا قَدِيمًا، وَقَدْ رَبَّتْ عَلَى الرَّأْسِ الْحَجَرِيِّ فِي طَرِيقِهِ إِلَى الدَّخْلِ مَتَمَتَمًا: «لِلْحَظِّ».

عَلَى الْجَانِبِ الْآخَرِ مِنَ الْقَاعَةِ الْعَامَّةِ الصَّاخِبَةِ، جَلَسَ سَالَادُورُ سَانَ يَأْكُلُ حَبَّاتِ الْعَنْبِ مِنْ وَعَاءٍ خَشْبِيٍّ، وَأَشَارَ لِدَاْفُوسَ بِالِاقْتِرَابِ عِنْدَمَا لَمَحَهُ، وَقَالَ: «تَعَالِ وَاجْلِسْ مَعِيَ أَيُّهَا السَّيْرُ الْفَارَسُ، كُلْ عَنَبَةً، كُلْ اثْنَتَيْنِ، إِنَّهُ شَدِيدُ الْحَلَاوَةِ حَقًّا». كَانَ اللَّايِسِينِي رَجُلًا أَتْنَقَ الْمَظْهَرِ حَاضِرِ الْإِبْتِسَامَةِ، بِهَرَجَتِهِ أَشْهَرُ مِنْ نَارٍ عَلَى عِلْمٍ عَلَى جَانِبِي الْبَحْرِ الضِّيْقِ، وَالْيَوْمَ ارْتَدَى ثَوْبًا بَرَّاقًا مِنْ قُمَاشِ الْفَضَّةِ، ذَا كُمَيْنَ وَاسْعَيْنِ مَطْرَازَيْنِ بِالْأَشْكَالِ الزُّخْرَفِيَّةِ، طَوِيلَيْنِ لِدَرَجَةٍ أَنَّ طَرَفَيْهِمَا انْسَدَلَا وَتَكَوَّمَا عَلَى الْأَرْضِ، أَمَّا الْأَزْرَارُ فَمَنْقُوشَةٌ عَلَى شَكْلِ قُرُودٍ مِنْ حَجَرِ الْيَشْبِ، بَيْنَمَا اسْتَقَرَّتْ عَلَى خَصَلَاتِ شَعْرِهِ الْبَيْضَاءِ النَّاعِمَةِ قُبْعَةٌ خَضْرَاءُ أَتْنِيفَةٌ مَزِينَةٌ بِمَرْوَحَةٍ مِنْ رِيَشِ الطَّائِفِ.

شَقَّ دَاْفُوسٌ طَرِيقَهُ بَيْنَ الطَّاوِلَاتِ إِلَى كُرْسِيِّ. فِي الْعَهْدِ السَّابِقِ لِفَرُوسِيَّتِهِ اعْتَادَ شُرَاءُ الْبَضَائِعِ مِنْ سَالَادُورُ سَانَ، فَالْيَايِسِينِي مَهْرُبٌ كَذَلِكَ، بِالإِضَافَةِ إِلَى كَوْنِهِ تَاجِرًا وَمَصْرِفِيًّا وَقُرْصَانًا شَهِيرًا، عِلَاوَةً عَلَى لِقَبِّ أَمِيرِ الْبَحْرِ الضِّيْقِ الَّذِي أَطْلَقَهُ عَلَى نَفْسِهِ. يَجْعَلُونَ مِنَ الْقُرْصَانِ أَمِيرًا عِنْدَمَا يَغْتَنِي بِمَا فِيهِ الْكَفَايَةُ. كَانَ دَاْفُوسُ هُوَ مَنْ قَامَ بِالرَّحْلَةِ إِلَى لَيْسَ لَضَمِّ الشَّقِيِّ الْقَدِيمِ إِلَى دَعْوَى اللُّوردِ سَتَانِيْسَ.

سَأَلَهُ دَاْفُوسُ: «أَلَمْ تَنْفَرَجْ عَلَى حَرْقِ الْآلِهَةِ يَا سَيِّدِي؟».

- «الرُّهْبَانُ الْحُمْرُ لَدَيْهِمْ مَعْبَدٌ عَظِيمٌ فِي لَيْسَ، وَطِيلَةُ الْوَقْتِ يَحْرِقُونَ هَذَا وَذَاكَ وَيَهْتَفُونَ لِإِلَهُهِمْ رَاهِلُور. إِنَّهُمْ يُضْجِرُونَنِي بِحَرَائِقِهِمْ تِلْكَ، وَقَرِيبًا سَيَشْعُرُ الْمَلِكُ سَتَانِيْسَ بِضُجْرٍ مِمَّا تِلْكَ كَمَا أَتَمَنَّى». بَدَأَ غَيْرَ مَكْتَرِثٍ إِطْلَاقًا بِأَن يَسْمَعَهُ أَحَدٌ، وَأَخَذَ يَأْكُلُ عَنْبَةً لَافْظًا الْبَذُورَ عَلَى شَفْتَيْهِ، قَبْلَ أَنْ

يَنْقُفُهَا بَعِيدًا بِأَصْبَعِهِ. «سَفِيتِي» الطَّائِرُ ذُو الْأَلْفِ لَوْنٌ عَادَتْ بِالْأَمْسِ يَا سَيِّدِي الْعَزِيزِ. إِنَّهَا لَيْسَتْ سَفِينَةً حَرْبِيَّةً، لَا، بَلْ تِجَارِيَّةٌ، وَقَدْ تَوَقَّفَتْ فِي طَرِيقِهَا فِي كَيْنِجَزْ لَانْدَنْج. مَتَأَكَّدُ مِنْ أَنَّكَ لَا تُرِيدُ عُنْبَةً؟ يُقَالُ إِنَّ الْمَدِينَةَ مَلَأَى بِالْأَطْفَالِ الْجِيَاعِ، وَدَلَّى عِنْفُودَ الْعُنْبِ أَمَامَ وَجْهِ دَافُوسَ وَابْتَسَمَ.

- «مَا أُرِيدُهُ هُوَ الْقَلِيلُ مِنَ الْمِزْرِ⁽¹⁾، وَمَا لَدَيْكَ مِنْ أَنْبَاءٍ».

قَالَ سَالادُورُ سَانَ مَتَذَمِّرًا: «مَتَعَجِّلُونَ أَنْتُمْ دَائِمًا يَا أَهْلُ وَسْتَرُوسَ، لَكِنْ قُلْ لِي مَا فَائِدَةُ الْعَجَلَةِ؟ مَنْ يَسْتَعِجِلُ فِي الْحَيَاةِ يَسْتَعِجِلُ الذَّهَابَ إِلَى الْقَبْرِ»، وَتَجَشَّأَ ثُمَّ أَضَافَ: «سَيِّدُ كَاسْتَرَلِي رُوكْ أَرْسَلَ ابْنَهُ الْقَرْمَ لِيَتَوَلَّى شُؤُونَ كَيْنِجَزْ لَانْدَنْج. لَعَلَّهُ يَأْمَلُ أَنْ يُخَيِّفَ وَجْهَهُ الْقَبِيحَ الْمَهَاجِمِينَ، هَهُ؟ وَمَنْ يَدْرِي؟ رُبَّمَا يَقْصِدُ أَنْ نَمُوتَ ضَحْكًَا عِنْدَمَا يَخْرُجُ الْعِفْرِيَتِ إِلَى الشُّرَفَاتِ. لَقَدْ طَرَدَ الْقَرْمَ ذَلِكَ الْجَلْفَ الَّذِي كَانَ يَقُودُ ذَوِي الْمَعَاطِفِ الذَّهِّيَّةِ، وَعَيَّنَ فَارَسًا ذَا يَدٍ حَدِيدِيَّةٍ بَدَلًا مِنْهُ»، وَالتَّقَطَّ حَبَّةٌ مِنَ الْعُنْبِ وَاعْتَصَرَهَا بَيْنَ سَبَابَتِهِ وَإِبْهَامِهِ، إِلَى أَنْ انْفَجَرَتْ قَشَرَتُهَا وَسَالَ عَصِيرُهَا بَيْنَ أَصَابِعِهِ.

دَفَعَتْ وَاحِدَةً مِنَ السَّاقِيَّاتِ نَفْسَهَا وَسَطَ الزُّحَامِ وَهِيَ تَذُبُّ الْأَيْدِي الَّتِي امْتَدَّتْ لَتَتَحَسَّسَ جَسَدَهَا، وَطَلَبَ مِنْهَا دَافُوسُ دُورْقًا مِنَ الْمِزْرِ، ثُمَّ التَفَتَ إِلَى سَانَ قَائِلًا: «حَدَّثَنِي عَنْ دِفَاعَاتِ الْمَدِينَةِ».

هَزَّ الْقُرْصَانُ كَتْفَيْهِ مَجِيئًا: «الْأَسْوَارُ عَالِيَةٌ وَقَوِيَّةٌ، لَكِنْ أَيْنَ الْجُنْدُ الَّذِينَ سَيَحْمُونَهَا؟ أَوْه، صَحِيحٌ أَنَّهُمْ يَنْوِنُ الْعَرَادَاتِ وَنَافِثَاتِ اللَّهَبِ، لَكِنْ الرَّجَالُ ذَوِي الْمَعَاطِفِ الذَّهِّيَّةِ قَلِيلُو الْعَدَدِ وَالْخَبِيرَةُ لِلْغَايَةِ، وَلَيْسَ هُنَاكَ غَيْرُهُمْ. ضَرْبَةُ خَاطِفَةٍ كَمَا يَنْقُضُ الصَّبْرُ عَلَى الْأَرْنَبِ الْبَرِّيِّ مِنْ عُلٍّ وَتَكُونُ الْمَدِينَةُ الْعَظِيمَةُ لَنَا. أَعْطَانَا رِيحًا تَنْفُخُ أَشْرَعَتَنَا وَسَيَجْلِسُ مَلِكُكَ عَلَى عَرْشِهِ الْحَدِيدِيِّ مَسَاءَ غَدٍ. يُمَكِّنُنَا أَنْ نَلْبِسَ الْقَرْمَ ثِيَابَ الْمَهْرَجِينَ وَنَخْرَ فَلَقَتِي مُؤَخَّرَتِهِ بِرُؤُوسِ رِمَاحِنَا لِنَجْعَلَ يَرْقُصَ لَنَا، وَلرُبَّمَا يَهْدِينِي مَلِكُكَ الْكَرِيمُ الْمَلِكَةُ سَرَسِي لِنُدْفِئَ فِرَاشِي لَيْلَةً، فَقَدْ قَضَيْتُ وَقْتًا طَوِيلًا جَدًّا بَعِيدًا عَنْ زَوْجَاتِي فِي خِدْمَتِهِ بِالْفِعْلِ».

(1) الْجُزْرُ نَوْعٌ مِنَ الْبِيرَةِ يَسْتَغْرِقُ فِتْرَةً أَقْصَرَ حَتَّى يَخْتَمِرَ، وَمَذَاقُهُ غَيْرُ مُرٍّ.

- «ليس لديك أي زوجات أيها القُرصان، بل محظيات فقط، ولقد تقاضيت ثمنًا عادلاً مقابل كل يوم وكل سفينة».

قال سالادور سان بأسف: «تقاضيته وعودًا فقط، لكن ما أشتهيه هو الذهب يا سيدي العزيز، وليس حبرًا على ورق»، وألقى عنبه في فمه.

- «ستحصل على ذهبك حين نستولي على الخزانة في كينجز لاندنج. لا أحد في الممالك السبع كلها أشرف من ستانيس باراثيون، وسيُفي بوعده». كان لسان دافوس يتكلم بينما يقول عقله: ياله من عالم مشوه لا أمل فيه عندما يكون المهرجون الصُعاليك ضامين للملوك.

- «هذا ما قاله مرازا وتكرارًا، وأقول أنا أن نتحرك. المدينة ناضجة تمامًا الآن يا صديقي القديم، أكثر من هذا العنب نفسه».

عادت الساقية بالمِزر، وأعطاه دافوس عملة نحاسية، ثم قال لسالادور وهو يرفع الدُّورق إلى فمه: «قد نستطيع الاستيلاء على كينجز لاندنج كما تقول، لكن كم من الوقت ستمكن من الحفاظ عليها؟ من المعروف أن تايوين لانستر في هارنهاال ومعه جيش كبير، واللورد رنلي...».

- «آه، نعم، الأخ الأصغر. هذا هو الجزء السيئ يا صديقي، فالملك رنلي يتحرك. لا، إنه اللورد وليس الملك هنا، معذرة. هناك ملوك أكثر من اللازم، حتى إن فمي تعب من الكلمة. الأخ رنلي غادر هايجاردن مع ملكته الشابة الجميلة ولورداته المزيّنين بالزهور وفُرسانه بدروعهم اللامعة، بالإضافة إلى عددٍ ضخم من المشاة، ويزحف الآن على طريقكم الوردي نحو المدينة العظيمة نفسها التي نتكلم عنها».

- «أخذ عروسه معه؟».

هزّ سالادور كتفيه وقال: «لم يُخبرني بالسبب. لعله كارّة للافتراق عن ذلك الخندق الدافئ بين فخذيها ولو ليلة، أو لعله موقن من النصر».

- «يجب إبلاغ الملك».

- «توليتُ هذا بالفعل يا سيدي العزيز، وإن كانت ملامح جلالة تكفهز متى رأيته، لدرجة تجعلني أرتجف وأنا مائل أمامه. هل تعتقد أنه سيُحبّني أكثر إذا ارتديت قميصًا من الشعر ولم أبتسم أبدًا؟ طيب، هذا شيء لن أفعله».

أنا رجل صادق، وعليه أن يتحمل ارتدائي الحرير والسَّميت⁽¹⁾، وإلا فيمكنني أن أخذ سُفني إلى مكانٍ آخر يُجِبُونِي فيه أكثر. ذلك السَّيف ليس «جالب الضِّياء» يا صديقي».

أصابَ تغيير الموضوع المفاجئ دافوس بالانزعاج، فردَّد: «السَّيف؟»
- «السَّيف المتزعزع من النَّار، نعم. إنها ابتسامتي السَّارَّة هذه، تجعل الناس يحكون لي أشياء. كيف سينفع سيف محروق ستانيس؟»
رَدَّ دافوس مصحَّحًا: «سيف متوهج».

قال سالادور سان: «بل محروق، ولتفرح لهذا يا صديقي. هل تعلم كيف صُنِعَ «جالب الضِّياء»؟ سأحكى لك الحكاية. كان ذلك في زمنٍ حَلَّ فيه الظَّلام بكلِّ وطأته على العالم، ولتواجهه البطل، كان عليه أن يحوز سيفًا يليق ببطل، أوه، سيفًا لم يشهد العالم له مثيلًا. وهكذا، ليلة ثلاثين يومًا وثلاثين ليلة، ظلَّ أزور آهاي يكدح في المعبد دون أن يذوق النَّوم، ليُطَرِّق السَّيف في النَّار المقدَّسة، يُسَخِّن ويدقُّ ويطوي، يُسَخِّن ويدقُّ ويطوي، أوه، نعم، إلى أن انتهى السَّيف، لكن عندما غمسه في الماء ليُلَطِّف حرارة الفولاذ، انفلق السَّيف إلى ألف شظية. ولأنه بطل، فطبقًا لم يكن سينسى الأمر برُمَّته، ويذهب لبحث عن عنبٍ رائعٍ مثل هذا، وعليه بدأ من جديد. استغرقت منه المحاولة الثانية خمسين يومًا وخمسين ليلة، وبدا هذا السَّيف أفضل من سابقه بكثير. اصطادَ أزور آهاي أسدًا ليُلَطِّف حرارة السَّيف بغمسه في قلب الوحش الأحمر، لكن مرَّةً أخرى تهشَّم الفولاذ وتنشظى. عظيمًا كان ألمه وعظيمًا كان حُزنه ساعتها، إذ أدرك ما ينبغي عليه أن يفعله، وعلى السَّيف الثالث كدَّ مئة يوم ومئة ليلة، ولمَّا تأنَّج والتهب في النَّار المقدَّسة، استدعى أزور آهاي زوجته. ناداها باسمها، نيسا نيسا، وقال لها: اكشفي صدرك، واعلمي أنني أحبك أكثر من كلِّ شيءٍ آخر في هذه الدُّنيا، وفعلتُ هي كما قال، ولا أدري لِمَ، فأغمدَ أزور آهاي السَّيف الدَّاخِل في قلبها الحي. يُقال إن صرخة الألم والنَّشوة التي أطلقتها خلَّفت صدعًا على وجه القمر، لكن دماءها وروحها

(1) السَّميت نسيج حريري شديد الفخامة مضلع الحبكة.

وقوتها وشجاعتها كلها أصبحت جزءاً من فولاذ السيف. هذه هي حكاية صوغ «جالب الضياء»، سيف الأبطال الأحمر. هل تفهم ما أعنيه الآن؟ يجب أن تفرح لأن جلالته سحب مجرد سيف محروق من النار، فالضوء الأكثر من اللازم يؤذي الأعين يا صديقي، والنار تُحرق». التهم سالادور سان عنبته الأخيرة وتلمظ، ثم قال: «متى تحسب أن الملك سيدعونا للإبحار يا سيدي العزيز؟».

أجاب دافوس: «قريباً على ما أعتقد، إذا شاء إلهه».

- «إلهه يا صديقي السير وليس إلهك؟ أين إله السير دافوس سيورث، فارس سفينة البصلة؟».

رشف دافوس من المزر ليعطي نفسه مهلة للتفكير، وذكر نفسه: الخان مزدحم، وأنت لست سالادور سان. توخى الحذر في إجابتك. «الملك ستانيس هو إلهي، هو من صنعني وباركني بثقته».

نهض سالادور سان قائلاً: «سأذكرك هذا. أستاذن بالانصراف، فهذا العنب أصابني بالجوع، وطعامي ينتظرني على متن سفيتي «قاليريان»، ضأن مفروم بالفلفل ونوارس مشوية محشوة بالفطر والبصل والشمار. قريباً سنأكل في كينجز لاندنغ معاً، أليس كذلك؟ سقيم وليمة في القلعة الحمراء بينما يُعني القزم لنا لحناً مرحاً. عندما ترى الملك ستانيس، أرجو أن تذكر له أنه سيدين لي بثلاثين ألف تنين ذهبي أخرى مع غياب القمر. كان حرياً به أن يعطيني تلك الآلهة. كانت أجمل من أن تُحرق، ولربما جلبت ثمنًا ممتازاً في پتوس أو مير. على كل حال، سأسامحه إذا أعطاني الملكة سرسي ليلة»، وربت اللابسيني على كف دافوس، وخرج من الخان بخطوات مختالة كأنه يملكه. ظل السير دافوس سيورث مع شرابه فترة وقد انشغل باله. منذ عام واحد كان مع ستانيس في كينجز لاندنغ، عندما أقام الملك روبرت دورة مباريات احتفالاً بيوم ميلاد الأمير جوفري. تذكر الزاهب الأحمر ثوروس المايري والسيف الناري الذي حمله أثناء الالتحام الجماعي، وكيف قدم الرجل يومها عرضاً شائفاً مفعماً بالألوان، بثوبه الأحمر الذي أخذ يخفق في الهواء، واللهب الأخضر الباهت الذي تلوّى حول سيفه، لكن الجميع كانوا يعلمون

أن لا سحر في الأمر، وفي النهاية خمدَ اللهب وتلقَّى مُشعله ضربةً قاصمةً على الرأس من هراوة يون رويس البرونزي التقليدية.

سيف ناري حقيقي سيكون أعجوبةً للتأطرين، لكن الثمن... عندما فكر في نيسا نيسا كانت صورة زوجته ماريا هي ما احتلَّ خياله، المرأة الطيبة السمينية ذات الثديين المتهذلين والابتسامة السَّمحة، أفضل امرأة في العالم. حاول أن يتخيَّل نفسه وهو يُغمَد سيفًا في قلبها، فسرت في جسده رعدة، وقال لنفسه بحسم: لستُ مصنوعًا من خام الأبطال. إذا كان ذلك ثمنًا لسيفٍ سحري، فهو ثمن أكبر مما يستطيع أن يدفع.

أنهى دافوس المزر وأزاح الدُّورق وغادرَ الخان، وفي الطريق إلى الخارج ربتَ على رأس الكرجل وتمتم: «للحظ». جميعهم في حاجةٍ إليه الآن.

كان الظلام قد خيَّم بالكامل عندما جاءَ دفان إلى «بنا السوداء» ساحبًا حصانًا صغيرًا أبيض اللون كالثلج، وقال: «جلالته يأمرُك بالانضمام إليه في قاعة المائدة المرسومة يا والدي. عليك أن تركب هذا الحصان وتأتي في الحال».

سرَّه أن يرى دفان وقد بدا بهيَّا في ثياب المُرافق الملكي، وإن أصابه الاستدعاء بالقلق. هل سيدعوننا للإبحار؟ سالادور سان ليس الرُّبَّان الوحيد الذي يرى أن كينجز لاندنج ناضجة للهجوم، لكن على المهرَّب أن يتعلَّم الصَّبر. ليس لدينا أمل في النَّصر. هذا ما قُلتَه للمايستر كرسن يوم عدتُ إلى دراجونستون، ولم يتغيَّر شيء منذ ذلك الحين. عددنا قليل للغاية وأعداؤنا كثر للغاية، فإذا غمَسنا مجاذيفنا في الماء سنموت. على أنه امتطى الحصان رغم هذه الخواطر، وعندما وصل إلى «الطُّبلة الحجرية» وجدَ دسَّة من الفُرسان كريمي النَّسب واللوردات الكبار يُغادرون، وحيَّاه كل من اللوردين سلتيجار وفيلاريون بهزة رأسٍ مقتضبة وواصلًا طريقهما، بينما تجاهله الآخرون بالكامل، لكن السير أكسل فلورنت توقَّف ليتبادلَ معه كلمة.

كان عمُّ الملكة رجلًا ضخم الجثة سميك الذراعين وذا ساقين مقوّستين، لديه الأذنان البارزتان المميّزتان لعائلة فلورنت، وإن كانتا أكبر من أذني بنت أخيه، ولا يمنعه الشَّعر الخشن الذي يَنبُتُ منهما من سماع أغلب ما يدور في

القلعة. خدم السير أكسل كأمين لدراجونستون طيلة عشرة أعوام بينما شارك ستانيس في مجلس روبرت في كينجز لاندنج، لكن مؤخرًا سطع نجمه كأبرز رجال الملكة. «سير دافوس، رؤيتك تُسعدني كالمعتاد».

- «وأنت أيضًا يا سيدي».

- «لقد لاحظتك هذا الصُّباح بدوري. الآلهة الزَّائفة احترقت بضوءٍ مبهج، أليس كذلك؟».

- «كان حريقها ساطعًا بالفعل». لا يثق دافوس بهذا الرَّجل على الرغم من كياسته، فقد أعلنت عائلة فلورنت تأييدها لرنلي.

- «تقول لنا الليدي مليساندرا إن راهلور يُتيح أحيانًا لعباده المخلصين أن يُصيروا المستقبل في اللهب. هذا الصُّباح بدا لي وأنا أشاهد الحريق أنني أنطلق إلى دسنة من الرَّاقصات الجميلات، صبايا يلبسن الحرير الأصفر ويكرن ويتميلن أمام ملكٍ عظيم. أظنُّها رؤيا حقيقة يا سيدي، لمحة من المجد الذي ينتظر جلالة بعدما نأخذ كينجز لاندنج وعرشه الشرعي».

لم يكن الرِّقص شيئًا يتدوَّقه ستانيس فقط، فكر دافوس، لكنه لم يجرؤ على أن يُضايق عمَّ الملكة، فقال: «لم أر سوى النَّار، لكن الدُّخان أدمع عيني». أستاذك بالانصراف يا سيدي، فالملك ينتظرنِي»، وواصل طريقه متسائلًا عمدًا جعل السير أكسل يحمل نفسه على هذه المحادثة أصلًا. إنه رجل الملكة، وأنا رجل الملك.

كان ستانيس جالسًا إلى مائدته المرسومة، والمياستر پايلوس يقف وراء كتفه، وأمامهما كومة غير مرتَّبة من الأوراق. قال الملك عندما دخل دافوس: «أيها الفارس، تعال وألق نظرة على هذه الرِّسالة».

بطاعة اختار ورقة عشوائية، وقال: «تبدو جيِّدة كفاية يا جلالة الملك، لكن أخشى أنني لا أستطيع قراءة الكلام». يستطيع دافوس تمييز مفاتيح الخرائط والرُّسوم التَّخطيطية ككلِّ مَنْ عداه، إنما الرِّسائل وغيرها من الكتابات فتقع خارج نطاق قدراته. لكن ابني دُفان تعلم القراءة والكتابة، وستفون وستانيس الصَّغيران كذلك.

زَوَّى الملك ما بين حاجبيه، وقال بضيق: «نسيْتُ. پايلوس، اقرأها له».

- «جلالة الملك»، قال المايستر، ثم التقطَ واحدًا من الرقوق وتنحَّحَ وشرعَ يقرأ: «يعرفني كلُّ النَّاسِ باعتباري الابن الشرعي لستفون باراثيون، سيّد ستورمز إند، من السيّدة زوجته كاسانا سليلة عائلة إستر مونت، وعليه أعلنُ مستشهدًا بشرف عائلتي أن ملكنا الرَّاحِل، أخي الحبيب روبرت، لم يتركْ ذُرِّيَّةً شرعيةً من صُلبه، ما يجعلُ الصّبيّ جوفري والصّبيّ تومن والبنات مارسلا مسوخًا مولودًا من سفاح القُربى بين سرسي لانستر وأخيها جايمي قاتِل الملك. بحقّ النَّسب والذَّم، أطرُحُ اليوم دعوى استحقاقِي عرش ممالك وستروس السّبع الحديدي، وليعلن كل المخلصين ولاءهم. تمّ في نور الإله، مهمورًا بتوقيع وختم ستانيس الأول سليل عائلة باراثيون، ملك الأنداليتين والروينار والبشر الأوائل، وسيّد الممالك السّبع».

أصدرَ الرّق حفيظًا خائفًا وبيلوس يضعه على المائدة، وقال ستانيس مقطّبًا: «اجعلها السير جايمي قاتِل الملك من الآن فصاعدًا. أيّا كان عدا ذلك، فالرّجل يظلّ فارسًا. ولا أدري إن كان علينا أن ندعو روبرت بأخي الحبيب. إنه لم يُجِئني أكثر مما أجبره الواجب، وأنا كذلك».

قال بيلوس: «مجرّد مجاملة غير مؤذية يا جلالة الملك».

قال ستانيس بلهجة قاطعة: «كذبة. احذفها»، ثم التفتَ مخاطبًا دافوس: «المايستر يقول لي إن في حوزتنا مئة وسبعة عشر غُداًفاً، وأنوي أن أرسلها كلها. مئة وسبعة عشر غُداًفاً ستحمل مئة وسبع عشرة نُسخةً من رسالتي إلى كلّ ركنٍ من البلاد، من «الكرمة» إلى «الجدار». قد تنجو مئة منها من العواصف والجوارح والسّهام، أي أن مئة مايستر سيقروا أن الرّسائل على عددٍ مماثل من النَّاس في عددٍ مماثل من غُرف العمل والنّوم... ثم ستُلقى في النَّار غالبًا، وتتعهد الشّفاء بالصّمت. أولئك اللوردات الكبار يُجِئون جوفري، ورنلي، وروب ستارك. أنا ملكهم الشرعي، لكنهم سينكروني إذا استطاعوا، ولهذا أحتاجك».

- «أنا رهن إشارتك دائماً وأبداً يا مليكي».

أوما ستانيس برأسه، وقال: «أريدك أن تُبحر بـ«بنا السّوداء» شمالاً، إلى بلدة الثّوارس و«الأصابع» و«الأخوات الثلاث»، وحتى الميناء الأبيض.

سيذهب ابنك داييل جنوبًا على متن «الطَّيف»، مرورًا بـ «رأس الغضب» و«الذَّراع المكسورة»، وبطول ساحل دورن حتى «الكرمة». سيحمل كل منكما صندوقًا من الرِّسائل، وستُسَلِّمان واحدة في كلِّ ميناء ومعقل وقرية صيد. علقوها على أبواب السِّتات والخانات ليقراها كل من يستطيع.»

قال دافوس: «هؤلاء قِلَّة».

عقَّب المايستر پايلوس: «السير دافوس على حقٍّ يا جلالة الملك. من الأفضل أن تُقرأ الرِّسائل جهازًا».

قال ستانيس: «أفضل لكن أخطر. هذه الكلمات لن تُستَقْبَل بأريحية.»

قال دافوس: «أعطني فُرسانًا يقرأون الرِّسائل. سيُضفي هذا على كلامهم ثقلًا أكثر مني بكثير.»

بدا الرِّضا على ستانيس، وقال: «يُمكِنني أن أعطيك هؤلاء الرِّجال، نعم، فلديّ مئة فارس يُؤثِّرون القراءة على القتال. توحَّ العلانية أينما استطعت والسريَّة أينما انبغى، واستخدم كلَّ حيل المهريِّين التي تعرفها، الأشربة السوداء والكهوف الخفيَّة، أيَّ شيءٍ يتطلَّبه الأمر. إذا نقص ما معك من رسائل، اقبض على بعض السِّبتونات واجعلهم ينسخون المزيد. سوف أُستغل ابنك الثَّاني كذلك، سيأخذ «الليدي ماريا» عبر البحر الضيق إلى برافوس وبقية المُدن الحُرَّة، لتوصيل رسائل أخرى لمن يحكمون هناك. سيعرف العالم كله بدعواي وعار سرسي».

يُمكِنك أن تُخبرهم، لكن هل سيصدِّقون؟ رمق دافوس المايستر پايلوس بنظرة موحية استوعبها الملك، فقال: «ربما يجدر بك أن تشرع في الكتابة الآن أيها المايستر. سنحتاج عددًا ضخمًا من الرِّسائل، وقريةً».

قال پايلوس: «كما تأمر»، وانحنى وانصرف من المكان.

انتظر الملك حتى غادر، قبل أن يقول: «ماذا لديك ولا ترغب في قوله في حضور ماستري يا دافوس؟».

- «مولاي، پايلوس رجل طيِّب، لكني لا أستطيع النَّظر إلى سلسلته دون أن أندب المايستر كرسن».

قال ستانيس: «أهي غلطته أن العجوز مات؟»، ونظر في النَّار مضيقًا:

«لم أرغب في وجود كرسن في تلك المأدبة. صحيح أنه أغضبني وأسداني نصيحة سيئة، لكنني لم أرده أن يموت. كنت أمل أن يعيش بضع سنين أخرى من الراحة والطمأنينة، فقد استحقَّ هذا على الأقل، لكن...»، وضغطَ أسنانه معًا وأكمل: «... لكنه مات، وپایلوس يخدمني باقتدار».

- «پایلوس أهون ما في الأمر. الرسالة... تُرى ماذا كان رأي لورداتك فيها؟».

قال ستانيس ساخرًا: «سليتيجار أعلن أنها مثيرة للإعجاب. لو أريته محتويات مرحاضني لأعلن أنها مثيرة للإعجاب أيضًا. الآخرون هزؤوا رؤوسهم إلى أعلى وأسفل كسرب من الإوز، باستثناء فيلاريون الذي قال إن الفولاذ هو ما سيحسم الأمر وليس كلمات على رق، كأني لم أكن أعني هذا. فليأخذ «الآخرون» لورداتي. أريد أن أسمع وجهة نظرك أنت».

- «كلامك غليظ وقوي».

- «وسليم».

- «وسليم، لكنك لا تملك دليلًا عليه، على مسألة سفاح القربى، تمامًا كما لم تملكه منذ عام كامل».

- «ثمة دليل من نوع ما في ستورمز إند، ابن روبرت غير الشرعي الذي جاء إلى الحياة بسبب ما فعله أبوه ليلة زفافي، على الفراش الذي أعدوه لي ولعروسي. كانت ديلينا من عائلة فلورنت، وعذراء عندما أخذها روبرت، فاعترف بالطفل. اسمه إدريك ستورم، ويُقال إنه صورة طبق الأصل من أخي. إذا رآه الناس ثم تطلّعوا إلى جوفري وتومن ثانية، فاعتقد أن التساؤلات لا بُدَّ ستُخالجهم».

- «لكن كيف يراه الناس وهو في ستورمز إند؟».

نقرَ ستانيس على المائدة المرسومة بأصابعه قائلاً: «إنه عائق، واحد من عوائق كثيرة»، ثم رفعَ عينيه وقال: «لديك المزيد لتقوله عن الرسالة. تكلم إذن، فلم أجعلك فارسًا كي تتعلَّم إلقاء المجاملات الفارغة، يكفيني لورداتي. قل ما لديك يا دافوس».

حنى دافوس رأسه، وقال: «هناك عبارة في النهاية، ماذا كانت؟ تَمَّ في نور الإله...».

رَدَّ الملك وقد أطبقَ فكَّيه: «نعم»..

- «سَيَنْفُرُ شعبك من هذه الكلمات».

سأله ستانيس بحدة: «كما نفرت؟».

- «بدلاً من هذا يُمكنك أن تقول: تَمَّ على مرأى من الآلهة والبشر، أو بنعمة الآلهة القديمة والجديدة...».

- «هل تدبَّنت فجأة أم ماذا أيها المهرَّب؟».

- «كنتُ سألقي عليك الشُّوال ذاته يا مولاي».

- «حقاً؟ لأنه يبدو لي أنك لا تحبُّ إلهي الجديد أكثر من ما يستري الجديد».

- «أنا لا أعرفُ إله الضيَّاء هذا، لكنني كنتُ أعرفُ الآلهة التي أحرقت هذا الصُّباح. «الحِداد» حافظٌ على سلامة سُفني، بينما أعطتني «الأم» سبعة أبناء أقوياء».

- «زوجتك أعطتك سبعة أبناء أقوياء، فهل تُصَلِّي لها؟ ما أحرقتنا هذا الصُّباح كان خشباً».

- «قد يكون هذا صحيحاً، لكنني عندما كنتُ صبيّاً في «جُحر البراغيث»، أنسَوُلُ العُمَلات النُّحاسيّة، كان السُّبتونات يُطعمونني أحياناً».

- «أنا من يُطعمك الآن».

- «لقد خلعت عليّ مكان شرفٍ على مائدتك، وفي المقابل أعطيك الحقيقة. شعبك لن يُحبِّبك إذا أخذت منه الآلهة التي عبدها طيلة حياته، وأعطيتهم إلهاً اسمه نفسه غريب على ألسنتهم».

نهضَ ستانيس بحركةٍ حادّةٍ قائلاً: «راهلور. ما الصَّعب في الاسم؟ تقول إنهم لن يُحبُّونني؟ ومتى أحبُّوني؟ كيف أفقدُ شيئاً لم أملكه قطُّ؟»، وتحركَ نحو النَّافذة الجَنُوبِيَّة لِيَتَطَلَّعَ إلى البحر المُضاء بنور القمر، وواصلَ: «لقد كففتُ عن الإيمان بالآلهة يوم رأيتُ «الرَّيح الفخور» تهشَّم عبر الخليج، وأقسمتُ أن أيَّ آلهةٍ تتوحَّش حتى تُغْرِقَ أُمِّي وأبي لن تعرفَ عبادةً مني أبداً».

في كينجز لاندنج كان السِّتون الأعلى يُصدِّع دماغِي بكلام عن أن العدل والخير كلهما ينبعان من «السَّبعة»، لكن كلَّ ما رأيته من عدلٍ وخيرٍ كان من صُنع البشر فقط.

- «إذا كنت لا تُؤمن بالآلهة...».

- «... فلماذا أزعج نفسي بهذا الإله الجديد؟ لقد طرحْتُ هذا السؤال على نفسي. إن معرفتي بالآلهة قليلة واكتراثي بها أقل، لكن الرَّاهبة الحمراء تتمنَّع بالقوَّة».

نعم، لكن أيُّ نوع من القوَّة؟ «كرسن كان يتمنَّع بالحكمة».

- «لقد وثقتُ بحكمته وحيلك، فبِمَ نفَعني هذا أيُّها المهرَّب؟ أعادَكَ لوردات أراضي العواصف تجرُّ أذيال الخيبة. ذهبْتُ إليهم شحاذًا وضحكوا مِنِّي. طيِّب، لا مزيد من الشَّحاذة ولا مزيد من الضَّحك. العرش الحديدي حقِّي شرعًا، فكيف آخذه؟ هناك أربعة ملوك في البلاد، وثلاثة منهم لديهم رجال وذهب أكثر مِنِّي، وأنا لديَّ السُّفن... ولديَّ هي، المرأة الحمراء. أتعرف أن نصف فرساني يخافون مجرد التَّطَلُّق باسمها؟ حتى إذا كانت لا تستطيع أن تفعل شيئًا آخر، فلا ينبغي الاستخفاف بساحرة تُلقي كلَّ هذا الخوف في قلوب رجالٍ ناضجين. الرِّجل الخائف رجل مهزوم. ثم إنني أنوي أن أثبِّت إن كانت تستطيع أن تفعل ما هو أكثر. عندما كنتُ صبيًّا وجدتُ أنثى باز⁽¹⁾ جريحة، واعتنيتُ بها حتى استردَّت عافيتها. سمَّيتها ذات الجناح الفخور، وكانت تقبع علي كفتي وتطير ورائي من عُرقَةٍ إلى أخرى وتأكُل الطعام من يدي، لكن لا تُحلِّق إلى الأعالي أبدًا. أخذتها معي مرَّة ومرَّة إلى الصَّيد، لكنها لم ترتفع أعلى من قمم الأشجار قَطُّ. سمَّاها روبرت ذات الجناح الواهي، وكانت لديه أنثى سُنقر⁽²⁾ اسمها قصفة الرَّعد لا تُخطئ ضربتها أبدًا. ذات يوم قال لي

(1) الباز طائر جارح طويل الذَّيل وحاد البصر، يعيش في الغابات، ويصطاد بالانقضاض على الفريسة بسرعة كبيرة من مكانٍ خفي مرتفع.

(2) السُّنقر أضخم أنواع الصُّقور، وهو طائر صيد ثمين وذو قيمة عالية، ويختلف لون ريشه باختلاف مكان سكَّنه، حيث يتراوح بين الأبيض والبني الداكن.

عَمُّنا الكبير السير هاربرت أن أجرب طائرًا آخر، لأنني أجعلُ من نفسي مثارًا
للاستهزاء بذات الجناح الفخور، وكان محققًا. أنهى ستانيس باراثيون كلامه
وأدارَ ظهره للنَّافذة والأشباح التي تَمُحُرُ بحر الجَنُوب، وقال: «السَّبعة» لم
يُعْطوني شيئًا في حياتي ولو مجردَ عصفور، وحانَ الوقت لأجرب صقرًا من
نوعٍ آخر يا دافوس، صقرًا أحمر.



ثيون

ليس هناك مكان يصلح لرسو آمن في پايك، لكن ثيون جرايجوي أراد أن يُجبل النظر في قلعة أبيه من البحر، ويراها كما رآها آخر مرة قبل عشر سنوات، عندما حملته سفينة روبرت باراثيون الحريّة بعيداً عن دياره، ليكون ربيب إدارد ستارك وتابعه الشخصي. يومها وقف عند حاجز السفينة، وأصغى لضربات المجاذيف ودقات طبلة الرُّبان، بينما شاهد پايك تتضاءل في الأفق، والآن يرغب في أن يراها تتعاطم ثانية، أن ترتفع من البحر من أمامه. هكذا، انصياعاً لرغباته، شقّت «الميراهام» طريقها متجاوزة بُقعة اليابسة، وقد أخذت أشرعتها تخفق بعنف، فيما انهالت اللعنات من فم الرُّبان على الرياح وعلى طاقمه وعلى حماقات صغار اللوردات أبناء عليه القوم.

رفع ثيون قلنسوة معطفه على رأسه ليتّقي الرّذاذ، وتطلّع إلى داره. كان الساحل كله صخوراً حادّة وجُروفاً جهيمّة، وبدت القلعة جزءاً لا يتجزأ من هذا التّكوين، إذ جاءت حجارة أبراجها وأسوارها وجسورها كلها من المقلع الأسود الرّمادي ذاته، وتبلّلت بالموج المالح نفسه، وترصّعت بالرّقع الخضراء الدّاكنة المنتشرة من الطّحالب عيناها، وتلطّخت بفضلات الطيور البحريّة سيّها. في الماضي، كانت بُقعة اليابسة التي شيّد آل جرايجوي عليها قلعتهم تمتدّ كسيفٍ يخترق قلب المحيط، وراحت الأمواج تضربها ليل نهار بلا هوادة، حتى انفطرت الأرض وتحطّمت قبل آلاف السنين، ولم يتبقّ غير ثلاث جُزرٍ جدباء قاحلة، ودستة من أكوام الصّخور العملاقة، التي ترتفع من الماء كأعمدة معبد إلِه ما للبحر، بينما ترغي الأمواج الغاضبة وتتكسّر بينها.

ارتفعت بايك موحشة قائمة كالحة الملامح فوق تلك الجزر والأعمدة كأنها جزء منها، يسدُّ سورها الواقي الرأس البحري المحيط بقاعدة الجسر الحجري الضخم، الممتد من قمة الجرف وحتى الجزيرة الكبرى، التي يحتلها الحصن الكبير بحجمه الهائل، بينما يستقرُّ كلُّ من حصن المطبخ والحصن الدامي على جزيرته الخاصة من بُعد، وتشتبُّ الأبراج وغيرها من المباني الملحقة بالصخور وراء الحصون، وقد ربطت بينها الممرات المقنطرة المغطاة حيث تدنو الأعمدة من بعضها بعضاً، والمماشي الطويلة المتأرجحة المصنوعة من الخشب والحبال حيث تتباعد.

استقرَّ البرج المستدير العالي المسمَّى بُرج البحر، أقدم جزء في القلعة، فوق أقصى الجزر عند رأس السيف المكسور، وقد تآكل العمود ذو الجانب المستقيم تماماً الذي وقف فوقه، بفعل ضربات الأمواج اللانهائية، واكتست قاعدة البرج بالأبيض نتيجة قرونٍ من الرذاذ المالح، وطواقه الأعلى بأخضر الطحالب التي زحفت عليه مكونة طبقة سميكة، وقمته المحززة بالأسود بفعل نار الحراسة التي تُشعل كلَّ ليلة.

رأى ثيون راية أبيه تخفق فوق بُرج البحر، وعلى الرغم من أن «الميراهام» كانت بعيدة جداً، ما جعله لا يتيقن شيئاً غير قماش الراية، فإنه يعرف الشعار الذي تحمله جيّداً، كراكن⁽¹⁾ عائلة جرايجوي الذهبية، الذي تمتدُّ أذرعُه وتلوي على خلفيّة سوداء. انسابت الراية على سارية حديدية، ترتجف وتلتف مع هبوب الرّيح كطائر يكافح لأن يُحلّق. على الأقل لا يرتفع هنا ذئب ستارك الرّهب فوق كراكن جرايجوي ويلقي عليه ظلّه.

لم ير ثيون مشهداً مؤثراً كهذا من قبل، إذ لاح ذيل المذنّب الأحمر الناعم عبر السحب الخفيفة المتناثرة في السماء وراء القلعة. كان المذنّب وما يعنيه محور حديث رجال مالستر طول الطريق من ريفرزن إلى سيجارد. إنه مذنّبي، قال ثيون لنفسه وهو يدسُّ يده في معطفه المبطن بالفرو، ليتحسّس الجراب

(1) الكراكن وحش بحري أسطوري عملاق، يظهر على سطح البحر كجزيرة، وله أذرع أخطبوطية طويلة تلتف حول السفن وتغرقها.

المصنوع من المشمّع القابع في جيبه، والذي يحوي الرّسالة التي أعطاه روب ستارك إياها، ورقة في حُكم تاج.

سألته ابنة الرُّبّان وهي تلصق جسدها بذراعه: «هل تبدو القلعة كما تتذكّرها يا سيّدي؟».

أجاب ثيون معترفًا: «تبدو أصغر، لكن لعلّ المسافة هي السّبب لا أكثر». «الميراهام» سفينة تجارية كبيرة البطن من البلدة القديمة في الجنّوب، تحمل خمورًا وأقمشةً وجوياً للمقايسة بالحديد الخام، ورُبّانها تاجر جنوبي كبير البطن كذلك، وقد جعل البحر الحجري الهائج حول دعائم القلعة شفتيه الممثلتين ترتعشان رهبةً، فأبقى السّفينة على مسافة بعيدة، أبعد مما يروق ثيون. كان رُبّان حديدي الميلاد يقود سفينةً طويلةً ليأخذهم بطول الجُروف ومن تحت الجسر العالي، الذي يرتفع فوق الهوّة بين مبنى البوّابة والحصن الكبير، لكن رُبّان البلدة القديمة السّمين هذا لا يملك من المهارة أو الطّاقم أو الشّجاعة ما يؤهّله لأن يفعل شيئًا كهذا، وهكذا أبحروا على مسافة آمنة، وعلى ثيون أن يقنع بروية پايك من بعيد، ومع ذلك لاقت «الميراهام» مشقّة لا يُستهان بها لتظل بعيدًا عن تلك الصّخور.

قالت ابنة الرُّبّان: «لا بدّ أنه مكان كثير الرّيح».

ضحك قائلاً: «كثير الرّيح وبارد ورطب، مكان قاس بائس في الحقيقة... لكن السيّد والدي قال لي ذات مرّة إن الأماكن القاسية تُنجب رجالاً قساة، والرّجال القساة يحكّمون العالم».

كان وجه الرُّبّان أخضر كماء البحر لمّا جاء حانئاً رأسه لثيون، وقال: «ألنا الإذن بأن نتوجّه إلى المرفأ الآن يا سيّدي؟».

قال ثيون وابتسامة خفيفة تتلاعب على شفتيه: «لكم الإذن». لقد حوّل الوعد بالذهاب رُبّان البلدة القديمة إلى كتلةٍ من التّزلف وانعدام النّخوة، وكانت الرّحلة لتختلف تمامًا لو كانت هناك سفينة طويلة من الجُزر تنتظر في سيجارد كما كان يأمل، فالرّبّانة حديدئو الميلاد يتسمون بالكبرياء وقوّة الإرادة، ولا يُصيهم منظر الدّماء بالرّهبة، فالجُزر أصغر من أن تستوعب رهبةً كذلك، والسّفن الطّويلة أصغر وأصغر. إذا كان كل رُبّان ملكًا على

متن سفينته، كما يُقال كثيرًا، فلا غرو أنهم سُمُوا الجُزر أرض العشرة آلاف ملك، وعندما ترى ملوكك يتغَوِّطون من فوق حاجز السَّفينة ويُصَيِّهم الدُّوار والغثيان أثناء عاصفة، فمن العسير عندئذ أن ترُكع أمامهم وتُظَاهِر بأنهم آلهة. منذ آلاف السنين قال الملك أوروَن أحمر اليد: «الإله الغريق يصنع الرِّجال، لكن الرِّجال هُم من يصنعون التَّيجان».

كانت السَّفينة الطَّويلة لتقطع المسافة في نصف الوقت كذلك، فما «الميراهام» إلَّا حوض متخبَّط في واقع الأمر، وهو لا رغبة لديه في أن يكون على متنها خلال عاصفة. على الرغم من ذلك لم يُخامر ثيون شعور كبير بعدم الرِّضا، فها هو ذا لم يغرق، كما أن الرِّحلة احتوت على أنواع أخرى بعينها من التَّسلية. طَوَّق ابنة الرُّبَّان بذراعه وقال لأبيها: «أبلغني عندما نصل إلى لوردزبورغ. سنكون في قمرتي في الأسفل»، ثم قَادَ الفتاة إلى مؤخِّرة السَّفينة، بينما راقبهما أبوها بوجوم صامتٍ وهما يتعدان.

كانت قمرة الرُّبَّان في واقع الأمر، لكنه أخلاها لثيون عندما أبَحَروا من سيجارد، أمَّا ابنة الرُّبَّان فلم تُكَلِّف بتلبية حاجاته، وإن آتت إلى فراشه عن طيب خاطر. كأس من النِّبيذ مع بضع همسات، وها هي ذي. للفتاة قوام أكثر امتلاءً بعض الشيء مما يروق ثيون، وبشرة منمَّشة ذَكَرته بلون الشُّوفان المطحون، لكن ثدييها ملاء يديه بشكل مُرضٍ، كما أنها كانت عذراء عندما أخذها أول مرَّة، الشيء المدهش في سِنِّها هذه، لكن ثيون قرَّر أن هذا طريف حقًّا، ثم إنه لا يحسب إطلاقًا أن الرُّبَّان يُوافق على ما يَحْدُث، وهذا طريف أيضًا، خصوصًا عندما يتفرَّج على الرِّجل وهو يُكافح لابتلاع غيظه وهو يُؤدِّي فروض الطَّاعة للورد ابن الحسب والنَّسب، دون أن يُفارق كيس العُمَلات الذهبيَّة الذي وُعدَّ به مخبَّلته.

قالت الفتاة وثيون يخلع معطفه المبتلَّ من على كتفيه: «لا بُدَّ أنك سعيد للغاية لرؤية ديارك من جديد يا سيِّدي. كم عامًا غبت؟».

- «عشرة، أو ما يُقرب من هذا، لا فارق. كنتُ صبيًّا في العاشرة عندما أَخَذُونِي ربيِّا لإدوارد ستارك في ويترفل». ربيب اسمًا، ورهينة واقعًا، رهينة نصف عُمره... لكن هذا انتهى الآن. إن حياته ملكه من جديد، وليس هناك

ستارك واحد على مدى البصر. جذب ابنة الرِّبَّانِ إليه وقَبَّلها على أذنها قائلاً: «اخلعي معطفك».

خَفَضَتْ ناظرِها وقد أَصابَها الخجلُ فجأةً، لكنها فعلت كما قال، وعندما سقطَ الثَّوبُ الثَّقِيلُ المَبْعُجُ بالرِّذاذِ من على كتفِها إلى الأرض، انحنَتْ له انحناءً صَغيرةً وابْتَسَمَتْ بترَقُبٍ. إنها تبدو حمقاء حقاً عندما تبتسم، لكنه لا يشترط الذِّكاءُ في نسائه أبداً على كلِّ حال. قال لها: «تعالِ هنا».

ذهبت إليه قائلةً: «لم أرَ جُزرَ الحديد من قبل».

- «اعتبري نفسك محظوظةً إذن»، قال ثيون ويده تُمَشِّطُ شعرها الأسود النَّاعم، الذي تشابكت خصلاته بفعل الرِّيح. «الجُزرُ أماكنٌ حجريَّةٌ كثيفة، ما فيها من وسائل راحةٍ شحيح، ومن موارد ضئيل. الموت يحوم هنا طول الوقت، والحياة عسيرة وقاسية، والرَّجالُ يقضون ليلهم في شُرب المِزر والشَّكوى والجدل حول مَنْ منهم أَعَثَرُ حظاً، الصَّيَّادون الذين يُقاتِلون البحر، أم المزارعون الذين يكدحون للحصول على محصولٍ لا يُذكر من الثَّربة الفقيرة. إذا أردنا الحق، فالمعدِّنون حالهم أسوأ من الاثنين، يكسرون ظهورهم تحت الأرض في الظَّلام، ومن أجل ماذا؟ الحديد والرَّصاص والصَّفِيح، تلك هي كنوزنا. لا عجب أن الرِّجالَ الحديديِّين القُدَّامى لجأوا للإغارة».

لم يبدُ على الحمقاء أنها تُصغي إليه، وقالت: «يُمكنني أن أذهب معك، سأفعل هذا إذا أردت...».

قال ثيون مختصراً ثديها: «يُمكنك أن تذهبي، لكن ليس معي».

- «يُمكنني العمل في قلعتك يا سيّدي. أستطيعُ تنظيف السَّمَكِ والخَبَزِ ومخض الزُّبد. أبي يقول إن يخنة سرطان البحر بالفلفل التي أطهوها هي أفضل ما تذوق على الإطلاق. يُمكنك أن تجد لي مكاناً في مطابخكم وسأطهوها لك».

- «وتدقّئين فراشي ليلاً؟»، قال ثيون ومدَّ يده إلى أربطة صِدارها، وبدأ يحلّها بأصابع متمرّسة مرنة. «في زمن سابق كنتُ لأعود حاملاً إياكِ كغنيمة، وأجعلكِ زوجتي بمشيئتكِ أو رغماً عنكِ. الرِّجالَ الحديديُّون القُدَّامى كانوا

يفعلون أشياء كهذه، فكانت للرجل زوجته الصَّخريَّة، عروسه الحقيقيَّة حديدِيَّة الميلادِ مثله، لكن هناك زوجاته الملحِيَّات كذلك، النِّسوة اللاتي يُؤسرن في الغارات».

عرّى نديها، لكن ليس لهذا اتَّسعت عينا الفتاة وهي تقول: «سأكون زوجتك الملحِيَّة يا سيّدي».

قال ثيون: «أخشى أن تلك الأيام ولّت»، وبدأ يُحرِّك إصبعه في دوائر على واحدٍ من التّدين الثّقيلين، قاصداً الحلمة البنيَّة الممتلئة، وأضاف: «لم نعد نستطيع ركوب الرّيح بالتّار والسّيف آخذين ما نشاء. الآن نتعيّش على حاكّ الأرض وإلقاء الشّباك في البحر كغيرنا، ونغبط أنفسنا على حُسن الطّالع إذا كان لدينا ما يكفي من القُد المملّح والثّر يد خلال الشّتاء»، وأخذ حلمتها في فمه وضغطَ عليها بأسنانه حتى شهقت.

همست في أذنه وهو يمحّص: «يُمكنك أن تضعه داخلي ثانية إذا أردت». عندما رفع رأسه عن نديها، كان فمه قد ترك علامة حمراء داكنة على الجلد، وقال لها: «ما أريده هو أن أعلمك شيئاً جديداً. حلّي أربطة سراويلي ومتعيني بقمك».

- «بغمي؟».

مسّ شفتيها الممتلئتين بإبهامه مجيئاً: «هذا ما خلّقت له هاتان الشّفتان يا حلوتي. إذا كنت زوجتي الملحِيَّة، فعليك طاعة أوامري».

كانت متهيّبة في البداية، لكنها تعلّمت بسرعةٍ لا بأس بها بالنّسبة لفتاةٍ حمقاءٍ مثلها، الشيء الذي سرّه، وكان ثغرها مبتلاً شهيقاً كفرجها، ثم إنه ليس مرغماً بهذه الطّريقة على الإصغاء لثرثرتها البلهاء. قال لنفسه وهو يدسّ يده بين خصلات شعرها المتشابكة: في زمنٍ ماضٍ كنتُ لأحتفظ بها زوجةً ملحِيَّة حقّاً، في زمنٍ ماضٍ عندما كنا نتبع «التهج القديم»، ونعيش بالفأس وليس العصا، نأخذ كلّ ما نريد أن نأخذه، ثروةً كان أو نساءً أو مجداً. في تلك الأيام لم يكن الرّجال الحديدِيّون يكدّون في المناجم، فذلك كان عمل الأسرى الذين يعودون بهم من الغارات، ولا يُمارسون الزّراعة ورعاية الماعز والخراف وما شابه من الأعمال البائسة، فالحرب كانت تجارة الرّجال

الحديديّين الحقّة. لقد خلَقَهم الإله الغريق للنَّهب والاعتصاب، لاقتطاع الممالك وكتابة أسمائهم بالدم والنَّار والأغاني.

إجون الفاتح هو من دَمَّر «النَّهَج القديم»، عندما أحرَقَ هارن الأسود ورَدَّ مملكته إلى أهل نهر الثَّالوث الضَّعفاء، وجعلَ من جُزر الحديد مجرَّد مكانٍ بلا قيمةٍ في مؤخِّرة مملكةٍ أعظم بكثيرٍ، لكن الحكايات القديمة المحمَّلة بالأحمر الدَّموي لا تزال تُحكى حول كُلِّ مستوقَدٍ وحُفرة نارٍ في كُلِّ ركنٍ من الجُزر، وحتى وراء أسوار بايك الحجرية العالية، ومن بين ألقابه الأخرى يُسمَّى أبو ثيون سيِّد الحصاد، وتقول كلمات عائلة جرايچوي بإياء: نحن لا نزرع.

في سبيل إعادة «النَّهَج القديم»، وليس خيلاء التَّيجان الفارغة، قامَ اللورد بالون بثورته العظيمة، قبل أن يَكُتُب روبرت باراثيون نهايةً داميةً لهذا الأمل بمساعدة صديقه إدارد ستارك، لكن كلا الرَّجلين ميت الآن، وفي مكانيهما يَحْكُم مجرَّد صبية الآن، والملوكوت الذي شيَّده إجون الفاتح انهارَ وتفسَّخ. قال ثيون لنفسه بينما أحاطت شفتا ابنة الرُّبَّان بذكره وانزلقنا إلى أعلى وأسفل: إنه الموسم المستظر، الموسم، والعام، واليوم، وأنا الرَّجل، وارتسمت على شفتيه ابتسامة ملتوية وهو يتساءل عمَّ سيقوله أبوه عندما يُخبره أنه -هو، ثيون، أصغر أبنائه، الغر والرَّهينة- أفلحَ حيثما أخفقَ اللورد بالون نفسه. فاجأته ذُروته كعاصفة، وتفجَّرت نُطفته لتملأ فم الفتاة، التي جفَلت وحاولت أن تُبعد رأسها، لكن ثيون أطبقَ على شعرها وثبَّتَها في مكانها بإحكام. بعدها زحفت لتستلقي إلى جواره في الفراش، وسألته: «هل أمتعتُ سيِّدي؟».

- «لا بأس بك».

غمغمت: «مذاقه مالح».

- «مثل البحر؟».

أومأت برأسها إيجاباً، وقالت: «لطالما أحببتُ البحر يا سيِّدي».

- «وأنا أيضاً»، قال وهو يُداعِب حلمتها بأصابعه بفتور. كان محقّقاً،

فالبحر يعني الحرِّيَّة لأهل جُزر الحديد، وكان قد غفلَ عن تلك الحقيقة حتى

رفعت «الميراهام» أشرعتها في سيجارد، فتولدت في نفسه مشاعر قديمة مع الأصوات التي أحاطت به، صرير الخشب والجبال، وصياح الرُّبَّان بالأوامر، وخفقان الأشربة والريِّح تملأها، الأصوات التي يألُفها كضربات قلبه ذاتها، والتي بَنَّت فيه طمأنينةً بالغة. قال ثيون متعهِّداً لنفسه: يجب أن أتذكَّر هذا، ويجب ألاَّ أبتعد عن البحر ثانيةً أبداً.

قالت ابنة الرُّبَّان بتوشل: «خُذني معك يا سيِّدي. ليس من الضَّروري أن أذهب إلى قلعتك. يُمكنني أن أبقى في بلدةٍ ما وأكون زوجتك المملِحة»، ومدَّت يدها لتحسُّس وجنته.

دفع ثيون جرابِجوي يدها بعيداً، ونزلَ من فوق الفِراش قائلاً: «مكاني في بابك، ومكانك على هذه السَّفينة».

- «لا أستطيعُ البقاء هنا الآن».

سألها وهو يعقد أربطة سراويله: «ولِمَ لا؟».

أجابته: «بسبب أبي، سيُعاقِبني بمجرد أن ترحل يا سيِّدي، سيشتمني ويضربني».

سحبَ ثيون معطفه من على المشجب ووضعَه على كتفيه، وقال وهو يُبَكِّت طيَّاته بمشبكٍ فضِّي: «هكذا الآباء. قلني له إنه يجدرُ به أن يسعد، فأنتِ تحملين طفلاً الآن على الأرجح بعدما ضاَجعتكِ كلُّ هذه المرَّات، وشرف حقيقي أن ينال أحدهم فُرصة تربية نغل ملك». رمقته بنظراتها الغيَّبة، فتركها هناك.

دَارَت «الميراهام» حول بُقعةٍ مشجَّرة على السَّاحل، وتحت الجُروف المكسوَّة بأشجار الصَّنوبر كان الصيَّادون يسحبون شباكهم إلى دسنةٍ من المراكب، فظَلَّ الكوج الكبير بمنأى عنها وقد سلكَ الرُّبَّان سبيلاً متعرِّجاً. اتَّجه ثيون إلى المقدِّمة ليلقي نظرةً أفضل، ورأى القلعة أولاً، معقل عائلة بوتلي. في صِباه كانت القلعة مشيَّدةً من الخشب والأغصان المجدولة، لكن روبرت باراثيون ذكَّ ذلك البناء عن آخره، وأعاد اللورد ساوان بناءه من الحجارة، والآن يُكَلَّل حصن مرَّعٍ صغير قَمَّة الثَّل، ومن الأبراج الرُّكَّبة القصيرة تندلَّى الأعلام ذات اللون الأخضر الباهت، وكلُّ منها مزَيَّن بسربٍ من الأسماك الفضيَّة.

تحت الحماية المشكوك فيها من القلعة الصغيرة المكتظة بالسّمك، استقرّت قرية لوردزبورت التي يعجّ مرفأها بالشفن. عندما رأى لوردزبورت آخر مرّة، كانت خراباً يتصاعد منه الدخان، وقد تناثرت هياكل الشفن الطويلة المحروقة والقوادم المحطّمة على السّاحل كعظام لويثانات⁽¹⁾ ميتة، واستحالت البيوت إلى جدران متداعية ورماد بارد. بعد عشر سنوات لم يتبقّ من آثار كلّ هذا إلّا القليل، إذ بنى الأهالي بيوتاً جديدةً من أحجار بيوتهم القديمة، وقطعوا أخشاباً طازجةً للشقوف، كما أقيم إلى جوار المرسى خان جديد يكبر القديم حجماً مرّتين، طابقه الشفلي من الأحجار المقطعة، والطابقان العلويّان من الأخشاب. على أن السّبت الذي يقع وراء كلّ هذا لم يُبنَ من جديد، وظلّ مجرد قاعدة سباعيّة الجوانب، فغضبة روبرت باراثيون عكّرت استساغة الرّجال الحديديين للآلهة الجديدة على ما يبدو.

كان ثيون مهتماً بالشفن أكثر من الآلهة، ووسط عددٍ لا يُحصى من مراكب الصّيد لمخّ قادساً تجاريّاً من تايروش يُفرغ حمولته إلى جوار كوج إيبينزي ثقيل طليّ بدنه بالقار، بينما انتشر عدد كبير من الشفن الطويلة، خمسون أو ستون على الأقل، في اتّجاه البحر أو استقرّ على حصى السّاحل إلى الشّمال، وقد حملت الأشربة رموزاً لعائلاتٍ من الجزر الأخرى، قمر عائلة ونش الدّامي، وبوق اللورد جودبراذر الحربي الأسود المربوط بالشّرائط، ومنجل آل هارلو الفضيّ. بحثّ ثيون عن سفينة عمّه يورون «الدّسمت» ذات البدن النّحيل، لكنه لم يرَ أثرًا لتلك السفينة الحمراء الرّهية، لكن سفينة أبيه الطويلة «الكرّاكن العظيم» كانت موجودة، مقدّمها مزينة بكبش⁽²⁾ حديديّ رماديّ اتّخذ شكل سمّيه.

هل سبقه اللورد بالون واستدعى رايات جرابجوي؟ دسّ يده في معطفه من جديد وتحسّس مشمّع الجراب. لا أحد يعرف بهذه الرّسالة غير روب

(1) اللّويثان وحش بحري أسطوري هائل الحجم، له سبعة رؤوس.

(2) الكبش أو الكبّاش آلة حربيّة تُستخدم في البرّ لذلك بوابات القلاع والحصون، وفي البحر لمهاجمة الشفن.

ستارك، فهما ليسا أحققين ليأتمنا طائرًا على أسرارهما، لكن اللورد بالون ليس أحقق بدوره، ومن الوارد أنه خَمَّن سبب عودة ابنه إلى الوطن أخيرًا، فتصرَّف بناءً على هذا. لم يَرُق له الخاطر، فقد انتهت حرب أبيه بالهزيمة منذ سنين طويلة، وهذه ساعة ثيون، خطته، مجده، وفي الوقت المناسب تاجه. لكن إذا كانت السُّفن الطويلة تحتشد...

وجدَ أن الحيلة لا أكثر قد تكون الدَّاعي عندما فُكِّر مليًا، حركة دفاعية خشية أن تفيض حمم الحرب وتتدفَّق نحو البحر. المسئون حذرون بطبيعتهم، وأبوه متقدِّم في السَّن الآن، وكذلك عُمهُ فيكتاريون الذي يقود الأسطول الحديدي، أمَّا عُمهُ يورون فمسألة مختلفة تمامًا، وإن لم يبدو أن «الصَّمْت» موجودة في المرفأ. قال ثيون لنفسه: هذا أفضل، فهكذا سأتمكَّن من توجيه ضربتي أسرع.

ذرعَ ثيون سطح «الميراهايم» بتوتُّر وهي تمخُر الماء نحو البر. لم يكن يتصوَّر أنه سيجد اللورد بالون بنفسه ينتظره على الرِّصيف، لكن من المؤكَّد أن أباه أرسلَ أحدًا آخر يُقابله، الوكيل سايلاس كرية الأنفاس، أو اللورد بوتلي، أو حتى داجمر ذا الفك المفلوق. سيطيَّب له أن يتطلَّع إلى خلقة داجمر البشعة من جديد. ليس الأمر كأن أخبارًا عن وصوله لم تبلغهم مثلًا، فروب أرسلَ غدفانًا من ريفررن، وعندما لم يجدوا سُفناً طويلةً في سيجارد، أرسلَ جيسون ماليستر طيوره الخاصَّة إلى پايك، مفترضًا أن طيور روب لم تصل.

لكنه لم يرَ أيَّ وجوه مألوفة، أو حرس شَرَفٍ ينتظرون لاصطحابه من لوردزبورت إلى پايك، فقط الأهالي الذين انصرفوا إلى أمورهم التَّافهة، عُمَّال الشَّاطِئ يُدحرجون براميل التَّبيذ من القادس التَّجاري التايروشي، والصيَّادون يُنادون على حصيلة اليوم، والأطفال يبحرون ويلعبون. كان واحد من رُهبان الإله الغريق يرتدي كسوة طائفته ذات ألوان مياه البحر، ويقود حصانين على الشَّاطِئ المفروش بالحصى، بينما مالت من فوقه مومس من إحدى نوافذ الخان، لثنادي بعض البَحَّارة الإيبينزيين المارِّين.

احتشدَ عدد صغير من تجَّار لوردزبورت ليُقابِلوا السَّفينة، ورفعوا أصواتهم

بالأسئلة بينما يربط رجال «الميراهام» حبالها بالمرسى، فزعق الرُّبَّان مجيئاً إياهم من أعلى: «جئنا من البلدة القديمة، ونحمل تُفَاحًا وبرتقالًا، ونبيذًا من «الكرمة»، وريشًا من جُزر الصَّيف، ومعِي فلفل وجِلْد مجدول ولُقَّة من الحرير المايري، ومراة لسَيِّدتي، وقِشارتان خشبيَّتان مصنوعتان في البلدة القديمة، صوتهما في غاية العذوبة». نزل لوح العبور المتحرَّك مصدِّرًا صريرًا، وخطَّ على الأرض بصوت مكتوم، فأردف الرُّبَّان: «كما أَنِي أَعَدْتُ وريشكم إليكم». حدج أهل لوردز پورت ثيون بنظراتٍ بليدة خاوية، فأدرك أن لا عِلْمَ لهم بَمَن يكون، واعتمَل الغضب في نفسه. هكذا دَسَّ تَينًا ذهبيًا في يد الرُّبَّان قائلاً: «اجعل رجالك يأتون بأغراضي»، وقطع لوح العبور إلى الرِّصيف دون أن ينتظر ردًّا، وزعق: «يا صاحب الخان، أريدُ حصانًا».

- «كما تقول يا سيدي»، ردَّ الرُّجل دون أن يُكَلِّف نفسه مجرد انحناء، ما نَّبه ثيون إلى أنه نسي أن حديدَيَّ الميلاد قد يكونون وقحين أحيانًا. «لديَّ واحد قد يصلح لك. إلى أين أنت ذاهب يا سيدي؟».

- «هايك». ما زال الأحمق لم يتعرَّفَه. كان حريًّا به أن يرتدي سُترته الأنيقة، ذات الكراكن المطرَّز على صدرها.

قال صاحب الخان: «سُريد أن تتحرَّك قريبًا إذن لتَبْلُغ هايك قبل حلول الظَّلام. سيذهب صبيِّي معك وُثريك الطَّريق».

جاء صوت عميق يقول: «لن تكون هناك حاجة إلى صبيِّك أو حصانك. سأصحبُ ابن أخي إلى بيت أبيه بنفسِي».

كان المتكلِّم هو الرَّاهب الذي رآه يقود الحصانين على الشَّاطِئِ، وانحنى الأهالي مع اقترابه، وسمع ثيون صاحب الخان يُتمِّم: «ذو الشَّعر الرُّطب».

كان الرَّاهب فارغ القامة نحيل القوام، لديه عينان سوداوان قويَّتا النَّظرات وأنف معقوف، ويرتدي كسوة مرقَّعة من الأخضر والرَّمادي والأزرق، ألوان الإله الغريق الملتفَّة كالذَّوامة، وقد علَّق تحت إبطه قربة ماءٍ بشرطٍ جلدي، بينما جُدِلَت حبال من عُشب البحر في لحيته غير المشدَّبة وشعره الأسود الذي يصل إلى خصره.

وثبت الذَّكرى إلى عقل ثيون فجأة. كان اللورد بالون قد كتب في أحد

خطاباته المقتضبة النادرة أن البحر ابتلع أخاه الأصغر في عاصفة، وأنه تدبّر بعد أن لفظته المياه حيًّا على الشاطئ. سأله بشك: «العم آرون؟».

ردَّ الراهب: «ثيون ابن أخي، أبوك أمرني بإحضارك. تعال».

- «لحظة يا عمَّاه»، والتفت إلى «الميراهاام» قائلاً للزُّبان بلهجة أمرة:

«أغراضني».

نزل إليه أحد البحَّارة بقوسه المصنوع من خشب الطَّقسوس وكنانة السَّهام، لكن ابنة الزُّبان هي من أتته بصرَّة ثيابه الأنيقة، وقالت له بعينين محمَّرتين: «سيدي»، وحاولت أن تُعانقه وهو يلتقط منها الصُّرَّة، هناك أمام أبيها وعمَّه رجل الدِّين ونصف سُكَّان الجزيرة.

تراجع ثيون بحركة سريعة قائلاً: «لكِ شكري».

- «أرجوك، إنني أحبك كثيرًا يا سيدي».

قال: «يجب أن أذهب»، وهرع وراء عمَّه الذي كان قد ابتعد على الرَّصيف بالفعل، فلحق به ثيون بخطواتٍ واسعة، وقال: «لم أتوقَّع أن أجِدك هنا يا عمَّاه. حسبْتُ أن مرور عشر سنواتٍ كاملة سيجعل السيِّد والدي والسيِّدة والدي باتيان بنفسيهما، أو يُرسِلان داجمر مع حرس شرف».

- «ليس لك أن تُناقش أوامر سيِّد حصاد بايك»، قال الراهب بلهجة فاترة،

على غير عادة الرَّجل الذي يتذكَّره ثيون تمامًا. كان آرون جرابيجوي الألفظ معشرًا بين أعمامه، لا مبالٍ في أسلوبه وسريع الضَّحك، ومغرماً بالأغاني والمِزر والنِّساء. «أمَّا داجمر ذو الفِك المفلوق فقد ذهبَ إلى ويك القديمة بتعليمات من أبيك، لحضَّ عائلتي ستونهاوس ودروم على حشد رجالهما».

- «لأَيِّ غاية؟ لماذا تحتشد الشُّفن الطَّويلة؟».

- «لماذا تحتشد الشُّفن الطَّويلة عادة؟». كان عمُّه قد ترك الحصانين

مربوطين أمام الخان المطلَّ على الماء، وعندما وصلا إليهما التفت إلى ثيون قائلاً: «اصدُقني القول يا ابن أخي، هل تُصَلِّي لألهة الذُّناب الآن؟».

لم تكن الصَّلَاة شيئًا يُمارسه ثيون إلَّا نادرًا، لكن هذا ليس بالشَّيء الذي يُمكنك أن تعترف به لراهب، حتى إذا كان شقيق أبيك نفسه. هكذا أجاب: «ند ستارك كان يُصَلِّي لشجرة. كلا، لستُ أبالي بألهة ستارك مطلقًا».

- «عظيم. اركع».

كانت الأرض كلها حجارة ووحل، فقال ثيون معترضًا: «عمَّاه، إني...». - «قلتُ اركع، أم أنك صرت تترفع علينا باعتبارك اللورد الصَّغير القادم من الأراضي الخضراء وحلَّ بيننا؟».

وركع ثيون. إن لديه هدفًا هنا، وقد يحتاج مساعدة آرون لتحقيقه، والتَّاج يستحقُّ القليل من الوحل وبراز الخيول على سراويله، على ما يعتقد. - «احنْ رأسك»، قال عمُّه رافعًا القربة، ثم خلع السَّداة وصَبَّ خيطًا رقيقًا من ماء البحر على رأس ثيون، ليتخلَّل شعره ويسيل على جبهته إلى عينيه. انسَاب الماء على وجنتيه، وشعرٌ بإصبع باردٍ يزحف على ظَهره تحت معطفه وشُترته، كجدولٍ صغير يجري على عموده الفقري، وأحرق الملح عينيه حتى إنه كتمَ صيحة الألم بصعوبة، وشعرَ بمذاق المحيط على شفثيه، بينما ترنَّم آرون جرايچوي: «دع خادمك ثيون يولّد من البحر من جديد كما وُلدت. باركه بالملح، باركه بالحجر، باركه بالصُّلب. أما زلت تعرف الكلمات يا ابن أخي؟».

قال ثيون متذكّرًا: «عسى الميِّت ألا يموت أبدًا».

- «عسى الميِّت ألا يموت أبدًا»، ردَّد عمُّه. «بل يُبعث من جديد، أقوى وأصلب. انهض».

نهض ثيون وعيناه تطرفان بسرعةٍ ليحبس الدُموع التي هيَّجها الملح، وبلا كلماتٍ إضافيةٍ وضعَ عمُّه سداة القربة وحلَّ وثاق حصانه وامتطاه، فحذى ثيون حذوه وتحركا معًا تاركين الخان والمرفأ وراءهما، ليصعدا التلال الحجريةَ مرورًا بقلعة اللورد بوتلي، ومرّت فترة دون أن ينبس الرَّاهب ببنت شفة.

أخيرًا قال ثيون: «لقد قضيتُ نصف حياتي بعيدًا عن الدِّيار، فهل سأجدُ أن الجزر تغيَّرت؟».

- «الرُّجال يصطادون في البحر ويَحفرون في اليابسة ويموتون، والنِّساء يلدن أطفالهن بالدمِّ والألم ويُمْتَن، والنَّهار يتبع الليل، والريِّح ومواسم المَدِّ والجزر كما هي. الجزر كما خلقها إلهنا».

لقد صارَ جهيمًا حقًا بحقَّ الآلهة. «هل سأجدُ أختي والسيدة والدتي في بايك؟».

- «كلا، أُمك مقيمة في هارلو مع أختها، فالجزءُ أكثر اعتدالًا هناك، وهي تُعاني من الشُّعال. أختك أخذت «الرَّيح السوداء» إلى ويك الكُبرى ومعها رسائل من السيّد والدك، لكنها سرعان ما ستعود، اطمئن».

لم يكن ثيون يحتاج إلى أن يقول له أحد إن «الرَّيح السوداء» هي سفينة أشا الطويلة. إنه لم يرَ أخته منذ عشرة أعوام كاملة، لكنه يعرف هذا عنها على الأقل. من الغريب أن تُطلقَ عليها هذا الاسم بينما يعني اسم ذئب روب ستارك الرِّيح الرَّماديّة. غمغم مبتسمًا: «الرَّمادي لون ستارك والأسود لون جرايچوي، لكن يبدو أن الرِّيح قاسم مشترك بيننا». لم يُعلّق الرّاهب بكلمة واحدة، فبادره ثيون: «وماذا عنك يا عمّاه؟ لم تكن راهبًا عندما أخذوني من بايك، وأذكرُ كيف كنت تغني أغاني الغارات القديمة وأنت واقف على الطاولة وفي يدك قرن من المِزر».

قال آرون جرايچوي: «صغيرًا كنتُ، ومغرورًا، لكن البحر غسَلني من حماقاتي وغروري. ذلك الرّجل غرقَ يا ابن أخي، وامتلات رثاه بماء البحر، وأكلت الأسماك القشور من على عينيه. عندما نهضتُ من جديدٍ تفتّحت بصيرني».

إنه مجنون بقدر ما هو عابس. لقد أحبَّ ثيون ما تذكّره عن آرون جرايچوي القديم. «عمّاه، لماذا يحشد أبي رجاله وسُفنه؟».

- «مؤكد أنه سيُخبرك في بايك».

- «أريدُ أن أعرف مخطّطه الآن».

- «لن تعرف شيئًا مني، فنحن مأمورون بالآل نتكلم عن هذا مع أيّ أحد». مغضبًا قال ثيون: «حتى معي؟». لقد قاد رجالًا في الحرب، وخرج للصَّيد مع ملك، وفازَ بمرتبة شرفٍ في الالتحام الجماعي في دورة مباريات، وركبَ مع برايندن السَّمكة السوداء وچون أومبر الكبير، وقاتلَ في الغابة الهامسة، وضاجعَ فتياتٍ أكثر مما يتذكّر، وعلى الرغم من ذلك يُعامله عمّه كأنه ما زال

طفلاً في العاشرة. «إذا كان لدى أبي مخطّط للحرب، فيجب أن أعرف به. أنا لستُ أيّ أحد، بل وريث هايبك وجزر الحديد».

قال عمّه: «سوف نرى».

أصابه القول كصفعة على الوجه، وردّد: «سوف نرى؟ كلا أخويّ ميت، وأنا ابن السيّد والدي الحي الوحيد».

- «أختك حيّة».

أشأ، فكّر والدّهشة تغمره. إنها تكبره بثلاثة أعوام، لكن... قال بإصرار بصوت عالٍ: «تستطيع المرأة أن تراث فقط إذا لم يكن هناك وريث ذكر في التسلسل المباشر. لن أسمح بأن يغشني أحد في حقوقي، فاحذر».

زجره عمّه: «تحدّر خادماً للإله الغريق يا ولد؟ يبدو أنك نسيت أشياء أكثر مما تظنّ، ولا بدّ أنك أحمق كبير إذا كنت تتصوّر حقاً أن السيّد والدك سيُسلم هذه الجزر المقدّسة لواحدٍ من آل ستارك. والآن الزم الصمت، فالمسافة طويلة كفاية دون ثرثرتك».

أمسك ثيون لسانه على مضض، وفكّر: هكذا إذن. كأن عشرة أعوام في ويترفل تكفي لأن تجعل منه ستارك. لقد ربّاه اللورد إدارد بين أولاده، لكن ثيون لم يكن منهم قط، والقلعة كلها من الليدي كاتلين إلى أصغر عاملة في المطبخ، كانت تعرف أنه رهينة لضمان أن يُحسّن أبوه الأدب، وعامله الجميع على هذا الأساس، وحتى چون سنو ابن الزّنى كان يُعامل باحترام أكثر منه.

كان اللورد إدارد يُحاول أن يلعب دور الأب بين الحين والآخر، لكنه ظلّ دائماً عند ثيون الرّجل الذي جاء بالدم والنار إلى هايبك وأخذّه من وطنه. عاش ثيون صباه في خوفٍ مستمرٍّ من ملامح اللورد إدارد الصّارمة وسيفه العظيم الدّاكن، أمّا زوجته فكانت نائيةً وشكاكةً أكثر. بالنسبة لأولادهما، فالصّغار كانوا مجرد أحداث طيلة سنواته في ويترفل، وفقط روب وأخوه غير الشّقيق چون سنو كانا كبيرين بما يكفي لأن يستحقّا اهتمامه. النّغل كتيب عابس، وسريع الإحساس بالإهانة، ويغار من أصل ثيون التّبيل واحترام روب له، أمّا روب نفسه فثيون يُكرّ له ودّاً لا شكّ فيه، كأنه أخوه الصّغير... وإن كان من الأفضل ألاّ يذكّر ذلك، إذ يبدو أن الحروب القديمة لا تزال مشتعلة في هايبك،

ولا غرو في هذا، فعُجزر الحديد تعيش في الماضي، لأن الحاضر أقسى وأمرُّ من أن يُحتمَل، كما أن أباه وأعمامه مسنُون، والمسنُون هكذا دائماً، يأخذون خصوصياتهم وضعائهم القديمة المكسوة بالتراب وشباك العناكب معهم إلى القبر، لا ينسون شيئاً ولا يغفرون أبداً.

الشيء نفسه كان حاصلاً مع آل مالمستر، رفاقه في الرحلة من ريفرِن إلى سيجارد، فبينما لم يكن باتريك مالمستر شاباً سيئ الصُّحبة على الإطلاق، خصوصاً أن الاثنين يشتركان في حُبِّ النساء والنَّبيذ والصَّيد، إلا أن اللورد جيسون عندما رأى وريثه وقد صارَ مغرمًا أكثر من اللازم برفقة ثيون، انتحى باتريك جانباً لِيُذكِّره بأن سيجارد قد شُيِّدت للدُّفاع عن السَّاحل ضد مغيري جُزر الحديد، وعلى رأسهم آل جرايچوي أولاد هايك، وأن بُرج عائلة مالمستر المسمَّى «بُرج الدَّوي» استمدَّ اسمه من النَّاقوس البرونزي الهائل في قمَّته، الذي يُدقُّ لاستدعاء أهل البلدة وعُمَّال الحقل إلى داخل القلعة، عندما تلوح السفن الطويلة للعيان في الأفق الغربي:

- «دعك من أن النَّاقوس لم يُدقَّ إلا مرَّةً واحدة فقط طيلة ثلاثمئة عام»، قال باتريك لثيون في اليوم التَّالي وهو يُطلِّعه على تحذيرات أبيه ويتقاسم معه إبريقاً من نبيذ التُّفاح الأخضر.

قال ثيون: «عندما هاجمَ أخي سيجارد». كان اللورد جيسون قد قتلَ رودريك جرايچوي تحت أسوار القلعة، وأجبرَ الرُّجال الحديدِيَّين على الانسحاب إلى الخليج. «إذا كان أبوك يعتقد أنني أكنُّ له عداوةً ما، فالسَّبب فقط أنه لم يعرف رودريك». ضحك الاثنين معاً على التَّعليق وهما ينطلقان إلى زوجة طحَّان شابةٍ حسناء يعرفها باتريك. ليست باتريك كان معي الآن. مالمستر أو لا، تظلُّ صُحبته ألطف بكثير من هذا الرَّاهب العجوز العابس الذي أصبحه عمُّه آرون.

التفَّ الدَّرَب الذي يَسْلُكانه إلى أعلى وأعلى بين التَّلال الحجريَّة العارية، وسرعان ما غابَ البحر عن أنظارهما، وإن ظَلَّت رائحة الملح اللَّاذعة عالقَةً في الهواء الرَّطب، وحافظا على حركتهما المتهادية وهما يَمُرَّان بمزرعة راع صغيرة ومنجم مهجور. آرون جرايچوي المتدبِّن الجديد هذا لا يعبأ بالكلام

حقًا، وهكذا تحرَّكا والصَّمت يُخَيِّم عليهما حتى نفدت قُدرة ثيون على احتمالهِ أخيرًا، وقال: «روب ستارك سيُند ويتترف الآن».

قال آرون ماضيًا في طريقه: «لا فارق كبيرًا بين ذئب وآخر».

- «روب نقضَ ولاءه للعرش الحديدي وتوجَّ نفسه ملكًا في الشَّمال. هناك حرب محتدمة».

- «غِدْفان المايستر تطير فوق الملح كما تطير فوق الصَّخر، وهذه الأخبار قديمة».

- «كلُّ هذا يعني أن يومًا جديدًا أتى يا عمَّاه».

- «كل صباح يأتي لنا بيوم جديد، تمامًا كسابقه».

- «سيُخالفونك الرَّأي في ريفررَن. يقولون إن المذنب الأحمر بشير عصرٍ جديد، إنه رسول من الآلهة».

قال الرَّاهب: «هو علامة حقًا، ولكن من إلهنا نحن وليس آلهتهم. إنه وشمٌ متقد كالذي كان قومنا يحملونه قديمًا، لهب الإله الغريق المنبثق من مياه البحر، ليُعلن أن المدَّ يرتفع. لقد حان الوقت لأن نفرِّد أشرعتنا ونُخرج إلى العالم بالنَّار والسَّيف كما فعلَ هو».

ابتسم ثيون قائلاً: «متفقٌ تمامًا».

- «اتَّفاق الإنسان مع الإله كاتَّفاق قطرة ماءٍ مع عاصفة».

قطرة الماء هذه ستكون ملكًا يومًا ما أيها العجوز. كان ثيون قد اكتفى تمامًا من اكفهرار عمِّه، فوكَّز حصانه وتقدَّم به وعلى شفَّته تتلاعب ابتسامة. كانت الشَّمس تميل إلى المغيب بالفعل عندما بلغا أسوار پايك الحجريَّة الدَّاكنة، التي تتخذ شكلًا هلاليًا وتمتدُّ بين جُرفين، بينما يقبع مبنى البوابة في المنتصف، وترتفع ثلاثة أبراج مربَّعة على كلِّ جانب. ما زال ثيون يستطيع تمييز الآثار التي تركتها أحجارٌ مجانيق روبرت باراثيون، وإن لاحظَ أن بُرجًا جنوبيًا جديدًا قد أقيم من أطلال البُرج القديم، لون حجارته الرَّمادي أفتح درجةً من غيره، وما زالت رُقع الطَّحالب الخضراء لم تتشر عليه. هذا هو المكان الذي فتح فيه روبرت ثغرتَه، واقتحمَ المكان داهمًا الانقراض والجُثث وفي يده مطرقة الحربيَّة وإلى جواره ند ستارك. شاهدَ ثيون كلَّ هذا من مكانٍ

آمن في بُرج البحر، ولم يزل يرى المشاعل في أحلامه أحياناً، ويسمع صوت
الأنهيار كالرَّعد المكتوم.

وجدَ البَوَّابات مفتوحةً أمامه والشَّبكة الحديدية الصَّدئة مرفوعةً، وفي
الشُّرفات راقبَ الحرس بأعينِ الغُرباء وقد عادَ ثيون جرابجوي إلى بيته أخيراً.
وراء الشُّور الواقِي يمتدُّ رأس بحري مساحته خمسون فدَّاناً، تتباين قسوته
مع السَّماء والبحر. تقع الاسطبلات هنا، وأوجرة الكلاب كذلك، مع عددٍ
من المباني الفرعية المتناثرة هنا وهناك، بينما ترفض الخراف والخنازير في
حظائرها، وتحركُ كلاب القلعة بحرِّيَّة. إلى الجَنوب هناك الجُروف والجسر
الحجري الواسع الذي يقود إلى الحصن الكبير. ترمى صوت انكسار
الأمواج إلى مسامع ثيون وهو يثب عن ظهر حصانه، الذي جاءَ عامل اسطبل
ليأخذه، فيما رمقه طفلان هزيلان وعدد من الخدم بنظراتٍ خاوية، لكن لم
يكن هناك أثر للسيد والده أو أيِّ أحدٍ آخر يتذكَّره من صباه. عودٌ غير حميد
على الإطلاق. لم يترجَّل الرَّاهب، فقال له: «ألن تبقى الليلة وتُشاركنا الطَّعام
والشَّراب يا عمَّاه؟».

- «قيلَ لي أن أحضرك، وقد أحضرتك، والآن أعودُ إلى شؤون إلهنا»،
ودار آرون جرابجوي بحصانه وتحركَ به ببطءٍ تحت أعواد الشَّبكة الحديدية
المديَّبة الملوَّنة بالوحل.

دنت منه عجوز شمطاء محبَّبة الظَّهر ترندي ثوباً رمادياً قبيحاً، وقالت له
بحذر: «سيدي، أنا هنا لأريك مسكنك».

- «بأمر من؟».

- «السيد والدك يا سيدي».

خلعَ ثيون قفَّازيه، وقال: «تعرفين من أكونُ إذن. لماذا لم يأت أبي
لتحيِّي؟».

- «إنه ينتظرك في بُرج البحر يا سيدي، بعدما تستريح من رحلتك».

وحسبتُ ند ستارك بارداً. «ومن تكونين؟».

- «هيليا، التي ترعى هذه القلعة للسيد والدك».

- «سايلاس كان الوكيل هنا. كانوا يُلقَّبونه بـ«كبريه الأنفاس». حتى الآن يستطيع ثيون أن يتذكَّر رائحة التَّيِّذِ العطنة التي كانت تُفَعِّمُ أنفاس العجوز.

- «مات منذ خمسة أعوام يا سيدي».

- «وماذا عن المايستر كالن؟ أين هو؟».

- «نائم في البحر. ويندامير يُعنى بالغدقان الآن».

كأنِّي غريب هنا. كل شيء كما هو، وكل شيءٍ تغيَّر. قال أمرا: «اصحبيني إلى مسكني يا امرأة»، فأنحنت العجوز بحركة متصلة وقادته عبر الرأس البحري إلى الجسر. على الأقل يظل الجسر كما يتذكَّره، بحجارته العتيقة الزَّلَقَة من جرَّاء الرِّذاذ، والطحالب المنتشرة عليها، والبحر يرغي ويزيد تحت أقدامهما كوحش ضارٍ عملاق، والرَّيح المالحة تشبَّث بشياهما.

متى تخيَّل ثيون عودته إلى وطنه، كان يرى نفسه دائماً يعود إلى عُرفة التَّوَمِ الوثيرة في بُرج البحر، التي كان ينام فيها طفلاً، لكن بدلاً من هذا قادته العجوز إلى الحصن الدَّامي. هنا القاعات والغُرُف أوسع وأفضل تأثيثاً، وإن كانت لا تقل برودة ورطوبة عن غيرها. أُعطي ثيون جناحاً من الغُرُف الباردة ذات الشُّقُوف العالية جداً حتى إن الظلام يبتلعها، وكان ليشعر برضا أكثر لو لم يكن يعلم أن هذه الغُرُف بالتحديد هي التي منحت الحصن الدَّامي اسمه، فقبل ألف عام ذُبِحَ أبناء ملك النهر هنا، ومُثِّل بجثثهم في أسرَّتْهم كي تُرسل قطع منها إلى أبيهم على البر.

لكن أولاد جراجيوي لا يُقتلون على أيدي إخوانهم في بابك إلا كل ربح من الزَّمن، كما أن أخويه ميتان على كل حال. لم يكن الخوف من الأشباح هو ما جعله يتطلَّع حوله بنفور، فمعلقات الجدران خضراء من فرط العفن المنتشر فيها، وحشية الفراش مرتخية وتنفوح منها رائحة كريهة، والملاءات والأغطية قديمة ومتيَّسة. سنوات كاملة جاءت وراحت منذ فُتِحَ هذا الجناح آخر مرَّة، والرُّطوبة تنخر العظام. قال للشَّمْطاء: «أريدُ طَسْتاً من الماء الساخن وناراً في هذا المستوقد، واعلمي على أن يُوقدوا المستوقدات في الغُرُف الأخرى لتطرُد شيئاً من البرودة، واجعلي أحداً يأتي لتبديل هذه الملاءات في الحال بحق الآلهة».

- «نعم يا سيدي، كما تأمر»، قالت وولت الأدبار.

مرَّ بعض الوقت قبل أن يُحضروا الماء الساخن الذي طلبه، فوجدَه فاترًا، وسرعان ما بردَ، ثم إنه كان ماء بحر، لكنه كفى لغسل ثراب الرِّحلة الطويلة من المرفأ عن وجهه ويديه. فيما أشعلَ اثنان من الخدم المستوقدات، تجرَّد ثيون من ثيابه التي لوَّنها السَّفر، وارتدى ثيابًا نظيفةً ليلتقي أباه. اختارَ حذاءً طويل العُنق من الجلد الأسود اللين، وسراويل رماديةً تعيل إلى الفضي من صوف الحِملان النَّاعم، وسترةً مخمليةً سوداء طُرِّز كراكن عائلة جرايچوي الذهبى على صدرها. حول عُنقه وضعَ سلسلة ذهبيةً رفيعةً، وحول خصره حزامًا من الجلد المبيَّض، وعلَّقَ خنجرًا على وركه وسيفًا طويلًا على الورك الآخر، كلاهما في غمدٍ مخطَّط بالأسود والذهبي. سحبَ الخنجر واختبرَ نصله بإبهامه، ثم سحبَ مشحذًا من جراب في حزامه ومرَّر حافة الخنجر عليه بضع مرَّات. «أنتظرُ أن أجد المكان دافئًا والملاءات نظيفةً عندما أعود»، قال للمخدم منذرًا وهو يرتدي زوجًا من القفَّازات السوداء، حريرهما مزين بأشكالٍ شجرية خيوطها من ذهب.

عادَ ثيون إلى الحصن الكبير عبر ممشى حجري مغطَّى، يمتزج صدى خطواته بهدير مياه البحر اللانهاثي القادم من أسفل. للوصول إلى بُرج البحر القائم على عموده المتآكل، اضطرَّ لعبور ثلاثة جسورٍ أخرى، كل منها أضيق من سابقه، وآخرها مصنوع من الخشب والجبال، فجعلته الرِّيح المالحة المبتلة يتأرجح تحت قدميه ككائن حي. كان قلب ثيون في فمه بالفعل وقد قطع نصف الطريق، وبعيدًا في الأسفل نثرت الأمواج خيوطًا طويلةً من الرِّذاذ وهي تنكسر على الصَّخرة. في صباه كان يجري جريًا على هذا الجسر، حتى في سواد الليل، والآن همست له شكوكه: الضَّيِّبة يؤمنون بأن لا شيء يمكنه أن يؤذيهم، لكن الرُّجال البالغين أعقل من هذا.

كان الباب من الخشب الرَّمادي المدعَّم بالحديد، الخشب رطب وبال والدُعَامات الحديدية صدئة، وقد وجدَه ثيون موصدًا من الدَّاخِل فدقَّه بقبضته، وأطلق سُبَّةً عندما اشتبكت شظية بنسيج قفَّازِه.

بعد وهلة انفتح الباب من الداخل، ولاخ حارس يرتدي واقي صدر أسود حديدياً وخوذة عظيمة، وقال: «أنت الابن؟».

قال ثيون: «ابتعد عن طريقي، وإلا ستعلم من أكون»، فانزاح الرجل جانباً، وصعد ثيون الدراجات الملتوية إلى الغرفة الشمسية، حيث وجد أباه جالساً إلى جوار مستوفدٍ تحت معطفٍ من جلد الفقمة البالي، يُغطيه من قدميه إلى ذقنه. مع وقع الخطوات على الحجر، رفع سيّد بُزر الحديد عينيه ليتطلع إلى آخر من تبقى على قيد الحياة من أبنائه. كان أصغر حجماً مما يتذكره ثيون، وشديد التحول. دائماً ما كان بالون جرايچوي نحيلاً، إلا أنه يبدو الآن كأن الآلهة وضعت في مرجل وسلقت كل ما في جسمه من لحم حتى انفصل عن عظامه، فلم يتبق شيء غير الجلد والشعر. نحيل كالعظام هو، وصُلب مثلها، وجهه يبدو كما لو أنه قُدّ من حجر الصوّان، وعينه تحملان الطابع نفسه، سوداوان حادثان، لكن السنين والريّح المالحة أحالتا شعره إلى لونٍ رماديّ كالبحر في الشتاء، وأشاعت فيه الشيب هنا وهناك، وإن انسأب بلا رباط حتى تجاوز أسفل ظهره.

أخيراً قال اللورد بالون: «تسعة أعوام؟».

- «عشرة»، أجاب ثيون وهو يخلع قفازه الذي تمزق.

قال أبوه: «صبيّاً أخذوا، فماذا تكون الآن؟».

- «أنا رجل، دمك وورثك».

أطلق اللورد بالون نحيراً، وقال: «سنرى».

ردّد ثيون مؤكّداً: «نعم، سنرى».

- «عشرة أعوام تقول، أي أن ستارك حظي بك مدّة مماثلة لي، والآن تأتي

مندوباً عنه».

- «ليس هو، اللورد إدارد مات، قطعت الملكة ابنة لانستر رأسه».

- «كلاهما مات، ستارك وروبرت هذا الذي حطّم أسواري بأحجاره.

لقد أقسمتُ أن أحيا حتى أرى كليهما في قبره، وقد كان»، وأردف مكشّراً:

«لكن مفاصلي لا تزال تتوجّع من البرد والرطوبة، تماماً كما كانت تفعل وهما

حيّان، فما الفائدة إذن؟».

قال ثيون: «هناك فائدة»، واقترب مضيقاً: «إن معي رسالة...».

- «هل علمك ند ستارك أن ترتدي هذه الثياب؟»، قاطعه أبوه وقد ضيق عينيه من تحت معطفه. «أكانت رغبته أن يلبسك المخمل والحرير ويجعل منك ابنته الحُلوة؟».

شعر ثيون بالذمّاء تصعد إلى وجهه، وقال: «لست ابنة أحد. سأبدل ثيابي إذا كانت لا تُعجبك».

- «سفعِل». أراح اللورد بالون الأغطية وألقاها، ودفع نفسه لينهض، فرأى ثيون أنه ليس بالطول الذي يتذكّره. «تلك الحلية الرّخيصة حول عُنقك، هل اشتريتها بالذهب أم الحديد؟».

مسّ ثيون السّلسلة الدّهية. لقد نسي... ومَرَّ وقت طويل جدّاً... في «النّهج القديم»، تستطيع النّساء التزيّن بالحليّ المُشتراة بالتّقود، لكن المُحارب لا يرتدي إلّا الجواهر التي أخذها من جُثث أعدائه الذين قتلهم بنفسه، ما يُسمّيه أهل الجُزر «دفع الثمن الحديدي».

- «وجهك مضرّج بحُمرة الخجل كبنّ عذراء يا ثيون. سألتك سؤالاً، هل دفعت الثمن ذهباً أم حديدًا؟».

أجاب ثيون: «ذهباً».

دسّ أبوه أصابعه تحت السّلسلة، وشدّها بعُنف كان كفيلاً بأن يخلع رأس ثيون من على كتفيه لو لم تنقصم السّلسلة أولاً. «ابنتي اتّخذت من فأس عشيقَة لها»، قال اللورد بالون. «ولن أسمح أن يُزيّن ابني نفسه كالعاهرات»، وألقى السّلسلة المقطوعة على المستوقد، حيث انزلقت بين الجمرات. «ما كنتُ أخشاه تحقّق، الأراضي الخضراء جعلتك ناعماً وأولاد ستارك جعلوك واحداً منهم».

- «أنت مخطئ، ند ستارك كان سَجّاني، لكن دمي لا يزال ملحاً وحديدًا».

استدار اللورد بالون ليُدفع يديه المعروفتين على المستوقد، وقال: «ومع ذلك يبعثك جرو ستارك إليّ كعدّافٍ مدرّب يقبض على رسالته الصّغيرة».

- «ليس هناك شيء صغير في الرّسالة التي أحملها، والعرض الذي يُقدّمه كان من اقتراحي أنا».

بَدَتِ الفكرة طريفةً للورد بالون الذي قال: «الملك الذئب يُصغي لنصائحك إذن؟».

- «يُصغي لي، نعم. لقد خرجتُ للصيد معه، وتدرّبت معه، وتقاسمتُ معه الطعام والشراب، وقاتلتُ إلى جانبه، ولهذا استحققتُ ثقته. إنه يعتبرني أخًا أكبر، و...».

- «لا!»، قال أبوه ملوِّحًا بإصبعه في وجهه. «ليس هنا، ليس في بايك، ليس على مسامعي، لن تُسمِّي أخاك، ذلك الذي أنجبه الرَّجل الذي قتل أخوك، أم أنك نسيت رودريك ومارون اللذين كانا من لحملك ودمك؟».

- «لم أنس شيئًا». لم يَقْتُل ند ستارك آيًا من أخويه في الحقيقة، فرودريك أسقطه اللورد جيسون ماليستر في سيجارد، ومارون سُحِقَ تحت أنقاض البُرج الجنوبي القديم... على أن ستارك كان لَيَقْتُلُهُمَا بلا تردُّد لو ألقى تيار المعركة بهما في طريقه. قال ثيون بإصرار: «أتذكّر أخويَّ جيدًا جدًا». إنه يتذكّر في الغالب دعايات رودريك وهو ثمل، ومزاح مارون القاسي وكذبه اللا نهائي. «وأتذكّر عندما كان أبي ملكًا أيضًا»، وأخرج رسالة روب ومدَّ يده بها قائلاً: «هاك. اقرأ... يا جلالة الملك».

كسرَ اللورد بالون الختم وبسطَ الرُّق، وجاست عيناها السّوداوان في الشُّطور جيئةً وذهابًا، ثم قال: «إذن سيُعطيني الصّبي ناجًا من جديد، وكل المطلوب مني أن أدّمّر أعداءه»، ولوى شفّته الرّفيعتين راسًا عليهما ابتسامة.

- «روب عند قلعة «التّاب الذهبي» الآن، وبمجرّد أن تَسْقُط، سيَعْبُرُ التّلال

في غضون يوم واحد. جيش اللورد تايوين في هارنغال، مفصول عن الغرب، وقاتِل الملك أسير في ريفرزن، وبخلاف السير ستافورد لانستر والجند الحُضر عديمي الخبرة الذين جمعهم، لم يبقَ هناك من يُواجه روب في الغرب. سيضع السير ستافورد نفسه بين جيش روب ولانسهورت، ما يعني أن المدينة ستكون بلا دفاعات عندما تنزل عليها من البحر. إذا كانت الآلهة معنا، فحتى كاسترلي روك نفسها قد تَسْقُط قبل أن يُدرك آل لانستر أننا نُهاجِمهم أصلاً».

دمدمَ اللورد بالون: «كاسترلي روك لم تَسْقُط من قبل قط».

مبتسمًا قال ثيون: «حتى الآن». وكم سيكون هذا رائعا.
 لم يُبَدِّله أبوه الابتسام، وقال: «ألهذا إذن يُعيدك روب ستارك إليّ بعد كل
 هذه السنين؟ كي تحُصِّل عليّ موافقتي على خطته هذه؟»
 ردَّ ثيون مزهواً: «إنها خطتي». من صُنعي أنا، كما سيكون النصر لي أنا،
 والتَّاج عندما يحين الوقت. «سأقودُ الهجوم بنفسي إذا أذنت لي، وكمكافأة
 أطلبُ منك أن تمنحني كاسترلي روك لتكون مقرِّي الخاص، بعد أن نأخذها
 من آل لانستر». سيطرته على «الصُّخرة» ستُمكنه من الحفاظ على لانسبورت
 وأراضي الغرب الدَّهبيَّة، ما يعني ثروة ونفوذاً لم تعرفهما عائلة جرايچوي في
 تاريخها كله.

قال أبوه: «إنك تُغدِّق نفسك بالمكافآت على مجرد فكرة وبضع كلمات
 مكتوبة»، ثم قرأ الرُّسالة من جديد قبل أن يستطرد: «الجرو لا يذكُر شيئاً عن
 أيِّ مكافآت، يقول فقط إنك تتكلَّم نيابةً عنه وإن عليّ الإصغاء، وأن أعطيه
 سُفني وسيوفي، وفي المقابل سيُعطيني تاجاً»، ورفع عينيه الصَّوَانِيَّتين لِيَنْظُرَ
 في عيني ابنه مباشرةً، وكَثَّرَ وقد اكتسبَ صوته حدَّةً ملحوظة: «سَيُعطيني
 تاجاً!».

- «مجرد اختيار غير موفِّق للكلمات. المقصود أن...».

- «المقصود هو ما قيل. الصَّبي سيُعطيني تاجاً، وما يُعطى من الممكن أن
 يؤخِّد ثانيةً». ألقى اللورد بالون الرُّسالة في المستوقد فوق السُّلسلة، فتجعَّد
 الرُّق واسودَّ واشتعلت فيه النَّار.

مشدوهاً صاحَ ثيون: «هل جُننت؟».

هوى أبوه على وجهه بصفعةٍ موجهةٍ بظاهر يده، وقال: «صُن لسانك.
 أنت لست في وِترفل الآن، وأنا لستُ روب الصَّبي كي تُخاطِبني هكذا. أنا
 الجرايچوي الكبير، سيِّد حصاد پايك، ملك الملح والصُّخر، ابن رياح البحر،
 ولم يُخلَق من يمنحني تاجاً. إنني أدفعُ الثَّمن الحديدي، وسوف آخذُ تاجي
 بنفسي كما فعلَ أوروون أحمر اليد منذ خمسة آلاف عام».

تراجعَ ثيون مبتعداً عن غضبة أبيه المبالغتة، وقال حانقاً ووجته لا تزال
 نخزة: «خذُه إذن، سَمَّ نفسك ملك جُزر الحديد، لا أحد سيُّبالي... حتى

تنتهي الحروب ويتطلّع المنتصر حوله فيرى العجوز الأحمق قابلاً على ساحله وعلى رأسه تاج من حديد».

ضحك بالون جرايجوي، وقال: «طَيِّب، لستَ جباناً على الأقل، ولستُ بالأحمق. هل تحسب أنني أحشدُ سُفني كي أنفِرَجَ عليها وهي تتمايل في المرسى؟ إنني أنوي أن أقتطعَ لنفسي مملكةً بالسيف والنار... لكن ليس من الغرب، وليس بدعوةٍ من الملك روب الصَّبي. كاسترلي روك قويّة للغاية، واللورد تاوين داهية حقيقي. نعم، قد نستطيع أن نأخذ لانسپورت، لكننا لن نحافظ عليها أبداً. كلا، إنني جائعٌ لثمرةٍ أخرى... أي نعم قد لا تكون بالنَّضارة والحلاوة نفسيهما، لكنها تتدلَّى من شجرتها ناضجةً وبلا أيِّ دفاعات». كان ثيون ليسأل أين، لكن مع نهاية كلام أبيه كان قد أدرك الإجابة.



دنيرس

أطلقَ الدوثرافي على المذنب اسم «شيراك كنيا»، أي «النجم النَّازف»، وهمهم المسنون منهم أنه نذير سُوم، لكن دنيرس تارجارين رآته أول مرة ليلة أحرقت غال دروجو، الليلة التي صَحَا فيها تنانينها، وحدثت نفسها وقد شخصت بصرها إلى سماء الليل والعجب يُفعم قلبها: إنه بشير قدومي، أرسلته الآلهة ليهديني الطريق.

لكن عندما ترجمت هذا الخاطر إلى كلمات، قالت وصيفتها دوريا بتوَجُّس: «الأرض الحمراء تقع في هذا الاتجاه يا غاليسي، يقول الخيالة إنها مكان مقفر رهيب».

- «يجب أن تسلك الطريق الذي يُشير إليه المذنب»، قالت داني بإصرار... وإن كانت الحقيقة أنه الطريق الوحيد المفتوح أمامها. إنها لا تجرؤ على الالتفاف شمالاً إلى محيط الكلا الشاسع المسمي بحر الدوثرافي، فأول غالاسار يُقابِلونه في طريقهم سيتلعها ومن معها من ثلثة بائسة بلا مشقة تُذكر، فيقتل المحاربون ويُستعبد البقية، وأراضي قوم الحملان الواقعة جنوب النهر ستكون مغلفة أمامهم كذلك، خصوصاً أن عددهم أقل من أن يستطيعوا الدفاع عن أنفسهم، حتى ضد هؤلاء القوم المسالمين، وليس هناك ما يدفع شعب اللازارين لأن يُكَنَّ لهم مودة. كان من الممكن أن تتحرك مع مجرى النهر، نحو موانئ ميرين ويونكاي وأستاپور، لكن راغارو حذرهما من أن غالاسار الكال يَونو يسلك هذا الاتجاه، دافعاً آلاف الأسرى أمامه، لبيعهم في أسواق لحم الإنسان الحي المفتوحة كالقروح المتقيحة على سواحل

خليج النخاسين. عندئذٍ رَدَّتْ معترضةً: «ولماذا أخشى بونو؟ لقد كان الكغو الخاص بدروجو، ودائمًا ما خاطبني بدمائة».

قال السير چورا مورمونت: «بونو الكغو كان يُخاطبك بدمائة، ولكن بونو الكغال سيقتلك. لقد كان أول من تخلى عن دروجو، وذهب عشرة آلاف مُحارب معه، وأنتِ لديكِ مئة».

كلا، لديَّ أربعة، والبقية نساء ورجال مسنون مرضى وصيبة لم يُجدل شعرهم قط. قالت: «لديَّ التَّنانين».

- «ما زالوا مجرَّد أفراخ، ومن شأن ضربة واحدة بالأراخ أن تفتك بهم، وإن كان الأرجح أن يستولي بونو عليهم لنفسه. بيضات التَّنانين كانت أئمن من الياقوت، لكن التَّنين الحي لا يُقدَّر بثمان، وليس هناك سوى ثلاثة في العالم أجمع. كلُّ من سيراهم سيطمع فيهم يا مولاتي».

قالت بشراسة: «إنهم ملكي». لقد وُلِدوا من إيمانها وحاجتها، مُنحوا الحياة بموت زوجها وابنها غير الوليد والمايجي ميري ماز دور، وخطت داني إلى داخل النَّار والحياة تدبُّ فيهم، وشربوا اللَّبن من ثديها الممتلئين. «لا أحد سيأخذهم مني وأنا حيَّة».

- «ولن تحيي طويلاً إذا قابلتِ گال بونو، أو گال چاكو، أو آيا من الآخرين. يجب أن تذهبي حيث لا يذهبون».

كانت داني قد جعلته أول فرسان حرسها الملكي، وعندما اتَّفقت نصيحة مورمونت المجرَّدة من المشاعر والأهواء مع التَّنذر، أصبح مسارها جليًا، فجمعت قومها وامتطت فرسها الفضِّيَّة. كان شعرها قد احترق عن آخره في محرقة زوجها، فألبستها وصيفاتها فروة الهراكار الذي فتك به دروجو، أسد بحر الدوئراكي الأبيض. عملَ رأسه المخيف بمثابة قلنسوة تُغطِّي فروة رأسها العارية، والجلد كمعطفٍ انسدلَ من على كتفيها وظهرها. غرسَ التَّنين ذو اللَّون الشَّاحب مخالبه السَّوداء الحادَّة في لبدة الأسد ولفَّ ذيله حول ذراعها، بينما اتَّخذ السير چورا مكانه المعتاد إلى جانبها.

- «ستبع المذنب»، قالت داني لگالاسارها، وبمجرَّد أن أُصدرت الأمر

لم يرتفع صوت بالاعتراض. لقد كانوا قوم دروجو من قبل، لكنهم قومها الآن، ويُسمُّونها «التي لم تحترق»، و«أم الثَّانَيْن»، وكلمتها عندهم قانون.

هكذا انقسم مضيتُّهم إلى الرُّكوب ليلاً واللُّوذ بخيامهم من الشَّمس نهاريًا، ولم يَنْقُتْ وقت طويل حتى ثَبَّتْ لداني حقيقة كلمات دوريا، فهذه الأصقاع ليست رحيمةً على الإطلاق، ومن ورائهم امتدَّ الأثر الذي خلَّفوه من الخيول الميتة والمحتضرة، فقد استحوذَ بونو وچاكو والآخرون على أفضلها من قُطعان دروجو، تاركين لداني العجوز والضَّاوي والسَّقِيم والعاجز، وأيَّ حيوانٍ مكسور أو معتلِّ المزاج، دون أن يختلف الأمر مع البَشَر. قالت لنفسها: إنهم ليسوا أقوياء، لذا ينبغي أن أكون قوتهم، ويجب ألا أبدي خوفًا أو ضعفًا أو شكًا. مهما سكنت المخاوف قلبي، فيجب ألا يروا غير ملكة دروجو عندما يَنْظُرُونَ إلى وجهي. أَحَسَّتْ أنها أكبر من سني عُمرها الأربعة عشر، وإذا كانت فتاة صغيرة حقًا من قبل، فتلك المرحلة من حياتها ولَّت.

ماتَ الرَّجُل الأول بعد ثلاثة أيام من الرَّحْف. كان عجوزًا أهتم ذا عينين زرقاوين غائمتين، وسقطَ متهاكًا من فوق سَرجه ولم يستطع الشَّهوض ثانية، وبعد ساعة فارَقَ الحياة، ليحوم الذُّباب الدَّموي حول جِثِّه ويحمل نُذر السُّؤْم إلى الأحياء. قالت وصيفتها إيري: «لقد عاشَ أطول من اللازم بالفعل، فلا ينبغي أن يبقى الرَّجُل حيًّا بعد أن تموت أسنانه كلها»، واتفق الآخرون معها، أمَّا داني فأمرَتهم بقتل أضعف خيولهم المحتضرة كي يَدْخُل الرَّجُل الميت أراضي اللَّيْلِ راکبًا. وبعد ليلتين مانت فتاة صغيرة، واستمرَّ عويل أمِّها المكلومة طول اليوم، ولكن لم يكن هناك ما يُمكن فعله. كانت الطُّفلة المسكينة أصغر من أن تركب، إذن فليس لها كلاً أراضي اللَّيْلِ الأسود السَّرمدي، ولا بُدَّ أن تولد من جديد.

الصَّالح للأكل في القَفَر الأحمر قليل، والماء أَقْلُ وأقْلُ. في هذه الأرض البور الموحشة تتناثر التَّلَال الواطئة والشُّهول الفاحلة التي تذرُّو الرِّيح رمالها، والأنهار التي عبَّروها كانت جافَّة تمامًا كعظام الموتى. اقتاتَّت خيولهم على العُشب الشَّيطاني، الذي ينمو في كُتَل بَيْتَّة قاسية حول قواعد الصُّخور والشَّجر الميت، وأرسلت داني كَشَافَةً يستطلعون ما يقع أمام الرُّكب، لكنهم لم يجدوا

آبارًا أو ينابيع، بل مجرد برك من المياه الرَّاكدة الضَّحلة ذات الطَّعم المرّ، تنضّال بلا توقّف في حرارة الشَّمس. كلما توغَّلوا أكثر في الأرض الخراب صارت البرك أصغر، بينما تعاظمت المسافات بينها، ولو كانت هناك آلهة في هذه البراري المهجورة التي قُذت من الرِّمال والحجارة والطَّمي الأحمر، فهي آلهة قاسية جافّة، تصمُّ أذانها عن صلوات استجلاب المطر.

نفذ التَّبيد أولًا، وبعد فترة قصيرة لحقّ به حليب الفرس المختَّر، الذي يُحبّه سادة الخيول أكثر من البتع⁽¹⁾، كما نفذ مخزونهم من كلٍّ من أقراص الخبز واللَّحم المجفَّف، بينما لم يعثر صيَّادوهم على أيِّ طرائد، فلم يملأ بطونهم غير لحم خيولهم الميتة. تبع الموت الموت، وسقط الأطفال الضُّعفاء والنِّساء الشَّمطاوات والمرضى والحمقى والغافلون ضحيّة للأرض الجذباء، وأصاب الهزال دوريا وغارت عيناها، وبات شعرها الذهبي النَّاعم هشًّا كالقش.

تضوّرت داني جوعًا واشتعلت ظمأ كسائر قومها، وجفَّ اللَّبن في ثدييها، وتشقّقت حلمتها وسالَ منهما الدَّم، ونحلَّ جسدها أكثر فأكثر مع كل يوم يمرُّ حتى أصبحت متيّسة رقيقة كالعصا، لكن خشيتها كلها كانت على تئانيها. لقد قُتل أبوها قبل أن تولد، وأخوها العظيم ريجار كذلك، وماتت أمُّها وهي تأتي بها إلى الدُّنيا بينما هاجت العاصفة في الخارج، والسير ويلم داري طيّب القلب، الذي لا بُدَّ أنه أحبّها بشكل أو بآخر، أخذَه مرض عضال وهي صغيرة جدًّا—كلُّ هؤلاء فارّقوا الحياة، وكذلك أخوها فسيرس، وشمسها ونجومها كال دروجو، وحتى ابنها الذي لم يولد... كلهم أخذتهم الآلهة. لكنها لن تأخذ تئاني، لن تأخذهم أبدًا.

لم يزد حجم التَّنانين على القِطط المهزولة، التي رأتها تتسكّع ذات مرّة عند أسوار ضيعة الماچستر إليريو في پتوس... إلى أن بسطوا أجنحتهم، التي يبلغ مداها ثلاثة أضعاف طول كل منهم، وكل جناح كمروحة رقيقة من الجلد شبه الشفّاف، رائع الألوان، ومشدود عن آخره بين العظام. عندما تتطلّع إليهم

(1) البتع هو نبيذ العسل.

جَيِّدًا، ستجد أن معظم أجسادهم يتكوّن من العُنق والدَّيل والجناحين. يالهم من أشياء صغيرة، فكّرت وهي تُطعمهم بيدها، أو تُحاول إطعامهم بالأحري، فالتنانين يَرُفُضون الأكل، ويفحّون ويتفلون مع كلّ لقيمة دامية من لحم الحصان، ويتصاعد البخار من طاقات أنوفهم، ومع ذلك ما زالوا لا يمشون الطعام... إلى أن تذكّرت داني شيئًا قاله لها فسيرس في طفولتهما: لا يأكل اللحم المطبوخ غير التّانين والبشر. هكذا، عندما جعلت وصيفاتها يشوين لحم الحصان حتى اسودّ كاللحم، التهمه التّانين بشراهة وانقضوا عليه برؤوسهم كالثعابين، ومنذ ذلك الحين وهم يأكلون أضعاف وزنهم من اللحم يوميًا ما دام محترقًا، وأخيرًا بدأ حجمهم يكبر وبدت عليهم القوّة. تعجّبت داني من نعومة حراشفهم والحرارة الشديدة التي تنبعث منهم محسوسةً للغاية، لدرجة أن في اللَّيالي الباردة كان البخار يبدو كأنه يخرج من أجسادهم كلها.

في كلّ مساء، عندما يبدأ الغلامسار التحرك، تختار تَنِينًا يقبع على كتفها، بينما تحمل إيرى وچيكوي الاثنين الآخرين في قفص من الخشب المجدول، معلق بين حصانيهما على مسافة قريبة منها، كي لا تغيب داني عن أنظارهما أبدًا، فهذا هو السبيل الوحيد لإبقائهما خاملين.

قالت لخيّالة دمها في صباح بعد رحلةٍ ليليّةٍ طويلة: «تانين إجون كانت مسماة على أسماء آلهة فاليريا القديمة. تَنِينٌ فيزينا كان فاجهار، ورينس تَنِينها كان ميراكسس، بينما امتطى إجون الرُعب الأسود بالريون. يُقال إن أنفاس فاجهار كانت ملتهبةً لدرجة أنها تُذيب درع الفارس وتطهوه داخلها، وإن ميراكسس كان يتلع خيولاً كاملة، أمّا بالريون... فيرانه كانت سوداء كحراشفه، وجناحاه كانا هائلين، يتلع ظلّهما بلدانًا كاملة وهو يمرّ فوقها». كان الدوثرافي يتطلّعون إلى أفراخها بنظرات قلق. أكبر الثلاثة أسود لامع، وحراشفه مجرّعة بالقرمزي الزّاهي كجناحيه وقرنه. غمغم آجو: «غاليسي، هذا بالريون وقد حلّ من جديد».

قالت برصانة: «قد يكون ما نقوله صحيحًا يا دم دمي، لكنه سيحمل اسمًا جديدًا في هذه الحياة الجديدة. سأسمّي الثلاثة تينًا بهؤلاء الذين أخذتهم

الآلهة. الأخضر سيكون ريجال، لأجل أخي الباسل الذي مات على ضفاف
الثالوث الخضراء. الأبيض والذهبي سيكون فسيريون، فمع أن فسيرس كان
فاسيًا وضعيفًا وخوفاً، لكنه كان أخي رغم كل شيء، وسيفعل تئيه ما لم
يستطع أن يفعله».

سألها السير چورا مورمونت: «والأسود؟».

أجابته: «الأسود اسمه دروجون».

لكن حتى مع نموّ تنانينها ظلّ غالاسارها يذوي ويموت، فمن حولهم
صارَت الأرض موحشة أكثر، وحتى العُشب الشَّيطاني نفسه أصبح نادرًا،
ونفقت خيولهم في دروبها واحدًا تلو الآخر، ليتناقص عددها بشدّة جعلت
بعض قومها مرغمين على السَّير على الأقدام. أصيبت دوريا بالحُمى وساءت
حالتها مع كلِّ فرسخ قطعوه، وتشققت شفتاها وشاعت في يديها القروح
الدَّامية، وتساقط شعُرها في كُتَل، حتى جاء مساء ولم تقدر على امتطاء
حصانها. قال چوجو إن عليهم أن يتركوها أو يُقيّدوها إلى سرجها، لكن داني
تذكّرت ليلةً في بحر الدوثرافي، عندما علّمتها الفتاة اللاليسيتية أسرارها كي
يُحبّها دروجو أكثر، فسقت دوريا ماءً من قِربتها الخاصّة، ورطبّت جبهتها
بقطعة قماش مبتلة، وأمسكت يدها حتى ماتت مرنجفة. عندئذٍ فقط سمحت
داني للغالاسار بالتحرك.

لم يروا أثرًا لأيّ مسافرين غيرهم، وبدأ الدوثرافي يَتمنمون بخوفٍ أن
المذنّب قادهم إلى جحيم ما، فذهبت داني إلى السير چورا ذات صباح وهم
يُخيمون وسط مجموعةٍ من الأحجار السوداء التي صفّلتها الرِّيح، وسألته:
«أنحن ضائعون؟ أما من نهاية لهذا القفر؟».

أجابها بإنهاك: «هناك نهاية. لقد رأيتُ الخرائط التي رسمها التَّجَّار يا
مولاتي، وصحيح أن قوافل قليلة تمرُّ من هذا الطَّرِيق، لكن ثمة ممالك عظيمة
تقع شرقًا، ومُدُن ملأى بالعجائب، يي تي، كارث، آشاي الواقعة عند الظلّ».

- «وهل سنحيا لنراها؟».

- «لن أكذبك القول، هذا الطَّرِيق أصعب مما جرؤتُ على الظنّ». كان
وجه الفارس مريدًا مرهقًا، إذ لم يندمل تمامًا الجرح الذي أصابه ليلة قاتل

خيالة دم غال دروجو، وكانت ترى كيف تنقبض ملامحه ألماً عندما يركب حصانه، وبدا أنه يتأرجح بلا إرادةٍ منه فوق سرجه وهم يتحركون. «ربما نهلك إذا مضينا قُدماً... لكنني أعلم علم اليقين أننا هالكون إذا عُدنا أدراجنا». طبعَت داني قُبلةً خفيفةً على وجنته، وشجّعها أن رأته يبتسم. يجب أن أكون قويةً من أجله أيضاً. قد يكون فارساً، لكنني دم التنين.

بركة الماء الثّالية التي عثروا عليها كانت شديدة السخونة، وتفوح منها رائحة الكبريت الكريهة، لكن ما في قِربهم كان على وشك التّفاد بالفعل، وهكذا برّد الدوثرافي الماء في الجرار والقُدور وشربوه فاتراً، فوجدوا أن مذاقه كريه كرائحته، لكن الماء هو الماء، وكلّهم كان يُعاني العطش لأقصى درجة. رمقت داني الأفق ييأس. لقد فقدوا ثلث عددهم، ولا يزال القفر يمتدّ أمامهم أجرد وأحمر وبلا حدود. المذنب يسخر من آمالي، قالت لنفسها وهي ترفع عينها إلى حيث يشقُّ السّماء، هل عبرت نصف العالم وشهدتُ ميلاد التّنانين، فقط كي أموت معهم في هذه الصّحراء القاسية الملتهية؟ لا يمكنها أن تُصدّق هذا.

طلع الفجر في اليوم الثّالي وهم يقطعون سهلاً امتلأت ثُربته الحمراء بالشقوق والصّدوع، وكانت داني على وشك أن تأمرهم بنصب المخيم، عندما عادَ كشافتها مهرولين بخيولهم، وصاحوا: «مدينة يا غاليسي، مدينة شاحبة كالقمر وجميلة كالصّبايا، لا تبعد أكثر من ساعة». قالت لهم: «أروني».

عندما لاحت المدينة أمامها، كانت أسوارها وأبراجها تتلألأ بيضاء من وراء حجابٍ من الحرارة، فبدت رائعة الجمال لدرجة حدّت بداني لأن توقن من أنها محض سراب. سألت السير چورا: «أتعرف أيّ مكانٍ هذا؟». هزّ الفارس المنفي رأسه بتعب، وأجاب: «لا يا مولاتي، فلم أتوغل شرقاً إلى هذا الحد من قبل».

كانت الأسوار البيضاء البعيدة تعدُّ بالرّاحة والأمان، فرصة للتّعافي واسترداد القوّة، ولم ترغب داني في شيءٍ أكثر من أن نهرع صوبها، لكنها

التفتت إلى خيالة دمها بدلاً من هذا، وقالت: «يا دم دمي، اسبقونا واعرفوا اسم هذه المدينة، وأي نوع من الترحيب نتوقع».

قال آجو: «حاضر يا غاليسي».

لم يرغب خيالتها طويلاً، ووثب راغارو من فوق حصانه وقد تدلّى الأراخ المقوّس العظيم من حزامه المرصّع بالجواهر، الأراخ الذي أسبغته عليه داني عندما سمّته خيَال دم لها. «المدينة ميتة يا غاليسي، وجدناها بلا اسم وبلا آلهة، والبوابات محطّمة، ولا يتحرّك في الشوارع غير الهواء والذباب».

قالت چيكوي مرتجفة: «عندما تغيب الآلهة، تُعْرِيد الأرواح الشريرة ليلاً. الأفضل أن نعرض عن تلك الأماكن. هذا معلوم».

ردّدت إيربي: «هذا معلوم».

- «ليس معلوماً لي»، قالت داني، ووكّزت فرسها وانطلقت تُريهم الطريق، وأسرعت تُعبّر أسفل قنطرة البوابة العتيقة المحطّمة، لتدخُل شارعاً يحفّه الصّمت الثّام، فتبعها السير جوراً وخيالة الدّم، ثم تبعهم بقية الدوثرافي متباطئين. لم تستطع داني تخمين الفترة التي مرّت منذ هُجرت المدينة، لكن الأسوار البيضاء التي بدّت رائعة الجمال من بعيد، اتّضح أنها متصدّعة على وشك الانهيار حين تُرى من قُرب. في الدّاخل كانت متاهة من الأزقة الضيّقة كثيرة المنعطفات، والمباني دانية من بعضها بعضاً للغاية، واجهاتها طباشيرية مصمتة، وخالية من النّوافذ، وكلُّ شيء أبيض، كأن الشّعب الذي عاش هنا ذات يوم لم يكن يدري شيئاً عن الألوان. مرّوا بأكوام من الدّبش البارق في نور الشّمس حيث تهاوى بعض البيوت، وفي أماكن أخرى رأوا آثار حرائق، وفي بُقعة تلتقي فيها ستّة أزقة لمحت داني قاعدة تمثال رخاميّة خالية. يبدو إذن أن الدوثرافي زاروا هذا المكان، ولربما يقف التّمثال المفقود الآن وسط غيره من الآلهة المسروقة في فايس دوثراك، ولعلّها مرّت به مئة مرّة دون أن تعي.

على كتفها أطلق فسيرون فحيحاً.

خيّموا أمام أطلال قصر جرّود من محتوياته كافّة، في ساحة مكشوفة للريّح ينمو فيها العُشب الشّيطاني بين أحجار الرّصف. أرسلت داني رجالاً

للتفتيش في الخرائب، وذهب بعضهم على مضض، لكنهم ذهبوا على كل حال... ثم عادَ عجوز ذو ندوب بعد مدّة قصيرة وهو يتوآب ضاحكًا وقد ملأت ثمار الثين يديه. كانت صغيرة ذابلة، لكن قومها أقبلوا عليها بمنتهى النهم، يتزاحمون ويتدافعون فيما بينهم، ليحشوا أشداقهم بالفاكهة ويلوكوها بسعادة.

عادَ باحثون آخرون بقصص عن أشجار فواكه أخرى مختبئة في حدائق سرّية وراء أبواب مغلقة، وأراها أجوفاء مكتظا بأفرع الكرم الملتوية وعناقيد العنب الأخضر الضئيل، واكتشفَ جوجو بثرا ماؤها نقيّ بارد، لكنهم وجدوا عظامًا كذلك، وجماجم الذين لم يُدفنوا البيضاء المكسورة، ما جعلَ إيري تُتمتم: «أشباح، أشباح رهية. ينبغي ألا نبقى هنا يا غاليسي، هذا مكانها».

- «لستُ أخافُ الأشباح. الثنائين أقوى من الأشباح». والثمار أهم.

«اذهبي مع چيکوي واعثرا لي على رمالٍ نظيفة للاستحمام، ولا أريدُ أن أسمع هذا الكلام السّخيف ثانية».

في جَوْ خيمتها المعتدل فحمت داني قطعًا من لحم الحصان فوق مستوقدٍ وتأملت أخباراتها. إن لديهم هنا طعامًا وماءً لغذائهم، وما يكفي من العشب لأن تستردّ الخيول قوّتها، وسيكون من الجميل حقًا أن تستيقظ كل يوم في المكان نفسه، وتتسكّع بين الحدائق الظليلة وتأكل الثين وتشرب الماء البارد قدر ما شاءت.

عندما عادتَ إيري وچيکوي بجرار الرّمْل الأبيض، خلعت داني ثيابها كي تُنظفًا جسدها فركًا، وقالت چيکوي وهي تكشط الرّمْل عن ظهرها: «شعرك بدأ ينمو من جديد يا غاليسي»، فرفعت داني يدها إلى قمّة رأسها لتحسّ الشعيرات النّابتة. يُطلق رجال الدوثر اكي شعرهم في جدائل طويلة مدهونة بالزيت، ولا يقصّونه إلّا عندما يهزمون. ربما عليّ أن أفعل المثل، لأذكّرهم بأن قوّة دروجو تعيش في الآن. لقد ماتَ غال دروجو دون أن يقصّ شعره أبدًا، وهو فخر لا يستطيع كثيرون ادّعاءه.

على الجانب الآخر من الخيمة بسطَ ريجال جناحيه الأخضرين، ليخفق ويخلّق على ارتفاع نصف قدم قبل أن يسقط على البساط، وعندما حطّ تلوّى

ذيله إلى الأمام والخلف غضبًا، ورفع رأسه مطلقًا صرخةً. لو كان لدي جناحان لأردت أن أطير أيضًا. لقد امتطى قُدماء عائلة تارجارين الثَّانين وهُم ذاهبون إلى الحرب، وحاولت داني أن تتخيل كيف سيكون شعورها وساقاها تتدليان حول عُنق تَين يشقُّ عنان السَّماء. مثل الوقوف على قِمَّة جبل، لكن أفضل. سينبسط العالم كله من تحتي، وإذا ارتفعت بما فيه الكفاية، فربما أرى الممالك السَّبع نفسها، وأمذيدي لألمس المذنب.

أبْقَظَتهَا يُيري من أحلام الصُّحو، لِتُخَيِّرَها أن السير جورا مورمونت في الخارج، ينتظر أمرها بالدخول. قالت داني مستشعرةً الوخز في بشرتها المفروكة بالرَّمال: «دعِهِ يَدْخُل»، ولَقَّت نفسها بفروة الأسد. كان الهراكار أكبر حجمًا منها بكثير، ففَقَطَتْ فروته كلَّ ما يحتاج تَغْطِيَةً.

قال السير جورا راکمًا: «أحضرتُ لك خوخةً». كانت الثَّمرة صغيرة جدًا، لدرجة أنها تستطيع إخفاءها في راحة يدها، وزائدة التُّضج أيضًا، لكن عندما قَضَمَتْ منها كان اللحم شديد الحلاوة حتى إنها كادت تبكي، فأكلتها بتؤدة مستطعمة كلَّ قُضْمَةٍ، بينما حكى لها السير جورا عن الشَّجرة التي قطعها منها، في حديقَةٍ بالقرب من الشُّور الغَربي.

قالت داني وعصير الخوخ اللزج يسيل على خَدَّيها: «فاكهة وماء وظل. رحمة من الآلهة أن تأتي بنا إلى هذا المكان».

قال الفارس بحزم: «يجب أن نستريح هنا حتى نتعافى، فالأرض الحمراء لا ترأف بالضعفاء».

- «وصيفتاي تقولان إن هناك أشباحًا هنا».

رَدَّ السير جورا بهدوء: «هناك أشباح في كلِّ مكان. إننا نحملها معنا أينما ذهبنا».

نعم، فسيرس، غال دروجو، ابني ريجو، إنهم معي دومًا. «قل لي اسم شبحك يا جورا، فأنت تدري كلَّ شيء عن أشباحي».

تجمَّدت ملامحه تمامًا وهو يُجيب: «كان اسمها لينيس».

- «زوجتك؟».

- «زوجتي الثَّانية».

رأت داني أن الكلام عنها يُؤلمه، لكنها أرادت أن تعرف الحقيقة، فسألته: «أهذا كلُّ ما لديك لتقوله عنها؟». انزلت فروة الأسد من على كتفها، فأعادت تثبيتها في مكانها مضيئة: «هل كانت جميلة؟».

قال السير جورا رافعاً عينيه من كتفها إلى وجهها: «جداً. أول مرّة رأيتهَا، حسبتُ أنها إلهة نزلت إلى الأرض، «العذراء» نفسها وقد تجسّدت. كان نسبها أعلى مني بكثير، إذ كانت صُغرى بنات اللورد لايتون هايتاور من البلدة القديمة، والثور الأبيض الذي كان يقود حرس أبك الملك كان عمّها الكبير. هايتاور عائلة عريقة، شديدة الثراء والترفع».

عقبت داني: «والإخلاص. أذكرُ أن فُسيرس قال إن هايتاور من العائلات التي حافظت على ولائها لأبي».

- «هذا صحيح».

- «هل رتب أبوك الزيجة؟».

- «كلا، زواجنا... إنها حكاية طويلة ومملّة يا جلالة الملكة، ولا أرغبُ في إزعاجكِ بها».

قالت: «ليس لديّ ما أفعله. من فضلك».

أجابها مقطّبا وجهه: «كما تأمر مولاتي. إن وطني... يجب أن تفهمي هذا كي تستوعبي الباقي. جزيرة الدّبية جميلة لكن منعزلة، تخلي أشجار سنديان قديمة متشابكة وأشجار صنوبر طويلة، وشجيرات شائكة مزهرة، وأحجاراً رمادية مكسوة بالطحلب، وجداول تجري مياهها الباردة كالجليد على جوانب التلال المنحدرة. بهو عائلة مورمونت مبني من جذوع الأشجار الضخمة ومحاط بسياج من الطين، وبخلاف عددٍ قليل من المزارعين، يعيش ناسي على السواحل ويصطادون من البحر، فالجزيرة تقع بعيداً في الشمال، والشتاء هناك أشنع مما تتخيّلين يا غاليسي، لكن الجزيرة كانت تُناسِني تماماً على الرغم من هذا، ولم أفترق إلى النساء قط، إذ أخذت نصيبي من زوجات الصيادين وبنات المزارعين قبل زواجي وبعده. تزوّجت صغيراً بعروس من اختيار أبي، فتاة من عائلة جلوثر في «ربوة الغابة»، وعشنا معاً عشرة أعوام أو ما يُقرب من ذلك، لا فارق. كانت عادية الملامح، لكن طيبة القلب، وأعتقدُ

أنني أحببتها بصورة ما، وإن كانت علاقاتنا الحميمة على سبيل الواجب وليس بدافع العاطفة. ثلاث مرّات أجهضت وهي تُحاول أن تمنحني وريثاً، ولم تتعاف قطّ بعد آخر مرّة، وماتت بعدها بفترة وجيزة».

وضعت داني يدها على يده، واعتصرت أصابعه قائلة: «أنا آسفة حقّاً». أوماً السير جورا برأسه، وتابع: «وقتها كان أبي قد التحق بحرس الليل، وأصبحتُ سيّد جزيرة الدّبية خلفاً له. لم أعانِ نقصاً من عروض الزّواج، لكن قبل أن أستطيع اتّخاذ قرار، بدأ بالون جرايجوي تمرّده على الغاصب، واستدعى ند ستارك راياته لئيساعِد صديقه روبرت. دارت المعركة الأخيرة في پايك، وعندما أحدثت مجانيق روبرت ثغرةً في أسوار الملك بالون، كان راهب من مير أول من عبرها، لكنني لم أكن وراهه بكثير، ولهذا ربحْتُ فُروسيّتي. بعدها قضى روبرت أن تُقام دورة مباريات خارج لانسهورت احتفالاً بانتصاره، وهناك رأيتُ لينيس للمرّة الأولى. كانت فتاةً في نصف عُمرِي، أتت من البلدة القديمة مع أبيها لترى أخاها في مضمار التّزال. لم أقدر على رفع عينيّ عنها، وفي نوبة جنونٍ طلبتُ منها أن تمنحني عطيةً أرنديها أثناء التّزال، دون أن أحلم حتى بأن تستجيب لي، لكنها فعلت. إنني مُقاتِل جيّد يا غاليسي، لكنني لم أكن من فُرسان المباريات قطّ، لكن حالما أحاطت عطية لينيس بيدي صرْتُ رجلاً مختلفاً. فزْتُ بنزالٍ تلو الآخر، وسقطَ اللورد جيسون مالبستر أمامي، ويون رويس البرونزي، والسير رايمان فراي، وأخوه السير هوستين، واللورد وِنت، والسير لايل كراكهول الملقّب بالغُفر القوي⁽¹⁾، وحتى السير بوروس بلاونت فارس الحرس الملكي — كلهم أسقطتهم عن أحصنتهم. في المباراة الأخيرة كسرتُ تسع رماح ضدّ جايمي لانستر بلا نتيجة، وأعطاني الملك روبرت إكليل البطل، فتوجّحتُ لينيس ملكةً للحُبّ والجمال، وفي الليلة ذاتها ذهبْتُ إلى أبيها وطلبتُ يدها. عادةً كنتُ لأتلقَى رداً محمّلاً بالاحترقار، لكن اللورد لايتون وافقَ على طلبي، وتزوَّجنا هناك في لانسهورت، وطيلة أسبوعين كنتُ أسعد رجلٍ في العالم أجمع».

(1) الغُفر نوع من الخنازير البريّة الضّارية.

سألته داني: «طيلة أسبوعين فقط؟». حتى أنا مُنحتُ سعادةً أكثر من هذه، مع دروجو الذي كان شمسي ونجمي.

- «الأسبوعان هما المدة التي استغرقناها في الإبحار من لانسپورت إلى جزيرة الدّبية. كان وطني بمثابة خيبة أمل كبيرة للينيس، شديد البرودة والرطوبة والغزلة، وقلعتي ليست سوى بهو طويل من الخشب ولم تكن تُقيم حفلات تنكريّة أو نستضيف عروض الممثلين، وليست لدينا احتفالات أو مهرجانات، وقد تمرّ فصول كاملة دون أن يمرّ مغرٌّ واحد يُطربنا، وليس هناك صانع على الجزيرة كذلك. حتى الوجبات أصبحت مشكلة، فطاهيّ لم يكن يعرف أكثر من بضع وصفات للشواء والبخنة، وسرعان ما فقدت لينيس شهيتها للأسمك ولحم الغزلان. كنتُ أعيشُ من أجل بسمتها، فأرسلتُ إلى البلدة القديمة طلبًا لطاهٍ جديد، وجئتُ بعازف قيثارة من لانسپورت، ولَبِيتُ لها كلّ رغبةٍ وعثرتُ لها على كلّ مَنْ أرادت من صاغة وجواهرين وخياطات، لكن شيئًا من هذا لم يكفها، فجزيرتنا غنيّة بالدّبية والأشجار ولا شيء آخر. بنيتُ لها سفينة جميلة وأبحرنا إلى لانسپورت والبلدة القديمة لتتفرّج على الاحتفالات والمهرجانات، وذهبنا مرّة إلى براقوس، حيث اقترضتُ مالًا من الكثير من المُرابين. لقد فزتُ بيدها وقلبها باعتباري بطل دورة مباريات، فاشتركتُ في دوراتٍ أخرى في سبيلها، لكن السّحر كان قد زال، فلم أنجح في التفوّق على الجميع ثانية، وكلّ هزيمة كان معناها خسارة حصانٍ آخر ودرعٍ أخرى، فكلاهما ينبغي أن يُدفع ثمنه أو يُستبدل. لم أستطع تحمّل التّكلفة، وأخيرًا أصررتُ على العودة إلى الدّيار، لكن هناك ساءت الأمور أكثر من ذي قبل، فلم أقدر على دفع أجر الطّاهي أو عازف القيثارة، وجُنّ جنون لينيس عندما عرضتُ أن نرهن جواهرها. الباقي... ثمة أشياء فعلتها أخجلُ من الكلام عنها، من أجل الذهب، كي تستطيع لينيس الاحتفاظ بجواهرها وعازفها وطاهيها، وفي النّهاية كلّفني هذا كلّ شيء. عندما سمعتُ أن إدارد ستارك قادم إلى جزيرة الدّبية، كان شرفي ضائعًا مني تمامًا، حتى إنني فضّلتُ أن آخذها معي إلى المنفى بدلًا من أن أبقي وأواجه حكمه. قلتُ

لنفسى إن شيئاً لا يهمُّ غير الحبِّ الحقيقي، وفررنا إلى ليس، حيث بعثُ
سفيتي لنعيش بئمنها».

كانت نيرته مفعمةً بالأسى، وتردّدت داني في الضَّغط عليه أكثر، لكنها
أرادت بشدّة أن تعرف نهاية القصة، فسألت برفق: «هل ماتت هناك؟».

أجابها: «بالنسبة لي فقط. في غضون نصف عام كنتُ قد أنفقتُ ذهبي
كله، واضطرتُّ لأن أخدم كمرتزق، وبينما قاتلتُ البرافوسي على ضفاف
نهر الروين، انتقلتُ لينيس للإقامة في إيوان تاجر لايسيني اسمه تريجار
أورمولن. يقولون إنها كبرى محظّياته الآن، وحتى زوجته نفسها تخشاها».

قالت داني مصدومة: «هل تكرهها؟».

- «بقدر ما أحبُّها. اسمحي لي بالانصراف يا مولاتي، فأنا متعبٌ للغاية».

أعطته الإذن بالانصراف، لكن إذ رفعَ سديلة باب خيمتها لم تستطع أن
تمنع نفسها من أن تُناديه بسؤالٍ أخير: «كيف كانت الليدي لينيس تبدو؟».

ابتسامة حزينة ارتسمت على وجه السير چورا وهو يُجيب: «الحقيقة أنها
تُشبهكِ يا دنيرس»، وانحنى بشدّة مضيقاً: «طابت ليلتك يا مولاتي».

ارتجفت داني وضمتْ فروة الأسد على جسدها بإحكام. كانت تُشبهني.
هذا يُفسّر الكثير مما لم تفهمه من قبل حقاً. إنه يُريدني، يُحبُّني كما أحبُّها،
ليست محبةً الفارس لمليكته، بل الرجل لمرأة. حاولت أن تتخيل نفسها في
أحضان السير چورا، نُقبّله ونُمتّعه، تسمح له بأن يلجها، لكن بلا طائل، فكلما
أغلقت عينيها استحالَ وجهه إلى وجه دروجو.

كان غال دروجو شمسها ونجومها، أول عشقٍ لها، ولا مناص من أن يكون
الأخير. المايجي ميري ماز دور أقسمت إنها لن تحمل طفلاً حيّاً في أحشائها
أبداً، فأَيُّ رجل هذا الذي يرغب في زوجةٍ عاقرة؟ وأَيُّ رجل هذا الذي يملك
أَيَّ أمل في أن يكون نذاً لدروجو، الذي مات دون أن يُقصَّ شعره، ويمتطي
جواده الآن في أراضي الليل، والتُّجوم كالاساره.

لقد سمعت نغمة الاشتياق في صوت السير چورا عندما تكلم عن جزيرة
الدّبية. هو لن يحظى بي أبداً، لكن يُمكنني ذات يوم أن أعيد إليه دياره وشرفه.
أستطيع أن أفعل هذا القدر من أجله.

لم تُقَلِّقَ الأشباح منامها تلك اللَّيلة، وحلَمَت بدروجو ولبلة زفافهما التي ركباً فيها معاً أول مرّة، وفي الحُلُم لم يركبا حصانين، بل تَئَنَّان. في الصَّبَاح التَّالِي استدَعَت خَيَّالَة دمها وخاطَبَتهم قائلة: «يا دم دمي، إنني أحتاجُ إليكم. على كُلِّ منكم أن ينتقي ثلاثة خيول، أقوى وأصَحَّ ما تَبَقَّى لدينا، ويَحْمِلُها بِأكبر كَمِّ ممكن من الماء والطَّعام. أريدكم أن تنطلقوا من أجلي. سيَتَّجه آجو إلى الجَنُوب الغَربي، وراگارو جَنُوباً، وأنت يا چوجو ستتبع شيراک کُنيا في الجَنُوب الشَّرقي».

سألها چوجو: «عَمَّ سنبحث يا گاليسي؟».

أجابته: «عن أيِّ شيءٍ موجود، ابحثوا عن المُدن الأخرى، الحيَّ منها والميت، ابحثوا عن القوافل والنَّاس، ابحثوا عن الأنهار والبحيرات والبحر المالح العظيم. اعرفوا كم تمتدُّ هذه الأرض الياب أمامنا وما يقع على الجانب الآخر، فعندما أغادرُ هذا المكان لا أنوي أن أتحرَّك كالعميان ثانية. أريدُ أن أعرف أين سأذهبُ، وأفضل وسيلةٍ للوصول».

وهكذا ذهبوا والأجراس في شَعْرهم ترنُّ بخفوت، بينما استقرَّت داني مع جماعتها الصَّغيرة من النَّاجين في المدينة التي أطلقوا عليها اسم فايس تولورو، الذي يعني «مدينة العظام» بلسان الدوثرافي. تبع اللَّيل النَّهارَ وتبعه اللَّيل، تقطف النَّسوة الفواكه من حدائق الموتى، ويسوس الرِّجال خيولهم ويُصلِّحون سروجها ورُكُبتها وحذواتها، ويجول الأطفال في الأزقة الملتوية ليَعرُثوا على عُملات برونزيّة قديمة وقطع من الرُّجاج البنفسجي وأباريق حجريّة مقابضها منحوتة على شكل ثعابين. امرأة لدغها عقرب أحمر، لكنها الوحيدة التي ماتت، وبدأت الخيول تستعيد وزنها من جديد، بينما طَبَّبت داني جرح السير چورا بنفسها، فبدأ يندمل بالفعل.

كان راگارو أول الرَّاجعين، وأبلغها أن القفر الأحمر يمتدُّ جَنُوباً ويمتدُّ حتى ينتهي عند شاطئٍ أجرد على المياه السامّة، وبين هنا وهناك لا يوجد غير دَوَّامات الرَّمال، والصُّخور التي صقلتها الرِّيح، والتَّبَّاتات المليئة بالأشواك الحادّة. أقسم أنه مرَّ بعظام تَئَنٍّ، وكانت ضخمةً للغاية لدرجة أنه عبَّر بحصانه

من الفُكِّ الأسود العظيم، لكن عدا ذلك لم يرَ شيئاً. أعطته داني اثني عشر من أقوى رجالها وكلّفَهم بخلع أحجار السّاحة ليصلوا إلى التّربة من تحتها، فإذا كان العُشب الشّيطاني ينمو بين حجارة الرّصف، فستنمو أنواع أخرى من الأعشاب عندما تُزال الأحجار. إن لديهم ما يكفي من آبار، ولا يفتقرون إلى الماء، وإذا زُرِعت البذور هنا فسَتُزهر السّاحة.

عادَ آجو بعد ذلك، وأقسم أن الجَنوب الغربي مقفر وقاحل تماماً، وأخبرها أنه عثَرَ على مدينتين أخريين أصغر من فايس تولورو، لكن لا تختلفان عنها فيما عدا ذلك. إحداهما كانت محاطةً بحلقةٍ من الجماجم المعلقة على حرابٍ حديديةٍ صدئة، فلم يَجسُر على الدُّخول، لكنه استكشف الثّانية بقدر ما استطاع، وأرى داني سواراً حديدياً وجده، تُبَتَّت فيه حلقة من الأوبال بحجم إبهامها. وجدَ آجو مخطوطاتٍ كذلك، لكنها كانت جافّةً على وشك التفتّت، فتركها حيث هي. شكرته داني وقالت له أن يشرع في إصلاح البوّابات. ما دام الأعداء قد عبروا القُفر الأحمر لتدمير تلك المُدن في سالف الدّهر، فقد يأتون من جديد. «وإذا حدثَ هذا، ينبغي أن نكون مستعدين».

غابَ جوجو طويلاً حتى إنها خشيَت أنه ضاعَ إلى الأبد، لكن أخيراً، عندما كفّوا عن ترُقّب عودته، رجَعَ خيال الدّم من الجَنوب الشّرقي. رآه واحد من الحُرّاس الذين عيّنهم آجو أولاً، فأطلقَ صيحةً، وحشّت داني الخطى إلى الأسوار لترى بنفسها. أجل، لقد عادَ جوجو، لكن ليس بمفرده، فمن ورائه كان ثلاثة غُرباء يرتدون ثياباً غريبةً ويمتطون مخلوقاتٍ حَدباء قبيحة تجعل أيّ حصانٍ قزماً بالمقارنة. توقّفوا أمام بوّابات المدينة، ورفعوا أبصارهم ليتطلّعوا إلى داني على الشّور من فوقهم، بينما رفعَ جوجو عقيرته قائلاً: «يا دم دمي، لقد ذهبْتُ إلى مدينة كَارث العظيمة، وعدتُ مع ثلاثةٍ يرغبون في رؤياك بأعينهم».

نظرت داني إلى الغُرباء من أعلى، وقالت: «ها أنا ذي. انظروا كما شتّم... لكن أخبروني بأسمائكم أولاً».

أجابَ الرّجل الشّاحب ذو الشّفتين الزّرقاوين بلُغة الدوثرافي الخشنة: «أنا بيات بري، الدجّال العظيم».

وأجاب الرَّجُلُ الأصلع ذو الجواهر في أنفه بقاليريَّة المُدن الحُرَّة: «أنا
زاروزون داتسوس من رابطة الثلاثة عشر، أمير تاجر من كَارث».
وقالت المرأة ذات القناع الخشبي المصقول بعاميَّة الممالك السَّبع: «أنا
كويث ابنة الظِّل. جئنا سعيًا إلى الثَّانين».
رَدَّت عليهم دنيرس تارجارين: «لم يَعد عليكم أن تسعوا، فقد
وجدتموهم».



چون

تُسَمَّى القرية وايتري على خرائط سام القديمة، ولم يحسب چون أنها تستحق أن يُطْلَق عليها قرية أصلاً، فكل ما فيها عبارة عن أربعة بيوت متداعية تُحيط بزرية غنم وبئر، والبيوت أحاديّة الغُرف ومبنيّة من الحجارة غير المملّطة، وسقوفها مغطّاة بطبقة من النّجيل، بينما أسدلت على التّوافذ قطع مهترئة من جلود الحيوانات. فوق كلّ شيء ارتفعت شجرة ويروود هائلة الحجم، بغصونها الشّاحبة وأوراقها الحمراء الدّاكنة، وكانت أكبر شجرة رآها چون سنو في حياته كلها، الجذع يُقارب الثّمانية أقدام عرضاً، والفروع ممتدّة طويلاً طويلاً، حتى إن القرية بأكملها تستظلّ بظلّها. على أن الحجم لم يُزعجه كالوجه... بالتّحديد الفم الذي لم يكن مجرّد شقّ محفور، بل تجويف محزّز كبير بما يكفي لأن يبتلع خروفاً كاملاً.

لكن هذه ليست عظام خروف، ولا تلك جمجمة خروف وسط الرّماد. قال مورمونت من فوق حصانه وقد عقد حاجبيه: «شجرة قديمة»، وردّد غدافه من فوق كتفه: «قديمة، قديمة، قديمة!».

- «وقويّة»، قال چون مستشعراً قوّة الشّجرة الباسقة بالفعل.

ترجّل ثورين سمولوود إلى جوار الجذع وقد ارتدى درعاً داكنة، وقال: «انظروا إلى هذا الوجه. لا عجب أن البشر كانوا يخشون تلك الأشجار في بداية مجيئهم إلى وستروس. إنني أشعرُ برغبة في قطع هذا الشّيء القبيح ببلطة بالفعل».

قال چون: «السّيّد والذي كان يؤمن بأن لا أحد يستطيع أن يكذب أمام

شجر القلوب، فالآلهة القديمة تعرف عندما يكذب البشر». - «أبي كان يؤمن بهذا أيضًا»، قال الذئب العجوز. «دعني ألقى نظرة على هذه الجمجمة».

ترجّل جون وعلى ظهره يستقرُّ «المخلب الطويل» في غمد الكتف الجِلديّ الأسود، السيف الثَّغل طراز اليد ونصف، الذي أعطاه الذئب العجوز إياه لإنقاذه حياته، وإن قال الرّجال عنه مازحين: سيفٌ نغلٌ لنغل. كان المقبض قد شكّل من جديدٍ من أجله، وزُيّن ببقيةٍ كراسٍ ذئبٍ من الحجر الأبيض الباهت، لكن الثَّصل نفسه مُطرّق من الفولاذ القالييري، قديم وخفيف وماضٍ إلى حدٍّ مميت. ركع ودسَّ يده المغطاة بالقفاز في فجوة الفم، التي تلوّن داخلها بأحمر النُّسغ الجاف وأسود النَّار، ورأى تحت الجمجمة جمجمةً أخرى أصغر حجمًا، فكّها مكسور ونصف مدفونة في خليطٍ من الرَّماد وفتات العظام.

ناول مورمونت الجمجمة، فرفعتها الذئب العجوز بيديه معًا، وحدّق في المحجرين الخاويين قائلاً: «الهمج يُحرقون أمواتهم، هذا معروف، لكني أتمنى الآن لو أنني سألتهم عن السَّبب عندما كان بعضهم موجودًا». تذكر جون سنو الجثة التي نهضت حيّة، وعينها المتوهجتين بالأزرق في الوجه الميت الشاحب، وملأه يقين بأنه يعرف السَّبب.

دمدم الذئب العجوز: «ليت العظام قادرة على الكلام. كان صاحب هذا الرأس ليُخبرنا بالكثير، كيف مات، ومن أحرقه ولماذا، وأين ذهب الهمج»، وزفر مضيئاً: «يقال إن أطفال الغابة كانوا يستطيعون الكلام مع الموتى، لكني لا أستطيع»، ثم ألقى الجمجمة في ثغر الشجرة، حيث حطت مصدرة سحابة من الرَّماد النَّاعم. «فتشوا البيوت كلها. أيها العملاق، اصعد إلى قمّة هذه الشجرة وألق نظرة. أحضروا كلاب الصَّيد أيضًا، فربما يكون الأثر طازجاً هذه المرّة». الثَّبرة التي نطق بها الجملة الأخيرة كانت تشي بأنه لا يملك أملاً كبيراً حقاً.

دخل كلّ بيت رجلان، للتأكد من عدم إغفال أيّ شيء، فوجد جون نفسه مع إديسون توليت عابس الملامح، الذي كان مُرافقًا لفارسٍ في السَّابق، وله

شعر أشيب وقوام رفيع كالعصا، ويُسمّيه الإخوة الآخرون إد الكتيب. «سَيِّء بما يكفي عندما ينهض الموتى ويسيطرون»، قال لجون وهما يقطعان القرية، «والآن يُريدون الدُّب المعجوز أن يتكلّموا كذلك؟ لا خير يُمكن أن يأتي من ذلك، أو كُذِّلك. ثم من يضمن ألا تكذب العظام؟ لماذا يجعل الموت الإنسان صادقاً أو حتى ذكياً؟ لا بُدَّ أن الموتى كائنات مملة لا تكف عن الشكوي... الأرض باردة جداً، من المفترض أن يكون قبري أكبر، لماذا يحصل هو على ديدان أكثر مني؟!».

اضطرَّ جون للانحناء ليدخل من الباب الواطئ، وفي الدّاخل وجد الأرضية من التربة الممهّدة، لكن لا أثاث، ولا علامة تدل على أن أناساً كانوا يعيشون هنا، باستثناء القليل من الرماد تحت فتحة التّهوية في السقف. قال: «مكان موحش جداً».

ردَّ إد الكتيب: «وُلِدْتُ في بيتٍ يشبه هذا كثيراً، وكانت تلك سنوات بختي السعيد، فبعدها مررت بأوقات عصيبة حقاً». احتلَّت رُكن الغرفة كومة من القشّ الجاف بمثابة سرير، ورمقها إد بحنين وأردف: «يُمكنني أن أدفع كلّ ما في كاسترلي روك من ذهب مقابل أن أنام في فراشٍ ثانية».

- «أُسمّي هذا فراشاً؟».

- «إذا كان ألين من الأرض وهناك سقف من فوقه، فهو فراش عندي»، قال إد الكتيب، ثم تشمّم الهواء وغمغم: «أشم رائحة روث». كانت الرائحة خفيفة للغاية، فقال جون: «روث قديم». من البادي أن البيت مهجور منذ فترة. ركع وفشّ وسط القشّ بيديه، علّه يجد شيئاً مخفياً تحته، ثم بدأ يفحص الجدران، ولم يستغرق وقتاً طويلاً حتى أعلن: «لا يوجد شيء هنا».

لم يكن أيُّ شيء كما توقّعه. وايتري هي رابع قرية يمرّون بها، ولا تختلف إطلاقاً عن سابقتها، فما من سُكّان، اختفوا جميعاً بممتلكاتهم الشحيحة وأيُّ حيوانات كانت لديهم. ليس هناك في أيّ من القرى ما يوحي بأنها هوجمت، لكنها بيساطة... خالية! سأل جون: «ما الذي تحسبه حدث لهم؟».

أجاب إد الكتيب: «شيء أسوأ مما نتخيّل. إنني أستطيع تخيُّله في الحقيقة،

لكني لا أريد. سيء بما يكفي أن تعرف أنك ذاهب إلى نهاية شنيعة، دون أن تشغل عقلك بها قبل الأوان».

كان كلبا صيد يتشممان حول الباب عندما خرجا، بينما انتشرت الكلاب الأخرى في أرجاء القرية، يسبها تبت بصوت عال بغضبه الدائم الذي لا يبدو أنه يستطيع التخلي عنه، وقد جعل النور الذي تخلل أوراق اليرود الحمراء بثور وجهه تبدو ملتبهة أكثر من المعتاد. ضيق تبت عينيه عندما رأى جون، فليس هناك وُد مفقود بينهما.

لم يثمر البحث في البيوت الأخرى شيئا، وصاح غُدا ف مورمونت وهو يُخلق إلى شجرة اليرود ليستقر فوقها: «اختفوا، اختفوا، اختفوا!». - «كان هناك همج في وايتري منذ عام واحد فقط». بدا ثورين سمولود كلورد حقيقي أكثر من مورمونت نفسه، وقد ارتدى قميص الحلقات المعدنية الأسود اللامع، الذي كان ملكا للسير چارمي ريكرو، وواقى صدره المزخرف بالنقوش البارزة. المعطف الثقيل المنسدل على كتفيه مبطن بفرو السمور، ومثبت بمشبك على شكل مطرقتين متقاطعتين من الفضة، رمز عائلة ريكرو، وكان ملكا للسير چارمي أيضا... لكن الجثة الحية الأخرى فتكت بالسير چارمي، وحرس الليل لا يبددون شيئا.

قال چارمان بكويل، الرّجل الصّارم متبلّد الحس الذي يقود الكشافة: «منذ عام واحد كان روبرت ملكا، والبلاد في سلام. من الممكن أن يتغيّر الكثير في غضون عام».

ردّ السير مالادور لوك بالباح: «شيء واحد لم يتغيّر، الهمج الأقلّ يعنون هموماً أقلّ. لن أحزن عليهم لحظة مهما حدث لهم. كلهم لصوص وقلة». سمع جون حفيفا من الأوراق الحمراء من فوق، ثم افترق فرعان وأبصر رجلا صغير الحجم يتنقل من فرع إلى فرع ببساطة كالسناجب. لا يتجاوز بدويك الأقدام الخمسة طولا، وإن باحت الخطوط الرمادية في شعره بسنة. يُلقبه الجوّالة الآخرون بالعملاق، وقد جلس فوق ملتقى فرعين من الشجرة فوق رؤوسهم، وقال: «ثمّة مياه إلى الشمال، بحيرة ربما، وعدد من تلال الصوّان التي ترتفع غربا، ليست عالية جداً، لكن لا شيء آخر أيها السادة».

اقترح سمولوود: «يُمكننا أن نخيّم هنا الليلة».

رفع الذّب العجوز عينيه إلى أعلى باحثًا عن لمحة من السّماء بين الأغصان البيضاء والأوراق الحمراء، ثم قال: «كلا. أيها العملاق، كم تبقى لدينا من نور النّهار؟».

- ثلاث ساعات يا سيّدي.

قال مورمونت بحسم: «ستقدّم شمالًا. إذا بلغنا تلك البحيرة، سنخيّم على شاطئها، وربما نصطاد بعض السمك. چون، أحضِر لي ورقة، فقد تأخّرت في الكتابة للمايستر إيمون بالفعل».

أخرج چون رقًا والحبر والرّيشة من جراب سرجه، وعادَ إلى حضرة القائد، الذي كتب بعجلة: «في وايتري. القرية الرّابعة. كلها خال. الهمج اختفوا»، ثم قال مناولًا چون الرّسالة: «اعثر عليّ تارلي وتأكد من أن يُرسلها»، وأطلق صفيّرًا ليأتي طائره من أعلى ويحطّ على رأس حصانه. هزّ الغُدا فأسه صائحًا: «ذرة»، وأطلق الحصان صهيلًا.

امتطى چون حصانه الصّغير ودار به وتحرك مسرعًا. بعيدًا عن ظلّ شجرة الويروود العظيمة، وقف رجال حرس اللّيل تحت أشجار أدنى، يُعنون بخيولهم ويلوكون شرائح من اللّحم المملّح ويتبولون ويتحكّون أجسادهم ويتكلّمون، وعندما جاء الأمر بالحركة من جديد مات الكلام وعادوا يركبون الخيول. سبقهم كشافه جارمان بكويل، وتحرك ثورين سمولوود على رأس المقدّمة كما يُفترض، ثم جاء الذّب العجوز مع القوّة الأساسيّة، وبعده السير مالا دور لوك مع طابور الأحصنة التي تحمل الأمّعة، وأخيرًا السير أوتين ويذرز مع حرس المؤخّرة. متتارجل إجمالًا، وثلاثمئة من الدّواب.

نهارًا اتّبعوا آثار الطّرائد وقيعان المجاري المائيّة، طرق الجوّالة التي توغّلوا عبرها أكثر في براري أوراق الشّجر والجذور، وليلاً خيّموا تحت السّماء المزدانة بالنّجوم وتطلّعوا إلى المذنب. كان الإخوة الشّود قد غادروا القلعة السّوداء بروح معنويّة عالية، يتبادلون النّكات ويتجادبون أطراف الحكي، لكن يبدو مؤخّرًا أن سكون الغابة المستمرّ قد تبطّطهم جميعًا، فصار مزاحهم أقلّ وفيلهم أقصر، ولم يستطع أحدهم أن يُقرّر بأنه خائف حقًّا

«فَهُمْ مِنْ رِجَالِ حَرَسِ اللَّيْلِ رَغْمَ كُلِّ شَيْءٍ - لَكِنْ جَوْنَ شَعَرَ بِمَا يَعْتَمَلُ فِي أَنْفُسِهِمْ. أَرْبَعُ قُرَى خَالِيَةٍ، وَلَا هَمَجٌ فِي أَيِّ مَكَانٍ، وَيَبْدُو أَنَّ الطَّرَائِدَ ذَاتَهَا فُرَّتْ، وَالْجَوَالَةَ الْمُخْضِرُونَ أَنْفُسَهُمْ أَتَفَقَرُوا عَلَى أَنَّ الْغَابَةَ الْمَسْكُونَةَ لَمْ تَبْدُ مَسْكُونَةً هَكَذَا مِنْ قَبْلِ قَطْ.

خَلَعَ جَوْنَ قَفَّازَهُ فِي الطَّرِيقِ لِيُعَرِّضَ أَصَابِعَهُ الْمَحْرُوقَةَ لِلْهَوَاءِ، وَقَالَ فِي نَفْسِهِ: كَمْ تَبْدُو قَبِيحَةً. تَذَكَّرُ فَجَاءَهُ كَيْفَ اعْتَادَ أَنْ يَنْفَشَ شَعَرَ آرِيَا، أُخْتَهُ الصَّغِيرَةَ النَّحِيفَةَ. تَسَاءَلَ عَنْ حَالِهَا الْآنَ، وَأَحْزَنَهُ بَعْضُ الشَّيْءِ أَنْ يُفَكِّرَ أَنَّهُ قَدْ لَا يَنْفَشُ شَعْرَهَا ثَانِيَةً أَبَدًا. بَدَأَ يَنْثِي يَدَهُ فَاتَحًا وَمُغْلَقًا أَصَابِعَهُ. إِذَا تَرَكَ يَدَهُ الَّتِي يَحْمِلُ بِهَا السَّيْفَ تَسْتَلِمُ لِلنَّيْسِ وَالْحَرَقِ، فَإِنَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ فِي ذَلِكَ نَهَايَتَهُ، فَالرَّجُلُ يَحْتَاجُ سَيْفَهُ وَرَاءَ «الْجِدَارِ».

وَجَدَ سَامُوِيلَ تَارِلِي يَسْقِي الْخِيُولَ مَعَ الْوُكَلَاءِ الْآخَرِينَ. كَانَ مَسْؤُولًا عَنْ ثَلَاثَةِ حِصَانِهِ الْخَاصِّ وَاثْنَيْنِ يَحْمِلُ كُلُّ مِنْهُمَا قَفْصَ غِدْفَانٍ كَبِيرًا مَصْنُوعًا مِنَ السِّلْكِ وَالْأَمَالِيدِ الْمَجْدُولَةِ. خَفَقَتِ الطُّيُورُ بِأَجْنَحَتِهَا مَعَ اقْتِرَابِ جَوْنَ، وَصَرَخَتْ فِيهِ مِنْ وَرَاءِ الْقَضْبَانِ، فَبَدَأَ شَيْءٌ مِنَ الصُّرَاخِ كَكَلِمَاتٍ حَقِيقَةٍ بِصُورَةٍ مَرِيئَةٍ، مَا حَدَا بِهِ لِأَنْ يَسْأَلَ سَامَ: «هَلْ تَعْلَمُهَا الْكَلَامُ؟».

- «كَلِمَاتٌ قَلِيلَةٌ. ثَلَاثَةٌ مِنْهَا يَقُولُونَ «تَلْج».

قَالَ جَوْنَ: «طَائِرٌ وَاحِدٌ يَنْعَبُ اسْمِي كَمَا يَكْفِي، وَالتَّلْجُ لَيْسَ بِالشَّيْءِ الَّذِي يُرِيدُ أَنْ يَسْمَعَ بِهِ أَخٌ أَسْوَدُ». كَثِيرًا مَا يَعْنِي التَّلْجُ الْمَوْتَ فِي الشَّمَالِ.

- «هَلْ وَجَدْتُمْ شَيْئًا فِي وَابْتِرِي؟».

أَجَابَ جَوْنَ: «الْعِظَامُ وَالرَّمَادُ وَالْبُيُوتُ الْخَاوِيَةُ»، وَنَاوَلَ سَامَ الرَّقَّ الْمَطْوِيَّ قَائِلًا: «الذُّبُ الْعَجُوزُ يُرِيدُ إِسْرَافَ الْأَخْبَارِ إِلَى إِيْمُون».

أَخْرَجَ سَامَ طَائِرًا مِنْ أَحَدِ الْقَفْصَيْنِ، وَمَلَسَ عَلَى رِيشِهِ ثُمَّ رَبطَ الرِّسَالَةَ بِقَدَمِهِ وَقَالَ: «طَرِ إِلَى الدِّيَارِ أَبْهَا الشُّجَاعِ، إِلَى الدِّيَارِ»، فَنَعَبَ الْغُدَافَ شَيْئًا غَيْرَ مَفْهُومٍ فِي وَجْهِهِ، قَبْلَ أَنْ يُلْقِي سَامَ بِهِ فِي الْهَوَاءِ، لِيَرْتَفِعَ خَافِقًا بِجَنَاحِيهِ مِنْ بَيْنِ الْأَشْجَارِ صَوْبَ السَّمَاءِ. «أَتَمَنَّى لَوْ اسْتَطَاعَ أَنْ يَحْمِلَنِي مَعَهُ».

- «حَتَّى الْآنَ؟».

قَالَ سَامَ: «نَعَمْ، لَكِنِّي... لَسْتُ خَائِفًا كَمَا كُنْتُ مِنْ قَبْلٍ، حَقًّا. فِي اللَّيْلَةِ

الأولى، كلما سمعتُ أحدًا ينهض ليقضي حاجته، حسبته همجيًا يتسلَّل ليذبني، وكنتُ أخشى أن أغمض عينيَّ فلا أفتحهما ثانية أبدًا، لكن... لكن الفجر أتى في النهاية»، وارتسمت على شفتيه ابتسامة باهتة، وأكمل: «قد أكونُ جبانًا، لكنني لستُ غيبًا. إنني متعبٌ وظهري يؤلمني من الركوب والنوم على الأرض، لكنني أكادُ لا أشعرُ خوفًا على الإطلاق. انظر»، ورفع يده كي يرى چون كم هي ثابتة، وأردف: «إنني أعملُ على خرائطي».

العالم غريب حقًا. مثلاً رجلٌ شجاع تركوا «الجدار»، والوحيد الذي لا يزداد خوفه هو سام، الصَّبي الذي اعترفَ بجُبْنه علنًا. قال له مازحًا: «هناك فرصة لأن نجعل منك جوًّا. المرأة القادمة ستريد أن تكون كشافًا مثل جرين. هل أكلّم الذئب العجوز؟».

صاح سام: «إياك!»، ورفع قلنسوة معطفه الأسود الضخم وامتطى حصانه بلا مرونة. كان حصان حربٍ كبيرًا وبطيئًا وأخرق، لكن يستطيع احتمال وزنه أكثر من الأحصنة الأصغر حجمًا التي يركبها الجوّالة. قال سام بأسى: «كنتُ أملُ أن نقضي الليلة في القرية. سيكون من الجميل أن ننام تحت سقفٍ من جديد».

قال چون: «البيوت أقلُّ وأصغر من أن تسعنا جميعًا»، وعادَ يمتطي حصانه، ومنح سام ابتسامةً وانطلق. كان الرّكب قد بدأ يتقدّم بالفعل، فدارَ دورةً واسعةً حول القرية ليتفادى الرّحام. لقد اكتفى من وايتري.

خروج جوست من بين الشُّجيرات كان مفاجئًا تمامًا، حتى إن الحصان نكصَ فرعًا وتراجعَ رافعًا قائمته الأماميتين. كان الذئب الأبيض يصطاد بعيدًا عن خطِّ الرّحف، وإن لم يوّاه خطُّ أفضل من الرّجال الذين أرسلهم ثورين سمولود بحثًا عن طرائد. قال لهم دايوين ذات ليلةٍ حول النَّار إن الغابة خالية أكثر من القرى، فردّ چون: «نحن مجموعة كبيرة، ولا بُدَّ أن الطرائد خافت من الضجة التي نُصْدرها أثناء تحرُّكنا وفرت».

قال دايوين: «خافت من شيءٍ ما بلا شك».

بمجرّد أن هدا الحصان، انطلقَ جوست متواثبًا إلى جواره ببساطة، ولحقَ

چون بمورمونت وهو يدور حول دغلٍ من الزُّعرور البرِّي، فسأله الذُّب العجوز: «هل حَلَّقَ الطَّائر؟».

- «نعم يا سيّدي. سام يُعلِّمُ الغدغان الكلام».

قال الذُّب العجوز ساخراً: «سيندم على هذا. تلك المخلوقات الملعونة تُصدِرُ الكثير من الضَّوضاء، لكنها لا تقول شيئاً يستأهل السَّمع أبداً». مضيا بصمتٍ فترةً، ثم قال چون: «إذا وجدَ عمِّي كلَّ تلك القرى خاليةً كذلك...».

- «... كان ليُجعل هدفه أن يعرف السَّبب»، أتمَّ اللورد مورمونت عبارته. «ولعلَّ شخصاً أو شيئاً أرادَ أن يظُلَّ السَّبب مجهولاً. طيّب، سيكون عددنا ثلاثمئة عندما ينضمُّ كورين إلينا، وأيُّ أعداء يقبعون في انتظارنا هنا لن نجدونا لقمةً سائغةً. سوف نَعُثرُ عليهم يا چون، أعدك». أو سيَعثُرُون هُم علينا.



آريا

كان النَّهْرُ كشرِيطٍ من الأخضر المزرق في شمس الصُّباح، وبطول ضُمَّتِيهِ
نما البوص بكثافةٍ في الجزء الضُّحل من المياه. رأت آريا ثعبانًا ينزلق بخفَّةٍ
على السَّطح، تنتشر التَّمَوُّجات من ورائه وهو يتحرَّك، وفي الأعلى حلَّق
صقر بكسل في دوائر. بدا أن السَّكينة تحفُّ المكان حقًّا... إلى أن لمحَ
كوس الجِنَّة، وأشار قائلاً: «هناك، وسط البوص»، ورأت آريا الجِنَّة المتنفخة
مشوَّهة المعالم، التي علَّقَ معطفها المشبَّع بالماء بفرع شجرة عَفْن، وقد أخذَ
سرب من الأسماك الفُضِيَّة الدَّقِيقَة يقضم وجهها. قال لومي: «قلتُ لكم إن
هناك جُشَّاء، مذاقها في الماء».

بصقَ يورن عندما رأى جِنَّة الجندي، وقال: «دوبر، انظر إن كان معه
ما يستحقُّ أن يؤخَّذ، قميص واقٍ، سَكِّين، نقود، أيُّ شيء»، وهمزَ حصانه
وخاضَ به في النَّهر، لكن الحيوان وجدَّ صعوبةً في الحركة في الطمي الرَّخْو،
كما أن المياه تزداد عُُمقًا بعد البوص، فتراجعَ يورن غاضبًا وحصانه مغطى
بالوحل حتى الرُّكبتين، وقال: «لن نعبُر من هنا. كوس، ستأتي معي في اتِّجاه
منبع النَّهر بحثًا عن مخاضة، وليذهب ووث وجيرين في اتِّجاه المصب.
سينتظر بقيَّتكم هنا، فعيَّنوا حراسة».

وجدَ دوبر كيس نقود جِلْدِيًّا في حزام الرِّجل الميت، وداخله أربع عُملاتٍ
نُحاسِيَّة وخُصلة من الشَّعر الأشقر مربوطة بشرِيطٍ أحمر، فيما تجرَّد لومي
وتاربر من ملابسهما وخاضا في الماء، ورفعَ لومي بداً مليئَةً بطيني لزج قذِفَ
به هورت باي هاتفاً: «فطائر طمي! فطائر طمي!»، أمَّا في مؤخِّرة عربة السُّجناء،

فقد أخذَ رورج يسبُّ ويُطلق التَّهديدات، ويقول لهم أن يحلُّوا وثاقه ويورن غائب، لكن أحدًا منهم لم يُعِره اهتمامًا. أمسك كورز سمكةً بيديه، ورأت آريا كيف فعلها وهو يقف فوق بركة ضحلة يهدوء المياه الرَّاكدة، ثم تندفع يده كالثَّعبان عندما تقترب الأسماك. لم يبدُ الأمر لها صعبًا كالإمساك بالقِطط، فالسَّمك لا يملك مخالب.

عادَ الآخرون مع انتصاف النَّهار. أبلغهم ووث بوجود جسر خشبي على بُعد نصف ميل في اتِّجاه تيار النَّهر، لكن أحدهم أحرَقه، فقطفَ يورن ورقةً من حزمة التَّبغ المُر، وقال: «قد نتمكَّن من جغل الخيول نَعْبُر سباحةً، وربما الحمير كذلك، لكن مستحيل أن نَعْبُر بتلك العربات. ثم إن هناك دخانًا إلى الشَّمال والغرب، المزيد من الحرائق، فلعلَّ من الأفضل إذن أن نبقى على هذا الجانب من النَّهر»، والتقطَ عصا طويلةً رسمَ بها في الطِّين دائرةً يَخْرُج منها خَط، وقال: «هذه «عين الآلهة»، والنَّهر يتدفَّق منها جَنوبًا. نحن هنا، وصنَعُ ثُقْبًا إلى جوار خَط النَّهر تحت الدَّائرة، وأضاف: «لا يُمكننا الدَّوران غربًا حول البحيرة كما حسبْتُ، والاتِّجاه شرقًا يُعيدنا إلى طريق الملوك»، ثم حرَّك العصا إلى حيث يلتقى الخَط والدَّائرة، وتابع: «ثُمَّ بلدة هنا حسبما أذكرُ، المعقل مبني من الحجر، وهناك مقرٌّ للوردِ صغير أيضًا، مجرد منزل مزوَّد بِبُرج، لكن سيكون لديه حُرَّاس، وربما فارس أو اثنان كذلك. إذا اتَّبَعنا النَّهر شَمالًا، سنصل قبل حلول الظَّلام. ستكون لديهم قوارب، ولذا أنوي أن أبيع كلَّ ما لدينا وأستأجر واحدًا»، وسحبَ العصا عبر دائرة البحيرة من أسفل إلى أعلى قائلاً: «إذا شاءت الآلهة، ستكون الرِّيح مواتيةً، ونُبْحِر عبر «عين الآلهة» إلى هارنتاون»، وغرسَ رأس العصا في قَمَّة الدَّائرة خاتمًا: «يُمكننا أن نشترى دوابَّ جديدةً هناك، وإن لم يكن فسنحتمي بهارنهال. لطالما كانت الليدي ونْت صديقةً لحرس اللَّيل».

قال هوت باي بعينين متَّسعتين: «هناك أشباح في هارنهال».

بصقَ يورن وقال: «هذه أشباحك»، ثم ألقيَ العصا في الطِّين وصاحَ فيهم: «اركبوا».

تذكَّرت آريا الحكايات التي كانت العجوز نان تحكيها عن هارنهال.

الملك الشرير هارن تحصّن داخلها، فأطلق إجون تنانينه محوّلًا القلعة إلى محرقة. قالت نان إن الأرواح الثّائرة لا تزال تسكن الأبراج المسوّدة، وأحيانًا يخلد الرّجال إلى النّوم في أسرّتهم، ويُعثر على جُثثهم المتفحّمة في الصّباح. لم تكن آريا تُصدّق شيئًا من هذا، وعلى كلّ حالٍ وقعت تلك الأحداث منذ زمن طويل. إنه شخف حقيقي من هوت باي، ففي هارنهال لن تكون هناك أشباح، بل فُرسان، وحينئذٍ تستطيع آريا أن تُفصح عن هويّتها لليدي ونت، ويصحبها الفُرسان إلى الوطن ويحافظوا على سلامتها. هذا ما يفعله الفُرسان، يُحافظون على سلامة النّاس، بالذّات النّساء... بل وربما تُساعد الليدي ونت الفتاة الباكية أيضًا.

لم يكن الطّريق المحاذي للنّهر كطريق الملوك بالطّبع، لكنه ليس سيّئًا في حدّ ذاته، ولمرّة تحرّكت العربات بسلاسة. رأوا أول البيوت قبل ساعة من حلول المساء، وكان كوخًا أنيقًا صغيرًا مسقوفًا بالقش، وتُحيط به حقول القمح. تقدّم يورن مناديا سُكّان الكوخ، لكن أحدًا لم يُجبه، فقال: «إمّا أنهم موتى أو مختبئون. دوبر، راي، معي». دخل الرّجال الثلاثة، ثم دمدم يورن عندما خرجوا: «القدور أخذت، ولا يوجد أثر لأيّ نقود، ولا حيوانات كذلك. غالبًا فرّ قاطنو المكان، ولربما مرّنا بهم على طريق الملوك بالفعل». على الأقل لم يُضرم أحد النّار في البيت والحقل، كما أنهم لم يجدوا جُثثًا في الجوار. عثر تاربر على حديقة وراء الكوخ، فقطفوا بعض البصل والفجل، وملأوا جوالًا بالكرنب قبل أن يُغادروا.

على مسافة أبعد على الطّريق رأوا كوخ حطّاب تُحيط به الأشجار والأخشاب المرصّصة بعناية في انتظار القطع، ويَعدها كان بيت متداع مبني على ركائز ارتفاعها عشرة أقدام تميل به نحو الماء، وفي الحاليتين كان المكان مهجورًا. مرّوا بالمزيد من حقول القمح والذّرة والشّعير، كلها ينضج في الشّمس، وكلها خالٍ من أيّ رجالٍ يجلسون في الأشجار أو يتحرّكون جيئةً وذهابًا بالمناجل. ثم لاحّت لهم البلدة أخيرًا، مجموعة من البيوت البيضاء المنتشرة حول أسواز المعقل، وسيت كبير بسقفٍ مكسوٍّ بالألواح الخشبيّة،

ومنزل اللورد المبني فوق مرتفعٍ أرضيٍّ واطىءٍ إلى الغرب... ولا أثر للنَّاس في أيِّ مكان.

جلسَ يورن فوق حصانه وقد رَمَّ شفتيه من تحت لحيته المتشابكة، وقال: «لا يروقتي هذا، لكننا هنا. سنذهب ونُلقي نظرةً، نظرةً حذرةً، فقد يكون بعض الأهالي مختبئين، وقد يكونون قد تركوا قاربًا أو أسلحةً نستفيد بها». تركَ الأخ الأسود عشرةً منهم لحراسة العريات والفتاة الصَّغيرة الباكية، وقَسَم بقيَّتهم إلى أربع مجموعاتٍ من خمسة أفراد لتفتيش البلدة، وقال لهم محذِّرًا: «أريدُ أعينكم وأذانكم مفتوحةً»، قبل أن يقود حصانه إلى داخل المنزل ذي البرج، ليرى إن كان هناك أثر للورد الصَّغير أو حرسه.

وجدتَ آريا نفسها مع جندري وهوت باي ولومي، وكان ووث المكتنز ذو البطن الكبير يعمل مجذِّفًا على سفينةٍ من قبل، ما جعله أقربَ منَ لديهم إلى بخار، فقال له يورن أن يأخذهم إلى ضفَّة البحيرة ليروا إن كانت هناك قوارب. شعرتَ آريا بالشُعيرات تتصب على ذراعيها وهُم يتحرَّكون على ظَهر الخيول بين البيوت البيضاء الصَّامتة، إذ أثارَت هذه البلدة الخاوية خوفها بقدر ما أثارَه المعقل المحترق الذي وجدوا فيه الفتاة الباكية والمرأة ذات الدِّراع الواحدة. لماذا يهرب النَّاس ويهجرون بيوتهم ويتركون كلَّ شيءٍ وراءهم؟ ما الذي يُمكنه أن يُخيفهم إلى هذا الحد؟

كانت الشَّمس تميل إلى المغيب، جاعلةً البيوت تُلقي ظلالًا طويلةً داكنةً، وبعثَ صوت ارتطام مفاجئٍ آريا على مَدِّ يدها إلى إبرتها، لكنه كان مجردَ مصراع نافذةٍ تدفعه الريح. بعد شاطئ النُّهر المفتوح كان ضيق البلدة وتضامُّ مبانيها يُثير أعصابها.

حين لمحتَ البحيرة أمامهم من بين البيوت والأشجار، وكزتَ آريا حصانها برُكبتها بقوةٍ وانطلقتَ متجاوزةً ووث وجندري، وخرجتَ إلى الأرض المعشوشبة المجاورة للشَّاطئ المفروش بالحصى. جعلتَ الشَّمس الغاربة صفحة الماء الساكنة تتوهَّج كلوح من النُّحاس المطرَّق، وكانت أكبر بحيرةٍ وقعتَ عليها عيناها في حياتها على الإطلاق، لا يلوح أيُّ أثرٍ لشاطئها البعيد. رأتَ آريا إلى يسارها خانًا متواضعًا مقامًا فوق الماء على دعائم خشبيَّة

ثقيلة، وإلى اليمين رصيف طويل يخترق البحيرة، بالإضافة إلى أرصفة أخرى شرقاً، كأصابع خشبية تمتد من البلدة، لكن القارب الوحيد الموجود على مدى البصر كان زورق تجذيف مقلوباً متروكاً على الصُخور تحت الخان، وقد ذاع العفن بوضوح في قاعه. قالت آريا كاسفة البال: «لقد رحلوا». ماذا يفعلون الآن؟

قال لومي عندما لحقَ بها الآخرون: «هناك خان. أعتقدون أنهم تركوا طعاماً أو مزرّاً؟».

ردّ هوت باي: «لنذهب ونرّ».

قال ووث بحدّة: «لا عليكم بالخان. يورن قال أن نُعثر على قارب».

- «لقد أخذوا القوارب». بشكل ما عرفت آريا أنهم حتى لو فتشوا البلدة كلها، فلن يجدوا غير الزورق المقلوب. هكذا، شاعرة بالقنوط، تراجلت عن حصانها وركعت على شاطئ البحيرة، لتتموّج المياه بنعومة حول ساقها، فيما بدأت بعض الحشرات المضيئة تخرج بأنوارها الواضحة. كانت المياه الخضراء دافئة كالعبرات، وإن خلّت من الملح، ومذاقها كالصيف والطمي والأشياء الثّامية، وقد غمست آريا وجهها فيها لتغسل ما طالها خلال اليوم من غبار وعرق وأوساخ، وعندما اعتدلت جرت قطرات الماء على مؤخرة عنقها وتحت ياقتها، ما بثّ فيها شعوراً طيباً.

تمنّت لو أنها تستطيع أن تخلع ثيابها وتسبح في المياه الدافئة كقضاء نحيلة، ولربما تواصل السباحة حتى تبلغ ويتترفل.

ناداها ووث لتأتي وتساعدهم على البحث، فأذعنت وألقت نظرة داخل السّقائف ومصفّات القوارب، بينما راح حصانها يُجبل النّظر في الشّاطي. عثروا على عددٍ من الأشربة والمسامير ودلاء من القطران الجامد وهرة أم مع هريرتها الوليدة، لكن لا قوارب.

كانت البلدة مظلمة كغابة عندما ظهرَ يورن مع الآخرين، وقال: «البرج خاو. ربما ذهب اللورد إلى الحرب، أو ليقود الأهالي إلى مكان آمن، لا أدري. ليس هناك حصان أو خنزير واحد في البلدة، لكننا سنأكل. رأيتُ إوزة طليقة ويضع دجاجات، كما أن هناك أسماكاً طيبة في البحيرة».

قالت آريا: «لم تُعد هناك قوارب». قال كوس: «يُمكننا إصلاح قاع الزُّورق المقلوب». ردَّ يورن: «قد يكفي أربعة منا لا أكثر». غمغم لومي: «ثمة مسامير، والأشجار في كلِّ مكانٍ حولنا. يُمكننا أن نبني قوارب كافية».

بصقَ يورن وقال: «هل تعرف شيئًا عن بناء القوارب يا صبيَّ الصَّبَاغ؟»، فرمقه لومي بنظرة خاوية دون أن يُحير جوابًا. قال جندري مقترحًا: «طوف إذن. أيُّ أحدٍ يستطيع أن يبنني طوفًا ويصنع عصيًا لدفعه».

بدت أمارات التَّفكير على يورن، ثم قال: «البحيرة أعمق من دفع الأطواف عبرها بالعصي، لكن إذا بقينا في المنطقة الضَّحلة بالقرب من الشَّاطئ... سيعني هذا أن نترك العربات. قد يكون هذا الخيار الأفضل. سأفكر في الأمر بترؤ».

سأله لومي: «هل يُمكننا أن نبقى في الخان؟». أجاب العجوز: «سنبقى في المعقل ونُوصِد البوابات. أحبُّ الإحساس بالجدران الحجريَّة من حولي وأنا نائم». لم تستطع آريا اللوذ بالصَّمَت، واندفعت تقول: «لا يجدر بنا أن نبقى هنا، فأهل البلدة أنفسهم لم يبقوا. لقد فرُّوا جميعًا، حتى اللورد». صدرت من لومي ضحكات كالنَّباح وهو يصيح: «آري خائف!». ردَّت عليه محتدَّة: «لا، لكنهم كانوا خائفين».

قال يورن: «ولد ذكي، لكن من عاشوا هنا كانوا في حالة حرب، شاءوا أم أبوا، بينما لسنا كذلك. حرس اللَّيل لا يتدخَّلون، لذا فلا أعداء لنا». ولا أصدقاء كذلك، قالت لنفسها، لكنها أمسكت لسانها هذه المرَّة، فلم يولي والآخرين كانوا ينظرون لها، ولم ترغب في أن تبدو جبانة أمامهم. كانت بؤابة المعقل مرصَّعةً بالمسامير الحديدية، وفي الدَّاخِل وجدوا زوجًا من قضبان الحديد بحجم شتلين كبيرتين، مع خُفر تثبيت في الأرض ودعائم معدنيَّة في البؤابة، وعندما ثبَّتوا القضيبين على الدَّعائم صنعوا معًا

عارضتين ضخمتين متقاطعتين. قال يورن إن المكان ليس كالقلعة الحمراء بالطبع، عندما استكشفوا المعقل من عاليه إلى سافله، لكنه أفضل من غيره بكثير، ومن شأنه أن يكفي لقضاء الليلة. كانت الجدران من الحجارة الخشنة غير المملطة، ترتفع عشرة أقدام كاملة، وثمة ممر ضيق من الخشب داخل الشرفات، وبوابة جانبية ناحية الشمال. اكتشف جيرين باباً أفقيًا تحت أكوام القش في الحظيرة الخشبية القديمة، يُفضي إلى نفق ضيق ملتف، فمضى فيه طويلًا تحت الأرض وخرج منه عند البحيرة. جعلهم يورن يدفعون عربة لتستقر فوق الباب، لضمان ألا يأتي أحد من هذا الاتجاه، ثم قسمهم إلى ثلاثة مجموعات حراسة، وأرسل تاربر وكورز وكتچاك إلى منزل اللورد المهجور ليراقبوا من أعلى، ففي حوزة كورز بوق صيد ينفخ فيه إذا تهددهم خطر ما. أدخلوا عرباتهم ودوابهم وأوصدوا البوابة وراءهم. كانت الحظيرة متداعية، لكن واسعة بما يكفي لاحتواء نصف حيوانات البلدة، والمأوى الذي يلوذ به أهل البلدة في أوقات القلاقل كان أوسع، واطنًا وطويلًا ومبنيًا من الحجر، وسقفه مغطى بالقش. خرج كوس من البوابة الجانبية وعاد بالإوزة ودجاجتين، وسمح لهم يورن بإشعال نار للطهي. يضم المعقل مطبخًا كبيرًا، وإن خلا تمامًا من القدور والغلايات. كُلف كل من جندري ودوبر وآريا بواجب الطهي، وقال دوبر لآريا أن تقتلع ريش الطيور بينما يقطع جندري الحطب، فسألت: «ولم لا أقطع أنا الحطب؟»، لكن أحدًا لم يجبها، فجلست عابسة تقتلع ريش دجاجة، بينما جلس يورن على طرف الدكة يشحذ نصل خنجره.

عندما جهز الطعام، أكلت آريا ساق دجاجة والقليل من البصل، ولم يتكلم أحد كثيرًا، حتى لومي نفسه. انصرف جندري إلى حاله بعدها، يُلَمّع خوذته وقد شردت نظراته تمامًا، بينما نشجت الفتاة الصغيرة وبكت، لكن عندما عرض عليها هوت باي قطعة من الإوزة التهمت بها بنهم وأرادت المزيد.

مناوبة الحراسة الثانية كانت من نصيب آريا، فوجدت فراشًا من القش في المأوى، لكن النوم لم يأتيها بسهولة، فاستعارت مشحذ يورن وشرعت تشحذ «الإبرة»، فالسلاح البليد كالحصان العاجز كما قال لها سيريو فورل. جلس

هوت پاي القرفصاء على القش إلى جوارها مراقبًا ما تفعله، وسألها: «من أين حصلت على سيفٍ ممتاز كهذا؟»، ولمّا رأى النظرة التي حدّته بها رفع يديه بحركةٍ دفاعيّة، وقال: «لا أقصدُ أبدًا أنك سرّته، أردتُ فقط أن أعرف من أين جئت به، هذا كل شيء».

غمغمت: «أعطاني أخي إياه».

- «لم أعرف أن لديك أخًا».

توقّفت آريا عن العمل لتحكّ جِلدها تحت القميص. هناك براغيث في القش، لكنها لم ترَ شيئًا يجعل المزيد منها يُزعجها. «لديّ إخوة كثيرون».

- «حقًا؟ أهم أكبر منك أم أصغر؟».

ليس من المفترض أن أتكلّم هكذا. يورن قال أن أصون لساني. قالت كاذبة: «أكبر، ولديهم سيوف أيضًا، سيوف طويلة كبيرة، ولقد علّموني كيف أقتل من يُضايقوني».

قال هوت پاي: «كنتُ أتكلّم فقط ولا أضايقك»، ثم انصرف تاركًا إياها وحدها، وضمت هي نفسها على الفراش القش، سامعةً صوت الفتاة الباكية من جانب المعقل البعيد. ليتها تَصمت. لماذا تبكي هكذا طيلة الوقت؟ لا بُدّ أنها غابت في النوم، وإن كانت لا تذكّر أنها أغلقت عينيها، وفي المنام حلّمت بذئب يعوي، وكان الصّوت رهيبًا لأقصى درجة، حتى إنه أيقظها في الحال. اعتدلت آريا جالسةً وقلبها يدقّ في صدرها بعنف، ثم قالت ناهضة: «هوت پاي، استيقظ. ووث، جندري، ألم تسمعا؟»، وانتعلت فردةً من حذائها طويل المُتق.

بدأ الرّجال والصّبية يتحرّكون من حولها وينهضون من على الأسرة القش، وسأل هوت پاي: «ما الخطب؟»، وقال جندري: «سمعنا ماذا؟»، بينما قال آخر: «آري رأى كابوسًا».

قالت بإصرار: «كلا، لقد سمعته، إنه ذئب».

سأخرًا قال لومي: «آري لديه ذئاب في رأسه»، فعقّب جيرين: «دعها تعوي. إنها في الخارج ونحن هنا في الدّاخل»، واتفق ووث معه قائلاً: «لم أرَ

ذئبًا يستطيع اقتحام معقل من قبل»، أمّا هوت پای فأكد: «لم أسمع شيئًا على الإطلاق».

- «إنه ذئب!»، زعقت فيهم وهي تختطف فردة الحذاء الأخرى. «شيء ما على غير ما يرام، شيء ما قادم، انهضوا!».

قبل أن يُغرقوها باستهزائهم ثانية، جاء الصوت يشقُّ سكون الليل... لكنه لم يكن ذئبًا هذه المرة، بل كورز يُطلق نفيه منذرًا بخطرٍ دانٍ، وفي غمضة عين كانوا يرتدون ثيابهم جميعًا ويختطفون ما لديهم من سلاح. جرت آريا إلى البوابة مع تردد التغير من جديد، ومع انطلاقها مرورًا بالحظيرة ألقى العضاض نفسه إلى الأمام بعنفٍ محاولاً انتزاع السلاسل المثبتة بأرضية العربية، بينما صاح جاكُن هاجار: «أيها الصبي! أيها الصبي الجميل! أهى الحرب؟ الحرب الحمراء؟ حررنا أيها الصبي. الرجل يستطيع القتال. أيها الصبي!»، لكنها تجاهلت نداءه وواصلت طريقها بلا إبطاء، ووقتها كانت تسمع صياحًا وصهيلًا من وراء الجدران بالفعل. تسَلَّقت إلى الممر الخشبي الضيق، وكانت حواجز الشُرقة مرتفعة بعض الشيء، وآريا قصيرة بعض الشيء، فاضطرت لأن تحشر أصابع قدميها في الفجوات بين الأحجار كي تتمكن من الرؤية. للحظة خيَّل لها أن البلدة كلها ملأى بالحشرات المضيفة، ثم أدركت أنهم رجال يحملون المشاعل، يطلقون على خيولهم بين البيوت، ورأت سقفًا من القش يشتعل وتتصاعد منه ألسنة اللهب البرتقالية لتلتق باطن الليل، وتبعه سقف آخر، ثم آخر، وسرعان ما انتشرت الحرائق في كل مكان. صعد جندي ليقف إلى جوارها مرتديًا خوذته، وقال: «كم عددهم؟».

حاولت أن تُحصيهم، لكنهم كانوا يتحركون بسرعةٍ شديدة، والمشاعل تدور في الهواء وهم يقذفونها، وقالت: «مئة، مئتان، لا أدري. سيسعون إلينا عمًا قريب». كانت تسمع صياحًا ممتزجًا بهدير اللهب.

قال جندي مشيرًا: «هناك».

أبصرت طابورًا من الخيالة يتحرك بين المباني المحترقة نحو المعقل، وقد انعكس نور النار لامعًا على الخوذات المعدنية، ونثر بقعًا من البرتقالي والأصفر على الدروع. كان أحدهم يحمل رايةً على سارية طويلة، وخطر لها

أنها حمراء اللون، لكن ظلام الليل جعل التأكد من هذا عسيرًا، خصوصًا مع النار المندلعة في كل مكان. كل شيء كان إما أحمر أو أسود أو برتقاليًا. انتشرت النار من بيت إلى آخر، ورأتها آريا تبتلع شجرة، يزحف اللهب على أفرعها إلى أن صارت شعلة وهاجة من البرتقالي الحي في قلب الليل. كان الجميع قد استيقظوا الآن، يتخذون مواقعهم على الشرفات، أو يناضلون للسيطرة على الحيوانات المذعورة في الأسفل. سمعت يورن يصيح بالأوامر، ثم ارتطم شيء بساقها، ونظرت إلى أسفل لتجد الصغيرة الباكية متمسكة بها، فزعقت فيها: «ابتعدي! ماذا تفعلين هنا؟ اجري واختبئي في مكان ما أيتها الحمقاء!»، ودفعت الفتاة بعيدًا.

توقّف الخيالة أمام البوابات، وصاح فارس يرتدي خوذة طويلة ذات ريشة شائكة: «أنتم يا من في المعقل! افتحوا باسم الملك!». - «نعم، وأنت ملك هذا؟»، صاح رايزن العجوز، قبل أن يطبق ووث على فمه بيده ليخرسه.

صعد يورن إلى الشرفة المجاورة للبوابة، وقد ربط معطفه الأسود الباهت بعضا خشبيّة، وصاح: «توقّفوا! لقد رحل أهل البلدة!». خاطبه الفارس ذو الخوذة الطويلة: «ومن أنت أيها العجوز؟ أحد جُبناء اللورد بريك؟ إذا كان ذلك الأحق البدين ثوروس في الدّاخل، فسله إن كانت هذه الثيران تروق له».

ردّ عليه يورن: «ليس معي رجل كهذا هنا، بل مجرد صبية لحرس الليل. ليس لنا دور في حربكم هذه»، ورفع العصا كي يروا لون معطفه مضيقًا: «انظروا، هذا أسود حرس الليل».

- «أو أسود عاتلة دونداريون»، قال الرّجل الذي يحمل راية العدو، ورأت آريا ألوانها الآن بوضوح أكبر على ضوء البلدة المشتعلة، الأسد الذهبي على الخلفيّة الحمراء. «رمز اللورد بريك لسان برقي أرجواني على خلفيّة سوداء». تذكرت آريا فجأة الصّباح الذي ألقت فيه البرتقالة في وجه سانزا، فسأل العصير على فُستانها الحريري السّخيف عاجي اللون. كان هناك لورد صغير ما في دورة المباريات بالفعل، ووقعت صديقة أختها البلهاء جين في غرامه.

على تُرسه كان لسان البرق، وقد أرسله أبوها ليقطع عُنق أخي كلب الصَّيد. كأن ألف عام مرّت منذ ذلك اليوم، كأنه شيء حدث لشخصٍ آخر في حياةٍ أخرى... لأريّا ستارك ابنة يد الملك، وليس أري الصَّبي اليتيم، فأنتى لأري أن يكون على دراية باللوردات وما إلى ذلك؟

قال يورن محرّكًا العصا ليمتوّج معطفه: «أأنت أعمى يا رجل؟ أتري لسان برقي لعينًا؟».

ردّ الفارس: «الرَّبات كلها تبدو سوداء ليلاً. افتحوا ولاّ سنعدّكم خارجين على القانون، متواطئين مع أعداء الملك».

بصق يورن وقال: «مَن قائدكم؟».

- «أنا». كانت انعكاسات البيوت المضطربة تومض بخفوتٍ على درع جواده الحربي، بينما أفسح الآخرون له الطريق، ثم تبدّى أنه رجل بدين، على تُرسه رسم لمانتيكور⁽¹⁾، وعلى وافي صدره الفولاذي زخارف ملولبة، وعبر مقدّمة خوذته المفتوحة لاح وجهه الشاحب الذي يُذكرك بالخنازير، وقال بصوتٍ عالٍ رفيع: «السير آموري لورك، حامل راية اللورد تاوين لانستر سيّد كاسترلي روك، يد الملك، الملك الحقيقي جوفري. أمركم باسمه أن تفتحوا هذه البوّابات».

تأجّجت النيران في كلّ ركن من البلدة حولهم، وأفعم الدخان هواء الليل، وفاقّت الجمرات الحمراء المتطايرة نجوم السماء عددًا. قال يورن مكشّرًا: «لا أرى الدّاعي. افعلوا ما شئتم بالبلدة، فهي لا تعني لي شيئًا، لكن دعونا وشأننا. نحن لسنا أعداءكم».

أرادت أريّا أن تصيح في الرّجال في الأسفل: انظروا بأعيثكم، لكنها همست: «ألا يرون أننا لسنا لوردات أو قُرسانًا؟».

ردّ جندري هامسًا بدوره: «لا أحسب أنهم يُبالون يا أري».

تطلّعت إلى وجه السير آموري، كما علمها سيريو أن تنظر، فرأت أن جندري على حق.

(1) المانتيكور حيوان خرافي، له رأس إنسان وجسم أسد، وجناحان كالوطواط، وثلاثة صفوف من الأسنان الحادّة كسمكة القرش.

صاح السير آموري: «لو أنكم لستم خونة، فافتحوا بواباتكم. ستأكد فقط من أنكم تقولون الحقيقة، ثم ننصرف إلى حال سبيلنا». قال يورن وهو يَمْضُغُ التَّبَغَ المُرَّ: «قلتُ لكم إن لا أحد هنا غيرنا. أعطيكُم كلمتي».

ضحك الفارس ذو الخوذة الطويلة قائلاً: «الغُراب يُعطينا كلمته!». وأضافَ أحد حاملي الرِّمَاحِ ساخرًا: «هل ضللت الطريق أيها العجوز؟ الجدار» بعيد في الشمال».

قال السير آموري: «أمركم مرَّةً أخرى باسم الملك چوفري أن تُثبتوا الولاء الذي تدَّعونهُ وتفتحوا هذه البوابات».

تدبَّر يورن فترةً طويلةً دون أن يكفَّ عن المضغ، ثم إنه بصق وقال: «لا أظنُّ أننا سنفعل».

- «ليكن إذن. إنكم تتحدَّون أوامر الملك، ومن ثمَّ تُعلنون أنفسكم متمرِّدين، سواء ارتديتم المعاطف السوداء أم لا».

صاح يورن: «معي صبية صغار هنا».

قال السير آموري: «الصبية الصُّغار والرِّجال المسنُّون يموتون عليَّ حدِّ سواء»، ورفع قبضته بحركة فاترة، فجاء رُمح مندفعًا بضغفٍ من بين الظلال التي أضاءتها النيران من ورائه، ولا بُدَّ أن يورن كان المستهدف، لكن ووث الذي وقفَ إلى جواره هو من أصيب، ليخترق رأس الرُّمَحِ حلقه ويتفجَّر خارجًا من مؤخرة عنقه مخضَّبًا بالدماء القانية. أطبق ووث على العمود، ثم هَوَّت جثته الهامدة.

قال السير آموري بنبرة ضَجِّرة: «افتحوا الأسوار واقتلوهم جميعًا»، فحلَّق المزيد من الرِّمَاحِ في الهواء، وجذبت آريا هوت پاي من ظهر سُترته إلى أسفل، بينما تردَّدت في الخارج صلصلة الدُّروع واحتكاك الشُّيُوف بالأغمداد ودقُّ الثُّروس بالرِّمَاح، وقد اختلط كلُّ هذا بالسَّباب ووقع حوافر الخيول المندفعة.

طارَ مشعل دائرًا في الهواء فوق رؤوسهم مخلِّقًا أصابع من اللهب، قبل أن يسقُط في تُراب السَّاحة، وصاح يورن: «استلوا أسلحتكم! انتشروا ودافعوا

عن الأسوار أينما هاجموها! كوس، أوج، احميا البوابة الجانبية. لومي، اسحب هذا الرُمح من ووث وقف حيث كان».

أسقط هوت باي سيفه القصير حينما حاول استلاله، فدسّته آريا في يده، ليقول لها متّسع العينين: «لا أجيد المبارزة».

قالت آريا: «إنها سهلة»، لكن الكذبة ماتت في حنجرتها إذ أطبقت يد على قمّة الشّور. رأتها على ضوء البلدة المشتعلة بوضوح تام كأن الزّمن توقّف، وكانت الأصابع نخينة خشنة، تنمو بين مفاصلها شعيرات سوداء تُشبه الأسلاك، وتحت ظفر الإبهام الكثير من القذارة. ضربة الخوف أمضى من السّيف، تذكّرت وقد برزت قمّة الخوذة العظيمة من وراء اليد.

هوت آريا بإبرتها صارخة: «وبترفل!»، ليخترق فولاذها المطرّق في قلعة الأصابع بين المفاصل، فانبعست الدّماء وطارت الأصابع، واختفى الوجه ذو الخوذة فجأة كما ظهر. صاح هوت باي: «وراءك!»، فدارت آريا مسرعة. كان الرّجل الثاني ملتحيًا وبلا خوذة، وقد وضعّ خنجره بين أسنانه كي يستطيع التسلّق بيديه معًا، وعندما رفع ساقه فوق الشّور، سدّدت هي رأس سيفها إلى عينه، لكن «الإبرة» لم تمسّه حقًا، إذ تراجع إلى الوراء متفادياً إياها، فقط ليسقط. أمل أن يسقط على وجهه ويقطع لسانه. صرخت في هوت باي: «راقبهم هم وليس أنا!». الرّجل الثّالث الذي حاول أن يتسلّق الجزء الذي يحميانه من الأسوار، كان من نصيبه الصّبي اليتيم الذي راح يهوي بسيفه القصير على يده، حتى سقط الرّجل.

لم تكن هناك سلالٍ مع مجموعة السير آموري، لكن حجارة أسوار المعقل غير منتظمة أو مملطة ومن السّهل تسلّقها، وبدا أن أعداد أعدائهم بلا نهاية، فمقابل كلّ واحد جرّخته آريا أو طعّته أو دفعته إلى الوراء كان واحد آخر يتسلّق الشّور. بلغ الفارس ذو الخوذة الطويلة القمّة، لكن بورن لفّ رايته السّوداء حول الخوذة وغرّس خنجره في درع الرّجل وهو يُحاول التملص من المعطف. كلما رفعت آريا عينيها إلى أعلى رأت مزيدًا من المشاعل تشقّ الهواء صانعة ذيولًا طويلةً من اللّهب تجاوزت مدى بصرها، ولمحت أسدًا ذهبيًا على راية حمراء فخطرَ چوفري ببالها، وتمنّت لو أنه كان هنا لتغرس

إبرتها في وجهه عابث الملامح. هاجم أربعة رجال البوابة بالفؤوس، فأرداهم كوس بسهامه واحداً تلو الآخر، بينما صارع دوبر رجلاً في الشرفة وطرحه أرضاً، فهشم لومي رأسه بصخرة قبل أن يُعاود التهوّض، وأطلق ضحكة ظافرة طويلة، بترها لَمَّا رأى السكين في بطن دوبر، وأدرك أنه لن ينهض هو الآخر. وثبت آريا فوق جثة صبيّ مقطوع الذراع لا يتجاوزُ جون عمراً، ولم تحسب أن هذا من صنعها، لكن لم يكن هناك سبيل للتأكد، وسمعت كابل يتوسل طالبا الرحمة، قبل أن يُهشم فارس على ترسه رمز زنبور وجهه بهراوة شائكة. من كل شيء فاحت روائح الدّم والدخان والحديد والبول، وإن امتزجت كلها بعد فترة صانعة رائحة واحدة. لم تر كيف تجاوز ذلك الرجل التحيل الشور، إلا أنها انقضت عليه مع جندري وهوت باي، ليحطّم سيف جندري خوذته ويطيّرها، فيبدو من تحتها رأسه الأصلع وملامحه الخائفة وأسنانه الناقصة ولحيته الشبياء، لكن حتى مع الشعور بالشفقة عليه الذي راودها كانت تقتله بالفعل صائحة: «ويترفل! ويترفل!»، بينما صرخ هوت باي: «هوت باي!» إلى جوارها وهو يضرب عنق الرجل الرقيق بسيفه مراراً.

عندما مات الرجل التحيل، اختطف جندري سيفه ووثب إلى الساحة ليواصل القتال، وتجاوزته آريا ببصرها لترى أشباحاً من فولاذٍ تعدو عبر المعقل وضوء النار ينعكس على القمصان الواقية والأسلحة، فأدركت أنهم اخترقوا الأسوار في بقعة ما، أو اقتحموا البوابة الجانبية. هكذا وثبت إلى جوار جندري، وحطت بالطريقة التي علّمها سيريو إياها. امتلاً الليل بأصوات الفولاذ المتقارع وصراخ الجرحى والمحتضرين، ووقفت آريا وهلة لا تدري في أي اتجاه تتحرك، فالموت في كل مكان حولها.

ثم إنها وجدت يورن هناك، يُرْجّها بعنفٍ ويزعق في وجهها: «يا ولدا!» كما كان يزعق دائماً. «اخرج من هنا، انتهى الأمر، لقد خسرنا. اجمع من تستطيع، أنت وهو والآخرين، الصبية، اخرجوا بهم من هنا، الآن!».

- «كيف؟».

صرخ: «الباب تحت الحظيرة».

ثم اختفى من أمامها في لمح البصر وسيفه في يده ليواصل القتال،

فجذبت جندري من يده صائحة: «قال أن نذهب، الحظيرة، طريق الخروج». أوما الثور برأسه وانعكاس النار يلتمع في عينيه من وراء الشقين في خوذته، وناديا هوت پاي لينزل من أعلى السور، ثم عثر ثلاثتهم على لومي أخضر اليد الذي استلقى ينزف وقد اخترق رُمح ريلة ساقه. عثروا على جيرين كذلك، لكن جرحه كان أبلغ من أن يستطيع الحركة، وبينما هروا إلى الحظيرة لمحت آريا الفتاة الباكية جالسة في قلب المعمة، يحاصرها الدخان والذبح، فأطبقت على يدها وسحبها لتقف بينما واصل الآخرون طريقهم. رفضت الفتاة أن تتحرك من مكانها قيد أنملة، حتى عندما صفعتها آريا، التي لم تجد خلا غير أن تجرّها بيمنها فيما حملت إبرتها يئسراها. كان الليل أحمر قانيا من أمامها، فقالت لنفسها: الحظيرة تَحترق، وبالفعل كان اللهب يلعب جوانبها بالسنه حيث سقط مشعل على القش، وتناهى صراخ الحيوانات الحبيسة في الدّاخل إلى مسامع آريا. خرج هوت پاي من الحظيرة صائحا: «هلم يا آري! لقد رحل لومي! اتركها ما دامت لا تريد أن تأتي!».

بعناد جرّت آريا الفتاة الباكية بعنف أكثر، فاندفع هوت پاي إلى الدّاخل وقد قرّر التخلّي عنهما... لكن جندري عاد والنّار تلتمع بشدة على خوذته المصقولة، حتى بدا القرنان كأنهما يتوهجان بالبرتقالي، وانطلق إليهما ورفع الصّغيرة على كتفه صارخا: «اجر!».

كانت اندفاعتها عبر باب الحظيرة كدخول أتونٍ مستعر، الهواء مشبع تماما بالدخان، والحائط الخلفي صفحة من نار من الأرض إلى السقف، بينما تركل خيولهم وحميرهم وترفع قوائمها وتصرخ. يا للحيوانات المسكينة! ثم رأت آريا العربة وثلاثة الرجال المكبلين بالأغلال المثبتة في أرضيتها. كان العضاض يلقي نفسه محاولا خلع السلاسل وقد سالت الدماء على ذراعيه من حيث تمسكت الأصفاد بمعصميه، والسباب ينهال من رورج صراخا وهو يركل الخشب، بينما هتف جاكّن هاجار: «أيها الصبي! أيها الصبي الجميل!». كان الباب الأفقي على بُعد أقدام معدودة، لكن الحريق ينتشر ملتصقا بالخشب القديم والقش الجاف أسرع مما تخيلت. تذكّرت آريا وجه كلب الصّيد المحروق البشع، وصاح جندري: «التّفق ضيق. كيف نمربها؟».

- «اسحبها، ادفعها».

ونادى چاكن هاجار من وسط سُعاله: «أيها الصَّبِيَّان الطَّيِّبان، أيها الصَّبِيَّان اللُّطِيفان!».

وصرخ رورج: «اخلعوا هذه السَّلاسل اللَّعينة!».

تجاهلها جندري، وخاطبها قائلاً: «أنت أولاً، ثم هي، ثم أنا. أسرع، النَّفَق طويل».

تذكَّرت آريا شيئاً، فقالت له: «عندما كنت تقطع الحطب، أين تركت البلطة؟».

أجاب: «عند المأوى»، ثم رمقَ الرِّجال المقيدين بنظرة سريعة وأردف: «كنتُ لأنقذ الحمير أولاً، فليس هناك وقت».

صاحت فيه: «خذها! أخرجها من هنا! أخرجها!».

ضربت النيران ظهرها بأجنحة حمراء محمومة وهي تهرع مغادرة سكير الحظيرة، وفي الخارج كان الجوّ بارداً على نحو جميل حقاً، لكن الرِّجال كانوا يموتون في كل مكان حولها. رأت كوس يُلقى سلاحه ليستسلم، ورأتهُم يقتلونه في مكانه، والدُّخان يُفعم الهواء، ولا أثر لـيورن، لكنها وجدت البلطة حيث تركها جندري إلى جوار كومة الحطب عند المأوى، وإذ حرَّرتها من الخشب امتدَّت يد مغطاة بالحلقات المعدنية تقبض على ذراعها، فدارت آريا غارسة رأس البلطة بين ساقَي الرِّجل، ولم ترَ وجهه حتى، فقط الدَّم الأحمر الدَّاكن الذي سأل بين حلقات قميصه الواقِي. أمَّا العودة إلى الحظيرة فكانت أصعب شيء فعلته في حياتها على الإطلاق. رأت الدُّخان ينصبُّ صباً من الباب المفتوح كأفعى تتلوَّى، وسمعت صرخات الدَّواب المسكينة في الدَّاخِل، الحمير والخيول والرِّجال. ثم إنها مضغت شفتها ومرقت من الباب وقد انحنت إلى حيث لم يكن الدُّخان كثيفاً.

كان أحد الحمير محاصراً بحلقة من النَّار، بصُرخ رُعباً وألماً، وبلغت أنف آريا رائحة شعره المحروق، بينما اشتعل السَّقْف بدوره وتساقطت منه قطع من الخشب المضطرم والقشُّ والتَّبن. وضعت آريا يدها على فمها وأنفها،

ومع أنها لم تستطع أن ترى العربية من فرط الدخان، إلا أن صراخ العضاض المتواصل بلغ أذنيها، لترحف نحو الصوت.

ثم رأت عجلة أمامها، قبل أن تثب العربية وتتحرك نصف قدم وقد ألقى العضاض بنفسه ثانية، محاولاً اقتلاع الأغلال. رآها چاكن، لكن التنفس ذاته كان صعباً، ناهيك بالكلام، فألقت البطلة داخل العربية، ليلقطها رورج ويرفعها فوق رأسه، بينما سألت أنهار من العرق الأسود على وجهه عديم الأنف. كانت آريا تجري الآن وصدرها متهيج بالسعال، وسمعت الفولاذ يضرب الخشب القديم ويضربه ويضربه، وبعد لحظة دوى صوت الانشقاق عالياً كالرعد، وانفصل قاع العربية والشطايا تتفجر منه.

تدحرجت آريا في النفق رأساً لتسقط خمسة أقدام ويدخل الطين في فمها، لكنها لم تُبال، فلا بأس بالمذاق، مذاق الثراب والماء والدود والحياة. تحت الأرض الجوّ بارد وسلام وظلام، وفوقها لا شيء غير الدماء والأحمر الهادر والدخان الخانق وصراخ الخيول المحتضرة. حرّكت حزامها كي لا تعترض «الإبرة» طريقها، وبدأت ترحف، وبعد نحو عشرة أقدام في النفق ترامي إلى مسمعها الصوت كزئير وحش عملاق، ومن ورائها تارت سحابة من الدخان الساخن والغبار الأسود لها رائحة الجحيم ذاته.

كتمت آريا أنفاسها وقبّلت أرض النفق الموحلة وانفجرت باكية، على من لا تدري.



تيريون

لم تكن الملكة مستعدة لأن تنتظر حضور فارس، وقالت ساخطة: «الخيانة في حد ذاتها شيء مُنحط، لكن هذه حقارة سافرة صارخة، ولست أحتاج أن يُخبرني ذلك الخصيُّ المختال بما ينبغي فعله مع الخُقراء».

التقطَ تيريون الرّسالتين من يد أخته وقارَتهما جنبًا إلى جنب. كانت هناك نُسختان، لا يختلف النصُّ في إحداهما عن الأخرى إطلاقًا، وإن كتبت كلاً منهما يد مختلفة.

قال المايستر الأكبر بايسل: «المايستر فرنكن استلم الرّسالة الأولى في قلعة ستوكورث، والنّسخة الثّانية جاءت عن طريق اللورد جايلز».

داعب الإصبع الصّغير لحيته قائلاً: «ما دام ستانيس جشَم نفسه عناء الكتابة لهذين الاثنين، فلا ريب أن كلَّ لوردٍ آخر في الممالك السّبع رأى نُسخة كذلك».

أعلّنت سرسي: «أريدُ أن تُحرق هذه الرّسائل، كلها بلا استثناء، فلا ينبغي أن تَبْلُغ كلمة منها مسامع ابني أو أبي».

ردَّ تيريون بلهجة جافّة: «أعتقد أن أبي سمع أكثر من مجرد كلمة، فمن المؤكّد أن ستانيس أرسل طائرًا إلى كاسترلي روك وآخر إلى هارنهال. أمّا بالنّسبة لحرق الرّسائل، فما الفائدة؟ لقد فات أوان هذا، الأغنيّة ذاعت والتّييز انسكب والعاهرة حبلى. ثم إن المسألة ليست بذلك الشّوء في الواقع».

التفتت إليه سرسي والغضب مشتعل في عينيها الخضراوين، وقالت: «هل

أصابك الخبال أم ماذا؟ ألم تقرأ ما يقوله؟ إنه ينعت ابني بالصَّبي جوفري، ويجرؤ على اتِّهامي بسفاح القُربى والزَّنى والخيانة، أنا!». .

فقط لأنك مُذنبه فعلاً. من المدهش أن يرى كيف تُصدَّر سرسي الانطباع بأنها تميَّز غيظاً من اتِّهاماتٍ تعرف أنها صحيحة تماماً. عليها أن تحترف التَّمثيل إذا خسرت الحرب، إنها موهوبة حقاً. انتظرَ تيريون حتى فرغت، ثم قال: «من الضَّروري أن تكون لستانيس ذريعة يُبرِّر بها تمرُّده. ماذا كنتِ تتوقَّعين أن يَكُتَب؟ جوفري ابن أخي الشرعي، لكنني أنوي أن آخذ العرش على الرغم من ذلك؟».

- «لن أسمح بأن أوصف بالعاهرة!».

عجباً يا أختاه، إنه لم يدع أن جابمي نقدك مآلاً. تظاهرَ تيريون بتفحص المکتوب ثانية. ثمة عبارة مثيرة للاهتمام... «تَمَّ في نور الإله. اختيار غريب للكلمات».

تحنَّح پايسل، وقال: «غالبًا ما تظهر هذه الكلمات في رسائل ووثائق المُدن الحُرَّة، وتعني على سبيل المثال: تَمَّ بشهادة الإله، إله الرُّهبان الحُمُر. إنها الصَّيغة التي يستخدمونها».

قال الإصبع الصَّغير مذكِّراً: «فارس أخبرنا قبل سنوات أن الليدي سيليس صارت على صلةٍ قويَّة براهب أحمر».

نقرَ تيريون على الورق قائلاً: «ويبدو الآن أن السيِّد زوجها هذا حذوها. يُمكننا أن نستخدم هذا ضده. سنحُثُّ الشَّيْتون الأعلى على أن يفضح ستانيس، وكيف انقلبَ على الآلهة كما انقلبَ على ملكه الشرعي».

قالت الملكة بنفاد صبر: «نعم، نعم، لكن ينبغي أولاً أن نمنع هذه القذارات من الانتشار أكثر. يجب أن يُصدِر المجلس مرسومًا يقضي أن يفقد كلُّ من يتكلَّم عن زنى المحارم أو يدعو جوف نغلاً لسانه».

أوماً المايستر الأكبر پايسل برأسه، فصلصَلت حلقات سلسلته، وقال: «إجراء حكيم».

تنهَّد تيريون قائلاً: «بل هي حماقة. عندما تقطع لسان أحدهم، فأنت لا تُثبت أنه كاذب، بل تقول للعالم فقط إنك تخشى ما يتفوّه به».

سألته أخته بالبحاح: «ماذا تُريدنا أن نفعل إذن؟».

- «القليل جدًا. دعهم يتهاَمسون، فسرعان ما سيمَلُون الحكاية. أيُّ أحدٍ يملك ذرَّة عقل سيري أنها محاولة خرقاء لتبرير اغتصاب النَّاج. هل يُقدِّم ستانيس دليلًا؟ أتَى له بدليل بينما لم يحدث شيء من هذا قَطُّ؟». قالها تيريون ومنحَ أخته أعذب ابتساماته.

مرغمة قالت: «هذا صحيح، ولكن...».

شبَّك پيتر بايلش أصابعه، وقال: «أخوك على حق يا جلالة الملكة. إذا حاولنا إسكات الكلام، فلن يُفضي هذا إلَّا إلى صبغِه بالمصداقيَّة، والأفضل أن نتعامل مع تلك الأكاذيب الدَّنيئة بالازدراء الذي يليق بها، ونُكافح النَّار بالنَّار في الوقت الرَّاهن».

رمقته سرسي بنظرة فاحصة وهي تسأله: «أيُّ نوع من النَّار؟».

- «حكاية ذات طبيعةٍ مشابهة ربما، لكن قابلةً للتَّصديق بسهولةٍ أكثر. لقد أمضى اللورد ستانيس معظم سنين زواجه بعيدًا عن زوجته، ولا ألومه في الحقيقة، فقد كنتُ لأفعل المِثل لو كانت الليدي سيليس زوجتي. على كلِّ حال، إذا أدعنا أن بنتها ابنة سِفاح وأن ستانيس ديوث... العامَّة متلهِّفون على تصديق أسوأ الأشياء طُرًّا في لورداتهم، خصوصًا رجل قاسٍ صارم يثور لكرامته مثل ستانيس باراثيون».

قالت سرسي: «إنه لم يكن محبوبًا قَطُّ، هذا صحيح»، وفكَّرت لحظة ثم أضافت: «نردُّ له الدَّين بعمَلته نفسها إذن. نعم، يُعجِّبني هذا. مَنْ نقول إنه عشيق الليدي سيليس؟ إن لديها أخوين على ما اعتقدُ، وأحد أعمامها معها في دراجونستون طيلة الوقت».

- «السير أكسل فلورنت هو أمين القلعة». يكره تيريون أن يُقرَّ بهذا علانية، لكن مكيدة الإصبع الصَّغير واعدة حقًّا. لم يكن ستانيس شغوفًا بزوجه في يوم من الأيام، لكنه شائك جدًّا كالقنْفذ عندما يتعلَّق الأمر بشرفه، كما أنه شكَاك بطبعه. إذا استطاعوا أن يزرعوا الفرقة بينه وبين أتباعه، ستبداً صفوفهم في الانشقاق. «قيل لي إن الصَّغيرة لديها أذنا عائلة فلورنت».

أشارَ الإصبع الصَّغير بخمولٍ مجيِّبًا: «ذات مرَّة قال لي مبعوث تجاري من

ليس إن اللود ستانيس يُحِبُّ ابنته كثيرًا، بما أنه أقامَ لها تماثيل بطول أسوار دراجونستون وعرضها، فقلتُ له: إنها كراجل يا سيّدي!»، وأطلق ضحكةً قصيرةً، وتابع: «قد يصلُح السير أكسل لأن يكون أبا شيرين، لكن حسب تجربتي، فكلما كانت الحكاية غريبة وصادمة أكثر سيكون ترديدها أسهل. ستانيس لديه مهرج غريب حقًا، أبله وجهه مغطى بالأوشام».

فغَرَ المايستر الأكبر بايسل فاه مرتاعًا، وقال: «مؤكّد أنك لا تقصد التلميح إلى أن الليدي سيليس قد تأخذ مهرجًا إلى فراشها».

قال الإصبع الصّغير: «ينبغي أن تكون مهرجًا أحقّق لترغب في أن تُضاجع سيليس فلورنت. لا شك أن ذا الوجه المرقّع ذكرها بستانيس، ثم إن أفضل الكذب علي الإطلاق ما ينطوي على شيءٍ من الحقيقة يكفي لأن يتوقّف سامعه ويُفكّر. يتصادف أن هذا المهرج وفيّ للفتاة لأقصى حدٍّ ويُلازمها كظِّلها، بل وثمة شبه بين الاثنين كذلك، فشيرين وجهها مرقّع وشبه متجمّد كذلك».

قال بايسل حائرًا: «لكن هذا من جرّاء الدّاء الأرمد الذي كاد يقتل المسكينة وهي رضيعة».

- «أفضّلُ حكايتي، وكذا سيُفضّلها العوام. معظمهم يعتقد أنه إذا أكلت امرأة لحم الأرنب وهي حامل، فسيولد طفلها بأذنين طويلتين مرتنين».

ارتسمت على شفتي سرسي الابتسامة التي تحتفظ بها عادةً لجايمي وحده، وقالت: «لورد پيتر، أنت مخلوق لثيم».

- «أشكرك يا جلالة الملكة».

أضاف تيريون بلهجةٍ أقل دفتًا: «وكذاب متمكّن للغاية». هذا الرّجل أخطر مما تصوّرتُ.

التقّت عينا الإصبع الصّغير الخضراوان المائلتان إلى الرّمادي بعيني تيريون غير المتماثلتين، دون أن يلوح فيهما أدنى أثر للاضطراب، وقال: «كلنا لديه مواهبه يا سيّدي».

قالت الملكة المنغمسةً تمامًا في خواطر الانتقام ولم تنتبه لهما: «يديثُ

على زوجته مع مهرج فقد عقله! سيصبح ستانيس أضحوكة في كل حانة على هذا الجانب من البحر الضيق».

قال تيريون: «ينبغي ألا تأتي القصة منا، وإلا سوف تُعامل باعتبارها كذبة تخدم مصالحنا نحن». وهي كذلك بالتأكيد.

مرة أخرى زودهم الإصبع الصغير بالإجابة: «العاهرات مولعات بالنعيم، ويتصادف أنني أملك ماخوزًا واثنين وثلاثة، ولا شك أن فارس يستطيع أن يزرع بذور القصة في الحانات ومحال الأكل».

قالت سرسي مقطبة وجهها: «فارس. أين هو؟».

- «أتساءل عن هذا عن نفسي يا جلالة الملكة».

قال المايستر الأكبر بايسل بجديّة: «العنكبوت ينسج شبابه الخفيفة ليل نهار. إنني لا أثقُ به أيها السادة».

قال تيريون وهو ينزل من على كرسيه: «مع أنه يُطري عليك كثيرًا». الحقيقة أنه يعرف ما يفعله الخصمي الآن، لكنه ليس بالشئ الذي يحتاج بقيّة المستشارين أن يعرفوه. «أستاذكم بالانصراف أيها السادة، فلديّ أعمال أخرى».

ردّت سرسي التي أصابها الشك من فورها: «أعمال تخصّ الملك؟».

- «ليس شيئًا يستحق أن تشغلي نفسك به».

- «دع الحكم لي».

- «أترغبين في إفساد مفاجأتي؟ ثمّة هدبة أصنعها لجوفري، سلسلة

صغيرة».

- «ولم يحتاج سلسلة أخرى؟ إن لديه سلاسل من ذهب وفضة تكفيه

عمره كله. إذا حسبت لحظة أنك تستطيع شراء حُبّ جوف بالهدايا...».

- «موكّد أن الملك يُحبّني كما أحبه تمامًا، لكنني أومن بأنه سيؤثر تلك

السلسلة بالتّحديد على غيرها ذات يوم»، وانحنى الرّجل الصّغير، ثم سار

متمايلًا إلى الباب.

كان برون ينتظره خارج قاعة المجلس، ليصحبه إلى بُرج اليد، وقال وهما

يقطعان السّاحة: «الحدّادون في قاعة الاجتماعات، ينتظرون تشريفك».

- «ينتظرون تشريفي. أحبّ وقع هذه الكلمة يا برون. تكاد تتكلّم كرجل حاشيةٍ حقيقي، وربما أجذك تركع المرّة القادمة».

- «نك نفسك أيها القزم».

- «لديّ شيّاي لأفعل هذا معها». سمعَ تيريون الليدي تاندا تُناديه بمرح من على قمّة السّلالم الملتفّة، فحثّ الخطي متظاهراً بأنه لا يسمعها، وقالَ لبرون: «قلّ لهم أن يُجهّزوا نقّالتي. سأغادرُ القلعة بمجرد أن أفرغ هنا». كان اثنان من إخوة القمر يقفان حراسةً على الباب، فحيّاهما تيريون ببشاشة، قبل أن تتجهّهم ملامحه وهو يرُمق سلالم التّبرج، فالصُّعود إلى مسكنه دائماً ما يُصيب قدميه بألمٍ شديد.

في الدّاخل وجَدَ صبيّاً في الثّانية عشر يفرد ثياباً على الفراش، مرافقه المثير للشّفقة بودريك باين الصّموت الخجول، الذي ما زال تيريون يرتاب في أن أباه ابتلاه به على سبيل الدُّعابة السّمجعة. همهمّ الصّبي وقد خفضَ بصره عندما دلفَ تيريون: «ثيابك يا سيّدي من أجل اجتماعك، والسّلسلة، سلسلة اليد». حتى عندما يستجمع شجاعته ويتكلّم، فلا يستطيع بود أن يرفع عينيه إليك أبداً.

- «عظيم. ساعدني على ارتدائها». كانت الشّرة من المخمل الأسود المغطّى بحلّيّ ذهبيّة على شكل رؤوس أسود، والسّلسلة من الذهب الخالص، عبارة عن حلقة من الأيدي التي تقبض أصابع كلّ منها على معصم الأخرى، وجاءه بود بمعطفٍ من الحرير القرمزي الموشى بالذهبي، مفضّل لئناسب مقاسه، فلم يكن يتعدّى حرمةً قصيرةً إذا ارتداه رجل عادي.

لم تكن قاعة الاجتماعات الخاصّة باليد كبيرةً كقاعة الملك، وتُمثّل مجرد رقعة من رحابة قاعة العرش، لكنّ تيريون يُحبّ ما فيها من البُسط المايريّة ومعلقات الحوائط والألغة التي تبيّنها فيه. أعلنَ وكيله لدى دخوله: «تيريون لانستر، يد الملك». وجَدَ أن هذا أيضاً يروقه، خصوصاً عندما ركع رهط الحدّادين والصّاغة وتجار الحداثد الذين جاء بهم برون بمجرد رؤيته.

دفعَ نفسه إلى أعلى ليجلس على المقعد العالي تحت النّافذة الذهبيّة المستديرة، وأشار لهم بالقيام قائلاً: «أيها المحترمون، أعرفُ أنكم مشغولون،

لذا سأختصرُ الكلام. بود، إذا سمحت»، فناوَّله الصَّبي جوالاً من الخيش، سحبَ تيريون رباطه وقلَّبه، لتسَقُط محتوياته المعدنية على البساط الصُّوف بصوتٍ مكتوم. «جعلتهم يصنعون هذه في ورشة القلعة، وأريدُ ألفاً أخرى مثُلها».

ركعَ واحد من الحدَّادين ليفحص الحلقات الفولاذية الضَّخمة الثلاث المعشَّقة معاً، وقال: «سلسلة هائلة».

ردَّ القزم: «هائلة لكن قصيرة، مثلي إلى حدِّ ما. أرغبُ في واحدةٍ أطول بكثير. ألك اسم؟».

- «يسمُّوني بطن الحديد يا سيِّدي». كان الحدَّاد قصيراً مكتنزاً كبير البطن، يرتدي ثياباً تقليديةً من الصُّوف والجِلد، لكن ذراعيه مفتولتان كعُنق ثور.

- «أريدُ أن تُركِّز كلَّ ورشةٍ في كينجز لاندنج على صنْع الحلقات وربطها، وليوضَّع أيُّ عملٍ آخر جانباً. أريدُ أن ينصبَّ كلُّ رجلٍ يعرف فنَّ تشكيل المعادن على هذه المهمة، سواء أكان صاحب ورشة أم عاملاً أو صبيّاً تحت التَّدريب. عندما أمرُّ من شارع الحديد، أريدُ أن أسمع المطارق تدقُّ نهاراً وليلاً، وأريدُ رجلاً، رجلاً قوياً يُشرف على كلِّ هذا. أأنت هذا الرجل أيها المحترم بطن الحديد؟».

- «قد أكونُ كذلك يا سيِّدي، لكن ماذا عن القمصان الواقية والثبُوف التي تُريدها الملكة؟».

وتحدَّث حدَّاد آخر قائلاً: «جلالتها أمرَّتنا بأن نصنع قمصان الحلقات المعدنية والدُّروع، وسيوفاً وخناجر وفؤوساً بأعدادٍ ضخمة، لتسليح ذوي المعاطف الذهبية الجُدد يا سيِّدي».

- «تلك الأعمال يُمكن أن تنتظر. السُّلسلة أولاً».

قال الحدَّاد المتوتِّر بإصرار: «أستمحلك عذراً يا سيِّدي، لكن جلالتها قالت إن من لا يُحقِّقون الأعداد المطلوبة سَنُحطَّم أيديهم، قالت إنها ستَهشَّم على السُّندان».

سرسي وعذوبتها، دائماً تُجاهد لتجعل العامة يُحبُّوننا. «لا شيء سيحدث ليد أحد، لكم كلمتي».

قال بطن الحديد: «الحديد صارَ شحيحًا، وتلك السِّلْسِلَة ستحتاج كثيرًا منه، بالإضافة إلى الفحم للنَّار».

وعده تيريون: «سيحرص اللورد بايلش على أن تتوفَّر لكم المبالغ المطلوبة». تمنى أن يستطيع الاعتماد على الإصبع الصَّغير في هذا علي الأقل. «سامرُ حرس المدينة بمساعدتكم على إيجاد الحديد. أذيبوا كلَّ حدودِ حصان في المدينة إذا اضطررتم».

تقدَّم رجل أكبر سنًا، يرتدي سُرَّةً ثميَّةً من الإستربق ذات أبازيم من الفضَّة، تحت معطفٍ مبطن بفرو الثَّعلب، وركعَ يفحص الحلقات الفولاذيَّة التي أسقطها تيريون على الأرض، ثم قال بتجهم: «سيدي، هذا عمل غير متقن في أغلب الأحوال، ولا فنَّ فيه. صحيحُ أنه يُناسب الحُدَّادين التَّقليديين، من يَدُقُّون حدود الخيول والقُدور، لكني أستاذ في فنِّ صياغة المعادن إذا سمحَ سيدي، وهذا العمل لا يَصْلُح لي أو لزملائي المحترفين. إننا نصنع سيوفًا حادَّةً كالآغاني، ودروعًا تليقُ بإله، وليس هذا».

مالَ تيريون برأسه جانبًا وسلَّطَ نظرات عينيه غير المتماثلتين على الرَّجل قليلًا، ثم قال: «ما اسمك أيها الأستاذ؟».

- «سالوريون، بعد إذن سيدي. إذا سمحَ لي حضرة يد الملك، سيُسَرِّفني أن أصنع له دِرْعًا تليقُ بعائلته ومنصبه الرَّفيع». أطلقَ اثنان من الآخرين ضحكةً مكبوتةً، لكن سالوريون اندفعَ مواصلاً دون أن يلتفت لهما: «من الصَّفائح والأقراص المعدنيَّة على ما أظنُّ، الأقراص مذهَّبة وضَّاءة كالشَّمس، والصَّفائح مطليَّة بلون لانستر القرمزي القاني، وأقترحُ أن تكون الخوذة على شكل رأس شيطان، يُتَوَّجها قرنان ذهبيَّان طويلان. عندما تدخُل ساحة المعركة، سيصرُخ الرِّجال ويفرُّون خوفاً».

قال تيريون لنفسه بضيق: رأس شيطان، ما الذي يقوله هذا عني؟ «أيها المحترم سالوريون، إنني أنوي أن أخوض بقيَّة معاركي من على هذا المقعد. ما أحتاجه هو الحلقات وليس قرون الشَّياطين. دعني أقولُ لك الخلاصة: سوف تصنع السِّلْسِلَة، أو ترتدي سلسلَة، الخيار لك»، ونهَضَ مغادرًا المكان دون أن يُلقي نظرةً واحدةً وراءه.

كان برون ينتظر عند البوابة مع النقالة وفرقة من رجال الأذان السوداء بخيولهم، وقال له تيريون بعد أن ساعده على الركوب: «تعرف وجهتنا». لقد فعل غاية ما في وسعه ليُطعم المدينة الجائعة، فكلف عدة مئات من النجارين ببناء قوارب الصيد بدلاً من المجانيق، وفتح غابة الملوك لأي صياد يجسر على عبور النهر، بل وأرسل ذوي المعاطف الذهبية لجمع ما يصلح للأكل غرباً وجنوباً... ومع ذلك لم يزل يرى نظرات الاتهام في الأعين أينما ذهب. على أن ستائر النقالة تقيه النظرات، كما تمنحه متسعاً للتفكير.

تأمل تيريون أحداث هذا الصباح وهم يشقون طريقهم بتزودة عبر زقاق الظلة السوداء إلى سفح تل إجون العالي. غضبة أخته أعمتها عن رؤية أهمية رسالة ستانيس باراثيون الحقيقية، فاتهاماته لا تعني شيئاً بلا دليل، بينما ما يهم فعلاً أنه يُسمي نفسه ملكاً. فما الذي سيفعله رنلي إزاء هذا إذن؟ إنهما لن يجلسا معاً على العرش الحديدي بالطبع.

بحركة فاترة أراح الستار بعض الشيء صانعاً فرجة يرى منها الشوارع. كان رجال الأذان السوداء يركبون على جانبيه وقد أحاطت فلاتاتهم البشعة بأعناقهم، بينما تقدّمهم برون ليفسح الطريق. راقب تيريون المارة الذين يُراقبونه، وبدأ يلعب لعبة صغيرة مع نفسه، محاولاً أن يفرز الجواسيس من البقية. غالباً أكثر من يبدو مثيراً للريبة بريء، أمّا من تبدو عليهم البراءة فهم من يجب أن أتوخى الحذر منهم.

كانت وجهته تقع وراء تل رينس، والشوارع مزدحمة، ففات ما يقرب من الساعة قبل أن تتوقف النقالة أخيراً، وكان تيريون قد غفي، لكنه استيقظ فجأة مع سكون الحركة، وفرك عينيه واتكأ على يد برون لينزل.

ارتفع البناء طابقين، السفلي من الحجارة والعُلوي من الخشب، واحتل إحدى الزوايا بُرج مستدير صغير، بينما طلي عدد كبير من النوافذ بالزجاج، وعُلّق مصباح دائري مزخرف من الحديد المذهب والزجاج القرمزي فوق الباب.

قال برون: «إنه ماخور. ماذا تنوي أن تفعل هنا؟».

- «ما الذي يفعله الناس عادة في المواخير؟».

ضحك المرتزق وقال: «ألا تكفيك شاي؟».

- «كانت جميلةً بالنسبة لتابعة معسكرات، لكني لم أعد في المعسكر. شهية الرجال الصغار كبيرة، ويُقال لي إن الفتيات هنا يلقن بملك».

- «هل كبر الصبي بما فيه الكفاية؟».

- «ليس جوفري، بل روبرت. هذا المكان كان مفضلاً لديه للغاية». مع أن جوفري قد يكون كبيراً بما فيه الكفاية. فكرة مثيرة للاهتمام. «إذا أردت أنت والآذان السوداء أن تقضوا وقتاً طيباً، فلا بأس، لكن فتيات شاتايا باهظات الثمن. ستجدون بيوتاً أرخص بطول الشارع. اتركوا رجلاً واحداً هنا يعرف أين يجد الآخرين عندما أقرر العودة».

قال برون بينما ارتسمت ابتسامات واسعة على وجوه رجال الآذان السوداء: «كما تقول».

في الداخل استقبلته امرأة طويلة القامة ترتدي ثوباً من الحرير الهفاهف، بشرتها بلون الأبنوس وعيناها بلون خشب الصندل، وقالت منحنية بشدة: «أنا شاتايا، وأنت...».

- «دعينا لا نمارس عادة تبادل الأسماء، فالأسماء شيء خطير». كان الهواء يعبق برائحة نوع غريب من التوابل، بينما عرضت الأرضية من تحته لوحة مرسومة بالفسيفساء لامرأتين تتطازحان الغرام. «لديك منشة تسر الأنفس».

- «لقد اجتهدت طويلاً لأجعلها هكذا. يسعدني أن حضرة اليد مسرور».

كان صوتها كهراً ماناً سائلاً، منكمهاً بلكنات جزر الصيف النائية.

قال نيريون بصرامة: «الألقاب خطيرة كالأسماء. أرني بعضاً من فتياتك».

- «من أقصى دواعي سعادتي أن أفعل. ستجدهن شديداً العذوبة بقدر ما هن جميلات، وتمرّسات في كل فنون الهوى»، وتحركت شاتايا بخفة تاركة تيريون يمشی متمايلاً وراءها بأقصى سرعة تقدر عليها ساقاه، اللتان لا تتجاوزان نصف ساقها طولاً.

من وراء الساتر المايري المزخرف المنقوش بأشكال الزهور وأوضاع العشق والفتيات الحالمات، حدّقا دون أن يراهما أحد في أرجاء القاعة العائمة، حيث يعزف رجل عجوز نغمة مرحة على المزمار، بينما في فجوة

مبطّنة بالوسائد يُهزّز تايروشي سكران أرجواني الشَّعر فتاةً يافعةً عامرة الصُّدر وقد أجلسها على رُكبتيه. كان قد خلَعَ صِدارها، ويُملِّل كأسه ليصبَّ خيطًا رقيقًا من النِّيد على ثدييها ليلعقه عنهما. فتاتان أخريان كانتا تلعبان البلاطات إلى جوار واحدة من التّوافذ المطليّة بالرّصاص، منهما ذات النَّمش التي ترتدي سلسلة من الزُّهور الزُّرقاء في شَعرها العسلي، والأخرى بشرتها ملساء سوداء كالسَّبَج المصفول، لها عيانان واسعتان داكنتان ونهدان صغيران مدبّيا التَّكوين. ارتدّت الاثنتان بدورهما غلاتين من الحرير الهفّاف المثبّت عند الخصر بحزام مرصّع بالخرز، وحدّد نور الشَّمس المنصبُّ من زجاج النّافذة الملوّن جسديهما الشّابيين الجميلين من خلال النّسيج الخفيف، ما جعلَ تيريون يشعُر بحركة بين ساقيه. قالت شاتايا: «مع احترامي، أقترحُ أن تخنار داكنة البشرة».

- «إنها صغيرة».

- «سِتُّها ستّة عشر عامًا يا سيّدي».

حدّث نفسه مسترجعًا ما قاله برون: سنٌ مناسبة لجوفري. أول امرأةٍ عاشرها كانت أصغر من هذا. تذكّر تيريون كيف بدا عليها الخجل وهو يسحب فُستانها من فوق رأسها أول مرّة. شعر أسود فاحم وعيان زرقاوان يُمكنك أن تغرق فيهما، ولقد غرق، منذ زمنٍ طويل للغاية... يالك من أحقّ بائس أيها القزم. «أهذه الفتاة من ديارك؟».

- «الصَّيف يجري في دمها يا سيّدي، لكن ابتي وُلِدَت هنا في كينجز لاندنج». لا بُدَّ أن دهشته تجلّت على وجهه، لأن شاتايا تابعت: «يؤمن قومي بأن لا عار هنالك في بيوت الهوى. في جُزر الصَّيف يلقي البارعون في منح المُنع أعظم التّقدير، وكثيرون من شباب عليّة القوم من الذكور والإناث يخدمون بضع سنواتٍ بعد البلوغ لتكريم الآلهة».

- «ما علاقة الآلهة بالأمر؟».

- «الآلهة خلّقت أجسادنا كما خلّقت أرواحنا، أليس كذلك؟ وأعطينا الأصوات كي نتعبّد لها بالأغاني، والأيدي كي نُشيد لها المعابد، وكذا أعطتنا الرّغبة كي نتزوّج ونعبّدها بهذه الطّريقة أيضًا».

قال تيريون: «ذكريني أن أخبر السّتون الأعلى. لو كنت أستطيع التّعبّد بقضيبي، لصرتُ أكثر تدبُّنًا بكثيرٍ»، ولوّح بيده مضيقًا: «يُسعدني أن أقبل اقتراحك».

- «سأستدعي ابنتي. تفضّل».

قابَلته الفتاة عند بداية السّلالِم. كانت أطول قامَةً من شاي، وإن لم تُناهز أمّها طولًا، فأنحنت كي يستطيع تيريون تقييلها. قالت بصوتٍ يحمل لمحةً خفيفةً للغاية من لكنة أمّها: «أنا أليايا. تفضّل يا سيّدي»، وأخذته من يده وصعدت به سلّمين، ثم قادته عبر رواقٍ طويل. تردّد شهيق وأنين المُتعة من وراء أحد الأبواب المغلقة، والضّحك والهمس من وراء آخر، وشعر تيريون بذكره يضغط على أربطة سراويله. سيكون هذا مهينًا، قال لنفسه وهو يصعد سلّمًا آخر وراء أليايا إلى عُرفة البرج، حيث كان باب واحد قادته عبره وأغلّفته. في الدّاخل وجد سريرًا مغطى بالسّتائر، وضّوان ملابس طويلاً مزينا بنقوش لأوضاع حميمة، ونافذة ضيّقة من الرّجاج المطلي بالرّصاص، رُسِمَت عليه ماسات حمراء وصفراء منتظمة.

قال لها تيريون عندما انفرد بها: «أنت جميلة جدًّا يا أليايا، من قَمّة رأسك إلى أخمص قدميك كلُّ جزءٍ منك ساحر، لكن أكثر جزءٍ يهمني الآن هو لسانك».

- «سيجد سيّدي أن لساني ممرّن تمامًا. في صغري تعلّمت متى أستخدمه ومتى لا أفعل».

قال تيريون مبتسمًا: «يسرّني هذا. ماذا سنفعل الآن إذن؟ أليديك اقتراحات؟».

- «نعم. إذا فتح سيّدي الضّوان، سيجد ما يبحث عنه».

لثم تيريون يدها ودخل إلى الضّوان الخاوي، فأغلّقت أليايا الباب وراءه، وتحسّس هو اللّوح الذي يُشكّل ظَهر الضّوان، ولمّا شعر به ينزل تحت أصابعه، أراحه جانبًا. كان الفراغ الواقع وراء الضّوان حالك الظلمة، لكنه تلمّس الهواء أمامه حتى وقعت يده على شيء معدني، فأطبقت على درجة السّلّم الأولى، ثم إنه وجد الدّرجة الثّانية بقدمه، وبدأ ينزل.

تحت مستوى الشارع انفتحت البئر على نفقٍ ثرابي، حيث وجدَ فارس في انتظاره حاملًا شمعةً.

لم يبدُ فارس كنفسه على الإطلاق. من تحت خوذته الفولاذية ذات الريشة المحززة لآخ وجه تعلوه الندوب ولحية داكنة خشنة، وكان يرتدي الحلقات المعدنية فوق الجلد المقوى بالزيت المغلي، ومن حزامه تدلَّى خنجر وسيف قصير. قال لتيريون: «هل أرضتكَ شاتايا يا سيدي؟».

- «أكثر من اللازم. أأنت واثق بأن هذه المرأة يُعتمد عليها؟».

قال فارس: «لا أثقُ بشيءٍ في هذا العالم المتقلب الخداع يا سيدي، لكن شاتايا لا تملك سببًا يدفعها إلى حُبِّ الملكة، وتعرف أن الفضل يعود لك في تخليصها من آلا رديم. هيا بنا؟»، وتحرك إلى مخرج النَّفق.

حتى مشيته مختلفة. كانت رائحة التَّيِّد الرَّخيص والثَّوم عالقَةً بفارس بدلًا من عبير زهور الحُزامي. قال له وهما يمضيان: «أحبُّ ثيابك الجديدة».

- «العمل الذي أزاوله لا يُتيح لي الحركة في الشوارع بين صفين من الفُرسان، لذا اتَّخذُ مظهرًا أنسب عندما أغادرُ القلعة، ومن ثمَّ أعيش لأخدمك مدةً أطول».

- «الجلد يليق بك. يجدرُ بك أن تحضر اجتماع المجلس القادم في هذه الصورة».

- «لن ترضى أختك عن هذا سيدي».

قال مبتسمًا في الظلام: «كانت أختي لُتَبَّل ثيابها. بالمناسبة، لم أر أثرًا لجواسيسها إثري».

- «يُسعدني أن أسمع هذا يا سيدي. بعض مأجوري أختك يتمنون لي أيضًا دون دراية منها، وأكره أن يتصرَّف أحدهم بإهمال قُبْري».

- «وأنا أكره أن أدرس نفسي في صُوانٍ وأعاني رغبةً بلا إشباع دون طائل».

قال فارس مُطمئنًا: «ليس دون طائل أبدًا. إنهم يعرفون أنك هنا. لا أدري إن كان أحدهم سيتحلَّى بالجرأة الكافية ليدخل ماخور شاتايا متظاهرًا بأنه زبون، لكنني أوتِّر المغالاة في الحذر على التَّهاوُن فيه».

- «كيف يضمُّ ماخور مدخلًا سرِّيًّا؟».

- «النَّفَقُ حُفِرَ لِيَدِ مَلِكٍ آخَرَ، لَمْ يَسْمَحْ لَهُ شَرْفُهُ بِدُخُولِ مَكَانٍ كَهَذَا عَلَانِيَةً. شَانَايَا تَكْتُمُ سِرًّا وَجُودَهُ بِبِرَاعَةٍ».

- «لَكِنَّكَ عَرَفْتَ بِوُجُودِهِ عَلَى الرَّغْمِ مِنْ ذَلِكَ».

- «الطُّيُورُ الصَّغِيرَةُ تُحَلِّقُ فِي عَدِيدِ الْأَنْفَاقِ الْمَظْلَمَةِ. احْذَرِ، فَالذَّرَجَاتُ مُنْحَدَرَةٌ».

خَرَجَا مِنْ بَابٍ أَقْفَى فِي مَوْخِرَةِ اسْطَبْلِ، وَقَدْ قَطَعَا مَا يَقْرُبُ مِنْ ثَلَاثَةِ شَوَارِعَ تَحْتَ تَلٍّ رَيْسٍ. صَهْلَ حِصَانٍ فِي مَرِبَطِهِ عِنْدَمَا صَفَّقَ تِيرِيُونُ الْبَابَ، وَأَطْفًا فَارَسَ الشَّمْعَةَ وَوَضَعَهَا عَلَى عَارِضَةِ خَشَبِيَّةٍ، يَبْنِيهَا تَطْلُعُ تِيرِيُونُ حَوْلَهُ. احْتَلَّ الْمَرَابِطُ بِغُلٍّ وَثَلَاثَةِ خِيُولٍ، فَدَنَا مِنَ الْحِصَانِ الْأَرْقَطِ وَأَلْقَى نَظْرَةً عَلَى أَسْنَانِهِ، ثُمَّ قَالَ: «عَجُوزٌ، وَأَعْتَقَدُ أَنَّهُ يُعَانِي مِنْ غَازَاتِ الْبَطْنِ».

أَجَابَ فَارَسٌ: «لَيْسَ حِصَانًا تَمْتَطِيهِ فِي الْمَعْرَكَةِ بِالتَّأَكِيدِ، لَكِنَّهُ سَيَصْلُحُ، وَلَنْ يَلْفِتَ الْإِتْبَاهَ، عَلَى عَكْسِ غَيْرِهِ. وَعُمَلَالُ الْاسْطَبْلِ لَا يَرُونَ أَوْ يَسْمَعُونَ غَيْرَ الْحَيَوَانَاتِ»، وَالتَّقَطَّ الْخَصِيُّ مَعْطَفًا مَعْلَقًا عَلَى وَتْدٍ، فَوَجَدَهُ تِيرِيُونُ رُتًا خَشِنًا لَوَحَتْ الشَّمْسُ لَوْنُهُ، لَكِنْ وَاسِعًا لِلْغَايَةِ، وَعِنْدَمَا قَالَ فَارَسٌ: «اسْمَحْ لِي»، وَوَضَعَهُ عَلَى كَتْفَيْ تِيرِيُونٍ، فَابْتَلَعَهُ الْمَعْطَفُ تَمَامًا، وَكَانَتْ قَلْبَسُوتُهُ تَكْفِي لِإِغْرَاقِ وَجْهِهِ فِي الظَّلَالِ. قَالَ فَارَسٌ وَهُوَ يُعَدِّلُ الْمَعْطَفَ عَلَيْهِ: «النَّاسُ يَرُونَ مَا يَتَوَقَّعُونَ أَنْ يَرَوْهُ. الْأَقْرَامُ لَيْسُوا بِالْمَشْهَدِ الْمَعْتَادِ كَالْأَطْفَالِ، لَذَا سِيرُونَ طِفْلًا، صَبِيًّا فِي مَعْطَفٍ قَدِيمٍ يَجْلِسُ عَلَى حِصَانِ أَبِيهِ وَيُسَاعِدُهُ فِي عَمَلِهِ. عَلَى كُلِّ حَالٍ مِنَ الْأَفْضَلِ أَنْ تَأْتِيَ لِيَلًا عَادَةً».

- «هَذَا مَا أَنُوِيهِ... بَعْدَ الْيَوْمِ. أَمَّا الْآنَ فَسَيَايَ تَنْتَظِرُنِي». كَانَ قَدْ أَسْكَنَهَا إِيوَانًا مَسُورًا فِي أَقْصَى شِمَالِ الْمَدِينَةِ الْغَرْبِيَّةِ، عَلَى مَقْرَبَةٍ مِنَ الْبَحْرِ، لَكِنَّهُ لَمْ يَجْرَوْا عَلَى زِيَارَتِهَا هُنَاكَ خَشْيَةً أَنْ يَكُونَ مَتْبُوعًا.

- «أَيُّ حِصَانٍ سَتَرْكَبُ؟».

هَزَّ تِيرِيُونُ كَتْفَيْهِ مَجِيئًا: «لَا بِأَسْ بِهِذَا».

أَنْزَلَ فَارَسٌ سَرَجًا وَلِجَامًا مِنْ عَلَى وَتْدٍ، وَقَالَ: «سَاجِهْهُ لَكَ». عَدَّلَ تِيرِيُونُ الْمَعْطَفَ عَلَى كَتْفَيْهِ، وَذَرَعَ الْاسْطَبْلَ بِتَوَثُّرٍ قَائِلًا: «فَاتَّكَ جَلْسَةُ سَاخِنَةٍ حَقًّا. سَتَانِيسُ تَوَجَّعَ نَفْسَهُ عَلَى مَا يَبْدُو».

- «أعرف».

- «وبئهم أخي وأختي بزنى المحارم. تُرى كيف راودته هذه الشُّكوك؟».

- «لعله قرأ كتابًا وألقى نظرةً على شعر صبيّ نغل، مثلما فعلَ ند ستارك ومن قبله چون آرن، أو لعل أحدهم همسَ شيئًا في أذنه».

- «أحد مثلك ربما؟».

- «أنا محطُّ ريبة؟ لا، لم يكن أنا».

- «وهل تُقرُّ بهذا لو كان أنت؟».

- «كلا، لكن لم أفشي سرًّا احتفظتُ به زمنا طويلاً؟ أن تخدع ملكًا مسألة،

بينما الاختباء من الصُّرصور بين ثايا البساط أو من الطائر في المدخنة مسألة أخرى تمامًا. ثم إن الثُّغول كانوا موجودين دائمًا على مرأى من الجميع».

- «نغول روبرت؟ ماذا عنهم؟».

قال فارس وهو يُبَيِّت السَّرج بصعوبة: «لقد أنجبَ ثمانيةً على حدِّ علمي، أمهاتهم كان شعرهن بلون الثُّحاس والعسل والكستاء والزُّبد، بينما جاء الصُّغار كلهم بشعر أسود كالغِدْفان... وجلبوا الحَظَّ العائر معهم مثلها كذلك. هكذا عندما انزلتُ كلَّ من جوفري ومارسلا وتومن من بين فخذي أختك بشعر ذهبيٍّ كالشَّمس، لم يكن إدراك الحقيقة عسيرًا».

هَزَّ تيريون رأسه مستاءً. لو أنها ولدت طفلًا واحدًا فقط من زوجها، لكان هذا كافيًا لضحد الشُّكوك... لكن لما كانت سرسي عندئذٍ. «إذا لم تكن أنت ذلك الواشي، فمَن؟».

شدَّ فارس حزام السَّرج قائلاً: «خائن ما لا شك».

- «الإصبع الصَّغير؟».

- «لم أذكر أيَّ أسماء».

ترك تيريون الخصيَّ يُساعده على الرُّكوب، ثم قال من فوق ظهر الحصان: «لورد فارس، أحيانًا أشعرُ أنك أفضل أصدقائي في كينجز لاندينج على الإطلاق، وأحيانًا أشعرُ أنك ألدُّ أعدائي».

- «غريب حقًا. هذا ما أشعرُ به حيالك بالضُّبط أيضًا».



بران

فتحَ عينيه قبل أن تتسلَّلَ خيوط الضَّوء الشَّاحِبِ الأوَّلَى من خِصاصِ نافذته بفترةٍ طويلةٍ.

في ويتترفل ضيوف، زائرون جاءوا من أجل احتفال عيد الحصاد، ما يعني أنه سيحدثهم يُبارزون طواويس التَّدريب في السَّاحة هذا الصَّبَّاح، الفكرة التي كانت لتملأه حماسةً في الماضي، لكن ذلك كان قبل ما حدث، وليس الآن. سوف يتمرَّن الصَّبَّيَّان والدر بالزَّمامح مع مُرافقِي فُرسان اللورد ماندرلي، لكن بران لن يُشارك، فعليه أن يلعب دور الأمير في غُرفة أبيه، وكما قال المايستر لوين: «أصغ لما يُقال، فعسى أن تتعلَّم معنى السَّيادة الحقيقي».

لم يَطْلُبْ بران قَطُّ أن يكون أميرًا، فالْفُروسية الشَّيء الوحيد الذي طالما حلَّم به، الدُّروع اللَّامعة والرَّايَات الخَفَّاقة، والحِرَاب والشُّيُوف، وجِوَاد حربي بين ساقيه. لِمَ إذن ينبغي عليه أن يجلس ويسمع رجالًا مسنَّين يتكلَّمون عن أشياء لا يفقه نصفها؟ ذَكَرَه الصَّوْت القادم من داخله: لأنك مكسور. من الممكن أن يكون هذا اللورد أو ذاك قعيْدًا على كرسيه الوثير، والوالدران قالا إن جدَّهما شديد الوهن لدرجة أنهم يحملونه في كُلِّ مكانٍ على نَقَّالة، لكن من المُحَال أن ينطبق الشَّيء نفسه على فارسٍ يمتطي حصانًا، كما أن عليه أن يودِّي واجبه. «أنت وريث أخيك وابن ستارك في ويتترفل»، قال السيد رودريك مذكِّرًا إياه بأن رُوب اعتادَ الجلوس مع السيّد والدهما كلما أتى حَمَلة رايته للزَّيَّارة.

وصلَ اللورد وإيمان ماندرلي من الميناء الأبيض قبل يومين، وقد سافرَ

بالصَّندل ثم النَّقَّالة، لأنه أَسْمَنُ من أن يحتمل حصان جلوسه عليه، ومعه جاء عدد ضخَم من الأتباع، فُرسان ومُرافِقوهم، ولوردات وليديهاة أَقْلُ منزلةً، وحُجَّاب وموسيقيُّون، بل وحاوٍ كذلك، يتألَّفون جميعًا تحت راياتهم وفي ثيابهم التي تألَّفت من نصفمئةٍ من الألوان كما تبدَّى لبران، الذي رَحَّبَ بهم في ويترفل وهو جالس على مقعد أبيه العالي ذي الذَّراعين المنحوتتين كذئبين رهيبين. بعدها قال له السير رودريك إنه أبلى بلاءً حسنًا، ولو انتهى الأمر عند ذلك الحدِّ لما وجدَ مانعًا، لكنها كانت البداية فحسب.

قال السير رودريك شارحًا: «الاحتفال حُجَّةٌ لا بأس بها للزَّيارة، لكن لا أحد يُسافر مسافة مئة فرسخ من أجل قطعةٍ من لحم البطِّ ورشفةٍ من النبيذ. فقط مَن لديهم مسائل ذات أهميَّة يعرضونها علينا سيقطعون الرِّحلة».

رفع بران عينيه إلى السَّقف الحجري الخشن وحدَّق فيه. إنه يعرف أن روب كان ليقول له ألاَّ يتصرَّف بطفوليَّة، ويكاد يسمعه يقولها بالفعل، ويسمع السيّد والدهما كذلك. الشَّقاء قادم، وأنت تكاد تُصبح رجلًا بالغًا يا بران، وعليك واجبات.

عندما دخل هودور مُحدثًا الضَّجة المعتادة وهو يتسم ويُدندن بلا لحن، وجدَ الصَّبي مستسلمًا لمصيره، وعاونَه على الاغتسال وتصفيف شعره. قال له بران أمرًا: «الشُّترَةُ الصُّوف البيضاء اليوم، والدُّبُّوس الفضي. سيُرِيدني السير رودريك أن أبْدو كالسَّادة». يُفَضِّل بران أن يرتدي ثيابه بنفسه قدر المستطاع، لكن يُثير غيظه أنه لا يستطيع أن يفعل بضعة أشياء الآن، مثل وضع سراويله أو ربط حذائه، ما يتمُّ بسرعةٍ أكبر بمساعدة هودور، الذي يُمارس أيَّ شيء يُيسِّر عندما يتعلَّمه، ودائمًا ما كانت يدها رقيقتين على الرغم من قوَّته المدهشة. قال له بران: «أراهنُ أنك كنت لتُصبح فارسًا أيضًا. لو لم تسليك الآلهة عقلك، لأصبحت فارسًا عظيمًا».

رمقه هودور بعينه البَيَّيْنين ساذجتي النَّظرات، وقال: «هودور؟»، دون أن يلوح فيهما أثر للفهم.

قال بران مشيرًا: «نعم، هودور».

على الحائط إلى جوار الباب عُلقَت سلَّة مصنوعة بإحكام من الأماليد

المجدولة والجلد، وفيها فتحتان لساقَي بران. دَسَّ هودور يديه في الأربطة
وَشَدَّ الحزام العريض حول صدره، ثم رَكَعَ إلى جوار الفِراش، فاستعانَ بران
بالقضبان المثبتة في الحائط، ليحمل نفسه وهو يُلقِي ساقيه الميتين في السلة
وعبر الفتحتين. كرَّر هودور وهو ينهض: «هودور». يُنَاهِز صَبِيَّ الاسطبل
الأقدام السبعة طولاً، وعليَّ ظَهره يكاد رأس بران يحثك بالسَّقْف. ذات مرَّة
سَمَّ هودور رائحة الخُبْز الطازج، فاندفعَ بجري إلى المطابخ، وأصيبَ بران
بخبطةٍ عنيفة، حتى إن المايستر لوين اضطرَّ لأن يخيِّط فروة رأسه. بعدها
أعطاه ميكن خوذةً قديمةً صدئةً بلا مقدِّمة من مستودع السَّلاح، لكن نادراً ما
ارتداها بران، فالوالدران يضحكان كلما رأياها على رأسه.

أراحَ يديه على كتفي هودور وهما ينزلان السلالم الملتفة، وفي الخارج
كانت أصوات الشُيوف والدُّروع والخيول تَرُنُّ بالفعل في السَّاحة، صانعةً
مقطوعةً عذبةً من الموسيقى. سألتني نظرةً، نظرةً سريعةً لا أكثر.

سوف يظهر صغار لوردات الميناء الأبيض في ساعةٍ لاحقةٍ من النَّهار مع
فُرسانهم ورجالهم المسلَّحين، وحتى ذلك الحين تنتمي السَّاحة لمُرافقيهم،
الذين تتراوح أعمارهم من العشرة إلى الأربعين. تمنَّى بران بكلِّ جوارحه لو
أنه واحد منهم، لدرجة أن بطنه أَلَمه من فرط الاشتياق.

في السَّاحة نُصِبَ طاووسان، كلُّ منهما عبارة عن عمودٍ سميك يُبْنَى
عارضةً متقاطعةً دَوَّارة، في أحد طرفيها تُرس وفي الثاني رُمح من البطانة،
وقد طُلِيَ التُّرسان بالأحمر والذهبي، وإن بدا أسداً لانسِتر المرسومان عليهما
سمينين وغير منتظمي التَّكوين، وشوَّهتهما بالفعل الضَّرَبات الأولى التي
هَوَّت عليهما. جذبَ مشهد بران في سلَّته أنظار من لم يروه سابقاً، لكنه تعلَّم
أن يتجاهل النِّظرات، وعلى الأقل يتمتَّع بالإطلاع على منظرٍ جيِّدٍ من مكانه
هذا على ظَهر هودور، إذ يرتفع فوق الجميع. رأى الصَّبَّيين والدرِ يمتطيان
حصانيهما، وكانا يرتديان الدَّرعين الممتازين اللتين أتيا بهما معهما من
«التَّوأمين»، المصنوعتين من الصَّفائح المعدنية المطليَّة بالفضَّة البرَّاقة،
والمزيَّتين بنقوش زرقاء. اتَّخذت ريشة خوذة والدر الكبير شكل قلعة، بينما
فَضَّل والدر الصَّغير شريطاً من الحرير الأزرق والرَّمادي، كما أن تُرسيهما

والشُعارين على سُترَنيهما ساعدوا على التَّمييز بينهما، فاخْتَارَ والدر الصَّغير شعارًا يتألَّف من بُرجي فراي التَّوأمين مع خنزير عائلة جدَّته البرِّي المخطط وحارث عائلة أمِّه، كراكهول وداري على التَّوالي، بينما تَكُونُ شعار والدر الكبير من شجرة وغدْفان عائلة بلاكوود وتُعباني عائلة پايج المصفورين معًا. قال بران لنفسه وهو يُراقِبُهما يلتقطان الرِّماح: لا بُدَّ أنهما ظامان للاحترام حقًّا، بينما لا يحتاج ابن ستارك غير ذنبه الرَّهيب. حصاناهما المرقَّطان سريعان وقويَّان ومدربان أحسن تدريب، وانقضَّ الاثنان بهما جنبًا إلى جنب على الطَّاووسين، ليُصيب كلاهما تُرسه بضربة نظيفة ويمرُّ بسرعة قبل أن يدور الرُّمح على المحور ويُصيبه. سدَّد والدر الصَّغير الضَّربة الأقوى، وإن خطرَ لبران أن تحكُم والدر الكبير في حصانه بدا أفضل. كان ليُضَحِّي بساقيه عديمتي الفائدة مقابل فُرصة أن يُواجه أيهما.

ألقي والدر الصَّغير رُمحه المهشَّم جانبًا، ثم لمَح بران فتقدَّم منه بالحصان، وأشار لهودور قائلاً: «يا له من حصانٍ قبيح!».

قال بران: «هودور ليس حصانًا».

وقال هودور: «هودور».

دنا والدر الكبير لينضمَّ إلى ابن عمِّه، وقال: «إنه ليس ذكيًّا كالحصان، هذا مؤكَّد»، فلكرَّ عدد من صِبية الميناء الأبيض بعضهم بعضًا وضحكوا. نقلَ هودور بصره بأسارير متهلَّلة من فراي إلى فراي غير واعٍ لاستهزائهما به، وهمهم: «هودور. هودور. هودور هودور؟».

أطلقَ حصان والدر الصَّغير صهيلًا، فقال ضاحكًا: «أترى؟ إنهما يتبادلان الكلام. لعلَّ هودور تعني «أحبُّك» بلُغة الخيول».

شعرَ بران بالدَّماء تصعد إلى رأسه، وصاح: «صمتًا يا فراي!».

تقدَّم والدر الصَّغير بحصانه أكثر ليدفع هودور إلى الورا بعض الشَّيء، وسألَ بران: «وماذا ستفعل لو لم أصمت؟».

قال والدر الكبير محدِّثًا: «سيُطلقُ ذنبه عليك يا ابن العم».

- «دَعه يُطلقه. لطالما أردتُ معطفاً من فراء الذئب».

قال بران: «سمر سيُمزَّق رأسك السمين».

ضربَ والدر الصَّغير واقبي صدره بقبضته، وقال ساخراً: «هل يملك ذئبك أسناناً من الفولاذ يخرق بها المعدن؟».

- «كفى!». دَوَّى صوت المايستر لوين فجأة ليعلو فوق ضجيج السَّاحة ويشقُّ الهواء كلَّسانٍ من البرق. لا يدري بران كم سمعَ مما قيل... لكن من الواضح أنه يكفي لإشعال ثورته. «هذه التَّهديدات لا تليق، ولن أسمع المزيد منها. أهكذا تتصرَّف في «التَّوأمين» يا والدر فراي؟».

رمقه والدر الصَّغير من فوق حصانه بنظرة عابسة، وأجاب: «إذا أردتُ»، كأن لسان حاله يقول: أنت مجرد مايستر. مَنْ أنت لتفزعَ واحداً من أولاد فراي سادة المعبر؟

قال المايستر: «لكنه ليس السُّلوك الذي ينبغي أن يتَّبعه ربيب لليدي ستارك في وينترفيل. والآن، كيف بدأ كلُّ هذا؟»، ونقلَ عينيه من صبيٍّ إلى آخر، وأضاف منذراً: «سيُخبرني أحدكم، وإلا أقسم أن...».

أسرع والدر الكبير يعترف وقد بدا عليه شيء من الخجل على الأقل: «كنا نُداعِب هودور. اعتذروا إذا أسأنا للأمير بران. كنا نقصد المرح فقط». أمّا والدر الصَّغير فبدا عليه التذمُّر وهو يقول: «وأنا، كنتُ أقصدُ المرح فقط».

استحالَ لون البُقعة الصَّلعاء على رأس المايستر إلى الأحمر، ليشي بأن غضبته تفاقمت في الحقيقة، وقال للصَّبيين فراي: «اللورد الصَّالح يُعين ويحمي الضُّعفاء والعاجزين، ولن أسمح لكما بأن تجعلا هودور موضوعاً للدُّعابات القاسية، مفهوم؟ إنه صبيٌّ طيِّب القلب ومطيع ومخلص، وهذا أكثر مما أستطيع أن أقوله عن أيكما»، ثم لَوَّح بإصبعه في وجه والدر الصَّغير، وتابع: «وأنت ستبقى بعيداً عن أيكة الآلهة وعن هذين الذَّئبين، وإلا وجبَ عليك العقاب»، ودأَرَ على عقبه بسرعة ل يتموِّج كُثمَّاه الواسعان في الهواء، وسارَ بضع خطواتٍ قبل أن يلتفت خلفه ويقول: «هلمَّ يا بران، اللورد وايمان ينتظر».

قال بران: «اذهب مع المايستر يا هودور».

- «هودور»، قال هودور، ولحقَّت خطواته الواسعة بخطوات المايستر

السَّاحِطَةُ عَلَى سِلَالِمِ الْحَصَنِ الْكَبِيرِ، ثُمَّ فَتَحَ الْإِيسْتِرَ لَوَيْنَ الْبَابَ وَبَنَتْهُ، فَاحْتَضَنَ بِرَانَ عُنُقَ هُودُورٍ وَخَفَضَ رَأْسَهُ وَهَمَا يَمُرَّانَ إِلَى الدَّخْلِ.

قال بران: «الوالدِران...».

قَاطَعَهُ الْإِيسْتِرَ لَوَيْنَ وَقَدْ بَدَأَ عَلَيْهِ الثَّعْبُ وَالسَّامُ: «لَا أُرِيدُ أَنْ أَسْمَعَ الْمَزِيدَ عَنْ هَذَا الْأَمْرِ. انْتَهِنَا. كُنْتُ عَلَى حَقٍّ فِي الدَّفَاعِ عَنْ هُودُورٍ، لَكِنْ لَمْ يَكُنْ مِنَ الْمَفْتَرَضِ أَنْ تَكُونَ هُنَاكَ أَصْلًا. السَّيْرُ رُودْرِيكَ وَاللُّورْدُ وَإِيْمَانُ أَفْطَرَا بِالْفِعْلِ فِي انْتِظَارِكَ. أَيْنَعِي أَنْ أَتِي لِأَحْضُرَكَ بِنَفْسِي كَأَنَّكَ طِفْلٌ صَغِيرٌ؟».

رَدَّ بِرَانُ بِخَجَلٍ: «كَلَّا. أَسَفٌ، لَكِنِّي أَرَدْتُ فَقَطُ أَنْ...».

قال الْإِيسْتِرَ لَوَيْنَ بِلَهْجَةٍ لَطْفٍ: «أَعْرِفُ مَا أَرَدْتَهُ، وَلَيْتَهُ قَابِلٌ لِلتَّحْقِيقِ يَا بِرَانَ. أَلَدَيْكَ أَسْئَلَةٌ قَبْلَ أَنْ نَبْدَأَ الْاجْتِمَاعَ؟».

- «هَلْ سَتَتَكَلَّمُ عَنِ الْحَرْبِ؟».

عَادَتِ الْحَدَّةُ إِلَى صَوْتِ لَوَيْنَ وَهُوَ يُجِيبُ: «لَنْ تَتَكَلَّمُ أَنْتَ عَنْ شَيْءٍ. إِنَّكَ مَا زِلْتَ طِفْلًا فِي الثَّامَنَةِ».

- «أَكَادُ أَبْلُغُ الثَّاسِعَةَ!».

- «أَنْتَ فِي الثَّامَنَةِ»، كَرَّرَ الْإِيسْتِرَ. «لَا تَلْفِظْ شَيْئًا غَيْرَ التَّحِيَّاتِ مَا لَمْ يُوجَّهْ لَكَ السَّيْرُ رُودْرِيكَ أَوْ اللَّورْدُ وَإِيْمَانُ سَوَالًا مُبَاشِرًا».

أَوْمَأَ بِرَانُ بِرَأْسِهِ قَائِلًا: «سَأَتَذْكُرُ هَذَا».

- «لَنْ أَذْكُرَ شَيْئًا لِلْسَّيْرِ رُودْرِيكَ عَمَّا دَارَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ صَبِيِّ فَرَاي».

- «أَشْكُرُكَ».

وَضَعُوا بِرَانَ فِي مَقْعَدِ أَبِيهِ الْمَصْنُوعِ مِنْ خَشَبِ السَّنْدِيَانِ، فَوْقَ الْوَسَائِدِ الْمَخْمَلِيَّةِ الرَّمَادِيَّةِ، وَوَرَاءَ طَاوِلَةٍ قَابِلَةٍ لِلْفَكِّ وَالتَّرْكِيبِ، وَجَلَسَ السَّيْرُ رُودْرِيكَ إِلَى يَمِينِهِ، وَالْإِيسْتِرَ لَوَيْنَ إِلَى يَسَارِهِ مُسَلَّحًا بِرِيشَاتِ الْكِتَابَةِ وَقَيْنَةِ الْحَبْرِ وَفَرَحًا مِنَ الرَّقُوقِ يُدَوِّنُ عَلَيْهِ وَقَائِعَ الْاجْتِمَاعِ. تَحَسَّسَ بِرَانُ خَشَبَ الطَّاوِلَةِ الْخَشَنَ، وَاعْتَذَرَ إِلَى اللَّورْدِ وَإِيْمَانِ لِنَتَأَخَّرِهِ.

قال اللَّورْدُ وَإِيْمَانُ بِمَوَدَّةٍ: «لَا أَمِيرٌ يَأْتِي مُتَأَخِّرًا أَبَدًا، لَكِنْ مِنْ وَصَلُوا قَبْلَهُ جَاءُوا مُبَكِّرِينَ، هَذَا كُلُّ شَيْءٍ». لَوْ إِيْمَانُ مَانْدِرَلِي ضَحْكَةً صَاخِبَةً مَدْوِيَّةً، وَلَا غُرُوهُ أَنْ لَا يَسْتَطِيعَ الْجُلُوسُ فَوْقَ ظَهْرِ حِصَانٍ، حَيْثُ يَبْدُو بِالْفِعْلِ أَنَّهُ يَفُوقُ

أغلب الخيول وزناً، ولديه صوت جهوري يتماشى مع حجمه، وقد بدأ بسؤال ويترفل أن تُصدَّق على تعيين مأموري الجمارك الذين اختارهم للميناء الأبيض، فالسابقون كانوا يُحصِّلون الفضَّة لكينجز لاندنج بدلاً من دفعها للملك الجديد في الشَّمال، ثم قال: «الملك روب يحتاج عُمَلته الخاصَّة كذلك، والميناء الأبيض المكان المناسب تمامًا لسكَّها»، ثم إنه عرض أن يتولَّى المسألة إذا وافقَ الملك، وانتقلَ من هذا الموضوع إلى وصف لتقويته دفاعات المرفأ، ذاكرًا تكلفة كلِّ تحسين بالتفصيل. وبالإضافة إلى سكِّ العُملة الجديدة، عرض اللورد ماندري أيضًا أن يبنِي لروب أسطولًا حربيًا، وقال: «لم نملك أيَّ قوَّة في البحر منذ مئات السنين، منذ أشعل براندون الحارق النَّار في سُفن أبيه. امنحوني الذهب، وخلال عام واحدٍ سأشيد قوادم تكفي للاستيلاء على دراجونستون وكننجز لاندنج معًا».

أثار الكلام عن السُّفن الحربيَّة اهتمام بران، ومع أن أحدًا لم يسأله رأيه، إلَّا أنه وجدَّ عرض اللورد وإيمان رائعًا حقًا، وبعين خياله رأى السُّفن بالفعل، وتساءلَ إن كان سبقَ لمشلول أن يقود سفينة حربٍ من قبل. عليَّ أن السير رودريك لم يعد إلَّا بإرسال العرض إلى روب ليدرسه، بينما خطَّ المايستر لوين ما قبلَ على الرَّق.

حلَّت الظَّهيرة ومضت، وأرسل المايستر لوين تيم المجدور إلى المطابخ لإحضار الغداء، فتناولوا وجبةً من لحم الدِّيك والجبن وخبز الشُّوفان الأسمر. مزَّق اللورد وإيمان طائرًا بأصابعه السَّميكة، وتساءلَ تهذيب عن ابنة عمِّه الليدي هورنوود، وقال: «لقد وُلِدَت في عائلة ماندري كما تعلمون، وربما يرونها أن تحمل اسمها من جديد بمجرد أن ينتهي حِدادها، إيه؟»، وقصمَ من جناح الطَّائر ورسمَ على شفَّته ابتسامةً واسعةً متابعًا: «الحقيقة أنني أرمِل منذ ثمانية أعوام كاملة، وحانَ الوقت لأن أتخذَ لنفسِي زوجةً جديدةً، أليس كذلك أيُّها السَّادة؟ إن الوحدة تُصيبنا جميعًا»، وألقى العظام جانبًا ومدَّ يده إلى ورك، وواصلَ: «أو إذا كانت الليدي تُفضِّل رجلًا شابًا، فابني وندل غير متزوِّج كذلك. إنه في الجَنوب الآن، يحرس الليدي كاتلين، لكن لا شكَّ أنه سيرغب في عروسٍ بمجرد عودته. إنه صبيٌّ شجاع ومريح، الرَّجل

المناسب لأن يُعلِّمها أن تضحك من جديد، إيه؟»، ومسحَ الدهن الذي سأل على ذقنه بكُمه.

لم يكن بران يُبالي بأمور الزَّواج على الإطلاق، وقال لنفسه وصوت تقارُع الشيوف يبلُغه من النَّافذة: ليتني كنتُ معهم في السَّاحة.

انتظرَ حضرة اللورد حتى رُفِعت الأطباق من على المائدة، قبل أن يفتح موضوع الرِّسالة التي تلقَّاها من اللورد تاويين لانستر، الذي أسرَ ابنه الأكبر وايليس في معركة الفرع الأخضر. «يعرض عليَّ أن أستردَّه بلا فدية، بشرط أن أسحب جنودي من جيش جلالة الملك وأتعهد بعدم القتال ثانية».

قال السير رودريك: «سوف ترفض بالطبع».

طمأنهم اللورد قائلاً: «لا تُقلِّقنكم هذه المسألة إطلاقاً، فالملك روب ليس لديه خادم أكثر إخلاصاً من وايمان ماندرلي. غير أنني أكره أن يُعاني ابني في هارنهال فترةً أطول مما ينبغي. إنها مكان كثيب وملعون كما يُقال، مع أنني لستُ من النوع الذي يتلع تلك الحكايات، لكن... انظروا إلى ما جرى لجانوس سلينت مثلاً، رُفِعَ إلى لوردية هارنهال على يد الملكة، وخُلِعَ عنها على يد أخيها. يقولون إنهم شخَّوه إلى «الجدار». أتمنى أن يتم ترتيب تبادلٍ منصفٍ للأسرى قريباً، فأنا أعرفُ أن وايليس لن يرغب في الجلوس ساكناً بقيَّة الحرب. باسلُ ابني هذا، وشرس ككلاب الحراسة».

مع نهاية الاجتماع كانت كتفا بران متيبَّستين من الجلوس في المقعد نفسه طويلاً. ليلتها، بينما جلسَ يتناول العشاء، تردَّد نكير يُعلن عن وصول ضيفٍ جديد. لم تأتِ الليدي دونيلا هورنوود بطابورٍ من الفرسان والأتباع، بل جاءت بنفسها فقط ومعها سِتَّة من المسلَّحين المرهقين، على ثيابهم البرتقاليَّة المغبَّرة رمز رأس الموط⁽¹⁾. قال بران عندما مثلت أمامه لتُلقي عليه التحيَّة: «إننا في غاية الأسف لكلِّ ما عانيت يا سيِّدتي. وينتفل لن تنسى». كان اللورد

(1) الموط أحد أنواع الأبال، له عُق قوي وقرنان جريديَّان، ويألف العيش في الغابات والمستنقعات.

هورنود قد قُتِلَ في معركة الفرع الأخضر، وسقط ابنهما الوحيد في معركة الغابة الهامسة.

كانت امرأة شاحبة شديدة التحول، حفر الحزن خطوطه على ملامحها كلها، وقد أجابت: «يسرني أن أعرف هذا. إنني مرهقة للغاية يا سيدي، وأشكرك إذا أعطيتني الإذن بالانصراف لأستريح».

قال السير رودريك: «بالتأكيد. لدينا ما يكفي من الوقت غذا للكلام».

وحين جاء الغد، انقضى معظم الصباح في الكلام عن الغلال والخضراوات واللحوم المحفوظة، فبمجرد أن يعلن مایسترات «القلعة» بداية الخريف، يدخر الحكماء قسطاً من كل حصاد... وإن بدا أن تحديد الكمية التي ينبغي ادخارها يتطلب الكثير من الكلام. عرضت الليدي هورنود تخزين خمس محصولها، قبل أن تتعهد برفع الكمية إلى الربع استجابةً لاقتراح المایستر لوين. ثم إنها قالت لهم: «نغل روروس بولتون يحشد الرجال في «معقل الخوف». أتمنى أنه يعزم على قيادتهم جنوباً لينضم إلى أبيه في «التوأمتين»، لكن عندما أرسلت إليه أسأله عن نيّاته، أجابني بأن لا أحد من آل بولتون يسمع بأن تستجوبه امرأة، كأنه يحسب نفسه ابناً شرعياً له حق في أن يحمل هذا الاسم».

قال السير رودريك: «على حد علمي لم يعترف اللورد بولتون بالصبي قط. الحقيقة أنني لا أعرفه».

أجابت: «قليلون يعرفونه. كان يعيش مع أمه حتى عامين مضياً، عندما مات دومريك الصغير وترك بولتون بلا وريث، فأخذته أبوه عندئذ إلى «معقل الخوف». الصبي شديد المكر بكل المقاييس، ولديه خادم يكاد يضاهيه في القسوة، رجل يُسمونه ريك، يقولون إنه لا يستحم أبداً، ويخرج الاثنان للصيد معاً، النغل وريك هذا، وإن كانا لا يصطادان الغزلان. لقد سمعتُ حكايات لا تُصدّق، حتى بالنسبة لأحد من آل بولتون. والآن وقد ذهب السيد زوجي وابني العزيز إلى الآلهة، فالنغل يتطلع إلى أرضي بنظراتٍ جائعة».

أراد بران أن يعطي الليدي مئة رجل للدفاع عن حقها، لكن السير رودريك اكتفى بأن قال: «يُمكنه أن يتطلع كما يشاء، لكنني أعدك بأن العواقب ستكون

وخيمةً عليه إذا فعلَ أكثر من ذلك. ستكونين آمنةً يا سيّدي... لكن قد تجدين من الحكمة أن تتزوّجي ثانية في الوقت المناسب، عندما ينتهي حِدادك». ردّت بابتسامة باهتة تعباً: «مرّت سنين منذ كنتُ قادرةً على حمل الأطفال، وما كان لديّ من جمالٍ ولّي، ومع ذلك يأتي الرّجال يخطبون وُدّي كما لم يفعلوا قطّ في شبابي».

سألها المايستر لوين: «ألا تجدين أحداً من هؤلاء الخطّاب مُرضياً؟». أجابت الليدي هورنود: «سأتزوّج ثانية إذا أمرّ جلاله الملك، لكن مورس أكل الغراب سكير فظ، ويكبر أبي نفسه سنّاً، أمّا ابن عمّي الكريم ماندرلي، ففراش زوجي الرّاحل ليس كبيراً بما يكفي رجلاً بضخامته، ومؤكّد أنني أصغر حجماً وأوهن من أن أستلقي تحته».

يعرف بران أن الرّجال ينامون فوق النّساء عندما يتشاركون الفراش، فتخيّل أن التّوم تحت اللورد ماندرلي كالنّوم تحت حصان ساقط. أوما السير رودريك برأسه بتعاطف، وقال: «سيأتيك المزيد من الخطّاب يا سيّدي، وسنحاول أن نجد لك أحداً أفضل وضعاً».

- «ربما ليس من الضروري أن تبحث بعيداً أيها الفارس».
ابتسم المايستر لوين بعد أن تركّهم، وقال: «أعتقد أن الليدي معجبة بك يا سير رودريك».

تنحنّح السير رودريك وبدا عليه الارتباك، بينما قال بران: «كانت حزينّة للغاية».

أوما الفارس إيجاباً، وقال: «حزينّة ورقيقة ومليحة جدّاً بالنّسبة لامرأة في سنّها، لكنها لا تزال تُمثّل خطراً على مملكة أخيك».
بدهشة قال بران: «هي؟».

أجابّه المايستر لوين: «بلا وريثٍ مباشر، ستجد أن مُطالبين كُثراً يتنافسون على أراضي الليدي هورنود. عائلات تولهارت وفلينت وكارستارك كلها لها صلة قرابة بعائلة هورنود من ناحية الإناث، وآل جلوفر يُربّون ابن اللورد هاليس غير الشرعي في «ربوة الغابة». ليس لـ «معقل الخوف» حقّ أعرفُ به

في أراضي الليدي، لكن أراضيها تُتأخَّمها، كما أن رُووس بولتون ليس بالرجل الذي يتغاضى عن فُرصةٍ كذلك».

شدَّ السير رودريك شواربه قائلاً: «في تلك الحالات ينبغي أن يجد لها اللورد وليُّ الأمر زوجاً مناسباً».

سأله بران: «لِمَ لا تتزوَّجها أنت؟ قلت إنها مليحة، كما أنها ستكون أمّاً لابنتك بِث».

وضع الفارس العجوز يده على ذراع بران، وقال: «فكرة لطيفة يا سمو الأمير، لكني مجرَّد فارس، ومسئٌّ كذلك. قد أستطيع الحفاظ على أراضيها بضع سنين، لكن فور أن أموت، ستجد الليدي هورنوود نفسها في الورطة ذاتها ثانية، وقد يضع هذا بِث في خطر كذلك».

قال بران مفكراً في أخيه نصف الشقيق جون: «فليكن نغل اللورد هورنوود الوريث إذن».

ردَّ السير رودريك: «سيسرُّ ذلك آل جلوفر، وربما روح اللورد هورنوود كذلك، لكني لا أظنُّ أن خطوةٍ كذلك ستجعل الليدي هورنوود تُحبُّنا، فالصَّبي ليس من دمها».

قال المايستر لوين: «وإن كان، لا بُدَّ من أخذ الفكرة بعين الاعتبار. الليدي دونيلا تجاوزت سنوات خصوبتها كما قالت. لو لم يكن النُّغل، فمَن؟». كان بران يسمع مُرافقو الفُرسان يتدربون على المبارزة في السَّاحة، ويتناهى إليه رنين الفولاذ على الفولاذ، فقال: «أيمكنني الانصراف؟».

قال السير رودريك: «كما ترغب يا سمو الأمير. لقد أبليت بلاءً حسناً». تورَّد وجه بران غبطةً. ليس عمل اللورد مملاً كما خشي، وبما أن الليدي هورنوود كانت موجزةً عن اللورد ماندرلي بكثير، فقد تبقَّت له بضع ساعاتٍ من نور النهار ليزور سمر. يُحبُّ أن يقضي بعض الوقت مع ذبِّه كلَّ يوم، عندما يسمح السير رودريك والمايستر.

ما كاد هودور يدخُل أيكة الآلهة حتى برزَ سمر من تحت شجرة سنديان، كأنه كان يعرف أنهما قادمان، ولمح بران شبحاً أسود نحيلاً يُراقب من بين

الشَّجِيرَات، فنادى: «شاجي، إليّ، شاجيدوج، تعالَ»، لكن ذئب ريكون اختفى سريعاً كما ظهرَ.

يعرف هودور بُقعة بران المفضَّلة، فأخذَه إلى حافة البركة، تحت أفرع شجرة القلوب الممتدَّة، حيث كان اللورد إدارد يركع ليُصَلِّي. كانت التَّمَوُّجَات تنتشر على صفحة الماء عندما وصلا، جاعلة انعكاس شجرة الويروود يومض ويتراقص، بينما الرِّيح خامدة، وهو ما أصابَ بران بالحيرة لحظةً.

ثم انبثقت أوشا كالانفجار من قلب مياه البركة التي تناثرت في كلِّ مكان، على حين غرَّة لدرجة أن سمر وثبَّ إلى الوراء مزمجرًا، بينما قفزَ هودور بعيدًا مولولاً: «هودور، هودور!»، وراح يُرَدِّدها بجزع حتى ربتَ بران على كتفه يُهدِّئُه، ثم سألَ أوشا: «كيف يُمكنك السَّباحة هنا؟ أليس الماء باردًا؟».

قالت أوشا: «كنتُ أرضعُ من كُتل الجليد في صِغري أيها الصَّبي. إنني أحبُّ البرد»، ثم سبحت إلى الصُّخور وخرجت والماء يقطر منها. كانت عارية وبشرتها منقطة من القشعريرة، ودنا سمر منها وتشمَّمها بينما أضافت: «أردتُ أن ألمس القاع».

- «لم أكن أعرفُ أن هناك قاعًا».

قالت مبتسمة: «وقد لا يكون. فيمَ تُحَمِّلقُ أيها الصَّبي؟ ألم ترَ امرأةً من قبل؟».

- «بل رأيتُ». تحمَّم بران مع أختيه مئآت المَرَّات، ورأى الخادِمَات في البرك السَّاخنة كذلك، لكن أوشا بدت مختلفةً عنهن، قوامها جامد نحيف وليس بضًا ذا منحنيات، وساقاها رفيعتان وترتَّتان، وثدياها مسطَّحان ككيسي نقود فارغين. قال لها: «لديكِ ندوب كثيرة».

قالت: «وكلُّ ندب منها ربحته عن جدارة»، والنقطة ثوبها البني ونفضت ورق الشَّجر الذي علَّق به، ثم سحبته على جسدها.

- «أكنتِ تُقاتِلين العمالقة؟». ندَّعي أوشا أنه لا يزال هناك عمالقة وراء «الجدار». قد أرى واحدًا ذات يوم...

أجابَت: «كنتُ أقاتلُ رجالًا»، وأضافت وهي توثق حبلًا حول ثوبها

كالجزام: «غريباًنا سود في أغلب الأحيان، وقتلتُ واحداً منهم أيضاً»، ونفضت الماء من شعرها الذي نما منذ جاءت إلى ويتترفل حتى تجاوزَ أذنيها، فبدت أكثر نعومةً من المرأة التي حاولت أن تسرقه وتقتله ذات مرةً في غابة الذئاب. «سمعتُ ثرثرة اليوم في المطابخ عنك وعن صبيّ فراي».

- «ممن؟ وماذا قال؟».

أجابت مبتسمةً بقسوة: «إن من يسخر من عملاقٍ أحق لا شك، وإنه لعالم مجنون عندما يُدافع طفل عاجزٌ عن هذا العملاق».

قال بران: «هودور لم يُدرك أنهما كانا يسخران منه، وعلى كلِّ حالٍ هو لا يتشاجر أبداً». تذكر يوماً وهو صغير ذهب فيه إلى الشوق مع أمّه والسبتة موردن، وكان هودور قد راحَ معهم ليحمل المشتريات، لكنه تاهَ منهم، وعندما وجدوه كان بعض الصبية قد حاصروه في زقاقٍ ويخزونه بالعصي، بينما أخذ هو يصرخ: «هودور!» وقد انكمش خوفاً واحتضن نفسه، لكنه لم يرفع يديه ولو مرةً ضد معذّبيه. «السبتون كايل يقول إن لديه روحاً ودبعة».

قالت: «نعم، ويداه قويّتان بما يكفي لانتزاع عُقّ رجل من على كتفيه إذا أراد. على كلِّ حال، من الأفضل أن يتبه في وجود والدر هذا، وأنت كذلك. هذا الكبير الذي يدعونه الصّغير، لديّ إحساس بأنه اسم على مسمّى، كبير من الخارج وصغير من الداخل، ووضع حتى الثُخاع».

- «لن يجرؤ على أن يمسنني بأذى أبداً. إنه يخاف سمر مهما ادّعى العكس».

- «لعله ليس غيباً كما يبدو إذن». تتصرّف أوشا بحذر دائماً في وجود الذئبين الرّهيبين. كان سمر وجراي ويند قد مرّقا ثلاثةً من الهَمَج إلى أشلاء دامية يوم أسرت. «أو لعله كذلك، ما يعني المتاعب أيضاً»، وربطت شعرها وسألته: «هل راودك المزيد من أحلام الذئاب إياها؟».

- «كلا». إنه لا يُحبُّ الكلام عن أحلامه.

قالت أوشا ضاحكةً: «من المفترض أن يكذب الأمير أفضل من هذا. طيّب، أحلامك شأنك، وأنا لديّ عمل في المطابخ، فمن الأفضل أن أعود

إليه قبل أن يبدأ جايح في الصّباح والتّلوّيح بمغرفته الخشيّة الكبيرة. أستاذك
بالانصراف يا سمو الأمير».

فكّر بران وهودور يحمله صاعدًا السّلالم إلى عُرقَة نومه: لم يكن ينبغي
أن تأتي على ذكر أحلام الذّناب. كافّح كي لا ينام قدرما استطاع، لكن النّوم
اكتنفه في النّهاية كما يفعل دومًا. في تلك اللّيلة حلّم بشجرة الوريود. كانت
تنظر إليه بعينها الحمراءوين العميقتين، وتناديه بفمها الخشبي الملتوي،
ومن بين فروعها الشّاحبة جاء الغراب ذو الأعين الثّلاث يخفق، ينفّر وجهه
ويصرّخ باسمه بصوتٍ بحدّة الشّيوف.

أيقظه دويّ الأبواق، فدفع بران نفسه لينام على جانبه شاعرًا بالامتنان لمن
قاطع الحُلُم. سمع جلبة الخيول والرّجال، فقال لنفسه: المزيد من الضّيوف،
ويبدو من أصواتهم أنهم سكارى. قبض على القضبان وسحب نفسه من
السّريّر إلى المقعد المجاور للثّافذة. على راياتهم كان عملاق في أغلال
محطّمة أخبره أنهم رجال أومبر الذين نزلوا من الأراضي الشّمالية الواقعة
وراء النّهر الأخير.

في اليوم الثّالي جاء اثنان منهم للاجتماع؛ عمّا چون الكبير، وهما رجلان
صاخبان في شتاء العُمر، لكلٍ منهما لحية بيضاء كمعطفيهما المصنوعين
من فراء الدّببة. ذات يوم حسب غراب مورس ميتًا فنقر عينه وفقاها، فوضع
مكانها قطعة من زُجاج الثّنين، وطبقًا لحكاية العجوز نان، فإنه أطبق على
الغراب بقبضته وانتزع رأسه بأسنانه، فلَقّبوه بأكل الغراب. على أن العجوز
نان رفضت أن تُخبر بران بسبب تلقيب أخيه هوثر بباقر العاهرة.

بمجرّد جلوسهما طلب مورس الإذن بالزّواج بالليدي هورنود، وقال:
«چون الكبير ذراع الدّنب الصّغير اليمنى القويّة، والكلُّ يعرف صحّة هذا،
فمن أفضل من رجلٍ من عائلة أومبر يحمي أراضي الأرملة؟ وأيُّ أومبر
أفضل مني؟».

قال المايستر لوين: «الليدي دونيلا لا تزال في حداد».

ردّ مورس ضاحكًا: «لديّ علاج لحُزنها تحت ثيابي»، فشكره السير
رودريك بكياسة ووعد بأن يعرض الأمر على الليدي والملك.

أَمَّا هُوْثِر فَكَانَ يُرِيدُ سُفْنًا، وَقَالَ: «الْهَمِجْ تَسْلَلُونَ مِنَ الشَّمَالِ بِأَعْدَادٍ أَكْبَرَ مِمَّا رَأَيْتُمْ مِنْ قَبْلِ، يَعْثُرُونَ خَلِيجَ الْفَقَمَاتِ بِقَوَارِبَ صَغِيرَةٍ، وَيَنْزِلُونَ عَلَى شَوَاطِئِنَا، وَالْغُرَبَانَ فِي قَلْعَةٍ حَرَسَ اللَّيْلِ الشَّرْقِيَّةُ أَقْلُ عَدَدًا مِنْ أَنْ يَسْتَطِيعُوا التَّصَدِّيَ لَهُمْ، كَمَا أَنَّ الْهَمِجَ سَرَعَانَ مَا يَتَوَارُونَ كِبَنَاتِ عَرَسٍ. نَحْتَاجُ سُفْنًا طَوِيلَةً، نَعَمْ، وَرَجَالًا أَقْوِيَاءَ يُجَحِّرُونَ بِهَا. چُونِ الْكَبِيرِ أَخَذَ رَجَالًا كَثِيرِينَ مَعَهُ، وَنِصْفَ مُحَاصِيلِنَا ذَبَلَ لِفَتْقَارِنَا لِمَنْ يَحْمِلُونَ الْمَنَاجِلَ».

شَدَّ السَّيْرَ رُودْرِيكَ شَوَارِبِهِ، وَقَالَ: «لَدَيْكُمْ غَابَاتُ مِنْ أَشْجَارِ الصَّنُوبِرِ الطَّوِيلَةِ وَأَشْجَارِ السَّنْدِيَانِ الْقَدِيمَةِ، وَاللُّورْدِ مَانْدَرَلِي لَدَيْهِ سَفَانُونَ وَبَحَّارَةٌ بِكَثْرَةٍ، وَمَعًا يُمَكِّنُكُمْ بِنَاءَ وَتَشْغِيلَ مَا يَكْفِي مِنَ الشُّفْنِ الطَّوِيلَةِ لِحِمَايَةِ شَوَاطِئِكُمْ كُلِّهَا».

قَالَ مَوْرسُ أُوْمِيرٍ سَاخِرًا: «مَانْدَرَلِي؟ جَوَالُ الشُّخَامِ الْمَتَرَهِّلِ هَذَا؟ سَمِعْتُ أَنَّ رَعَايَاهُ أَنْفُسَهُمْ يُلَقَّبُونَهُ بِالشُّلُقِ⁽¹⁾ اسْتَهْزَأَ. الرَّجُلُ يَكَادُ لَا يَسْتَطِيعُ الْمَشْيَ، وَإِذَا ثَقَبَتْ بَطْنُهُ بِسَيْفٍ، سَيَخْرُجُ مِنْهُ عَشْرَةُ آلَافِ ثَعْبَانِ مَاءٍ».

رَدَّ السَّيْرَ رُودْرِيكَ: «إِنَّهُ بَدِينٌ، لَكِنْ لَيْسَ غَيًّا. سَوْفَ تَعْمَلُونَ مَعَهُ أَوْ تُفْسِرُونَ رَفْضَكُمْ لِلْمَلِكِ»، وَلَدَهْشَةً بَرَانِ انْصَاعَ الرَّجُلَانِ الشَّرْسَانِ لِلْأَمْرِ، وَإِنْ دَمَدَمَا تَذَمَّرَا.

أَثْنَاءَ الْاجْتِمَاعِ وَصَلَ رَجَالُ جُلُوفَرٍ مِنْ «رَبْوَةِ الْغَابَةِ»، وَمَجْمُوعَةٌ كَبِيرَةٌ مِنْ رَجَالِ تُولَهَارْتِ مِنْ «مَرْبَعِ تَوْرِينِ». تَرَكَ جَالِبَارْتُ وَرُوبِتُ جُلُوفَرُ قَلْعَتَهُمَا بَيْنَ يَدَيْ زَوْجَةِ رُوبِتِ، لَكِنْ وَكِلَهُمَا هُوَ مِنْ جَاءَ إِلَى وَيْتَرَفَلِ، وَقَالَ: «الليدي تَطْلُبُ مِنْكُمْ أَنْ تَغْفِرُوا غِيَابَهَا، فَطِفْلَاهَا أَصْغَرُ مِنْ أَنْ يَحْتَمِلَا الرَّحْلَةَ، وَهِيَ تَكْرَهُ أَنْ تُفَارِقَهُمَا». سَرَعَانَ مَا تَبَيَّنَ بَرَانُ أَنَّ الْوَكِيلَ وَلَيْسَ الْليدِي جُلُوفَرُ هُوَ مَنْ يَحْكُمُ فِي «رَبْوَةِ الْغَابَةِ». أَخْبَرَهُمُ الرَّجُلُ بِأَنَّهُ يَذْخِرُ عَشْرَ حِصَادِهِ فَقَطْ فِي الْوَقْتِ الْحَالِي، فَقَدْ قَالَ لَهُ سَاحِرٌ مَتَجَوِّلٌ إِنَّهُ سَيَكُونُ هُنَاكَ صَيْفٌ شَبِيحِيٍّ مِثْرَ قَبْلِ أَنْ يَتِمَكَّنَ الْبَرْدُ مِنَ الْعَالَمِ. أَبْدَى الْمَايْسْتَرُ لُوَيْنَ رَأْيَهُ فِي

(1) الشُّلُقُ أَوْ الْجُلُكِيُّ نَوْعٌ مِنَ الْأَسْمَاكِ يُشَبِّهُ ثَعَابِينَ الْمَاءِ، لَهُ فَمٌ حَادٌّ الْأَسْنَانِ لِيَمْتَصَّ دِمَاءَ الْأَسْمَاكِ الْآخَرَى.

السَّحرة المتجولِّين، بينما أمرَ السير رودريك الرَّجل بادِّخار خُمس محصوله، واستجوبه باهتمام عن ابن اللورد هورنودود غير الشرعي، الصَّبي لارنس سنو. في السَّمال يحمل كل نغول عليه القوم لقب سنو، وقد أثنى الوكيل على هذا الصَّبي الذي يبلِّغ من العُمر اثني عشر عامًا، وأشادَ بذكائه وشجاعته. قال المايستر لوين بعد الاجتماع: «قد تكون فكرتك إزاء النُّغل موفِّقة يا بران. أعتقد أنك ستُصبح لوردًا صالحًا لو يترفل ذات يوم».

- «كلا». يعرف بران أنه لن يصير لوردًا أبدًا كما لن يصير فارسًا. «قلت لي بنفسك إن روب سيتزوَّج واحدة من بنات فراي، والوالدران يقولان المثل. سوف يُنجب أبناءً يُصبحون لوردات ويترفل من بعده، وليس أنا».

قال السير رودريك: «قد يكون هذا صحيحًا يا بران، لكنني تزوجت ثلاث مرَّات ولم تمنحني زوجاتي غير البنات، والآن ليس لدي غير بث. أخني مارتن أنجب أربعة أبناء أقوياء، لكن چوري وحده عاش حتى أصبح رجلًا، ولمَّا قُتل مات معه نسل مارتن. لا شيء مؤكدًا أبدًا عندما تتكلَّم عن الغد».

جاء دور ليوبولد تولهارت في اليوم التَّالي، وتكلَّم عن تنبُّؤات الطُّقس وبلأه العاقبة، وقال لهم إن ابن أخيه يتحرَّق شوقًا للمعركة. «بنفريد جمع فرقه الخاصَّة من حاملِي الرِّماح، صبيَّة لا يتجاوزون التَّاسعة عشر، لكن كلاً منهم يحسب نفسه ذنبًا صغيرًا آخر، وعندما قلتُ لهم إنهم مجرد أرناب صغيرة ضحكوا مني، والآن يُسمُّون أنفسهم الأرناب الضَّارية، وينطلقون في جنبات الرِّيف وقد ربطوا فرو الأرناب على رؤوس رماحهم، مردِّدين أغنياتٍ عن الفُروسيَّة».

خطر لبران أن هذا عظيم حقًّا، وتذكر بنفريد تولهارت، الصَّبي المحتمل كبير الحجم الذي زار ويتترفل كثيرًا مع أبيه السير هلمان، وكان صديقًا لروب وثيون جرايچوي. على أن من الجلي أن السير رودريك لم يرضَ عمَّا سمع، وقال: «إذا احتاج الملك مزيدًا من الرِّجال، سيُرسل في طلبهم. مُر ابن أخيك بالمكوث في «مربَّع تورين» كما أمر السيّد والده».

- «سأفعل يا سيدي»، قال ليوبولد، وعندها فقط فتح موضوع الليدي هورنودود المسكينة، التي بلا زوج يُدافع عن أراضيها أو ابن يرثها، وأضاف أن

السيدة زوجته من عائلة هورنوود، أخت اللورد هاليس الراحل كما يذكرون بلا شك. «البيت الفارغ بيت حزين. لقد فكرت في إرسال ابني الأصغر إلى الليدي دونيلا لتربيته كابنها. برين يكاد يبلغ العاشرة، صبي لا بأس به، وابن أختها. إنني واثق بأنه سيهيجها، ولربما يأخذ اسم هورنوود...».

قال المايستر لوين: «إذا سمته وريثاً؟».

أنهى ليوبولد عبارته: «... بغية أن تستمر العائلة».

كان بران يعرف الرّد المناسب، فاندفع يقول قبل أن يتطرق السير رودريك: «نشكرك على اقتراحك يا سيدي. سنعرض الأمر على أخي روب. أوه، والليدي هورنوود أيضاً».

بدت الدهشة على ليوبولد لأن بران تكلم، فقال له: «ممتن يا سمو الأمير»، لكن بران رأى الشفقة في عينيهِ الزرقاوين الباهتين، شفقة امتزجت ربما بالشرور لأن الصبي المشلول ليس ابنه، وللحظة شعر بران بالمقت نحو الرجل، وإن ظل يروق المايستر لوين، الذي قال لهما بعد انصراف ليوبولد: «قد يكون برين تولهارت أفضل الحلول. إنه نصف هورنوود بالفعل بحكم الدّم، فإذا أخذ اسم زوج خالته...».

قاطعه السير رودريك: «سيظل مجرّد صبي، ومطلوب منه أن يدافع عن أراضيه ضد أمثال مورس أو مبر أو نغل رووس بولتون. يجب أن نفكر في الأمر بعناية، قبل أن نُعطي روب أفضل مشورة لدينا».

قال المايستر لوين: «قد يحسم خيار عملي المسألة، بمعنى أن يكون أكثر لورد منهم يحتاج روب أن يتودّد إليه. إن أراضي التهر جزء من مملكته، وقد يرغب في أن يُزوَّج الليدي هورنوود من أحد لوردات الثالوث، من عائلة بلاكوورد ربما، أو فراي».

قال بران: «من الممكن أن تتزوَّج الليدي هورنوود أحد صبيّ فراي اللذين لدينا، أو لتأخذ الاثنين إذا أرادت».

أجابته السير رودريك بتأنيب هادئ: «أنت لست عطوفاً يا سمو الأمير». ولا والدران كذلك. خفض بران رأسه إلى الطاولة عابساً ولم يُعلّق. في الأيام التالية وصلت غدقان من عائلات أخرى تحمل رسائل الأسف.

لن ينضمَّ نغل «معقل الخوف» إليهم، ورجال مورمونت وكارستارك ذهبوا جنوبًا جميعًا مع روب، واللورد لوك مسنٌ ولن يقوى علي الرحلة، والليدي فلينت حبلى، وثمة مرض في قلعة الأرملة. أخيرًا مثل كل ممثلي العائلات الأساسية الحليفة لعائلة ستارك أمامهم وأدلو بما لديهم، باستثناء هاولاند ريد رجل المستنقعات، الذي لم يخطُ خارج مستنقعاته منذ سنوات عديدة، بالإضافة إلى عائلة سروين التي تقع قلعتها على بُعد نصف يوم بالحصان من وينترفيل. اللورد سروين أسير لدى آل لانستر، لكن ابنه الذي يبلغ الرابعة عشر وصل ذات صباح ساطع على رأس دستين من حاملي الرماح. كان بران راكبًا دانسر في الساحة عندما دخلوا، وتقدّم يُحييهم، فطالما كان كلاي سروين صديقًا له ولأخويه.

قال له كلاي بمرح: «طاب صباحك يا بران، أم أن عليّ مخاطبتك بالأمير بران الآن؟».

- «فقط إذا أردت».

ضحك كلاي قائلًا: «ولمَ لا؟ الجميع ملوك أو أمراء هذه الأيام. هل كتب ستانيس لوينترفيل أيضًا؟».

- «ستانيس؟ لا أدري».

- «هو أيضًا ملك الآن. يقول إن الملكة سرسي ضاجعت أخاها، ما يعني أن جوفري نغل».

دمدم أحد فرسان سروين: «جوفري الدّنس. لا عجب أنه بلا شرف وأبوه هو قاتل الملك».

قال آخر: «نعم، الآلهة تبغض زنى المحارم. انظر كيف أهلكت عائلة تارجارين».

مرّت وهلة شعر خلالها بران بأنه عاجز عن التقاط أنفاسه، واعتصرت يد عملاقة قلبه وأحسّ بالأرض تميد به، فتمسك بعنان دانسر باستماتة.

ولا بُدّ أن الرُعب الذي أصابه لاح على ملامحه، إذ قال كلاي سروين: «بران، أأنت بخير؟ إنه مجرد ملك آخر».

غمغم بران: «سيهزمه روب أيضًا»، ودار بدانسر نحو الاسطبلات غافلًا

عن نظرات الدهشة التي رمقه بها رجال سروين. كانت الدماء تغلي في أذنيه، ولو لم يكن مربوطاً بسرجه لسقط بكل تأكيد.

ليتها توسل بران من آلهة أبيه نوماً بلا أحلام، وإذا كانت الآلهة قد سمعته فقد هزأت بآماله، فالكابوس الذي أرسلته إليه كان أسوأ من أي من أحلام الذئاب.

- طرأو مت! صرخ الغراب ذو الأعين الثلاث وهو ينقره، وبكى بران واستعطف، لكن الغراب ظل ينقر بلا شفقة أو هوادة، وفقاً عينه اليسرى ثم اليمنى، وعندما أصبح أعمى في الظلام، بدأ الغراب ينقر جبهته، دافئاً منقاره الحادّ الرهيب في جمجمته، وصرخ بران وصرخ حتى أيقن أن رتبته ستنفجران. كان الألم فأساً تشج رأسه، لكن عندما حرّر الغراب منقاره اللزج بقطع من العظام والمخ، استطاع بران الرؤية من جديد، وما رآه حدا به إلى أن يشق خوفاً. كان متعلقاً ببرج يرتفع أميالاً وأميالاً، وأصابه تنزلق بالفعل فتخدش أظفاره الحجر، وساقاه تجرّانه إلى أسفل، ساقاه السخيفتان الميتان عديمتا القيمة. صرخ: «ساعدني!»، فظهر رجل ذهبي في السماء من فوقه وسحبّه إلى أعلى، ثم بنعومة تمتّم: «يا للأشياء التي أفعّلها من أجل الحب»، وألقى به في الهواء ليهوي من حالق.



تيريون

قال له المايستر الأكبر پايسل على سبيل الاعتذار لإجراء اللقاء فجراً: «لم أعد أنام كما كنتُ أفعلُ وأنا أصغر سنّاً، والآن أوترُ الثَّهْوِض من الفراش والعالم لا يزال مظلمًا، على الاضطجاع فيه ومعاناة الضَّجَر والقلق من الواجبات غير المنجزة». كان يتكلَّم بينما تُعطي عيناه ذات الجفنين الثَّقيلين إيحاءً بأنه ما زال يَصِف غافٍ بالفعل. في مسكن المايستر طُلِق الهواء، الذي تعلوه المِغْدَقَة، قدَّمت لهما خادمتة البيض المسلوق والبرقوق المطبوخ والثَّرِيد، بينما لعب پايسل دور الزَّاهد قائلاً: «في أوقاتنا الحزينة هذه وكثيرون جِياع، أرى أن من اللِّياقة أن تكون مائدتي متواضعة».

- «سلوك محمود»، قال تيريون وهو يُقَشِّر بيضةً حمراء، ذكَّرته في الوقت غير المناسب برأس المايستر الأكبر الأصلع المَبْعَع. «لكن لديَّ وجهة نظر مختلفة. إذا كان هناك طعام فإنني أكله، فربما لا أجدُ لقمةً واحدةً غداً»، وابْتَسَم وسأله: «أخبرني، هل تستيقظ غِدفانك مبكراً مثلك؟».

ملَّس پايسل على لحيته ناصعة البياض التي تتدلَّى حتى صدره، وأجاب: «بالتأكيد. هل أرسلُ في طلب الحبر والرَّيشة بعد أن نأكل؟».

قال تيريون: «لا داعي»، ووضع الرُّسالتين على المائدة إلى جوار وعاء الثَّرِيد، رَقَّين متماثلين، كلاهما مطوَّيَّ بإحكام ومختوم بالشمع من الطرفين. «اصرفِ خادمتك ودعنا نتكلَّم».

قال پايسل للفتاة: «اتركينا يا صغيرتي»، ولَمَّا أسرعَت الخادمة مغادرة الغرفة، التفتَ إلى تيريون قائلاً: «هاتان الرُّسالتان...».

- «لعيبي دوران مارتل أمير دورن فقط»، وفشّر تيريون بيضته وقصم منها، ثم قرّر أنها تحتاج ملحقاً. «إنهما تُسختان من رسالة واحدة. أريدك أن تُرسل أسرع طائرين لديك، فالمسألة في غاية الأهمية».

- «بمجرد أن نتناول إفطارنا».

- «أرسلهما الآن. البرقوق سيقي، أمّا البلاد فقد لا تبقى. اللورد رنلي يفقد جيشه على الطريق الوردى، ولا أحد يدري متى يُبحر اللورد ستانيس من دراجونستون».

طرف هائسل بعينه قائلاً: «إذا كان سيّدي يُفضّل...».

- «هذا ما يُفضّله».

قال المايستر: «أنا هنا لأخدم»، ونهض متثاقلاً وحلقات سلسلته ترنّ بخفوت. ليست سلسلته بالشّيء الخفيف على الإطلاق، تتألّف من دسّة من أطواق المايسترات الملولة حول وعبر بعضها بعضاً، والمزيّنة بشيّ الأحجار الكريمة؛ وبدا لتيريون أن الحلقات المصنوعة من الذهب والفضّة والبلاتين تفوق في عددها تلك المصنوعة من معادن أدنى بكثير.

تحركّ هائسل بتؤدّة بالغة، حتّى إن تيريون أنهى بيضته وبدأ يتدوّق البرقوق (ووجدّه مطهوّاً أكثر من اللازم وكثير الماء، ليس كما يُحبّ)، قبل أن يُعطيه صوت الأجنحة إشارة التّهوض. لمحّ العُداة الذي بدا داكناً في نور الفجر، ثم التفت بسرعة إلى مناهة الأرفف الواقعة في طرف العُرفة القصي.

صنعت أدوية وعقاقير المايستر منظراً مشيراً للإعجاب، عشرات الجرار المسدودة بالشّمع، ومئات من القوارير ذات السّدادات ومن القناني المصنوعة من الرُّجاج اللّبنّي، وبرطمانات بلا عدد مملّى بالأعشاب المجفّفة؛ وكلّ وعاءٍ يحمل اسم محتواه بخطّ هائسل المنمّق. قال تيريون لنفسه: عقل منظم. وبالفعل، بمجرد أن تُدرك التّرتيب، ستجد أن لكلّ عقار مكانه. وأشياء مثيرّة للاهتمام حقّاً. سجّل عقله وجود كلّ من خلّو الكرّى، وعنب الثعلب، وحليب الخشخاش، ودموع ليس، وفطر الغاريقون الرّمادي، وآفة الذّئب، ورقصة الشّيطان، وزُعاف البازيليست⁽¹⁾، والعين العمياء، ودم الأرملة...

(1) البازيليست مخلوق زاحف أسطوري، يميّز بالقدرة على القتل بشمّه الرُّعاف، ويُقال إنه ملك الأفاعي.

وقفَ على أصابع قدميه وشَبَّ إلى أعلى، وسحبَ قارورةَ صغيرةٍ مغبرةٍ من على الرَّفِّ العالي، ولمَّا قرأ المکتوبَ عليها ابتسمَ ودسَّها في كُمِّه. كان قد عادَ يجلسُ إلى المائدة ويُقَشَّرُ بيضةً أخرى بالفعل، عندما نزلَ المايستر الأكبر بايسل سلالَمِ المغدفة بتوانٍ، ثم قال العجوز وهو يجلس: «تَمَّ يا سيّدي. مسألة كهذه من الأفضل أن تَمَّ بلا إبطاء، بالفعل، بالفعل... تقول إنها في غاية الأهميّة؟».

- «أوه، بكلِّ تأكيد». وجدَّ تيريون الثريد نخيئًا أكثر من اللازم، ويحتاج عسلًا وزُبْدًا. الواقع أن العسل والزُبْد صارا سلعتين نادرتين في كينجز لاندنج في الآونة الأخيرة، وإن ظلَّ اللورد جايلز يُزوّد القلعة بكميّاتٍ كبيرةٍ منهما. نصف الطّعام الذي يأكلونه هذه الأيام يأتي من أراضيهِ أو أراضي الليدي تاندا، خصوصًا أن روزبي وستوكوورث تقعان على مقربةٍ من المدينة شمالًا، وما زالت الحرب لم تَمُتْهُما.

- «أمير دورن بنفسه. إذا سمحت لي بالشّؤال...».

- «يَحْسُنُ ألا تسأل».

الآن كان فضول بايسل على شفا الانفجار من فرط اشتعاله، لدرجة أن تيريون كادَ يشعُر بمذاقه على لسانه بالفعل وهو يسمع المايستر يُهمهم: «كما تقول. ربما إذن... مجلس الملك...».

نقرَ تيريون بملعقته الخشبيّة على حافة الوعاء قائلاً: «وظيفة المجلس أن ينصح الملك أيها المايستر».

- «تمامًا، والملك...».

- «... صبيٌّ في الثالثة عشر، وأنا أتكلَّم بصوته».

- «نعم، بكلِّ تأكيد، أنت حضرة يد الملك، لكن... أخنك الكريمة، ملكتنا

الوصيّة على العرش، إنها...».

- «... تحمل عبئًا ثقیلاً على كتفيها البيضاء والجميلتين، ولا أرغبُ في

زيادة تلك الأثقال. أهذا ما تُريده أنت؟»، وحنى رأسه وحدجَ المايستر الأكبر بنظرةٍ متسائلةٍ.

خفضَ بايسل ناظريه إلى طعامه. شيءٌ ما في عيني تيريون غير المتماثلتين،

ونظراتهما نصف الخضراء ونصف السوداء، يُصيب النَّاس بالارتباك، وقد تسَلَّح تيريون بهذه المعرفة واستغلَّها جيِّداً. غمغمَ العجوز مكلِّماً البرقوق: «آه، لا شكَّ أن لديك كلَّ الحقِّ يا سيِّدي. مراعاة منك أن... أن تُوفَّر عليها هذا... العبد».

عادَ تيريون إلى الثَّريد غير المُشيع قائلاً: «أنا من هذا الطَّراز من النَّاس، مُراعٍ للغير، وسرسي أختي الحبيبة رغم كلِّ شيء». قال المايستر الأكبر بايسل: «وامرأة كذلك، امرأة غير تقليديَّة على الإطلاق بحق، لكن... ليس من الهيِّن أن تُعنى بشؤون البلاد كلها على الرغم من هشاشة جنسها...».

أوه، صحيح، إنها يمامة مهیضة الجناح حقاً، سلَّ إدارد ستارك. «بِسُرَّني أنك تُشارِكني اهتمامي، وأشكرك على كرم ضيافتك، لكن يوماً طويلاً ينتظرني»، وأرجع ساقيه إلى الخارج لينزل من مقعده، وأردف: «أرجو أن تتكرَّم بإبلاغي في الحال بمجرد أن يأتينا رَدُّ من دورن».

- «كما تأمر يا سيِّدي».

- «وسبِّلْغني أنا فقط؟».

- «آه... بكل تأكيد». كانت يد بايسل المبقَّعة قابضةً على لحيته كما يقبض الغريق على حبل، الشَّيء الذي أثلج صدر تيريون كثيراً، وقال لنفسه: الأول. خرجَ إلى الفناء السُّفلي وصعدَ السَّلام شاعراً بالألم في ساقيه ناقصتي الثَّمو. كانت الشَّمس قد ارتفعت في السَّماء بالفعل، والحركة تدبُّ في أرجاء القلعة، يذرع الحُرَّاس الأسوار، ويتدربُ الفُرسان والرَّجال المسلَّحون بأسلحةٍ ثلثة. جلسَ برون على مقربةٍ عند فم بئر، ومَرَّت به خادمتان حسناوان متهاديتان وقد حملتا بينهما سلَّة من الأماليد المجدولة تحوي ملاءات، لكن المرتزق لم يُعرهما نظرةً واحدةً، فأشارَ تيريون ناحيتهما قائلاً: «يَسْتُ منك يا برون. مناظر جميلة كتلك أمام عينيك مباشرةً، لكنك لا ترى غير قطيع من الأجلاف يُصدر الضَّوضاء».

رَدَّ برون: «في هذه المدينة مئة ماخور أستطيعُ أن أشتري فيها كلَّ ما أريدُ من فروجٍ بقطعةٍ نُحاسيَّةٍ معوجةٍ، لكن قد يأتي يوم تعتمد فيه حياتي على

يقظني في مراقبة أجلافك هؤلاء»، ونهض قائلاً: «من هذا الذي يرتدي الشترّة ذات المربّعات الزّرقاء، وعلى رأسه الأعين الثلاث؟».

- «فارس جوال اسمه تالارد. لماذا؟».

أزاح برون خصلة من شعره عن عينيه مجيباً: «إنه أفضلهم، لكن راقبه وستراه يتحرّك بإيقاع، يُسدّد الضّربات نفسها بالترتيب ذاته كلما هاجم»، وابتسم مضيقاً: «سيكون في هذا موته يوم يُواجهني».

- «إنه متعهد بالولاء لجوفري، فليس من الوارد أن يُواجهك». قطعاً السّاحة وقد راعى برون الفارق بين خطواته الواسعة وخطوات تيريون. يكاد المرتزق يبدو محترماً هذه الأيام، فشعره الفاحم مغسول ومصقّف، ووجهه حليق، ويرتدي واقي الصّدر الأسود المميّز لضباط حرس المدينة، ومن على كتفيه ينسبدل معطف بلون لانستر القرمزي المنقوش بأبّادٍ ذهبية. كان تيريون قد أهده إياه بعدما عيّنه قائد حرسه الشّخصي. «كم واحداً يلتمسون المثل أماننا اليوم؟».

أجاب برون: «ثلاثون ونيف، معظمهم يُريد تقديم شكوى أو أخرى، أو لديه مطلب ما كالعادة، كما أن حيوانتك الأليفة عادت».

زمجر تيريون: «الليدي تاندا؟»..

- «خادمتها. إنها تدعوك لتناول العشاء معها ثانية. تقول إنها ستقدّم فخذ غزال، وزوجاً من الإوز المحشو، مع صلصة الثّوت الأسود، و...».

ختم تيريون العبارة بلهجة جافّة: «... وابتتها». منذ وصوله إلى كينجز لاندينج والليدي تاندا تتعقّب خطاه، مسلّحة بترسانة لا تنتهي من فطائر سمك الشّلّق، والخنازير البريّة، ويخاناتٍ من مختلف الأنواع. بشكل ما راودتها فكرة أن لوردًا قرمًا مثله هو الأنسب ليكون بعل ابنتها لوليس، تلك الفتاة البلهاء كبيرة الحجم، التي تقول عنها الشّائعة إنها لا تزال عذراء في سنّ الحادية والثلاثين. قال: «بلغها اعتذاري».

قال برون وعلى شفّته ابتسامة شريرة: «لا رغبة لديك في إوزة محشوّّة؟».

- «ربما يجدر بك أن تأكل الإوزة وتزوّج الفتاة، أو من الأفضل أن تُرسل لها شاجا».

- «كان شاجا ليأكل الفتاة ويتزوّج الإوّة، ثم إن لوليس تفوقه وزناً على كلّ حال».

- «هذا صحيح»، قال تيريون وهما يَمْزَنان في ظلّ ممشى مغطّى بين بُرجين، ثم سأله: «من يُريدني غيرها؟».

اكتست نبرة المرتزق بالجدّة وهو يُجيب: «نمّة دائن من برافوس يحمل أوراقاً أنيقة وما إلى ذلك، ويطلب أن يرى الملك بشأن ردّ قرض ما».

- «كأن جوفري يستطيع العدّ بعد العشرين. أرسله إلى الأصعب الصّغير، سيجد هو وسيلة لتأجيل الدّفع. ماذا بعد؟».

- «لورد صغير جاء من الثّالث، يقول إن رجال أبيك أحرقوا حصنه واغتصبوا زوجته وقتلوا كلّ فلاحيه».

- «أعتقد أن هذا ما يَسْتُونه الحرب». اشتّم تيريون رائحة جريجور كليجاين في الأمر، أو السير آموري لورك، أو كلب الجحيم الآخر المدلّل لدى أبيه، ذلك الكوهوري. «ما الذي يُريده من جوفري؟».

أجاب برون: «فلاحون مُجدد. لقد قطع الطريق سيراً ليردّد كم هو مخلص ويتوسّل تعريضاً».

- «سأجّد له وقتاً غداً». سواء أكان مخلصاً حقاً أم يائساً فقط، فخضوع واحد من لوردات النّهر لهم قد يكون نافعا. «اعمل على أن ينزل في غُرفة مريحة ويتناول وجبة ساخنة، وأرسل له حذاءً جديداً كذلك، حذاءً جيّداً، مع نحيات الملك جوفري». إبداء القليل من الكرم لن يضرّ أبداً.

أوما برون برأسه باقتضاب، وقال: «نمّة مجموعة كبيرة من الخبّازين والجزّارين والبقّالين يُصِرّون بصخب على أن تسمع ما لديهم».

- «قلتُ لهم المرّة السّابقة إنني لا أملك ما أعطيهم إياه». لا يدخُل كينجز لاندينج الآن غير التّزّر البسير من الطّعام، ومعظمه مخصّص للقلعة والحامية، فارتفعت أسعار الخضراوات والجذور والفاكهة والدّقيق على نحوٍ مغث، ما جعل تيريون لا يرغب في مجرّد تخيّل أنواع اللّحم التي تُطبخ في قدور «جحر البراغيث»، وتمنّى أن يكون لحم أسماك. ما زال لديهم النّهر والبحر... على الأقلّ حتى يُبحر اللورد ستانيس.

- «يُريدون الحماية. ليلة أمس سُويَ خَبَّازٌ حيًّا في فُرنه. ادَّعى الذَّهْماءُ أنه يبيع الخُبْزَ بثمنٍ مبالغ فيه».

- «أهذا صحيح؟».

- «ليس في وسعه الإنكار الآن».

- «إنهم لم يأكلوه، أليس كذلك؟».

- «ليس حسبما سمعتُ».

قال تيريون مكشَّرًا: «المرَّة القادمة سيفعلون. إنني أعطيهم ما أستطيع من حماية، وذوو المعاطف الذَّهبيَّة...».

- «يدَّعون إن الذَّهْماء كان بينهم رجال من ذوي المعاطف الذَّهبيَّة، ويُطالبون بأن يُكلِّموا الملك بنفسه».

- «حمقى». سيصرفهم تيريون مع اعتذاره، بينما كان ابن أخته ليصرفهم والسَّياط والحِراب في أعقابهم. أغرته فكرة أن يسمح بهذا... لكن لا، إنه لا يجرؤ، فعاجلاً أو آجلاً سيزحف عدوُّ ما على كينجز لاندنيج، وآخر شيءٍ يرغب فيه أن يصنع متطوِّعين للخيانة داخل أسوار المدينة. «قُلْ لهم إن الملك جوفري يُشارِكهم مخاوفهم، وسيفعل ما يقدر عليه من أجلهم».

- «إنهم يُريدون الخُبْزَ لا الوعود».

- «إذا أعطيتهم خُبْزًا اليوم، سأجدُ ضِعف عددهم على البوَّابة غدًا. من غيرهم؟».

- «أخ أسود من الجِدار». يقول الوكيل إنه أحضرَ يدًا متعفَّنة في برطمان».

ارتسمت ابتسامة خافتة على شفتي تيريون، وقال: «يُدْهَشْنِي أن أحدًا لم يأكلها. اعتقُد أن عليَّ أن أراه. إنه ليس يورن، أليس كذلك؟».

- «نعم، إنه فارس ما، اسمه ثورن».

- «السير أليسر ثورن؟». من بين كلِّ الإخوة الشُّود الذين قابلهم تيريون

على «الجدار»، كان السير أليسر ثورن أقلَّ من راقه بينهم. إنه رجل رذيل كربه المعشر، يُغالي في قيمة نفسه. «في الواقع لا أجدُ لديَّ رغبةً في رؤية السير أليسر الآن. اعثرْ له على حُجيرةٍ ضيقةٍ لم يُبدِّلوا فيها الملاءات منذ عام، ودَعْ يده تتعفَّن أكثر قليلاً».

أطلق برون ضحكةً امتزجت بنخيره وانصرف، فيما جاهد تيريون لصعود السلالم الملتفة، وبينما قطع الساحة الخارجيّة بخطواتٍ عرجاء من فرط الألم، سمع صلصلة الشبكة الحديدية وهي تُرفع، ورأى أخته تنتظر مع مجموعة كبيرة من الأتباع عند البوابة الرئيسة.

على متن حصانها الأبيض الصغير ارتفعت سرسي عاليًا فوقه كإلهة ترتدي الأخضر، ونادته بلهجة خالية من الدّفء: «أخي». ما زالت الملكة غير مسرورة من الطريقة التي تعامل بها مع جانوس سلينت.

انحنى تيريون بأدب قائلاً: «جلالة الملكة، تبدين جميلةً جدًا هذا الصّباح». كانت ترتدي تاجًا من الذهب ومعطفًا من فرو القاقوم⁽¹⁾، وقد ركّب رجال حاشيتها خيولهم وراءها؛ السير بوروس بلاونت فارس الحرس الملكي الذي يرتدي درعًا من الصّفائح المعدنيّة البيضاء ونظرته المتجهمة المفضّلة، والسير بالون سوان الذي يتدلّى قوسه من سرجه المطعم بالفضّة، واللورد جايلز روزبي بشعّاله المتفاقم، وهالاين الپايرومانسر⁽²⁾ رئيس رابطة الخيميائيين، بالإضافة إلى رفيق الملكة المفضّل الجديد، السير لانسل لانستر ابن عمّهما، ومُرافق زوجها الرّاحل الذي ترقّى إلى فارس بالاحاح من أرملته. كان قابلار وعشرون من الحرس يصحبونهم، فسألها تيريون: «إلى أين أنت ذاهبة يا أختاه؟».

- «أقومُ بجولةٍ على البوّابات لتفقد العرّادات ونافثات اللّهب الجديدة، فلا أريدُ أن يعتقد أحد أننا كلنا لا نعبأ بدفاعات المدينة مثلك»، وسلّطت سرسي عليه تلكما العينين الخضراوين الصّافيتين، اللتين لا يتوارى جمالهما حتى عندما يملأهما الامتعاض، وواصلت: «بلغني أن رنلي باراثيون خرج من هايجاردن، ويزحف على الطّريق الوردى بكامل قوّته».

(1) القاقوم حيوان ثديي ينتمي إلى فصيلة العرسيّات، وهو من أخطر حيوانات هذه الفصيلة، على الرغم من لطّف وجمال شكله.

(2) الپايرومانسر كلمة يونانيّة تعني «كاهن النّار»، وكانت تُستخدم قديمًا للإشارة إلى كلّ من يحترق فنّ التّعامل مع النّار لمختلف الأغراض.

- «فارس أبلغني بالشيء نفسه».

- «قد يصل مع اكتمال القمر».

- «ليس بحركته المتمهّلة الحالّة. إنه يولم كلّ ليلة في قلعةٍ مختلفة، ويعقد بلاطه على كلّ مفترق طرق يمرُّ به».

- «وفي كلّ يوم ينضمّ المزيد إلى راياته. يُقال إن جيشه يضمّ مئة ألف الآن».

- «يدور رقماً مبالغاً فيه».

رَدّت سرسي بحدّة: «إن وراءه قوّة ستورمز إند وهايجاردن أيها الأحمق الصّغير، جميع حملة راية تايرل باستثناء ردواين، ولك أن تشكرني على هذا، فما دمْتُ محتفظةً بتوأمية المجدورين هذين، سيبقى اللورد باكستر في الكرامة» ويعدّ نفسه محظوظاً لأنّه خارج الصّراع».

- «من المؤسف أنك سمحت لفارس الزّهور بالانسلال من بين أصابعك الجميلة. على كلّ حال، رنلي لديه هموم أخرى بخلافنا؛ أبونا في هارنهال، وروب ستارك في ريفررن... لو كنت مكانه لما اختلف ما أفعله كثيرًا، أنقذم وأزدهي بقوّتي أمام البلاد كلها، وأراقب وأنتظر، أدعُ خصومي يتنافسون بينما أنحين الفرصة بكامل راحتي. إذا هزمنا ستارك، سيَسْقُط الجَنُوب في يد رنلي كما تَسْقُط أوراق الشّجر، ولن يكون قد خسِرَ رجلًا واحدًا. وإذا حدث العكس، فيمكنه أن ينقضّ علينا ونحن مشخون بجراح المعركة».

لم يُفلح كلامه في إرضاء سرسي، التي قالت: «أريدك أن تجعل أبي يأتي بجيشه إلى كينجز لاندنج».

حيث لا نفع منه غير إشعارك بالأمان. «منذ متى أستطيع أن أجعل أبي يفعل أيّ شيء؟».

تجاهلت سؤاله قائلة: «ومتى تنوي تحرير چايمي؟ إنه يُساوي مئة منك». قال تيريون بابتسامة معوجة: «أتوسّل إليك ألاّ تخبري الليدي ستارك، فليس لدينا مئة تيريون يُبادلهم به».

قالت الملكة: «لا بُدّ أن أبي فقد عقله عندما أرسلك. أنت عديم الفائدة»،

وسحبت عنانها ودارت بحصانها، وخرجت مسرعةً من البوابة ومعطفها يخفق من ورائها، فأسرع رجال الحاشية يلحقون بها.

الحق أن خوف تيريون من رنلي باراثيون يكاد لا يبلغ نصف خوفه من أخيه ستانيس، فرنلي محبوب من العوام، لكنه لم يُقدّر رجالاً إلى الحرب من قبل قط، بينما ستانيس مختلف تمامًا، صلب وبارد وعنيد. ليتهم يجدون وسيلة يعرفون بها ما يجري في دراجونستون... لكن لا أحد من الصيادين الذين دفع لهم للتخلص على الجزيرة عاد ثانية، والمُخبرون الذين يدّعي فارس أنه زرّعهم في بيت ستانيس لائذون بالصمت على نحو يُثير التوجّس. على أن الشفن اللاسيثية ذات الأبدان المخططة شوهدت بالقرب من ساحل الجزيرة، ولدى فارس تقارير من مير تفيد أن عددًا من مرتزقة البحر تعهّدوا بخدمة دراجونستون. إذا هاجم ستانيس من البحر بينما يقتحم أخوه البوابات، فلن يمضي وقت طويل قبل أن يُعلّق رأس جوفري على خازوق، والأسوأ أن رأسي سيكون إلى جواره. عليه أن يضع خطة لإخراج شاي بأمان من المدينة، إذا بدا أن الأسوأ على وشك الوقوع.

كان بودريك باين واقفًا على باب عُرفته الشمسية، يتفحص الأرض كالمعتاد، وخاطب إيزيم حزام تيريون قائلاً: «إنه في الدّاخل، في عُرفتك يا سيّدي، معذرة».

زفر تيريون وقال: «انظر إليّ يا بود. إنك تُثير أعصابي عندما تُوجّه كلامك لواقِي الصّفن⁽¹⁾ وليس لي، خصوصًا وأنا لا أرتدي واحدًا أصلًا من الذي في عُرفتي؟».

رفع بودريك عينيه إلى وجهه، قبل أن يخفضهما سريعًا ويُجيب: «اللورد الإصبع الصّغير، أعني اللورد پيتر، اللورد بايلش، أمين التّقد».

قال تيريون: «تتكلم كأن هناك مجموعة كاملة في الدّاخل»، فانكمش الصّبي على نفسه كمن تلقى ضربة، ما أشعر تيريون بقدر مفرط من الذّنب. كان اللورد پيتر جالسًا على المقعد المجاور للتّافذة، يبدو عليه الخمول،

(1) واقِي الصّفن نوع من الدّروع يُبَنّ حول الحوض وبين السّاقين لحماية الخصيتين.

وقد تأتت بستره من القطيفة بلون الخوخ وحرملة حريرية صفراء، وأراح يده المغطاة بقفاز على ركبته. قال عندما دخل تيريون: «الملك يُقاتل الأرانب البرية بالقوس والنشاب، والأرانب متفوقة عليه. تعال وانظر».

اضطرَّ تيريون للوقوف على أصابع قدميه ليُلقي نظرة. في الأسفل كان أرنب بريّ ميتاً على الأرض، وآخر ترتجف أذناه الطويلتان وهو على وشك التفوق من سهم في جانبه، بينما تناثرت السهام المهذرة على أرض الساحة نصف الممهدة، كأعوادٍ من القش بعثرتها عاصفة. صاح جوفري: «الآن!»، ليطلق عامل الألعاب سراح الأرنب الذي يُمسكه، فيتأثب مبتعداً. شدَّ جوفري زناد قوسه، لكن السهم أخطأ الأرنب بقدمين، ووقف الحيوان على قائمته الخلفيتين وأنفه يختلج في وجه الملك. لاحقاً، دَوَّر جوفري البكرة لجذب الرتر ثانية، لكن الأرنب كان قد اختفى قبل أن يُلقم القوس سهمًا جديدًا، فصاح: «آخر!»، ليمدَّ عامل الألعاب يده داخل القفص، ثم يُخرجها بأرنب بُني انطلق يجري وسط الحجارة، بينما كاد سهم جوفري المتعجل يُصيب السير پرستون بين ساقيه.

التفت الإصبع الصغير عن النافذة، وسأل بودريك باين: «أترؤفك الأرانب البرية المطبوخة أيها الصبي؟».

حدَّق بود في حذاء الزائر المصنوع من جلد مصبوغ بالأحمر ومزين بالقش السوداء، وقال: «للأكل يا سيدي؟».

قال الإصبع الصغير: «استشر في قدور الطهي، فقريباً ستحتاج الأرانب البرية القلعة، وسأكلها ثلاثاً كل يوم».

قال تيريون: «أفضل من الجرذان على الأسياخ. اتركنا الآن يا بود، ما لم يكن اللورد يتر يرغب في شراب».

أجاب الإصبع الصغير بابتسامته الساخرة: «أشكرك، لكن لا. يقولون إن من يشرب مع القزم يستيقظ ليجد نفسه يحرس «الجدار»، وارتداء الأسود يجعلني أبدو شاحباً كالمرضى».

لا تخف يا سيدي، فليس «الجدار» ما أدخره لك. جلس تيريون على مقعد عالٍ تكومت عليه الوسائد، وقال: «تبدو شديد الأناقة اليوم يا سيدي».

- «أنت تجرحني. إنني أتابرُّ لأبدٍ أنيقًا كلَّ يوم».
 - «أهذه سُترة جديدة؟».
 - «هي كذلك. أنت ثاقب البصر حقًا».
 - «خوخي وأصفر، ألوان عائلتك؟».
 - «كلا، لكن لا مفرَّ من الإصابة بالملل من ارتداء الألوان نفسها يوميًا، أو أن هذا ما اكتشفته».

- «وهذا الخنجر أنيق كذلك».

قال الإصبع الصَّغير وقد لاحَ الحُبثُ في عينه: «حقًا؟»، وسحبَ الخنجر وألقى عليه نظرةً عابرةً كأنه لم يره من قبل قَطُّ، وأردف: «إنه من الفولاذ القالبيري، والمقبض من عظام التَّنين، لكن تقليدي بعض الشيء. إنه ملكك إذا أردت».

قال تيريون: «ملكي؟»، وحدَّجه بنظرةٍ طويلة، ثم تابع: «لا، لا أظنُّ، ليس ملكي أبدًا». الحفير الوقح يعرف، يعرف ويعرف أنني أعرفُ، وبحسب أنني لا أستطيعُ المساس به.

إذا كان هناك رجل يُدَّرع نفسه بالذهب حقًا، فهو بيتر بايلش وليس جايمي لانستر، فدرع جايمي الشَّهيرة مجرد فولاذ مذهَّب، لكن الإصبع الصَّغير، آه... لقد تعلم تيريون عدَّة أشياء عن بيتر العزيز، أشياء جعلت قلقة يترابِد.

قبل عشرة أعوام عيَّنه جون آرن في وظيفةٍ سهلةٍ في الجمارك أدَّرت عليه دخلًا بلا جهدٍ يُذكرُ، وسرعان ما ميَّز اللورد بيتر نفسه بتحصيل ثلاثة أضعاف المبالغ التي يُحصِّلها الجُباة الآخرون للملك، وكان الملك روبرت شديد التَّبذير، فمن الطَّبعي أن يُصبح رجل على شاكلة بيتر بايلش -لديه موهبة تجعله يقرُّك تَينين ذهبيَّين معًا لبيضا ثالثًا- عظيم القيمة لدى يد الملك. صعدَ الإصبع الصَّغير بسرعة السَّهم، وفي غضون ثلاث سنواتٍ من مجيئه إلى البلاط، أصبح أمين التَّقْد وعضوًا في المجلس الصَّغير، واليوم تَبْلُغ إيرادات التَّاج عشرة أضعاف ما كانت تحت إشراف سلفه... وإن تضاعفت ديون التَّاج مرارًا كذلك. أستاذ حقيقي في الحواية بيتر بايلش هذا.

أوه، إنه ذكيٌّ حقًا، فهو لا يجمع الذهب ويكتتره ببساطةٍ في خزانة، لا،

بل يُسَدِّد ديون الملك وعودًا وَيُسْغَل الذهب، يشتري عربات ومحالًا وسُفُنًا وبيوتًا، ويشتري الحبوب وقت وفرتها ويبيع الحُبْز وقت شُحِّها، ويشتري الصُّوف من الشَّمال والكَتَّان من الجَنُوب والحرير من لِس، وَيُخَزِّن الأقمشة وينقلها ويَصْبُغُها ويبيعها؛ وهكذا توالَدَت التَّانِين الذهبية وتكاثرت، لِيُقْرِضَها الإصبع الصَّغير فتعود إليه وقد فقسَّ مزيدٌ منها.

تضمَّن هذا أن ينقل رجاله إلى الأماكن المطلوبة، فحَفَظَ المفاتيح الأربعة رجاله، وعدَّاد وميزان الملك رجلان عَيْنُهما بنفسه، وكذلك الموظَّفون المسؤولون عن دور سَكِّ العُملة الثَّلاث، وأمناء المِئناء، وأمُورِ الضَّرائب والجِمارك، والصُّوَّافون والخمَّارون، وجُباة الرُّسوم، ومُحاسِبو الشُّفن — تسعة من كلِّ عشرة يتمون للإصبع الصَّغير، وهُم رجال تَقْلِيدِيُّون إجمالًا، أبناء تِجَّار ولُوردات ضَمِيلو الشَّان، وأجانب أحيانًا كذلك، لكن التَّائِج التي يُقَدِّمونها تقول بوضوح إنهم أبرع كثيرًا من سابقيهم الثَّبلاء.

لم يَخْطُر لأحدٍ قَطُّ أن يستجوبه عن هذه التَّعِينات، فما الدَّاعي؟ الإصبع الصَّغير لا يُشَكِّل تهديدًا لأحد، رجل ذكي باسم كريم، وصديق الجميع، ودومًا يتمكَّن من العثور على ما يحتاجه الملك أو يده من ذهب، ومع ذلك لا نسب مميِّزًا له على الإطلاق، ووَضَعه قاب قوسين أو أعلى من مجرَّد فارسٍ متجوِّل، ما يجعله رجلًا لا خشية منه. إنه بلا راياتٍ يستدعيها، ولا جيشٍ من الأتباع، ولا معقلٍ عظيم، ولا أملاك تُذَكَّر، ولا احتمالٍ لزيعةٍ من عائلة ثريَّة. لكن هل أجروا على المساس به؟ حتى إذا كان خائنًا؟ لم يكن واثقًا على الإطلاق باستطاعته ذلك، سيَّما الآن والحرب مضطربة. مع الوقت يستطيع أن يستبدل رجاله برجال الإصبع الصَّغير في المواقع الأساسيَّة، لكن...

دَوَّت صيحة من السَّاحة، فقال اللورد بايلش: «آه، جلالته قتلَ أرتبًا».

- «لا شكَّ أنه أرتب بطيء. سيَّدي، أنت نشأت في ريفررن، وسمعتُ أنك كنت قريبًا من آل تلي».

- «يُمكنك أن تقول هذا، من الفتاتين بالتَّحديد».

- «وكم اقتربت؟».

- «فضضتُ بكَارتها. أهذا قريب بما فيه الكفاية؟».

أَلْقَيْتِ الكَذِبَ (وتيريون واثق تمامًا بكونها كذبة) بأسلوب مغرق في اللا مبالاة، لدرجة أنك تكاد تُصدِّقها. أمن الممكن أن كاتلين ستارك هي الكاذبة؟ كذبت بشأن بتوليَّتها والخنجر كذلك؟ كلما عاشَ تيريون أدركَ أن لا شيء بسيطًا والقليل جدًا حقيقي. قال: «ابتا اللورد هوستر لا تُكِنَّان لي حُبًا، وأشك في قبولهما الإصغاء لأيَّ عرضٍ مني، لكن إذا جاءت الكلمات نفسها منك فقد تتقبَّلها أذانهما أكثر».

- «سيعتمد هذا على الكلمات نفسها. إذا كنت تنوي أن تعرض عليها سائزًا مقابل أخيك، فأرجو أن تُضَيِّع وقت أحدٍ آخر، فجوفري لن يتنازل عن لعبته أبدًا، والليدي كاتلين ليست بالحمقاء كي تُفَايِض قَاتِلَ الملك بمجرد فتاة».

- «أعترُفُ أن أعثرُ على آريا كذلك، ولديَّ رجال يبحثون عنها».

- «البحث عن شيءٍ لا يعني العثور عليه».

- «سأندكِّرُ هذا يا سيِّدي. على كلِّ حال، الليدي لايسا هي من أملُ أن تستميلها، فلديَّ لها عرض أفضل».

- «لايسا أسهل انقيادًا من كاتلين، هذا صحيح... لكنها مخيفة أكثر منها، وأعتقد أنها تكرهك».

- «لأنها تظنُّ أن لديها سببًا وجيهًا. عندما كنتُ ضيفها في «العُش»، أصرَّت أنني قتلْتُ زوجها، ولم ترغب في سماع إنكاري»، ومالَ تيريون إلى الأمام مضيقًا: «إذا أعطيتها قاتل جون آرن الحقيقي، فقد يتغيَّر رأيها فيَّ إلى الأحسن».

جعلَ قوله الإصبع الصَّغير يعتدل متبهاً ويقول: «القاتل الحقيقي؟ أعترفُ بأنك أثرت فضولي. عمَّن تتكلَّم؟».

كان هذا دور تيريون لبيتسم، وقال: «الهدايا أعطيها لأصدقائي بلا مقابل، وعلى لايسا آرن أن تتفهَّم هذا».

- «أتبغي صداقتها أم سيوفها؟».

- «هذه وتلك».

ملَّسَ الإصبع الصَّغير على لحيته المشدَّبة بعناية، وقال: «لايسا لديها

نصيبها من المتاعب، رجال القبائل ينزلون من جبال القمر ويشئون الغارات، وأعدادهم أكبر من أي وقتٍ سابق... وتسليحهم أفضل». قال تيريون الذي سلّحهم: «هذا مؤسف. يُمكنني أن أساعدها في ذلك الصّدّد. كلمة مني...».

- «وماذا ستُكلفها هذه الكلمة؟».

- «أريد أن تُعلن لايسا آرَن وابنها أن جوفري الملك، وأن يُقسما له على الولاء...».

قاطعه الإصبع الصّغير: «ويُعلننا الحرب على آل ستارك وتلي؟»، وهزّ رأسه قائلاً: «ها هو الشّم الذي في عسلك يا لانستر، فلايسا لن تُطلق فُرسانها ضد ريشرَرَن أبداً».

- «ولن أطلب منها أن تفعل. إننا لا نُعاني نقصاً من الأعداء. سأستخدم قوّتها لمواجهة اللورد رنلي، أو اللورد ستانيس إذا أبحرَ من دراجونستون، وفي المقابل سأحقّق لها العدالة لموت جون آرَن والسّلام في «الوادي»، بل وسأسمّي طفلها الكريه هذا حاكمًا للشّرق كما كان أبوه من قبله». في أغوار ذاكرته همس صوت وإن: أريدُ أن أراه يطير. «ولأقرار الصّفقة، سأعطيها ابنة أختي».

سرّه حقاً أن يرى نظرة الدّهشة الخالصة في عيني بيتر بايلش الخضراروين المشوّتين بالرّمادي، وهو يقول: «مارسلا؟».

- «يُمكنها أن تتزوّج روبرت الصّغير عندما تُبلّغ، وحتى ذلك الحين ستكون ربيبة الليدي لايسا في «العُش»».

سأله الإصبع الصّغير: «وما رأي جلاله الملكة في تلك الحيلة؟»، وعندما اكتفى تيريون بهزّ كتفيه، انفجر ضاحكاً وقال: «كما حسبْتُ. أنت رجل صغير خطِر يا لانستر. نعم، يُمكنني ترديد تلك الأغنية على مسامع لايسا...»، ومرةً أخرى ارتسمت الابتسامة الماكرة على وجهه ولاخ الحُبث في نظرته وهو يختم عبارته: «... إذا وجدتُ نفسي راغباً». أوماً تيريون برأسه وانتظرَ عالمًا أن الإصبع الصّغير لا يحتمل الصّمت طويلاً، وبالفعل أكملَ اللورد بيتر بعد هنيهة دون أن يبدو عليه أيُّ تأثّر: «ماذا أنال من كلّ هذا؟».

- «هارنهال».

كان من المثير أن يُراقب وجهه لحظتها. أبو اللورد پيتر كان أصغر صغار اللوردات، وجده فارسًا جَوًّا لا بلا أرض أو أملاك، وبالوراثة لا يملك هو غير بضعة فدادين من الحجارة على ساحل «الأصابع» العاصف، بينما هارنهال واحدة من أثري البقاع في الممالك السَّبع، أراضيها شاسعة وخصبة ومعطاءة، وقلعتها العظيمة مهية كأفضل قلاع البلاد... كما أنها ضخمة لدرجة تجعل ريفررَن تنقرم أمامها، تلك القلعة التي نشأ فيها پيتر بايلش وسط عائلة تلي، فقط ليُطرَد بفظافةٍ عندما جرؤ على أن يرفع عينيه إلى ابنة اللورد هوستر.

استغرق الإصبع الصَّغير لحظةً ليعُدِّل حرمته على كتفيه، لكن تيريون رأى بريق الجوع في عيني القِطِّ الماكرتين، وحدث نفسه: إنه لي. قال اللورد پيتر بعد لحظاتٍ متظاهراً بالملل: «هارنهال ملعونة».

- «فلتدُّكها عن آخرها إذن وتُسيِّدها من جديد كما يُناسِبك. ولن تفكر إلى التَّمول، لأنني أنوي أن أجعلك اللورد وليَّ أمر الثَّالوث. لوردات الثَّهر هؤلاء أثبتوا أنهم غير جديرين بالثَّقة. فليقسِّموا لك على الولاء إذن مقابل احتفاظهم بأراضيهم».

- «حتى عائلة تلي؟».

- «إذا تبقى أحد منها عندما ننتهي».

بدا الإصبع الصَّغير كصبيٍّ استرقَّ قُضمةً من قُرص عسل. إنه يُحاول تجنُّب النَّحل، لكن ما ينتظره من رحيقٍ شديد العذوبة، ويجعله عاجزاً عن الصَّبر. قال متأملاً: «هارنهال وكل أراضيها ودخولها. بجزء ريشة ستجعلني واحداً من أعظم اللوردات في البلاد. لستُ ناكراً للجميل يا سيدي... لكن لماذا؟».

- «لقد خدمت أختي بإخلاص في مسألة الخلافة».

- «كما خدمها چانوس سلينت، الذي أُسيِّغَت عليه قلعة هارنهال ذاتها، فقط لئُنتزع منه عندما انتهت الحاجة إليه».

ضحك تيريون قائلاً: «مضطراً أنا يا سيدي، ماذا يُمكنني أن أقول؟ إنني أحتاجك لتمنحني الليدي لايسا، ولم أحتج چانوس سلينت»، وهزَّ كتفيه

المعوجَّتين مواصلاً: «أوترُّ أن تجلس أنت في هارنِهاَل على أن يجلس رنلي على العرش الحدبدي. ظننتُ هذا واضحاً».

- «حقاً. إنك تُدرك أنني ربما أضطرُّ لأن أفرش لايسا ثانية كي تُوافِق على تلك الزَّيجة، أليس كذلك؟».

- «ليس لديَّ شكُّ في أنك أهل للمهمَّة».

قال الإصبع الصَّغير: «ذات مرَّة قلْتُ لند ستارك: إذا وجدت نفسك عارياً مع امرأةٍ قبيحة، فخيارك الوحيد أن تُغمض عينيك وتفرِّغ من الأمر»، وشبك أصابعه وحدَّق في عيني تيريون غير المتمائلتين، وأردف: «أعطني أسبوعين لأرتب أموري وأجد سفينةً تحملني إلى بلدة النَّوارس».

- «لا بأس على الإطلاق».

نهَضَ ضيفه قائلاً: «صباح يسرُّ الأنفُس حقاً يا لانستر، ومفيد... مفيد لكلينا بالتأكيد»، وانحنى ثم عمد إلى الباب بخطواتٍ واسعةٍ وحرملته تدور كدوامة صفراء وراء ظهره.

الثَّاني.

صعدَ تيريون إلى عُرفة نومه ليَنتظر فارس الذي سيظهر بعد قليل، مع حلول المساء على حدِّ تخمينه، أو ربما يتأخَّر حتى يطلع القمر، وإن تمَنَّى ألا يحدث ذلك، فهو يأمل في زيارة شاي اللَّيلة. المفاجأة السَّائرة أن ساعة واحدة مرَّت، قبل أن يُعلِّمه جالت رجل قبيلة الغريبان الحجريَّة بأن الرَّجل المعطر ينتظر على الباب.

قال الخصِيُّ مؤتّباً بعدما دخلَ: «رجل قاسٍ أنت كي تجعل المايستر الأكبر يتحرَّق فضولاً هكذا. إنه لا يطيق الأسرار».

- «أأسمعُ غداً؟ يُغيَّرُ الغُراب بلونه الأسود؟ أم أنك لا ترغب حقاً في سماع ما عرضته على دوران مارتل؟».

قهقه فارس وقال: «ربما أخبرتني به طيور الصَّغيرة بالفعل».

أرادَ تيريون أن يسمع هذا، فقال: «حقاً؟ قلْ إذن».

- «الدورثيون ظلُّوا بمنأى عن تلك الحروب طيلة الوقت، فقط استدعى دوران مارتل راياته، لكن لا شيء أكثر من ذلك. كراهيته لعائلة لانستر

معروفة، ويعتقد السّواد الأعظم من النّاس أنه سينضمُّ إلى اللورد رنلي، وأنت تُريد إثناؤه عن هذا».

- «كلُّ هذا واضح».

- «اللغز الوحيد هو ما عرضته عليه لقاء ولائه. الأمير رجل عاطفي، ولا يزال مفاجئاً في أخته إليا وطفلها الجميل».

- «قال لي أبي ذات مرّة إن اللورد الحق لا يسمح للعاطفة باعتراض طريق الطُّموح أبداً... ويتصادف أن لدينا مقعداً شاغراً في المجلس الصّغير الآن، بعد أن لبس اللورد چانوس الأسود».

قال فارس: «مقعد في المجلس شيء لا يُستهان به! لكن هل سيكفي لأن يجعل رجلاً ألياً مثله ينسى قتل أخته؟».

ابتسم تيريون مجيئاً: «ولم ينسى؟ لقد وعدته بأن أسلمه قتلة أخته، أحياء أو موتى، كما يرغب... بعد انتهاء الحرب بالتأكيد».

رمقه فارس بنظرة أربية، وقال: «طيوري الصّغيرة أخبرتني أن الأميرة إليا صرخت... صرخت اسمًا معيّنًا عندما تهجّموا عليها».

- «أبقى السّرّ سرّاً إذا كان الكلّ يعرفونه؟». معلوم في كاسترلي روك أن جريجور كليجاين قتل إليا وطفلها، ويقولون إنه اغتصب الأميرة ويداه ما زالتا ملطختين بدم ابنها وفئات دماغه.

- «هذا السّر يعني واحداً من رجال السيّد والدك المخلصين».

- «أبي سيكون أول من يقول لك إن خمسين ألفاً من الدورثيين يستحقّون التّضحية بكلب مسعور واحد».

ملّس فارس على وجته المغطّاة بالمساحيق، وقال: «وإذا طالب الأمير دوران بدم اللورد الذي أعطى الأمر بالإضافة للفارس الذي نفّذه؟».

- «روبرت باراثيون هو من قاد الثّورة، وجميع الأوامر أتت منه في النهاية».

- «روبرت لم يكن في كينجز لاندنج».

- «ولا دوران مارتل».

- «إذن، الدّم من أجل كبريائه، ومقعد في المجلس الصّغير من أجل طموحاته، وذهب وأراض بالطّبع. عرض حلّو... لكن دسّ السّم في الحلّو

وارد. لو كنتُ في مكان الأمير، لطلبتُ شيئاً آخر قبل أن أمدَّ يدي إلى قرص العسل، أمانةً ما على حُسن النِّيَّة، وسيلةً مضمونةً تحميني من الخيانة»، وابتسم فارس ابتسامته شديدة اللزوجة تلك، وأكمل: «أيهما ستُعطيه يا تُرى؟».

تنهَّد تيريون وقال: «أنت تعرف، أليس كذلك؟».

- «ما دمت قتلها بهذه الطريقة، فلي... إنه تومن، فلا يُمكنك أن تعرض

مارسلا على لايسا آرن ودوران مارتل معاً».

- «ذكرني ألا أدخل في ألعاب التخمين هذه ثانية معك. إنك تغش».

- «الأمير تومن صبيٌّ طيب».

- «وإذا نأيتُ به عن سرسي وهو لا يزال صغيراً، فلربما يكبر ليصير رجلاً

صالحاً».

- «وملكاً صالحاً؟».

- «چوفري هو الملك».

- «وتومن هو الوريث إذا تعرَّض جلالته لأذى ما، تومن الدَّمث العذب

بطبيعته... والواضح أنه سهل الانقياد».

- «لديك عقل شكَّاك يا فارس».

- «ساعتبرُ هذا ثناءً يا سيّدي. على كلِّ حال، لا شكَّ أن الأمير دوران

سيأخذ الشرف الذي تعرضه عليه بجديَّة. لعبتها بمنتهى البراعة في الحقيقة...

لولا أن هناك ثغرة واحدة».

ضحك تيريون وقال: «اسمها سرسي؟».

- «وهل تُغني شؤون البلاد وما فيها أمّا عن حُبِّها لثمار رَحِمها النّضرة؟

ربما، من أجل مجد عائلتها وأمان بلادها، من الممكن إقناع الملكة بالتخلي

عن تومن أو مارسلا. لكن كليهما؟ لا أظنُّ».

- «ما لا تعرفه سرسي لن يضرَّني أبداً».

- «وإذا اكتشفت جلالته مخططاتك قبل أن تكتمل؟».

قال تيريون: «إذن سأعرفُ أن الرّجل الذي أخبرها عدوٌّ مؤكّد لي»، ولمّا

فهقه فارس، قال في قرارة نفسه: الثالث.



سانزا

تعالى إلى أَيْكة الآلهة اللَّيلة إذا أردتِ العودة إلى دياركِ.
لم يختلف حرف واحد من الكلمات عندما قرأتها سانزا للمرّة المثة
عن أول مرّة، عندما اكتشفت الرّقّ المطويّ تحت وسانتها. لا تعرف كيف
وُضعت الرّسالة هناك أو ممّن جاءت، بما أنها لا تتضمّن توقيعاً أو ختمًا،
كما أن خطّ يد كاتبها غير مألوف. ضمت الرّقّ إلى صدرها بشدّة، وردّدت
الكلمات لنفسها همساً: «تعالى إلى أَيْكة الآلهة اللَّيلة إذا أردتِ العودة إلى
ديارك»، وخرجت منها تنهيدة شديدة الخفوت.

ما معنى هذا؟ أينبغي أن تأخذ الرّسالة إلى الملكة، لتثبت أنها تحسن
التصرّف؟ دلّكت بطنها بعصبية. كدمة الغضب الأرجوانية التي خلّقتها ضربة
السير مرين استحالت إلى لونٍ أصفر قبيح، لكن ما زالت تؤلمها. كانت قبضته
مغطّاة بفقّاز من الحلقات المعدّية عندما ضربها، لكن الغلطة غلطتها، وعليها
أن تتعلّم مواراة مشاعرها تحت السّطح بصورة أفضل، كي لا تُثير غضب
چوفري. عندما علّمت أن العفريت أرسل اللورد سلينت إلى «الجدار»،
نسيت نفسها واندفعت تقول: «أتمنّى أن ينال «الآخرون» منه»، وبالطبع لم
يرض الملك عن هذا.

تعالى إلى أَيْكة الآلهة اللَّيلة إذا أردتِ العودة إلى دياركِ.
لقد تصرّعت سانزا للآلهة بكلّ جوارحها. أمّن الممكن إذن أن تكون هذه
إجابتها؟ فارس حقيقي بعثته لإنقاذها؟ من الجائر أنه أحد التّوأمين ردواين،

أو اللورد بالون الجسور... أو حتى بريك دونداريون، اللورد الشاب الذي
فُتِنَتْ به صديقته جين بول، بشعره الأحمر الذهبي وكوكبات النجوم على
معطفه الأسود.

تعالى إلى أيكة الآلهة الليلة إذا أردت العودة إلى ديارك.
ماذا لو أنها دعابة قاسية من جوفري، كيوم أخذها إلى الشرفات ليربها
رأس أبيها؟ أو لعلَّه شرك خبيث بغية إثبات عدم إخلاصها. إذا ذهبت إلى أيكة
الآلهة، ترى هل ستجد السير إلين باين ينتظرها جالسًا بصمت تحت شجرة
القلوب، في يده «جليد»، وعيناه الشاحبتان تترصدان مجيئها؟
تعالى إلى أيكة الآلهة الليلة إذا أردت العودة إلى ديارك.

عندما انفتح الباب، أسرع تدس الرسالة تحت ملاءتها وجلست فوقها.
كانت خادماتها، تلك الفتاة ذات الشعر البني المتهدل، التي تُذكرها بالفئران.
سألته سائرا: «ماذا تريدن؟».

- «هل ترغب سيديتي في حمام الليلة؟»
- «أريد نازا، إنني أشعر بالبرد». كانت ترتجف حقًا على الرغم من حرارة
اليوم.

- «كما تأمرين».

راقبت سائرا الفتاة بنظرات مرتابة. هل رأت الرسالة؟ أمي من وضعتها
تحت وسادتها؟ لم يبد هذا محتملاً، فالفتاة تلوح على ملامحها بالبلاهة،
وليست شخصاً يؤتمن على توصيل رسالة سرّية، لكن سائرا لا تعرفها حقًا،
فالملكة تُبدل خادماتها كل أسبوعين، لتضمن ألا تُصادقها إحداهن.

عندما تأججت النار في المستوقد، شكرت سائرا الفتاة باقتضاب وأمرتها
بالخروج، فأسرعت تطيع الأمير كعادتها، لكن سائرا قرّرت أن في عينيها شيئاً
ما خبيثاً. لا شك أنها تهرع الآن لإعطاء تقريرها للملكة، أو ربما فارس. إنها
موقنة تماماً من أن كل خادماتها يتجسّسن عليها.

بمجرد أن انفردت بنفسها ألقت الرسالة في اللهب، وشاهدت ورق
الرّقوق يتجعد ويسود. تعالى إلى أيكة الآلهة الليلة إذا أردت العودة إلى

ديارك. سارت إلى نافذتها، وفي الأسفل رأت الفارس القصير الذي يرتدي درعاً شاحبة كالقمر ومعطفاً أبيض ثقيلاً، ويذرع الجسر المتحرك. قدّرت من طول قامته أنه لا يمكن أن يكون غير السير پرستون جرينفيلد. كانت الملكة قد سمحت لها بحرّية التّجوال في القلعة، ومع ذلك سيُصرّ على معرفة وجهتها إذا غادرت حصن ميجور في هذه السّاعة من الليل. ماذا تقول له؟ فجأةً أحسّت بالسّرور لأنها أحرقت الرّسالة.

خلعت فستانها ودخلت فراشها، لكنها لم تنم. ألا يزال هناك؟ وكم سيستظر؟ من القسوة أن تأتيها الرّسالة دون إخبارها بأيّ تفاصيل. ودارت الأفكار وطافت في رأسها.

ليت لديها من يُخبرها ماذا تفعل. إنها تفتقد السّبتة موردن، وأكثر منها حين بوول أخلص صديقاتها. السّبتة فقدت رأسها مع الآخرين، وجريرتها أنها كانت تخدم عائلة ستارك، أمّا حين فلا تدري سانزا ماذا جرى لها، فقد اختفت من مسكنها بعد المذبحة، دون أن يأتي أحد على سيرتها ثانية. كانت تُحاول ألا تُفكّر فيمن تركوها كثيرًا، لكن الذّكريات تأتي بلا دعوة أحيانًا، وعندها يتعذّر عليها أن تحبس دموعها. بين الحين والآخر تفتقد سانزا أختها أيضًا. لا بُدّ أن آريا في ويترفل الآن، ترقّص وتحيك، وتلعب مع بران ويكون الصّغير، بل وتركب إلى البلدة الشّتوية إذا أرادت. مسموح لسانزا بالترُكوب أيضًا، لكن في السّاحة فقط، ولذا سرعان ما أصابها السّأم من الدّوران في دائرة بالحصان طول اليوم.

كانت يقيظَةً تمامًا عندما سمعت الصّياح، الذي أتى من بعيدٍ في البداية ثم اقترب. ارتفعت عقيرة كثيرين بالزّعيق في آنٍ واحد، فلم تُميّز الكلام، وكانت هناك خيول أيضًا، وأقدام تدقّ الأرض، ومن يصيح بالأوامر. انسلت إلى نافذتها ورأت رجالًا يجرون على الأسوار، يحملون الحراب والمشاغل، فقالت لنفسها: عودي إلى فراشكِ. لا شأن لك بشيء من هذا، إنها مجرد مشكلة جديدة في المدينة. معظم الكلام حول آبار القلعة هذه الأيام عن مشكلات المدينة، فالنّاس يتزاحمون وقد أتوا هارين من الحرب، وكثيرون

لا سبيل لديهم للحياة غير أن يسرقوا ويقتلوا بعضهم بعضًا. عودي إلى الفِراش.

غير أن الفارس الأبيض كان قد اختفى عندما نظرت، والجسر مُنزَل فوق الخندق الجاف، لكن بلا حراسة.

دارت سانزا على عقبها بلا تردّد وهرعت إلى الصّوان، وإذا ارتدت ثيابها قالت نفسها: أوه، ماذا أفعل؟ هذا جنون. رأت أضواء مشاعل كثيرة على الأسوار الواقية. هل جاء ستانيس ورنلي أخيرًا للفتك بجوفري وأخذ عرش أخيهما؟ كان الحُرّاس ليرفعوا الجسر المتحرّك في تلك الحالة، لقطع حصن ميجور عن القلعة الخارجيّة. ألقت سانزا معطفًا رماديًا بلا زينة على كتفيها، والتفتت السكّين الذي تُقطع به اللحم قائلة لنفسها: إذا كان فخًا، فخير لي أن أقتل نفسي بدلًا من تركهم يؤلموني أكثر، وخبأت السّلاح تحت معطفها. مرّ طابور من المُبارزين ذوي المعاطف الحمراء وهي تخرُج متسلّلة إلى اللَّيل، فانتظرت حتى ابتعدوا مسافة كافية، قبل أن تنطلق كالسّهم عبر الجسر المتحرّك الخالي من الحراسة. في السّاحة كان الرّجال يربطون أحزمة سيوفهم ويكبّون الشّروج على مِتان الخيول، ولمحت سانزا السير پرستون بالقرب من الاسطبلات مع ثلاثة آخريّن من فرسان الحرس الملكي يُساعدون جوفري على ارتداء درعه ومعاطفهم النَّاصعة تنسدل على ظهورهم. احتبست أنفاسها عندما رأت الملك، لكن من حُسن الحظّ أنه لم يرها وهو يزقّ طالبًا سيفه ونُشابّه⁽¹⁾.

تراجعت الضّجة مع توغّلها أكثر في القلعة، وإن لم تقوَ على النّظر خلفها خشية أن يكون جوفري يُراقب... أو أسوأ، يتبعها. ارتفعت السّلالم الملتفة أمامها، وقد خطّطتها شرائط من الضّوء المتذبذب من النّوافذ في الأعلى. كانت تلهث مع بلوغها قَمّة السّلالم، فجرت عبر صفّ أعمدة تحفّ الظلال، حيث ضغطت جسدها في حائطٍ لتلتقط أنفاسها. عندما احتك شيء ما بساقها

(1) النّشابة آلة حربيّة قديمة، عبارة عن قوسٍ صغير يُستخدم لإطلاق نوعٍ من السّهام يُسمّى النّشاب.

كَادَتْ تَشِبُّ خَارِجَ جِلْدِهَا رُعْبًا، لَكِنَّهُ كَانَ مَجْرَّدَ قِطْ، قِطْ أَسْوَدَ أَشْعَثَ لَهُ أُذُنٌ
وَاحِدَةٌ، هَسَّ فِي وَجْهِهَا ثُمَّ أَسْرَعَ مُبْتَعِدًا.

عِنْدَمَا وَصَلَتْ إِلَى أَيْكَةِ الْآلِهَةِ، كَانَتْ ضَوْضَاءُ الْفُؤْلَازِ وَالْحُلُوقِ قَدْ
انْحَسَرَتْ وَخَفَّتْ إِلَى حَدِّ كَبِيرٍ. شَدَّتْ سَانِزَا مَعْطِفَهَا عَلَى جِسْدِهَا أَكْثَرَ،
وَتَشَمَّمَتْ الْهَوَاءَ الْغَنِيَّ بِرَوَائِحِ أَورَاقِ الشَّجَرِ وَالتُّرْبَةِ قَائِلَةً لِنَفْسِهَا: كَانَتْ
لِيَدِي لِتُحِبَّ الْمَكَانَ هُنَا. ثَمَّةُ شَيْءٍ مَا مِنْ الضَّرَاوَةِ فِي أَيْكِ الْآلِهَةِ كُلِّهَا، وَحَتَّى
هُنَا فِي قَلْبِ الْقَلْعَةِ فِي قَلْبِ الْمَدِينَةِ، يُمَكِّنُكَ أَنْ تَشْعُرَ بِالْآلِهَةِ الْقَدِيمَةِ تُرَاقِبُ
بِأَلْفِ عَيْنٍ خَفِيَّةٍ.

كَانَتْ سَانِزَا تُفَضِّلُ آلِهَةَ أُمِّهَا عَلَى آلِهَةِ أَبِيهَا، وَأَحَبَّتِ التَّمَائِيلَ وَالصُّورَ
الْمَرْسُومَةَ عَلَى الرُّجَاجِ الْمَطْلِيِّ بِالرَّصَاصِ، وَشَذَى الْبُخُورِ الْمَشْتَعِلِ،
وَالشَّيْثُونَاتِ بِأَرْدِيَتِهِنَّ وَبِلُورَاتِهِنَّ، وَلَعِبَ أَلْوَانِ قَوْسِ قَزَحِ السَّحَرِيِّ عَلَى
الْمَذَابِيحِ الْمَرْصُوعَةِ بِعِرْقِ اللَّوْلُؤِ وَالْجَزَعِ وَاللَّازُورِ، وَمَعَ ذَلِكَ لَمْ تَكُنْ تَسْتَطِيعُ
أَنْ تُنْكِرَ أَنَّ أَيْكَةَ الْآلِهَةِ تَحْوِي طَاقَةً مَا أَيْضًا، خَاصَّةً عِنْدَمَا يَجْنُ اللَّيْلُ. هَكَذَا
صَلَّتْ لِلْآلِهَةِ قَائِلَةً: سَاعِدِينِي، ابْعِثِي لِي صَدِيقًا، فَارِسًا حَقًّا يَنْصُرُنِي...

نَحَرَّتْ مِنْ شَجَرَةٍ إِلَى أُخْرَى شَاعِرَةً بِخُشُونَةِ اللَّحَاءِ تَحْتَ أَصَابِعِهَا،
وَاحْتَكَّتِ الْأُورَاقَ بِوَجْهِهَا. هَلْ جَاءَتْ مُتَأَخِّرَةً؟ إِنَّهُ لَنْ يَأْتِيَ وَيُغَادِرَ بَعْدَ فِتْرَةٍ
قَصِيرَةٍ، أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟ وَهَلْ أَتَى أَصْلًا؟ هَلْ نَجِرُّ عَلَى رُفْعِ صَوْتِهَا وَمَنَادَاتِهِ؟
الْمَكَانُ صَامِتٌ سَاكِنٌ تَمَاقًا هُنَا...

- «خَشِيتُ أَلَّا تَأْتِيَ يَا صَغِيرَتِي».

التَفَتَتْ سَانِزَا مُسْرَعَةً، وَخَرَجَ رَجُلٌ مِنْ بَيْنِ الظُّلَالِ، ثَقِيلُ الْوِزْنِ ثَخِينُ
الْعُنُقِ، يَمْشِي مُتَرَنَّحًا وَيَرْتَدِي مَعْطَفًا دَاكِنًا تُغَطِّي قَلْبَ سَوْتِهِ وَجْهَهُ، لَكِنْ عِنْدَمَا
مَسَّ خَيْطَ رَفِيعٍ مِنْ نُورِ الْقَمَرِ وَجَنَّتْهُ، تَعَرَّفَتْهُ عَلَى الْفُورِ مِنْ بَشَرَتِهِ الْمُبْقَعَةِ
وَشَبَكَةِ الْأُورْدَةِ الْبَارِزَةِ مِنْ أَسْفَلِهَا، وَشَهَقَتْ شَاعِرَةً بِقَلْبِهَا يَنْكَسِرُ: «سِيرِ
دُونْتَوْسَ، أَهْوَأَنْتِ؟».

- «نَعَمْ يَا سَيِّدَتِي». شَمَّتْ رَائِحَةَ النَّيِّذِ الْكَرِيهَةِ فِي أَنْفَاسِهِ عِنْدَمَا دَنَا مِنْهَا
قَائِلًا: «أَنَا»، وَمَدَّ يَدَهُ صَوْبَهَا.

تراجعت سائزا قائلة: «إياك!»، ودست يدها في طيات معطفها حيث السكين المخبأ، وقالت: «ماذا... ماذا تريد مني؟».

قال السير دونتوس: «أن أساعدك فقط كما ساعدتني».

- «أنت سكران، أليس كذلك؟».

- «شربت كأساً واحدة فقط لأستجمع شجاعتي. إذا أمسكوا بي الآن، سيسلخون الجلد عن ظهري».

وماذا سيفعلون بي؟ وجدت سائزا نفسها تُفكر في ليدي من جديد. كانت تستطيع أن تشم رائحة الكذب، وكانت لتفعلها الآن، لكنها ماتت، قتلها أبوها بسبب آريا.

سحبت السكين وحملتة أمامها بكلتا يديها، فسألها السير دونتوس: «هل ستعطيني؟».

- «سأفعل. قل لي من أرسلك».

- «لا أحد يا سيدي الجميلة، أقسم علي هذا بشرفي كفارس».

- «فارس؟». كان جوفري قد قضى ألا يعود فارساً، بل يصبح مجرد مهرج، وأقل منزلة من فتى القمر كذلك. «لقد دعوت الآلهة أن تبعث فارساً ينجدني، دعوت ودعوت، فلم ترسل لي مهرجاً عجوزاً سيئاً؟».

- «أستحق هذا، وإنما... أعرف أن ما سأقوله غريب، لكنني كنتُ مهرجاً طيلة سني وأنا فارس، والآن وقد أصبحتُ مهرجاً حقاً، أعتقد... أعتقد أنني قد أجد في نفسي القدرة على أن أكون فارساً من جديد يا سيدي الجميلة، وكل هذا بسببك... بسبب إحسانك وشجاعتك. لقد أنقذتني، ليس من جوفري فقط، بل من نفسي أيضاً»، وخفض صوته مردفاً: «المغتنون يقولون إن مهرجاً آخر كان أعظم الفرسان على الإطلاق...».

همست وقد سرت في جسدها رعدة: «فلوريان».

قال دونتوس بخنوع وهو ينزل على ركبتيه أمامها: «سيدي الجميلة، سأكون لك فلوريان».

خفضت سائزا السكين ببطء وقد دار رأسها كأنها سابحة في الهواء. هذا

جنون، أن أأتمن هذا السَّكَّير على نفسي، لكن لو رفضتُ فهل ستُقدِّم الفرصة نفسها مجدِّداً؟ «كيف... كيف ستفعلها؟ كيف ستهزِّبني؟».

رفع السير دونتوس وجهه إليها، وأجاب: «الخروج بك من القلعة سيكون الجزء الأصعب، لكن بمجرد خروجك فثمة سُفن تأخذك إلى وطنك. احتاج أن أجد المال وأجري الترتيبات فحسب».

سألته وهي تكاد لا تجرؤ على الأمل: «هل يُمكننا أن نذهب الآن؟».

- «اللَّيلة؟ لا يا سيِّدتي، أخشى أننا لا نستطيع. عليّ أولاً أن أعثر على وسيلة أكيدة لإخراجك من القلعة عندما يحين الوقت المناسب، ولن يتم هذا بسهولة أو سرعة، فهم يُراقبونني بدوري»، ولعلَّ شفَّته بتوتُّرٍ وقال: «هلاً أبعدتِ سكينك؟».

دسَّت سائز السكَّين تحت معطفها، وقالت: «انهض يا سيِّدي».

قال السير دونتوس: «أشكرك يا سيِّدتي الجميلة»، ونهضَ متثاقلاً ونفضَ أوراق الشَّجر والتراب عن رُكبتيه، ثم قال: «السَّيد والدك كان رجلاً حقيقياً لم تعرف البلاد له مثيلاً، لكنني لم أحرِّك ساكناً وتركتهم يقتلوه، لم أفل شيئاً أو أفعل شيئاً... ومع ذلك، عندما أرادَ جوفري أن يقتلني، تكلمتِ أنت. سيِّدتي، إنني لم أكن بطلاً قطُّ، لا ردواين ولا باريستان الباسل، ولم أفر بأيِّ دورات ألعاب أو أحقق مجدداً في الحرب... لكنني كنتُ فارساً ذات يوم، وأنتِ ساعدتني على تذكُّر ما يعنيه هذا. إن حياتي رخيصة، لكنها ملكك»، وأراحَ السير دونتوس يده على جذع الشَّجرة الأبيض كثير العقد، وتابع: «أقسم وآلهة أبوك تشهد أنني سأعيدك إلى ديارك».

لقد أقسم، أخذَ على نفسه عهداً مقدَّساً أمام الآلهة. «إذن... سأضع نفسي بين يديك أيها الفارس، لكن كيف أعرفُ عندما يحين وقت الرَّحيل؟ هل سترسِّل لي رسالة أخرى؟».

تطلَّع السير دونتوس حوله متوتِّراً، وقال: «المخاطرة كبيرة. يجب أن تأتي إلى هنا، إلى أيكة الآلهة، كلما استطعتِ، فهنا آمن مكان، أو المكان الوحيد الآمن بالأحرى، وليس مكاناً آخر، لا مسكنك أو مسكني أو على السَّلام أو

في السّاحة، حتى لو بدا أننا وحدنا. الأحجار لها أذان في القلعة الحمراء، وهنا فقط يُمكننا أن نتكلّم بحرّيّة».

- «هنا فقط، لن أنسى».

- «وإذا وجدتِ أني قاس أو ساخر أو لا مبالٍ في وجود الآخرين، فسامحيني يا صغيرتي، فلديّ دور ألعبه، ويجب أن تفعلني مثلي. خطوة واحدة خاطئة وسيُزيّن رأسانا الأسوار كرأس أبيك من قبل».

أومات سانزا قائلة: «مفهوم».

- «يجب أن تكوني شجاعة وقويّة... وصبورة، الصّبر فوق كلّ ما عداه».

قالت: «سأصبر، لكن... أرجوك... نفّذ في أقرب وقتٍ ممكن. إنني خائفة...».

رَدّ السير دونتوس مبتسمًا بشحوب: «وأنا كذلك. والآن يجب أن تذهبي قبل أن ينتبهوا الغيابك».

- «ألن تأتي معي؟».

- «الأفضل ألا تُرى معًا أبدًا».

أومات سانزا ثانية، ثم ابتعدت خطوة، قبل أن تدور بحركة متوتّرة وتطيع قُبلة ناعمة على خدّه وقد أغلقت عينيها، وتهمس: «فارسي فلوريان، الآلهة أجابت دُعائي».

هرعت تقطع الممشى المجاور للنّهر، ومرّت بالمطبخ الصّغير ثم من خلال فناء الخنازير، وقد دفنَ صرير الخنازير في أقفاصها وقع خطواتها العجول، بينما قالت لنفسها: الوطن، الوطن، سأأخذني إلى الوطن، سيحميني، فارسي فلوريان. كانت الأغاني التي تحكي عن فلوريان وچونكويل أثيرة إليها عن الأخرى كلها. فلوريان أيضًا كان دميّمًا، وإن لم يكن عجوزًا هكذا.

كانت تعدو عدوًا على السّلالم الملتقّة، عندما خرج رجل فجأة من باب غير مرئي، فارتطمت به مباشرة وفقدت توازنها، لكن أصابع من حديدٍ أطبقت على معصمها قبل أن تسقط، وسمعت صوتًا أجشّ غليظًا يقول لها: «سقوط هذه الدّرجات مميت أيتها الطّائر الصّغير. أتريدن قتلنا معًا؟»، وأصدر ضحكة خشنة كصوت منشارٍ يحتك بحجر، وأضاف: «لعلّ هذا ما تُريدنه».

كلب الصيد. قالت سائرا حابئة عينيها: «لا يا سيدي، مستحيل أن أفعل هذا»، لكنه كان قد رأى وجهها. حاولت التملص قائلة: «أرجوك، إنك تؤلمني».

- «وما الذي يجعل طائر خوف الصغير يجري على السلالم في هذه الساعة من الليل؟»، وعندما لم تُجر جوابًا هزًا قائلاً بحدة: «أين كنت؟». أجابت دون أن تجسر على الكذب: «في أ-أ-أبيكة الآلهة يا سيدي... أصلي... أصلي من أجل أبي و... والملك، أصلي ألا يمسه أذى».

قال: «أتحسبني سكرانًا لدرجة أن أصدق هذا؟»، وأطلق سراحها وهو يتمايل بعض الشيء في وقفته، وشرايط من الضوء والظلام تسقط متوازية على وجهه المحروق البشع. «تكادي تبدين امرأة... لديك الوجه والثديان، وقامتك تبدو أطول بعض الشيء كذلك... آه، لكنك ما زلت طائرًا صغيرًا مغفلًا، أليس كذلك؟ تُرددين كل الأغاني التي علّموك إياها... فلتعني لي إذن، هيا، غني لي، أغنية ما عن الفُرسان والحسنات. تُحيين الفُرسان، أليس كذلك؟».

كان يُخيفها حقًا الآن، فأجابت: «أحب الفُرسان الحقيقيين يا سيدي».

- «الفُرسان الحقيقيين»، ردّد ساخرًا. «وأنا لست سيّدًا أكثر من كوني فارسًا. أوجب أن أضربك حتى تتذكّري هذا؟»، وترنّج كليجاين وكاذّ يقع، فقال: «نبذ كثير جدًّا بحق الآلهة. أُنحّين النّبيذ أيتها الطّائر الصغير؟ النّبيذ الحقيقي؟ إيريقي من الأحمر المُر هو كل ما يحتاجه الرّجل، أو المرأة»، وضحك وهزّ رأسه متابعًا: «سكران كالكلاب عليّ اللّعة. هلمّي، يجب أن تعودني إلى قفصك أيتها الطّائر الصغير، سأصحبك إلى هناك، أحافظ على سلامتك من أجل الملك»، وأعطاهما كلب الصيد دَفعة رقيقة أدهشتها، وتبعها نزولًا على السّلالم، ولمّا بلغا القاع كان قد لاذّ بصمتٍ مُطيق كأنه نسي وجودها. عندما وصلا إلى حصن ميجور أثار ارتياحها أن ترى السير بوروس بلاونيت يحرس الجسر الآن. استدارت خوذته البيضاء العالية بجمود على وقع خطواتهما، وجفّلت سائرا من نظرتها. السير بوروس هو أسوأ فُرسان الحرس الملكي طرًا، رجل قبيح معتل المزاج، كبير اللغد وعابس النظرات.

وضع كلب الصَّيْد يده الثَّقِيلَة على كتفها قائلاً: «هذا الرَّجُل ليس بالمخيف حقاً يا فتاة. إذا رسمتِ شرائط على ضفدع، فلن يجعله هذا نمراً». رفع السير بوروس مقدّمة خوذته قائلاً: «أيها الفارس، أين...». - «سُحَقاً لهذا اللّقب القبيح يا بوروس، أنت الفارس وليس أنا. إنني كلب الملك، أتذكّر؟».

- «الملك كان يبحث عن كلبه منذ فترة». - «والكلب كان يَلْعُ في شرابه. من المفترض أن تحرّسه أنت اللّيلة أيها الفارس، أليس كذلك؟ أنت وإخوتي الآخرون». التفت السير بوروس إلى سائزاً قائلاً: «ماذا تفعلين خارج مسكنك في هذه السّاعة أينها السيّدة؟».

- «ذهبتُ إلى أيكَة الآلهة لأصلي من أجل الملك». بدت الكذبة أفضل على سامعها هذه المرّة، تكاد تكون صدقاً. قال كليجاين: «أتوقّع أن تستطيع الفتاة النّوم مع كلّ هذا الضّجيج؟ ماذا حدث؟».

أجاب بوروس: «بعض الحمقى على البوّابة. ثعّة ألسنة فالتة نشرّت حكايات عن الاستعدادات لمأدبة زفاف تايرك لانستر، واعتقد هؤلاء المأفونون بشكل ما أن من الواجب أن تُقام لهم مأدبة بدورهم، فقاد جلالته فرقة وجعلهم يؤلّون الأدبار».

قال كليجاين وفمه يرتعش: «صبيّ شجاع». سرى شجاعته الحقيقة عندما يؤاوجه أخي. اصطحبها كلب الصَّيْد عبر الجسر المتحرّك، وبينما صعدا الدّرجات إلى مسكنها قالت له: «لماذا تسمح لهم بمناداتك بالكلب؟ إنك لا تسمح لأحد بأن يدعوك بالفارس».

- «أحبّ الكلاب أكثر من الفُرسان. أبوأي كان قيّم الوِجَار في الصّخرة»، وفي عام خريفِي اعترض اللورد تايتوس الطريق بين لبّوة وفريستها، ولم تُبال اللّبوة مقدّار قطعة خراء بأنها رمز عائلة لانستر. أنشبت اللعينة أنيابها ومخالبها في حصان سيّدي، وكانت لتتمزّق الرّجل إرباً كذلك، لولا أن جدّي جاء ومعه كلاب الصَّيْد. مات ثلاثة من الكلاب وهم يُحاولون طردها، وفقد جدّي

ساقًا، فدفع له لانستر ثمنها أرضًا ومنزلًا ذا بُرج، وأخذ أبي مُرافقًا له. الكلاب الثلاثة على رايتنا هي الكلاب التي ماتت وسط أصفر عُشب الخريف. كلب الصَّيد سيموت من أجلك، لكن لن يكذب عليك أبدًا، وسيُنظرُ في وجهك مباشرةً، وأمسك وجهها من تحت الفكِّ رافعًا ذقنها، لتقرصها أصابعه على نحو مؤلم، وقال: «وهذا أكثر مما تستطيع الطُّيور الصَّغيرة أن تفعله، أليس كذلك؟ لم أحصل على أغنيَّتِي بعد».

- «أعرف... أعرف واحدة عن فلوريان وچونكويل».

- «فلوريان وچونكويل؟ مهرِّج وساقطه! اعفني. لكن ذات يوم سأنال منك أغنيَّة، شئت أم أبيت».

- «سيُسعدني أن أغنيها لك».

أطلق ساندور كليجاين نخيرًا، وقال متهمًّا: «جميلة أنت، وخاتبة جدًّا في الكذب. الكلاب تشمُّ رائحة الكذب كما تعرفين، فانظري حولك واستنشي جيّدًا. كلهم كذّابون هنا... وكلهم أبرع منك».



آريا

عندما تسلّقت حتى بلغت أعلى الغُصون، رأت آريا المداخن بارزة من بين قمم الأشجار، وقد احتشدت البيوت المسقوفة بالقش بطول شاطئ البحيرة والنّهر الصّغير الذي يصبّ فيها، بينما يمتدّ رصيف خشبي في الماء بمحاذاة مبنى طويل واطى ذي سقفٍ مكسو بألواح الأردواز. زحفت إلى الخارج أكثر حتى بدأ الغُصن يرتخي تحت ثقلها، لكنها لم ترَ قواربٍ مربوطة بالرّصيف، وإن لمحت خيوطاً رفيعة من الدُّخان تتصاعد من إحدى المداخن، وجزءاً من عربة يبرّز من وراء اسطبل. قالت آريا لنفسها ماضعة شفتها: أحدهم هناك. كلُّ الأماكن الأخرى التي صادفتهم كانت خاوية مهجورة؛ المزارع والقرى والقلاع والسّبات والحظائر، لا فارق. إذا كان ثمة شيء قابل للاحتراق، فرجال لانستر أحرقوه، وإذا كان قابلاً للموت قتلوه، حتى إنهم أضرموا النّار في الغابات حيثما استطاعوا، وإن كانت أوراق الشّجر لا تزال خضراء مبتلة إثر الأمطار الأخيرة، فلم تنتشر النّيران. قال لها جندري: «كانوا ليُحرقون البحيرة نفسها إذا استطاعوا»، وعرفت آريا أنه على حق. ليلة هروبهم توهّج انعكاس اللّهب الذي التهم البلدة التهاماً على صفحة الماء بشدّة، حتى بدت البحيرة مشتعلة بالفعل.

عندما استطاعت وجندري أخيراً لملمة الشّجاعة الكافية للتسلّل إلى خرائب البلدة في اللّيلة الثّالثة، لم يعثرا على شيء بقى غير الحجارة المسوّدة وهياكل البيوت الجوفاء والجُثث، وفي بعض البقاع كان الدُّخان الباهت لا

يزال يتصاعد من الرماد. قبلها توسّل هوث باي إليهما ألا يعودا، ونعتهما لومي بالحُمق وأقسم أن السير آموري سيقبض عليهما ويقتلهما أيضًا، لكن لورك ورجاله كانوا قد رخلوا بالفعل منذ فترة طويلة عند وصول آريا وجندري إلى المعقل، حيث وجدا الأبواب محطّمة والأسوار متهدّمة إلى حدّ كبير، بينما تناثرت جثامين الأموات هنا وهناك. نظرة واحدة كانت تكفي جندري، فقال: «لقد قُتلوا عن آخرهم، والكلاب نالت منهم كذلك، انظر».

- «أو الذئاب».

- «كلاب أو ذئاب، لا فارق. كل شيء انتهى هنا».

لكن آريا رفضت المغادرة حتى يَعثُرا على يورن. قالت لنفسها إن من غير الممكن أنهم قتلوه، إنه قويّ عنيد، وأخ في حرس الليل فضلًا عن ذلك، وردّدت هذا على مسامع جندري وهما يبحثان بين الجثث.

ضربة الفأس التي قتلته قصّمت جمجمته شطرين، لكن اللّحية المشعنة الكثّة لا يمكن أن تكون لأحدٍ آخر، وكذلك الثّياب المتسخة المرقّعة التي لوّحتها الشّمس حتى أصبحت رماديّة أكثر من سوداء. لم يُبالِ السير آموري لورك بدفن موته أكثر مما فعل بالذين قتلهم، فقد تكوّمت جثث أربعة من رجال لانستر بالقرب من جثّة يورن، وتساءلت آريا عن العدد الذي تطلّب إسقاطه في النّهاية.

قالت لنفسها وهما يحفّران قبرًا للعجوز: كان سيأخذني إلى الدّيار. عدد الموتى كان أكبر من أن يستطيعا دفنهم جميعًا، لكن آريا أصرّت أن يورن على الأقلّ يستحقّ قبرًا. كان سيُعيدني إلى أمان ويترفل، هكذا وعدني.

جزء منها أراد أن يبكي، والجزء الآخر أراد أن يركّله.

جندري هو من فكّر في منزل لورد البلدة والثلاثة الذين أمرهم يورن بالدّفاع عنه. لقد تعرّضوا للهجوم أيضًا، لكن البرج المستدير له مدخل واحد، باب في الطّابق الثّاني لا يُمكن بلوغه إلّا بسُلّم، وبمجرّد أن رُفِع السُلّم لم يستطع رجال السير آموري التّيل منهم. كان رجال لانستر قد كوّموا شجيرات صغيرة حول قاعدة البرج وأشعلوها، لكن الحجر قاوم النّار، ولورك لم يتمنّع

بالصَّبْر كي يُجَوِّع الثلاثة حتى يَخْرُجُوا. فَتَحَ كَتَجَاكَ الباب مع نداء جندري، وعندما قال كورز إن من الأفضل أن يتقدّموا شمالًا بدلًا من العودة، تمسّكت أريا بمرتجى الرُّجوع إلى ويتترفل على الرغم مما حدث.

حسنٌ، هذه القرية لا تُضاهي ويتترفل قطعًا، لكن سقوف البيوت المغطاة بالقشّ تعدُّ بالدّف والمأوى، وربما الطّعام كذلك، إذا وجدوا الجرأة الكافية للتسلّل إليها. ما لم يكن لورك هناك. إن لديه خيولًا، ولا بُدّ أنه تحرّك أسرع منا. راقبت من مكمنها على الشّجرة فترةً طويلةً على أمل أن ترى شيئًا، سواء أكان رجلًا أم حصانًا أم رايةً، شيئًا ما يُعينها على المعرفة. لمحت حركةً بضع مرّات، لكن المباني بعيدة وتجعل التأكد عصيًا، لكنها سمعت صهيل حصان بوضوح تام.

امتلاً الهواء بالطيور، أغلبها غريبان بدت من بعيد بحجم الذباب وهي تُحلّق وتدور حول الشّقوف. إلى الشّرق كان سطح «عين الآلهة» كلوح أزرق ضخم طرّفته الشّمس ويملاً نصف العالم. في بعض الأيام، إذ يقطعون دربهم البطيء على الشّاطئ الموحد (فجندري رفض التحرك على أيّ طريق رئيس أيا كان، وحتى هوت باي ولومي رأيا الصّواب في هذا)، كانت أريا تحسّ كأن البحيرة تُناديها، وتُريد أن تثب في تلك المياه الزّرقاء الرّائقة، أن تشعّر بالنظافة مجدّدًا وتسبح وتثر الماء وتشمّس، لكنها لم تجرؤ على خلع ثيابها في وجود الآخرين، ولا حتى لتغسلها. هكذا، في نهاية اليوم، كانت غالبًا ما تجلس على صخرة وتُدلّي قدميها في المياه الباردة. لقد تخلصت أخيرًا من حذائها المشقّق الذي تعفن جلده، ومع أنها وجدت السّير حافية القدمين صعبًا في البداية، لكن البثور انفتحت أخيرًا، وشُفيت الجروح، واكتسى باطن قدميها بطبقةً جلديةً سميقة. أحبّت الشّعور بالطمي بين أصابع قدميها، وبالثّربة تحتها وهي تمشي.

من مكمنها العالي رأت جزيرةً صغيرةً غريبة الأشجار تقع إلى الشّمال الشرقي، بينما من بُعد ثلاثين ياردةً من الشّاطئ كانت ثلاث بجعات سوداء تنزلق على الماء بمتهى التّكينة... لا أحد أخبرها أن الحرب احتدمت، وهي

لا تكثر بالبلدات المحروقة وأهاليها المذبوحين. حدّقت فيها آريا بحنين، وجزء منها يرغب في أن تكون بجمعة، فيما يرغب الجزء الثاني في أن تأكل واحدة، فقد أظفرت على معجون جوز البلوط وحفنة من الحشرات. ليست الحشرات بهذا الشؤ عندما تعتاد عليها، لكن الذود أسوأ، وإن لم يكن بسوء الجوع الذي يُشعل بطنك وجعاً بعد أيام بلا طعام؛ والعثور على الحشرات سهل، فكل ما عليك أن تقلب صخرة فقط. أكلت آريا حشرة ذات مرة في صغرها، فقط لثّير هلع سائزاً، وهكذا لم تخش أن تأكل حشرة أخرى. الفتاة الصغيرة لم تخش أكل الحشرات كذلك، لكن هوت باي تقيّاً الخُفساء التي حاول أن يزدريها، ولومي وجندري رفضا التجربة أصلاً. بالأسس اصطاد جندري ضفدعةً وتقاسمها مع لومي، وقبلها بيضعة أيام وجد هوت باي دغلاً من الثوت الأسود فاقتطف كل ما فيه من ثمار، لكنهم تعيَّشوا في الغالب على الماء والبلوط. أراهم كورز كيف يستخدمون صخرة لعمل معجون الجوز، وكان مذاقه مريعاً.

تمت لو أن لص الصّيد لم يمت، إذ كان يعرف عن الغابات أكثر من بقيّتهم مجتمعين، لكنه أصيب بسهم في كتفه وهو يرفع سُلّم البرج. غطى تاربر الجرح بالطّين والطّحالب، وطيلة يوم أو اثنين راح كورز يحلف إن الجرح لا يُزعجه على الإطلاق، على الرغم من أن لون حلقه استحال داكناً وزحفت انتفاخات حمراء غاضبة على فكّه وصدره. ثم جاء صباح خارت فيه قدرته على الثّووض، وفي الصّباح التّالي فارق الحياة.

دَفَنُوهُ تحت كومة من الحجارة، واستحوذ كنتچاك على سيفه وبوقه، بينما أخذ تاربر قوسه وسكّينه وحذاءه... ثم إنهما أخذاً كل شيء عندما رحلا. في البدء ظنّ البقيّة أنهما ذهبا للصّيد وعمّا قريب سيعودان ومعهما ما يُطعمهم جميعاً، لكنهم انتظروا وانتظروا حتى جعلهم جندري يتحرّكون في النهاية. لعلّ تاربر وكنتچاك قرّرا أن فرصتهما أفضل دون أن يضطّرا للعناية بمجموعة من الصّبية اليتامى. كانوا ليفعلون المثل لو تبدّلت الأدوار، لكن هذا لم يمنع آريا من كراهيتهما لتخليهما عنهم.

بدأ هوت پای ینج تحت شجرتها كالكلاب. كان كورز قد قال لهم أن يستخدموا أصوات الحيوانات لتبادل الإشارات فيما بينهم، مفسراً أنها حيلة قديمة يُمارسها لصوص الصَّيد، لكنه مات قبل أن يُعلّمهم كيفية إصدار الأصوات بشكل سليم، ما جعل أصوات طيور هوت پای شنيعة، بينما صوت الكلب أفضل، وإن لم يكن كثيراً.

وثبت آريا من الغصن العالي إلى آخر أسفله وقد بسطت يديها طلباً للتوازن. راقص المياه لا يسقط أبداً. كوّرت أصابع قدميها الرشيقتين حول الغصن بإحكام وسارت بضعة أقدام، ثم وثبت إلى فرع أكبر، قبل أن تتأرجح منه إلى غيره، وهكذا بين الأوراق المتشابكة، حتى بلغت الجذع. كان اللحاء خشناً تحت أصابع يديها وقدميها، لكنها نزلت بسرعة، قافزة الأقدام الستة الأخيرة التي تفصلها عن الأرض، لتدحرج فوراً أن حطت.

مدّ جندري يده يُساعدُها على النهوض قائلاً: «قضيت وقتاً طويلاً في الأعلى. ماذا رأيت؟».

- «قرية صيادين، مجرد مكان صغير شمالاً على الشاطئ، ستة وعشرون من الأسقف المغطاة بالقش وواحد بألواح الأردواز حسبما أحصيت. رأيت جزءاً من عربة، فلا بد أن أحدهم هناك».

خرجت بنت عرس زاحفة من بين الشجيرات على وقع صوتها. كان لومي قد أطلق عليها هذا اللقب لأنها تبدو كبنات عرس، وهذا ليس صحيحاً، لكنهم لا يستطيعون مناداتها بالفتاة الباكية بعد أن كفت أخيراً عن البكاء. رأت فيها متسخاً، فتمنت آريا أنها لم تكن تأكل الطين مرةً أخرى. سألتها جندري: «هل رأيت ناساً؟».

أجابته: «أغلب ما رأيته سقوف، لكن الدخان يخرج من بعض المداخل، وسمعتُ صهيل حصان».

طوّقت بنت عرس ساقي آريا بذراعيها وتمسكت بهما بشدة، كما أصبحت تفعل أحياناً، بينما قال هوت پای بصوت أعلى من اللازم: «ما دام هناك ناس

فهناك طعام». دائماً يُبْهِّه جندري إلى التزام الهدوء، لكنه لا يتعلَّم أبداً. «قد يُعطوننا شيئاً نأكله».

قال جندري: «وقد يَقْتُلُونَا أيضاً».

- «كأن لومي مَنْ يتكلَّم!».

جلسَ لومي أخضر اليد مستنداً إلى جذع شجرة بلوط بين اثنين من جذورها الغليظة. كان رُمح قد اخترقَ رِيلة ساقه اليسرى أثناء القتال في المعقل، ومع نهاية اليوم التَّالي أصبحَ من الضَّروري أن يمشي على ساقٍ واحدة وقد وضعَ ذراعه حول جندري، لكن حتى ذلك لم يَعد قادراً عليه الآن. قطعوا فروع أشجار وصنعوا منها محفَّةً، وإن اتَّضح أن حملة عمل بطيء وينطوي على الكثير من المشقَّة، كما أنه يَشُ كَلِما ارتجَّت به المحفَّة. قال لهم: «كان يجب أن يستسلم، هذا ما كان ينبغي أن يفعله يورن، يفتح البوابات كما قالوا».

ضاقَت آريا ذرعاً بقول لومي مرازاً وتكراراً بأن يورن كان ينبغي أن يستسلم، فهذا كلُّ ما يتكلَّم عنه وهم يحملونه، هذا وساقه ومعدته الخالية.

قال هوت پاي: «قالوا ليورن أن يفتح البوابات، قالوا له باسم الملك، وعلى المرء أن يُطيع ما يأمرونه به باسم الملك. إنها غلطة العجوز كرية الرَّائحة، لو أنه استسلم لتركونا وشأننا».

قطَّب جندري وجهه قائلاً: «الفرسان وصغار اللوردات يأسرون بعضهم بعضاً ويدفعون فديةً، لكنهم لا يُبالون باستسلام أمثالك من عدمه»، ثم التفتَ مخاطباً آريا: «ماذا رأيت غير ذلك؟».

لكن هوت پاي هو من ردَّ: «إنها قرية صيَّادين، فأراهم أن لديهم سمكاً يبيعوننا إياه». البحيرة زاخرة بأنواع طيِّبة من الأسماك حقاً، لكنهم لا يملكون شيئاً يصيدونها به، وقد حاولت آريا استخدام يديها، كما رأت كوس يفعل، إلا أن السَّمك أسرع من الحمام، والمياه خدَّاعة لعينيها.

قالت آريا وهي تشدُّ شعر بنت عرس الملبَّد، مفكِّرة أن من الأفضل أن يُقَصَّ: «لا أدري إن كانت هناك أسماك حقاً، فهناك غِربان عند الماء. شيء ما ميت هناك».

قال هوت پاي: «إنها أسماك جرفها التيار إلى الشاطئ. إذا كانت الغربان تأكلها، فيمكننا أن نأكلها أيضًا».

قال لومي: «يُمكننا أن نصطاد بعض الغربان ونأكلها، نوَقد نارًا ونشويها كاللِّدْجاج».

رَدَّ جندرِي وقد بدَّت عليه الشَّراسة كعادته عندما يعبس، خصوصًا أن لحيته صارَت كَثَّةً حالكة السَّواد: «قلْتُ لن تُشعل نارًا».

قال هوت پاي متأفِّفًا: «لومي جائع، وأنا أيضًا».

قالت آريا: «كلنا جائعون».

زعقَ لومي من مكانه على الأرض: «أنت لست جائعًا يا أنفاس الدِّيدان!».

أرادَت آريا أن تَرُكِّله في جرحه، لكنها قالت: «قلْتُ إنني سأجُدُّ دودًا لك أيضًا إذا أردت».

قال لومي باشمئزاز: «لولا ساقي لاصطدْتُ لنا خنازير برِّيَّة».

علَّقت ساخرة: «خنازير برِّيَّة! تحتاج رُمَحًا خاصًّا لاصطياد خنزير برِّي، وخبولًا وكلابًا أيضًا، ورجال يستدرجون الحيوان من مخبأه». كان أبوها يصطاد الخنازير البرِّيَّة في غابة الذُّئاب مع روب وچون، وذات مرَّة أخذوا بران معهم، لكن ليس آريا قَطُّ، على الرغم من أنها أكبر منه سنًّا. قالت السَّيِّئة موردن إن الصَّيد ليس نشاطًا تُمارسه ليدي، بينما وعدَت السيِّدة والدتها فقط بأنَّها قد تحظى بصقر عندما تكبُر أكثر.

إنها أكبر الآن، لكن لو كان لديها صقر لالتهمته التهامًا.

قال هوت پاي: «ما الذي تعلمه أنت عن صيد الخنازير البرِّيَّة؟».

- «أعلمُ أكثر منك».

لم يكن جندرِي في مزاج يسمح بسماع هذا الجدل، فقال: «فليصُمْتُ كلاكما، أريدُ أن أفكِّر فيما نفعله». دائِمًا ما يبدو كأنه يتألَّم وهو يُحاول التَّفكير، كأن التَّفكير مَوجع له حقًّا.

قال لومي: «نستسلم».

- «قلتُ لك أن تخرس بشأن الاستسلام. إننا لا نعرف مَنْ هناك حتى. قد نستطيع أن نسرق القليل من الطعام».

قال هوت پاي: «كان لومي ليسرقه لولا ساقه، فقد كان ليصًا في المدينة».

ردّت آريا: «ليصًا سيئًا، وإلا لما قُبِضَ عليه».

رمقَ جندري الشَّمس مضيئًا عينيه، وقال: «المساء أفضل وقتٍ للتسلُّل. سأذهب للاستطلاع مع حلول الظلام».

قالت آريا: «كلا، سأذهب أنا، لأنك تصدرِ جلبيةً عاليةً».

لاحت النظرة الشرسة إياها في عيني جندري وهو يقول: «كلانا سيذهب إذن».

قال لومي: «يَحْسُن أن يذهب آري، فهو يُجيد التسلُّل أكثر منك».

- «قلتُ إننا سنذهب معًا».

- «لكن ماذا لو لم تعودا؟ هوت پاي لا يقوى على حملي وحده، وأنت تعرف هذا...».

أضاف هوت پاي: «وهناك ذئاب، سمعتها ليلة أمس أثناء نوبة حراستي، وبدا صوته قريبًا».

آريا أيضًا سمعتها. كانت نائمةً على فروع شجرة دردار، لكن العواء أيقظها، وجلست تُصغي له ساعةً كاملةً والوخز يزحف على عمودها الفقري.

قال هوت پاي: «كما أنك لا تسمح لنا بإشعال النار كي نُبعدها عنا حتى. ليس عدلاً أن تتركنا للذئاب».

قال جندري بامتناع: «لا أحد سيرُككم. لومي معه رُمحه إذا هاجمتمكم الذئاب، وأنت معه. سوف نذهب ونلقي نظرةً فقط ثم نعود».

متذمّرًا قال لومي: «أيًا كان الذين هناك، فعليكما الاستسلام لهم. أحتاج دواءً لساقي، إنها تؤلّمني جدًّا».

ردّ جندري: «إذا رأينا دواءً للسَّيقان، سنأخذه. آري، هيا بنا. أريدُ أن أقرب من القرية قبل أن تنخفض الشَّمس. هوت پاي، أبقِ بنت عرس هنا، فلا أريدها أن تبتعنا».

- «المرّة السّابقة ركلتني».

قال جندري: «وسأركلك أنا إذا لم تُبقها هنا»، ودون أن ينتظر ردّا اعتمَرَ خوذته الفولاذيّة وتحرك، واضطّرت آريا للإسراع كي تُواكبه، فجندري أكبر منها بخمسة أعوام وأطول منها بقدّم كامل، وطويل السّاقين كذلك. لم يُقل شيئاً فترةً، واكتفى بالخوض بين الأشجار مُصدراً الكثير من الضجّة، وقد اعتلّت وجهه نظرة غاضبة، لكنه توقّف أخيراً وقال: «أظنّ أن لومي سيموت». لم تندّش، فكورز مات بفعل جرحه مع أنه كان أقوى كثيراً من لومي. كلما جاء دور آريا للمساعدة على حمله، شعرت بدفء بشرته وشمّت الرائحة الكريهة المنبعثة من ساقه. قالت: «قد نستطيع أن نعثّر على ماستر...».

قال جندري: «الماسترات لا يوجدون إلا في القلاع، وحتى لو وجدنا واحداً، فلن يُوسّخ يديه بأمثال لومي»، وطأطأ رأسه أسفل فرع شجرة واطىء. - «غير صحيح». إنها تعلم أن الماستر لوين يُساعد كل من يأتيه طالباً العون.

كرّر: «سيموت، وخير لبقينّا أن يموت سريعاً. يجدر بنا أن نتركه كما يقول. لو كان المصاب أحدنا لتركه لا محالة»، ثم إنهما نزلا منحدرًا يُفضي إلى بقعة منخفضة وصعدا من الجانب الآخر، قبل أن يُضيف جندري: «تعبتُ من حمله، وشمّتُ كلامه عن الاستسلام. لو كان يستطيع الوقوف لحطّمت أسنانه. لومي عديم الفائدة، والفتاة الباكية كذلك».

قالت آريا: «دع بنت عرس وشأنها، إنها خائفة وجائعة لا أكثر»، وتطلّعت وراءها، لكن الفتاة لم تأت في أعقابها هذه المرّة على الأقل. لا بُدّ أن هوت باي أمسكها كما قال له جندري.

ردّد جندري بعناد: «إنها عديمة الفائدة، هي وهوت باي ولومي، كلهم يُعرفلون حركتنا، وسيتسبّبون في مصرعنا. الشّخص الوحيد ذو النّفع الحقيقي في هذه المجموعة هو أنت... على الرغم من كونك بتّا».

تجمّدت آريا في مكانها، وقالت ضاغطةً كلماتها: «لستُ بتّا!».

- «بل بنت. أتحسّيني غيبًا مثلهم؟».

- «لا، بل أغبى. حرس الليل لا يُجندون الفتيات، الكلُّ يعرف هذا».

- «هذا صحيح. لا أدري لِمَ أخذكِ يورن معه، لكن لا بُدَّ أنه كان لديه أسبابه. أنتِ بنت».

- «لا!».

- «أخرجي قضيبكِ إذن وتبوّلي، هيا».

- «لا أريدُ أن أتبوّل، لكنني سأفعلُ إذا أردتُ».

- «كاذبة. لا يُمكنكِ أن تُخرجي قضيبكِ لأنكِ لا تملكين واحدًا أصلًا. لم ألاحظ من قبل عندما كان عددنا ثلاثين، لكنكِ تدخلين الغابة دائمًا لتقضي حاجتكِ، ولا ترين هوت باي يفعل ذلك، ولا أنا. إذا لم تكوني فتاة، فأنتِ خَصى».

- «أنتِ الخَصى!».

قال جندري مبتسمًا: «تعرفين أنني لستُ كذلك. أتريدين أن أخرج قضيبِي وأثبت لكِ؟ ليس لديّ ما أخفيه».

ردّت آريا في محاولةٍ يائسةٍ للهروب من موضوع القضيب الذي لا تملكه:

«بل لديك. عند الخان كان ذوو المعاطف الذهبيّة يبحثون عنكِ، وترفض إخبارنا بالسبب».

- «ليتي أعرفُ. أعتقدُ أن يورن كان يعرف، لكنه لم يُخبرني بشيء. لماذا حسبت أنهم يبحثون عنكِ أنتِ؟».

عصّت آريا شفرتها متذكّرة ما قاله يورن يوم جَزَّ شعرها: نصف هؤلاء الشرذمة على استعداد لتسليمكِ إلى الملكة في غمضة عين من أجل الحصول على عفو، ولربما بعض القطع الفضيّة كذلك، ونصفهم الثّاني سيفعل المثل، لكن بعدما يغتصبونكِ أولاً. الفارق أن جندري يختلف، بما أن الملكة تُريده أيضًا. هكذا قالت بحذر: «سأخبركِ إذا أخبرتني».

- «كنتُ لأخبركِ لو استطعتُ يا آري... أهذا اسمكِ الحقيقي أم أن لكِ اسم فتاة فعليًا؟».

أطرقت آريا برأسها إلى جذر الشّجرة كثير الثّقود، وأدرّكت أن التمثليّة

انتهت. جندري يعرف، وليس في سراويلها ما يُقنعُه بالعكس. الآن إمّا أن تستلّ إبرتها وتقتله حيث يقف، أو تثق به، وهي غير متأكّدة من قدرتها على قتله، حتى لو حاولت، فلديه سيفه هو الآخر، كما أنه أقوى منها مرارًا. كلُّ ما تبقى هو الحقيقة، وهكذا قالت: «لا يُمكن أن يعرف لومي وهوت باي».

- «لن يعرفا شيئًا مني».

رفعت عينها إليه قائلة: «آريا. اسمي آريا، سليله عائلة ستارك».

- «سليhle عائلة...». استغرق وهلة قبل أن يقول: «يد الملك كان اسمه

ستارك، ذلك الذي قتلوه لخيانته».

- «لم يكن خائنًا قط، وكان أبي».

اتّسعت عينا جندري، وقال: «لهذا إذن حسبت...».

أومأت برأسها إيجابًا، وقالت: «نعم. يورن كان سيأخذني إلى ويتترفل».

- «أنا... أنتِ من عليه القوم إذن... ستصيرين ليدي...».

نطلّعت آريا إلى الأسماك التي ترتديها وقدميها الحافيتين اللتين تشقّق جلد هما ونخن، ورأت الأوساخ تحت أظفارها، والكشوط على مرفقيها، والخدوش على يديها، وقالت لنفسها: أراهن أن السّطة موردن لم تكن لتتعرفني الآن. قد تتعرّفني سانزا، لكنها ستظاهر بالعكس، ثم إنها قالت لجندري: «أمّي هي الليدي، وأختي أيضًا، لكني لم أكن كذلك قط».

- «بل كنت، كنتِ ابنة لورد وعشت في قلعة، أليس كذلك؟ وأنتِ...

لثّسامحني الآلهة، إنني لم...»، وبدت على جندري الحيرة فجأة، وشيء من الخوف وهو يُكمّل: «كلّ هذا الكلام عن القضبان، لم يكن ينبغي أن أقوله، وكنتُ أثبّول أمامكِ كذلك... اغفري لي يا سيّدي».

قالت آريا بصوتٍ كالضحيق: «كُفّ عن هذا!». أيسخر منها؟

قال جندري بعناده الدّائم: «إنني أعرفُ الأصول يا سيّدي. كلما جاءت

بنات عليه القوم إلى الورشة مع آبائهن، كان سيّدي يقول لي أن أركع وأتكلّم فقط عندما يُوجّه لي كلام، وأخاطبهن بـ«سيّدي»».

- «إذا خاطبني هكذا، حتى هوت بأي نفسه سيلا حظ، وخير لك أن تظلّ
تبول كما تفعل دائماً».

- «كما تأمر سيدي».

هوت آريا بقبضتها على صدره، فتعثر في حجر وسقط على مؤخرته
محدثاً صوتاً مكتوماً، وسألها ضاحكاً: «أي نوع من بنات اللوردات أنت؟».

- «هذا النوع»، ردّت راكلة إياه في جانبه، لكن هذا جعله يضحك أكثر،
فقال له: «اضحك كما تشاء، أمّا أنا فسأذهب لأرى من في القرية». كانت
الشمس قد انخفضت تحت مستوى الأشجار بالفعل، وسرعان ما يحلّ
الغسق. هذه المرأة كان جندري هو من أسرع وراءها، وسألته: «أتشم هذه
الرائحة؟».

تشمّ الهواء، ثم قال: «أسماك متعفّنة؟».

- «تعرف أنها ليست كذلك».

- «يجب أن نتوخى الحذر. سأدورُ غرباً وأرى إن كان هناك طريق ما. لا
بُدّ أن هنالك واحداً ما دمتِ رأيتِ عجلة. خُذي الشاطئ، وإذا احتجّت نجدة،
انبحي كالكلاب».

قالت: «هذا سُخف. إذا احتجّت نجدة، سأصيحُ: النّجدة!»، وانطلقت
مبتعدة دون أن تُصدر قدماها الحافيتان صوتاً على العشب، وعندما ألقت
نظرة وراءها، كان جندري لا يزال يُراقبها وعلى وجهه تعبير الألم الذي يعني
أنه يُفكّر. غالباً يُفكّر أنه لا ينبغي أن يترك «سيدي» تذهب لسرقة الطعام. إنها
تعرف أنه سيتصرّف بغباء الآن.

صارّت الرائحة أقوى مع اقترابها من القرية، وجعلتها تُكوّر أنفها باشمئزاز.
كانت تختلف عن رائحة الأسماك المتعفّنة، مُنتنة وكريهة أكثر.

بدأت الأشجار تُصبح أقلّ كثافةً وتُشابكاً، فانسَلَّت آريا بين الشجيرات
الصغيرة النامية تحتها بهدوء الظلال، تتوقّف كلّ بضع ياردات لتُصيح السمع،
وفي المرأة الثالثة سمعت حصاناً وصوت رجل كذلك، وساءت الرائحة أكثر
وأكثر. رائحة الموتى. لقد شمّتها من قبل، مع يورن والآخرين.

دغل كثيف من العُليق كان ينمو جنوب القرية، ومع وصولها إليه كانت ظلال الغروب الطويلة قد بدأت تذوي بدورها، والحشرات المضيفة تخرج. رأت الشقوق المغطاة بالقش من وراء سياج الشجيرات، فزحفت حتى وجدت ثغرة مرّت منها على بطنها متلوية كالديدان، وقد حرصت على التواري حتى رأت مصدر الرائحة.

على ضفة «عين الآلهة»، التي تتكسر أمواجها الهادئة على الصخور بنعومة، نُصبَ صَفٌّ طويل من المشائق المصنوعة من الخشب الأخضر الخام، ومنها تدلّت أشياء كانت بشرًا ذات يوم، الأقدام مقيدة بالسلاسل، بينما تقف الغريبان على اللحم وتطير من جثة إلى أخرى، ويحوم الذباب بالآلاف. عندما هبّت الرّيح من البحيرة، دارت أقرب الجثث إليها على سلسلتها بعض الشيء، ورأت آريا أن الغريبان أكلت معظم الوجه، كما أن شيئًا آخر نهش لحم الجسد كذلك، شيئًا أكبر حجمًا بكثير، فقد تمرّقت الرقبة والصدر تمامًا، وتدلّت الأمعاء الخضراء وشرائط من اللحم المتهك من البطن المفتوح. كانت إحدى الذراعين مقلّعة اقتلاعًا من الكتف، ولمحت آريا العظام على بُعد بضعة أقدام، مقروضة ومهشمة، وعارية تمامًا من اللحم. جعلت نفسها تنظر إلى الرّجل الثّالي، والذي يليه، والذي يليه، فاثلة نفسها إنها بصلابة الحجر. كلها جثث، وكلها متهك وبالٍ لدرجة جعلت آريا تستغرق فترة حتى أدركت أن أصحابها جردوا من ثيابهم تمامًا قبل أن يُشقوا. لكنهم لم يبدوا كأناس عراة، بل كادوا لا يبدون أناسًا على الإطلاق. الغريبان أكلت عيونهم، وأكلت بعض وجوههم، ومن الجثة السادسة في الصّف لم يتبق غير ساق واحدة لا تزال عالقة بالسلسلة، تتأرجح مع كل نسمة هواء. ضربة الخوف أمضى من السيف.

الموتى لا يستطيعون مسّها بأذى، لكن من قتلهم يقدرّون. بعيدًا عن المشائق وقف رجلان يرتديان قميصين من الحلقات المعدنيّة، ويستندان إلى رُمحين أمام المبنى الطويل الواطئ الذي يطلّ على الماء، ذلك المسقوف بألواح الأردواز. أمام المبنى كانت ساريتان طويلتان مغروستين في الأرض

الموحلة، ومن كلُّ منهما تتدلَّى راية، واحدة بدت حمراء، والثانية ذات لونٍ فاتح أقرب إلى الأصفر أو الأبيض، لكن الاثنين متهدّلتان، ومع حلول الغسق لا سبيل لأريا لأن تتأكّد من أن الحمراء تحمل صبغة لانستر القرمزية. ليس من الضروري أن أرى الأسد، فقد رأيت الموتى. من يُمكن أن يكون هؤلاء غير رجال لانستر؟ ثم إنها سمعت صيحة.

التفت حاملاً الرُمّاح، وظهّر رجل ثالث يدفع أسيراً أمامه. كان الظلام لا يسمح بتعرّف الوجوه، لكن الأسير اعتمر خوذة فولاذيّة لامعة، وعندما أبصرت آريا القرنين عرفت أنه جندري. يالك من أحقق أحقق أحقق! كانت لترُكّله ثانية لو كان معها الآن.

تكلم الحُرّاس بصوتٍ عالٍ، لكنها كانت أبعد من أن تتبيّن ما يقولون، بالذات والغريبان تنعب وتخفق بأجنحتها على مقربةٍ منها. اختطف أحد حاملي الرُمّاح الخوذة من على رأس جندري وألقى عليه سؤالا، لكن لا بُدّ أن الإجابة لم ترقه، لأنه ضربه على وجهه بكعب رُمحه وطرحه أرضاً، وركّله الرّجل الذي قبض عليه، بينما جرّب حامل الرُمّاح الثاني ارتداء رأس الثور. بعدها سحبوه ليقف، وقادوه إلى المستودع؛ وعندما فتحوا الباب الخشبي الثّقيل، اندفع ولد صغير إلى الخارج، لكن أحد الحُرّاس أطبق على ذراعه وألقى به في الدّاخل. سمعت آريا نحيباً قادماً من المبنى، ثم دوت صرخة صاخبة ومفعمة بالألم جعلتها تعضّ شفتها.

دفع الحُرّاس جندري إلى الدّاخل وأوصدوا الباب وراءهم، وحينها فقط هبّ التّسيم يتنهّد من البحيرة، وتحركت الرّائتان وارتفعتا. تلك التي على السّارية الأطول تحمل الأسد الذهبي كما كانت آريا تخشى، وعلى الأخرى تعدو ثلاثة أشباح سوداء رشيفة على خلفيّة بصفرة الزّبد. كلاب. لقد رأت هذه الكلاب من قبل، لكن أين؟

لا يهمّ... كلُّ المهمّ الآن أنهم أسروا جندري، وحتى إذا كان عنيداً وأحقق، فعليها أن تُنفّذه. تساءلت إن كانوا يعرفون أن الملكة تُريده.

خلعَ واحد من الحُرَّاسِ خوذته وارتدى خوذة جندي بدلاً منها، وأثار حفيها أن رأته يفعل هذا، وإن أدركت أن ما بيدها حيلة. خُيِّلَ لها أنها سمعت صراخاً كتَمَتته الحجارة من داخل المستودع الخالي من التوافذ، لكن التيقن عسير.

ظَلَّت في مكمنها حتى رأت حُرَّاسًا جُددًا يحلُّون محلَّ الحاليين، ورأت أكثر من هذا، رجالاً يأتون ويذهبون، يقودون خيولهم إلى التَّهْيِير لشرب، وعادَت فرقة صيدٍ من الغابة ومعها جِثَّة غزال معلقة من سارية. رأتهم يُنظِّفونه وينزعون الأحشاء، ثم يُشعلون نارًا للطهي على جانب التَّهْيِير الآخر، وامتزجت رائحة السَّواء برائحة العفن على نحو غريب، فتَهَيَّجت معدنها الخالية حتى ظنَّت أنها ستَفْقَأُ. جذبت رائحة الطَّعام رجالاً آخرين من البيوت، كلهم تقريبًا يرتدي قطعة واقية أو أخرى الحلقات المعدنية، أو الجلد المقوى بالزيت المغلي، وعندما نضج الغزال أخذَ أحدهم أفضل قطع اللحم إلى أحد البيوت. خطرَ لها أنها تستطيع أن تدنو مسترةً بالظلام وتُحرِّر جندي، لكن الحُرَّاس أوقدوا مشاعل من نار الطهي، وأحضرَ مُرافق فارس القليل من اللحم والخبز للثنتين اللذين يحرسان المستودع، وفيما بعد انضمَّ إليهما اثنان آخران، وتقاسموا جميعاً قربةً من التَّيِّد، وعندما فرغت القربة غادرا، لكن الحارسين ظلَّا مستندين إلى رُمحيهما.

شعرت آريا بتيَّسٍ ساقبها وذراعيها عندما خرجت متلويةً من الدَّغل إلى سواد الغابة. كانت ليلةً مظلمةً، والقمر ليس أكثر من شريط رفيع يلوح من وراء الشَّحب ويغيب. قالت لنفسها وهي تتحرَّك بين الأشجار: بصمت الظلال. لا تجرؤ على المجازفة بالركض في هذا الظلام، خشية أن تتعرَّ في جذر لم تلاحظه أو تضلَّ الطريق. إلى يسارها راحت مياه «عين الآلهة» تتكسَّر بخفَّةٍ على الشَّاطِئ، وإلى يمينها تنهَّدت الرِّيح بين الأغصان، فتحرَّكت الأوراق مصدرةً حفيفها.

ومن بعيدٍ تنأى إلى مسامعها غواء الذُّباب.

كاذ لومي وهوت باي يتغوَّطا في ثيابهما عندما خرجت من بين الأشجار

من ورائهما، فقالت لهما: «صمتا»، ثم طوّقت بنت عرس بذراعاها عندما جاءت الصّغيرة تجري إليها.

سألها لومي: «أين الثّور؟».

أجابته هامسة: «أمسكوه. يجب أن نُخرجه من هناك، ويجب أن تُساعدني يا هوت پاي. سنستلّل ونقتل الحارسين، ثم سأفتُح الباب».

تبادل هوت پاي نظرة مع لومي، ثم قال: «كم عددهم؟».

- «لم أستطع أن أحصيهـم، عشرون على الأقل، لكن اثنين فقط يحرسان الباب».

بدا هوت پاي على وشك الانفجار في البكاء وهو يقول: «لا يُمكننا أن نُقاتل عشرينًا!».

- «عليك أن تُقاتل واحدًا فقط، وسأتخلّص أنا من الآخر ونأخذ جندري ونهرب».

قال لومي: «يجب أن نستسلم، فقط نذهب إليهم ونستسلم»، ولمّا هزّت آريا رأسها نفيًا بعناد، قال: «لنتركه إذن. إنهم لا يعلمون بوجودنا. إذا اختبأنا

سيُغادِرون، أنت تعرف هذا، ليست غلطتنا أنهم أمسكوا جندري».

قالت آريا غاضبة: «أنت أبله يا لومي، لأنك ستموت إذا لم نُحرّر جندري. من سيحملك؟».

- «أنت وهوت پاي».

- «طول الوقت وبلا مساعدة من أحد؟ لن نقدر أبدًا. جندري هو القوي، وعلى كلّ حال لا أهتمُ برأيك. سأعودُ إليه»، ونظرت إلى هوت پاي قائلة:

«هل ستأتي؟».

نظرَ إلى لومي، ثم إلى آريا، ثم إلى لومي مجددًا، قبل أن يقول على مضض: «سأت».

- «لومي، أبقى بنت عرس هنا».

أمسك الفتاة من يدها وشدها إليه قائلاً: «وماذا لو جاءت الذّئاب؟».

- «استسلم».

بدا كأن شَقَّ طريق العودة إلى القرية استغرقَ منهما ساعات، إذ ظلَّ هوت باي يتعَثَّر ويضلُّ طريقه، واضطَّرت آريا لانتظاره أو الدَّهَاب إليه والعودة به عدَّة مرَّات، قبل أن تُمسِّكه من يده أخيرًا وتقوده وسط الأشجار قائلة: «الزم الهدوء واتبعني»، وعندما تبيَّنا نزرًا يسيرًا من وهج النَّار في القرية، قالت له: «هناك موتى مشنوقون على الجانب الآخر من سياج الشَّجيرات، لكن لا يوجد ما يدعو للخوف، تذكَّر فقط أن ضربة الخوف أمضى من السَّيف، ويجب أن نتحرَّك بمنتهى الهدوء والبُطء». أوماً هوت باي برأسه منصاعاً، فتلوت داخلة الدَّغل أولاً وانتظرته على الجانب الآخر، وبعد قليل خرج شاحباً يلهث وعلى وجهه وذراعيه خدوش طويلة. كان يوشك على أن يقول شيئاً، لكن آريا وضعت إصبعها على فمه لثخرسه، ثم بدأ يزحفان على الأرجل والأذرع بطول المشانق تحت الموتى المتأرجحين، ولم يرفع هوت باي عينيه إلى أعلى مرَّة، أو يُصدر صوتاً...

... حتى حطَّ الغراب على ظَهره، فأطلق شهقة مكتومة، كانت كافية لأن يُدَوِّي صوت بغتة من الظلام: «مَن هناك؟».

وثب هوت باي واقفاً وصاح: «أستسلم!»، وألقى سيفه بينما حلقت الغربان المتدمِّرة صارخةً بالعشرات، ودارت حول الجُثث. تمسَّكت آريا بساقه وحاولت أن تسحبه إلى أسفل، لكنه تملَّص منها وهرع إلى الأمام ملوِّحاً بذراعيه ومردِّداً: «أستسلم! أستسلم!».

وثبت واقفةً بدورها واستلَّت إبرتها، لكن الرِّجال كانوا قد تحلَّقوا حولها بالفعل، وحاولت آريا أن تهوي بضربةٍ على أحدهم، إلا أنه صدَّها بذراع مدرَّعة بالفولاذ، وارتطم آخرُ بها وطرحها أرضاً، بينما انتزع ثالث السَّيف من قبضتها؛ وعندما حاولت أن تعضَّ، أطبقت أسنانها على حلقات معدنيَّة باردة منسَّخة، فقال الرِّجل ضاحكاً: «أوهو! يا للشَّراسة!»، قبل أن تكاد لكمة قبضته المغطَّاة بالحديد تخلع رأسها عن كتفيها.

تبادلوا الكلام بينما ارتبمت هي تتألَّم على الأرض، لكن آريا لم تستوعب كلمةً من جزاء الرِّنين في أذنيها، وعندما حاولت الرِّحف مادَّت بها الأرض.

لقد أخذوا «الإبرة». ما في هذا من عارٍ أَلَمَّها أكثر من الألم نفسه، والألم كان بالغاً حقاً. چون أعطاهما هذا السَّيف، وسيريو علَّمها كيف تستعمله.

أخيراً قبض أحدهم على مقدِّمة سُرَّتْها وجَرَّها جَرًّا لتركع على رُكبتيها. هوت پاي كان راكعاً أيضاً أمام أطول رجل رآته آريا في حياتها على الإطلاق، وحش من قصص العجوز نان القديمة. لم تَر من أين جاء العملاق، لكن ثلاثة كلاب سوداء كانت تَرْكُض على معطفه الأصفر الباهت، وبدا وجهه ضلْبًا كأنما قُدَّ من الصَّخر. تذكَّرت آريا فجأةً أين رأت تلك الكلاب من قبل. عشيةً دورة المباريات في كينجز لاندنج، علَّق كلُّ الفُرسان تروسهم التي تحمل رموزهم خارج السُّرادقات، وقالت لها سائزا وهما تَمُرَّان بالكلاب السوداء على الخلفيَّة الصُّفراء: «هذا رمز شقيق كلب الصَّيد. إنه أكبر حجماً من هودور، سترين، ويُلَقَّبونه بالجبل راكب الخيول».

تركت آريا رأسها يتدلَّى على صدرها، غير واعيةٍ لنصف ما يدور حولها. كان هوت پاي يُؤكِّد استسلامه، أمَّا الجبل فقال: «ستفودانا إلى الآخرين»، ثم انصرف. بعدها أحسَّت بنفسها تمشي متعثِّرةً إلى جوار الموتى المعلقين في المشانق، بينما قال هوت پاي لأسريهم إنه سيخبز لهم فطيرًا وكعكًا إذا لم يُؤذوه. ذهبَ معهما أربعة رجال، أحدهم يحمل مشعلًا، والثاني سيفًا طويلًا، والآخران رُمحين.

كان لومي في مكانه تحت شجرة البلوط، وبمجرّد أن رآهم صاح: «أستسلم!»، وألقى رُمحه بعيدًا، ورفع يديه الملطّختين بأخضر الصَّبَاغة القديم. «أرجوكم، إنني أستسلم».

بحث حامل المشعل تحت الأشجار، ثم قال: «أأنت آخرهم؟ الخبّاز قال إن هناك فتاة».

قال لومي: «هربت عندما سمعتكم قادمين، فقد أصدرتم ضجّةً عاليةً»، فقالت آريا في قرارة نفسها: اركُضي يابنت عرس، اركُضي بأقصى لديك من سرعة، اهرُبي واختبئي ولا تعودِي أبدًا.

– «قُل لنا أين نجد ابن العاهرة دونداريون ولك وجبة ساخنة».

قال لومي ببلاهة: «مَن؟».

- «قلتُ لكم إن هؤلاء لا يعرفون أكثر من أولاد الزَّواني الآخرين في القرية، مجرَّد مضيعة للوقت».

دنا أحد حاملي الرِّماح من لومي قائلاً: «ماذا حدث لساقك يا ولد؟».

- «أصيّت».

بدا الاهتمام في صوته وهو يسأله: «أتستطيع المشي؟».

أجاب لومي: «كلا، عليك أن تحملني».

قال الرَّجل: «أهذا رأيك؟»، ورفع رُمحه بلا اكتراثٍ وغرسَ رأسه في حلق الصَّبي الرَّخِي، فلم يجد لومي وقتاً لأن يستسلم من جديد، بل انتفضَ جسده مرَّةً، وهذا كل شيء. ثم إن الرَّجل سحبَ رُمحه لتفجّر نافورة قانية من الدَّم، وهمهمَ لنفسه ضاحكاً: «عليَّ أن أحمله!».



تيريون

نصّحوه بأن يرتدي ثياباً تُدْفِئُهُ جيّداً، وأذعنَ تيريون لانسر لنصيحتهم، فتدثّر بسرّاويل مبطّنة ثقيلة وصُدرة من الصُوف، وفوق كلّ شيء ارتدى المعطف المصنوع من فرو قِطّ الظلّ الذي حصلَ عليه في جبال القمر. كان المعطف أطول من قامته كثيراً، فهو مُفَصَّل لرجل بضِعْف قامته، والوسيلة الوحيدة لارتدائه عندما لا يكون راكباً الحصان، أن يلفّه حول جسده عدّة مرّات، ما يجعله يبدو ككرة من الفرو المخطّط.

على الرغم من ذلك سرّه أنه أصغى للنّصيحة، فالبرودة السّائدة في السّرداب الرّطب الطّويل تنخر العظام حقّاً، لدرجة أن تيميت قرّر أن يعود أدراجه إلى القبو بعد أن جرّب النّزير اليسير من البرد في الأسفل. كانوا في مكانٍ ما تحت تلّ رينس، وراء مقرّ رابطة الخيميائيّين. تطلّخت الجدران الحجرية الرّطبة بالنّظرون، والضّوء يأتي من مصدرٍ وحيد، هو مصباح الزّيّت المصنوع من الحديد والزّجاج، الذي حملّه هالّاين الهايرومانسر بمنتهى الحرص.

بمنتهى الحرص بالفعل... لا بدّيل مع تلك الجرار. رفع تيريون جرّةً وتفحصّها. كانت مستديرة ضاربةً إلى الحمرة، كحبةٍ ممثلة من ليمون الجنّة، لكن مصنوعة من الفخّار، وكبيرة بعض الشيء على يده، لكنها تُناسِب راحة يد أيّ رجلٍ عادي، وجدارها رقيق وشديد الهشاشة، حتّى إنهم حدّروه من اعتصارها بشدّة في قبضته، خشية أن تنكسر. وكان الفخّار خشن الملمس

كذلك، كأن هناك حصى على سطحه، فقال له هالايين إن هذا مقصود، وأضاف: «احتمال سقوط الجرة الملساء أكبر».

سألت النَّارَ الشَّعْواءَ يَبْطِءُ نحو فَوْهَةِ الجِرةِ عندما أَمالها تيريون لِيَنْظُرَ داخلها. يعرف أن اللَّوْنَ سيكون أخضر فاتمًا، لكن الضَّوء الضَّعيف جعل التَّأَكُّد من هذا مستحيلًا. قال: «السَّائل ثخين القوام».

- «هذا بفعل البرودة يا سيّدي»، ردَّ هالايين، الرَّجل الشَّاحِب ذو اليدين النَّاعمتين الرَّطبتين والأسلوب المتزلّف. كان يرتدي ثوبًا مخطّطًا بالأسود والقرمزي، ومبطّنًا بفرو السَّمُور، لكن العتّة تغذّت على الفرو حتى اهترأ. كلما صارَ الجوّ أكثر دفئًا، تزداد انسيابية المادّة، كزيت المصابيح».

«المادّة» هي المصطلح الذي يُطلِّقه الهايرومانسرات على النَّارِ الشَّعْواءِ، كما أنهم يدعون بعضهم بعضًا بـ«صاحب الحكمة»، الشَّيء الذي وجده تيريون مثيرًا للضُّيق، تمامًا كديدنهم في التَّلْميح إلى خزائن المعارف السَّريّة الهائلة التي لديهم، راغبين في أن يعتقد أنهم يملكونها حقًا. كانت رابطنهم قويّة ذات يوم، لكن خلال القرون الأخيرة حلَّ مايسترات «القلعة» محلَّ الخيميائيّين في كلّ مكان تقريبًا، والآن لم يتبقَّ سوى عدد قليل من قُدماء الرّابطة، الذين كفّوا عن التَّظاهر بأنهم يستطيعون تحويل الثُّحاس إلى ذهب... لكنهم يستطيعون تصنيع النَّارِ الشَّعْواءِ على الأقلّ.

- «قيل لي إن الماء لا يُخمدُها».

- «هذا صحيح. بمجرد أن تشتعل المادّة، ستظلّ تحترق حتى تنفَى، والأهمُّ أنها تتخلَّل الأقمشة والأخشاب والجلود، وحتى الفولاذ، فتأجج أكثر».

تذكّر تيريون الرّاهب الأحمر ثوروس المايري وسيفه النَّاري، الذي كان يطليه بطبقةٍ خفيفةٍ من النَّارِ الشَّعْواءِ، تكفي لأن تشتعل ساعةً كاملةً. دائمًا ما كان ثوروس يحتاج سيفًا جديدًا بعد انتهاء الالتحام الجماعي، لكن روبرت كان مولعًا بالرَّجل، وأسعدّه دائمًا تزويده بسيفٍ جديد. «ولماذا لا تتخلَّل الفخّار أيضًا؟».

قال هالالين: «أوه، إنها تتخلّله. ثمة سرداب آخر أسفل هذا نُخزّن فيه الجرار الأقدم، من أيام الملك إيرس. كان يستهويه أن يُشكّل الفخّار على شكل فواكه... فواكه شديدة الخطر بالفعل يا حضرة اليد،... هممم، ناضجة جدًّا الآن، إذا كنت تفهم ما أعنيه. سدّدنا تلك الجرار بالشمع، وضخّنا الماء في السرداب السفلي حتى ملاء تمامًا، ومع ذلك... الحق أنه كان من الواجب أن تُدَمَّر، لكن الكثير من عُمدائنا قُتلوا أثناء نهب كينجز لاندنج، والتّلامذة القلائل الذين بقوا لم يكونوا أهلاً للمهمّة، كما أن كثيرًا من المخزون الذي صُنِعَ لإيرس قُفِدَ، والعام الماضي فقط تمّ اكتشاف متّتي جرّة في مخزن أسفل سِبْت بيلور الكبير. لا أحد يتذكّر كيف وُضِعَتْ هناك، لكن من نافلة القول أن أخبرك أن السِبْتون الأعلى أصيبَ بهلع شديد. أشرفتُ بنفسي على نقلها بأسلوب آمن، فملاّت عربة بالزّمل، وكلفّت أقدر تلامذتنا بعملية التّقل، وعملنا ليلاً فقط، و...».

قاطعه تيريون: «... أبلّيتم بلاءً رائعًا بلا شك»، ووضع الجرّة التي يحملها في مكانها بين أقرانها، الذين غطّوا الطّاوله في صفوفٍ مرتّبة من أربع، وامتدّوا حتى تواروا في عتمة ما تحت الأرض؛ وكانت هناك طاولة أخرى بعدها، وأخرى، وأخرى. «هذه الـ... آه، الفواكه التي زُرِعت للملك الرّاحل إيرس، أما زال من الممكن استخدامها؟».

- «أوه، نعم، بكلّ تأكيد... لكن بحذرٍ شديد يا سيّدي، بمنتهى منتهى الحذر، فكلما تقدّم بها العُمر، تُصبح المادّة، هممم، متقلّقة، ومن شأن أيّ لهب أن يُشعلها، أيّ مستصغّر شرر. الحرارة العالية تجعل الجرار تشتعل من تلقاء ذاتها كذلك، وليس من الحكمة أن تضعها في نور الشّمس، ولو فترة قصيرة. بمجرد أن تتقدّ النار في الدّاخل، تتسبّب الحرارة في تمُدّد المادّة بصورةٍ عنيفة، وسرعان ما تنفجر الجرار إلى شظايا، وإذا تصادف وجود جرارٍ أخرى مخزّنة على مقربة، فستشتعل بدورها، ثم...».

- «كم جرّة لديكم حاليًّا؟».

- «هذا الصّباح أخبرني صاحب الحكمة مونشر أن لدينا سبعة آلاف وثمانمئة وأربعين، ويضمُّ هذا أربعة آلاف جرّة من عهد الملك إيرس بالطّبع».

- «فواكهنا التّاضجة أكثر من اللازم؟».

أوما هالايين الهايرومانسر برأسه قائلاً: «صاحب الحكمة مالياارد على ثقة بأننا سننتج العشرة آلاف جرّة التي وعدنا بها الملكة، وأنا اتّفقُ معه»، وبدأ أنه مسرور على نحو غير لائق بتلك الفكرة.

بافتراض أن يمنحك أعداؤنا الوقت. يُحافظ الهايرومانسرات على سرّيّة وصفة النّار السّعواء، لكن تيريون يعلم أنها عمليّة طويلة وخطرة وتستهلك الوقت. كان يحسب أن وعد العشرة آلاف جرّة ما هو إلّا زهو فارغ، كحامل راية يتعهّد بحشد عشرة آلاف محارب لحضرة اللورد، ثم يظهر يوم المعركة ومعه مئة واثنان. إذا استطاعوا حقاً أن يصنعوا عشرة آلاف...

لا يدري إن كان عليه أن يشعُر بالسرور أم الرّعب. القليل من هذا والقليل من ذاك ربما. «أفترض أن إخوانك في الرّابطة لا يعملون بأيّ عجلة لا داعي لها يا صاحب الحكمة، فلنسأل نريد عشرة آلاف جرّة من النّار السّعواء المعبوبة، ولا جرّة واحدة حتى... ويكلّ تأكيد لا نرغب في وقوع أيّ حوادث».

- «لن تقع أيّ حوادث يا حضرة اليد، فالمادّة تُحضّر على يد تلامذة مدرّسين، في مجموعة من الحُجيرات الحجرية العارية، وكلّ جرّة ينقلها رجل متمرّس إلى هنا بمجرّد أن تجهز؛ وفوق كلّ حُجيرة عمل هناك حُجرة مملوءة بالكامل بالرّمّل، وتَمّ إلقاء تعويذة واقية على الأرضيّات، هممم، قويّة للغاية. أيّ حريق في حُجيرة عمل يجعل السّقف ينهار، فتُخمد الرّمال اللّهب في الحال».

- «ناهيك بأنّها ستدفن التّلميذ الأرعن». خطرَ لتيريون أن هالايين يعني «حيلة بارعة» عندما يقول «تعويذة»، وفكّر أنه يُريد أن يتفحّص واحدة من تلك الحُجيرات ذات السّقوف الهشّة، ليرى طريقة العمل، لكن الوقت غير مناسب. بعد ما يربحون الحرب ربما.

- «إخواني لا يتصرّفون برعونة أبدًا»، قال هالان بإصرار، ثم أردف:
«أرجو أن تسمح لي بأن أتكلّم، هممم، بصراحة...»
- «أوه، تفضّل».

- «المادّة تسري في عروقي، وتعيش في قلب كلّ بايرومانسر. إننا نحترم قوّتها، لكن الجندي التقليدي، هممم، في طاقم واحدة من نافثات لهب الملكة على سبيل المثال، في خضمّ المعركة حيث لا يوجد وقت للتّفكير... من شأن أيّ خطأ صغير أن يُفضي إلى كارثة، ولا يُمكن المبالغة أبدًا في توكيد هذه الحقيقة. كثيرًا ما كان أبي يُرَدّد هذا التّحذير على مسامع الملك إيرس، تمامًا كما فعل أبوه مع الملك جهيرس من قبله».

قال تيريون: «لا بدّ أنهما أصغيا إذن. كان أحدهم ليُخبرني لو أن المدينة احترقت عن بكرة أبيها. نصيحتك إذن أن نتوخّى الحذر؟»
أجاب هالان: «الحذر الشّديد جدًّا، الشّديد جدًّا جدًّا».
- «تلك الجرار الفخاريّة، أليكم مخزون كبير منها؟»
- «أجل يا سيّدي، ونشكرك على السّؤال».
- «لن ثمانعوا أن آخذ بعضها إذن، بضعة آلاف».
- «بضعة آلاف؟».

- «أو أيّا كان العدد الذي تستطيع رابطتكم الاستغناء عنه دون تعطيل الإنتاج. افهم أنني أطلبُ جرارًا خاليّة. أريدك أن تُرسلها إلى قادة الحرس على كلّ من بوابات المدينة».
- «سأفعل يا سيّدي، لكن لماذا؟».

رفع تيريون وجهه إليه مبتسمًا، وقال: «عندما تقول لي أن أرندي ثيابًا ثقيلة، أرندي ثيابًا ثقيلة، وعندما تقول لي أن أتوخّى الحذر... لا داعي لأن أكمل»، وهزّ كتفيه وأعلن: «رايتُ ما يكفي. هلاّ تفضّلت باصطحابي إلى نقّالي؟».

قال هالان: «من دواعي، هممم، سروري أن أفعل يا سيّدي»، ورفع المصباح وقاد الطّريق المفضي إلى السّلالم، وتابع: «تلطف بالغ منك أن تزورنا، شرف عظيم، هممم، فقد مضى وقت طويل منذ مرّ يد الملك علينا

بمحضوره، منذ أيام اللورد روسارت الذي كان يتمي لرابطتنا. كان هذا في عهد الملك إيرس، الذي أبدى اهتمامًا عظيمًا بعملنا». الملك إيرس استغلَّكم لشواء لحم أعدائه وهم على قيد الحياة. لقد قصَّ عليه أخوه جايمي بضع حكاياتٍ عن الملك المجنون وپایرومانسراته المدلَّين. قال: «لا شك أن جوفري سيهتَم بدوره»، ولهذا ينبغي أن أبعدَه عنك تمامًا.

- «أملنا عظيم في أن يزور جلالته مقرَّ الرابطة بذاته الملكيّة. تكلمتُ عن هذا مع السيِّدة أختك، احتفال عظيم...».

قال تيريون شاعرًا بالجَوِّ يزداد دفقًا مع صعودهما: «جلالته منع كلَّ الاحتفالات حتى تضع الحرب أوزارها». بإصرارٍ مني. «الملك يرى أن من غير اللائق أن نستمتع بأفضل الأطعمة بينما لا يجد شعبه كسرة خُبز».

- «لفتة، هممم، في غاية العطف يا سيِّدي. ربما يُمكن لبعضنا بدلًا من هذا أن يزوروا الملك في القلعة الحمراء إذن، نُقدِّم عرضًا صغيرًا لقُدراتنا، إذا جازَ التعبير، لإلهاء جلالته عن مشاغله الكثيرة مدَّة أمسيّة. النارُ الشعواء ليست إلَّا سرًّا واحدًا من الأسرار الرهيبة التي تحتفظ بها رابطتنا العتيقة، ونستطيع أن نُريكم العجب العُجاب».

- «سأعرضُ الأمر على أختي». ليس لدى تيريون اعتراض على بضع حيل سحرية، لكن ولع خوف بجعل الرِّجال يتقاتلون حتى الموت بلاء في حدِّ ذاته، يكفي ويزيد، وهو لا ينوي أن يسمح للصَّبي بتذوُّق ما تعدُّ به احتمالات حرق النَّاس أحياء كذلك.

عندما بلغا قمَّة السَّلام أخيرًا، خلَعَ تيريون معطفه وطواه على ذراعه. مقرَّ رابطة الخيميائيين عبارة عن جُحرٍ مهيب من الحجارة السوداء، لكن هالايين قادَه عبر المنعطفات والمنحنيات حتى وصلا إلى دهليز المشاعل الحديدية، رواق طويل يرتدُّ صدى الصَّوت عن جُدرانِه، وترقُّص فيه ألسنة طويلة من النِّيران الخضراء وتتلوَّى حول أعمدة معدنيّة سوداء ترتفع عشرين قدمًا؛ يومض اللَّهب الشَّبحي على رخام الجُدران والأرضية الأسود المصقول،

ويُغرق الدهليز ببريق زمُردي. كان تيريون لينبهر بالعرض أكثر لو لم يعلم أن المشاعل الحديدية أوقدت هذا الصباح فقط على شرف زيارته، وستُطفأ لحظة أن يُغلق الباب وراءه، فالتبذير في استخدام النار الشعواء يُكلف الكثير. خرجا على قمة الدَّرجات العريضة المنحنية التي تطلُّ على شارع الأخوات، بالقرب من سفح تل فيزينيا، ثم ودَّع تيريون هالايين، وتوجَّه متميلاً نحو تيميت بن تيميت الذي ينتظره مع فرقة من الرِّجال المحروقين. مع وضع مهمَّته اليوم في الاعتبار، وجد أن اختيارهم لحراسته هو القرار الأصحُّ على الإطلاق، كما أن ندوبهم تُثير الخوف في قلوب صعاليك المدينة، وهذا مفيد جدًّا هذه الأيام، فقبل ثلاث ليالٍ فقط احتشدت طغمة أخرى منهم عند بوابات القلعة الحمراء، تزعق طالبة الطعام، فأطلق عليهم جوفري عاصفة من السَّهام ليقتل أربعة منهم، ثم صاحَ فيهم أن لديهم إذنه بأكل موتاهم. ليكسب لنا مزيداً من الأصدقاء.

أدهش تيريون أن رأى برون واقفاً أيضاً إلى جوار المحفَّة، فسأله: «ماذا تفعل هنا؟».

أجاب برون: «أوصلُ رسائلِك. جاسلين ذو القبضة الحديدية يُريدك لأمرٍ مُلحٍّ عند بوابة الآلهة، ويرفض أن يقول السَّبب، كما أنك مُستدعى إلى حصن ميجور كذلك».

- «مُستدعى؟». يعرف تيريون أن شخصاً واحداً فقط يتجرأ على استخدام تلك الكلمة، فقال: «وما الذي تُريده سرسي مني؟».

هزَّ برون كتفيه، وقال: «الملكة تأمرُك بالعودة إلى القلعة في الحال والمثول أمامها في مسكنها. ابن عمِّك إياه الذي يُقارب الرُّشد هو من وصل الرِّسالة. أربع شعيرات فوق شفته وبحسب نفسه رجلاً».

- «أربع شعيرات وفُروسيَّة. إنه السير لانسِل الآن، لا تنسَ هذا أبداً». فكَّر تيريون أن السير جاسلين لن يُرسل في طلبه ما لم تكن المسألة ملحَّة حقًّا، فقال: «الأفضل أن أرى ما يُريده بايووتر. بلِّغ أختي أنني سأمثلُ أمامها بعد عودتي».

قال برون منذراً: «لن يروقها هذا».

- «جميل. كلما انتظرت سرسي مدّة أطول توهج غضبها أكثر، والغضب يجعلها حمقاء، وأنا أوتّر الغاضب الأحقّ على رابط الجأش الأريب»، ثم ألقى تيريون معطفه المطوي داخل النقالة، وساعده تيميت على الصعود وراءه.

ميدان السُّوق الواقع داخل بوابة الآلهة، والذي يكتظُّ في الأوقات العادية بالمزارعين الذين يبيعون خضراواتهم، كان شبه مهجور عندما عبّره تيريون، ثم قابله السير چاسلين عند البوابة، ورفع يده الحديد بتحيّة جافّة، وقال: «سيّدي، كليوس فراي ابن عمّك هنا، جاء من ريفرّون تحت راية سلام حاملاً رسالة من روب ستارك».

- «شروط سلام؟».

- «هذا ما يقوله».

- «ابن عمّي العزيز أرني إياه».

كان ذوو المعاطف الذهبيّة قد احتجّزوا السير كليوس في غرفة حراسة بلا نوافذ في مبنى البوابة، وعندما دَخَلَ تيريون وبايووتر، نهضَ قائلاً: «تيريون، رؤيتك تسرّني حقّاً».

- «لا أسمع من يقول لي هذا كثيراً يا ابن العم».

- «هل أنت سرسي معك؟».

قال تيريون: «أختي مشغولة بأمور أخرى. أهذه رسالة ستارك؟»، واختطفَ الرّق من على الطاولة قائلاً: «سير چاسلين، يُمكنك أن تتركنا الآن». حنى بايووتر رأسه وخرج، وقال السير كليوس بعدما انغلق الباب: «طُلب مني أن يُقدّم هذا العرض للملكة الوصيّة على العرش».

قال تيريون: «هذا ما سأفعله»، وجاست عيناه في الخارطة التي أرفقها روب ستارك بالرسالة، وأضاف: «كلُّ شيءٍ في أوانه يا ابن العم. استرح، فأنت تبدو هزياً مُضني». كان كليوس يبدو أسوأ من هذا في الحقيقة.

قال كليوس وهو يُعاود الجلوس على الدّكة: «نعم. الأوضاع سيئة في

أراضي النَّهر يا تيريون، حول «عين الآلهة» وعلى طريق الملوك بالذَّات. لوردات النَّهر يُحرقون محاصيلهم بأنفسهم كي يُجَوِّعونا، ومُغَيِّرُوا أَيْك يُشْعِلُونَ النَّارَ فِي كُلِّ قَرْيَةٍ يَأْخُذُونَهَا وَيَقْتُلُونَ أَهْلَهَا».

سَمْتُ الحَرْبِ أَنْ يُذَبِّحَ الْعَامَّةُ، بَيْنَمَا يُؤَسِّرُ التَّبَلَاءُ وَيُطْلَقَ سَرَاخُهُمْ مُقَابِلَ فِدْيَةٍ. ذَكَرَنِي أَنْ أَشْكُرَ الْآلِهَةَ لِأَنِّي وُلِدْتُ لِانْسْتَر.

مَرَّرَ السَّيْرَ كَلْيُوسَ يَدُهُ فِي شَعْرَةِ الْبَنِيِّ الْخَفِيفِ، وَقَالَ: «هُوَ جَمِنَا مَرَّتَيْنِ عَلَى الرَّغْمِ مِنْ رَايَةِ السَّلَامِ، ذَنَابٌ تَرْتَدِي الْحَدِيدَ، مَتَعِطُّشَةٌ لَسْفَكَ دَمَ كُلِّ مَنْ هُمْ أَوْعَفُ مِنْهَا. الْآلِهَةُ وَحْدَهَا تَعْلَمُ أَيُّ جَانِبٍ كَانُوا يُنَاصِرُونَ فِي الْبَدَايَةِ، لَكِنْهُمْ فِي صَفِّ أَنْفُسِهِمْ فَقَطِ الْآنَ. فَقَدْتُ ثَلَاثَةَ رِجَالٍ، وَجُرِحَ ضِعْفُ هَذَا الْعَدَدِ».

عَادَ تِيرِيونَ يَصُبُّ انْتِبَاهَهُ عَلَى شُرُوطِ سِتَارِكْ، وَسَأَلَ: «مَا أَخْبَارَ عَدُونَنَا؟». الصَّبِيُّ لَا يُرِيدُ الْكَثِيرَ، نِصْفَ الْبِلَادِ فَقَطِ، وَإِطْلَاقَ سَرَاخِ رِجَالِهِ الْأَسْرَى، وَيَضَعُ رَهَائِنَ، وَسَيْفَ أَبِيهِ... أَوْهَ، وَأَخْتَبَهُ طَبْعًا.

- «الصَّبِيُّ يَتَلَكَّأُ فِي رِيْقَرَرَنَ. أَعْتَقَدُ أَنَّهُ يَخْشَى مُوَاجَهَةَ أَيْكَ فِي مِيدَانِ الْمَعْرَكَةِ، وَقَوَاهُ تَضَعُفَ كُلِّ يَوْمٍ، فَقَدْ رَحَلَ لُورْدَاتِ النَّهْرِ، لِيَعْنَتِي كُلُّ مِنْهُمْ بِأَرَاضِيهِ».

أَهَذَا مَا يَهْدَفُ إِلَيْهِ أَبِي؟ طَوَى تِيرِيونَ خَرِيطَةَ سِتَارِكْ، وَقَالَ: «هَذِهِ الشُّرُوطُ لَنْ تَصْلُحَ أَبَدًا».

سَأَلَ السَّيْرَ كَلْيُوسَ بِأَسَى: «هَلْ سَتُوافِقُ عَلَى الْأَقْلَ عَلَى مِبَادَلَةٍ ابْنَتِي سِتَارِكْ بَتِيونَ وَوَيْلِمَ؟».

تَذَكَّرَ تِيرِيونَ أَنَّ تِيونَ فَرَايَ أَخُو كَلْيُوسَ الصَّغِيرَ، وَقَالَ بِرَفَقٍ: «كَلَّا، لَكِنَّا سَتُقَدِّمُ عَرْضَنَا الْخَاصَّ لِتَبَادُلِ الْأَسْرَى. دَعْنِي أَتَشَاوَرُ مَعَ سَرَسِي وَالْمَجْلِسِ، وَسَتُرْسَلُكَ إِلَى رِيْقَرَرَنَ بِشُرُوطِنَا نَحْنُ».

مِنْ الْوَاضِحِ أَنَّ إِمْكَانِيَّةَ نَجَاحِ هَذَا لَمْ تَسْرَهُ، فَقَالَ: «سَيِّدِي، لَا أَعْتَقَدُ أَنَّ رُوبَ سِتَارِكْ سَيُذْعِنُ بِسَهُولَةٍ. الْيَلِيدِي كَاتِلِينَ هِيَ الرَّاغِبَةُ فِي السَّلَامِ، وَلَيْسَ الصَّبِيُّ».

قال تيريون: «الليدي كاتلين تُريد ابتيتها»، ثم نزلَ من على الدُّكَّة وفي يده الرِّسالة والخريطة، وأردفَ: «سيحرص السير جاسلين على تزويدك بالطعام ونارٍ للتدفئة. إنك تبدو في أمسِّ الحاجة إلى النوم يا ابن العم. سأرسلُ في طلبك عندما نعرف المزيد».

وجدَ السير جاسلين على الأسوار، يُراقبُ عدَّة مئات من المجنَّدين الجُدد الذين يتدربون في الحقل في الأسفل. كثيرون جدًّا يبحثون عن ملاذٍ في كينجز لاندنج، وبالتالي ليس هناك نقص في الرُّجال الرَّاغبين في الانضمام إلى حرس المدينة، في سبيل معدةٍ ممتلئةٍ وسريرٍ من القشِّ في الثُّكنات، لكن لم تكن لدى تيريون أوهام بخصوص براعة هؤلاء البائسين في الدفاع عن المدينة إذا شبَّت المعركة.

قال تيريون: «أحسنت التصرُّف عندما أرسلت إليَّ. سأترك السير كليوس بين يديك. أريده أن يُعامل بكلِّ حفاوة».

سأله قائد الحرس: «وماذا عن الفرقة المصاحبة له؟».

- «أعطهم طعامًا وثيابًا نظيفةً، واعثرُ على ما يسترُ يُداوي إصاباتهم، لكن إياك أن يخطوا خطوةً واحدةً داخل المدينة، مفهوم؟». لن ينفعهم أبدًا أن تَبْلُغ حقيقة الأوضاع في كينجز لاندنج روب ستارك في ريفررن.

- «مفهوم تمامًا يا سيدي».

- «أوه، وشيء آخر. سيُرسل الخيميائيون مخزونًا كبيرًا من الجرار الفخاريَّة إلى كلِّ من بوابات المدينة، وستستخدمها لتدريب الرُّجال الذين سيعملون على نافثات اللُّهب. املاؤ الجرار بطلاءٍ أخضر ودرِّهم على تليقيها وإطلاقها. أيُّ رجلٍ يَنثُر قطرةً يجب استبداله في الحال، وعندما يتمرِّسون على التَّعامل مع جرار الطِّلاء، استخدم زيت المصابيح، واجعلهم يتمرِّنون على إيقاد الجرار وإطلاقها وهي مشتعلة. بمجرد أن يتعلَّموا هذا دون أن يُحرقوا أنفسهم، فربما يكونون مستعدين للنَّار السَّعواء».

حكَّ السير جاسلين خدَّه بيده الحديديَّة، وقال: «إجراءات حكيمة، وإن كنتُ لا أكنُ حَبَّ لبول الخيميائيين هذا».

- «ولا أنا، لكنني أستغل ما في متناولي».

عندما عادَ إلى نَقَّالته، أغلقَ تيريون لانسْتَر السَّاتر وطوى وسادةً تحت مرفقه. سيُكَدَّر سرسي أن تعرف أنه اعترضَ سبيل رسالة ستارك، لكن أباه أرسله إلى هنا ليَحْكُم، لا ليرضي سرسي.

يدو له أن روب ستارك أعطاهم فرصةً ذهبيَّة. فليبقِ الصَّبي في ريفرَرَن يحلُم بِسلام سهل. سيردُّ تيريون بشروطه الخاصَّة، ويُلَبِّي من مَطالِب الملك في الشَّمال ما يكفي لأن يظلَّ متمسِّكًا بالأمل. دَع كليس فراي يُبلي عجزِته على ظهور الخيول ذهابًا وإيابًا بالعروض والعروض المضادَّة، وبينما يدور كلُّ هذا سيستمرُّ السير ستافورد في تدريب وتسليح الجيش الجديد الذي حشده في كاسترلي روك، وبمجرَّد أن يستعدَّ، يُمكنه مع اللورد تابوين أن يسحقا آل تلي وستارك معًا بينهما.

ألا ليت ستانيس ورنلي يكونان بهذا التَّعاون. على الرغم من تقدُّمه البطيء، فما زال رنلي باراثيون يزحف شمالًا وشرقًا بجيش جنوبيٍّ عرمرم، ولا تكاد ليلة تمرُّ دون أن يخشى تيريون أن يستيقظ على خبر دخول أسطول اللورد ستانيس النَّهر الأسود. يبدو أن لديَّ مخزونًا كبيرًا من النَّار الشَّعواء، ومع ذلك...

قاطعَ لفظ في الشَّارع أفكاره القلقة، فألقى نظرةً حذرةً من بين السَّاتر. كانوا يقطعون ميدان الأساكفة، حيث تجمهرَ حشد كبير تحت مظلات التَّوافذ الجلدِيَّة، ليُصغوا إلى نبيٍّ يتشدَّق بالكلام. هتَف الرَّجل بصوتٍ مجلجل: «الفساد! ها هي الآية! أبصروا سَوط «الأب»!»، وأشار إلى الجرح الأحمر النَّازف في السَّماء. من هذا الموقع تلوح القلعة البعيدة على تَلِّ إجون العالي من ورائه مباشرة، والمذئِب معلق فوق أبراجها منذرًا بالويل، فقال تيريون لنفسه: اختيار ذكيٍّ للمسرح، بينما تابع الرَّجل: «لقد انتَفَخنا، تورَّنا، تعفَّنا. الأخ يُجامع أخته في فراش الملوك، وينبخر نتاج سِفايحهما في قصره على أنغام مزمار قرْد شيطاني منحرف. والنَّيِّلات عاليات المقام يزين مع المهرَّجين ويُنجبن وحوشًا! حتى السَّيِّئون الأعلى نفسه نسي الآلهة! يستحمُّ

بالماء المعطر ويسمن يوماً بعد يوم بينما يتصور ناسه جوعاً! العنجهية تسبق خشوع الصلاة، والدُّود يحكم في القلاع، والذهب كل شيء... لكن ليس بعد اليوم! انقضى الصيف العفن، وسقط الملك زير النساء! عندما فتح الخنزير بطنه تصاعدت رائحة مُتتة إلى السماوات، وخرجت ألف حية من معدته، تهش وتلدغ!، ولوح بإصبعه الرفيع في اتجاه القلعة والمذنب ثانية، وواصل: «قد أتى التذير، والآلهة تصبح فيكم أن تُظهروا أنفسكم وإلا تُظهروا! تحمّموا بخمر الاستقامة أو ستحمّمون بالسعير! السعير!».

- «السعير!»، ردّدت أصوات أخرى، لكن صيحات الاستهزاء والاستهجان أغرقتها، ووجد تيريون في هذا شيئاً من العزاء. ألقى الأمر بمواصلة التقدم، واهتزت النقالة كسفينة في بحر ثائر والرجال المحروقون يُفسحون الطريق. فرد شيطاني منحرف بالفعل. لدى المأفون حقّ إزاء الشبتون الأعلى. ما الذي قاله فتى القمر عنه منذ أيام؟ رجل بار يعبد «السبعة» بحماسة شديدة، حتى إنه يأكل وجبة لكلّ منهم كلما جلس إلى مائدة. رسمت ذكرى مزحة المهرج ابتسامة على شفتي تيريون.

سره أنه بلغ القلعة الحمراء دون أن يعترض طريقه شيء آخر، وشعر وهو يصعد الدرجات إلى مسكنه بأمل أكبر مما كان لديه فجر اليوم. الوقت هو كل ما أحতاجه حقاً، الوقت لوضع كل شيء في مكانه. بمجرد أن تنتهي السلسلة...

فتح باب غرفته الشمسية، فالتفتت سرسي عن النافذة وفُسنانها يلتف كدّامة حول وركيها التحيلين، وقالت غاضبة: «كيف تجرؤ على تجاهل استدعائي لك؟!».

- «من أدخلك بُرجي؟».

- «بُرجك؟ هذه قلعة ابني الملكية».

- «سمعتُ هذا». شعر تيريون بالاستياء، ولا بُد أن كرون سيَشعر باستياء أكبر، فرجاله من إخوة القمر يتولون الحراسة اليوم. «كنتُ على وشك أن أتى إليك في الواقع».

- «حقًا؟».

دفع الباب ليُغلِقَه وراءه، وقال: «أترتابين في كلامي؟».

- «دائمًا، ولأسباب وجيهة».

قال تيريون: «كلماتك تُؤلِّم»، وسارَ متهاديًا إلى الخُوان ناشدًا كأسًا من النِّبيذ، فهو لا يعرف طريقةً للإصابة بالعطش الشَّدِيد أضمن من الكلام مع سرسي. «إذا كنتُ أسأتُ إليك بشكل ما، فأريدُ أن أعرف كيف».

- «يا لك من دودةٍ حقيرةٍ مُقرقةٍ! مارسلا ابنتي الوحيدة. أكنت تتخيَّل حقًا أنني سأسمحُ لك ببيعها كجوالٍ من الدَّقِيق؟».

مارسلا. عظيم، فقسَّت البيضة إذن، لنزَلْ لون الفُرخ. «ليست جوال دقيق على الإطلاق. مارسلا أميرة، وسيقول لك البعض إن هذا ما وُلِدَتْ لتكونه. أم أنكِ كنتِ تُخطِّطين لتزويجها تومن؟».

اندفعت يدها كالسَّوط ضاربةً كأس النِّبيذ من يده لتتسكَّب على الأرض، وقالت: «حريٌّ بي أن أقطع لسانك لقولك هذا، سواء أكنت أخِي أم لا. إنني الوصيَّة على جوفري، وليس أنت، وأقولُ إن مارسلا لن تُسلمَ إلى ذلك الدورني كما سُلِّمَتْ إلى روبرت باراثيون».

نفَضَ تيريون النِّبيذ عن أصابعه، وتنهَّد قائلاً: «ولمَ لا؟ في دورن ستكون في أمانٍ أكثر من هنا بكثير».

- «أأنتِ غِرٌّ ساذجٌ أم مجرَّد منحرف؟ إنك تعلم مثلي تمامًا أن آل مارتل لا يُحبُّوننا».

- «آل مارتل لديهم كلُّ الأسباب التي تحضُّهم على كراهيتنا، وعلى الرغم من ذلك أتوقَّع أن يقبلوا، فعداوة الأمير دوران لعائلة لانستر ترجع جيلاً واحداً فقط، بينما حاربَ الدورثيون كلَّ من ستورمز إند وهايجاردن ألف سنة، ورنلي يعتبر ولاء دورن له أمراً مسلَّماً به. مارسلا في التَّاسعة، وتريستان مارتل في الحادية عشر، وقد عرضتُ أن يتزوَّجا عندما تَبْلُغ الرَّابِعة عشر، وحتى ذلك الحين ستنزل ضيفةً معزَّزةً مكرَّمةً في صنسبير، تحت حماية الأمير دوران».

قالت سرسي وفمها ينقبض: «تقصد رهينة».

- «ضيقة معززة مكرمة»، كَرَّرَ تيريون بإصرار. «وأومئُ بأن مارتل سيعامل مارسلا بكياسة أكبر مما عاملُ جوفري سانزا ستارك. أفكرُ في إرسال السير أريس أوكهارت معها أيضًا، فمع وجود فارس من الحرس الملكي كحارسٍ شخصيٍّ لها، لن ينسى أحدٌ من أو ماذا تكون».

- «لن ينفعها السير أوكهارت كثيرًا إذا قرَّر دوران مارتل أن دم ابنتي سيعوّضه عن دم أخته».

- «مارتل أشرف من أن يقتلُ فتاةً في التاسعة، بالذات فتاة بريئة عذبة مثل مارسلا. ما دامت عنده، فسيظلُّ واثقًا إلى حدٍّ كبير بالتزامنا بالاتفاق، وإغراء العرض أقوى من أن يرفضه. مارسلا أقلُّ ما في الأمر، لأنني عرضتُ عليه أيضًا قاتل أخته، ومقعداً في المجلس، ويضع قلاع في تخوم دورن...».

قاطعت سرسي وهي تبتعد عنه بتحفظ اللبوة وفستانها يتموج: «كثير جدًا، عرضت الكثير جدًا، ودون موافقتي أو موافقة المجلس».

- «إننا نتكلم عن أمير دورن. لو عرضتُ أقلَّ من هذا لبصقَ في وجهي». التفثت إليه مسرعةً، ورددت: «كثير جدًا!».

صاح تيريون وقد بدأت جذوة غضبه تتقد: «ما الذي كنتَ لتعرضينه عليه إذن؟ تلك الفرجة بين سافيك؟».

هذه المرأة رأى الصفة تهوي على وجهه، ودار عنقه مصدرًا طقطقةً، فقال لها: «أختي الجميلة الغالية، إنها آخر مرةٍ نضربيني، هذا وعد».

ضحكت أخته قائلةً: «لا تُهددني أيها الصغير. أتحسب أن رسالة أبي تضمن لك الأمان؟ إنها مجرد قطعة ورق. إدارد ستارك كان يحمل قطعة ورقٍ أيضًا، فبِمِ نفعته؟».

إدارد ستارك لم يكن يملك حرس المدينة، ولا رجال القبائل، ولا المرتزقة الذين استأجرهم برون، أمّا أنا فلدي كلُّ هؤلاء. أو أن هذا ما يأمله. الثقة بفارس، والسير جاسلين بايووتر، وبيرون... لا بُدَّ أن اللورد ستارك كانت لديه أوهامه أيضًا. على أنه لم يقل شيئًا، فالحكيم لا يصبُّ نارًا شعواء على مستوقدٍ مشتعل، وبدلًا من هذا صبَّ كأس نبيذٍ أخرى، وقال لسرسي:

«كم ستكون مارسلا آمنةً في رأيكِ إذا سقطت كينجز لاندنج؟ سيُعلّق رنلي وستانيس رأسها على خازوقٍ إلى جوار رأسكِ».

وانهمرت دموع سرسي.

لو أن إجون الفاتح نفسه افتحمَ الغرفة الآن على متن تين وهو يُشَقِّلِب فطائر الليمون في الهواء، لما ازدادَ الذُهور الذي أصابه في تلك اللحظة. إنه لم يرَ أخته تبكي منذ كانا طفلين في كاسترلي روك. بارتباكٍ تقدّم منها خطوةً، فمن المفترض عندما تبكي أختك أن تُواسيها... لكن هذه سرسي! متردّداً مدّ يده إلى كتفها، لكنها صاحت مجفلةً: «لا تلمسني!». لم يكن ينبغي أن تجرحه الكلمة، لكنها فعلت. بوجهٍ محتقن غضباً وألماً جاهدت سرسي لالتقاط أنفاسها متممةً: «لا تنظر إليّ، ليس... ليس هكذا... ليس أنت!».

أدارَ تيريون ظهره لها بأدب، وقال: «أؤكدُ لكِ أنني لم أقصد أن أخيفكِ. لا شيء سيحدث لمارسلا».

قالت من ورائه: «كاذب. إنني لستُ طفلةً تُهدئ روعها بالوعود الفارغة. سبق أن قلت لي إنك ستحرّر جايمي أيضاً، فأين هو؟».

- «في ريفرن على حدّ علمي، آمن وتحت الحراسة، إلى أن أجد وسيلةً لتحريره».

تنشّفت سرسي وقالت: «كان ينبغي أن أولّد رجلاً، وحينئذٍ لم أكن لأحتاج أحداً منكم، أو أسمح لشيءٍ من هذا بالحدوث. كيف تركّ جايمي ذلك الصّبي يأسره؟ وأبي، لحماقتي أنكلتُ عليه، لكن أين هو الآن ونحن نحتاجه؟ ماذا يفعل بالضبط؟».

- «بخوض حرباً».

قالت باستهجان: «من وراء أسوار هارنهاال؟ طريقة مريبة للقتال، تجعله يبدو للنّاظر كأنه مخبئ».

- «أعيدي النّظر».

- «ماذا يكون هذا إذن إن لم يكن اختباءً؟ أبي جالس في قلعة، وروب ستارك في أخرى، ولا أحد يُحرّك ساكنًا».

- «نَمَّةٌ جلوس ونَمَّةٌ جلوس. كُلُّ منهما ينتظر أن يتحرك الآخر، لكن الأسد ثابت ومتبهِ وذيله يختلج، بينما الطَّيِّبُ الصَّغِيرُ متجندٌ خوفًا، ويكاد يتغوّط على نفسه، فأينما ذهب سينال منه الأسد، وهو يعرف هذا».

- «وأنت موقن من أن أبانا هو الأسد؟».

قال تيريون مبتسمًا: «الأسد على راياتنا كلها».

تجاهلت الدُّعابة، وقالت: «لو أن أبي هو الأسير، فلم يكن چايمي لِيُضَيِّع الوقت سُدى».

كان چايمي لِيُتَرَقِّقَ جيشه إلى أشلاء دامية على أسوار ريفررَن، وليأخذ «الآخرون» فُرصَتهم في النَّصر. إنه لم يكن من النَّوع الصَّبور قَطُّ، ولا أنت كذلك يا أختاه. «لسنا جميعًا بجسارة چايمي، لكن هناك طرائق أخرى للفوز في الحروب. هارنهال قويَّة وموقعها ممتاز».

- «وكينجز لاندنج ليست كذلك، كما يعلم كلانا جيّدًا، وبينما يلعب أبي الأسد والطَّيِّب مع ابن ستارك، يزحف رنلي على الطَّرِيق الوردِي، ويُمكن أن نجده على الأبواب في أيِّ يوم الآن».

- «المدينة لن تَسْقُطَ في يوم، والرَّحَف من هارنهال على طريق الملوك سريع وفي خَطٍّ مُستقيم. لن يكون رنلي قد انتهى من نَضْب آلات الحصار قبل أن يُهاجمه أبي من المؤخِّرة، وسيكون جيشه المطرقة وأسوار المدينة السَّنَدان. صورة جميلة».

أمعنت عينا سرسي الخضراوان النَّظَر فيه كالمسبار، بحذرٍ لكن بنهمٍ للطمَّانة التي يُطعمها إياها، وقالت: «وإذا بدأ روب ستارك الرَّحَف؟».

- «هارنهال قريبة من مخاضات الثَّالوث، بحيث لا تسمح لرووس بولتون بأن يعبُر بالُمُشاة السَّمالِيِّينَ للانضمام إلى خيَّالة الذُّئب الصَّغِير. ستارك لا يستطيع الرَّحَف إلى كينجز لاندنج دون الاستيلاء على هارنهال أولًا، ثم إنه ليس قويًّا كفايَّةً ليفعل ذلك، حتى ومُشاة بولتون معه»، ورسمَ تيريون على وجهه أوسع ابتسامةٍ ظافرةٍ يقدر عليها مضيِّقًا: «وفي تلك الأثناء يتغذى أبي على خير أراضِي النَّهر، بينما يحشد السير ستافورد جُندًا جُدَدًا في «الصَّخرة»».

رمقته سرسي بشكّ قائلّة: «كيف تعرف كلّ هذا؟ هل أخبرك أبي ببيّاته قبل أن يُرسلك؟».

- «كلا، بل ألقيتُ نظرةً على خارطة».

استحالَت نظرتها إلى الازدراء وهي تقول: «لقد أعددت كلّ كلمةٍ من هذا في عقلك المريض، أليس كذلك أيها العفريت؟».

قطعقُ تيريون بلسانه، وقال: «أختي العزيزة، دعيني أسألك، لو لم تكن الزّابحين، فهل كان آل ستارك ليطلبوا السّلام؟»، ثم أخرج الرّسالة التي أحضرها كليوس فراي، وتابع: «الدّثب الصّغير أرسلَ لنا شروطًا، شروطًا غير مقبولة بالتّأكيد، لكنها بداية. أترغبين في الاطّلاع عليها؟».

- «نعم». بهذه السّرعة عادت سرسي ملكةً من جديد. «كيف وصلتْكِ؟ المفترض أن تأتيني مباشرةً».

قال تيريون: «وما فائدة يد الملك إن لم يُناولكِ شيئًا أو آخر؟». كانت وجته لا تزال تُؤلمه حيث تركت يد سرسي أثرها. فلتسلخ نصف وجهي. ثمن زهيد لموافقته على مصاهرة دورن. إنه يعرف الآن أنه سيحصل على هذه الموافقة.

ويعرف هويّة الجاسوس الآن كذلك... صفقة رابحة حقًا.



بران

وَضَعُوا عَلَى دَانَسِر كَسُوَةً مِنَ الصُّوفِ الْبَيْضِ النَّاصِعِ كَالثَّلْجِ، مَزِينَةً بِذَنْبِ عَائِلَةِ سِتَارِكِ الرَّهِيْبِ بِلُونِهِ الرَّمَادِيِّ، بَيْنَمَا ارْتَدَى بِرَانُ سِرَاوِيلَ رِمَادِيَّةً وَشُتْرَةً بِيضَاءَ مَوْشَاةٍ بِالْفِرْوِ عِنْدَ الْكُمَيْنِ وَالْيَاقَةِ، وَفَوْقَ قَلْبِهِ ثَبَّتَ دُبُوسَهُ ذَا شَكْلِ رَأْسِ الذُّئْبِ، الْمَصْنُوعِ مِنَ الْفِضَّةِ وَالْكَهْرْمَانِ الْأَسْوَدِ الْمَصْقُولِ. إِنَّهُ يُحَبِّدُ أَنْ يَكُونَ سَمَرَ إِلَى جَانِبِهِ بَدَلًا مِنْ وَجُودِ الذُّئْبِ الْفِضِّيِّ عَلَى صَدْرِهِ، لَكِنْ رَفَضَ السِّيرَ رُودَرِيكُ كَانَ قَاطِعًا.

أَعَاقَتْ الدَّرَجَاتُ الْحَجَرِيَّةُ الْوَاطِئَةَ دَانَسِرَ لِحِظَةً وَاحِدَةً فَقَطْ، لَكِنِهَا صَعَدَتْهَا يُبْسِرُ عِنْدَمَا حَثَّهَا بِرَانُ، وَوَرَاءَ مَصْرَاعِي الْبَابِ الْمَصْنُوعِينَ مِنَ السَّنْدِيَانِ وَالْحَدِيدِ، مَلَأَتْ ثَمَانِيَةَ صُفُوفٍ طَوِيلَةٍ مِنَ الْمَوَائِدِ قَاعَةٌ وَيَتَرَفَّلُ الْكُبْرَى، أَرْبَعَةٌ عَلَى كُلِّ جَانِبٍ مِنَ الْمَمْشَى الَّذِي يَشُقُّ مَتَنَصِّفَ الْمَكَانِ. تَزَاحَمَ الرِّجَالُ بِأَكْتَاكِفٍ مُتَلَاصِقَةٍ عَلَى الدِّكْكَ، وَهَتَفُوا نَاهِضِينَ حِينَ مَرَّ بِهِمْ بِرَانُ عَلَى فَرَسِهِ. «سِتَارِكُ! وَيَتَرَفَّلُ! وَيَتَرَفَّلُ!».

كَانَ كَبِيرًا بِمَا يَكْفِي لِأَنْ يَعْرِفَ أَنَّهُمْ لَا يَهْتَفُونَ لَهُ هُوَ حَقًّا، بَلْ هُمْ مَتَهَلِّلُونَ لِلْحَصَادِ، لِرُوبٍ وَانْتِصَارَاتِهِ، وَالسَّيِّدِ وَالِدِهِ وَجَدَّهُ وَكُلَّ أَسْلَافٍ عَائِلَةِ سِتَارِكِ الْمُتَجَدِّدَةِ مِنْذُ ثَمَانِيَةِ آلَافِ عَامٍ. غَيْرَ أَنَّ هَذَا لَمْ يَمْنَعْ أَوْدَاجَهُ مِنَ الْإِنْتِفَاحِ زَهْوًا، وَطَوِيلَةِ الْمَدَّةِ الَّتِي اسْتَغْرَقَهَا فِي قَطْعِ الْقَاعَةِ حَتَّى نَهَايَتِهَا، نَسِيَ أَنَّهُ مَكْسُورٌ. لَكِنْ عِنْدَمَا بَلَغَ الْمَنْصَّةَ وَكُلَّ عَيْنٍ مُسَلِّطَةٌ عَلَيْهِ، حَلَّتْ أَوْشَا وَهُودُورُ الْأَرِبْطَةِ وَالْأَحْزَمَةِ، وَرَفَعَاهُ عَنْ ظَهْرِ دَانَسِرٍ، ثُمَّ حَمَلَاهُ إِلَى مَقْعَدِ آبَائِهِ الْعَالِيِّ. جَلَسَ السِّيرُ رُودَرِيكُ إِلَى يَسَارِ بِرَانِ، وَإِلَى جَوَارِهِ ابْنَتُهُ بَثْ، بَيْنَمَا جَلَسَ

ريكون إلى يمينه، وقد استطالَ شعره الكستائي الأشعث كثيرًا حتى تدلَّى على معطفه المصنوع من فرو القاقوم. منذ رحلت أُمهما وريكون يَرُفُض السَّماح لأيِّ أحدٍ بقصِّه، وآخر فتاةٍ حاولت تَلَقَّت عَصَةً. قال ريكون بينما قَاد هودور دانسر من القاعة: «أردتُ أن أركب أيضًا. إنني أركبُ أفضل منك».

قال بران لأخيه: «غير صحيح، فاصمتُ»، ثم هدرَ السير رودريك في الجموع طالبًا منهم الصَّمت، ليرفع بران صوته بالكلام. رَحَّبَ بهم باسم أخيه روب الملك في الشَّمال، وطلبَ منهم أن يَشْكروا الآلهة القديمة والجديدة على انتصارات روب والحصاد الوفير، وختمَ كلمته رافعًا كأس أبيه الفضيَّة: «عسى أن تُرزَق بمئة حصادٍ آخر».

ردَّد الرُّجال: «مئة حصادٍ آخر!»، وقُرِعت الدُّوارق القصدير والأكواب الفخَّار وقرون الشُّراب المطعَّمة بالحديد ببعضها بعضًا. كان نيبذ بران محلَّى بالعسل ومعطَّرًا بالقرفة والقرنفل، لكن أقوى مما تعود، وأشعره بأصابع ثعبانيَّة ساخنة تتلوَّى في صدره وهو يتلع، ولَمَّا وُضِعَ الكأس كان رأسه يدور بالفعل.

قال له السير رودريك: «أحسنت يا بران. كان اللورد إدارد ليفخر بك جدًّا»، فهزَّ المايستر لوين رأسه موافقًا من مكانه على المائدة.

بدأ الخدم يُقدِّمون الأطباق، ولم يَرِ بران كلَّ هذا الكَمِّ من الأطعمة من قبل، وقد ظَلَّت تتوالى صنفًا بعد صنفٍ بعد صنف، حتى إنه لم يقدر على أكثر من قضمةٍ أو اثنتين من كلِّ طبق. قُدِّمَت أوصال من لحم الثَّيران البرِّيَّة المشوي مع الكرفس، وفطائر من لحم الغزال مع الكثير من الجزر والفطر واللَّحم المقدَّد، وضلوع الضَّأن الغارقة في العسل والقرنفل، والبَط بالزَّعتر البرِّي، والخنازير البرِّيَّة بالفلفل، والإوز، وأسياخ من الحمام والذَّيوك السَّمين، ويخنة اللَّحم البقريِّ والشَّعير، وحساء فواكه بارد. وكان اللورد وإيمان قد أحضَرَ عشرين برميلًا من الأسماك المحفوظة في الملح والطَّحالب البحريَّة من الميناء الأبيض، تنوَّعت بين السَّمك الأبيض والسَّرطان البحري، وقواقع البرونق وبلح البحر، والمحار والرَّنجة، والقُد والسلمون، والكركد والسُّلق. جاءت كذلك أطباق من اللَّفَّ والبازلاء والسَّمندر، والفاصوليا والقرع

والبصل الأحمر الضخم، وأطباق أخرى من الثَّغاح المخبوز وفطائر الثُّوت والإجاص المسلوق في التَّيِّد القوي، كما وُضِعَتْ قوالب من الجبن الأبيض على كلِّ مائدة، فوق الملح وتحت، ومَرَّت على الجميع أباريق من التَّيِّد المتبل السَّاحن والمِزر الخريفي المبرَّد.

عزَفَ موسيقيُّو اللورد وإيمان ألحانًا أطربت الجميع، لكن سرعان ما غرقت أنغام القيثارة والكمنجة والمزمار تحت أمواج الكلام والضَّحك وتضارب الأكواب والأطباق وزمجرة الكلاب المتصارعة على بقايا الطَّعام. صدَحَ المغنِّي بعددٍ من الأغاني المحبوبة، مثل «جِراب الحديد» و«حريق الشُّفن» و«الدُّب والحساء»، وإن بدا أن هودور الوحيد الذي يُصنِّي، حيث أخذ يتوائب من قدم إلى أخرى إلى جوار الزَّمَّار.

تزايدت الضَّجَّة حتَّى أصبحت هديرًا ثابتًا امتزج فيه شتَّى الأصوات. تكلمَّ السير رودريك مع المايستر لوين من فوق رأسِ بَث ذي الشَّعر المعقوص، بينما صاحَ ريكون بسعادةٍ في الصَّيَّين والدر. لم يرغب بران في وجود ابني فراي على المائدة العالية، لكن المايستر ذكَّره بأنهما سيُصبحان من أقربائه عمًّا قريب، عندما يتزوَّج روب واحدةً من عمَّاتهما، وآريا أحد أعمامهما، فقال بران: «آريا لن تفعل هذا أبدًا»، لكن المايستر لوين أصرَّ، ومن ثَمَّ جلسَ الاثنان إلى جوار ريكون.

عرضَ الخدم كلًّا من الأصناف على بران أولاً، كي يقطع نصيب اللورد لنفسه إذا أرادَ، لكن مع بلوغهم طبق البَطَّ كانت معدته متخمةً تمامًا، وبعد ذلك اكتفى بالإيماء برأسه استحسانًا لكلِّ صنفٍ بدوره ثم التلويح بيده ممتنعًا، وإذا كانت للطبق رائحةٌ مميزةٌ، فإنه يُرسله إلى أحد اللوردات على المنصَّة، كعلامةٍ على الصَّدَاقَة والمحابة شدَّد المايستر لوين على ضرورة إبدائها. هكذا أرسلَ القليل من السلمون إلى المسكينة الحزينة الليدي هورنود، ولحم الخنزير البرِّي إلى الأخوين أومبر الصَّاخبين، وطبقًا من الإوز بالتُّوت إلى كلاي سروين، وفردًا ضخمًا من السَّرطان البحري إلى جوزث قيِّم الخيول، الذي لا يُعَدُّ لوردًا أو ضيفًا، وإن أخلصَ في تدريب دانسر وجعل ركوب بران إياها ممكنًا، وأرسلَ أصنافًا من الحُلُو إلى هودور

والعجوز نان كذلك، بلا سبب غير محبته لهما. قال السير رودريك ألا ينسى أخويه بالتربية، فأرسل إلى والدِ الصَّغير القليل من الشَّمندر المسلوق، وإلى والدِ الكبير لِفَتًا بالرُّبْد.

على الذَّكَّ في الأسفل، اختلطَ رجال وينترفِل بالعَامة من البلدة الشَّتوية، والأصدقاء من المعازل القريبة، ومُرافقِي اللوردات الضُّيوف. بعض الوجوه لم يره بران من قبل، والبعض الآخر يعرفه كما يعرف وجهه هو، لكن الجميع على حَدٍّ سواء بدوا له أغرابًا، إذ يُراقِبهم من بُعدٍ كأنه لا يزال جالسًا عند نافذة عُرْفة نومه، يتطلَّع إلى السَّاحة في الأسفل ويرى كلَّ شيءٍ لكن لا يُشارك في شيءٍ.

تحركت أوشا بين الموائد تصبُّ المِزر، ودَسَّ أحد رجال ليوبولد تولهارت يده تحت ثُورتها، فحطَّمت الإبريق على رأسه لتفجَّر ضحكات الرِّجال. على أن ميكن كان يدسُّ يده بدوره في صِدار امرأة، ولم يبدُ أنها تُمانع. راقب بران فارلن يُجبرِ كلبته الحمراء على توشُل العظام، وابتسمَ لمرأى العجوز نان تقطع بأصابعها العظمية لقيماتٍ من قاعدة فطيرةٍ ساخنة التَصقَّت بقاع الوعاء، بينما على المنصَّة انفضَّ اللورد وايمان على طبقٍ من سَمَك الشَّلُق السَّاخن كأنه جيش العدو. كان بالغ السَّمنة لدرجة أن السير رودريك أمرَ بَصْنع مقعدٍ عريض يحتمل وزنه، لكن الرِّجل يضحك عاليًا وكثيرًا، وخطرَ لبران أنه يروقه. إلى جواره جلست الليدي هورنوود ممتعة الوجه، ملامحها قناع من حَجَر وهي تتناول طعامها بلا شهية، وعلى الجانب المواجه من المائدة العالية انخرطَ هوثر ومورس في لعبة شراب، يقرعان قرنيهما معًا كفارسين في النَّزال.

الجوُّ حار جدًّا هنا، والأصوات صاخبة للغاية، وكلهم يسكرون. كان يحسُّ بالحكة تحت طبقات الصُّوف الرَّمادي والأبيض، وتمنَّى فجأةً أن يكون في أيِّ مكانٍ سوى هنا. الجوُّ معتدل في أبكة الآلهة الآن، البخار يتصاعد من الينابيع السَّاخنة، وأوراق اليربوود تحفُّ، والروائح أطيب من هنا، وسرعان ما سيصعد القمر إلى السَّماء ويُعني له أخِي.

قال السير رودريك: «بران، إنك لا تأكل».

كان حُلْم اليقظة شديد الوضوح، حتى إن بران استغرق لحظةً حتى أدرك أين هو، ثم قال: «سأكل المزيد فيما بعد، فمعدتي ممتلئة حتى الانفجار». كان شارب الفارس العجوز ورديًا بفعل التبيد وهو يقول: «أبليت بلاءً حسنًا يا بران، هنا وفي الاجتماعات، ورأيي أنك ستُصبح لوردًا صالحًا للغاية ذات يوم».

أريدُ أن أكون فارسًا. رشف بران من التبيد في كأس أبيه، شاعرًا بالامتنان لأن هناك شيئًا يقبض عليه. على جانب الكأس كان رأس الذئب الرهيب المزمجر مرفوعًا ويكاد يبدو حيًا، وشعر بران بالخطم الفضي يضغط على راحة يده، وتذكر آخر مرة رأى فيها أباه يشرب من تلك الكأس.

كانت ليلة مأدبة الترحيب التي أقيمت على شرف الملك روبرت، عندما أتى بيلاطه إلى ويتترفل. كان الصيف لا يزال سائدًا حينها، وتقاسم والداه المنصة مع الملك وملكته وأخويها إلى جوارها. عمه بنجن حضر المأدبة أيضًا بشيابه السوداء، وجلس بران وأخواه وأخته مع أطفال الملك، جوفري وتومن والأميرة مارسلا، التي أمضت الوقت كله في التحديق في روب بعينين ولهاتين. صنعت آريا تعبيراتٍ مضحكة بوجهها عندما لم يكن هناك من ينظر إليها، وأرهفت سائرا السمع حين أنشد مغني الملك أغان عن الفروسية عازفًا على القيثارة السامية⁽¹⁾، وظلَّ سيكون يسأله عن سبب عدم انضمام جون إليهم، فاضطرَّ بران في النهاية لأن يُجيبه همسًا: «لأنه نغل».

وكلهم رحلوا. كأن إلهًا متوحشًا مدَّ يداً عملاقةً من السماء واكتسحهم جميعًا، الفئتين إلى الأسر، وجون إلى «الجدار»، وروب وأمهم إلى الحرب، والملك روبرت وأباهم إلى القبر، وربما العم بنجن كذلك...

حتى على الذكك جلس رجال جُدد إلى الموائد، فقد مات جوري، وتوم السمين، وبورثر، وآلين، ودزموند، وهالن قِيم الخيول، وهاروين ابنه... كل من ذهبوا جنوبيًا مع أبيه، حتى السبته موردن وفايون يبول. البقية خرجوا إلى الحرب مع روب، وقد لا يمضي وقت طويل حتى يموتوا بدورهم. لا بأس

(1) القيثارة السامية آلة موسيقية من خيال المؤلف.

على الإطلاق بهايهد وتيم المجذور وسكيتريك وبقية الرجال الجدد، لكنه يفقد أصدقاءه القدامى.

جاس بناظريه بين الذك متطلعًا إلى الوجوه السعيدة والحزينة، وتساءل أيها لن يكون هنا العام المقبل والذي يليه. كان ليكي لحظتها، لكنه لم يستطع. إنه ابن ستارك في وينترفيل، وابن أبيه وورث أخيه، ويوشك أن يصبح رجلًا بالغًا.

في آخر القاعة انفتحت الأبواب، فهبَّ الهواء البارد جاعلاً لهب المشاعل يتأجج أكثر لحظةً، وقاد الحارس الممتلئ ألبلي ضيفين جديدين إلى المأدبة، ورفع عقيرته فوق الصَّخب السَّائد معلناً: «الليدي ميرا وأخوها چوچن، سليلا آل ريد أولاد قلعة المياه الرَّمادية».

رفع الرجال أنظارهم من الأكواب والأطباق ليلقوا نظرةً على الوافدين الجديدين، وسمع بران والدر الصَّغير يُخاطب والدر الكبير قائلاً: «أكلو الضَّفادع»، فيما نهض السير رودريك وقال: «مرحبًا بكما أيها الصَّديقان، لثشاركنا الاحتفال»، فأسرع الخدم يمدُّون طول المائدة العالية ويُحضرون كرسيين.

سأل ريكون: «مَن هذان؟».

أجابته والدر الصَّغير بازدراء: «قوم الأوحال. إنهم لصوص وجبناء، وأسنانهم خضراء بسبب أكل الضَّفادع».

انحنى المايستر لوين إلى جوار مقعد بران، وقال له همساً: «يجب أن تُحَيِّي هذين الاثنين بكلِّ حفاوة. لم أتوقَّع أن أراهما هنا، لكن... أتعرف من هما؟».

أوماً بران برأسه مجيباً: «إنهما من أهل المستنقعات، من «العُنق»». قال له السير رودريك: «هاولاند ريد كان من أخلص أصدقاء أبيك، وهذان طفلاه على ما يبدو».

بدأ الوافدان الجديدان يقطعان القاعة، فرأى بران أن إحداهما فتاة بالفعل، وإن لم تكن ثيابها ما أفصح عن هذا، فقد ارتدت سراويل من جلد الحملان الذي نَعَّمه فرط الاستعمال، وسُترة بلا كُمَّين مدرَّعة بأقراص من البرونز.

وعلى الرغم من أن الفتاة تُقارب روب في العمر، فهي نحيلة كالصبيان، وشعرها بُني طويل معقود وراء رأسها، وانتفاخ ثديها يكاد لا يُذكر. على وركها التَّحيف تدلُّ شبكة صيد، وعلى الآخر سكين برونزي طويل، وتحت إبطها حملت خوذة عظيمة من الحديد يبدو عليها القدم ويشيع فيها الصَّدأ، بينما علَّقت على ظهرها رُمحاً لصيد الضفادع وثُرْساً جلدياً مستديراً.

أمّا أخوها فيصغرُها بعدة سنوات ولا يحمل أسلحةً، ثيابه كلها خضراء، حتى الحذاء الجِلدي طويل العُنق، وعندما اقترب رأى بران أن عينيه بلون الطحالب، وإن كانت أسنانه بيضاء كأبي أحدٍ آخر. كلا الأخوان ريد هزيل القوام ورفيع كسيف، ولا يزيد طولهما على طول بران كثيراً.

ركع الاثنان أمام المنصة، وقالت الفتاة: «أيها السَّادة أبناء ستارك، مرّت السنين بالمئات والآلاف منذ أقسم أهلي على الولاء للملك في الشَّمال، وقد أرسلنا السيّد والذي لتُجدد العهد نيابةً عن أهلنا كلهم».

إنها تنظر إليّ. كان عليه أن يردّ بشيء ما، فقال: «أخي روب يُحارب في الجَنوب، لكن يُمكنكما ترديد الكلمات لي إذا شئتما».

قالا معاً: «لويتنر فل نتعهد بإخلاص القلعة الرَّماديّة، ولك يا سيّدي نمنح الوداد والفؤاد والحصاد، سيوفنا ورماحنا وسهامنا رهن إشارتك، فامنح ضُفعاونا الرِّحمة، وعاجزين العون، والجميع العدل، ولن نخذلك أبداً».

وقال الصَّبي المسربل بالأخضر: «أقسم باليابسة والماء».

وقالت أخته: «أقسم بالبرونز والحديد».

وختما معاً: «نقسم بالجلد والنَّار».

فحص بران عقله بحثاً عن رد. أمن المفترض أن يُقسم لهما بشيء بدوره؟ إنه لم يتعلَّم هذا القسم قط. هكذا قال: «عسى أن تكون أشتيتكم قصيرة وأصياقكم مثمرة». من اللائق أن يُقال هذا دائماً. «انهضاً. أنا براندون ستارك». نهضت الفتاة ميّراً وساعدت أخاها على التَّهوض. كان الصَّبي يُحدِّق في بران طول الوقت، وقال: «أحضرنّا لكم هدايا من الأسماك والضفادع والدَّواجن».

أجاب بران متسائلاً إن كان عليه أن يأكل ضفدعاً على سبيل التَّهذيب:

«أشكركما، وأقدم لكما طعام وشراب ويترفل». حاول أن يتذكر كل ما تعلمه عن هؤلاء القوم الذين يسكنون مستنقعات «العنق» ونادراً ما يغادرون أراضيهم الرطبة. إنهم أناس فقراء، صيادو سمك وضافع يقطنون بيوتاً من القش والبوص المجدول، على جزرٍ طافية متوالية في خبايا المستنقعات. يُقال إنهم جبناء يُقاتلون بالأسلحة المسمومة ويُفضّلون الاختباء من أعدائهم على مواجهتهم في المعركة، وعلى الرغم من ذلك كان هاولاندر يد من أوفى أصدقاء أبيه خلال حرب الملك روبرت من أجل العرش، قبل أن يُولد بران. جاب الصبي جوجن القاعة بعينه بفضول وهو يجلس، وسأل: «أين الذئبان الرهيبان؟».

أجاب ريكون: «في أيكة الآلهة. شاجي أساء الأدب».

قالت الفتاة: «أخي يرغب في رؤيتهما».

رفع والدر الصغير صوته قائلاً: «فليحذر من أن يلحظا وجوده، وإلا عقره».

قال بران المسرور برغبتهما في رؤية الذئبين: «لن يفعل ذلك في وجودي. سمر لن يفعل على الأقل، وسيبقى شاجيدوج بعيداً». شعر بالفضول إزاء ساكني المستنقعات هؤلاء، ولم يتذكر أنه رأى أحدهم من قبل. أرسل أبوه كثيراً من الرسائل إلى قلعة المياه الرمادية على مرّ السنين، لكن أحداً منهم لم يزُر ويترفل قط. أراد أن يتكلم مع الأخوين ريد أكثر، لكن صخب القاعة الكبرى شديد لدرجة لا تسمح لك بأن تسمع محدّثك دون أن يجلس إلى جانبك مباشرة.

السير رودريك كان إلى جانب بران مباشرة، فسأله: «أياكلون الضفادع حقاً؟».

أجاب الفارس العجوز: «أجل، الضفادع والأسماك والأسود الزواحف⁽¹⁾، والطيور بشئ أنواعها».

(1) الاسم الذي يُطلق على الكائنات التي تعيش في مستنقعات وستروس، وهي أقرب إلى التماسيح.

دبما ليس لديهم غنم وأبقار. أمرَ بران الخدم بأن يُقدِّموا لهما ضلوع الضأن وشرائح من لحم الثيران البرية المشوي وريخة اللحم والشعير، وبدا أن الطعام راقهما. ضبطته الفتاة ينظر إليها وابتسمت، فتورَّد وجه بران خجلًا وأشاح بعينه.

بعد ذلك بفترة طويلة، بعد تقديم أطباق الحلو كلها وابتلاع الرجال إياها بجالونات من النبيذ الصيفي، رُفِعت الأواني وأزيحت الموائد ناحية الجدران لإفساح مكان للرقص. علا صوت الموسيقى، وانضمَّ الطَّبَّالون إلى العازفين، وأخرج هوتر أومبر بوقًا حربيًا مقوسًا ضخماً تُطعَّمه الفضة، وعندما بلغ المغني ذلك الجزء من «اللَّيل الذي انتهى»، عندما خرج حرس اللَّيل لمواجهة «الآخرين» في معركة الفجر، أطلق نفيرًا جعل الكلاب كلها تنبح.

عزفَ اثنان من رجال جلوفر لحن رقصة دَوَّارة على مزمار القرب والقيثارة الخشبية، وكان مورس أومبر أول من نهض ليرقص، فأطبق على ذراع خادمة مارة مُسقطًا إبريق النبيذ من يدها ليتهشم على الأرض، ودورها ودومها بين الحصر والعظام وفئات الخبز وألقاها في الهواء، وضحكت الفتاة واحمرَّ وجهها عندما انحسرت ثورتها كاشفة ساقها.

سرعان ما انخرط آخرون في الرقص، وبدأ هودور يرقص وحده، بينما طلب اللورد وايمان من بث كاسل الصغيرة أن تنضمَّ إليه، والغريب أنه تحرَّك برشاقة على الرغم من حجمه، ثم حلَّ كلاي سروين محله عندما تعب، بينما طلب السير رودريك من الليدي هورنوود أن تشاركه الرقص، لكنها تعللت بشيء ما واستأذنت بالانصراف. تفرَّج بران على كلِّ هذا فترة مناسبة على سبيل التهذيب، ثم استدعى هودور. كان يشعر بالحرق والتعب، ومتورِّدًا تمامًا بفعل الخمر، كما أن الرقص أثار فيه الحزن، فهو شيء آخر لم يعد يقدر عليه. صاحَ في هودور: «أريدُ أن أذهب».

صاحَ هودور: «هودور»، وركع، ورفع المايستر لوين وهايهد بران إلى السلة. كان أهل ويتترفل قد رأوا هذا المنظر مرارًا، لكن لا شك أنه بدا غريبًا لعددٍ من ضيوفهم، الذين تغلَّب فضول بعضهم على أدبه، وشعر بران بنظراتهم المحملقة.

خرجوا من المؤخرة بدلاً من قطع طول القاعة، وطأطأ بران رأسه وهما يَمْرَآن من باب اللورد. في الشرفة خافتة الإضاءة خارج القاعة الكبرى، وجدا جوزت قيم الخيول منغمساً في نوع آخر من الركوب. كان يضغط امرأة ما لا يعرفها بران إلى الجدار، وقد ارتفع ثوبها حول خصرها، وكانت تضحك حتى توقّف هودور ليتفرّج فصرخت، وقال بران: «دعهما وشأنهما يا هودور، خُذني إلى عُرفتي».

حمله هودور على السلالم الملتفة إلى غرفة البرج، وركع إلى جوار واحد من قضبان الحديد التي تبتها ميكن في الحائط، فنقل بران نفسه إلى فراشه، وخلع هودور حذاءه وسراويله، ثم قال له بران: «يُمكنك أن تعود إلى الاحتفال الآن، لكن لا تُزعج جوزت وتلك المرأة».

أوما هودور برأسه قائلاً: «هودور».

غطته الظلمة كدثار مألوف الملمس ناعمة عندما أطفأ الشمعة المجاورة لفراشه، بينما تراءت إليه أنغام الموسيقى الخافتة من بين خصائص النافذة. شيء ما أخبره به أبوه في صغره وثب إلى عقله فجأة. كان قد سأل اللورد إدوارد إن كان رجال الحرس الملكي أفضل الفرسان في الممالك السبع حقاً، فأجاب: «لم يعودوا كذلك، لكنهم كانوا أعجوبة للناظرين في الماضي، قدوة لامعة للعالم كله».

- «أكان هناك منهم من فاق الجميع؟».

- «أفضل فارس رأيته في حياتي كلها كان السير آرثر داين، الذي كان يُقاتل بسيف اسمه «فجر»، مصنوع من قلب نجم هوى. كانوا يُلقّبونه بسيف الصّباح، وكان ليقتلني لولا هاولاند ريد». لاح الحزن على أبيه عندئذ ولم يبح بالمزيد، وتمنى بران لو أنه سأله عمّا يعنيه.

خلد إلى النوم برأس مشغول بالفرسان والدروع، والقتال بسيف تلمع كنور النجوم، لكن عندما جاءه الحلم وجد نفسه في أيكة الآلهة مجدداً. كانت الزوايح القادمة من المطبخ والقاعة الكبرى شديدة القوة، كأنه لم يُغادر المأدبة حقاً. طاف بين الأشجار وأخوه يتبعه من قرب، وقد امتلأ الليل حياة

وأفعمه غواء قطيع بني الإنسان اللاهين. جعلته الأصوات يتململ رغبة في الحركة، وأراد أن يجري ويصطاد، أراد أن...

انتصبت أذناه على وقع صلصلة الحديد، وسمع أخوه ما سمعه، فانطلقا وسط الشجيرات الصغيرة صوب الصوت. ثم إنه وثب فوق المياه الرائدة عند قاعدة الشجرة البيضاء العتيقة، واشتم رائحة غريب، رائحة الإنسان الممتزجة بروائح الجلد والتربة والحديد.

توغل المتطفلان بضع ياردات في الأيكة حتى وجداه أمامهما. أنثى وذكر صغير هما، ولا رائحة للخوف فيهما على الإطلاق، حتى عندما كثر لهما عن أسنانه البيضاء، بينما زام أخوه بصوت عميق، لكنهما لم يتزحزحا خطوة. قالت الأنثى: «ها هما ذان»، وهمس جزء منه: ميرا، لمحة من الصبي الثائم الضائع في حلم الذئب. «أكنت تعرف أنهما بهذا الحجم؟».

- «وسينمو حجمهما أكثر حتى يكبران»، أجاب الذكر الصغير وهو يُراقبهما بعينين خضراوين واسعتين خاليتين من الخوف. «الأسود يموج بالخوف والغضب، لكن الرمادي قوي... أقوى مما يحسب... أتشعرين به يا أختاه؟».

ردت محرّكة يدها إلى مقبض السكين البني الطويل الذي تحمله: «كلا. خذ الحذر يا جوجن».

قال الذكر: «إنه لن يؤذيني. اليوم ليس يوم مماتي»، وأتجه نحوهما بلا خوف، ومدّ يده إلى خطمه ومسّه مسّة بخفة نسيم الصيف، لكن مع لمسة هذه الأصابع تبددت الغابة من حوله، واستحالت الأرض تحت قدميه دخانا وتخلّت عنه ضاحكة، ثم إنه وجد نفسه يدور ويسقط، ويسقط، ويسقط...



كانلين

نائمة كانت كاتلين على كلاً المرج الرّحب، ترى في حلمها بران مكتملاً من جديد، وآريا وسانزا متعانقتي اليدين، وريكون لا يزال رضيعاً على صدرها، وروب بلا تاج، يلعب بسيفٍ من الخشب؛ وعندما خلدوا جميعاً إلى النّوم آمنين، وجدت ند في فراشها يتسم.

والحلم كان جميلاً، جميلاً وانتهى سريعاً، عندما جاء الفجر يقطعه بقسوة خنجر من نور، فاستيقظت وحيدة متوجّعة متعبة... متعبة من الرّكوب، ومن الآلام، ومن الواجب. أريد أن أنام، أريد من يؤاسيني. القوة أضتني، وأريد أن أنصرف بخوفٍ وحمقٍ ولو مرة، فترة قصيرة فقط... يوماً... ساعة...

كان الرّجال يتحرّكون خارج خيمتها، وسمعت صهيل الخيول وشكوى شاد من التّيبس في ظهره، والسير وندل يطلّب قوسه. تمّت كاتلين أن يرحلوا جميعاً. إنهم رجال صالحون مخلصون، لكنها تحسّ بالتعب منهم كلهم، وتحسّ إلى أطفالها. وعدت نفسها وهي متمدّدة في فراشها بأن اليوم سيأتي، يوم تسمح لنفسها بالتخلّي عن شيءٍ من قوّتها.

لكن ليس اليوم، لا يُمكن أن يحدث هذا اليوم.

شعرت وهي ترتدي ثيابها بحركة أصابعها خرقاء أكثر من المعتاد، وخطر لها أنها ينبغي أن تكون ممتنةً لأنها تستطيع استخدام يديها من الأساس، فالخنجر كان من الفولاذ الفاليري، وضربة الفولاذ الفاليري أعمق من كلّ ما عدها، وما عليها إلّا أن تنظر للتدوب لتتذكر.

في الخارج كان شاد يُقلّب الشّوفان في قدر، بينما جلس السير وندل

ماندرلي يُوتر قوسه، وقال عندما خرجت كاتلين: «سَيِّدتي، ثَمَّة طيور في العُشب، فهل ترغيبين في سَمَّان مشوي على إِفطاركِ؟».

- «الشوفان والخُبْز كافيان... لنا جميعًا. ما زالت أمامنا فراسخ كثيرة يجب أن نقطعها يا سير وندل».

بَدَتْ خيبة الأمل على وجه الفارس المدوَّر، وارتعش طرفا شاربه الضَّخْم السَّيِّه بشارب الفَظ⁽¹⁾ وهو يقول: «شوفان وخُبْز، لا شيء أفضل من هذا». كان من أسْمَن الرِّجال الذين عرَفْتهم كاتلين على الإطلاق، لكن أيَّا كان قَدْر حُبِّه للطعام، فهو يحبُّ شرفه أكثر.

قال شاد: «وجدتُ بعض القُرَّاص⁽²⁾ وغليته مع الشَّاي، فهل ترغب سيِّدتي في كوب؟».

- «نعم، أشكرك».

أَمْسَكَت شايبها بيديها النَّديتين ونفخت فيه لثَدْفَتَه. شاد واحد من رجال وينترفِل، إذ أرسلَ روب عشرينًا من أفضل رجاله ليصحبوها بأمانٍ إلى رنلي، كما أرسلَ أيضًا خمسةً من اللوردات الصَّغار، الذين من شأن أسمائهم وأنسابهم السَّامية أن تُضيف وزنًا واعتبارًا لمهمَّتها. في طريقهم جَنُوبًا، بمنأى عن المعازل والبلدات، رأوا جماعاتٍ من الرِّجال المدرَّعين بالمعدن أكثر من مرَّة، ولمحوا دخانًا في الأفق الشَّرقي، لكن أحدًا لم يجرؤ على التحرُّش بهم، فهُم أضعف من أن يُشكِّلوا تهديدًا، لكن أكثر نفرًا من أن يكونوا لقمةً سائغةً. تركوا الخطر وراءهم بمجرد أن عبروا النَّهر الأسود، وطيلة الأيام الأربعة الماضية لم يلمحوا أثرًا للحرب.

لم تكن رغبة كاتلين أن تقطع هذه الرِّحلة، وهذا ما قالته لروب في ريشَرَن: «عندما رأيتُ رنلي آخر مرَّة، كان صبيًّا لا يتعدَّى بران عُمَرًا. إنني لا أعرفه. أرسل أحدًا غيري، فمكاني هنا مع أبي ما تبقى له من وقت».

(1) الفَظ حيوان بحري شبيه بالفقمة، يتميز بشاربه الكثيف وفمه العريض الذي يخرُج منه زوج من الأنياب العاجية الحادة.

(2) القُرَّاص نبات عُشبي معمر يُستخدم كدواء منظِّف للمعدة.

رمقها ابنها عندئذ بضيق، وقال: «ليس هناك غيرك. لا يُمكنني الذهاب بنفسِي، وأبوك طريح فراش المرض، والسَّمكة السَّوداء بمثابة عيني وأذني، فلا أستطيعُ الاستغناء عنه، وأخوكِ أحتاجه لقيادة ريفرَرَن عندما نرحف».

- «ترحفون؟». لم يذكُر لها أحد كلمةً واحدةً عن الزَّحف.

- «لا يُمكنني الجلوس في ريفرَرَن منتظرًا السَّلام، لأن هذا يجعلني أبدو خائفًا من التَّزول إلى الميدان ثانيةً. عندما لا تكون هناك معارك، يبدأ الرُّجال في التَّفكير في الدِّيار والحصاد، كما قال لي أبي، وحتى رجالي السَّماليُّون يتملَّمون بالفعل».

رجالي السَّماليُّون. بدأ يتكلَّم كملك كذلك. «لم يسبق أن مات أحد من التَّمْلُل، لكن الاندفاع شيء آخر. لقد بذرنا البذور، فدعها تنمو».

هَزَّ رُوب رأسه بعناد، وقال: «بل ألقينا بذورًا في الرِّيح، وهذا كلُّ شيء». لو كانت أختك لايسا قادمةً لمساندتنا، لأتانا منها خبر. كم طائرًا أرسلنا إلى «العُش»؟ أربعة؟ أنا أيضًا أريدُ السَّلام، لكن لِمَ يمنحني آل لانستر أيَّ شيءٍ وكلُّ ما أفعله هو الجلوس هنا، بينما يتأكَّل جيشي من حولي كما يذوب الثلج في الصَّيف؟».

- «ستُقص على لحن اللورد تاويين إذن بدلًا من أن تبدو جبانًا؟ إنه يُريدك أن ترحف على هارنهال. سل خالك برايندن إن...».

قاطعها رُوب: «لم أذكر شيئًا عن هارنهال. والآن، هل ستذهيبين إلى رنلي من أجلي، أم أن عليَّ إرسال جون الكبير؟».

رست الذِّكرى بسمَّة على شفيتها. حيلة مكشوفة، لكن لا تخلو من حذق بالنسبة لصبيٍّ في الخامسة عشر، فروب يعلم أن رجلًا مثل جون أومبر الكبير ليس كفؤًا أبدًا للتَّعامل مع رجلٍ مثل رنلي باراثيون، ويعلم أنها تعلم كذلك. ماذا كان بيدها إذن غير أن تُذعن وتَدعو الآلهة أن يظُلَّ أبوها حيًّا حتى ترجع؟ لو كان اللورد هوستر بصحَّته لذهبَ بنفسه، كما تعرف جيّدًا، لكن الرَّحيل ظلَّ بالغ الصُّعوبة رغم ذلك. لم يتعرَّفها أبوها عندما ذهبت تُودِّعه، وناداهها باسم أمِّها مينيسا، قائلاً لها: «أين البنتان؟ كات الصَّغيرة ولايسا الجميلة...»، فقَبَّلت كاتلين جبهته وردَّت بأن طفلتيه بخير، وأردفت وعيناه تغلقان:

«انتظرنِي يا سيّدي. لقد انتظرتك مرارًا وتكرارًا، وعليك أن تنتظرنِي أنت هذه المرّة».

فكّرت كاتلين وهي ترشف الشاي اللاذع: القدر يدفعني جنوبًا ثانية، بينما حريّ بي أن أتوجّه شمالًا، شمالًا وإلى الديار. في تلك الليلة الأخيرة في ريفرزن كتبت لبران وريكون قائلة: إنني لم أنسكما أيها الغاليان، صدّقاني، وكل ما هنالك أن أخاكما يحتاجني أكثر.

قال السير وندل بينما اغترف شاد الثريد من القدر: «من المفترض أن نبُلّغ أعالي نهر الماندر اليوم يا سيّدي، ولن يكون اللورد رنلي بعيدًا عن هناك، إذا صدّق ما لدينا من معلومات».

وماذا أقول له عندما أجده؟ إن ابني لا يعترف به كملك حقيقي؟ لم تكن تستسيغ تلك المقابلة المرتقبة. إنهم يحتاجون أصدقاء وليس مزيدًا من الأعداء، لكن مُحال أن يركع روب مبايعًا رجلًا يعتبر أن لا حقّ له في العرش. كان وعاؤها فارغًا، وإن تذكّرت بالكاد أنها تذوّقت الثريد، فنخّته جانبًا وقالت: «حان الوقت لأن نتحرّك». كلّما بكّرت في الكلام مع رنلي صارت عودتها إلى الديار أسرع، وهكذا كانت أول من امتطى حصانه، وحدّدت السرعة التي تتقدّم بها المجموعة، وركب هال مولين إلى جوارها حاملًا راية عائلة ستارك، الذئب الرّهيب الرمادي على خلفيّة الجليد الأبيض.

كانوا ما زالوا يبعُدون مسافة نصف يوم من الرُّكوب عن معسكر رنلي عندما أخذوهم. روبن فلينت الذي خرج للاستطلاع عادَ مسرعًا بخبر عن كشاف يُراقب من فوق سطح طاحونة هواءٍ بعيدة، ولدى وصول كاتلين ومجموعتها إلى تلك الطاحونة، كان الرّجل قد اختفى. هكذا تقدّموا، ليقطعوا أقلّ من ميل واحد قبل أن يطبق رجال رنلي عليهم، عشرون رجلًا يرتدون الحلقات المعدنيّة على متن الخيول، يقودهم فارس أشيب الرّأس واللّحية، على معطفه نقوش اتّخذت شكل طائر الفيق الأزرق.

عندما رأى الفارس رايتها، دنا منها وحده قائلاً: «سيّدي، أنا السير كولن من منطقة «البرك الخضراء»، إذا سمحت لي بتقديم نفسي. إنكم تعبرون أراضٍ خطرة».

أجابته: «شأننا مُلَحٌّ. جئتُ مندوبةً عن ابني روب ستارك، الملك في الشمال، للتحدّث مع رنلي باراثيون، الملك في الجنوب».

- «رنلي ملك على الممالك السبع كافة يا سيّدتني»، علّق السير كولن، وإن تكلم بدمائه. «جلالته معسكر مع جيشه على مقربة من قلعة «جسر العلقم»، حيث يعبر الطريق الوردى نهر الماندر. من عظيم شرفي أن أصبحك إليه»، ورفع الفارس يده المغطاة بالمعدن، فكوّن رجاله صفين أحاطا بكاتلين وحرسها. تصحّبي أم تأسريني؟ لم تجد بيدها حيلة غير الثقة بشرف السير كولن واللورد رنلي.

رأوا دخان نيران المعسكر قبل ساعة كاملة من بلوغهم النهر، ثم ساق الهواء الأصوات إلى آذانهم عبر المزارع والحقول والشهول المتموجة، مبهمة في البداية كهدير بحر بعيد، قبل أن تتضح شيئاً فشيئاً مع دنوهم، وعندما أبصروا مياه الماندر الغنيّة بالطمي تتألّق في نور الشمس، تناهت إلى مسامعهم أصوات الرّجال وصلصلة الفولاذ وصهيل الخيول، وإن لم يكف الصّوت أو الدخان لتهيأتهم لمنظر الجيش نفسه.

آلاف من حُفر نار الطّهي أفعمت الهواء بغشاوة دخانيّة باهتة، وصفوف الخيول وحدها امتدّت فراسخ وفراسخ، ولا شك أن غابة كاملة أزيلت من الوجود من أجل عمل السّواري الطّويلة التي ارتفعت عليها الرّيات، بينما اصطفت آلات الحصار على حافة الطريق الوردى المعشوشبة، مجانيق وقاذفات حجارة، وكباش لذلك البوابات مُركّبة على عجالاتٍ أعلى من رجل على متن حصان. توهّجت رؤوس الرّماح الفولاذيّة بالأحمر في الشمس، كأنها تخضّبت بالدم بالفعل، وبدت سرادقات الفرسان وكبار اللوردات كأنها نابتة من العُشب كعيش الثّراب لو أنه من الحرير. رأت كاتلين رجالاً يحملون الحراب ورجالاً يحملون السيوف، ورجالاً يرتدون خوذة من الفولاذ وقمصاناً من حلقات المعدن، وتابعات المعسكر اللاتي يعرضن مفاتهن مختالات، ورُماة يزودون السّهام بريشاتها، وحوذيين يسرقون العربات، ورعاة يسوقون الخنازير، وخدماء يهرعون هنا وهناك بالرسائل، ومُرافقين يشحذون السيوف، وفرساناً يمتطون الجياد، وساسة يقودون خيولاً معتلة المزاج.

قال السير وندل وهُم يَعْبُرُونَ الامتداد الحجري العتيق الذي استمدّت
«جسر العلقم» منه اسمها: «أعداد مخيفة».

قالت كاتلين: «صحيح».

بدا لها أن جميع فُرسان الجَنُوب تقريبًا لبّوا نداء رنلي، ورأت زهرة
هايجاردن الذَّهِيَّة في كُلِّ مكان، مخيَّطَةً على الجانب الأيمن من صدور
المُحَارِبِينَ والخدم، وخافقَةً على الرَّايَات الحريَّة الخضراء التي زينت
الرِّمَاح والحرايب، ومرسومةً على الثُّروس المعلقة خارج سُرادقات أبناء
والخوة وأبناء أعمام عائلة تايرل. كذلك لمحت كاتلين ثعلب وزهور عائلة
فلورنت، وتُفَاح عائلة فوسواي بفرعيها الأحمر والأخضر، وصيَّاد اللورد
تارلي واسع الخطى، وأوراق سنديان عائلة أوكهارت، وغرائق عائلة كرين،
وسحابة فراشات عائلة مالنندور ذات الأسود والبرتقالي.

على الضَّفَّة الأخرى من الماندر كان لوردات أراضي العواصف قد
رفعوا راياتهم كذلك، حملة راية رنلي المقسمون على الولاء لعائلة باراثيون
وستورمز إند. تعرَّفت كاتلين عنادل برايس كارون، وريشني عائلة پنروز،
وسلحفاة اللورد إسترمونت البحريَّة الخضراء على خلفيَّة خضراء أيضًا.
على أن كُلَّ رمز عرفته قابله عشرة جُدد عليها، يحملها اللوردات الصُّغار
المقسمون لحملة الرّاية، والفُرسان المتجولون والمُحَارِبُونَ غير النِّظاميِّين
الذين أتوا أفواجًا ليجعلوا رنلي باراثيون ملكًا فعلاً كما هو اسمًا.

خفقت راية رنلي فوق الأخريات كلهن، فمن قَمَّة أعلى أبراج الحصار
-ذلك الوحش العملاق ذو العجلات، المصنوع من خشب البلوط،
والمغطى بالجلود غير المدبوغة- رفرقت أضخم راية حربٍ رأتها كاتلين في
حياتها على الإطلاق؛ قطعة من القماش تكفي لتغطية أرض قاعات وقاعات،
توهج بالذهبي ويتوسّطها وعل عائلة باراثيون المتوجّج، يرمح بزهو وشمم.
سألها هالس مولين وهو يدنو بحصانه: «أسمعين هذه الضجّة يا سيّدتني؟
ما هذا؟».

أصغّت كاتلين. هتافات وصراخ خيول وصليل فولاذ، و... «تشجيع».
كانوا يصعدون منحدرًا خفيّفًا نحو صَفٍّ من السُّرادقات زاهية الألوان على

قَمَّة المرتفع، وبينما شقُّوا طريقهم وسطها ازدادَ الزَّحام وعلا الصَّوت... ثم إنها رأت.

في الأسفل، تحت شُرَفات القلعة الصَّغيرة المشيَّدة من الحجارة والأخشاب، كان التحام جماعي يدور.

كان الحقل قد أُخلي، ونُصِبَت الأسيجة والمنصَّات وحواجز التُّزال، وقد احتشدَ المئات -وربما الآلاف- للمشاهدة، ووشى منظر الأرض الموحلة غير الممهَّدة، التي تناثرت فيها قطع من الدُّروع المنبجعة والرِّماح المكسورة، أن المباريات مستمرة منذ يوم أو أكثر، وإن صارتِ النِّهاية دانية الآن، إذ تبقى أقلُّ من عشرين فارسًا فوقَ خيولهم، ينقضُّون ويهوون بأسلحتهم على بعضهم بعضًا، بينما يهتف لهم المتفرِّجون والمتنافسون الذين خرَّجوا. رأت جوادين بدرع كاملة يتصادمان ويسقطان في كتلة متشابكة من الفولاذ ولحم الخيل، وقال هال مولين الذي يجنح دائمًا إلى تفسير الماء بالماء: «إنها دورة مباريات».

قال السير وندل: «أوه، رائع»، بينما دار فارس يرتدي معطفًا مخطَّطًا بألوان قوس قزح، وسدَّد ضربة خلفيَّة ببلطة طويلة المقبض، حطمت ثرس الرِّجل الذي سعى لمهاجمته، وجعلته يترنَّح فوق سرجه.

صعَّب الزَّحام الكثيف تقدُّمهم أكثر من هذا، فقال السير كولن: «ليدي ستارك، إذا تفضَّل رجالك بالانتظار هنا، سأقدِّمكِ إلى الملك».

قالت: «ليكن»، وألقت الأمر على رجالها، وإن اضطرت لرفع صوتها كي يسمعوها وسط هذا الضَّجيج، ثم قادَ السير كولن حصانه على مهل بين الجموع، بينما ركبت كاتلين وراءه مباشرة. تردَّد هدير الجمهور مع سقوط رجل أحمر اللِّحية لا يضع خوذةً وعلى ثُرسه رمز الجريفين، أمام فارس كبير الحجم يرتدي درعًا زرقاء، وفولاذ سلاحه كله أزرق داكن كالكوبال، حتى الكرة الشائكة غير الحادة التي تحكَّم فيها بقوة وبراعة ماحقتين، بينما حملت كسوة حصانه رمز عائلة تارث المتألف من أربعة مربَّعات تحوي شمسين وقمرين.

قال رجلٌ ما حانقًا: «رونيت الأحمر سقط، على الآلهة اللعنة».

- «لوراس سَطيح بهذا الأزرق...»، أجابَ رفيقه قبل أن يُغرقَ هدير المشجعين بقية العبارة.

رجلٌ آخر سقطَ تحت حصانه الجريح، وكلاهما بصُرُخ الماء، فهرعَ المُرافِقون لمساعدتهما، بينما قالت كاتلين لنفسها: هذا جنون. على كل جانب أعداء حقيقيون، ونصف البلاد مشتعل، وها هو رنلي جالس هنا يتعامل مع الحرب كأنها لعبة، كصبيٍّ يُمسِك سيفه الخشبيّ الأول.

كان اللوردات والليديها على المنصات مستغرقين في الالتحام الجماعي كالمقاتلين أنفسهم، وفحصتهم كاتلين بنظراتٍ متمعنة. كثيرًا ما تعامل أبوها مع لوردات الجنوب، وكثيرون منهم حلوا ضيوفاً في ريفردن، فعرفت اللورد مائيس روان الأكثر سِمَةً وبهرجةً من ذي قبل، وقد فردت شجرة عائلته الذهبية فروعها على سُترته البيضاء، بينما جلست على مقعد أدنى منه الليدي أوكهارت الرقيقة صغيرة الحجم، وإلى يسارها اللورد راندل تارلي سيّد هورن هيل، وقد ثبت سيفه العظيم «آفة القلوب» منتصباً على ظهر مقعده. وهناك آخرون تعرفهم من رموزهم، وغيرهم لم تعرفهم البتّة. ووسطهم، يتفرّج ويضحك وإلى جانبه ملكته الشابة، جلسَ شبح يعتمر تاجاً ذهبياً.

لا غرو أن اللوردات يتحلقون حوله بهذه الحماسة. إنه روبرت وقد وُلدَ من جديد. وسيُرمي رنلي مثلما كان روبرت وسيماً، طويل الأطراف وعريض المنكبين، ويكُلُّ رأسه الشعر الأسود الفاحم الناعم المسترسل ذاته، ولديه العينان الزرقاوان العميقتان نفسيهما، والابتسامة الحاضرة. بدت الدائرة الرقيقة على رأسه ملائمة له تماماً، حلقة ورودٍ من الذهب الخالص مشكّلة بمتهى البراعة والجمال، على مقدمتها رأس وعِلٍ من الشب الأخضر الدّاكن، مزين بعينين وقرنين من الذهب.

زَيْن الوعل المتوّج سُتره الملك المخملية الخضراء كذلك، بالخياط الذهبية المشغولة على صدره؛ رمز باراثيون بلوني هايجاردن. والفتاة التي احتلت المقعد العالي إلى جانبه من هايجاردن أيضاً، ملكته الشابة مارجري، ابنة اللورد مائيس تايرل. تعلم كاتلين أن زواجهما هو ما يُحافظ على ثبات

التَّحالف الجَنُوبي العظيم. رنلي في الحادية والعشرين من العُمر، والفتاة لا تتعدَّى سنَّ روب، فاتنة الملامح ولها عينا ظبيَّة ناعمتا النُّظرات، وشعر بُني ممَّوج يسدل على كتفيها في حلقاتٍ صغيرة بسيطة.

في المضمار سقطَ رجل آخر عن حصانه أمام الفارس ذي المعطف المخطط بألوان قوس قزح، وصاح الملك مستحيًّا مع الآخرين، وسمعه كاتلين يهتف: «لوراس! لوراس! هايجاردن!»، بينما صفقت الملكة متحمِّسة. التفَّت كاتلين لتري نهاية القتال. لم يتبقَّ هنالك غير أربعة من الرِّجال، ولا مجال للخطأ في هويَّة مَنْ يُناصره الملك والملكة والعامَّة. إنها لم تلتق السير لوراس تايرل من قبل، لكن حتى في الشَّمال البعيد سمعت حكايات عن بطولة فارس الزُّهور الشَّاب. امتطى السير لوراس فحلًّا أبيض طويلاً عليه كسوة من الحلقات الفضِّيَّة، وقاتلَ ببلطةٍ طويلة المقبض، وقد توسَّطت مقدِّمة خوذته ريشة من الورد الذَّهبي. قرَّر اثنان من الباقيين الآخرين الاتحاد، واندفعا بحصانيهما صوب الفارس ذي الدَّرع الزَّرقاء الدَّاكنة، فاندفع الفارس الأزرق نحوهما بدوره بقوة، ليقرع وجه أحدهما بثُرسه المكسَّر، بينما رفع حصانه الأسود حدوته الفولاذيَّة ضارباً الثاني في الآن نفسه، وفي غمضة عين كان أحد الحليفين طريح الأرض والثاني يترنَّح. أسقطَ الفارس الأزرق ثُرسه الذي تهشَّم ليحرَّر يده اليسرى، ثم انقضَّ عليه فارس الزُّهور. لم يبدُ لوزن درع السير لوراس أثر يُذكر على الشُّرعة والرَّشاقة اللتين تحرَّك بهما، وألوان قوس قزح على معطفه تلتف حوله كدوامة.

دارَ الحصانان الأبيض والأسود كحبيبين في رقصة عيد الحصاد، بينما تبادلَ راكباهما ضربات الفولاذ بدلاً من القُبلات، وتألَّقت البلطة الطويلة، وشقَّت الكرة الشَّائكة الهواء. كلا السَّلاحين غير حاد، لكنهما ظلَّا قادرين على إصدار قعقةٍ رهيبة على الرغم من ذلك. بلا ثُرس كان الفارس الأزرق في وضع أسوأ، وقد هوى السير لوراس بضربةٍ تلو الضَّربة على رأسه وكتفيه على خلقيَّةٍ من الهتاف باسم هايجاردن من الجماهير، ورَدَّ الفارس الأزرق الضَّربات بهرَّاونه، لكن كلما اقترب رأسها الكروي من السير لوراس، رفع ثُرسه الأخضر المكسَّر المزين بثلاث ورودٍ ذهبيَّة. ثم، عندما ارتطمت البلطة

الطويلة بيد الفارس الأزرق بضربة عكسيّة، جاعلة الهراوة تُفَلّت من يده، صرّخ الجمهور كوحش مهتاج.

ورفع فارس الزهور بِلطته استعدادًا للضربة القاضية.

وانقضّ الفارس الأزرق، ليرتطم الحصانان ببعضهما بعضًا، ويضرب رأس البلطة وافي الصّدر الأزرق المشوّء... لكن بشكل ما ظلّ الفارس الأزرق قابضًا على المقبض بأصابع مغطّاة بالفولاذ، واختطف البلطة من يد السير لوراس، قبل أن يشتبك الاثنان فجأةً وهما على ظهري الحصانين، فقط لبسّقطا بعد لحظة واحدة، وإذا انفصل حصاناهما هوى الاثنان أرضًا بعنف رجّ كيانهما رجًا. كانت الصّدمة أثقل وطأة على لوراس تايرل لسقوطه أسفل الفارس الأزرق، الذي استلّ خنجرًا طويلًا وفتح مقدّمة خوذة تايرل، وهذر المتفرّجون بصوتٍ أصخب من أن تسمع كاتلين ما قاله السير لوراس، لكنها رأت الكلمة على شفّتيه المشقوقتين الدّاميتين: أُستسلم.

نهض الفارس الأزرق بلا ثباتٍ ورفع خنجره في اتّجاه رنلي باراثيون، تحيّة البطل لملكه، ثم هرع المرافقون إلى المضمار يُساعِدون الفارس المهزوم على التّهوض، وبُهِتت كاتلين لمرأى سنّه الصّغيرة عندما خلّعوا خوذته، فلا بُدّ أنه يسبق روب في العُمر بعامين على الأكثر. قد يكون الصّبي جميل القسمات كأخته، لكن الشّفّتين المشقوقتين والعينين الرّافعتين والدّم المتقاطر من شعره الملبّد جعلوا التّأكد عصيًا.

قال الملك للفاثر: «يُمكنك الاقتراب».

تقدّم الفارس من منصّة الملك بخطواتٍ عرجاء، ومن مقربة بدّت درعه الزّرقاء البديعة في حالةٍ مزرية؛ الخدوش منتشرة في كلّ شبر منها، والانبعاجات التي خلّفتها القضبان الشّائكة والمطارق الحرّية، والشّقوق الطّويلة التي تركتها السيوف، والكسور في وافي الصّدر والخوذة المطليّين بالميّنا. معطفه أيضًا استحال إلى أسمال، ووشت الطّريقة التي تحرّك بها بأن حال الرّجل الذي في داخل الدّرع لا تقلُّ سوءًا. حيّته بضعة أصوات هاتفة: «تارث!»، لكن الغريب أن البعض هتف: «المليحة! المليحة!»، بينما لاذت

الأكثرية بالصَّمت. ركَعَ الفارس الأزرق أمام الملك قائلاً بصوتٍ مكتوم من داخل خوذته العظيمة المنبعجة: «مولاي».

قال رنلي بصوتٍ بلغَ مسامع الجميع: «اللورد سلوين كان صادقاً فيما قاله. لقد رأيتُ السير لوراس يُسْقَطُ عن حصانه مرَّةً أو مرَّتين... لكن ليس بهذه الطريقة قَطُّ».

على مقربةٍ قال قَوَّاس سكران على سُترته وردة عائلة تايرل متذمِّراً: «لم يُسْقَطْ بطريقةٍ لائقة. كانت حيلةً وضيعة».

كان الازدحام قد بدأ يخف، وقالت كاتلين لمرافقها: «سير كولن، مَنْ هذا الرَّجل، ولماذا يكرهونه هكذا؟».

أجاب السير كولن مقطّبا وجهه: «لأنه ليس رجلاً يا سيّدي. إنها بريان التارثيّة، ابنة اللورد سلوين نجم المساء».

مرتاعةٌ رَدَّدَت كاتلين: «ابنة ١٩».

- «يُلقَّبونها ببريان المليحة... وإن لم يكن في وجهها، خشية أن يجدوا أنفسهم مرغمين على الدِّفاع عن كلامهم بأجسادهم».

سمعت الملك رنلي يُعلن الليدي بريان التارثيّة المنتصرة في الالتحام الجماعي العظيم في «جسر العلقم»، بصفتها آخر مَنْ ظلَّ على حصانه من مئة وستة عشر فارساً، ثم قال لها: «باعتباركِ البطلة، يُمكنكِ أن تطلبي مني أيَّ هبةٍ تشائين، وإذا كانت تقع في نطاق قُدرتي، فهي لك».

أجابَت بريان: «جلالة الملك، إنني أطلبُ شرف أن يكون لي مكان في حرس قوس قزح. أريدُ أن أكون من حرسك السَّبعة، أن أتعهد بحماية حياتك بحياتي، وأن أتبعك حيثما ذهبت، وأركب إلى جانبك، وأقيك من كلِّ سوءٍ وأذى».

قال: «لكِ هذا. انهضي واخلمي خوذتك».

فعلت كما أمرها، ولَمَّا رُفِعَت الخوذة العظيمة، استوعبت كاتلين كلام السير كولن.

بالمليحة يُلقَّبونها... لكن ساخرين. كشفت الخوذة عندما خلعتها عن شعرٍ كعُشٍّ سنجابٍ من القشِّ المتسخ، أمَّا وجهها... لبريان عيان واسعتان

بالغنا الزُّرقة، عينا فتاة صغيرة، واثقتان وبريتتان، بينما الباقي... ملامحها عريضة خشنة، وأسنانها ناتئة معوجة، وفمها واسع للغاية، وشفتاها ممتلئتان وتكادا تبدوان متورمتين، بينما انتشر التَّمش بغزارة على وجنتيها وجبهتها، كما أن من الواضح أن أنفها كُسِرَ أكثر من مرّة. ملأت الشَّفقة قلب كاتلين، وقالت لنفسها: أفي الدُّنيا مخلوق أشقى من امرأة فييحة؟

وعلى الرغم من ذلك، عندما خلَعَ رنلي معطفها الممزَّق وألبسها آخر بألوان قوس قزح، لم تبدُ بريان بذلك الشَّقاء، إذ أضاءت بسمتها وجهها، وخرج صوتها قويًا أبيًا وهي تقول: «حياتي لك يا جلالة الملك. من الآن فصاعدًا أنا تُرسك، وأقسمُ على هذا بالآلهة القديمة والجديدة». كانت الطَّريقة التي تتطلَّع بها إلى الملك، تتطلَّع بها من أعلى بالأحرى، فهي أطول منه قامَةً بشبرٍ كامل، وإن كان رنلي يُقارب أخاه الرَّاحل طولًا—رؤية تلك النظرات كانت مؤلمة حقًا.

ترجَّل السير كولن ليقترِب من المنصَّة، وقال: «جلالة الملك، يُشَرِّفني أن أقدم لك الليدي كاتلين ستارك، التي جاءتنا مبعوثةً من ابنها روب، سيّد ويترفل».

قالت: «سيّد ويترفل والملك في الشَّمال»، وترجَّلت بدورها لتقف إلى جوار السير كولن.

لاحت الدَّهشة على رنلي وهو يُخاطبها قائلاً: «الليدي كاتلين؟ يا لها من مفاجأةٍ سارّة»، والتفتَ إلى ملكته الشَّابة، وقال: «مارچري يا جميلتي، هذه هي الليدي كاتلين ستارك من ويترفل».

قالت الفتاة بدماءٍ ناعمة: «مرحبًا بك أيتها الليدي ستارك، وآسفٌ لمصيبتك».

- «هذا لطف منك».

قال الملك: «سيّدتِي، أقسمُ لك أنني سأعملُ على أن يدفع آل لانستر ثمن قتل زوجكِ. عندما آخذ كينجز لاندنج، سأرسل لك رأس سوسي».

وهل سيُعيد ذلك ند إليّ؟ «سيكفيني أن أعرف أن العدالة أُنجِرت يا سيّدي».

قالت بريان الزرقاء مصححةً بحزم: «يا جلالة الملك. وعليك أن تركمي عندما تُخاطِبين الملك».

ردّت كاتلين: «المسافة بين «سيدي» و«جلالة الملك» قصيرة يا سيديتي. اللورد رنلي يرتدي تاجًا، وكذلك ابني. إذا أردتِ، يُمكننا أن نقف هنا في الوحل ونتجادل حول الألقاب المستحقة لهذا وذاك، لكن لدينا أمورًا أهم علينا مناقشتها».

همهم بعض لوردات رنلي اعتراضًا، لكن الملك ضحك قائلاً: «أحسنيت القول يا سيديتي. سيكون هناك وقت للألقاب بعدما تضع الحرب أوزارها. أخبريني، متى ينوي ابنك الزحف على هارنهال؟».

إلى أن تعرف كاتلين إن كان هذا الملك صديقًا أم عدوًّا، فإنها لن تُفصح عن أضال جزئٍ من تربيّات روب. هكذا قالت: «لا أشارك في مجلس ابني الحربي يا سيدي».

- «ما دام سيترك لي بعضًا من آل لانستر، فلن أشكو. ماذا فعل بقاتل الملك؟».

- «جايمي لانستر أسير في ريفرون».

قال اللورد مائيس روان وقد بدا عليه الذعر: «أما زال حيًّا؟».

ويدهشة قال رنلي: «يبدو أن الذئب الرهيب أرق من الأسد».

غمغمت الليدي أوكهارت بابتسامةٍ مريرة: «الأرق من عائلة لانستر كالأكثر جفافًا من البحر».

قال اللورد راندل تارلي ذو اللحية القصيرة الخشنة، والمعروف بفظاظته: «أرى هذا ضعفًا. لا أقصد إهانتك أيتها الليدي ستارك، لكن كان من الأليق أن يأتي اللورد روب لثيابع الملك بنفسه بدلًا من الاختباء وراء ثوب أمه».

ردّت كاتلين بكياسةٍ باردة الجليد: «الملك روب يخوض حربًا يا سيدي، ولا يلعب في دورة مباريات».

قال رنلي وقد ارتسمت ابتسامة عريضة على وجهه: «على رسلك يا لورد راندل، فأخشى أنك لست نڈا لها»، ثم استدعى وكيلًا يرتدي الزي المميز لستورمز إند، وقال: «جد مكانًا لرفاق الليدي، واحرص على تزويدهم بجميع

وسائل الرَّاحة. ستنزل الليدي كاتلين في سُرادقي الخاص، فلستُ أحتاجه بما أن اللورد كازويل تلطف بالسَّماح لي باستخدام قلعة. سيُدتي، سيُسَرِّفني بعدما تستريحين أن تُشاركينا الطَّعام والشراب في المأدبة التي سيقيمها اللورد كازويل لنا اللَّيلة. إنها مأدبة وداع، فأخشى أن حضرة اللورد يرغب في رؤية أدبار قطيعي الجائع».

قال شابٌ نحيل لا بُدَّ أنه كازويل هذا: «غير صحيح يا جلالة الملك، ما أملكه ملكك».

قال رنلي: «كلما قال أحدهم هذا لأخي روبرت، ألزمه بكلمته. ألدريك بنات؟».

- «نعم يا جلالة الملك، اثنتان».

- «عليك أن تشكر الآلهة إذن أني لستُ روبرت، فملكتي الجميلة كلُّ من أشتهي من النِّساء»، ثم مدَّ رنلي يده يُساعد مارجري على التَّهوض، وقال لكاتلين: «ستكلم ثانية عندما تستريحين يا سيِّدتي».

لم تستطع كاتلين أن تتخيَّل شيئًا تحتاجه وغير متوفَّر بالفعل، فالسُّرادق أكبر حجمًا من القاعة العامَّة في أيِّ خان، ومزوَّد بكلِّ وسائل الرَّاحة: حشِيَّة فراش من الرِّيش، وأغطية من الفرو، وحوض استحمام من الخشب والنُّحاس يكفي فردين، ومستوفَّد للتدفئة من برودة اللَّيل، وكراسي نقالة وثيرة من الجلد، ومنضدة للكتابة عليها الرِّيش والحبر، وأوعية من الخوخ والبرقوق والكمثرى، وإبريق من النِّبيذ مع طقم متماثل من الكؤوس الفضيَّة، وصناديق من خشب الأرز معبأة بثياب رنلي، وكُتب وخرائط ورُقع ألعاب وقيثارة سامية، وقوس طويل وكنانة، وزوج من صقور الصَّيْد حمراء الذَّيل، وترسانة متنوِّعة من الأسلحة الممتازة. قالت لنفسها متطلِّعةً إلى كلِّ هذا: رنلي هذا لا يبخل على نفسه بشيء. لا عجب أن جيشه يتحرك بمتهى البلاء. إلى جوار المدخل وقفت درع الملك كالحارس؛ بذلة من الصَّفائح الفولاذيَّة الملونة بأخضر الغابات، ملحقاتها مطَّعمة بالذهب، والخوذة متوجَّة بقرنين ذهبيَّين عظيمين، والفولاذ ملمَّع بمتهى العناية حتى إن كاتلين شاهدت انعكاسها على واقي الصُّدر، يُحدِّق فيها من قاع بركة خضراء عميقة.

وجه امرأة غريقة. أمن الممكن أن يغرق المرء في الحزن؟ أشاحت بوجهها
بحدة وقد أصابها الغضب من هذه الهفوة. إنها لا تملك الوقت لرثاء الذات،
وعليها أن تغسل شعرها من التراب وترتدي فستانًا يليق بمأدبة الملك.

اصطحبها السير وندل ماندرلي ولوكاس بلاكوود والسير پروين فراي
وبقية رفاقها من النبلاء إلى القلعة. لا يمكن القول بأن القاعة الكبرى في
حصن اللورد كازويل كبرى إلا مجاملة، لكنهم وجدوا أماكن لرجال كاتلين
على الدّك المزدحمة، بينما خُصص لكاتلين نفسها مكان على المنصة بين
اللورد مائيس روان ذي الوجه المتورّد، والفارس الدّمث جون فوسواي من
فرع التفاحة الخضراء في عائلة فوسواي. ألقى السير جون عددًا من الدّعابات،
فيما استعلم اللورد مائيس بأدب عن صحّة أبيها وأخيها وأطفالها.

جلست بريان الناريّة على الطرف القصي من المائدة العالية، وقد
ارتدت بدلًا من ثياب السيّدات ملابس فارس أنيقة؛ شترّة من المخمل نُقشَ
عليها مربّعان بالوردي وآخران بالأزرق السّماوي، وسراويل وحذاء طويل
العنق، وحزام سيف مزخرف، بينما انسدل معطفها الجديد ذو ألوان قوس
قزح على ظهرها. غير أن لا ثياب من شأنها صرّف الأنظار عن ملامحها،
عن الوجه المسطح العريض، واليدين المنمشتين، والأسنان البارزة، وقد بدا
جسدها خارج الدّرع غير متناسق، ولاخ وركاها العريضان وأطرافها الغليظة
وكتفاها المتحدّبتان بعضلاتهما المفتولة، بينما يكاد لا يكون لها ثديان على
الإطلاق... ومن الجليّ من كلّ حركة أن بريان تعي كلّ هذا وتُعاني بسببه،
فكانت تتكلّم ردًّا فقط، وقلّما رفعت عينيها عن طعامها.

والطّعام كان وفيرًا حقًا، فالحرب لم تمسّ أراضي هايجاردن المعطاءة،
وبينما غنى المغنّون ومارس المهرّجون ألعابهم، بدأت المأدبة بالكمثرى
المسلوقة في التّبيد، واستمرّت لتشمل نوعًا صغيرًا لذيذًا من السمك مطهيًا
حتى النّضوج التّام ومدحرجًا في الملح، وديركًا محشوّ بالبصل والفطر،
بالإضافة إلى أرغفة كبيرة من الخبز الأسمر، وأكوام من اللفت والذرة الحلوة
والبازلاء، وأفخاذ خنازير ضخمة، وإوز مشوي، وصحاف ممثلة بلحم
الغزلان المطبوخ بالبيرة والشّعير. وجاء خدم اللورد كازويل بأطباق من

الحلويات من مطابخ القلعة، ضُمَّتْ الكريمة على شكل البجعة، وغزل البنات على شكل اليونيكورن⁽¹⁾، وكعكات الليمون على شكل الورد، والبسكويت بالعلس والثوابل، وكعكات الثوت الأسود، ورقائق التفّاح، وقوالب الجبن المزبّد.

أشعرت الأطعمة الدسمة كاتلين بالغثيان، لكن لن ينفعها أبداً أن تُبدي أيّ ضعفٍ بينما يعتمد الكثير جداً على قوّتها، فاكتفت بلقيمات صغيرة وهي ترقّب هذا الرّجل الذي يُريد أن يكون ملكاً. جلس رنلي وإلى يساره عروسه الشّابة، وإلى يمينه أخوها، وبغضّ النّظر عن الضّمادة الكتّان البيضاء حول جبهته، لم يبدُ السير لوراس في حالٍ سيّئةٍ مع وضع إصابات اليوم في الاعتبار. إنه وسيم بالفعل كما خطر لها، والآن وقد غابت عن عينيه الغمامة وجدّتهما مغممتين بالحويّة والذكاء، ورأت شعره شلّالاً طبعياً من الخُصل البنيّة التي تحسده عليها فتيات كثيرات. كان قد ارتدى معطفاً جديداً بدلاً من الذي مرّقه القتال، حريره مصبوغ بألوان حرس قوس فرح، ويُنْبِئُه مشبك على شكل وردة هايجاردن الذهبيّة.

بين الحين والآخر كان الملك يُطعم مارچري قطعة طعام منتقاة من على طرف خنجره، أو يميل ليطعم قُبلةً شديدة الخفّة على وجّتها، لكن السير لوراس هو من تقاسم معه أغلب مُزاحه وكلامه الهامس. من الواضح أن الملك يستمتع بالطعام والشّراب، لكنه لم يبدُ شرّها أو سكِيراً، وعندما يضحك يتردّد ضحكه عاليًا طويلًا، كما أنه يُخاطب كبار السّادة وصُغريات الخادِمات بالدّمانة نفسها.

على أن بعض ضيوفه كانوا أقلّ اعتدالاً، فقد شربوا كثيراً ورفعوا عقيرتهم بعبارات تباهٍ أصخب من اللاّزم في رأيها. دخلَ جوسوا وإلياس ابنا اللورد ويلوم في جدلٍ محتدم حول مَنْ منهما سيّعبر أسوار كينجز لاندنج أولاً، وهزّز اللورد فارنر خادمته على رُكبتيه، ممرّغاً أنفه في عُنقها وقد زحفت يده تحت صِدارها، بينما داعبَ جايارد الأخضر -الذي يحسب أنه يُجيد الغناء-

(1) اليونيكورن مخلوق أسطوري عبارة عن حصان له قرن واحد ويتمتع بقدرات سحرية.

قيثارة، وغنى لهم مقطعا بعض أجزائه مَقْفَى عن ربط ذيول الأسود في عُقد، وأحضر السير مارك مالدور قردا أبيض وأسود وأطعمه من طبقه الخاص، أما السير تانتون ابن فرع التَّفَاحَة الخضراء من عائلة فوسواي، فصعد على المائدة وأقسم أن يقتل ساندور كليجاين في نزالٍ فردي، وكان القسم ليبدو أكثر مهابة لو لم تكن إحدى قدمي السير تانتون في قارب المرق عندما ألقاه.

بلغت الملهاة ذروتها عندما ظهر مهرجٌ ممتلئ متواتبا وقد ارتدي الصَّفِيح المطلي بالذهبي ورأس أسدٍ من القماش، وراح يُطارِدُ قزما بين الموائد ويضربه على رأسه بكيس هواءٍ مملوء، حتى طالب الملك بمعرفة سبب ضربه أخيه، فأجاب المهرج: «لأنني قاتل أهلي يا جلالة الملك».

قال رنلي: «تقصد قاتل الملك يا أحق المهرجين»، فتفجّر الضحك في القاعة.

لم يُشارك اللورد روان العالِس إلى جوار كاتلين في المرح، وقال: «كلهم صغار السن للغاية».

إنه محقٌّ، ففارس الزهور لم يكن قد شهد يوم ميلاده الثاني عندما قتل روبرت الأمير ريجار في معركة الثالوث، وقلة من الآخرين يكبرونه، إذ كانوا رُضْعًا عندما نُهبَت كينجز لاندنج، ومجرّد صبيةٍ عندما قاد بالون جرايچوي تمرد جزر الحديد. قالت لنفسها وهي تُشاهد اللورد برايس يحث السير روبرت على إلقاء وتدوير زوج من الخناجر في الهواء: ما زالوا لا يعرفون مذاق الدّم، وكل هذا مجرد لعبةٍ في أنظارهم، دورة مباريات على نطاق أكبر، ولا يرون إلا فرصة نيل المجد والشرف والغنائم. إنهم صبية أسكرتهم الأغاني والقصص، وكلّ الصّبية يحسبون أنفسهم خالدين.

قالت كاتلين: «ستجعلهم الحرب يكبرون كما جعلتنا». كانت فناءً عندما رفع روبرت وند وچون آرن راياتهم ضد إيرس تارجارين، وامرأة عندما انتهى القتال. «إنني أشفق عليهم».

قال اللورد روان: «لماذا؟ انظري إليهم، إنهم شباب أقوياء، مفعّمون بالحياة والضّحك، والشّهوة كذلك، نعم، شهوة لا يدرون ماذا يفعلون بها. أوكدُ لك أن بذور نغولٍ كثر ستزرع الليلة، فلم تُشفقين عليهم؟».

أجابَتْ بحُزن: «لأن هذا لن يدوم، لأنهم فُرسان الصَّيف، والشتاء قادم». رمقَتْها بريان بعينيهما الزَّرقاوين كدِرْعها قائلة: «أنتِ مخطئة يا ليدي كاتلين. الشتاء لن يأتي من هُم مثلنا أبدا. إذا سَقَطنا في المعركة، فلا بُدَّ أنهم سيؤَلَّفون أغاني عنا، وفي الأغاني الصَّيف أُمدي، وفي الأغاني كلُّ الفُرسان بواسل، وكلُّ الفتيات جميلات، والسَّمس ساطعة دوماً».

فكرت كاتلين: الشتاء يأتينا جميعاً، أثنائي عندما مات ند، وسيأتيكِ أيضاً يا صغيرتي، أسرع مما تحسبين، لكن قلبها لم يُطاوِعها على التلفُّظ بأفكارها. أنقذَها الملك رنلي عندما ناداها قائلاً: «ليدي كاتلين، أرغبُ في القليل من الهواء النقي، فهلاً تمشيتِ معي؟».

نهضت من فورها مجيبة: «يُسرِّفني أن أفعل».

نهضت بريان بدورها، وقالت: «جلالة الملك، امنحني لحظةً أرتدي درعي، فلا ينبغي أن تكون بلا حماية».

ابتسم رنلي وقال لها: «لو لم أكن آمناً في قلب قلعة اللورد كازويل، وجيشي يُحيط بي، فلن يصنع سيف واحد فارقاً، حتى سيفكِ أنتِ يا بريان. اجلسي وكلي، وإذا احتجتكِ سأستدعيكِ».

بدا وقع كلماته على الفتاة أعنف من أيِّ ضربةٍ تلَقَّتْها اليوم ظهراً، وقالت كاسفة البال: «كما ترغب يا جلالة الملك»، فتأبَّط رنلي ذراع كاتلين وقادَها من القاعة مروراً بحارس يقف بتراخ، أسرع يعتدل فكادَ يُسقط رُمحه، لكن رنلي ربَّت على كتفه وألقى دُعابةً.

قال الملك: «من هنا يا سيّدي»، وخرجَ بها من بابٍ واطىء يقود إلى سُلَّم، ثم سألها وهما يبدآن الصُّعود: «بالمناسبة، هل السير باريستان سلمي مع ابنكِ في ريفررَن؟».

أجابَتْ حائرة: «كلا. ألم يُعد مع جوفري؟ إنه قائد الحرس الملكي». هرَّ رنلي رأسه قائلاً: «قال له أولاد لانستر إنه مسنٌّ جداً وأعطوا معطفه لكلب الصَّيد، وقيل لي إنه غادرَ كينجز لاندينج مقسماً أن يلتحق بخدمة الملك الحقيقي. كنْتُ محتفظاً بذلك المعطف الذي حازته بريان اليوم من

أجل سلمي، على أمل أن يعرض عليّ سيفه، وعندما لم يظهر في هايجاردن،
خطر لي أنه ذهب إلى ريفررن ربما». - «لم نره».

قال رنلي: «كان مستأ، نعم، لكنه يبقى رجلاً صالحاً، وأتمنى أن سوءاً
لم يمسه. آل لانستر حمقى كبار حقاً»، وصعدا بضع درجاتٍ أخرى قبل
أن يواصل: «ليلة مات روبرت، عرضتُ على زوجكِ أن أمده بمئة رجل،
والحكتُ عليه أن يفرض سيطرته على جوفري، فلو أصغي إليّ لكان وصيّاً
على العرش اليوم، ولما كنتُ لأجد حاجةً للمطالبة بالتاج».

لم تكن تحتاج من يُخبرها هذا، فقالت له: «ورفضَ ند».

- «لقد أقسمَ على حماية أطفال روبرت. كنتُ أفنقر للقوة الكافية للتصرف
وحدي، فلم أجد لديّ خياراً غير الهرب عندما رفضَ اللورد إدوارد عرضي.
كنتُ أعرفُ أن الملكة لن تسمح لي بالحياة طويلاً بعد زوجها لو أنني بقيتُ».

فكرت كاتلين بمرارة: لو أنك بقيت وساندت ند، لكان حيّاً ما زال.

- «كنتُ معجباً بزواجكِ للغاية يا سيّدتى، وأعلمُ أنه كان صديقاً مخلصاً
لروبرت... لكنه رفضَ الإصغاء والإذعان. من هنا، أريدُ أن أريك شيئاً». كانا

قد بلغا قمة السُّلم، وفتحَ رنلي باباً خشبياً خرجا منه إلى السطح.

لا يرتفع حصن اللورد كازويل عاليًا لدرجة أن تُسميه بُرجاً، لكن هذه
المنطقة من الرّيف واطئة ومسطحة، فاستطاعت كاتلين أن ترى مسافة فراعس
عديدة في كلّ الاتجاهات، وحيثما نظرت رأت بؤر نارٍ تُغطّي الأرض كالنجوم
الهاوية، والنجوم لا آخر لها. قال رنلي بهدوء: «جربى العدّ إذا أردتِ يا
سيّدتى، وستجدين نفسك لم تفرغي بعدُ عندما يزع الفجر في الشرق. كم
بؤرة نارٍ تتقد حول ريفررن الليلة يا ترى؟».

كانت كاتلين تسمع أنغام الموسيقى الخافتة الآتية من القاعة الكبرى
متخلّلة الليل، ولم تجرؤ على عدّ النجوم.

تابع رنلي: «بلغني أن ابنكِ عبرَ «العنق» بعشرين ألف رجل، والآن وقد
انضمَّ إليه لوردات الثالوث، فلعلّه يقود أربعين ألفاً».

لا، ليس عددًا قريبًا من هذا حتى. لقد فقدنا كثيرين في القتال، وآخرين تركونا في سبيل الحصاد.

قال رنلي: «إن معي ضعف هذا العدد هنا، وهذا مجرد جزء من قوتي، فميس تايرل في هايجاردن معه عشرة آلاف آخرون، ولديّ حامية قويّة تُحافظ على ستورمز إند، وقريبًا سينضمُّ إليّ الدورثيون بكلّ قوتهم. وإياك أن تنسي أخي ستانيس، الذي يتسبّد دراجونستون ويقود لوردات البحر الضيق». ردّت كاتلين بحدّة أشدّ مما أرادت: «يبدو أنك أنت من نسيت ستانيس». ضاحكًا قال رنلي: «أتقصدين دعواه؟ لتكلّم بمنتهى الصراحة يا سيّدي، كان ستانيس ليصبح ملكًا شنيعًا، وليس من المحتمل أن يصير واحدًا على كلّ حال. النَّاس يحترمون ستانيس، بل ويخافونه، لكن قلة قليلة منهم تُحبّه». - «لكنه ما زال أخاك الأكبر، وإذا كان لأحدكما حقّ في العرش الحديدي، فلا بُدَّ أن يكون اللورد ستانيس».

هزّ رنلي كتفيه، وقال: «أخبريني، أكان هناك أيّ حقّ لأخي روبرت في العرش الحديدي؟»، ولم ينتظر منها إجابة، بل أكمل: «أوه، كان هناك كلام عن صلة قرابة بين عائلتي باراثيون وتارجارين، عن زيجات تمّت قبل مئة عام، عن الأبناء الثّانين والبنات البكر، لكن لا أحد غير المايسترات يُبالي بشيء من هذا. روبرت ظفّر بالعرش بواسطة مطرقة الحربيّة»، ولوّح بيده مشيرًا إلى بؤر التّار المشتعلة من الأفق إلى الأفق، وواصل: «حسنٌ، ها هي دعواي، تمامًا كما كانت دعوى روبرت. إذا ساندني ابنك كما ساند أبوه روبرت، فلن يجدني بخيلًا، وسيُسعدني أن أصدّق على امتلاكه جميع أراضيه وألقابه ومراتب شرفه. يُمكنه أن يحكم من ويترفل كما يشاء، بل ويُمكنه أن يستمرّ في تسمية نفسه الملك في الشّمال إذا أراد، ما دام سيركع أمامي ويُبايعني باعتباري سيّده الأعلى. «الملك» مجرد كلمة، لكن الوفاء والإخلاص والخدمة... هذا ما يجب أن أحظى به».

- «وإذا لم يمنحك تلك الأشياء يا سيّدي؟».

- «إنني أنوي أن أكون ملكًا يا سيّدي، وليس على مملكة منقوصة. لا يُمكنني أن أقولها بوضوح أكبر. منذ ثلاثمئة عام ركع واحد من ملوك ستارك

أمام إجون التّين، عندما رأى أن لا أمل له في النّصر. تلك كانت حكمة منه، وعلى ابنك أن يكون حكيماً كذلك. بمجرد أن ينضمّ إليّ، فهذه الحرب في حُكم المنتهية. إننا...»، وبتَر رنلي كلامه فجأةً وقد جذب انتباهه شيء ما، وقال: «ما هذا؟».

أفصحت صلصلة السّلاسل عن رفع الشّبكة الحديدية، وفي السّاحة في الأسفل همزَ خيَال يعتمر خوذةً مجنّحةً حصانه المنهك ليمرّ تحت القضبان المدبّية، وصاح: «استدعوا الملك!».

وثبَ رنلي إلى أعلى ليقف في فُرجةٍ بين جدارين في الشّرفة، وقال: «أنا هنا أيها الفارس».

تقدّم الخيَال بحصانه قائلاً: «جلالة الملك، لقد أتيتُ بأقصى سرعتي من ستورمز إند. إننا محاصرون يا جلالة الملك. السير كورتناي يتحدّاهم، وإنما...».

- «لكن... هذا مستحيل. كان الخبر ليبلغني لو أن اللورد تاووين غادر هارنغال».

- «إنه ليس جيش لانستر يا مولاي، بل هو اللورد ستانيس على بواباتك، الملك ستانيس كما يدعو نفسه الآن».



چون

انهزم المطر مدرارًا ليضرب وجه چون كالسياط، وهو يهزم حصانه عابرًا به الجدول الذي فاضت مياهه، وإلى جواره شدَّ حضرة القائد مورمونت فلنسوته على رأسه أكثر، وراح يصبُّ لعناته على الطُّقس، بينما استقرَّ غُدافه على كتفه نافثًا ريشه، وقد تعكَّر مزاجه كالذُّب العجوز نفسه. هبَّت الرِّيح لتطير أوراق الشَّجر المبتلة حولهم كسرب من الطُّيور الميتة، وفكَّر چون بكآبة: الغابة المسكونة... الغابة الغارقة بالأحرى.

تمنَّى أن يكون سام صامدًا وهو يتحرَّك في مؤخِّرة الرِّكب، فهو ليس بارعًا في الرُّكوب، حتى في الأجواء المعتدلة، ناهيك بهذا الجوّ الذي ينزل فيه الغيث منذ ستَّة أيام كاملة بلا انقطاع، جاعلاً الأرض خداعةً، كلها وحل رخو وصخور خفيفة. عندما تهبُّ الرِّيح، فإنها تدفع الماء في أعينهم مباشرةً، فلا شكَّ أن أجزاء صغيرة من «الجدار» تتطاير جنوبًا، ثلوجًا ذائبة تتحد مع قطرات الأمطار الدافئة لتمتزج بمياه الجداول والأنهار. ولا بُدَّ أن يسيب وتودر جالسان الآن بالقرب من الثَّار في قاعة القلعة السوداء العائمة، يحسبان التَّيِّد المتبَلِّ قبل العشاء. شعرَ چون بالحسد نحوهما، فقد التصقَّت ثيابه الصُّوف المشبعة بالماء بجسده وأشعرته بالحكة، وآلمته رقبته وكتفاه بشدَّة بسبب وزن قميص الحلقات المعدنية والسِّيف الثَّقيل، بالإضافة إلى السَّام الثَّام الذي أصابه من سمك القُد واللَّحم المملَّح والجبن الجامد.

من أمامهم تردَّد نغير مرتعش من بوق صيد، وقد طغى عليه صوت المطر المتساقط بلا توقُّف، فأعلن الذُّب العجوز: «بوق بكويل. الشُّكر للآلهة، ما

زال كراستر هنا»، وحقَّق غداًفه بجناحيه الواسعين مرَّةً ناعياً: «ذرة!»، ثم عادَ
بنفث ريشه.

كثيراً ما سمعَ چون الإخوة الشُّود يتحاكون عن كراستر وقلعته، والآن
سيراهما بأَمَّ عينيه. بعد سبع قُرَى خاوية على عروشها، كانوا يتوجَّسون خيفةً
جميعاً من أن يجدوا مقرَّ كراستر خالياً مهجوراً كغيره، لكن يبدو أن ذلك لن
يتكرَّر هنا. قد يتحصَّل الذُّب العجوز على بعض الإجابات أخيراً، وعلى كلِّ
حال سنجد سائراً من المطر.

أقسمَ ثورين سمولود أن كراستر صديق لحرس اللَّيل، على الرغم من
سُمعته السيئة، وقال للذُّب العجوز: «لن أنكر أن الرَّجل شبه مخبول، لكنك
كنت لثَّصاب بالخبال مثله لو أنك قضيت حياتك في هذه الغابة الملعونة،
ومع ذلك فهو لم يخل بناره على أحد الجوّالة قط، كما أنه لا يحبُّ مانس
رايدر. سيمنحنا مشورة مفيدة».

ما دام سيُعطينا وجبة ساخنة والفرصة لتجفيف ملابسنا، سأكون راضياً.
قال دايوين إن كراستر يقتل ذويه، وإنه كذاب ومغتصب وجبان، ولمَّح إلى أن
له تعاملات ما مع النُّحاسين والشَّياطين، وأضاف الحطَّاب العجوز مطلقاً
بأسنانه الخشبيَّة: «وأسوأ... ثمة رائحة باردة تنبعث من هذا الرَّجل حقاً».

قال اللورد مورمونت أمراً: «چون، اركب حتى نهاية الطَّابور وانشر الخبر،
وذكرَ القيمينَ بأنِّي لا أريدُ أيَّ متاعب مع زوجات كراستر. على الرَّجال أن
يصونوا أيديهم، ويوجَّهوا أقلَّ القليل من الكلام لهؤلاء النِّسوة».

قال چون: «أمرك يا سيّدي»، ودارَ بحصانه عائداً أدراجه من حيث أتوا،
شاعراً بالشُّرور لابتعاد المطر عن وجهه ولو فترة قصيرة، بينما بدا كلٌّ من مرَّ
بهم كأنهم سيكون، وقد امتدَّت مسيرتهم مسافة نصف ميل في الغابة. وجدَّ
سامويل تارلي في منتصف طابور عربات الأمتعة، يجلس محني الظهر فوق
سرجه وتحت قُبعة عريضة مرنة وقد امتطى واحداً من أحصنة الجرِّ بينما
يقود البقيَّة. دفعَ صوت قطرات المطر التي لا تنفك ترتطم بأغطية الأقفاص
الغِدفان إلى الصُّراخ والرَّرفة بأجنحتها بهياج، فسأله چون رافعاً صوته: «هل
حبست ثعلباً معها أم ماذا؟».

جرى الماء على حافة قَبْعة سام عندما رفع رأسه قائلاً: «أوه، أهلاً جون. لا، إنها تكره المطر فقط، تمامًا مثلنا».

- «كيف حالك يا سام؟».

أجاب الصَّبي البدين وقد رسمَ على وجهه ابتسامة خفيفة: «مبتلٌ تمامًا، لكن لا شيء قتلني حتى الآن».

- «عظيم. قلعة كراستر أمامنا مباشرة، وبمشيئة الآلهة سيسمح لنا بالتَّوَم حول النَّار».

بدا الشُّكُّ على ملامح سام وهو يقول: «إد الكتيب يقول إن كراستر همجي فظيع، إنه يتزوَّج بناته ولا يُطِيع أيَّ قوانين غير التي يستنُّها بنفسه. ودايوين قال لجرن إن هناك دمَاء سوداء تسري في عروقه، فأُمُّه كانت همجيَّة ضاجعت جَوَّالاً، ولذا فهو نف...»، وبترَ عبارته وقد أدرك فجأة ما أوشك على أن يقوله. إلا أن جون قال ضاحكاً: «نغل؟ يُمكنك أن تقولها يا سام، إنها ليست أول مرَّة أسمعها»، ثم همزَ حصانه صغير الحجم واثق الخُطى قائلاً: «يجب أن أجد السير أوتين. توخَّ الحذر في وجود نسوة كراستر». كان سامويل تارلي في حاجة حقاً إلى تحذير في هذا الصَّدَد. «ستكلَّم لاحقاً بعد أن ننصب المخيم».

ذهب جون بالخبر إلى السير أوتين ويذرز، الذي يتقدَّم بثاقُل مع حَرس المؤخِّرة. كان رجلاً صغير الحجم، تنتشر في وجهه التَّجاعيد، ويُقارب الدُّب العجوز في السِّن، ودائمًا ما يبدو عليه الإنهاك، حتى عندما يكونون في القلعة السوداء، وقد زاده المطر المنصبُّ بلا رحمةٍ إنهاكاً، فردَّ على جون قائلاً: «أخبار سارَّة. الليل تخلَّل عظامي ذاتها، وحتى أوجاع الرُّكوب التي أشعرُ بها تشتكي من أوجاعها الخاصَّة!».

في طريق العودة دارَ جون دورةً واسعةً حول حُطَّ سير الرِّكب، وسلكَ طريقاً أقصر عبر الغابة المتشابكة. شيئاً فشيئاً خفَّت أصوات الرُّجال والخيول، ابتلعتْها البرية الخضراء البليلة، وسرعان ما أصبح الصَّوت الوحيد الذي يسمعه هو خرير المطر السَّائل على الأشجار والأعشاب والصُّخور. كانوا في منتصف الظهيرة، لكن الغابة بدت مظلمة كأنه الغسق، وشقَّ جون

طريقًا ملتقًا بين الصُخور وبرك الوحل، مارًا بأشجار السَّنديان الضَّخمة، وأشجار الحارس الخضراء الرَّماديَّة، وأشجار الصُّلب سوداء اللَّحاء. في بعض البقاع كوَّنت الأغصان الكثيفة مظلةً في الأعلى، فاستراح قليلًا من الأمطار التي تقرع رأسه، وبينما مرَّ بشجرة كستناء ضربها البرق ونما عليها الورد البرِّي الأبيض بغزارة، سمع حفيظًا وسط الشَّجيرات الصَّغيرة، فنادى: «جوست، جوست، إليَّ».

لكن دايوين هو من خرج من قلب الخُصرة، يقود حصانًا رماديًا أشعث، وإلى جواره جرن على متن حصانٍ آخر. كان الدُّب العجوز قد نشرَ كشافةً على جانبي الرِّكب الرُّئيس، بغية حماية مسيرتهم وتحذيرهم من أيِّ عدوٍّ يقترب؛ وحتى في هذا الصَّدَد لم يُغامر، فكان يُرسل الرِّجال أزواجًا دائمًا. ابتسم دايوين كاشفًا أسنانه المنحوتة من خشب البلوط التي لا تُناسب فمه، وقال: «آه، إنه أنت يا لورد سنو. حسبْتُ أن هناك واحدًا من هؤلاء «الآخرين» علينا أن نتعامل معه. هل فقدت ذئبك؟».

- «إنه يصطاد في مكانٍ ما». لا يحبُّ جوست التحرك مع الرِّكب، لكنه لا يتعد كثيرًا، وعندما يُخَيِّمون ليلاً، يجد طريقه إلى خيمة حضرة القائد. قال دايوين: «مع كل هذا الماء، لا بُدَّ أن ما يصطاده سمك». قال جرنٍ بأمل: «كانت أمِّي تقول دومًا إن المطر خير، لأنه يجعل المحاصيل تنمو».

رَدَّ دايوين: «نعم، سينمو محصول وفير من العفن الفطري. أفضل ما في مطر كهذا أنه يُوقِّر عليك الاستحمام»، وطققَ بأسنانه الخشبيَّة. قال لهما جون: «بكويل وجدَّ كراستر».

قال دايوين ضاحكًا: «وهل كان قد فقده؟ احرصوا على عدم التعرُّض لزوجات كراستر أيها الصَّغار، مفهوم؟».

سأله جون مبتسمًا: «أتريدهن جميعًا لنفسك يا دايوين؟». طققَ دايوين بأسنانه مجدَّدًا، وقال: «ربما. كراستر لديه عشرة أصابع وقضيب واحد، أي أنه لا يعرف العدَّ بعد أحد عشر، فلن يفقد واحدًا أو اثنتين».

سأل جرن: «كم زوجة لديه حقاً؟».

- «أكثر مما سيكون لديك من زوجات يا أخي. ليست المسألة بهذه الصعوبة عندما تُنجب زوجاتك بنفسك. ها هو ذئبك يا سنو».

كان جوست يخبُّ إلى جوار حصان جون، وقد رفع ذيله عاليًا وانتفش فروه الأبيض الكثيف بفعل المطر. كان يتحرك بلا صوتٍ على الإطلاق، حتى إن جون لم يدر متى ظهر، وجفل حصان جرن لما اشتَم رائحته، فإلى الآن، بعد مرور أكثر من عام، ما زالت الخيول تضطرب في وجود الذئب الرهيب. وكزّ جون حصانه في اتجاه قلعة كراستر قائلاً: «معي يا جوست».

لم يكن ينتظر أن يجد قلعة من الحجر على الجانب الآخر من «الجدار»، لكنه تخيل على الأقل حصناً بُرج خشبي يقع على رابية مرتفعة، وتحيط به ساحة ويُطوّقه خندق فيه أوتاد، أمّا ما وجدوه بدلاً من هذا فكان كومة قاذورات وزريبة خنازير وحظيرة غنم فارغة، وقاعة مبنية من الجصّ والأغصان المجدولة لا تستحق أن تُسمّى قاعة، فهي طويلة واطئة، ودعائمها من جذوع الأشجار وسقفها من النجيل. استقرّت الأبنية المتواضعة على مرتفع أكثر تواضعاً من أن يُسمّى تلاً، يُحيط بها سياج من الثّرة، بينما يسيل الماء مصطبغاً بلون الأحوال البني في مجار ضيقة على المنحدر، حيث النهم المطر أجزاءً من الدّفاعات وحولها إلى ثغرات متسعة، ليمتزج بمياه غدير تجري مسرعة في منعطفٍ إلى الشمال، وقد حولها الواابل الهاطل من السماء إلى سيل داكن.

وجد إلى الجنوب الغربي بوابة مفتوحة على جانبيها جمجمتا حيوانين مئّبين على ساريتين طويلتين، إحداهما لدبّ والثانية لكبش، ولاحظ جون وهو يُعاود الانضمام إلى الطابور أن قطعاً من اللحم لا تزال عالقةً بجمجمة الذئب. في الدّاخل كان كشافة چارمان بكويل، ورجال من حرس الطليعة تحت قيادة ثورين سمولود، يُنظّمون صفوف الخيول وينصبون الخيام بصعوبة، وفي الزريبة استقرّت مجموعة كبيرة من الخنازير الوليدة حول ثلاث خنزيرات ضخّمات، بينما كانت فتاة صغيرة تقطف الجزر من حديقة على مقربةٍ وهي عارية على الرغم من المطر، وفقدت اثنتان من زوجات

كراستر خنزيراً توطئةً لذبحه، فتردّد قباع الحيوان عاليًا شنيعًا، يكاد مما فيه من رُعب يكون صراخًا بشريًا، وردّت عليه كلاب تشّت نباحًا وهي تزوم وتنهش الهواء متحديةً الشّتائم التي انهالَ بها عليها، ليردّ اثنان من كلاب كراستر النّباح بالنّباح. مع ظهور جوست بترَ بعض الكلاب نباحه وفرّ، وكلاب أخرى راحت تعوي وتزمر، بينما تجاهلها الذئب الرّهيب كلها تمامًا، وكذلك جون.

قال جون لنفسه بمجرد أن ألقى نظرةً شاملةً على القاعة: ثلاثون منا سينعمون بالدّفء والجفاف، خمسون على أقصى تقدير. كان المكان أصغر من أن ينام فيه مثنى رجل دُفعةً واحدةً، ما يعني أن أغلبهم سيضطرّ للبقاء في الخارج، لكن أين بالضبط؟ لقد ملأ المطر نصف السّاحة ببرك ترتفع حتى الكاحل، وأحال الباقي إلى أوحالٍ رخوة. ها هي ليلة مزرية أخرى تنتظرهم. عهدَ حضرة القائد بحصانه لإد الكتيب، الذي كان يُنظّف الحوافر من الطّين عندما ترجّل جون، فقال له: «اللورد مورمونت في القاعة، وطلب أن تنضمّ إليه. من الأفضل أن تترك الذئب في الخارج، لأنه يبدو جائعًا بما فيه الكفاية لالتهام أحد أطفال كراستر. الحقيقة أنني جائع بما فيه الكفاية لالتهام أحد أطفال كراستر، ما دام سيقدّم ساخناً. اذهب أنت وسأعني بحصانك، ولا تخبرني إن كان الجوّ دافئًا في الدّاخل، فلم يؤذّن لي بالدخول»، ونقرّ كتلةً من الطين المبتلّ من تحت حدوة الحصان قائلاً: «أيدو لك هذا الطين كالخراء؟ أمّن الممكن أن هذا التّلّ كله تكوّن من خراء كراستر؟».

مبتسمًا قال جون: «محتمل. سمعتُ أنه هنا منذ زمن طويل».

- «إنك تملأ نفسي بهجةً حقًا. اذهب إلى الذئب العجوز».

قال جون لذئبه أمرًا: «جوست، ابق هنا».

كان باب قلعة كراستر عبارةً عن سدّيتين من جلد الأيل غير المدبوغ، فدسّ جون جسده بينهما برأسٍ معني، ليمرّ من تحت العتبة العليا الواطئة. كان عشرون وثيّف من كبار الجوّالة قد سبقوه إلى الدّاخل، ويقفون حول حفرة النّار في منتصف الأرض الثّرابيّة، بينما تتجمّع برك صغيرة من الماء حول أحذيتهم، ومن القاعة كلها فاحت رائحة كريهة هي مزيج من السّناج والزّوث والكلاب المبتلة، وامتلاً الهواء بالدخان وإن ظلّ رطبًا بشكلٍ ما،

وتسَرَّب ماء المطر من فتحة التَّهوية في السَّقف. رأى جون أن المكان كله يتكوَّن من عُرفةٍ واحدة، وثمة زوج من السَّلام المتهالكة يقود إلى علِّيَّة نومٍ في الأعلى.

تذكَّر جون شعوره يوم تركوا «الجدار»، وكيف كان متوتِّرًا كعذراء في خدرها، لكن تَوَّافًا إلى رؤية الغوامض والعجائب الواقعة وراء كلِّ أفقٍ جديد. طيِّب، ها هي واحدة من العجائب، قال لنفسه وهو يتطلَّع إلى أنحاء القاعة القذرة كريهة الرَّائحة، وقد جعل الدُّخان الكثيف عينيه تدمعان. من المؤسف أن ييب وتودد لا يريان ما فاتهما.

جلسَ كراستر عاليًا عن النَّار، باعتباره الرَّجل الوحيد الذي يتمتَّع بمقعده الخاص، فحتى حضرة القائد مورمونت اضطرَّ للجلوس على الدُّكَّة المشتركة، وغُدافه على كتفه يُهمِّهم، بينما وقفَ چارمان بكويل وراءه والماء يقطر من قميص الحلقات المعدنيَّة المرقَّع والجلد اللَّامع المبتل، إلى جوار ثورين سمولود الذي يرتدي واقي الصُّدر الثَّقيل والمعطف المبطَّن بفرو السَّمُور، اللذين كانا ملكًا للسَّير چارمي الرَّاحل.

صنعتْ سُترة كراستر المفصَّلة من جلد الغنم، ومعطفه المصنوع من جلود مختلفة مخبَّطة معًا، منظرًا رتًا متناقضًا، لكن حول أحد معصميه الثَّخينين كانت حلقة ثقيلة لها لمعة الذهب. بدا الرَّجل قويًا، وإن كان في شتاء العُمر الآن، وقد بدأ البياض يزحف على شعره الرَّمادي، بينما أعطاه الأنف المسطَّح والقم المتدلِّي مظهرًا قاسيًّا، بالإضافة إلى أن إحدى أذنيه مبتورة. هكذا يبدو الهمجي إذن. تذكَّر جون حكايات العجوز نان عن القوم المتوحِّشين الذين يشربون الدَّم من جماجم بشريَّة، بينما كان كراستر يشرب بيرةً صفراء خفيفةً من كوبٍ حجريٍّ مكسور الحافة. لعلَّه لم يسمع تلك الحكايات!

كان كراستر يقول لمورمونت: «لم أرَ بنجن ستارك منذ ثلاثة أعوام، وأصدقك القول إنني لم أفقده لحظةً». كان نصف دسنة من الجراء السَّوداء وخنزير أو اثنان يتسكَّعون بين الدُّكك، بينما مرَّت على الرُّجال بقرون البيرة نساء ترتدي جلد الأيل البالي، وحرَّكن النَّار، وقطَّعن البصل والجزر في قدر.

قال ثورين سمولود: «لا بُدَّ أنه مرَّ من هنا العام الماضي». جاء كلب يتشمَّ حول ساقه، فركله ركلة جعلته يجري نابحاً.

قال اللورد مورمونت: «بن كان يبحث عن وايمار رويس، الذي اختفى مع كلَّ من چارد وويل الشَّاب».

ردَّ كراستر: «نعم، أذكرُ هؤلاء الثلاثة. اللورد الصغير كان أكبر من تلك الجراء بالكاد، وأكثر اعتزازاً بنفسه من أن ينام تحت سقفي، بمعطفه الثمين وفولاذة الأسود، لكن زوجاني تطلَّعن إليه بافتتانٍ على الرغم من ذلك»، وضيق عينيه رامقاً أقرب النساء إليه، وتابع: «قال چارد إنهم يُطارِدون مجموعة من المُغربين، فقلتُ له إن خيراً لهم ألا يلحقوا بهم ومعهم قائد معدوم الخبرة مثل هذا. لم يكن چارد بذلك الشَّوء بالنسبة لُغراب، وكانت يملك من الأذان أقلَّ مني. قضمة الصَّقيع أخذت أذنيه كما أخذت أذني»، ثم ضحك مضيقاً: «والآن أسمع أنه صارَ بلا رأس أيضاً. هل قضمة الصَّقيع بدوره؟».

تذكَّر چون الدَّم الأحمر المتناثر على الثَّلج الأبيض، وكيف ركلَ ثيون جرابچوي رأس الرِّجل الميت. كان متهرِّباً من الخدمة. في طريق العودة إلى ويترفل تسابق چون وروب، وعثرا على جِراء أنثى الذئب الرَّهيب الستة وسط الثَّلوج. كان هذا منذ ألف عام.

- «إلى أين أتجه السير وايمار بعد أن تركك؟».

هزَّ كراستر كتفيه وقال: «لديَّ أشياء أهتمُّ بها أكثر من ذهاب الغِربان وإيابهم»، وأخذ جرعة من البيرة ونحى الكوب جانباً، وواصل: «لم أحظُ بنبيذ جنوبي جيّد هنا منذ زمن. أحتاج القليل من التَّبيذ حقاً، وبلطة جديدة كذلك، لأن بلطتي فقدت حدَّتها، ولا يُمكنني تجاهل هذا ولديَّ نساء أحميهن»، ونقلَ بصره بين زوجاته اللاتي يتحرَّكن في المكان.

قال مورمونت: «أنتم قلة هنا، ومعزولون. سأعيِّن بعض الرِّجال ليصبحوكم جنوبيًا إلى «الجدار» إذا أردت»، وبدا أن الفكرة راقَت الغُداً الذي صرَّخ: «جدار!»، وقد فردَ جناحيه الأسودين كياقة عالية وراء رأس مورمونت.

ارتسمت ابتسامة كريهة على وجه مضيفهم كشفت أسنانه البنيَّة المكسَّرة،

وقال: «وماذا نفعل هناك؟ نخدمكم بينما تتناولون العشاء؟ إننا أحرار هنا، وكراستر ليس خادماً لأحد».

- «سكنى البراري في أوقات كهذه سيئ حقاً، فالرياح الباردة تهب».
قال كراستر: «دعها تهب، فجدوري شديدة العمق»، وجذب امرأة عابرة من معصمها قائلاً لها: «أخبريه يا زوجتي، أخبري اللورد الغراب كم نحن قانعون هنا».

لعمت المرأة شفيتها الرفيعتين، وقالت: «هذا مكاننا، وكراستر يُحافظ على سلامتنا. الموت أحراراً خير من الحياة عبيداً».
ردّد الغداف: «عبيداً».

مال مورمونت إلى الأمام قائلاً: «كلّ القرى التي مررنا بها مهجورة، ووجوهكم أول وجوه حيّة نراها منذ تركنا «الجدار». النَّاس اختفوا تماماً... ولا أدري إن كانوا موتى أم هاربين أم أسرى، والحيوانات اختفت كذلك، ولم يتبقّ شيء. منذ فترة وجدنا جثتي اثنين من جوّالة بن ستارك على بُعد فراسخ معدودة من «الجدار». كانتا شاحبتين باردتين، وأيديهما وأقدامهما سوداء، وجروحهما لا تنزف، لكن عندما أخذناهما إلى القلعة السوداء، نهضتا في جوف الليل قاصدتين القتل. إحداهما قتلت السير چارمي ريكز، والأخرى هاجمتني، ما يجعلني أفكر أن تلك الجثث الحيّة تتذكّر القليل مما كانت تعرفه قبل موتها، وإن لم تتبقّ فيها رحمة إنسانيّة على الإطلاق».

فغرت المرأة فاهاً عن آخره ككهفٍ وردّيّ مبتل، لكن كراستر أطلق نخيراً ساخراً، وقال: «لم تُواجهنا متاعب مشابهة هنا... وأشكرك إذا لم تحكّ حكايات شرّيرة كهذه تحت سقفي. إنني رجل تقي، والآلهة تحميني، وإذا وجدتُ جُثّاً حيّةً تمشي هنا، فسأعرف كيف أعيدها إلى قبورها، وإن كنتُ أحتاجُ بلطةً حادةً جديدةً»، وصفّع زوجته على مؤخرة ساقها زاعقاً: «المزيد من البيرة، وبسرعة».

قال چارمان بكويل: «لا متاعب من الموتى، لكن ماذا عن الأحياء يا سيّدي؟ ماذا عن ملكك؟».

صاحّ غُداف مورمونت: «ملك، ملك، ملك، ملك، ملك».

رَدَّ كراستر: «مانس رايدر؟»، وبصقَ في النَّارِ قبل أن يُعَمِّغِم: «ملك ما وراء الجدار. لماذا يُريد شعب الأحرار ملكًا؟»، ثم التفتَ إلى مورمونت قائلاً: «يُمكنني أن أخبركم بالكثير عن رايدر وما يفعله إذا وائتني الرَّغبة. القُرى الخالية، هذا من صُنْعِهِ، وكنت لتجد هذه القاعة مهجورةً بدورها لو كنتُ رجلاً ينصاع لأمثاله. لقد أرسلَ لي خيَّالاً قال لي إن عليَّ أن أترك قلعتي وأذهب لأتذللَّ عند قدمي مانس، فأعدته إليه دون لسانه. علَّقته بمسمارٍ على الحائط»، وأشارَ مضيئاً: «ربما يُمكنني أن أقول لكم أين تبحثون عن مانس رايدر إذا وائتني الرَّغبة»، ثم ابتسمَ ابتسامته البنيَّة تلك من جديد وأردف: «لكننا سنجد وقتاً لهذا. لا بُدَّ أنكم ترغبون في التَّوَم تحت سقفي والتهام ما لديَّ من خنازير».

قال مورمونت: «نُرَحِّبُ بالسَّقْفِ كُلَّ التَّرحيب يا سيِّدي، فقد قطعنا مسافةً طويلةً شاقَّةً وعانينا الكثير من البلل».

- «ستنزلون ضيوفاً هنا مدَّةَ ليلةٍ لا أكثر، فلستُ مغرماً لهذه الدَّرَجَةِ بالغربان. العليَّةُ لي ولزوجاتي، لكن الأرض كلها لكم. لديَّ لحم وبيرة تكفي عشريناً لا أكثر، أمَّا بقيَّتكم أيها الغربان السُّوداء فيمكنهم العثور على ذُرَّةٍ يأكلونها».

قال الدُّب العجوز: «لقد حزمنا مؤننا الخاصَّة يا سيِّدي، ويُسعِدنا أن نتقاسم طعامنا ونببذنا».

مسحَ كراستر فمه المتمدِّلِي بظَّهر يده المشعرة، وقال: «سأندوِّقُ نبيذكم أيها اللورد الغُراب، لا شكَّ في هذا. ثَمَّةُ شيءٍ آخَر: أيُّ رجلٍ يمشُ واحدةً من زوجاتي سيفقد يده».

قال ثورين سمولود: «تحت سقفك تسري قواعدك»، وأوماً اللورد مورمونت برأسه بجُمُود، وإن بدا عليه عدم الرِّضا.

قال كراستر: «اتَّفَقنا إذن»، ثم سألَ بفضاطة: «ألديكم من يستطيع رسم الخرائط؟».

تقدَّم جون قائلاً: «سام تارلي يستطيع. إنه يحبُّ الخرائط». أشارَ له مورمونت بالاقتراب، وقال: «قُلْ له أن يأتي بعد أن يأكل، واجعله

يجلب ريش الكتابة والرَّقوق. وجد توليت كذلك وقل له أن يُحضِر بلطني.
إنها هديتي كضيف لمضيفنا».

قال كراستر قبل أن يخرج جون: «من هذا؟ إن لديه ملامح أولاد ستارك».
- «إنه وكبلي ومُرافقي جون سنو».

تطلّع كراستر إلى جون من أعلى إلى أسفل، وقال: «نغل، هه؟ إذا أراد
الرَّجل أن يُضاجع امرأة، فليتزوّجها. هذا ما أفعله أنا»، ولوّح بيده صارفًا جون
قائلًا: «طيب، اذهب وقم بواجبك أيها النغل، وتأكد من أن تلك البلطة حادة،
فلا حاجة لديّ إلى الفولاذ الثلم».

انحنى جون بحركة جامدة وغادر. كان السير أوتين ويذرز في طريقه إلى
الدّاخِل بينما خرج، وكاد الاثنان يتصادمان عند الباب المصنوع من جلد
الأيّل. في الخارج بدا أن الأمطار خفّت أخيرًا، ونُصبت الخيام في كلِّ مكانٍ
بين المباني، ورأى جون قسم خيام أخرى تحت الأشجار.

قال إد الكتيب بينما يُطعم الخيول: «نُعطي الهمجي بلطة، ولم لا؟»،
وأشار إلى بلطة مورمونت الحريّة ذات المقبض القصير والزخارف الذهبيّة
المنقوشة على الفولاذ الأسود، وأضاف: «أؤكد لك أنه سيُعيدها، لكن
مغروسة في جمجمة الدّب العجوز غالبًا. لم لا نعطيه بلطاتنا كلها وسيوفنا
أيضًا؟ إنني أكره الطّريقة التي تُصلّصل وتُخشِش بها ونحن راكبون. ستكون
حركتنا أسرع دونها، إلى أبواب الجحيم مباشرة. تُرى هل يهطل المطر في
الجحيم؟ ربما يُريد كراستر قُبعة بدلًا من البلطة».

قال جون مبتسمًا: «يُريد بلطة، ونيبدأ كذلك».

- «أترى؟ الدّب العجوز ذكيّ حقًا. إذا جعلنا الهمجي يشرب حتى الثمالة
ويسكر، فلربما يقطع أذنًا واحدة عندما يُحاول قتلنا بهذه البلطة. إن لديّ
أذنين، لكن رأسًا واحدًا».

- «سمولود يقول إن كراستر صديق لحرس اللّيل».

قال الأخ الكتيب: «أتدري الفارق بين الهمجي صديق حرس اللّيل
والهمجي الذي ليس كذلك؟ أن أعداءنا يتركون جُثثنا للغربان والذئاب، بينما
يدفننا أصدقاؤنا في قبور سرّية. منذ متى وجمجمة الدّب معلّقة على البوّابة يا

تُرى؟ وماذا كان كراستر يفعل قبل أن يظهر؟»، ورميَّ إِد البُلطة بِشَكِّ والمطر يجري على وجهه الطويل، وسأل: «هل المكان جاف في الدّاخل؟».

- «أكثر جفافاً من هنا».

- «إذا كمنْتُ هناك بعد أن يَفْرُغوا، وليس على مقربةٍ من النَّار، فربما لا يلحظون وجودي قبل طلوع النَّهار. من ينامون تحت هذا السَّقْف سيكونون أول من يُقتَلون، لكننا سنموت جافين على الأقل».

ضحكَ چون رغماً عنه، وقال: «كراستر رجل واحد ونحن متتان. أشكُّ أنه سيقتل أحداً».

قال إِد ولهجته مفعمة تماماً بالجهامة: «إنك تُثير بهجتي حقاً. ثم إن البُلطة الحادّة لها مميّزاتها، لأنني أكره أن أقتل بمطرقة. رأيتُ رجلاً تلقى ضربةً على الجبهة بمطرقةٍ من قبل، فلم يتأدّى الجِلد كثيراً، لكن العظام أسفله تفتّتت، وتورّم رأسه حتى صار كحبة اليقطين لو أن لونه أرجواني محمّر. كان رجلاً وسيماً، لكنه ماتَ قبيحاً. من الجيّد أننا لن نُعطِهم مطارق»، وابتعدَ وهو يهزُّ رأسه، ومياه المطر تقطر من معطفه الغارق تماماً.

أطعمَ چون الخيول قبل أن يتوقّف للتّفكير في عَشائه، وكان يتساءل أين يجد سام عندما سمعَ من تصيح مرتبة: «ذئب!»، فانطلقَ يعدو حول القاعة نحو مصدر الصّيحة والثّربة الرّخوة تمتصّ حذاءه، ليجد واحدةً من نسوة كراستر ملصقةً ظهرها بالجدار الملطّخ بالطين، وتصيح في جوست: «ابتعد عني! ابتعد عني!». كان الذّئب الرّهيب يحمل أرنباً في فمه، وعلى الأرض إلى جواره واحد آخر دامٍ ميت. قالت المرأة متوسّلةً عندما رأتَ چون: «أبعده يا سيّدي».

- «لن يُؤذيك»، قال چون وقد أدركَ ما حدثَ في الحال من منظر القفص الخشبي، الذي تحطّمت أضلاعه وانقلبَ على جانبه وسط العُشب المبتل.

«لا بُدَّ أنه جائع، فلم نَر طرائد كثيرةً في طريقنا»، ثم أطلقَ صفيراً فازدردَ الذّئب الرّهيب الأرنب محطّماً العظام الصّغيرة بين أسنانه، ثم اتّجه إلى صاحبه.

حدّجتهما المرأة بنظراتٍ عصيّة. كانت أصغر سناً مما حسبَ في البداية، وقدّر أن عُمرها خمسة أو ستّة عشر عاماً، شعرها الدّاكن ملتصق بوجهها

الكثير بسبب المطر، وقدمها الحافيتان ملوئتان بالوحل حتى الكاحلين، بينما يشي انتفاخ بطنها من تحت ثوبها الجلدي بأنها في شهور الحمل الأولى. سألتها: «أنت واحدة من بنات كراستر؟».

وضعت يدها على بطنها محيية: «زوجته الآن»، وركعت إلى جوار القفص المكسور متحاشية الذئب، وقالت بأسى: «كنت سأستولذ هذين الأرنيين، فلم تعد لدينا أغنام».

قال جون: «سيعوضك حرس الليل عنهما». إنه لا يملك أي مال، وإلا لكان عرضه عليها... مع أنه لا يدري بم ستفعلها بضع عملات نحاسية أو حتى قطعة فضية هنا وراء «الجدار». «سأكلّم اللورد مورمونت غداً». مسحت يديها على ثورتها قائلة: «سيدي...».

- «لست سيّداً».

كان آخرون قد تحلقوا حول المكان وقد جذبهم صراخ المرأة وصوت تحطم قفص الأرانب، وصاح الجوّال الوضع كالكلاب لارك رجل الأخوات: «لا تُصدّقيه يا فتاة، فهذا هو اللورد سنوبنفسه».

وبسخرية قال تيت الذي ترك كلابه ليرى سبب الجلبة: «نغل ويترفل وأخو الملوك».

قال لارك: «الذئب برمّك بنظراتٍ جائعة يا فتاة، فلعلّه يرغب في قطعة اللحم الطرية في بطنك».

قال جون بصرامة: «إنك تُخيفها».

- «يُحذّرها بالأحرى»، قال تيت بابتسامته القبيحة كالبحر التي غطت أغلب وجهه.

بدا أن الفتاة تذكّرت فجأة، فقالت: «ليس مسموحاً لنا بالكلام معكم».

- «مهلاً»، قال جون لكن متأخراً، فقد انطلقت تركّض مبتعدةً.

مدّ لارك يده إلى الأرنب الثاني، لكن جوست كان أسرع، وعندما كثر عن أنيابه انزلق رجل الأخوات في الوحل وسقط على عجزه العظمية، فضحك الآخرون، بينما التقط الذئب الرّهيب الأرنب بفمه وذهب به إلى جون.

قال لهم: «لم يكن هناك داعٍ لإخافة تلك الفتاة».

- «لن نقبل تقريبًا منك أيها النغل». كان تَشت يَلمُومُ چونَ على فقدان عمله المريح مع المايستر إيمون، وليس ظُلُمًا، فلو لم يذهب چون إلى إيمون بخصوص سام تارلي، لكان تَشت لا يزال يخدم العجوز الضَّيرير بدلًا من قطع من كلاب الصَّيد معتلة المزاج. «قد تكون حيوان حضرة القائد المدلل، لكنك لست حضرة القائد... ولم تكن لتتكلَّم بهذه الجرأة لو لم يكن وحشك اللعين هذا معك دائمًا».

رَدَّ چون بصوتٍ أبرد من مشاعره: «لن أتعارك مع أخٍ ونحن وراء الجدار».

اعتدل لارك راكعًا على رُكبةٍ واحدة، وقال: «إنه خائف منك يا تَشت. في الأخوات» لدينا اسم نُطلقه على أمثاله.

قال چون: «أعرف كلَّ الأسماء، فوفّر كلامك»، وابتعد وجوست إلى جانبه. كان المطر قد استحال إلى رذاذٍ خفيف عندما وصل إلى البوابة. سرعان ما سيحلُّ العَسق، تتبعه ليلة أخرى كثيفة كلها بلل، وستُخفي الشَّحب القمر والنُّجوم وشُعلة مورمونت، لتُغرق الغابة في ظلامٍ حالِك، وستكون كلُّ مرَّةٍ يذهب فيها ليقضي حاجته بمثابة مغامرة، وإن لم تكن من النُّوع الذي تصوِّره چون سنو من قبل.

تحت الأشجار كان بعض الجوّالة قد وجدوا ما يكفي من الفحم والحطب الجافين لإشعال نار أسفل بروزٍ مائل من الأرذواز، ونصبَ آخرون خيامًا أو صنعوا سواتر بمعاطفهم المفرودة على الفروع الواطئة، بينما دَسَّ العملاق جسده في تجويف في شجرة بلوط ميتة، وخاطبَ چون قائلاً: «ما رأيك في قلعتي يا لورد سنو؟».

- «تبدو مريحة. أتعرف أين أجد سام؟».

أجاب العملاق: «استمر على طريقك، وإذا مررت بمرادق السير أوتين، ستكون قد تجاوزت سام بالفعل»، وابتسم مردفًا: «ما لم يكن قد عثرَ على شجرةٍ أيضًا، وبإلها من شجرة!».

جوست هو من عثرَ على سام في النّهاية. اندفعَ الذَّئب الرَّهيب فجأةً كالسَّهم من القوس، وتحت بروزٍ صخري مَدَّ بشيءٍ من الوقاية من المطر،

كان سام يُطعم الغدقان. أصدرَ حذاؤه أصوات تخويض وهو يتحرك، وقال بتعاسة: «قدماي غارقتان تمامًا. عندما نزلتُ من فوق حصاني، خطوتُ في حفرةٍ وغصتُ فيها حتى الرُكبتين».

قال چون: «اخلع حذاءك وجفف جواربك، وسأجدُ حطبًا جافًا. إذا لم تكن الأرض مبتلةً تحت الصُخور، فربما يمكننا أن نُشعل نارا»، وأراه الأرنب مضيفًا: «ونولم!».

- «ألن نخدم حضرة القائد في القاعة؟».

- «نعم، لكن أنت ستفعل. الذئب العجوز يُريدك أن ترسم خريطةً له، فكراستر يقول إنه سيرينا مكان مانس رايدر».

تمتم سام: «أوه»، دون أن تبدو عليه لهفة لرؤية كراستر، حتى إذا كان هذا يعني دفء النار.

- «لكنه قال أن تأكل أولًا. جفف قدميك إذن». ذهب چون يبحث عن وقودٍ للنار، ونقّب تحت الشجيرات الساقطة عن الأخشاب الأكثر جفافًا من غيرها، وقشّر طبقاتٍ من أوراق الصنوبر المشبعة بالماء حتى عثرَ على صَرم مناسب، وعلى الرغم من ذلك استغرق إشعال الشرارة الأولى وقتًا طويلًا للغاية. ثم إنه علّق معطفه على الصخر، ليحمي ناره الصغيرة الدّاخنة من المطر، صانعًا فجوةً صغيرةً مريحةً.

جلسَ على رُكبتيه يسْلُخ الأرنب، بينما خلَعَ سام حذاءه قائلًا ببؤس وهو يلوي أصابع قدميه: «أعتقدُ أن الطّحالب بدأت تنمو على قدميّ»، ثم غمغم راميًا الأرنب: «سيكون مذاقه طيبًا. حتى منظر الدّم لا يُزعجني»، وأشاح بوجهه مضيفًا: «ليس كثيرًا...».

تَبَّت چون جئةً الحيوان على سيخ، وأحاطَ النار بصخرتين وضعَ وجبة اللّيلة فوقهما. كان الأرنب هزيلًا، لكن رائحة نضوجه جعلته وليمة ملك، فحدّجهما جِوالة آخرون بنظرات الحسد، وحتى جوست تطلّع إلى الأرنب بجوع واللّهب ينعكس في عينيه الحمرّوين وهو يتشمّم الهواء، لكن چون قال له: «أنت أكلت أرنبك بالفعل».

لم يكتمل نُضج الأرنب تمامًا، لكن مذاقه كان رائعًا على الرغم من ذلك،

وسأل سام جون وهو يأكل: «هل كراستر متوحش حقًا كما يقول الجوّالة؟ كيف تبدو قلعة؟».

- «مقلب قمامة بسقفٍ وحفرة نار»، أجاب جون، ثم أخبر سام بما رآه وسمعه في قلعة كراستر.

مع انتهاء الحكّي، كان الظلام قد حلَّ في الخارج وسام يلعق أصابعه قائلاً: «كان مذاقه شهياً بحق، لكنني أريدُ فخذ ضأن الآن، فخذًا كاملةً لي وحدي، مبتلةً بالتّعناع والعسل والقرنفل. هل رأيت حملاتًا؟».

- «رأيتُ حظيرة غنم خالية».

- «كيف يُطعم رجاله إذن؟».

- «لم أر رجالًا، فقط كراستر ونسوته ويضع فتيات صغيرات. أتساءلُ إن كان قادرًا فعلًا على الدِّفاع عن المكان، فدفاعاته لا تُذكر، مجرد خندقٍ موحد. هل ستجد طريقك إلى هناك؟».

قال سام: «إذا لم أسقط في الطِّين»، وعادَ يتتعل حذاءه بصعوبة، ثم التقطَ ريش الكتابة وورق الرِّقوق وخرجَ إلى اللَّيل، والمطر ينهمر على معطفه وقبّعته المرنّة.

أسندَ جوست رأسه إلى قوائمه وغابَ في النَّوم إلى جوار النَّار، وتمدّد جون إلى جواره شاعرًا بالامتنان للدِّفء. كان لا يزال باردًا مبتلاً، لكن ليس كما كان منذ قليل. قد يعرف الدُّب العجوز معلومةً اللّيلة تقودنا إلى العمّ بنجن.

استيقظَ على مشهد أنفاسه تتحوّل إلى بُخارٍ في هواء الصُّبح البارد، وعندما تحرّك أحسَّ بالوجع في عظامه، ووجدَ النَّار وقد خمدت، بينما لم يُعد جوست هناك. مدَّ يده بسحب المعطف الذي علّقه على الصَّخرة، ووجدَه متيّسًا متجمّدًا، فنهضَ ووقفَ تحته وسط غايّة تحوّلت إلى بلّور.

تألّق نور الفجر الوردي على الأغصان والأوراق والأحجار، وبدأ كل عود عُشب كأنه منحوت من الزمرد، وكلُّ قطرة ماءٍ كأنها استحالت إلى ماس، وأحاطَ بالورد والفطر على حدٍّ سواءٍ غُلاف من زجاج، وحتى برك الوحل

نفسها كانت لها لمعة بَيْتة، بينما لاحَت خيام إخوته السّوداء وسط الخُضرة وقد اكتسَت بطبقة رقيقة من الجليد اللّامع.

ثَمّة سحر وراء «الجدار» إذن. وجدَ نفسه يُفكّر في أخيه، ربما لأنه حلّم بهما ليلة أمس. كانت سائرا لتصف المشهد بالسّحري وقد اغرورقت عيناها بالدموع من فرط الجمال، بينما كانت آريا لتجري ضاحكة صائحة وترغب في أن تلمس كلّ شيء.

سمع الصّوت الرّقيق الخانع يُناديه: «لورد سنو؟»، فالتفت. جائئة فوق الصّخرة التي وقته ليلاً كانت صاحبة الأربنين، ترتدي معطفاً أسود ضخماً للغاية، وأدرك جون في الحال أنه معطف سام. لماذا ترتدي معطف سام؟

قالت: «السّمين قال إنني سأجذك هنا يا سيّدي». - «لقد أكلنا الأرنب لو أن هذا ما جئت من أجله»، قالها فأشعره الاعتراف بذنب شديد.

- «اللورد الغراب العجوز، ذلك الذي معه الطّائر المتكلّم، أعطى كراستر نُشائية تسوى مئة أرنب»، وضمت ذراعيها حول بطنها المتنفخ متسائلة: «هل ما قالوه صحيح يا سيّدي؟ أنت أخ لملك؟».

- «أخ غير شقيق. أنا نغل ند ستارك، وأخي روب هو الملك في الشّمال. ماذا تفعلين هنا؟».

- «السّمين، سام هذا، قال أن آتي إليك، وأعطاني معطفه كي لا ألفت انتباه أحد».

- «ألن يغضب كراستر منك؟».

قالت وأنفاسها المتوتّرة تخرُج لتجمّد في الهواء: «أبي أفرط في الشّراب من نبيذ اللورد الغراب ليلة أمس، وسينام معظم النّهار. يقولون إن الملك يمنح العدالة والحماية للضعفاء»، وبدأت تنزل الصّخرة بلا اتزان، لكنها كانت زلقة بفعل الجليد، فانزلت قدم الفتاة رغماً عنها، إلّا أن جون أمسكها قبل أن تسقط، وساعدها على التّزول بأمان، فركعت على الأرض الجليديّة قائلة: «سيّدي، أنوس...».

- «لا تنوِّسْ لي مني شيئاً وعودي إلى القاعة. إن لدينا أوامر بعدم الكلام مع نسوة كراستر».

- «ليس عليك أن تتكلَّم معي يا سيِّدي، فقط خُذني معك عندما تذهب، هذا كلُّ ما أطلبه».

كل ما تطلبه، كأن هذا ليس بالخطب الكبير.

- «سأكون... سأكونُ زوجتك إذا أردت. أبي لديه تسع عشرة زوجة الآن، ولن يضرَّه أن يفقد واحدة».

- «الإخوة السود يُقسِّمون ألاً يتزوَّجوا أبداً، ألا تعرفين هذا؟ كما أننا ضيوف على أبيك».

- «ليس أنت. لقد راقبتك، ولم أرك تأكل على مائدته قطَّ أو تنم إلى جوار ناره. إنه لم يُعطك حقَّ الضَّيف، فلست ملزماً بشيءٍ نحوه. يجب أن أرحل من أجل طفلي».

- «إنني لا أعرف اسمكِ حتى».

- «سمَّاني جيلي، على اسم الزَّهرة».

- «اسم جميل». تذكَّر أن سانزا قالت له ذات مرَّة إن عليه أن يقول هذا متى أخبرته امرأة باسمها، وهو لا يستطيع أن يُساعد الفتاة، لكن ربما تسرُّها المجاملة. «هل يُخيفُك كراستر يا جيلي؟».

- «خوفي على الطفل لا على نفسي. إذا كان فتاة فلا بأس، فستكبر خلال سنواتٍ قليلة ويتزوَّجها أبي، لكن نلا تقول إنه سيكون صبيّاً، وقد أنجبت ستَّة وتعرف هذه الأشياء. إنه يُعطي الصَّبيان للآلهة، يفعل هذا كلما جاء البرد الأبيض، ومؤخراً يأتي البرد الأبيض بكثرة، ولهذا السَّبب بدأ يُعطي الأغنام للآلهة، على الرغم من أنه يحبُّ الضَّأن، لكن الأغنام نفدت، وبعدها سيأتي دور الكلاب، إلى أن...»، وخفضت عينها وملَّست على بطنها.

- «أيُّ آلهة؟». كان يُفكِّر الآن أنهم لم يروا أيَّ صبيانٍ في قلعة كراستر، ولا رجالاً كذلك باستثناء كراستر نفسه.

أجابَتْ: «آلهة الزَّمهرير التي تأتي ليلاً، الظُّلال البيضاء».

وعلى حين غرةٍ وجدَّ چون نفسه في بُرج حضرة القائد من جديد. كانت

اليد المبتورة تتسلق رَبلة ساقه عندما انتزعها برأس سيفه الطويل، فراحت تتلوى على الأرض وأصابها تنفتح وتنغلق، ونهض الرجل الميت بعينين تلمعان بالأزرق وسط وجهه المتنفخ المشجوج، بينما تدلى اللحم الممزق كالحبال من جرح بطنه الكبير، ومع ذلك لم تسيل منه دماء على الإطلاق. سألتها: «ما لون أعينهم؟».

- «زرقاء، زرقاء لامعة كالنجوم، ومثلها باردة».

لقد رأتهن. كان كراستر يكذب.

- «هل ستأخذني؟ حتى «الجدار» فقط، و...».

- «لسنا متجهين إلى «الجدار»، بل شمالاً وراء مانس رايدر وهؤلاء الآخرين»، الظلال البيضاء والجثث الحيّة. إننا نسعى إليهم يا جيلي، فلن يكون صغيرك آمناً معنا».

كان خوفها جلياً على وجهها وهي تقول: «لكنكم ستعودون، عندما تفرغون من قتالكم ستمثرون من هنا ثانية».

- «قد نفعل». إذا ظللنا أحياء. «إنه قرار الذب العجوز، من تُسمونه اللورد الغراب. إنني مُرافقه لا أكثر، ولا أختار الطرق التي نسلُكها».

سمع نبرة الهزيمة في صوتها إذ غمغمت: «لا. آسفةٌ لأنني أزعجتك يا سيّدي، لكني فقط... يقولون إن الملك يُحافظ على سلامة الناس، وخطر لي...»، واندفعت تجري مبتعدةً بيأس، ومعطف سام يخفق وراء ظهرها كجناحين أسودين ضخمين.

راقبها چون تبعد وقد زالت بهجته بجمال الصّباح العابر، وفكر باستياء: عليها اللعنة، وعلى سام اللعنة مرتين لأنه أرسلها لي. ما الذي حسب أنني أستطيع أن أفعله من أجلها؟ إننا هنا لقتال الهمج وليس إنقاذهم.

بدأ رجال آخرون يخرجون من ملاجئهم وهم يثاءبون ويتمطون، وقد تلاشى السحر بالفعل، واستحال الألق الجليدي إلى ندى تقليدي في نور الشمس المشرقة. كان أحدهم قد أشعل ناراً، وشمّ چون رائحة الحطب المحترق المتسللة بين الأشجار، ورائحة اللحم المقدّد الدُخانيّة، فأنزل معطفه وخبطه على الصخرة ليحطّم القشرة الجليديّة الرقيقة التي تكوّنت

عليه ليلاً، ثم التقط سيفه «المخلب الطويل» ودسّ ذراعه في حزام الكتف، قبل أن يتّجه إلى دغل متجمّد قريب ليشبّل، فتزلّ البول والبُخار ينبعث منه، ليذوّب الجليد أينما سقط، وبعدها ربطَ جون سراويله الصُوف السوداء، وسارَ نحو مصدر الرّوائح.

كان جرن ودايوين بين الإخوة الذين اجتمعوا حول النّار، وناولَ هاك جون رغيفاً مفرّغاً من الحُبز السّميك، مملوءاً باللّحم المقدّد المحروق وقطع السّمك المملّح المدفأة في دهن اللّحم، والتهمَ جون الطّعام بنهم بينما أصغى لدايوين الذي يتباهى بأنه ضاجعٌ ثلاثاً من نسوة كراستر خلال الليل.

قال جرن عابساً: «لم يحدث. كنتُ لأراك».

صفّعه دايوين على أذنه بظّهر كفّه قائلاً: «أنت؟ ترى؟ إنك أعمى كالمايستر إيمون تماماً، ولم تر الدّبّ حتى».

- «أيّ دُب؟ أكان هناك دُب؟».

قال إد الكتيب بلهجته المستسلمة المعتادة: «هناك دُبّ دائماً، كالذي قتلَ أخي لمّا كنتُ صغيراً، وبعدها علّق أسنانه في شريطٍ جلديّ حول عنقه. كانت أسناناً نضيدة أيضاً، أفضل من أسناني التي لم أعرف معها غير المتاعب».

سأله جون: «هل نامَ سام في القاعة؟».

- «لا أسمّي ذلك نوّماً، فالأرض كانت صُلبَةً والبُسط كريهة الرّائحة، وغطيط إخوتي كفيّل بإيقاظ الموتى. نكلّموا عن الدّبة إذا أردتم، فسيف أيّ دُبّ لا يُضاهي غطيط برنار البنيّ أبداً. لكنني حظيتُ بالدّفء على الأقل، عندما نامَ عدد من الكلاب فوقِي، وكان معطفي يكاد يجفّ تماماً بالفعل عندما بال أحدها عليه، أو لعلّ برنار البنيّ من فعلها. هل لاحظتم أن المطر توقّف بمجرد أن أصبحَ هناك سقف فوقِي؟ وطبعاً سيُعاود التّزول الآن ما دمْتُ خرجتُ. الآلهة والكلاب على حدّ سواء يطيب لها التّبؤل عليّ».

قال جون: «من الأفضل أن أذهب لأرى اللورد مورمونت».

صحيح أن الأمطار توقّفت، لكن الأرض ظلّت أقرب إلى مستنقع من البرك الضّحلة والأوحال الرّلّقة. كان الإخوة الشّود يطوون خيامهم ويطعمون خيولهم ويلوكون شرائح من اللّحم المملّح، بينما شدّ كشافة جارمان بكويل

أحزمة سروجهم قبل التحرك، وحيّاه بكويل من على ظهر حصانه قائلاً: «چون، فلتُحافظ على حدة سيفك النّعل هذا، لأننا سنحتاجه قريباً». كانت قاعة كراستر معتمّة في عينيه بعد نور النّهار، وفي الدّاخل كانت المشاعل التي أوقدت ليلاً تكاد تخبو، ومن الصّعب أن تُدرك أن الشّمس أشرقَت بالفعل. غُداً اللورد مورمونت كان أوّل من لمحّه يدلف، فخفق بجناحيه الأسودين الواسعين ثلاث مرّات بكسل، ثم حطّ على مقبض «المخلب الطّويل»، وأخذ يُضعض خصلة من شعر چون وهو يتساءل: «ذرة؟».

قال مورمونت: «تجاهل هذا الطّائر الشّحاذ المأفون يا چون، فقد التهم نصف لحمي المقدّد لتوّه». كان الدّب العجوز جالساً إلى مائدة كراستر يتناول فطوره مع القيمين الآخرين، والذي تكوّن من الخبز المحمّر واللّحم المقدّد وسجق أمعاء الخراف. استقرّت بلطة كراستر الجديدة على المائدة، تلمع زخارفها الذهبيّة بخفوت في ضوء المشاعل، أمّا صاحبها فقد تمدّد فاقد الوعي في عليّة النّوم فوقهم، بينما كانت النّسوة كلهن مستيقظات، يتحرّكن هنا وهناك ويُقدّمن الطّعام. «كيف يبدو اليوم الذي ينتظرنا؟».

- «بارداً، لكن المطر انقطع».

- «عظيم. احرص على تجهيز حصاني، لأنّي أنوي أن تتحرّك خلال ساعة. هل أكلت؟ طعام كراستر بسيط لكن مُشبع».

اتّخذ چون قراره فجأةً، وقال لنفسه: لن أكل طعام كراستر، ثم أجاب: «أفطرتُ مع الرّجال يا سيّدي»، وهشّ الغُداً من على مقبض سيفه، فوثب الطّائر إلى كتف مورمونت، حيث تبرز في الحال، فدمدم الدّب العجوز: «كان يُمكنك أن تفعل هذا على سنو بدلاً من ادّخار الخراء لي»، واكتفى الغُداً بالنّعيب.

وجد سام واقفاً مع جيلي وراء القاعة بالقرب من قفص الأرانب المحطّم. كانت تُساعد على ارتداء معطفه، لكنها انسلت مبتعدة حين رأت چون، ورمقه سام بنظرة لوم جريحة قائلاً: «حسبُ أنك سُساعدها».

قال چون محتدًا: «وكيف كنتُ لأساعدُها؟ آخذها معنا مدثرةً بمعطفك؟ إن لدينا أوامر بعدم ال...».

قال سام وقد بدا عليه الإحساس بالذنب: «أعرفُ، لكنها كانت خائفةً، وأنا أعرفُ معنى الخوف تمام المعرفة. قلتُ لها...»، وبتَرَ عبارته وابتلعَ لُعا به.

- «ماذا؟ إننا سنأخذها معنا؟».

احتقَنَ وجه سام السَّمين وهو يُجيب دون أن يقوى على النَّظر في عيني چون: «في طريق العودة. سوف تُنجب طفلًا».

- «سام، هل فقدت كلَّ ما لديك من عقل؟ قد لا نعود من هذا الطَّرِيق، وإذا فعلنا، فهل تتصوَّر أن الذَّبَّ العجوز سيسمح لك بأخذ واحدةٍ من زوجات كراستر؟».

- «خطرٌ لي... ربما كنتُ لأفكر في وسيلةٍ حتى ذلك الحين...».

- «لا أملك وقتًا لهذا»، وابتعدَ چون شاعرًا بالحيرة ممتزجةً بالغضب. لسام قلب كبير حقًا كبقية جسده، لكن على الرغم من قراءته المستمرة يظلُّ أحمر كجرن أحيانًا. إن ما يرغب فيه مُحال، ومُخلٌّ بالشرف علاوةً على ذلك... فلمَ أشعُر بالخجل يَكُلِّلني إذن؟

اتَّخذ چون مكانه المعتاد إلى جانب مورمونت بينما خرجَ حرس الليل من بَوَّابة كراستر مارَّين بالجمجمتين. تحرَّكوا شمالًا وغربًا على طريقٍ معوجٍّ مجهَّزٍ لاصطياد الفرائس، وتقاطرَ الجليد الذائب من كلِّ موضع حولهم كنوعٍ أبطأ من المطر له موسيقاه الخاصة. شمال قلعة كراستر كان الغدير يتدفَّق فائضًا عن آخره، وقد سدَّتْه أوراق الأشجار وقطع الخشب، لكن الكشافة عثروا على المخاضة واستطاعَ الرِّكب العبور. ارتفعت المياه حتى بطون الخيول، وسبَحَ جوست حتى الضفَّة، ليخرُجَ والماء يقطر من فروه الأبيض بيَّيًا، وعندما نفَضَ نفسه ناثراً الماء والوحل في كلِّ اتِّجاه، لم يُعلَقْ مورمونت، وإن أطلقَ غُدافه صبيحةً.

بهدوءٍ قال چون والغابة تُطبِّق عليهم من جديد: «سيَّدي، كراستر ليس لديه أغنام، أو أبناء»، فلمَّا لم يُجب مورمونت، تابعَ: «واحدة من الخدمات

في ويتترفل حكّت لنا أشياء، كانت تقول إن هناك همجاً يُصاِجِعون «الآخرين» لإنجاب أطفالٍ نصفِ بشريّين».

- «مجرّد حكاياتٍ مخيفة تُروى حول النَّار ليلاً. هل يبدو كراستر أقلّ من إنسانٍ في رأيك؟».

من نواحٍ كثيرة، أجل. «إنه يُعطي أبناءه للغابة».

صمتٌ طويل، ثم: «نعم»، و«نعم» أخرى ردّدها الغُدا ف نافسًا ريشه. «نعم، نعم، نعم!».

- «كنت تعرف؟».

- «سمولود أخبرني منذ زمنٍ طويل. كلُّ الجوّالة يعرفون، لكن قلائل يتكلّمون عن هذا».

- «هل كان عمّي يعرف؟».

- «كلُّ الجوّالة. إنك ترى أن عليّ أن أوقفه، أن أقتله إذا دعت الحاجة»، وزفر الذّب العجوز وأضاف: «لو أن الأمر كان ببساطة أن يرغب في تخلص نفسه من بعض الأفواه الجائعة، فكان ليُسعدني أن أرسل يورن أو كونوي لأخذ الصّبية، وكنا لَنُربّيهما على الأسود ويزداد حرس اللَّيل قوّة، لكن الهمج يعبُدون آلهةً أقسى مما نعبُد. هؤلاء الصّبية قرايين كراستر، أو صلواته».

لا بدّ أن زوجاته يُقدّمن قرايين من نوع آخر.

سأله الذّب العجوز: «من أين عرفت هذا؟ من إحدى زوجات كراستر؟».

أجاب چون معترفاً: «نعم يا سيّدي، وأفضّل ألا أقول لك أيهن، لأنها كانت خائفةً وأرادت العون».

- «العالم الواسع يزخر بمن يحتاجون العون يا چون، وليت البعض يجد الشّجاعة ليُعين نفسه. كراستر نائم في عليّته الآن، غائب عن الوعي وتفوح منه رائحة النّبيذ الكريهة، وعلى المائدة في الأسفل ثمة بلطة حادّة جديدة. لو كنت مكانه لسمّيتها «الدُّعاء المستجاب» وفرغت من الأمر».

نعم. فكَر چون في جيلي وأخواتها. عددهن تسعة عشر، وكراستر رجل واحد، لكن...

- «إلاّ أنه سيكون من حظّنا العاثر أن يموت كراستر. كان عمّك ليحكّي

لك عن المرات التي صنعت فيها قلعة كراستر فارقاً بين الحياة والموت لجؤالتنا».

بدأ چون يقول: «أبي...»، لكنه صمت متردداً.

- «هلم يا چون، قل ما تريد أن تقوله».

- «أبي قال لي ذات مرة إن هناك رجالاً لا يستحقون أن نحظى بهم. حامل الرؤية الوحشي أو الظالم يُلوث شرف اللورد ولي أمره تماماً كشرفه هو».

- «لا ولي أمر لكراستر غير نفسه. إنه لم يتعهد لنا بشيء، ولا يخضع لقوانيننا. لديك قلب نبيل يا چون، لكن عليك أن تتعلم درساً. نحن لا نستطيع إصلاح الكون، فهذا ليس عملنا. حرس الليل أمامهم حروب أخرى يخوضونها».

حروب أخرى. نعم، يجب أن أتذكر هذا. «چارمان بكويل قال إنني قد احتاج سيفي قريباً».

قال مورمونت دون أن يبدو عليه الرضا: «حقاً؟ كراستر قال أكثر من هذا بكثير ليلة أمس، وأكد من مخاوفي ما كان كفيلاً بحرمانني النوم على أرض قاعته. مانس رايدر يجمع قومه معاً في منطقة «أنياب الصقيع»، ولهذا خلّت القرى، وهذا ما عرفه السير دينس ماليستر من الهمجي الذي أسره رجاله في «الغور»، لكن كراستر أضاف المكان، وهذا يصنع كل الفارق».

- «هل يبني مدينة أم جيشاً؟».

- «هذا هو السؤال. كم همجياً هناك؟ كم رجلاً في سن القتال؟ لا أحد يعرف على وجه الدقة، فـ«أنياب الصقيع» منطقة شديدة القسوة ولا تصلح للمعيشة، برار من الحجارة والجليد، فلن يحتمل عدد ضخم من الناس المعيشة هناك طويلاً. لا أرى إلا غرضاً واحداً من هذا الحشد. مانس رايدر ينوي الزحف جنوباً، إلى الممالك السبع».

- «سبق أن غزا الهمج البلاد من قبل». لقد سمع چون الحكايات من العجوز نان والمايستر لوين في ويترفل. «رايمون ذو اللحية الحمراء قادهم جنوباً في زمن جدّ جدّي، وقبله كان هناك ملك اسمه بايل الشاعر».

- «أجل، وقبلهما بزمن طويل جاء اللورد ذو القرون، والأخوان الملكان

جندل وجورن، وفي الماضي السَّحِينِي چورامون الذي نفخَ في بوق الشتاء وأيقظَ العمالقة من قلب الأرض. كل منهم حطَمَ قوَّته على «الجدار»، أو حطَّمته قوَّة ويتترفل على الجانب الآخر... لكن حرس الليل مجرد ظل الآن لما كانوا من قبل، ومن تبقى لمواجهة الهمج غيرنا؟ لقد مات سيّد ويتترفل، ووريثه زحف بقوَّاته جنوبيًا ضد آل لانستر. قد لا يحظى الهمج بفرصة كهذه ثانية أبدًا. كنتُ أعرفُ مانس رايدر يا چون. إنه حانث بالقسم، نعم... لكنه ليس أعمى، كما أن أحدًا لم يجرؤ قط على وصفه بالعُجِين».

سأله چون: «وماذا سنفعل؟».

أجاب مورمونت: «سنجده، ونُقاتله، ونوقفه».

وقال چون لنفسه وأصابعه تنقبض وتنسبط: ثلاثمة رجلٍ نحن... ضد ضراوة البرادي.



ثيون

كانت رائعة الجمال بحق، وتطلَّع ثيون جراجيوي إليها مفكرًا: لكن الأولى جميلة دومًا.

جاء صوت امرأة من ورائه يقول: «هكذا تكون الابتسامة المخلوة. يبدو أنها أعجبت اللورد الصغير، أليس كذلك؟».

التفت يرمُقها بنظرة فاحصة، وراقه ما رأى. من الوهلة الأولى عرف أنها حديدية الميلاد، نحيلة القوام وطويلة الساقين، وشعرها أسود قصير ويدها قويتان واثقتان، وتشوي بشرتها بتعرُّضها المستمر للرياح، بينما يتدلَّى من حزامها خنجر، ويبدو أنفها كبيرًا وحادًا بالنسبة لوجهها الصغير، وإن عوّضتها ابتسامتها عن ذلك. قدَّر أنها تكبره ببضع سنوات، لكن لا تتجاوز الخامسة والعشرين، وتتحرك كمن اعتاد على وجود سطح سفينة تحت قدميه.

قال لها: «نعم، منظرها يسرُّ الأنفس حقًا، لكنها لا تدنو من نصف جمالك». ردَّت بابتسامة واسعة: «أوهو، عليَّ أن آخذ حذري، فاللورد الصغير معسول اللسان».

- «تذوّقه واعرفني بنفسك».

قالت مسددةً إليه نظراتها الجريئة: «هكذا إذن؟». في جُزر الحديد إناث - قليل منهم - يعملن على الشفن الطويلة مع الملاحين الرجال، ويُقال إن الملح والبحر يُغيِّرُهم، ويُكسِبُناهن شهوات الذكور. «هل غبت وقتًا طويلًا في البحر أيها اللورد الصغير؟ أم أن لا نساء حيث كنت؟».

- «نساء كثيرات، لكن ولا واحدة منهن مثلك».

- «وكيف لك أن تعرفني؟».
- «عيناى تريان وجهك، وأذناى تسمعان ضحكك، وقضيبى انتصب كالسارية لمراك».
- تقدّمت المرأة وضغطت مقدّمة سراويله بيدها، ثم قالت: «لست تكذب»، واعتصرت ذكره مرّة من فوق القماش مضيفة: «أَيُولمك كثيرًا؟».
- «بعنف».
- تخلّت عنه وتراجعت قائلة: «اللورد الصّغير المسكين. الحقيقة أنى امرأة متزوّجة، وحديثه الحمل».
- «الشّكر للآلهة، فلا فرصة إذن لأن تحملي نغلاً منى».
- «وإن يكن، لن يشكرك رجلى على شيء كهذا».
- «نعم، لكن قد تشكرينى أنت».
- «ولم؟ لقد جرّبت اللوردات من قبل، ولا فارق بينهم وبين غيرهم من الرّجال».
- «وهل سبق أن جرّبت أميرًا؟ عندما يتغنّض وجهك ويشيب شعرك وترهّل ندياك إلى ما بعد بطنك، يُمكنك أن تحكي لأولاد أولادك أنك أحببت ملكًا ذات يوم».
- «أوه، أنتكلّم عن الحبّ الآن؟ وكنتُ أتصوّر أن الأمر يقتصر على الفروج والقضبان فقط».
- «أهو الحبّ ما تشتهين؟». قرّر أن هذه الفتاة -أيّا كانت- تستهويه حقًا، خصوصًا أن بديعتها الحاضرة وحسّها العالي في الدّعاية بمثابة مهرّب محبّد من كآبة پايك ورطوبتها. «هل أطلق اسمك على سفيتى الطويلة، وأعزفُ لك على القيثارة السّامية، وأسكنك عُرفة في بُرج في قلعتى، لا ترتدين فيها غير الجواهر كالأميرات في الأغاني؟».
- قالت متجاهلة الباقي: «الواجب حقًا أن تُطلق اسمي على سفيتك الطويلة، فأنا من بنيتها».
- «سيجرين سفّان السيّد والدي هو من بناها».
- «وأنا إسجريد، ابنة أمبرود وزوجة سيجرين».

لم يكن يعرف أن أمبرود أنجب بنتاً، ولا أن سيجرين تزوج... لكنه التقى السّفان الشاب مرّة واحدة فقط، أمّا العجوز فيكاد لا يذكره. قال لها: «خسارة أنتِ في سيجرين فعلاً».

- «أوهو، سيجرين قال لي إن هذه السّفينة الجميلة خسارة فيك».

قال ثيون بخشونة: «أتعرفين من أكون؟».

- «الأمير ثيون سليل عائلة جرايچوي، من غيره؟ اصدّقني القول يا

سيّدي، كم تروّك فتاتك الجديدة؟ سيّريد سيجرين أن يعرف».

كانت السّفينة الطويلة جديدة تماماً، حتى إن رائحة القار والراتنج⁽¹⁾ لا تزال

تنبعث منها. سوف يُباركها عمّه آرون غداً، لكن ثيون جاء على متن حصان

من هايك كي يُلقِي نظرة عليها قبل أن تنزل إلى البحر. إنها ليست ضخمة

كسفينة اللورد بالون «الكران العظيم»، أو «النصر الحديدي» سفينة عمّه

فيكتاريون، لكنها تبدو سريعة رشيقّة، حتى وهي مستقرّة في حوضها الخشبي

على الشاطئ. بدنها أسود رفيع طوله مئة قدم، ويرتفع منها صارٍ واحد طويل،

ومزوّدة بخمسين مجدافاً طويلاً، وسطحها يتّسع لمئة رجل... ومن المقدّمة

يُخرج الكبش الحديدي الضّخم على شكل رأس السّهم.

قال: «سيجرين أسداني خدمة عظيمة. أهي بالسرعة التي تبدو عليها؟».

- «وأسرع... لو أن ربّانها يعرف كيف يتحكّم فيها».

- «مضت سنوات منذ أبحرتُ بسفينة». ولم أكن ربّاناً على واحدة قطّ في

الحقيقة. «لكنني من آل جرايچوي، والبحر يجري في دمي».

- «ودمك سيجري في البحر لو أنك تُبحر مثلما تتكلّم».

- «لا يُمكنني أبداً أن أسيء معاملة حسناء كهذه».

قالت ضاحكة: «حسناً؟ إنها كلبة بحر».

- «ليكن، ها أنتِ قد اخترت اسمها، «كلبة البحر»».

وشتّ اللّمة في عينيها الدّاكتين بأن هذا سرّها، وقالت بنبرة تُحاكي

التّأنيب الجريح: «قلت إنك ستُطلق عليها اسمي».

(1) الراتنج مادّة عضويّة صمغيّة تُستخدم في الطلاء والفراء.

قال: «هذا ما فعلته»، والتقطَ يديها مضيقاً: «ساعديني يا سيّدي. في الأراضي الخضراء يُؤمنون بأن الجبل تجلب البخت السعيد لأيّ رجل يفتريها».

- «وماذا يعرفون عن السفن في الأراضي الخضراء؟ أو عن النساء؟ كما اني أعتقد أن هذا الكلام من تأليفك».

- «أستظّلين نُحْبِيتي إذا اعترفتُ؟».

- «أظُلُّ؟ ومتى أحْبِيتك أصلاً؟».

قال: «لم نُحْبِيتي قط، لكني أحاولُ تعريض نفسي عن هذا يا حُلوتي إسجريد. الرّيح باردة، فتعالي معي على متن سفيتي ودعيني أدفئك. غداً سيصبّ عمّي آرون مياه البحر على مقدّمها ويهمّهم بصلاةٍ ما للإله الغريق، لكني أوترُّ أن أباركها بلهني ولبنك».

- «قد يُغضب ذلك الإله الغريق».

- «فليذهب الإله الغريق إلى حيث ألقته. سوف أغرقه ثانية إذا أزعجنا.

إننا ذاهبون إلى الحرب خلال أسبوعين لا أكثر، فهل يُرضيك أن أدخل المعركة وأنا أعاني الشّهاد والاشتياق؟».

- «بكل سرور».

- «فتاة قاسية. سفيتي اسم عليّ مسمّى حقاً. إذا قادني شرودي فيك

لتحطيمها على الصُّخور، فلا تلومي إلا نفسك».

قالت إسجريد: «أتتوي قيادتها بهذا؟»، وتحسّست مقدّمة سراويله مرّة

أخرى بخفّة، وابتسمت ممرّرة إصبعها على بروز ذكره المتتصب عن آخره.

- «تعالي معي إلى پايك»، قال فجأة وهو يُفكّر: ماذا يقول اللورد بالون؟

ولماذا أبالي بما يقوله؟ إنني رجل بالغ، وإذا أردتُ أن أخذ فتاةً إلى فراشي، فهذا شأنِي وحدي.

قالت وقد ظلت يدها في مكانها: «وماذا أفعلُ في پايك؟».

- «سيقيم أبي مادبةً لربابته اللَّيلة». إنه يُقيم لهم المآدب كلّ ليلةٍ في

الحقيقة، بينما ينتظر الممتلكين عن الوصول، لكن ثيون لم يرَ داعياً لأن تعرف هي هذا.

قالت وعلى شفيتها أمكر ابتسامة رأى امرأة تبسمها على الإطلاق: «هلاً جعلتني ربّانك اللبلة يا سيّدي الأمير؟».

- «قد أفعُل، إذا تأكّدت من أنكِ تستطيعين قيادتي إلى المرفأ».

- «أعرفُ أيّ طرفيّ المجذاف يوضّع في الماء، وليست هناك من هي أربع مني في التّعامل مع الحبال والعُقد»، ويبيد واحدة حلّت أربطة سراويله، ثم ابتسمت وتراجعت مبتعدةً عنه بحركة سريعة، وأضافت: «لكني للأسف امرأة متزوّجة، وحديثه الحمل».

عادَ ثيون يربط سراويله بارتباكٍ قائلاً: «يجب أن أرجع إلى القلعة. إذا لم تأتي معي، فقد أضلّ طريقي من فرط حُزني، فتصير الجزر أفقر».

- «لا يُمكننا أن نسمح بهذا... لكني لا أملكُ حصاناً يا سيّدي».

- «تستطيعين ركوب حصان مُرافقٍ».

- «وأجعلُ مُرافقك المسكين يمشي حتى يابك؟».

- «اركبي معي إذن».

عادت الابتسامة إلى وجهها وهي تقول: «يروقك أن أفعُل، هه؟ هل أركبُ وراءك أم أمامك؟».

- «حيثما شئت».

- «أحبُّ أن أكون على القمّة».

أين كانت هذه الفتاة طيلة حياتي؟ «قاعة أبي مظلمة ورطبة، وتحتاج إسجريد لتؤجّج نارها».

- «اللورد الصّغير معسول اللّسان».

- «ألم نبدأ من هنا؟».

رفعت يديها في الهواء قائلةً: «وهنا نتهي! إسجريد لك يا أميري الجميل. خُذني إلى قلعتك، وأرني أبراجك الشّامخة ترتفع من البحر».

قال: «تركْتُ حصاني عند الخان. تعالي»، وسارا على الشّاطئ معاً، ولم تُجفل عندما تابّط ثيون ذراعها. راقته الطّريقة التي تسير بها، ملأى بالجرأة وتجمع بين المشي الهويني والتّمايل، وتشبه بأنها لا تقلّ جرأة تحت الأغطية. كانت لوردزبورت مزدحمةً على نحوٍ لم يره من قبل، تعجّج بأطقم الشّفن

الطويلة التي ارتصّت على حصى الساحل، ورست في صفوفٍ طويلة تتجاوز حائل الأمواج. لا يُبدي الحديدُيون ذلّةً أو مسكنةً ببساطةٍ أو كثيرًا، لكن ثيون لاحظَ أن البحّارة وأهل البلدة لا ذوا بالصّمت مع مرورهما، وأوفوه إيماءات الاحترام، ففكّر: أخيرًا يعلمون من أنا، وأنّ أوان أن يعلموا.

كان اللورد جودبراذر قد وصلَ من ويك الكُبرى اللَّيلة السّابقة مع قوّاته كلها، ما يقرب من أربعين سفينةً طويلة، ورجاله في كلّ مكان، يلفتون الأنظار بأوشحتهم المخطّطة المصنوعة من شعر الماعز. تردّد الكلام حول الخان عن أن سيقان عاهرات أوتر جيميني تقوّست من كثرة امتطاء الصّبية الحليقيين ذوي الأوشحة لهن. فليهنّ الصّبية بهن، فبيت البغايا الوضع هذا أشبه بمعقل للأمراض كان ثيون يأمل ألا يراه أبدًا، بينما تُناسِب رفيقته الحاليّة ذوقه أكثر، وحقيقة أنها زوجة سقّان أبيه - وحبلى كذلك - جعلتها أكثر جاذبيّة.

سألته إسجريد وهما يشقّان طريقهما إلى الاسطبل: «هل بدأ سيّدي الأمير ينتقي طاقمه؟»، ثم إنها لمحت ملاحًا طويل القامة يرتدي صُدرةً من جلد الدّبة وخوذة ذات جناحي عُذاف، فرفعت عقيرتها قائلّة له: «هوه! ذو السّن الزّرقاء، كيف حال عروسك؟».

- «بطنها متفخّ بالحمل، وتقول إنها ستلد توأمين».

قالت إسجريد بتلك الابتسامة الماكرة: «بهذه السّرعة؟ لا بُدّ أنك غمست مجذافك في الماء على الفور».

صاح الزّجل بضحكةٍ هادرة: «أجل، وجذفتُ، وجذفتُ، وجذفتُ!».

قال ثيون: «رجل كبير الحجم. اسمه ذو السّن الزّرقاء؟ هل اختاره لـ «كلبة البحر»؟».

- «فقط إذا أردت أن تُهينه، فلديه سفينة الخاصّة».

- «الحقّ أني غِبْتُ طويلًا، فلم أعد أعرفُ رجلًا من غيره». كان قد بحثَ عن بعض الأصدقاء الذين لعبَ معهم في صباه، لكنهم إمّا رحلوا أو ماتوا أو أصبحوا أغرابًا. «أعازني عمّي فيكتاريون قائد دقّته».

قالت: «رايمولف ستورمدرنك؟ إنه رجل صالح ما دامَ بوعيه»، ثم إنها

لمحت مزيدًا من الوجوه التي تعرفها، فنادت ثلاثة رجالٍ مارّين قائلّة: «أولر، كارل، سكايت، أين أخوكم؟».

أجاب الرَّجل الممتلئ الذي وخطَّ الشَّيبَ لحيته: «أخشى أن الإله الغريق احتاج مجذّفا قويًّا».

وقال الشَّاب متورّد الوجه إلى جانبه: «ما يعنيه أن إلهيس ظلّ يشرب التَّييز حتى انفجرَ بطنه السَّمين».

قالت إسجريد: «عسى الميِّت ألا يموت أبدًا».

- «عسى الميِّت ألا يموت أبدًا».

تمتَم ثيون بالكلمات معهم، ثم قال لها بعد أن ابتعدَ الرَّجال: «تبدين معروفة جدًّا».

- «كلُّ رجلٍ يُحبُّ زوجة السفَّان، وخيرٌ له أن يُحبَّها لو أنه يُريد ألا تغرق سفينته. إذا كنتِ تحتاجِ مجذفين، فهؤلاء الثلاثة أفضل من غيرهم».

- «لوردزبورث لا تفتقر لأصحاب الأذرع القويّة». كان ثيون قد فكّر مليًّا في الأمر، فهو يرغب في مُقاتلين، ولا بُدَّ أن يكونوا رجالًا موالين له هو، وليس للسَّيد والده أو أعمامه. إنه يلعب دور الأمير الشَّاب المطيع في الوقت الرَّاهن، بينما ينتظر أن يُفصح اللورد بالون عن مخططاته كاملة، لكن إذا تبَيَّن أن ثيون غير راضٍ عن تلك الخطط أو دوره فيها...

- «القوّة لا تكفي. يجب أن تتحرّك مجاذيف السفينة الطويلة معًا كمجذافٍ واحد لو أردتها أن تنطلق بكامل سرعتها. إذا كنت حكيماً، فاختر رجالاً سبق لهم التَّجذيف معًا».

- «نصيحةٌ سيّدة. ربما يُمكنك مساعدتي على اختيارهم». دَعها تعتقد أنني أنشدُ حكمتها، فهذا ما يُعجب النساء.

- «قد أفعلُ إذا عامَلتني برقّة».

- «وهل من سبيلٍ آخرٍ لمعامَلتك؟».

حَتَّ ثيون الخطي مع اقترابهما من «الميراهام» التي تتأرجح عاليةً فارغةً على الرِّصيف. كان رُبَّانها قد حاولَ الإبحار قبل أسبوعين، لكن اللورد بالون لم يسمح له، كما لم يسمح لأيٍّ من التُّجَّار الذين توقّفوا في لوردزبورث

بالمغادرة ثانية، فأبوه لا يرغب في وصول أبناء احتشاد السفن الطويلة إلى البرّ قبل أن يضرب ضربته.

ناداه الصّوت الأسيان من أعلى مقدّمة السفينة التجاريّة، وقد مالت ابنة الرّبّان على الحاجز نلتهمه بنظراتها. كان أبوها قد حرّم عليها التّزول إلى اليابسة، لكن كلما أتى ثيون إلى لوردزپورت لمحها تدرع سطح السفينة بشروء ويأس، والآن سمعها تصبح بتوشل: «سيّدي، إذا طاب لسّيدي أن...». سألته إسجريد وهو يهرع متجاوزاً الكوج: «هل طابت هي لسّيدها؟».

لم ير مغزى لادّعاء الحياء مع واحدةٍ مثلها، فقال: «فترة من الوقت، والآن تُريد أن تكون زوجتي الملحّة».

- «أوهو، سيّفيدها القليل من التّملّيح بلا شك، فهي لينة جدّاً وبلا طعم ميّز، أم أنني مخبطة؟».

- «لست مخبطة». لينة جدّاً وبلا طعم ميّز، بالضبط. كيف عرفت؟ كان قد أمر وكس بانتظاره في الخان، ووجد ثيون القاعة العامّة مكتنّظة عن آخرها، حتى إنه اضطرّ لحشر نفسه حشرًا كي يدخُل، ليرى أن لا مكان شاغرًا على الدّكّ أو الطاولات. لم يلمح مرافقه، فرفع صوته فوق الضّجيج زاعقًا: «وكس!»، وقال لنفسه حائقًا: لو أنّه مع واحدة من تلك العاهرات القذرات، فأقسم أن أسلخ جلده، قبل أن تقع عيناه على الصّبي أخيرًا، يلعب التّرد إلى جوار المستوقد... ويريح كذلك كما يشي منظر كومة العُمّلات أمامه.

أعلن ثيون: «ستُغادر الآن»، ولمّا لم يُعِره الصّبي انتباهًا، قبض على أذنه بقوة وشدّه بعيدًا عن اللّعبة، فالتقط وكس حفنة العُمّلات النّحاسيّة، وذهب معه دون أن ينبس بكلمة واحدة. صمته هذا واحد من الأشياء التي تروق ثيون فيه، فمعظم مرافقي الثّبلاء والفرسان لا يصونون ألسنتهم أبدًا، بينما ولّد وكس أبكم... وإن لم يُعقه هذا خطوة عن أن يكون أذكى من أيّ صبيّ تقليدي في الثّانية عشرة من العمر. إنه الابن غير الشرعي لأحد إخوة اللورد بونلي غير الأشقاء، وتعيينه مرافقًا لثيون كان جزءًا من الثّمن الذي دفعه لقاء حصانه.

اتّسعت عينَا وكس عندما رأى إسجريد، فقال ثيون لنفسه: كأنه لم يرَ

امرأة من قبل، وخاطب الصبي قائلاً: «إسجريد ستركب معي إلى يايك. جهّز الحصانين بسرعة».

ركب الصبي حصاناً ناحلاً صغير الحجم من اسطبل اللورد بوتلي، أمّا حصان ثيون فيختلف تمامًا. سألته إسجريد حين رأيته: «من أين أتيت بجواد الجحيم هذا؟»، لكن ضحكتهما أفصحت لثيون عن إعجابها بالذئبة.

- «اللورد بوتلي اشتراه من لانسبورت قبل عام، لكنه أثبت أنه أكثر جموحاً من أن يستطيع بوتلي ترويضه، فمرّه أن يبيعه». جُزر الحديد أصغر مساحة وأكثر امتلاءً بالضخور من أن تُتيح استيلاء وترية خيل جيّدة، ومعظم سُكّان الجُزر لا يعبأون بالركوب، ناهيك بإجادته، ويشعرون بالراحة والألفة فوق أسطح الشفن الطويلة أكثر من السروج. حتى اللوردات هنا يمتطون أحصنة صغيرة أقرب إلى المهور، أو خيولاً قزمة من هارلو، بينما تنتشر العربات التي تجرّها الثيران أكثر من تلك التي تجرّها الخيول بكثير، والعوام الأفقر من أن يمتلكوا هذه أو تلك يجزّون محاربتهم بأنفسهم على التربة الحجرية الفقيرة. غير أن ثيون أمضى عشر سنواتٍ في ويترفل، ولا ينوي الذهاب إلى الحرب دون مطيّة تصلح، وهكذا كان سوء تقدير اللورد بوتلي بمثابة حظّه الحَسَن، فمزاج هذا الفحل أكثر سواداً من جلده، وحجمه أكبر من خيول السباق لكن لا يُضاهي الجياد الحربيّة الضخمة، وبما أن ثيون ليس كبير الحجم كمعظم الفُرسان، فقد ناسبه هذا تمامًا. في عيني الحصان نار موقدة، وعندما قابل مالكة الجديد أول مرّة، كشف أسنانه وحاول أن يقضم وجهه.

سألته إسجريد وهو يمتطي الحصان: «أله اسم؟».

أجاب: «سمایلر»، ومدّ يده يُساعدُها على الصُّعود لتركب أمامه، حيث يستطيع أن يُطوّقها بذراعيه، وأردف: «عرفتُ رجلاً قال لي ذات مرّة إنني أبتسم للأسباب الخطأ».

- «وهل هذا صحيح؟».

قال: «فقط في رأي من لا يتسمون لشيء أبداً»، ووجد نفسه يُفكّر في أبيه وعمّه آرون.

- «هل تبسم الآن يا سيّدي الأمير؟».

قال ثيون: «أوه، بالتأكيد»، ومدَّ يديه حولها يلتقط العنان. إنها تكاد تُناهزه طولاً، يحتاج شعرها غسلاً، وثمة ندب وردي باهت على عُنقها الجميل، لكنه أحب رائحتها التي تتمازج فيها الملوحة والعذوبة بالأنوثة. الآن تُبشِّر رحلة العودة إلى بايك بأنها ستكون أمتع كثيراً من رحلة الذهاب.

عندما ابتعدا مسافة لا بأس بها عن لوردزپورت، رفع ثيون كفه وطوّق بها ثدي إسجريد، التي أسرعَت تُزيحها قائلة: «خيرٌ لك أن تبقى يداك على العنان، وإلا ألقانا وحشك الأسود هذا من فوقه وركلنا حتى الموت».

- «لقد قهرتُ هذه النَّزعة فيه». شاعرًا بالاستمتاع، أحسن ثيون الأدب فترةً من الوقت وثرثرَ بأسلوبٍ لطيف عن الطَّقْس (السَّماء ملبَّدة بالغيوم الرَّمادية المكفهرّة كما كانت منذ عاد، والأمطار متكرّرة)، وحكى لها عن الرِّجال الذين قتلهم في معركة الغابة الهامسة، وعندما بلغ الجزء الذي كان فيه على مرمى حجرٍ من قاتل الملك، رفع يده إلى ثديها ثانية. ثدياها صغيران، لكنه يُحبُّ اكتنازهما.

- «لست تُريد أن تفعل هذا يا سيّدي الأمير».

اعتصر ثيون الثدي قائلاً: «أوه، لكني أريدُ حقاً».

- «مُرافقتك يُراقبك».

- «دعِهِ يُراقب. إنه لن يحكي لأحدٍ أبداً، أقسمُ لك».

انترعت إسجريد أصابعه عن ثديها، وهذه المرّة ظَلَّت مُطبقةً عليها بعيداً عنها يديها القويّتين.

- «أحبُّ المرأة ذات القبضة القويّة المُحكمة».

قالت متهمّكة: «ما كنتُ لأتصوّر ذلك منذ رأيتُ تلك الفتاة على السّاحل».

- «لا تحكّمي عليّ من خلالها، فقد كانت الأنثى الوحيدة على السّفينة».

- «حدّثني عن أبيك. هل سيُرحّب بي في قلّعتي؟».

- «ولم؟ لقد رَحّب بي أنا بالكاد مع أنني لحمه ودمه، وورث بايك وجُزر

الحديد».

سألته بلهجة محايدة: «أأنت كذلك حقاً؟ يُقال إن لديك أعماماً وأخوين وأختاً».

- «أخوأي ماتا منذ زمن، أمّا أختي... يقولون إن ثوب آشا المفضّل عبارة عن قميص طويل من الحلقات المعدنيّة يتجاوز رُكبتها، بينما ترتدي تحته ثياباً داخليّة من الجلد المقوّى، لكن ثياب الرّجال لن تصنع منها رجلاً. سأرتّب لها زيجة تحالفية مناسبة عقب فوزنا بالحرب، لو وجدتُ رجلاً يرضى بها. كما أذكرُ، فأنفها معقوف كمنقار النّسر، ووجهها مليء بالبثور المتفخخة، ولا فارق بين صدرها وصدر الصّبيان».

قالت إسجيريد: «يُمكنك أن تُزوِّج أختك، لكن ماذا عن أعمامك؟».

- «أعمامي...». الواقع أن ثيون يسبق إخوة أبيه الثلاثة في أحقيّة الخلافة، لكن المرأة ضربت وترا حسّاساً على الرغم من هذا، فليست حادثة نادرة في جُزر الحديد أن يُجرّد عمّ أو خالٌ قويّ ابن أخيه أو أخته من حقوقه، وعادةً ما يَقتله كذلك. لكنني لستُ ضعيفاً، وأنوي أن أكون أقوى وأقوى إلى أن تحين ساعة أبي. «أعمامي لا يُشكّلون تهديداً لي. آرون سكران بماء البحر والورع، ويحيا من أجل إلهه فقط».

- «إلهه وليس إلهك؟».

- «والهي كذلك. عسى الميّت ألا يموت أبداً»، وابتسم ابتسامة خفيفة وأكمل: «إذا تظاهرتُ بالتّقوى والتدين، سيدعني ذو الشّعر الرّطب وشأني، وبالنسبة لعمّي فيكتاريون...».

- «حضرة قائد الأسطول الحديدي والمحارب المغوار. سمعتمهم يُعَنّون عنه في الحانات».

- «أثناء ثورة أبي، أبحرَ إلى لانسبورت مع عمّي يورون وأحرقَ أسطول لانستر في مرساه، لكن يورون هو من وضع الخطّة. فيكتاريون كالعجل الضّخم المعجوز، قوي ومخلص ولا يكلُّ، لكنه لن يفوز في أيّ سباق. لا ريب أنه سيخدمني بولاءٍ كما خدم أبي، فهو لا يتمنّع بذكاءٍ أو طموحٍ يُحوّلان له إضمار المكائد».

- «لكن يورون عين الغراب لا ينقصه الذَّهَاء. سمعتُ حكاياتٍ رهيبة تُروى عنه».

اعتدل ثيون فوق سرجه، وقال: «لم يظهر عمِّي يورون في الجزر منذ ما يقرب من عامين. قد يكون ميتًا». ولو أنه ماتَ حقًا فقد يكون هذا خيرًا، فأخو اللورد بالون الأكبر لم يتخلَّ قطُّ عن «النَّهَج القديم» ولو يومًا واحدًا، ويُقال إن سُمعة سفينته «الصَّمَت» بأشرعتها السوداء وبدنها الأحمر القاني سيئة في كلِّ المواني من إيبين إلى آشاي.

قالت إسجريد: «قد يكون ميتًا، وإذا كان حيًّا فقد أمضى وقتًا طويلًا في البحر على كلِّ حال، وسيبدو هنا أقرب إلى الغُرباء. الحديدِيُّون لن يُجلسوا غريبًا على كرسي حجر اليمِّ أبدًا».

ردَّ ثيون: «أعتقدُ هذا»، قبل أن يخطر له أن البعض يُمكنهم وصفه بالغريب بدوره، وجعله الخاطر يُقَطِّب وجهه عابسًا. عشرة أعوام زمن طويل، لكني رجعتُ، وأبي لن يموت قريبًا. لديَّ وقت يكفي لإثبات نفسي.

فكَّر في مداعبة ثدي إسجريد ثانية، لكنها سترجح يده غالبًا، كما أن الكلام عن أعمامه تبطُّ فورته إلى حدِّ ما. سيجد وقتًا كافيًا للعب بعدما يعود إلى خصوصية مسكنه في القلعة. قال لها: «سأكلُّم هيليا عندما نَبْلُغ بايك، وأحرصُ على أن تجلسي في مكان شرفٍ في المأدبة. عليَّ أن أجلس على المنصة إلى يمين أبي، لكنني سأنزُلُ وأنضمُّ إليك عندما يُغادر القاعة. نادرًا ما يبقى وقتًا طويلًا هناك، فمعدته لا تحتمل الشراب هذه الأيام».

- «شيء حزين أن يشيخ العُظماء».

- «اللورد بالون ليس أكثر من أبٍ لرجلٍ عظيم».

- «لورد صغير متواضع أنت».

ردَّ: «فقط الأحقق يذللُ والعالم يعجُّ بمن يُمكنهم أن يفعلوا هذا بدلًا منه»، ولثم مؤخره عنقها بخفة.

مدَّت يدها إلى الخلف دافعةً وجهه، وقالت: «ماذا سأرتدي لهذه المأدبة العظيمة؟».

- «سأطلب من هيليا أن تجد لك ثيابًا. قد يصلح لك واحد من فساتين السيدة والدتي. لقد رحلت إلى هارلو، وليس من المتوقع أن تعود».

- «سمعتُ أن الرياح الباردة استترقتُ قواها. ألن تذهب لزيارتها؟ هارلو تبعد يومًا واحدًا، ومؤكد أن الليدي جرايجوي تتوق لرؤية ابنتها مرةً أخيرة».

- «ليتنى أستطيع، لكنني كثير الأشغال هنا، وأبي يعتمد عليّ بما أني عدتُ. عندما يحل السّلام ربما...».

- «قد يمنحها ذهابك إليها السّلام».

قال متذمّرًا: «تكلمين كامرأة الآن».

- «أعترفُ أنني كذلك... وحديث الحمل».

بشكل ما أثارته الفكرة، فقال: «هذا ما تقولين، لكن جسدك يشي بالعكس، فكيف تُبئين صحّة كلامكِ؟ قبل أن أصدّقكِ، عليّ أن أرى ثدياك ينضجان وأتذوّق لبنكِ».

- «وماذا سيقول زوجي عن هذا؟ إنه رجل وخدام أبيض المخلص».

- «سنجعله يني سَفَنًا كثيرةً للغاية، فلن يُلاحظ أنك تركته».

قالت ضاحكةً: «اللورد الصّغير الذي أسرني قاس بحق. إذا وعدتكَ أنك ستُشاهد صغيري يرضع ذات يوم، فهل ستحكي لي المزيد عن حربك يا ثيون يا سليل عائلة جرايجوي؟ ما زالت أمامنا جبال وأميال، وأريدُ أن أسمع عن ذلك الملك الذّئب الذي كنت تخدمه، والأسود الذّهيّة التي يُقاتلها».

متلهفًا على إرضائها، انصاع ثيون، ومضى الجزء الباقي من الرّحلة سريعًا وهو يملأ رأسها الجميل بحكاياتٍ عن ويترفل والحرب، حتى إن بعض الأشياء التي قالها أدهشته هو نفسه. الكلام معها سهل حقًا، باركتها الآلهة. أشعرُ كأنني أعرفها منذ سنين. لو أن لعبها في الشّرب يبلغ نصف فطتها، فعليّ أن أحفظ بها... فُكر في سيجرين السّفان، الرّجل ثخين الجسد والعقل، الذي بدأ شعره الكتّاني ينحسر عن جبهته ذات البثور، وهزّ رأسه قائلاً لنفسه: خسارة، خسارة فاجعة حقيقةً.

لم يبدُ أن وقتًا مرَّ على الإطلاق قبل أن يلوح سور پايك الواقى العظيم أمامهما.

كانت البوابات مفتوحة، فهمز ثيون حصانه سمايلر بقوة ليتقدم مسرعاً، وفي الداخل نبحت الكلاب بضراوة بينما ساعد إسجريد على الترحّل، واندفعت مجموعة كبيرة منها نحوهما بذيول تتراقص، وتجاوزته فافزة على المرأة وحولها حتى كادت تسقط، وأخذت تلحقها نابحة بسعادة. زعق ثيون أمراً الكلاب بالابتعاد وهو يسدّ ركلة غير مؤثرة لكلبة بيّنة كبيرة الحجم، لكن إسجريد كانت تضحك وتندحرج وسطها.

جاء عامل اسطبل يجري وراء الكلاب، فقال له ثيون: «خذ الحصان، وأبعد هذه الكلاب اللعينة...»، لكن الأحمق لم يتبه له، وعلى وجهه ارتسمت ابتسامة ملأت شديقه وكشفت أسنانه المتباعدة وهو يقول: «ليدي آشا، لقد عُدت».

قالت: «ليلة أمس. أبحرث من ويك القديمة مع اللورد جودبراذر، وبث في الخان. أخي الصّغير كان كريماً وسمح لي بالركوب معه من لوردزبورت»، وقبّلت أحد الكلاب على أنفه ورفعت وجهها إلى ثيون بابتسامة واسعة.

كلّ ما كان في وسعه لحظتها هو الوقوف والتّحديق فيها مبهوئاً. آشا لا. مستحيل أن تكون آشا. أدرك فجأة أن هناك اثنتين منها في مخيلته؛ إحداهما الفتاة الصّغيرة التي عرفها قديماً، والثانية يتخيّل بشكل مبهم أنها تُشبه أمها، لكن لا هذه ولا تلك تُشبه هذه الـ... الـ... الـ...

قالت وهي تُصارع كلباً: «البشور راحت عندما كبر الثّديان، لكنني احتفظتُ بمنقار النّسر».

استطاع ثيون أن ينطق أخيراً، فقال ضاعطاً على كلماته: «لماذا لم تُخبريني؟».

تركت آشا كلب الصّيد واعتدلت مجيبة: «أردت أن أعرف من تكون أولاً، وقد فعلت»، ويسخرية انحنت نصف انحناء مضيئة: «والآن يا أخي الصّغير، اسمح لي بالانصراف، فعليّ أن أستحمّ وأبدّل ثيابي للمأدبة. تُرى أما زلتُ أملك الثّوب المعدني الذي أحبّ ارتدائه فوق الثّياب الدّاخليّة الجلد؟»، ومنحته البسمة الشرّيرة مجدّداً، وقطعت الجسر بتلك المشية التي أحبّها، الثّمايل الممتزج بالسّير المتهادي.

ابتسامه ساخرة كانت تحتل وجهه وكس حين التفّت ثيون إليه، فهو على صُدغ الصّبي بضربة قاتلاً: «هذه لاستمتاعك الشّديد بالمشهد»، ثم بضربة ثانية أقوى وهو يواصل: «وهذه لعدم تحذيري. فليَنُكْ لك لسان المرأة القادمة». لم يشعُر بيرودة مماثلة في مسكنه في الحصن الكبير قط، مع أن الخدم كانوا قد تركوا مستوقفاً مشتعلًا. طوّح ثيون حذاءه عن قدميه، وترك المعطف يسقط أرضاً، وصَبَّ لنفسه كأساً من الثّيبذ وهو يتذكّر فتاة خرقاء ذات رُكبتين مرضوضتين ووجه مليء بالبثور. قال لنفسه مغضباً: لقد حلّت سراويلي، وقالت... يا للآلهة، وقلتُ أنا... أطلقْ أنيناً ساخطاً. لقد جعل من نفسه أكبر أحقق في العالم. ثم إنه وجد نفسه تردُّ قائلة: كلا، بل هي التي جعلتني أبدو كالأحمق. لا بُدَّ أن الشريرة الحقيمة استمتعت بكل لحظة... والطريقة التي ظَلَّتْ تتمدُّ بها يدها على قضيب...

حمل كأسه إلى الكرسي المجاور للتأفذة، حيث جلس يشرب ويتفرّج على البحر بينما تُظلم السّماء فوق بايك. ليس لي مكان هنا، والسبب آشاء، فليأخذها «الآخرون»! استحال لون المياه في الأسفل من الأخضر إلى الرّمادي إلى الأسود، ووقتها كانت الموسيقى الخافتة تترامى إلى مسامعه من بعيدٍ بالفعل، فعرف أن الوقت حان لتبديل ثيابه للمأدبة.

اختار ثيون حذاءً تقليدياً وملابس لا يُعَيَّرُها شيء، كلها درجات داكنة من الأسود والرّمادي تتماشى مع مزاجه الحالي، ولم يضع أيّ حُلِيٍّ أو زينة، فهو لا يملك شيئاً دفع فيه الثّمن الحديدي. كنت لأخذ شيئاً من جَنَّةِ الهمجي الذي قتله لإنقاذ بران ستارك، لكنه لم يملك شيئاً يستحقُّ الأخذ. حظي الملعون أنني أقتل المعدمين.

وجد القاعة الطويلة مليئةً بالدُّخان ولوردات وريابنة أبيه عندما دخل. كان عددهم يدنو من الأربعمئة، وإن لم يرجع داجمر ذو الفك المفلوق من ويك القديمة بعدُ مع رجال عائلتي دروم وستونهاوس، لكن البقية كلهم موجودون؛ رجال هارلو من هارلو، ورجال بلاكتايد من بلاكتايد، ورجال سبار ومرلين وجودبراذر من ويك الكبرى، ورجال سولتكليف وساندرلي من سولتكليف، ورجال بوتلي ووينش من النّاحية الأخرى من بايك. كان

الخدم يصبُّون المِزر في الأقداح، ولعبَ العازفون على الكمنجات والقرب والطبول، بينما اشترك ثلاثة رجالٍ ضخام الجثة في رقصة الأصابع، يقذفون بلطات قصيرة المقابض نحو بعضهم بعضًا، بهدف إمساك البلطة أو الوثوب فوقها دون تعثر؛ ويُسمُّونها رقصة الأصابع لأنها تنتهي عادةً بأن يفقد أحد الرَّاقصين إصبعًا... أو اثنين... أو الخمسة.

لم يتبه الرَّاقصون أو الشَّاريون كثيرًا لثيون جرايچوي الذي قطع القاعة بخطواتٍ واسعة نحو المنصة. كان اللورد بالون يحتل كرسي حجر اليم، المنحوت على شكل كراكن عظيم من قالبٍ ضخَم من الحجر الزُّيتي الأسود. تقول الأسطورة إن البشر الأوائل وجدوه على ساحل ويك القديمة عندما أتوا إلى جُزر الحديد. إلى يسار الكرسي العالي جلسَ عمَّا ثيون، بينما استقرَّت آشا عند يد أبيهما اليمنى في مكان الشرف.

قال اللورد بالون: «تأخَّرت يا ثيون».

ردَّ ثيون: «تقبَّل اعتذاري»، وجلسَ في المقعد الشَّاعر المجاور لآشا، ومالَ على أذنها هاممًا بصوتٍ كالضحج: «أنتِ في مكاني».

التفتَ إليه بعينين برييتين قائلةً: «لا يُدُّ أنك مخطئ يا أخي، فمكانك في ويترفل»، وأضافت بابتسامة ماضية كسكين: «وأيْن ثيابك الفاخرة؟ سمعتُ أنك تُحبُّ ملمس الحرير والقטיפه على بشرتك». كانت ترتدي ثوبًا من الصُّوف الأخضر النَّاعم، بسيط التَّفصيل ويتمسَّك بخطوط جسدها النَّاحل.

ردَّ عليها: «لا بُدَّ أن الصَّدأ أصابَ قميصك المعدني يا أختاه. خسارة، أردتُ أن أراك ترتدين الحديد».

ضحكت آشا قائلةً: «قد تفعل يا أخي الصَّغير... إذا كنت تعتقد أن كلبتك تستطيع مجازاة سفيتي «الرَّيح السوداء». اقترَب أحد خدم أبيهما حاملاً إبريقًا من النَّبيذ، فسألته: «أترغب في احتساء المِزر أم النَّبيذ اللَّيلة يا ثيون؟»، ومالت عليه متابعه: «أم ما زلت تُريد تذوِّق لبني؟».

احتقنَ وجهه، وقال للخادم: «نبيذ»، فالتفتَ آشا عنه ودقَّت على المائدة طالبة المِزر.

قسمَ ثيون رغيفًا من الخُبز إلى نصفين، وفرَّغه صانعًا طبقًا، ثم استدعى

خادمًا يملأه بيخنة السمك. أصابته رائحة القشدة الشخينة بشيء من الغثيان، لكنه أرغم نفسه على أن يتناول القليل، فقد شرب من الخمر ما يكفي وجبتين كاملتين. إذا تقيأت، سأثقيأ عليها. سأل أخته: «هل يعرف أبونا أنك تزوجت سقانه؟».

هزت كتفها مجيبة: «سيجرين نفسه لا يعرف. إسجيريد كان اسم أول سفينة بناها، وسماها على اسم أمه. أجد صعوبة حقًا في معرفة من منهما يُحبُّ أكثر».

- «كل كلمة قلتها لي كانت كذبًا».

بالابتسامة الواسعة إياها قالت آشا: «ليس كل كلمة. أتذكر عندما قلت لك إنني أحبُّ أن أكون على القمة؟».

أجج هذا غضبته أكثر، فقال: «كل ذلك الكلام عن كونك امرأة متزوجة وتحملين طفلًا...».

قالت آشا: «أوه، هذا الجزء حقيقي»، وانفضت واقفة ورفعت يدها وصاحت في واحد من راقصي الأصابع: «روفل، هنا!»، فرآها الرجل ودار على عقبه، وفجأة جاءت البلطة تشقُّ الهواء، يلعب نصلها وهو يدور ويدور في ضوء المشاعل، ولم يجد ثيون وقتًا إلا لإطلاق شهقة مختنقة، قبل أن تختطف آشا البلطة في الهواء وتغرسها في المائدة، قاسمة طبقه المرتجل إلى نصفين وناثرة الطعام على معطفه. «ها هو السيد زوجي...»، قالت أخته، ودست يدها في ثوبها وسحبت خنجرًا من بين ثديها، وأكملت: «... وهذا طفلي الرضيع».

لا يتخيّل كيف بدا في تلك اللحظة، لكن ثيون جرابيچوي أدرك فجأة أن القاعة الكبرى تهدر بالضحك... بالضحك منه هو. حتى أبوه كان مبتسمًا، على الآلهة اللعنة، بينما فهقه عثه فيكتاريون بصوت عالٍ. أفضل ردّة فعل استطاع استحضارها لحظتها كانت أن تختلج ابتسامة صغيرة على شفتيه، بينما في قرارة نفسه قال: سري من يضحك عندما ينتهي كل هذا أيتها الحقيرة.

انترعت آشا البلطة من المائدة، وعادت تلقّيها إلى الرّاقصين على خلفيّة من الصّفير والتّهليل الصّاحب، ثم التفتت إليه قائلة: «خير لك أن تُصغي لما

فُلْتَهُ لَكَ عَنْ اخْتِيَار طاقمك»، ثم عرضَ خادَم عليهما طبقًا، فغرسَت خنجرُها في سمكةٍ مملّحةٍ وأكلتها من على طرفه، وتابعت: «لو أنك كَلَّفت نفسك تعلم أي شيء عن سيجرين، فلم أكن لأستطيع خداعك أبدًا. قضيت عشرة أعوام ذئبًا، ثم تحسب أنك تستطيع أن تجوب الجُزر مختلفًا كأمرير، بينما لا تعرف شيئًا أو أحدًا هنا. ما الذي يحثُ الرجال على القتال والموت من أجلك؟».

أجاب ثيون بجمود: «أنا أميرهم شرعًا وقانونًا».

- «وفقًا لقوانين الأراضي الخضراء ربما، لكننا نستنُّ قوانيننا الخاصَّة ها هنا، أم أنك نسيت؟».

بوجهٍ مريد التفت ثيون إلى الطَّبَق الذي تسيل منه اليخنة فتقرب من حجره بسرعة، فزَعَقَ في أحد الخدم أن يُنظِّف المائدة. انتظرتُ نصف حياتي أن أعود إلى الوطن، فمن أجل ماذا؟ السُّخْرية والاستخفاف؟ لم تكن هذه بايك التي يتذكَّرها. لكن هل يتذكَّرها حقًّا؟ لقد كان صغيرًا عندما أخذوه رهينة.

كانت المأدبة متواضعةً جدًّا، لم تتوالَ فيها غير أطباق يخبز السَّمَك والخُبز الأسمر ولحم الماعز غير المتبل، وألذ شيء استطاع ثيون أن يأكله كان فطيرة بصل، لكن المِزر والتَّيِّد ظلَّا يتدفَّقان طويلًا بعد رفع أطباق الطَّعام.

نهَضَ اللورد بالون جرايچوي من كرسي حجر اليم، وقال أمرًا لمن شاركوه المنصَّة: «افرغوا من شرابكم والحقوا بي في عُرفي، فلدينا خطط علينا وضعها»، وتركهم بلا كلمةٍ أخرى وقد أحاط به اثنان من حُرَّاسه من الجانبين، ثم نهَضَ أخواه يتبعانه بعد مدَّة قصيرة، ونهَضَ ثيون ليلحق بهما.

قالت آشا: «أخي الصَّغير متلهِّف على المغادرة»، ورفعت بوق الشَّراب وأشارت طالبةً مزيدًا من المِزر.

- «السَّيِّد والدنا ينتظر».

- «إنه ينتظر منذ سنواتٍ طويلة، فلن يضِرَّه أن ينتظر فترةً أطول قليلًا... لكن إذا كنت تخشى غضبته، فاجر وراءه طبعًا، ولن تجد مشكلةً في اللِّحاق بعمِّينا»، وابتسمت مضيفةً: «فأحدهما سكران بماء البحر، والآخر عجل ضخم عجوز سيضلُّ الطريق من فرط غبائه».

عاد ثيون يجلس، وقال بضيق: «لا أجري وراء أي رجل».

- «لكن وراء كل امرأة؟».

- «ليس أنا من أمسك قضيبك».

- «ليس لدي قضيب، أنسيت؟ لكنك أسرعت بأمساك كل جزء آخر مني».

شعرَ بالدماء تصعد إلى وجهه وهو يقول: «أنا رجل ولدي شهوات الرجال، فأني مخلوق شاذ أنت؟».

قالت آشا: «مجرد فتاة خجول»، واندفعت يدها كالسهم تعتصر قضيبه تحت المائدة، فكاد ثيون يشب من مقعده، فقالت له: «ماذا؟ ألا تُريدني أن أقودك إلى الشاطئ يا أخي؟».

قال ثيون بحزم: «لا زواج لك. أعتقد أنني سأرسلك للالتحاق بالأخوات الصّامات عندما أحكم»، ونهض بحركة حادة وتحرك بلا ثبات تابعا أباه.

كان المطر يسقط لما بلغ الجسر المتأرجح الذي يقود إلى بُرج البحر، ومعدته تتقلب كالأمواج في الأسفل وقد جعل التبيذ حركته مضطربة. ضغط ثيون على أسنانه وقبض على الحبل بإحكام وهو يعبر متظاهرا بأنه يقبض على عُق آشا.

غرفة أبيه الشمسية كانت رطبة وتسري فيها تيارات الهواء الباردة كالعادة، وجلس أبوه أمام المدفأة مدفونا تحت ثوبه الضخم المصنوع من جلد الفقمة، بينما جلس أخواه على جانبيه. كان فيكتاريون يتكلم عن حركة المد والجزر والرياح عندما دخل ثيون، لكن اللورد بالون أشار له بالصمت، وقال: «لقد وضعت خططي، وحان الوقت لأن تسمعوها».

- «لدي بعض الاقتراحات...».

قاطعه أبوه: «سأطلب نصيحتك عندما أحتاجها. جاءنا طائر من ويك القديمة، داجمر سيعود معه رجال دروم وستونهاوس، وإذا أنعم الإله علينا بريح مواتية، سيجر عندما يصلون... أو سيجر أنت بالأحرى. أريدك أن تضرب الضربة الأولى يا ثيون، لذا ستفقد ثمانين سفن طويلة شمالا...».

قال وقد احتقن وجهه: «ثمانين سفن؟ وما الذي يُمكنني تحقيقه بثمانين سفن طويلة؟».

- «ستداهم الساحل الحجري وتغير على قري الصيد وتغرق أي سفينة

تُصادِفك، وقد تستدرج بعضًا من لوردات الشَّمال من وراء أسوارهم الحجرية. سيصبحك آرون، وداجر ذو الفك المفلوق». قال الرَّاهب: «بارك الإله الغريق في سيوفنا».

أحسَّ ثيون كأنه صُفِعَ على وجهه. سيُرسله أبوه ليقوم بعمل مُغير تقليدي، يُحرق بيوت الصيَّادين ويغتصب بناتهم القبيحات، ومع ذلك لا يبدو أن اللورد بالون يثق بمقدرته على القيام بهذا القدر الضئيل حتى. سيُجىء بما فيه الكفاية أن يتحمَّل توبيخ وتعنيف ذي الشعر الرطب، وفي وجود داجر ذي الفك المفلوق كذلك، فإنه لن يتولَّى سوى الحدِّ الأدنى من القيادة.

واصلَ اللورد بالون: «أشأ يا ابنتي»، فلاحظَ ثيون أن أخته انسلَّت إلى المكان بصمت. «ستقودين ثلاثين سفينةً طويلةً عليها نخبةٌ منتقاة من الرِّجال حول «رأس التَّنين البحري»، ثم ترسين على السَّاحل الموحل شمال «ربوة الغابة». ازحفي بسرعة، وقد تسقط القلعة قبل أن يُدركوا أنكم تُهاجموهم». ابتسمتَ أشأ كقطعةٍ تلتذذ بوعاءٍ من بالقشدة، وقالت بعذوبة: «لطالما أردتُ قلعةً».

- «خُذِهَا إِذْن».

اضطرَّ ثيون لأن يحبس لسانه. «ربوة الغابة» معقل عائلة جلوفر، وفي غياب روبيت وجالبارت في الحرب جنوبيًا، فلا بُدَّ أن دفاعاتها ضعيفة، وبمجرَّد أن تسقط القلعة، سيكون الرِّجال الحديديُّون قد أمَّنوا قاعدةً لهم في قلب الشَّمال. من المفترض أن يُرسلني أنا إلى «ربوة الغابة». إنه يعرفها جيّدًا، وزار آل جلوفر هناك مرارًا مع إدارد ستارك.

خاطبَ اللورد بالون أخاه قائلاً: «فيكتاريون، الحِمل الأكبر يقع عليك أنت. عندما يضرب ولداي ضربتهما، فلا بُدَّ أن ويتربَّل سترُدُّ، لكنك ستجد مقاومةً محدودةً أثناء ملاحتك في خليج «الرُّمَح الملحي» والتَّهر المحموم. عندما تَبْلُغ منبع التَّهر، ستفصلك عشرون ميلاً لا أكثر عن خندق كايلن. «العُنق» مفتاح المملكة، ونحن نُسَيِّط على البحر من العَرَب بالفعل، وبمجرَّد أن نستحوذ على «الخندق»، فلن نستطيع الجرو الانسحاب شمالاً... وإذا كان بالحماقة الكافية لأن يُحاول، سيُعَلِّق أعداؤه طرف الطريق الجنوبي

وراءه، وسيجد روب الصَّبِي نفسه حبيسًا كجُرْذٍ في زجاجة». لم يقدر ثيون على الصَّمْت أكثر، فقال: «خطئة جريئة يا أبي، لكن اللوردات في قلاعهم...».

ضحَدَ اللورد بالون رأيه في الحال قائلاً: «اللوردات ذهبوا جنوبًا مع الجرو، ولم يتبقَّ غير المسنَّين والجُنَّاء والصَّبِيَّة الخُضر. سوف يستسلمون أو يَسْقُطون واحدًا تلو الآخر. قد تتحدَّانا وينترفل عامًا، لكن ماذا في هذا؟ بقيَّة السُّمَال ستكون ملكنا، الغابات والحقول والأبهاء، وسنجعل سُكَّانه خدمنا وزوجاتنا الملحِّيَّات».

رفعَ آرون ذو الشَّعر الرَّطب يديه هاتفاً: «وستفيض مياه الغضب وترتفع عاليًا، ويفرض الإله الغريق سُلْطانه على الأراضي الخضراء!». قال فيكتاريون بوقار: «عسى الميِّت ألا يموت أبدًا»، فردَّد اللورد بالون وآسا الكلمات، ولم يجد ثيون خيارًا غير التَّمَتُّة بها معهما. وهكذا قُضِيَ الأمر.

في الخارج كانت الأمطار تنهال بغزارةٍ عن ذي قبل، وتلَوَّى الجسر المصنوع من الحبال وتمعَّج تحت قدميه، فتوقَّف ثيون جرابٍجوي في منتصفه وتأمل الصُّخور في الأسفل. هدرت الأمواج المتكسِّرة بعُنف، وشعرَ بمذاق الرِّذاذ المالح على شفتيه، ثم هبَّت الرِّيح فجأةً جاعلةً إياه يفقد توازنه ويسْقُط، فعادَ ينهض متعثراً.

وساعدته آسا على الثَّهْوُض قائلةً: «لا نَحْتَمِل الشُّرب كثيرًا كذلك يا أخي».

اتَّكَأ ثيون على كتفها وتركَّها تقوده فوق ألواح الخشب الرَّلَقة، وقال لها بلهجةٍ فاترة: «كنتِ تروقيني أكثر وأنتِ إسجريد». فضحكت وردَّت: «هذا عادل، لأنك كنت تروقيني أكثر وأنتِ في النَّاسعة».



تيريون

تسلَّلت أنغام القيثارة السَّامية عبر الباب ممتزجةً بصوت المزممار الرَّاجف،
بينما كتَمَّت الجدران السَّميكة صوت المغنِّي، لكن تيريون تعرَّف المقطع
الذي يشدو به، واستعادَه في قرارة نفسه: عشقْتُ بنتاً بهيَّةً كالصَّيف، في
شعرها نور الشَّمس...

كان السير مرين ترانت يحُرِّس باب الملكة اللَّيلة، وعندما تمتَم: «سيَّدي»،
كان لبرته وقَّع عُذواني بعض الشَّيء على أذني تيريون، لكنه فتح الباب على
الرغم من هذا، فتوقَّفت أغنيَّة «مواسم حبيبي» فجأةً وهو يدلف إلى عُرفة نوم
أخته.

وجدَ سرسي مضطجعةً على كومةٍ من الوسائد، حافية القدمين وشعرها
الذهبي منفوش بأناقة، وقد برقَ ثوبها المفصَّل من السَّميت الأخضر
المقصبَّب بالذهبي في ضوء الشُّموع وهي ترفع عينها إليه، فقال: «شقيقتي
العزيزة، تبدين رائعة الجمال اللَّيلة»، والتفت إلى المغنِّي مضيقاً: «وأنت أيضاً
يا ابن العم. لم أكن أعرف أنك تتمتع بهذا الصَّوت الرَّخيم».

حدَّت المعاملة بالسير لانسل إلى العبوس، ربما لأنه حسبَ أنه يتعرَّض
للمشخريَّة. بدا لتيريون أن طول الصَّبي زاد ثلاث بوصاتٍ منذ تنصيبه فارساً.
للانسل شعر كثيف بلون الرَّمَل، وعينا عاتلة لانستر الخضراوان، وخَط من
الرَّغب الأشقر فوق شفته العليا، وفي سنِّ السادسة عشر عليه لعنة الثَّقة التَّامة
التي تُصيب الشَّباب كافَّة، ولا يختمر في نفسه أدنى قدر من حسِّ الدُّعابة أو
السُّك في الذات، كما أنه غارق حتى النُّخاع في عجرفة وخيلاء من يُولَدون

شُقراً أقوياء وسمي الملامح؛ ومن ثم جعلته ترفيته الأخيرة أسوأ وأسوأ. قال الصبي بلهجة أنوف: «هل استدعتك جلاتها؟».

أجاب تيريون: «ليس حسبما أذكر. يُؤسفني أن أقطع عليك مرحك يا لانسل، لكن هناك موضوعات مهمة أناقشها مع أختي».

رمقته سرسي بريبة قائلة: «لو أنك هنا من أجل أولئك الإخوة الشحاذين يا تيريون، فوفر على نفسك تأنيبي، فلن أسمح لهم بنشر كلام الخونة القذر هذا في الشوارع. يُمكنهم أن يعطوا بعضهم بعضاً في الزنازين».

أضاف لانسل: «وليعتبروا أنفسهم محظوظين لأن ملكتنا بهذه الرأفة، إذ كنت لأقطع ألسنتهم».

قالت سرسي: «أحدهم تجاسر على القول بأن الآلهة تُعاقبنا لأن چايبي اغتال الملك الشرعي. لا يُمكن السماح بهذا يا تيريون. لقد أعطيتك فرصة كافية للتعامل مع هؤلاء الحثالة، لكنك لم تفعل شيئاً، ولا رجلك السير چاسلين، فأمرت فايلار بأن يتولى الأمر».

- «وقد فعل». كان استياء عارم قد أصاب تيريون عندما جَرَّ ذوو المعاطف الحمراء نصف دسنة من الأنبياء الذين يُكذِّرون السِّلَم العام إلى الزنازين دون استشارته، لكنهم ليسوا بالأهميّة التي تجعله يتصارع مع أخته من أجلهم. «لا شك أن من الخير لنا جميعاً أن يسود الهدوء الشوارع بعض الشيء، لكني لم آت لهذا السَّبب، فلديّ أنباء أعرف أنك ترغيبين في سماعها يا شقيقتي العزيزة، لكن من الأفضل الكلام عنها على انفراد».

ردّت: «ليكن»، فأنحى عازفا القيثارة والمزمار وأسرعا بالمغادرة، بينما طبعت سرسي قبلة خفيفة على خد ابن عمّها، وقالت له: «اتركنا الآن يا لانسل. أخي عديم الأذى وهو وحده. لو كان قد أحضر حيواناته المدلّلة، لكننا قد شَمَمنا رائحتها».

حدج الفارس الشاب ابن عمّه بنظرة نارية، وصفق الباب وراءه بغضب، ثم قال تيريون بعد أن غادر: «أريدك أن تعرفي أنني أجعلُ شاجا يستحمّ مرّة كل أسبوعين!».

- «أنت في مزاج رائق للغاية، أليس كذلك؟ ما السَّبب؟».

قال تيريون: «ولم لا؟». طيلة الليل والنهار تدق المطارق في شارع الحديد، لتستطيل السلسلة الهائلة أكثر وأكثر. وثب إلى الفراش الكبير المغطى بالسَّاتر قائلًا: «أهذا هو الفراش الذي مات فيه روبرت؟ يدهشني أنك احتفظت به».

أجابَت: «النوم فيه يجعلني أرى أحلامًا حلوة. والآن أفرغ ما لديك من كلام وانصرف إلى حال سبيلك أيها العفريت».

ابتسم تيريون وقال: «اللورد ستانيس أبحر من دراجونستون». انتفضت ناهضة وصاحت: «وتجلس هنا مبتسمًا كيقطينة في عيد الحصاد؟ هل استدعى بايووتر حرس المدينة؟ يجب أن نرسل طائرًا إلى هارنغال على الفور». كان تيريون يضحك، فأطبقت على كتفيه وهزته قائلة: «كفَّ عن هذا. أنت مجنون أم سكران. كفَّ عن هذا!».

بصعوبة استطاع استجماع الكلمات، وقال لاهثًا: «لا أستطيع... الموقف... طريف للغاية بحق الآلهة... ستانيس...».

- «ماذا؟!» -

- «إنه لم يُبحر ضدنا. لقد حاصر ستورمز إند، ورنلي في الطريق إليه». انغرس أظفار أخته في ذراعيه على نحو مؤلم، ومرّت لحظات ظلمت ترمقه فيها غير مصدقة، كأنه رطن شيئًا ما بلغة غير مفهومة، ثم إنها قالت: «ستانيس ورنلي يتقاتلان؟»، وعندما أومأ برأسه إيجابًا بدأت سرسي تُقهقه، وقالت متقطعة الأنفاس: «يا للآلهة، بدأت أعتقد أن روبرت كان أذكي إخوته».

ألقى تيريون رأسه إلى الوراء وانفجر ضاحكًا، واشترك الاثنان في الضحك، قبل أن ترفعه سرسي من على السرير وتدور به في هواء الغرفة، بل وتعاينه لحظة كذلك بحبور فتاة صغيرة، ولمّا تخلّت عنه أخيرًا كان تيريون يلهث شاعرًا بالدُّوار، فتحرك متميلاً صوب الخوان وأسند يده عليه ليثبت نفسه.

- «هل تعتقد أن الحرب ستشب بينهما حقًا؟ إذا استطاعا التوصل إلى اتفاقٍ ما...».

- «لن يَحْدُث. إنهما متباينان للغاية، لكنهما متشابهان كذلك، ولا أحد منهما يهضم الآخر».

قالت سرسي مفكّرة: «وستانيس كان يرى دائماً أن ستورمز إند سُلِبَت منه غدراً، باعتبارها مقرّ عائلة باراثيون المتواژث... لو تعرف كم مرّة جاء إلى روبرت يُرَدِّد الأغنية نفسها بنبرته الكثيبة المغبونة تلك. حين أعطي روبرت القلعة لرنلي، صرّ ستانيس بأسنانه بعُنفٍ جعلني أحسب أنها ستتحطّم».

- «اعتبرها إهانة».

- «كانت الإهانة مقصودة».

- «هل نرفع كأساً في نخب الحُبِّ الأخوي؟».

قالت وهي تنهج: «نعم، أوه، بحقّ الآلهة نعم».

كان ظهره لها وهو يملأ كأسين بنبيذ «الكرمة» الأحمر الحُلُو، وكان أيسر شيء في العالم لحظتها أن يَنثُر المسحوق النَّاعم في شرابها. قال بينما ناولها الكأس: «نخب ستانيس!». عديم الأذى وأنا وحدي، أليس كذلك؟

ردّت ضاحكة: «نخب رنلي! عسى أن تستغرقهما حرب ضروس مديدة ويأخذهما «الآخرون»!».

أهذه هي سرسي التي يراها جايمي؟ عندما تبتسم، فإنك ترى كم هي جميلة حقّاً. عشقتُ بنتاً بهيئة كالصَّيف، في شعرها نور الشَّمس.

كاد تيريون يشعُر بالأسف لأنه سمّمها.

في الصَّباح الثَّالي جاءه رسولها وهو يتناول إفطاره، قائلاً إن الملكة متوجّعة ولن تستطيع مغادرة مسكنها. لن تستطيع مغادرة مرحاضها بالأحرى.

ردّد تيريون عبارات التعاطف الواجبة وأرسل لسرسي قائلاً لها أن تستريح، وإنه سيردّ على السير كليوس كما اتَّفقا.

عرش إجون الفاتح الحديدي كُتِلَ متشابكة من البروزات الحادّة المقيّنة والأنياب المعدنيّة المحرّزة، التي تنتظر الأحقن الذي يُحاول الجلوس براحة، وأصاب صعود الدَّرجات ساقي تيريون ناقصتي النُّمو بالتشنّجات، وهو يعي تماماً أن منظره يبدو سخيفاً للعيان، لكن لا مناص من الإقرار بأن الكرسي الحديدي القبيح مرتفع حقّاً.

وقفَ حرسَ لانسْتَر صامتين في معاطفهم القرمزيَّة وخوذاتهم القصيرة ذات ريشة الأسد، وعلى الجانب الآخر وقفَ قُبالتهم رجال السير جاسلين ذوو المعاطف الذهبية، بينما وقفَ برون والسير پرستون فارس الحرس الملكي على جانبي درجات العرش، وملاً أفراد الحاشية الشَّرْفة، فيما تجمَّع الملتصِّمون بالقرب من الأبواب الضَّخمة المصنوعة من السَّنْدِيان والبرونز، وبدتْ سائزاً ستارك جميلةً بشكلٍ خاص هذا الصَّبَاح، وإن كان وجهها شاحِباً كالحليب، أمَّا اللورد جايلز فوقفَ يسْعَل، وارتدى تايرك المسكين -ابن عمِّ تيريون- معطف العرسان الجُدد المصنوع من الفراء الأبيض والقطيفة. منذ زواجه الرُّضِيعَة الليدي إرميساند، ومُرافِقو الفُرسان الآخرون يُلَقَّبونه ساخرين بالمُرضِعة، ويسألونه عن الحفَّاضَة التي ارتدَّتْها عروسه ليلة زفافهما.

تطلَّع تيريون إلى جنبات القاعة من أعلى، ووجدَ أن الإحساس يروقه حقاً. قال: «استدعوا السير كليوس فراي»، فارتدَّتْ صوته رنَّاناً عن الجُدران الحجرية التي حملته إلى مسامع الحاضرين بطول القاعة، وراقه هذا أيضاً، وقال لنفسه متأملاً: خسارة أن شاي ليست هنا لثرى هذا. كانت قد طلبت منه أن تأتي، لكنه وجدَ ذلك مستحيلاً.

قطع السير كليوس القاعة الطويلة بين صَفِّي ذوي المعاطف الذهبية وتلك القرمزيَّة، دون أن يلتفت برأسه شمالاً أو يميناً، ولاحظَ تيريون عندما ركعَ أن ابن عمِّه بدأ يفقد شعره.

قال الإصبع الصَّغير الجالس إلى طاولة المجلس: «سير كليوس، نشكرك لمجيئك إلينا بعرض السَّلام من اللورد ستارك».

تنحنَّج المايستر الأكبر بايسل، وقال: «الملكة الوصيَّة على العرش ويد الملك والمجلس الصَّغير درَّسوا الشُّروط التي يعرضها ذلك الذي يُسمِّي نفسه ملكاً في الشَّمال، ويؤسِّفني أن أقول إنها لن تُصلَّح، وعليك تبليغ الشَّماليين هذا أيها الفارس».

قال تيريون: «ها هي شروطنا. على روب ستارك أن يرمي سلاحه ويُقسِّم على الولاء ويعود إلى ويتنرفل، وعليه أن يُطلق سراح أخي دون أن يمسه أذى، ويضع جيشه تحت إمرة چايمي، ليقوده ضد المتمرِّدين رنلي وستانيس

باراثيون، وعلى كل من حملة راية ستارك أن يُرسل إلينا ابناً رهينة، وإن لم يكن لديه أبناء فلتكن بنتاً إذن. سوف يُعاملون بكرم ويُمنَحوا مواضع عالية هنا في البلاط، ما دام أبائهم ممتنعين عن ارتكاب أيّ خيانات جديدة».

بدا الغثيان على كليوس فراي وهو يقول: «يا حضرة اليد، اللورد ستارك لن يُوافق على هذه الشروط أبداً».

لم نتوقع قط أنه سيفعل يا كليوس. «قل له إننا حشدنا جيشاً كبيراً آخر في كاسترلي روك، وإنه سيزحف ضده قريباً من الغرب، بينما يتقدم أبي من الشرق. قل له إنه وحيد، بلا أمل في التحالف مع أحد. ستانيس ورنلي يُقاتلان أحدهما الآخر، وأمير دورن وافق على تزويج ابنه تريستان الأميرة مارسلا». ارتفعت مع العبارة الأخيرة همهمات الشرور والارتباغ على حدّ سواء من الشُرفة ومؤخرة القاعة، بينما واصلَ تيريون: «بالنسبة لابني عمي، فإننا نعرض هاريون كارستارك ووايليس ماندريلي مقابل ويلم لانستر، واللورد سروين والسير دونل لوك مقابل أخيك تيون. قل لستارك إن اثنين من أولاد لانستر يُساويان أربعة من السُماليين في أيّ حين»، وانتظرَ حتى خفت ضحك الحاضرين قبل أن يُتابع: «أمّا رُفات أبيه فسيحظى به، كأمانة على حُسن نيّة جوفري».

قال السير كليوس مذكراً: «اللورد ستارك طلبَ أختيه وسيف أبيه كذلك». كان السير إلين باين يقف مصاباً بالخرس كالمعتاد، بينما يرتفع مقبض سيف إدارد ستارك العظيم من وراء كتفه.

قال تيريون: «جَلِيد». سوف يناله بعدما يحلُ السّلام بيننا، وليس قبل ذلك».

- «كما تقول. والأختان؟».

ألقي تيريون نظرةً على سائز، وشعرَ بالشفقة تطعن صدره وهو يُجيب: «إلى أن يُطلق سراح أخي چايمي دون أن يمسه أذى، ستبقين رهينتين هنا، وكيفية معاملتهما تعتمد عليه هو». وإذا منّت علينا الآلهة، سيَعثرُ بايو وتر على أرباب حية قبل أن يعرف روب أنها مفقودة.

- «سأحملُ رسالتك إليه يا سيّدي».

نقرَ تيريون على أحد النّصال الملتوية المنبثقة من ذراع العرش قائلاً
لنفسه: حان وقت تسديد الطّعنة، ثم نادى: «فايلار».

- «سيّدي».

أعلنَ تيريون: «الرّجال الذين أرسلهم ستارك يكفون لحراسة رُفات اللورد إدارد، لكن ينبغي لواحدٍ من عائلة لانستر أن يحرسه رجال لانستر. السير كليوس ابن عمّي أنا والملكة، وستنعم بنوم أفضل إذا اصطحبته بأمانٍ إلى ريفررن».

- «كما تأمر. كم رجلاً آخذُ؟».

- «جميعهم بالطبع».

تجمّد فايلار في مكانه كتمثالٍ من الحجر، بينما المايستر الأكبر پايسل هو من نهضَ قائلاً بلهفة: «حضرة اليد، لا يُمكن أن... السيّد والدك اللورد تاويون نفسه هو من أرسل هؤلاء الرّجال الطّيبين إلى مدينتنا لحماية الملكة سرسي وأطفالها...».

- «الحرس الملكي وحرس المدينة يحمونهم بما فيه الكفاية. فلتذهب لك الآلهة الشّريعة على الطريق يا فايلار».

على طاولة المجلس ارتسمت ابتسامة العليم على وجه فارس، بينما جلسَ الإصبع الصّغير متظاهراً بالملل، وفغرَ پايسل فاه كسمكةٍ بارتباكٍ وقد امتقعَ وجهه. تقدّم حاجب ورفعَ صوته قائلاً: «إذا كان لدى أحدهم مسألة يطرحها على يد الملك، فليتكلم الآن أو ليصمت».

قال رجل رشيق يرتدي الأسود دافعاً نفسه بين الثّوامين ردواين: «أنا لديّ ما أقوله».

صاحَ تيريون: «سير أليسرا! لم أكن أعلم أنك جئت إلى البلاط. كان يجب أن تُرسل لي خبراً».

ثورن رجل صارم ناحل حادّ الملامح في الخمسين من العمر، صُلب العينين واليدين، وفي شعره الأسود خطوط من الشّيب، وقد ردّ بلهجة قاسية كالأسواك: «لقد تعرّضتُ للتّبذ والتّجاهل، وتُركتُ أنتظر كخادم ابن حرام».

- «حقًا؟ أسأت التصرّف حقًا يا برون. السير أليس وأنا صديقان قديمان، وسيرنا على «الجدار» معًا».

غمغم فارس: «السير أليس العزيز، أرجو ألا تُسيء بنا الظن، فكثيرون يطلبون المثل أمام جوفري في أوقات القلاقل والاضطراب هذه».

- «الأوقات أكثر اضطرابًا مما تحسب أيها الخصي».

قال الإصبع الصّغير مازحًا: «إننا نخاطبه باللورد الخصي في وجهه».

سأل المايستر الأكبر هايسل بلهجة ملاطفة: «كيف تُساعدك أيها الأخ الكريم؟».

أجاب ثورن: «حضرة القائد أرسلني إلى جلالة الملك، فالأمر أخطر من أن يُترك لخدمه».

قال تيريون: «الملك يلعب بُشايته الجديدة». لم يتطلّب تخلص نفسه من جوفري غير نُشايّة مايريّة قبيحة تُطلق ثلاثة سهام في المرّة، فلم يستطع كبح جماح لهفته لتجربتها في الحال. «يُمكنك أن تُكلم الخدم أو تُصمت».

قال السير أليس باستياء تام: «ليكن. أرسلت لإخباركم بأننا وجدنا اثنين من الجوّالة كانا مفقودين منذ فترة طويلة. كانا ميتين، لكن عندما عُدنا بهما إلى «الجدار»، نهضنا ليلاً، وقتل أحدهما السير چارمي ريكز، بينما حاول الثاني قتل حضرة القائد».

سمع تيريون ضحكة مكتوبة من بعيد، وسأل نفسه: هل يقصد الشّخيرة مني بهذا الهراء؟ اعتدل في جلسته متوترًا، وألقى نظرة ناحية فارس والإصبع الصّغير وهايسل، متسائلًا إن كان لأحدهم يد في هذا. في أفضل الأحوال يتمتّع القزم بقدر طفيف من الكرامة، وبمجرّد أن يبدأ البلاط والمملكة في الضّحك منه، فهذه نهايته.

لكن مع ذلك... مع ذلك...

عاد تيريون بذاكرته إلى ليلة باردة تحت النّجوم، عندما وقف مع الصّبي چون سنو وذئب أبيض ضخم على قمة «الجدار»، يتطلّعان إلى الظلام عديم الملامح وراء حدود العالم. عندئذٍ شعر... شعَرَ بماذا؟ بشيءٍ ما بالتأكيد،

برُعبٍ ينفذ في اللحم كرياح الشمال القارسة. في مكانٍ ما في الليل عوى
ذئب، وجعل الصّوت رعدةً تسري في أوصاله.

حدّث لنفسه: لا تكن أبله. ذئب وريح وغابة مظلمة، هذا لا يعني شيئاً.
ومع ذلك... لقد أعجبَ بالعجوز جيور مورمونت حقاً خلال الفترة التي
قضاها في القلعة السوداء، فقال: «وهل نجا الذئب العجوز من الهجوم؟»
- «نعم».

- «وهل قتل إخوانك هذين الـ... آه، الرّجلين الميتين؟».

- «نعم».

سأل تيريون بلهجة لطيفة: «وهل أنت متأكّد من أنهما ماتا هذه المرّة؟»،
فلما خرج ضحك برون منه ممتزجاً بالتّخير، أدرك الأسلوب الذي عليه أن
يواصل به: «ماتا ماتا حقاً؟».

قال السير أليسر بحدّة: «كانا ميتين أول مرّة، جثّين باردتين شاحبتين،
أيديهما وأقدامهما سوداء. لقد أحضرتُ يد چارد التي انتزعها ذئب النّغل من
جثّته».

اعتدل الإصبع الصّغير قائلاً: «وأين هذا الدّليل السّاحر؟».
عقد السير أليسر حاجبيه باضطراب، وأجاب: «لقد... تعفّنت وتفسّخت
بينما انتظرتُ دون أن يسمعي أحد، ولم يتبقّ منها غير العظام».
تردّدت ضحكات التّهكم في القاعة، بينما خاطب تيريون الإصبع الصّغير
قائلاً: «لورد بايلش، اشترِ لفارسنا الشّجاع السير أليسر مئة من المجارف
يأخذها معه إلى «الجدار»».

ضيق السير أليسر عينيه بشكٍّ مرّداً: «مجارف؟».

- «إذا دفنتم موتاكم، فإنهم لن ينهضوا»، قال تيريون، فدوى ضحك
الحاضرين، وواصل هو: «سّتهي المجارف مشاكلكم، مع بعض الأيدي
القويّة التي تحملها. سير چاسلين، احرص على أن يختار الأخ الكريم من
يشاء من زنازين المدينة».

قال السير چاسلين بايووتر: «كما تأمر يا سيّدي، لكن الرّنازين شبه خالية،
فقد أخذ يورن كلّ الرّجال المناسبين».

رَدَّ تيريون: «اعتقل البعض إذن، أو انشر خبرًا بأن على «الجدار» حُبز ولفت، وسيذهبون من تلقاء ذاتهم». في المدينة أفواه عديدة جائعة، وحرس الليل في حاجة مستمرة إلى رجال. بإشارة من تيريون أعلن الحاجب ختام الجلسة، وبدأت القاعة تخلو.

لكن السير أليس ثورن لم ينصرف بهذه السهولة، وكان ينتظر عند قاعدة العرش الحديدي عندما نزل تيريون، وقال غاضبًا وقد اعترض الطريق: «هل تحسب أنني أبحرثُ من قلعة البحر ليسخر مني أمثالك؟ هذه ليست مزحة. لقد شهدتُ ما حدثُ بأم عيني، وأقول لك إن الموتى ينهضون».

قال تيريون دافعًا نفسه ليمرّ: «عليكم أن تحاولوا قتلهم بعناية أكبر»، فحاول السير أليس أن يمسك كُمّه، لكن پرستون جرينفيلد دفعه إلى الورا قائلاً: «لا تقترب أيها الفارس».

كان ثورن أعقل من أن يتحدّى فارسًا في الحرس الملكي، فصاح في ظهر تيريون: «أنت أحمق أيها العفريت».

التفت القزم يواجهه قائلاً: «أنا؟ حقًا؟ لماذا كانوا يضحكون منك أنت إذن يا ثري؟»، وارتسمت على وجهه ابتسامة خفيفة وهو يضيف: «لقد جئت تنشد رجالًا، أليس كذلك؟».

- «الريّح الباردة تهب، ولا بُدَّ من الدِّفاع عن «الجدار»».

قال تيريون: «والدِّفاع عنه يتطلّب رجالًا، ورجالًا أعطيتك إذا لاحظت، لو أن أذنك سمعت شيئًا غير الإهانات. خذهم واشكروني وارحل قبل أن تُجبرني على أن أخزك بشوكة سرطان البحر ثانية. بلغ اللورد مورمونت تحياتي الحارة... وجون سنو أيضًا»، ثم أطبق يرون على مرفق السير أليس، وأخرجّه رغما عنه من القاعة.

كان المايستر الأكبر پايسل قد انسحب بالفعل، بينما شهد فارس والإصبع الصّغير كلّ ما دار من البداية للنهاية، وقال الخصي معترفاً: «إعجابي بك يزداد بحق يا سيّدي. تُساير صبيّ ستارك برُفات أبيه، وتُجرّد أختك من حُمايتها بضربة واحدة سريعة. تُعطي الأخ الأسود الرّجال الذين يُريدهم، وتُخلّص

المدينة من بعض الأفواه الجائعة، لكن تجعل الأمر كله يبدو هزليًا كي لا يقول أحد إن لا سنارك أو جرامكن⁽¹⁾ يُخيف القزم. أوه، أحسنت حقًا». ملّس الإصبع الصّغير على لحيته متسائلًا: «هل تنوي أن تصرف حرسك كلهم حقًا يا لانستر؟».

- «كلا، بل أنوي أن أصرف حرس أخني كلهم».

- «الملكة لن تسمح بذلك أبدًا».

- «أوه، اعتقد أنها ستسمح. إنني أخوها، وعندما تعرفني أكثر، ستدرك أنني أعني كل شيء أقوله».

- «حتى الأكاذيب؟».

- «بالذات الأكاذيب. يُراودني إحساس بأنك غاضب مني يا لورد پيتر».

- «لم يتبدّل حُبِّي لك إطلاقًا يا سيّدي، لكنني لا أستسيغُ الثّلاغب بي وكأنني أحمق. إذا تزوّجت مارسلا تريستان مارتل، فلا يُمكنها أن تتزوّج روبرت آرن، أليس كذلك؟».

- «ليس دون التّسبّب في فضيحة مدوّية. آسف لخدعتي الصّغيرة يا لورد پيتر، لكنني حين كلّمتك لم أكن أدري أن الدورثيون سيقبلون عرضي». لم يقتنع الإصبع الصّغير، وقال: «لا أحبّ أن يكذب عليّ أحد يا سيّدي. اتركني بعيدًا عن خديعتك القادمة».

فكر تيريون رامقًا الخنجر المثبّت في غمده على وَرك بايلش: فقط إذا عاملتني بالمثل، ثم إنه قال: «تقبّل خالص اعتذاري إذا أسأت إليك. الكلّ يعلم كم نُحبّك يا سيّدي، وكم نحتاجك».

قال الإصبع الصّغير: «حاول أن تتذكّر هذا»، ثم انصرف وتركهما.

قال تيريون: «امش معي يا فارس»، وخرجا من باب الملك وراء العرش، وخفًا الخصي يُصدِر أن صوت احتكاك ناعما على الأرض الحجريّة.

- «اللورد بايلش على حق كما تعلم، فالمملكة لن تسمح لك أبدًا بصرف حراسها».

(1) السنارك والجرامكن كائنان خياليّان من ابتكار المؤلّف يأتي ذكرهما في الحكايات الشّعبيّة القديمة في قارّة وستروس.

- «ستفعل، وستعمل أنت على هذا».

تلاعبت بسمه على شفتي الخصي المتلتين، وقال: «حقاً؟».

- «أوه، بكل تأكيد. ستخبرها بأن هذا جزء من خطتي لتحرير چايمي».

ملس فارس على وجته المغطاة بالمساحيق قائلاً: «لا بُدَّ أن هذا سيتضمن الرجال الأربعة الذين بحث عنهم رجلك برون باجتهاد في الأحياء المنحطة من كينجز لاندنج، اللص والمسمم والممّثل والقاتل».

- «ألبسم المعاطف القرمزية وخوذات الأسد ولن يُميّزهم شيء عن أي حارس آخر. لقد فكرت ملياً في حيلة تُدخلهم ريفرن قبل أن يخطر لي أن أختبهم على مرأى من الجميع. هكذا سيدخلون من البوابة الرئيسة رافعين رايات لانستر ويصحبون رفات اللورد إدارد»، وابتسم تيريون ابتسامة معوجة، وأردف: «لن يلحظ أحد أربعة وسط مئة، لذا عليّ إرسال الحرس الحقيقيين مع الزائفين... كما ستقول لأختي».

قال فارس وهما يقطعان رواقاً مهجوراً: «وستوافق هي في سبيل أخيها الحبيب على الرغم من هواجسها، لكن فقدان ذوي المعاطف الحمراء سيُسعِرُها بالاضطراب رغم ذلك».

- «وأنا أحبُّها مضطربة».

غادر السير كليوس فراي في اليوم نفسه بعد الظهر، في صُحبة فايلار ومئة من حرس لانستر حُمِر المعاطف، وانضمَّ إليهم الرجال الذين أرسلهم روب ستارك عند بوابة الملك، ليبدأوا الرحلة الطويلة غرباً.

وجد تيريون تيميت يلعب الترد مع رجاله المحروقين في التكنات، وقال له: «تعال إلى غرفتي عند منتصف الليل»، فرمقه تيميت بنظرة قاسية بعينه الواحدة وهزَّ رأسه باقتضاب، فلا يُحبِّذ هذا الرجل الكلام الكثير.

تناول طعامه ليلتها مع رجال الغربان الحجرية وإخوة القمر في القاعة الصغيرة، وإن رفض التبيذ على غير عادته، فقد أراد أن تكون قواه العقلية كلها حاضرة. خاطب شاجا قائلاً: «في أي من أطوار القمر نحن؟».

أجاب شاجا بملامحه العابسة المهيبة: «الطور الأسود على ما أعتقد».

- «في الغرب يُسمونه قمر الخونة. حاول ألا تسكر كثيرًا الليلة، واحرص على أن تكون فأسك حادة».

- «فأس الغراب الحجري حادة دائمًا، وفؤوس شاجا أحدها جميعًا. ذات مرة قطعْتُ رأس رجل، فلم يُدرك ما حدث حتى حاول أن يُصَفِّفَ شعره، وعندها سقط الرأس».

سأله: «ألهذا لا تُصَفِّفُ شعرك أبدًا؟»، فهدر رجال الغرابان الحجريَّة بالضحك ودَقُّوا الأرض بأقدامهم، وضحك شاجا نفسه بصخب أكثر من الجميع.

كانت القلعة ساكنة مظلمة مع انتصاف الليل، مع أن لا شك أن بعض ذوي المعاطف الذهبية على الأسوار لمحوهم يُغادرون بُرج اليد، لكن لا أحد منهم قال شيئًا، فهو يد الملك، وأينما يذهب شأنه وحده.

انفلق الباب الخشبي الرفيع بصوت كالرعد بضربة من كعب حذاء شاجا، وتطايرت قطع الخشب إلى الداخل، وسمع تيريون امرأة تشق خوفًا. حطَّم شاجا الباب بثلاث ضربات عنيفة بفأسه، وركل ما تبقى منه بقدمه داخلًا، وتبعه تيميت ثم تيريون الذي خطا بحذر فوق الشُّطَايا. لم يتبقَّ من النَّار في المستودع غير بضع جمرات متوهجة، فغرقت العُرفة في الظلال، وعندما مرَّق تيميت ستائر الفراش، رفعت الخادمة العارية عينين متسعيتين صوبهم، وقالت بضراعة: «أرجوكم يا سادتي، لا تؤذوني»، وجفلت مبتعدة عن شاجا وقد تورّدت بشرتها وتصدّر الخوف ملامحها، تُحاول تغطية مفاتها كلها فتجد أن يداً ثالثة تنقُصها لتنجح في هذا.

قال تيريون: «اذهبي، فلا تُريدك أنت».

- «شاجا يُريد هذه المرأة».

قال تيميت بن تيميت متبرِّمًا: «شاجا يُريد كلَّ عاهرة في مدينة العاهرات هذه».

قال شاجا بلا أدنى قدرٍ من الخجل: «نعم. سيضع شاجا في بطنها طفلًا قويًا».

- «إذا أرادت طفلاً قوياً، فإنها تعرف عمّن تبحث... تيميت، اصحبها إلى الخارج، برفقي إذا سمحت».

جذب الرجل المحروق الفتاة من الفراش وقادها عبر العُرفة بشيء من الجَرَّ وشيء من الدَّفْع، وراقبهما شاجا ببالٍ كاسف كجرو حُرْمَ لعبته. تعثرت الفتاة فوق شطابا الباب وهي تخرُج إلى الرُّواق إذ دفعها تيميت مرةً أخيرةً. وفوق رؤوسهم كانت الغدقان تصرُخ.

سحبَ تيريون الغطاء النَّاعم من على الفراش، كاشفاً المايستر الأكبر بايسل من تحته، وقال له: «أخبرني، هل تُوافق «القلعة» على مضاجعتك الخادِمات أيها المايستر؟».

كان العجوز عارياً تماماً كالفتاة، وإن كان منظره أقلَّ جاذبيَّةً بمراحل، وعلى غير العادة كانت عيناه ذاتا الجفنين الثقيلين مفتوحتين عن آخرهما وهو يقول: «ما... ما معنى هذا؟ إنني رجل عجوز، خادمك المخلص...».

رفعَ تيريون نفسه إلى الفراش قائلاً: «مخلص للغاية لدرجة أنك أرسلت نسخةً واحدةً من رسالتي إلى دوران مارتل، وأعطيت الثانية لأختي».

قال بايسل بصوتٍ كالصَّيرير: «لا... لا، لا، هذا كذب، أقسمُ لك، لم يكن أنا، فارس، إنه فارس، العنكبوت، حذرتك...».

- «هل يكذب كلُّ المايسترات بهذا الابتذال؟ لقد قلتُ لفارس إنني سأعطي الأمير دوران ابن أختي تومن لينشأ عنده، وقلتُ للإصبع الصَّغير إنني أنوي تزويج مارسلا اللورد روبرت سيِّد «العُش»، لكني لم أقل لأحدٍ إنني عرضتُ مارسلا على الدورني... تلك الحقيقة كانت في الرِّسالة التي عهدتُ إليك بها فقط».

تمسَّك بايسل بطرف الغطاء، وقال: «الطُّيور تفضِّل الطَّريق، والرِّسائل تُسرق وتُباع... إنه فارس... يُمكنني أن أحكي لك أشياء عن الخصيِّ تُجمِّد الدِّماء في عروقك...».

- «امراتي تُفضِّل دمانِي حارَّة».

- «تأكَّد أن كلَّ سِرٍّ يهمس به الخصيُّ في أذنك تُقابله عشرة أسرارٍ يكتُمها، والإصبع الصَّغير، هذا الرَّجل...».

- «أعرفُ كلَّ شيءٍ عن اللورد بايلش. إنه لا يستحقُّ الثقةَ مثلك تمامًا. شاجا، اقطع ذكره وأطعمه للماعز».

قبضَ شاجا على الفأس الضخمة ذات التّصلين، وقال: «لا توجد ماعز يا نصف الرّجل».

- «تصرّف إذن».

وثبَ شاجا إلى الأمام هادرًا، وصرخَ بايسل وبلل الفراش، ليتناثر البول في كلِّ مكان وهو يتراجع بعيدًا، فأمسكه الهمجي من لحيته البيضاء الكبيرة، وقطع ثلاثة أرباعها دفعةً واحدة بضربة واحدة من فأسه.

قال تيريون وهو يُنظف حذاءه من البول بجزءٍ من الملاعة: «تيميت، هل تعتقد أن صديقنا سيكون مستعدًا أكثر للكلام دون هذه اللّحية التي يختبئ وراءها؟».

ماجت الظلمة في المحجر الخالي الذي كان عين تيميت وهو يقول: «سيقول الحقيقة قريبًا. إنني أشمُّ نثانة خوفه».

ألقي شاجا حفنةً من الشعر على البساط، وأطبقَ على ما تبقى من اللّحية، فقال تيريون: «اثبت أيها المايستر، فحين يغضب شاجا تهتّزُ يده».

قال الرّجل الضخم محتجًا: «يد شاجا لا تهتّزُ أبدًا»، وضغطَ النّصل نصف المستدير تحت ذقن بايسل المختلجة، وجزّ المزيد من الشعر.

خاطبَ تيريون المايستر قائلاً: «منذ متى تتجنّس لحساب أختي؟».

كانت طبقة لامعة من العرق تُغطّي جبهة العجوز العريضة، بينما علقت شعيرات بيضاء بشرته المتغضّنة، وقال بايسل وأنفاسه تتلاحق قصيرة: «كلُّ ما فعلته كان من أجل عائلة لانستر، دائمًا... على مرّ السنين... السيّد والدك، سلّه، لطالما كنتُ خادمه المخلص... أنا من دعوتُ إيرس لفتح بوابات المدينة...».

أصابَ اعترافه تيريون بدهشةٍ حقيقةً. لقد كان مجرد صبيّ قبيح في كاسترلي روك عندما سقطت المدينة. «إذن فهنب كينجز لاندنج كان صنيعك أيضًا؟».

- «من أجل البلاد! لقد انتهت الحرب بمجرّد موت ريجار، وإيرس كان مجنونًا، وفيسرس صغيرًا للغاية، والأمير إجون رضيعًا، لكن البلاد كانت في

حاجة إلى ملك... تَمَنَيْتُ أَنْ يَكُونَ والدك الكريم، لكن روبرت كان قويًا للغاية، واللورد ستارك تحرك بسرعة بالغة...».

- «تُرى كم واحدًا خُنت؟ إيسر، إدارد ستارك، أنا... والملك روبرت كذلك؟ واللورد آرن والأمير ريجار؟ أين كانت البداية يا بايسل؟». إنه يعرف أين تكون النهاية.

حَكَتِ الفأس ثُفَّاحَة حلق بايسل والجلد الرّخو النَّاعم تحت فُكِّه كاشطةً آخر الشعيرات، وشهقَ عندما ارتفع النَّصل إلى وجتيه، وقال متلعثمًا: «أنت... لم تكن هنا. روبرت... جروحه... لو أنك رأيته وشممت رائحتها، لم يكن شك ليُخامرك...».

- «أوه، أنا واثق بأن الخنزير البرّي أدّى دورك بدلًا منك... لكن لو لم يُنجز المهمة، فلا بُدَّ أنك كنت لتُنهيها».

- «كان ملكًا مافونًا... مغرورًا وسكّيرًا وفاجرًا... كان ينوي التخلص من أختك، ملكته... أرجوك... رنلي كان يُخطّط للمجيء بفتاة هايجاردن إلى البلاط، ليُغوي أخاه... إنها الحقيقة والآلهة تشهد...».

- «وما الذي كان اللورد آرن يُدبّره؟».

أجاب بايسل: «كان يعرف بأمر... بأمر...».

قاطعه تيريون بحدّة: «أعرف ما كان يعرفه». إنه لا يرغب في أن يعرف شاجا وتيميت بدورهما.

- «كان سيُعيد زوجته إلى «العش»، ويُرسِل ابنه ليتربّى في دراجونستون... كان ينوي أن يتخذ خطوة...».

- «ولذا سمّته أولًا».

- «لا!». قاوم بايسل بوهن، فدمدم شاجا وأطبق على رأسه بيده شديدة الضّخامة، التي يُمكنه أن يسحق بها جمجمة المايستر كقشرة بيضة لو أنه ضغط فقط.

طقق تيريون بلسانه، وقال: «لقد رأيت دموع ليس وسط عقاقيرك، كما أنك صرفت مايستر اللورد آرن الخاص وتولّيت علاجه بنفسك، بغية أن تتيقّن من موته».

- «كذب!».

- «أريدُ حلاقةً أنظف يا شاجا، الرّقبة مرّةً أخرى».

تحركت الفأس إلى الأمام والخلف مصدرةً صوتًا خشنًا مع احتكاكها بالجلد، بينما تكوّنت فقائيع من اللعاب على شفتي بايسل وفمه يرتعش قائلاً: «حاولتُ إنقاذ اللورد آرَن، أقسمُ لك...».

- «احترس يا شاجا، لقد جرحتَه».

قال شاجا بصوتٍ هادر: «أبي دولف أنجبَ مُحاربين لا حَلّاقين».

عندما أحسَّ بخيط الدّم يسيل على عنقه ويقطر على صدره، ارتجف العجوز، وخارَ ما تبقى لديه من قوّة تمامًا، وبدأ منكمشًا وأصغر حجمًا وأوهن مما كان عندما اقتحموا المكان عليه، وقال وهو ينشج: «نعم، نعم. كولمون كان يعمل على تطهير الأمعاء بالمسهّلات، فصرفته. الملكة كانت تُريد اللورد آرَن أن يموت، لكنها لم تُقل ذلك، لم تستطع أن تقوله، ففارس كان يتنصّت، دائمًا يتنصّت، لكنني عرفتُ عندما نظرتُ إليها. لكن ليس أنا من دسّ له السّم، أقسمُ لك»، وأضاف باكيًا: «فارس سيقول لك إنه كان الصّبي، مُرافق اللورد آرَن، كان اسمه هيو، لا بُدَّ أنه فعلها بكل تأكيد، سلّ أختك، سلّها».

شاعرًا بالاشمئزاز قال تيريون: «قيداه وخذاه من هنا، ألقياه في واحدة من الزّنازين السّوداء».

جرّهُ تيميت وشاجا إلى الباب المهشّم وهو يقول نائحًا: «لانستر، كلُّ ما فعلته كان من أجل لانستر...».

بعد غيابه، أجرى تيريون بحثًا متمهّلًا في مسكن المايستر، وجمع بضعة قوارير أخرى من على الأرفف، بينما همهمت الغدقان فوق رأسه وهو يعمل، وإن كانت ضوضاؤها مُطمئنةً على نحوٍ غريب. عليه أن يجد مَنْ يُعنى بالطيور إلى أن تُرسِل «القلعة» بديلًا لبايسل.

كان من أمثلتُ في أن أتق به. إنه يرتاب في أن فارس والإصبع الصّغير ليسا أكثر إخلاصًا منه... لكنهما أذكى، ومن ثمَّ أخطر. لعلّ منهج أبيه أفضل الحلول على الإطلاق؛ يستدعي إلين باين، ويُعلق ثلاثة رؤوس على الخوازيق فوق البوّابات، وينتهي من الأمر تمامًا. وبإله من منظرٍ جميل.



آريا

كثيراً ردّدت آريا لنفسها: ضربة الخوف أمضى من السيف، لكن هذا لم يُفْلِح بتاتاً في طرْد الخوف من قلبها، إذ أصبح جزءاً لا يتجزأ من أيامها، تماماً كالخُبْز الباثت وقروح أصابع قدميها بعد السَّير طول النَّهار على الطَّرِيق الوعر. كانت تعتقد أنها تعرف معنى الخوف الحقيقي، لكنها تعلّمت غير ذلك في المستودع المقام على ضفّة «عين الآلهة». ثمانية أيام ظلَّتْها هناك قبل أن يُعْطِي الجبل الأمر بالتحرك، وكلَّ يوم شهدت أحداً يموت، متى أتى الجبل إلى المستودع بعد أن تناولَ إفطاره، واختارَ واحداً من الشُّجَواء للاستجواب. لم يرفع أهل القرية أنظارهم إليه قطُّ، فلعلَّهم حسبوا أنه لن يراهم إذا لم يروه... لكنه رآهم على كلِّ حالٍ وانتقى مَنْ يشاء، فما مِنْ مكانٍ للاختباء، وما بيد أحدهم حيلة، ولا سبيل للأمان.

واحدة من الفتيات شاركت أحد الجنود فراشه ثلاث ليالٍ على التَّوالي، وفي اليوم الرَّابع اختارَها الجبل، ولم ينس الجُندي بكلمة واحدة. عجوز باسم كان يرتق ثيابهم الممزّقة، ولم ينفك يثرثر عن ابنه الذي يخدم مع ذوي المعاطف الذَّهبيّة في كينجز لاندنج، ويقول طول الوقت: «رجل الملك هو، رجل الملك الوفي مثلي، كلُّ لجوفري». كان يُرَدِّدها كثيراً للغاية، فأصبح «كلُّ لجوفري» لقبه بين بقية الأسرى لمّا لم يكن هناك حُرّاس يسترقون السَّمْع... وفي اليوم الخامس جاء دور الرَّجل. أمّ شابة يزخر وجهها بالبشور عرضت من تلقاء نفسها أن تُخبرهم بكلِّ ما

تعرفه إذا وعدوها ألا يؤذون ابنتها، فسمع الجبل ما لديها، وفي اليوم التالي انتقى ابنتها، ليتأكد من أن الأم لم تكتم أي معلومات.

دائمًا ما تمَّ استجواب المختارين على مرأى ومسمع من بقية الأسرى، كي يروا بأنفسهم مصير المتمردين والخونة، وكان رجل يُلقبهُ الآخرون بالمدغدغ يُلقي الأسئلة، رجل تقليدي الملامح والثياب للغاية، حتى إن آريا كانت لتحسبه واحدًا من القرويين لو لم تَرَه يُزاوِل عمله أولاً. قال لهم العجوز الأحذب تشيزويك: «المدغدغ يجعلهم يعوون إلى أن يبولوا على أنفسهم». إنه الرجل الذي حاولت أن تعضه ووصفها بالشراسة قبل أن يضربها على رأسها، وكان يُساعد المدغدغ. في أحيانٍ أخرى ساعده رجال مختلفون، بينما يقف السير جريجور نفسه بلا حراك، يُشاهد ويُصغي، إلى أن تموت الضحية.

لم تبدل الأسئلة على الإطلاق: هل من ذهب مخبئاً في القرية؟ هل من فضة أو جواهر؟ المزيد من الطعام؟ أين اللورد بريك دونداريون؟ من عاونه من أهل القرية؟ عندما غادر، إلى أين اتجه؟ كم رجلاً كانوا معه؟ كم فارساً وكم قوَّاساً وكم مسلَّحاً؟ ما تسليحهم؟ كم منهم امتطى الخيول؟ كم منهم كان جريحاً؟ هل رأوا أعداء آخرين؟ كم؟ متى؟ أي رايات حملوا؟ أين ذهبوا؟ هل من ذهب مخبئاً في القرية؟ هل من فضة أو جواهر؟ أين اللورد بريك دونداريون؟ من عاونه من أهل القرية؟ عندما غادر، إلى أين اتجه؟ كم رجلاً كانوا معه؟

مع حلول اليوم الثالث، كانت آريا تستطيع إلقاء الأسئلة بنفسها. عثروا على القليل من الذهب والفضة وجوَّالٍ ضخم من العُمَلات النحاسية، بالإضافة إلى كأس منبعجة مزينة بالعقيق، كادَ اثنان من الجنود يتساجرا بسببها، كما توصَّلوا إلى أن اللورد بريك كان معه عشرة من الرِّجال المتضوِّرين جوعاً، أو أنهم كانوا مئة فارس بخيولهم، وأنه اتجه غرباً أو شمالاً أو جنوباً، وأنه عبر البحيرة بقارب، وأنه قويٌّ كثوَرٍ برِّيٍّ أو واهن من

جرّاء الزُّحار الدِّموي⁽¹⁾ الذي أصابه. لم ينبُج أحد من القرويين من استجواب المُدغدغ، لا الرِّجال ولا النِّساء ولا الأطفال، واحتمل أقواهم حتى بُعيد الغروب لا أكثر، ثم عُلِّقَتْ جُثث الجميع على المشانق وراء نار المعسكر لتفترسها الذُّئاب.

لَمَّا بدأوا الرُّحف، كانت آريا تُدرك أنها ليست راقصة مياه. سيريو فورل لم يكن ليسمح لهم أبدًا بأن يُجندِلوه ويأخذوا سيفه، ولم يكن ليقف ساكنًا وهم يقتلون لومي أخضر اليد. سيريو لم يكن ليقعد صامتًا في المستودع، أو يزحف بخنوع بين الأسرى. الذُّبب الرّهيب رمز عائلة ستارك، لكن آريا أحسّت أنها مجرد حمل يُحيط به الخراف.

كان المقت الذي تشعُر به إزاء أهل القرية لجبنهم يُعادل مقتها نفسها الخائفة.

آل لانستر سلَبوها كل شيء؛ الأب والأصدقاء والديار والأمل والشَّجاعة، وأحد رجالهم أخذ إيرتها، وآخر كسر سيفها الخشبي الرّفع على رُكبته، بل وسلَبوها سرّها السّخيف كذلك. المستودع كان واسعًا بما يكفي لأن تنسلّ وتقضي حاجتها خلسةً في أحد الأركان عندما لا يكون هناك من يراها، لكن الأمر مختلف على الطّريق. لقد حبست البول في مثانتها قدر المستطاع، لكنها في النّهاية اضطرت لأن تُقرّص إلى جوار شجيرة وتُنزل سراويلها أمامهم جميعًا... كان إمّا هذا أو أن تُبلّل ثيابها. حدّق هوت باي فيها بعينين متسعيتين، لكن لا أحد آخر كلّف نفسه مجرد النّظر إليها. فليكن الخروف ذكّرًا أو أنثى، فرجال السير جريجور لا يُبالون.

لم يسمح لهم أسروهم بالثّروة، وتعلّمت آريا من شفرتها المشقوقة أن تُطبق فمها على لسانها، بينما لم يتعلّم آخرون إطلاقًا. طفل في الثالثة لم يتوقّف عن نداء أمّه، فهشّموا وجهه بهراوة سائكة، وعندما بدأت أمّه في الصّراخ، قتلها رالف المعسول بدورها.

(1) الزُّحار التهاب في الأمعاء يؤدّي إلى إسهال شديد يحتوي على الدّم، ويُعرَف أيضًا في عالم هذه الرّوايات باسم داء «الفرس الصّفر» في قارة إسوس.

رأتهم آريا يموتون ولم تفعل شيئاً، فيم تعود الشجاعة على المرء؟ ثمة امرأة اختارها كليجاين للاستجواب حاولت أن تكون شجاعة، لكنها ماتت صارخة كسواها. لا شجاعان في هذه المسيرة، لا أحد غير الخائفين الجائعين. الغالبية من النساء والأطفال، والرجال القلائل إما كبار جداً أو صغار جداً، والآخرون تركوا مقبدين بالسلاسل على المشانق للذئاب والغربان، ولم يحي جندري إلا لأنه أقر بأنه طرّق الخوذة ذات القرنين بنفسه، فالحدّادون - وحتى صبيانهم - أعلى قيمة من أن يُقتلوا.

أخبرهم الجبل بأنهم ذاهبون لخدمة اللورد تايوين لانستر في هارنغال، وقال لهم: «أنتم خونة وتمرّدون، فاشكروا آلهتكم أن اللورد تايوين يمنحكم هذه الفرصة، فهذا أكثر مما تنالون من الخارجيين على القانون. أطيعوا الأوامر واخدموا وعيشوا».

عندما افترشوا الأرض ليلتها، سمعت عجوزاً ضامرة تقول شاكياً: «هذا ليس عدلاً، ليس عدلاً. نحن لم نُنح أحداً. الآخرون جاءوا وأخذوا ما أرادوا مثل هؤلاء تماماً».

همست صديقتها: «لكن اللورد بريك لم يمسن بأذى، وذلك الرّاهب الأحمر الذي معه دفع ثمن ما أخذه».

- «دفع؟ لقد أخذ اثنتين من دجاجاتي وأعطاني ورقة عليها علامة. هل سأكل الورقة المهلهلة؟ هل ستيبض لي؟»، ثم تطلعت حولها لترى أن لا أحد قريباً من الحُرّاس، وبصقت ثلاثاً وقالت: «هذه لتلي وهذه للانستر وهذه لستارك».

قال رجل مسنّ بصوتٍ كالضحك: «إنها خطيئة وعار. لم يكن الملك القديم يسمح بهذا عندما كان حيّاً».

ناسية نفسها سأله آريا: «الملك روبرت؟».

أجابها بصوتٍ أعلى من اللازم: «الملك إيرس»، فتقدّم حارس بتؤدة ليخرسهم، وفقد المعجوز السنّين اللتين تبقّتا له، ولم يتفوّه أحدهم بشيءٍ آخر ليلتها.

بالإضافة إلى الأسرى، جلب السير جريجور دسّة من الخنازير، وقفصاً

من الذَّجاج، وبقرةٌ حلوبًا هزيلةً، وتسع عرباتٍ من السَّمَك المملَّح. ركبَ الجبل ورجاله الخيول، لكن الأسرى كلهم قطعوا الطريق سيرًا على الأقدام، والأضعف من أن يُجاروا حركة الرِّكب قُتلوا من فورهم، بالإضافة إلى كلِّ من سَوَّلت له حماقته الفرار. كلُّ ليلةٍ كان الحرس يأخذون نساءً بين الشُّجيرات، ويدأ أن معظمهن توفَّعن هذا، فذهبن معهم مذعنات. فتاةٌ منهن كانت أجمل من الأخريات، واعتادَ أربعة أو خمسة رجالٍ مختلفين في اللَّيلة الواحدة أخذها، إلى أن ضربت أحدهم بصخرة، فجعلَ السير جريجور الجميع يُشاهدون بينما قطعَ رأسها بضربةٍ واحدةٍ من سيفه الضَّخم الذي يحمله بيديه معًا، ثم إنه قال أمرًا بعدها وهو يُناول مُرافقه السَّيف لِيتنظفه: «اتركوا الجثَّة للذَّئاب».

ألقت آريا نظرةً بطرف عيناها على «الإبرة» الموضوع في غمده على وَرَك رجلٍ مسلَّح اسمه پوليفر، أسود اللَّحية وبدأ الصَّلح يزحف على رأسه، وقالت لنفسها: من الجيِّد أنهم أخذوه مني، وإلاَّ لكانت حاولت أن تطعن السير جريجور، وكان ليشجُّها حينئذٍ إلى نصفين، لتأكلها الذَّئاب هي الأخرى.

ليس پوليفر بسوءٍ عدديٍّ من الآخرين، على الرغم من أنه سرقَ إبرتها. ليلة قبضوا عليها كان رجال لانستر مجرَّد أغراب بلا أسماء تتشابه وجوههم كخوذاتهم ذات واقيات الأنوف، لكنها أصبحت تعرفهم جميعًا الآن، وتعلَّمت من منهم كسول ومن قاس، ومن ذكي ومن غبي، وتعلَّمت أن مَنْ يُلقَّبونه بفم الخراء، الذي يُرَدَّد أقدَحُ كلام سمعته في حياتها على الإطلاق، يُعطيك قطعةً إضافيةً من الحُبز إذا طلبت، بينما لو طلبتها من تشيزويك العجوز المرح أو راف الذي يتكلَّم بنعومةٍ ودماثة، فستنال ضربةً بظاهر اليد. وتُشاهد آريا وتُصغي وتُصقِّل كراهيتها مثلما كان جندي يَصقِّل خوذته.

كان دانسن يضع قرني الثَّور على رأسه الآن، وهكذا فازَ بكراهيتها. إنها تكره پوليفر لأنه استولى على إبرتها، وتكره تشيزويك العجوز الذي يحسب نفسه طريفًا، وأكثر من هؤلاء تكره راف المعسول الذي غرسَ رأس رُمحه في حلق لومي، وتكره السير أموري لورك من أجل يورن، وتكره السير مرين ترانت من أجل سيريو، وكلب الصَّيد لقتل صبيِّ الجَزَّار مايكا، والسير إلين والأمير

چوفري والملكة من أجل أبيها وتوم السمين ودزموند والبقية، وحتى من أجل ليدي ذئبة سانزا. أمّا المُدغدغ فمخيف لدرجة لا تجعلها تجرؤ على كراهيته. في أحيانٍ كانت تنسى أنه لا يزال معهم، فعندما لا يُلقى الأسئلة على الأسرى، يتصرّف كأَيِّ جُندي عادي، ويميل إلى الصّمت أكثر من غيره، بينما تذوب ملامحه التي تُشبه ألفا سواه بين ملامح الآخرين.

في كلّ ليلةٍ تُردّد آريا الأسماء، تهمسها لوسادتها الحجرية: «السير جريجور، دانسن، پوليفر، تشيزويك، راف المعسول، المُدغدغ وكلب الصّيد، السير آموري، السير إلين، السير مرين، الملك چوفري، الملكة سرسي». في ويترفل كانت تُصلي مع أمّها في السّبت ومع أبيها في أيكة الآلهة، لكن على الطريق إلى هارنغال، كانت قائمة الأسماء الصّلاة الوحيدة التي أرادت أن تتذكّرها.

كلّ نهار يمشون على الطّريق، وكلّ ليلةٍ تُردّد الأسماء، إلى أن صارت الأشجار أقلّ تشابكاً أخيراً وأفسحت المجال لُبقة من الرّيف ترخر بالثّلال المتموجة والتّهيّرات المتعرّجة والحقول التي تُضيؤها الشّمس، حيث برزت هياكل المعاقل المحترقة سوداء كالأسنان العفنة، لكنهم ساروا يوماً طويلاً آخر قبل أن يلمحوا أبراج هارنغال من بعيد، ترتفع قاسيةً إلى جوار مياه البحيرة الزّرقاء.

قال الأسرى لبعضهم بعضاً إن الأوضاع ستحسّن عندما يصلون إلى هارنغال، لكن آريا لم تكن واثقةً بذلك، وتذكّرت قصص العجوز نان عن القلعة المشيّدة على الخوف. كانت نان تحكي فتقول إن هارن الأسود كان يمزج الدّم البشريّ في الهاون، وقد خفّضت صوته حتى يميل الأطفال دانين منها أكثر، لكن إجون التّين شوى هارن وأبناءه كلهم داخل الجدران الحجرية الهائلة. مضّغت آريا شفّتها وهي تمضي بقدمين اكتسبتا طبقة من الجلد اليابس، وقالت لنفسها إنهم سرعان ما سيصلون، فهذه الأبراج لا تبتعد أكثر من بضعة أميال.

على أنهم ساروا ذلك النّهار طوله، ومعظم النّهار التّالي، قبل أن يبلّغوا أطراف جيش اللورد تاوين أخيراً، والذي عسكرَ غرب القلعة وسط بقايا

بلدة محترقة. هارنغال خدّاعة من بعيد لأنها هائلة حقًا، ترتفع أسوارها الواقعة العملاقة على ضفة البحيرة عموديّة خاطفة كجروف الجبال، وتبدو على قممها صفوف العرّادات المصنوعة من الحديد والخشب صغيرة كالعقارب. تناهت رائحة جيش لانستر الكريهة إلى أنف آريا بفترة قبل أن تتبيّن حتى الرّموز التي تحملها الرّايات فوق سُرادقات جموع الغربيّين على شاطئ البحيرة، وجعلتها الرائحة تُدرك أن اللورد تاووين هنا منذ فترة طويلة، فالمراحيض المحيطة بالمعسكر كانت فائضة ويحتشد حولها الذباب بكثافة، كما أنها رأت زغبًا أخضر ناعمًا على الكثير من الخوازيق الحادة التي تحمي المعسكر.

رأت أن مبنى بوابة هارنغال -الذي يُناهز حصن ويتربّل الكبير حجمًا- مشوّه بقدر ما هو ضخّم، أحجاره متصدّعة ولاحت ألوانها. من الخارج، من وراء الأسوار، لا يلوح من البروج الخمسة الشّاهقة غير قممها، تلك البروج التي يُعادل أقصرها أعلى بُرج في ويتربّل مرّة ونصفًا، وإن كانت لا ترتفع إلى عنان السّماء بالطريقة المألوفة، وخطر لآريا أنها تبدو كأصابع رجل عجوز عظيمة متغضّنة، تُحاول القبض على سحابة عابرة. تذكّرت ما حكته نان عن الحجر الذي ذابّ وسال كالشّمع على السّلام وإلى داخل التّوافذ، وقد توهّج بلون أحمر كثيب وهو يسعى إلى هارن في محبته، والآن تُصدّق آريا كل كلمة، وقد بدا كل بُرج شائها منفّر المنظر أكثر من سابقه، كثير التّواءات ويُسبب الشّمعة المطفأة وتُسبغ فيه الشّقوق.

قال هوت پای بصوت راجف وهارنغال تفتح بواباتها لهم: «لا أريدُ أن أدخل. هناك أشباح في الدّاخل».

سمعه تشيزويك، لكنه ابتسم هذه المرّة وخاطبه قائلاً: «لديك خياران يا صبيّ الخبّاز، إمّا أن تدخل إلى الأشباح أو تُصبح واحدًا منها». ودخل هوت پای مع بقيّتهم.

في الحَمّام الذي تُردّد حوائطه أصداً كل صوت، أمروا الأسرى بالتجرّد من ثيابهم وحكّ وفرك أجسادهم في أحواض من الماء شديد الشّخونة، وأشرفت امرأتان عجوزان قويتان على العمليّة بينما تبادلتا الكلام عنهم كأنهم

قطيع من الحمير المشتراة حديثاً، ولمّا جاء دور آريا، طقطقت العقيلة آمابل
بلسانها باستنكار من منظر قدميها، بينما تحسّست العقيلة هارا الجلد المتيّس
على أصابعها، الذي اكتسبته من ساعات التّدريب الطويلة بإبرتها، وقالت:
«أراهنُ أنهما صارتا هكذا من مخض الزّبد. أنتِ بنت مُزارع ما، أليس كذلك؟
لا عليكِ يا فتاة، فلديكِ فُرصة أن تترقي إلى مرتبة أعلى في هذا العالم لو
عملتِ بكدٍّ، أمّا إذا لم تعملي بكد، فسُتضربين. ما اسمكِ؟».

لم تجسّر آريا عليّ الإجابة باسمها الحقيقي، لكن آري لا يصلح أيضاً،
فهو اسم صبي، والكل يرى أنها ليست كذلك. «بنت عرس»، أجابت قائلةً
اسم أول فتاة استطاعت التّفكير فيه. «لومي سمّاني بنت عرس».

قالت العقيلة آمابل متنشّقة: «يُمكنني أن أرى السّبب. منظر هذا الشّعور
مرعب، كما أنه جُحور للقمل كذلك. سنحلّقه، ثم تذهبين إلى المطابخ».
قالت: «أفضّل العناية بالخيول». تُحبُّ آريا الخيول، ولربما تستطيع إذا
عملت في الاسطبلات أن تسرق حصاناً وتهرب.

صفعتها العقيلة هارا بقوة شقّت شفتها المتورّمة ثانيةً، وردّت: «واحفظي
لسانكِ هذا وإلا ستالين ما هو أسوأ. لم يطلب أحد رأيكِ».

كان للذم في فمها مذاق معدني مالح، وخفضت آريا عينيها ولم تقل شيئاً،
بينما فكّرت بأسى: لم تكن لتجوز على ضربي لو أن «الإبرة» لا تزال معي.
قالت العقيلة آمابل: «اللورد تايبين وفُرسانه لديهم سائسون ومُرافقون
للعناية بخيولهم، ولا يحتاجون أمثالك. المطابخ مريحة ونظيفة، وهناك دائماً
نار تنامين إلى جوارها دافئة والكثير من الطّعام. كنتِ لثبلين بلاء حسناً هناك،
لكنني أرى أنكِ لست فتاة ذكيّة. هارا، اعتقد أن علينا أن نعهد بها إلى ويز».
- «إذا كان هذا رأيكِ يا آمابل».

وهكذا أعطوها ثوباً من الصّوف الرّمادي الخشن، وحذاءً لا يُناسب مقاس
قدميها، وصرفوها.

ويز هذا وكيل مساعد في البرج المسمّى بُرج العويل، رجل قصير مكتنز
لديه أنف كبير مليء بالذّمامل، وبالقرب من دُكنه شفتيه الممتلئتين قروح
حمراء غاضبة. كانت آريا واحدة من السّنة الذين أرسلوا إليه، فتطلّع إليهم

بنظرة ثاقبة قائلاً: «آل لانستر كرماء مع من يُخلصون في خدمتهم، وهو شرف لا يستحقه أمثالكم، لكن الرجل يستغل ما لديه في حالة الحرب. اعملوا باجتهاد واعرفوا منزلتكم، وربما تترقون مثلي ذات يوم، لكن إذا تطاولتم على كرم حضرة اللورد، ستجدونني في الانتظار بعدما يرحل»، وتحرك متبختراً أمامهم، وأخبرهم أن عليهم ألا يرفعوا أعينهم إلى أعين النبلاء أبداً، وألا يتكلموا ما لم يُوجّه لهم الكلام، وألا يعترضوا طريق حضرة اللورد، وأضاف: «أستطيع أن أستم رائحة التحدي، ورائحة الكبرياء، ورائحة العصيان. إذا شممتُ أيّاً من تلك الروائح، فستعاقبون. عندما أشمّمكم، فلا أريد أن يلتقط أنفي غير رائحة الخوف».



دڤيرس

على أسوار كارت دَقَ الرِّجال النَّواقيس معلنين أنها أقبلت، بينما نفخَ آخرون في أبواقٍ غريبة الشكل، تلتفُّ حول أجسادهم كأفاعٍ برونزِيَّة ضخمة، وخرجَ صَفٌّ من راكبي الجمال من المدينة ليَتَّخذوا مواقعهم كحرس شرفٍ لها، وقد ارتدوا دروعاً من الثَّحاس تُشبه حراشف الأسماك، وخوذات ذات واقباتٍ طويلةٍ للأنف، يَخْرُج من كلِّ منها نابان نُحاسيَّان وريشة حريريَّة طويلة، أمّا جمالهم فكستها أغطية بمئة لونٍ ولون.

كان يات پري قد قال لها وهُم لا يزالون وسط عظام فايس تولورو: «كارت أعظم مدينة كانت أو ستكون. إنها مركز العالم، البوابة بين الشَّمال والجَنوب، والجسر بين الشَّرق والغرب، أعتق من أن تُدرك ذاكرة البشر منشأها، وبديعة لدرجة أن ساثوس الحكيم فقاً عينيه بعدما تطلَّع إلى كارت أول مرَّة، إذ علم أن كلَّ ما يراه من تلك اللَّحظة فصاعداً سيكون حقيراً قبيحاً بالمقارنة».

ارتابت داني كثيراً في صحَّة كلام الدِّجال، وإن لم يكن هناك سبيل لإنكار روعة المدينة العظيمة. ثلاثة أسوار سميكة تُطَوِّق كارت، كلها منقوش بمتهى العناية والتَّجميل. الشُّور الخارجى من الحجر الرَّملى الأحمر، يرتفع ثلاثين قدماً، وتُزيَّنه صُور حيوانات؛ ثعابين تزحف، وطائرات ورقية محلقة، وأسماك تسبح متمازجةً مع ذئاب القفر الأحمر وخيول الزورس⁽¹⁾ المخططة والأفيال هائلة الحجم. والشُّور الأوسط يرتفع أربعين قدماً، مشيد

(1) الزورس حيوان هجين يتشع عن زواج ذكر الحمار الوحشى وأنثى الحصان.

من الجرائيت الرّمادي، وبعثت فيه الحياة مَشاهد الحرب؛ تقارع الشُّيوف
والثُّروس والحراب، وتحليق الشَّهام في الهواء، وأبطال يتقاتلون وأطفال
يُذبَحون، ومَحارق جثامين الموتى. أمّا الشُّور الدَّاخلي فيرتفع خمسين
قدماً من الرُّخام الأسود، وعليه صُور محفورة جعلت وجتتي داني تتورّدان
خجلاً، إلى أن قالت لنفسها إنها تتصرّف كالحمقى، فهي ليست عذراء، وإذا
استطاعت التطلّع إلى مَشاهد المذابح على الشُّور الرّمادي، فلم تغضّ بصرها
عن مَشاهد رجالٍ ونساءٍ يتبادلون المتعة؟

البوابة الخارجيّة مدعّمة بالثُّحاس، والوُسْطى بالحديد، أمّا الدَّاخليّة
فمرصّعة بالجواهر في أماكن أعين المرسومين؛ والبوابات الثلاث فُتحت مع
دنوّ داني، وإذا امتطت فرسها الفضيّة إلى داخل المدينة، هرع أطفال صغار
يَترّون الزُّهور في طريقها، وقد ارتدوا صنادل ذهبيّة وطلّبت أجسادهم
العارية بالوانٍ مبهرجة.

كلّ الألوان المفقودة في فايس تولورو وجدت طريقها إلى كارث.
احتشدت المباني من حولها بشكل خياليّ كما في حلم محموم، بدرجاتٍ من
القرنفلي والبنفسجي والعنبري، ومَرّت تحت قنطرة مشيّدة على شكل نُعبانين
يتزاوجان، حراشفهما من اليشب والزُّجاج البُركاني واللازورد، بينما ارتفعت
الأبراج الرّفيعة أعلى مما رأت داني في حياتها كلها، وضَمّ كلُّ ميدانٍ نوافير
أنيفة تتخذ أشكال الجريفيين والتّنين والمانيكُور.

اصطفّ الكارثين في الشُّوارع وتفرّجوا من شُرَفات رقيقة التّصميم، تبدو
أكثر هشاشة من أن تتحمّل أوزانهم. إنهم شعب من طِوال القامة ساحبي
الملامح، يرتدون الكتّان والسّميّ وفرو الثّمر، وكل واحدٍ منهم في نظرها
لورد أو ليدي. ترتدي النّساء فساتين تترك واحداً من الثّدين مكشوفاً، بينما
يلبس الرّجال ثياباً من الحرير المرصّع بالخرز، ما أشعر داني بأنها تبدو
كالهَمج ذوي الملابس الرثّة وهي تمرُّ بهم مرتديّة فروة الأسد وعلى كتفها
دروجون. يُسمّى الدوجون الكارثين «شعب الحليب» لشحوب بشرتهم،
وكان غال دروجو يحلم باليوم الذي ينهب فيه مُدن الشّرق العظيمة. ألقت
نظرة على خيّالة دمها، بأعينهم اللّوزيّة الدّاكنة التي لا تبوح بأفكارهم، وقالت

لنفسها متسائلة: ألا يرون غير الغنائم؟ لا بُدَّ أنَّا ندو برابرة حقاً في أنظار هؤلاء الكارثين.

تقدّم پيات پري گالاسارها في منتصف الممرّ المقنطر العظيم، حيث تقف تماثيل أبطال المدينة القدامى بثلاثة أضعاف حجمهم الأصلي، على أعمدة من الرّخام الأبيض والأخضر، ومروا خلال سوق تحتلّ مبنى غائراً فسيحاً، سقفه المرسوم على شكل عريش شجري يضمّ ألفاً من الطيور ذات الألوان البهيجة، بينما ازدانت الجدران المدرّجة فوق الأكشاك بنقوش الزهور والأشجار الباسقة، وبدا لداني أن المكان يحوي كلّ ما وضعت الآلهة على الأرض معروضاً للبيع.

جفلت فرسها عندما اقترب الأمير زارو زون داكسوس منها بجمله، وكانت داني قد لاحظت أن الخيول لا تطيق وجود الجمال على مقربة منها. من أعلى سرجه الأنيق ذي القرن قال لها زارو: «إذا رأيت شيئاً ترغبين فيه هنا يا جميلة الجميلات، فعليك أن تقولي فقط، وهو لك».

قال پيات پري ذو الشّفتين الزرقاوين برصانة من على جانبها الآخر: «كارت ذاتها لها، فهي لا تحتاج حلّياً رخيصةً. كما وعدتك يا غاليسي، تعالي معي إلى بيت الخالدين، وستشربين من نبع الحقيقة والحكمة».

حدّث زارو الدجّال قائلاً: «وما حاجتها إلى قصر الغبار هذا بينما أستطيع أن أعطيها نور الشمس ومياها عذبةً وحريراً تتمرّع فيه؟ سيضع الثلاثة عشر تاجاً من اليشب الأسود والأوپال النّاري على رأسها الجميل».

- «المكان الوحيد الذي أرغب فيه هو القلعة الحمراء في كينجز لاندنج يا لورد پيات». تتعامل داني بحذر مع المشعوذ، فقد سمّمت ميري ماز دور أفكارها إزاء كلّ من يلعبون بالسّحر. «وإذا كان عظماء كارت يرغبون في مهاداتي يا زارو، فليعطوني سُفناً ومقاتلين أسترّد بهم حقّي».

مطّ پيات پري شفّته الزرقاوين إلى أعلى بابتسامة كيّسة، وقال: «كما تأمرين يا غاليسي»، وابتعد متمائلاً مع حركة جملة، وثوبه الطويل المزّين بالخرز ينسدل وراءه.

غمغم زارو زون داكسوس من فوق سرجه العالي: «الملكة الصّغيرة أكثر

حكمة من سنوات عُمرها. ثمة مقولة في كَارث مفادها أن بيت الدَّجَال مَبْنِيٌّ من العظام والكذب.

- «لِمَ يَخْفِضُ النَّاسُ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَمَا يَتَكَلَّمُونَ عَنِ دَجَالِي كَارِثٍ إِذْنُ؟ فِي كُلِّ أَصْفَاقِ الشَّرِّ يَحْتَرِمُ النَّاسُ قُوَاهُمْ وَحُكْمَتَهُمْ».

قال زارو: «كَانُوا أَقْوِيَاءَ حَقًّا ذَاتَ يَوْمٍ، لَكِنَّهُمْ يُثِيرُونَ الضَّحْكَ الْآنَ، كَالْجُنُودِ الْمُسَيَّنِّ الَّذِينَ يَظْلُونَ يَتَبَاهَوْنَ بِشِرَاسَتِهِمْ بَعْدَمَا فَارَقَتْهُمْ كُلُّ طَاقَةٍ أَوْ مَهَارَةٍ. إِنَّهُمْ يَقْرَأُونَ لِفَانْفَعِهِمِ الْمَتَهَالِكَةَ، وَيَشْرَبُونَ صَبْغَةَ الْمَسَاءِ إِلَى أَنْ تَكْسُو الزُّرْقَةُ شِفَاهَهُمْ، وَيُلَمَّحُونَ إِلَى امْتِلَاكِهِمْ قُوَى مُخِيفَةٍ، لَكِنَّهُمْ مَجْرَدُ هِيََاكِلِ جَوْفَاءٍ مُقَارَنَةً بِأَسْلَافِهِمْ. احْذَرِي هَذَا يَا بَاتِ پَرِي، فَتَسْتَحِيلُ ثُرَابًا بَيْنَ يَدَيْكَ»، وَهُوَ عَلَى جَمَلِهِ بِضَرْبَةٍ مِنْ سَوَطِهِ، وَأَسْرَعَ مُتَعَدًّا.

تَمَّتِ السَّيْرُ جُورًا بَلُغَةً وَسُتْرُوسَ الْعَامِيَّةِ: «الْغُرَابُ يُغَيِّرُ الْغُدَافَ بِلَوْنِهِ الْأَسْوَدَ». كَانَ الْفَارِسُ الْمَنْفِي يَرْكَبُ إِلَى يَمِينِهَا كَالْعَادَةِ، وَمِنْ أَجْلِ دُخُولِهِمْ كَارِثٌ كَانَ قَدْ تَخَلَّى عَنْ نِيَابِ الدُّوْثِرَاكِيِّ، وَعَادَ يَرْتَدِي دِرْعَهُ وَقَمِيصَهُ الْمَعْدَنِي وَسِرَاوِيلَهُ الصُّوفِيَّةَ، ثِيَابَ الْمَمَالِكِ السَّبْعِ الْوَاقِعَةِ عَلَى الْجَانِبِ الْآخَرِ مِنَ الْعَالَمِ. «خَيْرٌ لَكَ أَنْ تَتَحَاشَى هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ يَا جَلَالَةُ الْمَلِكَةِ».

رَدَّتْ: «هَذَانِ الرَّجُلَانِ سَيُسَاعِدَانِي عَلَى الْفُوزِ بِتَاجِي. زَارُو فَاحْشِ الثَّرَاءَ، وَبَيَاتِ پَرِي...».

قَاطَعَهَا الْفَارِسُ بِفِظَازَةٍ: «... يَتَظَاهَرُ بِالْقُوَّةِ». عَلَى سُتْرَتِهِ الْخَضِرَاءُ الدَّاكِنَةُ وَقَفَ دُبٌّ عَائِلَةٌ مَورْمُونَتِ الْأَسْوَدِ الشَّرْسِ عَلَى قَائِمَتَيْهِ الْخَلْفَتَيْنِ، وَلَمْ يَبْدُ جُورًا أَقْلٌ ضِرَاوَةً مِنْهُ وَقَدْ عَبَسَ فِي وَجْهِهِ الْمُتَزَاحِمِينَ فِي السُّوقِ. «رَأَيْتُ أَلَّا نَبْقَى هُنَا طَوِيلًا يَا مَوْلَاتِي. رَائِحَةُ هَذِهِ الْمَكَانِ ذَانَهَا لَا تَرُوقُنِي».

ابْتَسَمَتْ دَانِي وَقَالَتْ: «لَعَلَّكَ تَشُمُّ رَائِحَةَ الْجَمَالِ، أَمَّا الْكَارِثَيْنِ أَنْفُسَهُمْ فَرَائِحَتُهُمْ زَكِيَّةٌ فِي أَنْفِي».

- «أَحْيَانًا يُسْتَخْدَمُ الرُّكْبِيُّ مِنَ الرَّوَائِحِ لِإِخْفَاءِ التَّنُّ مِنْهَا».

قَالَتْ دَانِي لِنَفْسِهَا: ذُبِّي الْكَبِيرَ. إِنِّي مَلِكْتُهُ، لَكِنِّي سَاطِلٌ بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهِ دَيْسَمًا صَغِيرًا كَذَلِكَ، وَسَيُحْيِيَنِي دَائِمًا. أَشْعَرَهَا هَذَا بِالْأَمَانِ، لَكِنَّهُ أَمَانٌ لَا يَخْلُو مِنْ حُزْنٍ، وَتَمَنَّتْ لَوْ أَنَّهَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تُحِبَّهُ أَكْثَرَ.

عرضَ زارو زون دأكوس عليها ضيافة بيته ما دامت في المدينة، وكانت تتوقع بناءً فخماً، لكنها لم تتصور حقاً هذا القصر الأوسع من بلدة سوق كاملة. إنه يجعل ضيعة الماجستر اليريو في پتوس تبدو كزريبة خنازير. وعدَّ زارو بأن بيته يتسع لراحة قومها كلهم بالإضافة إلى خيولهم، وقد ابتلعهم المكان ابتلاعاً بالفعل، وخصَّص لها جناح كامل، حيث ستحظى بحدائقها الخاصة، وحوض سباحة من الرُخام، وبرج لمراقبة النجوم، ومناهة من تصميم الدجالين، بينما سيُلبَّى العبيد حاجاتها كافة. في مسكنها الخاص، كانت الأرضية من الرُخام الأخضر، وعلى الجدران تنسدل معلقات من الحرير الملون الذي يتموج لامعاً كلما هبَّ النسيم.

قالت لزارو زون دأكوس: «أنت شديد الكرم».

- «لا هدية تغلو على أمَّ التَّانين». زارو رجل أنيق كسول الملامح، أصلع الرأس ولديه أنف معقوف كبير مزين بقطع صغيرة من الياقوت والأوبال واليُسب. «غداً ستناولين وليمةً من الطَّواويس ولسان طائر القُبْرة، وتسمعين موسيقى تليق بأجمل النساء. سيأتي إليك الثلاثة عشر ليقدِّموا فروض الطاعة، ومعهم كلُّ عُظماء كارت».

فكرت داني: كلُّ عُظماء كارت سيأتون لرؤية تانيني، لكنها شكرت زارو على لطفه قبل أن تصرفه، ثم استأذنت بيات بري بالانصراف متعهداً أن يلتبس من الخالدين أن تمثِّل أمامهم، وأضاف: «إنه شرف نادر كالتلوج في الصَّيف»، وقبل أن يغادر، لثمَ قدميها الحافيتين بشفتيه الزرقاوين الشاحبتين، وألحَّ أن تتقبَّل منه هديةً عبارة عن برطمانٍ يحوي دهاناً أقسم أنه سيجعلها ترى أرواحاً في الهواء.

كانت كويث أسرة الظلال آخر من غادر من السَّاعين إليها، وقالت من وراء القناع الأحمر المصقول: «حذار».

- «ممن؟».

- «من الجميع. سيأتون ليل نهار ليروا الأعجوبة التي وُلدت في هذا العالم من جديد، وسيشتهونها، فالتَّانين هي النَّار وقد استحالت لحمًا، والنَّار قوَّة».

عندما رحلت كويث بدورها، قال السير چورا: «إنها تقول الحق يا مولاتي... وإن كانت لا تروقني أكثر من الآخرين».

قالت: «لستُ أفهمها». لقد أمطرها بيات وزارو بالعود بمجرد أن رأوا تنانينها، وأعلنا نفسيهما خادميها المخلصين في كل شيء، بينما لم تتل من كويث غير كلمة غامضة، كما أنها مزعجة من أنها لم تر وجه المرأة إطلاقاً. تذكرني ميري ماز دور، تذكرني الخيانة. التفتت إلى خيالة دمها قائلة: «سنعين حرساً منا ما دمنا هنا. لا تسمحوا لأحد بدخول هذا الجناح دون إذني، واحرصوا على وضع حراسة كافية على التنانين طول الوقت».

قال آجو: «كما تأمرين يا غاليسي».

تابعت: «إننا لم نر من كازث غير البقاع التي أرادَ بيات پري أن نراها. راگارو، اذهب وألق نظرة على البقية، وأخبرني بما تجده. خذ رجالاً أقوياء معك، ونساءً كذلك، ليدخلن حيث يُمنع دخول الرجال».

قال راگارو: «كلامك أوامري دم دمي».

- «سير چورا، اذهب إلى الميناء واعرف ماهية السفن الراسية. لقد مضى نصف عام منذ بلغتني أي أخبار من الممالك السبع، ولربما تُنعم الآلهة علينا برَبَّان صالح من وستروس لديه سفينة تحملنا إلى الوطن».

قطب الفارس وجهه قائلاً: «تلك ليست نعمة، لأن الغاصب سيقتلك بكل تأكيد»، ودس إبهامه في حزام سيفه مضيئاً: «مكاني هنا إلى جانبك».

- «چوجو أيضاً يستطيع أن يحرسني، بينما تُجيد أنت لغات أكثر من خيالة دمي، والدوثرافي لا يشقون بالبحار ومن يُبحرون فيها. أنت الوحيد الذي يستطيع خدمتي في هذا الصدد. تجول بين السفن وتكلم مع أطقمها، اعرف من أين أتوا وإلى أين هم ذاهبون، ونوع الرجال الذين يقودونهم».

أوما مورمونت برأسه، وعلى مضض قال: «كما تقولين يا مولاتي».

عندما خرج الرجال كلهم، خلعت وصيفتها ثيابها الحريرية التي لوّثها السفر، وخرجت داني إلى حوض السباحة الرخامي المستظل بظل رواق معمد، حيث وجدت المياه باردة على نحو منعش، كما حفل الحوض بأسمالك ذهبية دقيقة أخذت تُعضض بشرتها بفضول وجعلتها تضحك.

أشعرها بالطمأنينة أن تُغلق عينيها وتطفو على سطح الماء، عالمة أنها تستطيع الراحة قدر ما شاءت، وتساءلت إن كانت قلعة إجون الحمراء تحوي حوضاً كهذا، وحدائق غناء تعبق بالخزامى والتنعنع. من المؤكد أنها تضم كل هذه الأشياء. فسيرس قال إن الممالك السبع أبهى من أي مكان آخر في العالم. أصابها التفكير في الوطن بالانزعاج. لو عاش شمسها ونجومها، لكان قد عبر المياه المسمومة بگالاساره واكتسح أعداءها، لكن قوته فارقت الحياة. صحيح أن خيالة دمها بقوا، وأنهم أقسموا على الولاء لها مدى الحياة، وأنهم بارعون في فنون القتال، لكن على طريقة سادة الخيول فحسب، فالدوئراكي يجتاحون المدن وينهبون الممالك، لكنهم لا يحكمونها، وداني لا ترغب في تحويل كينجز لاندنج إلى أطلال محترقة ملأى بأرواح الموتى القلقة، فقد شربت ما يكفي من الدُموع بالفعل. أريد أن أجعل مملكتي جميلة، أن أملاها بالرجال السمان والفتيات الحسنات والأطفال الضاحكين. أريد أن يتسم شعبي عندما يراني أمر، مثلما كان يتسم لأبي كما قال فسيرس. لكن قبل أن يتسنى لها ذلك، عليها أن تغزو أولاً.

مورمونت قال: الغاصب سيقتلك بكل تأكيد، وروبرت قتل أخاها الباسل ريجار، ثم عبر واحد من مخلوقاته بحر الدوئراكي ليقتلها وابنها الذي لم يولد. يقولون إن روبرت قوي كالثيران ومقدام في المعارك، إنه رجل لا يهوى شيئاً أكثر من الحرب، ومعه يقف اللوردات العظام الذين لقبهم أخوها بكلاب الغاصب، إدارد ستارك ذي القلب الجليدي، وولدا لانستر الذهبيان، الأب والابن، براثهما وسطوتهما وخيانتها.

من أين لها الأمل في الإطاحة برجال كهؤلاء؟ لَمَّا كان گال دروجو حياً، كان الرجال يرتجفون ويُغدقون عليه الهدايا ليتقوا غضبته، وإذا لم يفعلوا، كان يأخذ مدنهم وثرواتهم وزوجاتهم وكل ما يملكون، لكن گالاسار دروجو كان ضخمًا، بينما گالاسارها هي ضئيل. لقد تبعها قوما عبر القفر الأحمر وهي تُطارد مذنبها، وسيتبعونها عبر المياه المسمومة كذلك، لكنهم لن يكفوا. لقد آمن فسيرس بأن البلاد ستتنفض لنصرة الملك الشرعي... لكن فسيرس كان أحمق، والحمقى يؤمنون بأشياء حمقاء.

جعلتها شكوكها ترتجف، وأحسّت داني فجأة أن الماء أبرد من اللازم، وتضايقت من وخز الأسماك الدقيقة لبشرتها، فنهضت وخرجت من الحوض منادية: «إيري، چيكوي».

فيما جففت الوصيفتان جسدها وألبستها ثوبًا من الحرير الرّملي، دارت أفكار داني حول الثلاثة الذين سعوا إليها في مدينة العظام. النّجم النّازف قادني إلى كارث لسبب ما. سأجد ما أحتاجه هنا، إذا تحليت بالقوة لأخذ ما يعرض عليّ، والحكمة لتحاشي الشّراك والمصايد. إذا أرادتني الآلهة أن أغزو، فسترسل لي علامة... أمّا إذا لم تُرد... إذا لم تُرد...

كان المساء يوشك على المجيء وداني تُطعم تانينها، عندما دخلت إيري من بين الشّتائر الحرير لتخبرها بأن السير جورا عاد من الميناء، وليس وحده، فردّت بفضول: «دعيه يدخّل مع من أتى في ضُبحته».

كانت جالسة على كومة من الوسائد عندما دخلا، ورأت أن الرّجل الذي جاء مع جورا يرتدي معطفًا من الرّيش الأخضر والأصفر، وبشرته كالكهرمان الأسود. قال الفارس: «جلالة الملكة، أقدم لك كاهورو مو، رُيان رّيح القِرقة» القادمة من بلدة الأشجار الطويلة.

ركع الرّجل الأسود قائلاً: «شرف عظيم لي يا مولاتي». لم يقلها بلغة جُزر الصّيف التي تجهلها داني، وإنما بالقاليريّة المائعة التي يتحدثونها في المُدن الحُرّة السّبع.

أجابّت داني بالّلغة نفسها: «الشّرف لي يا كاهورو مو. هل أتيت من جُزر الصّيف؟».

- «هذا صحيح يا جلالة الملكة، لكن قبل ذلك، منذ أقلّ من نصف عام، رسونا في البلدة القديمة، ومن هناك أتيتك بهديّة ثمينة».

- «هديّة؟».

- «هديّة في صورة أخبار يا أمّ التّنانين ووليدة العاصفة. أقول لك صدقًا إن روبرت باراثيون مات».

كان الغسق ييسط أجنحته فوق كارث خارج الجدران، لكن في قلب داني أشرقت الشّمس، فردّدت: «مات؟»، وفي حجرها أطلق دروجون الأسود

فحيثما وارتفع الدخان الباهت أمام وجهها كحجاب. «أأنت واثق؟ الغاصب مات؟».

- «هكذا يقولون في البلدة القديمة، وفي دورن، وفي ليس، وكلّ الموانئ الأخرى التي رسونا فيها».

أرسل لي نبيلًا مسمومًا، لكنني حيّة وهو ميت. سألته: «كيف مات؟»، وعلى كتفها خفق قسيريون الشاحب بجناحين بلون القشدة محرّكا الهواء.

- «مزقه خنزير بري متوحّش وهو يصطاد في غابة الملوك، أو أن هذا ما سمعته في البلدة القديمة. يقول آخرون إن ملكته خائنه، أو أخاه، أو اللورد ستارك الذي كان يده، لكن الحكايات كلها تتفق على أن الملك روبرت مات وفي قبره بالفعل».

لم تر داني وجه الغاصب قط، لكن لا يكاد يوم يمرّ دون أن تُفكّر فيه، فظله الشاسع ساقط عليها منذ ساعة ميلادها، حينما جاءت وسط الدّم والعاصفة الهائجة إلى دنيا لم يعد لها فيها مكان، والآن يرفع هذا الغريب الأبنوسي الظلّ عنها.

قال السير چورا: «الصّبي يجلس على العرش الحديدي الآن». عَقَّب كاهورو مو: «الملك چوفري يحكّم، لكن السّلطة الحقيقيّة في يد عائلة لانستر. لقد فرّ أخوا روبرت من كينجز لاندنج، ويُقال إنهما بنيوان المطالبة بالتّاج، كما أن اليد سقطت كذلك، اللورد ستارك صديق الملك روبرت. لقد اعتقلوه بتهمة الخيانة».

قال چورا ساخراً: «ند ستارك خائن؟ مستحيل. سيحلّ الصّيف الطّويل من جديد قبل أن يُدنّس هذا الرّجل شرفه الغالي».

قالت داني: «أيّ شرف هذا؟ لقد خانَ ملكه الحقيقي، تمامًا مثل آل لانستر». سرّها أن تعرف أن كلاب الغاصب يتصارعون، وإن لم تندم، فالشيء نفسه حدث بحذافيره عندما مات دروجو، ومزّق غالاساره العظيم نفسه إلى أشلاء. قالت لرجل جُزر الصّيف: «أخي مات كذلك، قُسيّرس الذي كان الملك الشرعي. السيّد زوجي غال دروجو قتله بتاج من الذهب

الذَّائِبِ». لو أن أخاها كان أكثر حكمةً، فهل كان لِيُدرِكَ أن القصاص الذي تمثَّاه من الآلهة قريب لهذا الحد؟

- «إنني حزين من أجلك يا أمَّ التَّنانين، ومن أجل وستروس التي تنزف محرومةً ملكها الشَّرعي».

تحت أصابع داني الرِّقِيقَة، حدَّق ريجال الأخضر في الغريب بعينين من الذَّهَب المصهور، وعندما فتح فمه لمعت أسنانه كإبر سوداء. سألت: «متى تعود سفيتك إلى وستروس أيها الرُّبَّان؟».

- «أخشى أننا لن نعود قبل عام أو يزيد، فَمِن هنا سُبْحِر «ريح القِرْفَة» شَرَقًا لتقوم بدورة التَّجارة في أنحاء بحر اليَسْب».

قالت داني شاعرة بخيبة الأمل: «مفهوم. أتمنى لك ريحًا مواتيةً وتجارةً رابحةً إذن. لقد جئتني بهديَّة نفيسة».

- «وقد تلقَّيتُ المقابل أضعاقًا يا مولاتي».

تساءلت حائرة: «كيف؟».

أجاب بعينين تتألَّقان: «لقد رأيتُ التَّنانين».

قالت ضاحكة: «أمل أن تراها أكثر ذات يوم. تعالَ إليَّ في كينجز لاندنج عندما أجلس على عرش أبي، وستال مني مكافأةً سخيةً».

وعدها رجل جُزر الصَّيف بأنه سيفعل، وطبع قُبْلَة خفيفةً على أصابعها وهو يستأذن بالانصراف، ثم صحبته جيكوني إلى الخارج، بينما ظلَّ السير جورا مورمونت، وقال لَمَّا أصبحا وحدهما: «غاليسي، لو كنتُ مكانك لما تكلمتُ بهذا الانفتاح عن خُططي، فهذا الرَّجل سيُسَرُّ الحكاية أينما ذهب».

قالت: «دعه يَنشرها، دَع العالم كله يعرف مرامي. لقد مات الغاصب، فما الفارق؟».

أجابها السير جورا بنبرة تحذيرية: «ليست كلُّ حكايات البحَّارة حقيقةً، وحتى لو مات روبرت حقًّا، فابنه يحكم مكانه، وهذا لا يُغيِّر شيئًا حقًّا».

قالت داني: «بل يُغيِّر كلَّ شيء»، ونهضت بحركة حادة، فاعتدل تنانينها وبسطوا أجنحتهم، وخفق دروجون وتسلَّق المدخل المقنطر غارسًا فيه أنيابه حتى بلغ العتبة العُلْيَا، بينما تسكَّع الآخَران على الأرض وأطراف أجنحتهما

تحتكُ بالثرخام. «في السابق كانت الممالك السَّبع مثل غالاسار دروجو، مئة ألفٍ وخذتهم قوَّته، والآن انفضَّ هذا الرِّابط كما حدث مع الغالاسار بعد موت غالِي».

- «لطالما تقاتل اللوردات الكبار. أخبريني من فازَ وسأخبرك ما يعنيه هذا. غاليسي، الممالك السَّبع لن تَسْقُط في يدك كثمار الخوخ النَّاضجة على الشَّجر. سوف تحتاجين أسطولا، وذهبًا، وجُنْدًا، وتحالفات...».

قاطعتَه قائلة: «كلُّ هذا أعيه»، وأخذت يديه بين يديها ورفعت عينيهما إلى عينيه الدَّاكتين السَّكَّاتين. أحيانًا يَفْكُرُ فيَّ كأني طفلة يجب أن يحميها، وأحيانًا كامرأة يرغب في أن يُطَارِحها الغرام، لكن هل يراني ملكته حقًا؟ «لستُ الفتاة الخائفة التي التقينها في پنتوس. أي نعم لا يتعدَّى عُمرِي الخمسة عشر عامًا، لكنني عجوز كحيزبونات الدوش غالين، وصغيرة كتنانيني يا چورا. لقد حملتُ طفلًا، وأحرقْتُ غالًا، وعبرتُ الفَقْر الأحمر وبحر الدوثراكي، ودمائي دماء التَّنين».

قال بعناد: «كما كانت دماء أخيك».

- «أنا لستُ فسيرس».

قال: «نعم، لستِ هو. أعتقد أن فيك من ريجار أكثر من فسيرس، لكن حتى ريجار نفسه كان قابلاً للقتل، وروبرت أثبتَ هذا في معركة الثَّالوث دون أن يحتاج أكثر من مطرقة حربيَّة. حتى التَّنانين تموت».

شَبَّت على أصابع قدميها ولثمته برفق على خدِّه غير الحليق، وقالت: «التَّنانين تموت، لكن قاتليها يموتون كذلك».



بران

تحركت ميرا بحذر في دائرة، وقد تدلت شبكتها من يدها اليسرى، بينما وازنت يمينها رُمح صيد الضفادع الرفيع ذا الشعب الثلاث، وتابعها سمر بعينه الذهبيتين وهو يدور رافعاً ذيله الطويل، ويراقب، ويراقب...

صاحت الفتاة والرُمح يندفع: «ياي!»، وانزلت الذئب يساراً ووثب قبل أن تتمكن من سحب الرُمح إلى الوراء، فألقت الشبكة التي انحلت عقدها في الهواء أمامها، لتلتف حول سمر الذي ألقته الوثبة داخلها مباشرة، وجرها معه وهو يرتطم بصدر ميرا، لئسقطها على ظهرها ويطيّر الرُمح من يدها. خفف الكلال الرطب سقطتها، وإن أفرغت رشاها كل ما فيهما من هواء بصوت «أووف» عالٍ، ثم جنم الذئب فوقها.

وصاح بران بجذلي ظافر: «خسرت».

قال أخوها چوچن: «بل كسبت، سمر وقع في الشرك».

رأى بران أنه محق، إذ أخذ سمر يتقلب بعنف ويَزْمَجِر محاولاً تحرير نفسه من الشبكة، فقط ليورط نفسه فيها أكثر، خصوصاً أنه لا يستطيع تمزيقها بأسنانه، فقال بران: «أخرجيه».

ضاحكة، طوّقت ابنة ريد الذئب العالق في الشبكة بذراعيها وتدحرجت معه، فأطلق سمر أنيناً مثيراً للشفقة وقوائمه تركل الجبال التي قيّده، ثم ركعت ميرا إلى جواره وحلت حبلين محبوبين، وسحبت جزءاً من رُكن، وشدت هنا وهناك بحركات رشيقة بأصابعها، وفجأة كان الذئب الرهيب يتوأن حُرّاً. قال بران: «سمر، إليّ»، ثم عقب: «تفرّجني»، قبل أن يرتطم به الذئب

بلحظة واحدة، فتمسك به بكل قوته وهو يجزئه على الكلا، وتصارع الاثنان وتدحرجا وتشبنا ببعضهما بعضاً، أحدهما يزوم وينبح، والثاني يضحك، وفي النهاية استلقى بران فوق الذئب الرهيب الذي وسخه الوحل، وقال لاهتا: «ذئب طيب»، فلعق سمر أذنه.

هزت ميرا رأسها متسائلة: «ألا يغضب أبداً؟».

أجاب بران: «ليس مني»، وشدد الذئب من أذنيه، فنهش سمر الهواء أمام وجهه بشراسة، لكن على سبيل اللعب لا أكثر، فواصل بران: «أحياناً يُمزق ثيابي، لكنه لم يُرق الدم قط».

- «تعني أنه لم يُرق دمك أنت، فلو أنه تملص من شبكتي...».

- «لم يكن ليؤذيك، فهو يعرف أنني أعزك». كان جميع اللوردات والفرسان الآخرين قد رحلوا عقب احتفال الحصاد بيوم أو اثنين، باستثناء الأخوين ريد اللذين بقيا وأصبحا رفيقي بران الدائمين. كان چوچن شديد الرزاة، حتى إن العجوز نان لقبتة بالجد الصغير، بينما تذكّر ميرا بران بأخته آريا، فهي لا تخشى أن تتسخ، وتُجيد العذو والقتال والتسديد كأخي صبي، وإن كانت تكبر آريا عمراً، تكاد تبلغ عامها السادس عشر لتصبح امرأة ناضجة، وكلا الأخوان أكبر من بران في الحقيقة، على الرغم من أن يوم ميلاده التاسع جاء أخيراً ومضى، لكنهما لا يُعاملانه كطفل إطلاقاً.

قال: «لنكما كتما ربيينا بدلاً من الوالدين»، ثم بدأ يكافح للزحف صوب أقرب شجرة، فكان من غير اللائق الاكتفاء بمراقبته يجرّ قدميه ويتلوى، لكن عندما تحركت ميرا لترفعه، قال لها: «لا، لا تُساعديني»، وتدحرج بحركة خرقاء ودفع نفسه إلى الخلف معتمداً على قوة ذراعيه، إلى أن جلس وظهره إلى جذع شجرة دردار عالية، ثم قال وقد تمدد سمر إلي جانبه ووضع رأسه في حجره: «أرأيت؟ كما قلت لك»، ثم أردف وهو يحك الذئب الرهيب بين الأذنين: «لم أعرف أحداً يُقاتل بشبكة من قبل. هل علمك قيم السلاح في قلعتم القتال بالشباك؟».

- «أبي علمني، فليس لدينا فرسان في القلعة الرمادية، ولا قيم سلاح أو

مايستر».

- «وَمَنْ يُعْنَى بِغِدْفَانِكُمْ إِذْنٌ؟».

أجابَتْ مبتسمةً: «الغِدْفَان لا تستطيع العثور على قلعة المياه الرَّمَادِيَّة، تمامًا مثل أعدائنا».

- «ولم لا؟».

- «لأنها تتحرَّك».

لم يسمع بران من قبل قطُّ بشيءٍ كقلعة متحرِّكة، فرمَّها مرتابًا، وإن لم يستطع أن يستقري من ملامحها إن كانت تُعابِثه أم لا، فقال لها: «أتمنَّى أن أراها. هل تحسبين أن السيِّد والدكِ سيسمح لي بالزيارة بعد الحرب؟».

- «أنت على الرَّحْب والسَّعة يا سموَّ الأمير، حينها أو الآن».

ردَّد بران الذي أمضى حياته كلها في ويترفل ويتوق لرؤية البقاع البعيدة: «الآن؟ يُمكنني أن أسأل السير رودريك عندما يعود». كان الفارس العجوز قد ذهبَ شرقًا، بغية أن يُحاول تصحيح الأوضاع المضطربة هناك، بعد أن بدأ ابن روكس بولتون غير الشرعي المتاعب بالقبض على الليدي هورنود فور عودتها من احتفال الحصاد، وتزوَّجا في الليلة نفسها على الرغم من أنه في سنِّ أولادها، ثم استولى اللورد ماندرلي على قلعتها، ليحمي أملاك عائلة هورنود من آل بولتون كما زعمَ في رسالته، ومع ذلك قاربت غصبة السير رودريك منه غضبته من التَّغل. «قد يتزكني السير رودريك أذهب، أمَّا المايستر لوين فلن يُوافق أبدًا».

حدَّجه جوجن ريد الجالس متقاطع السَّاقين تحت شجرة الويروود بنظرة مكفهرَّة، وقال: «من الخير أن تُعادر ويترفل يا بران».

- «حقًّا؟».

- «نعم، وعاجلاً قبل آجلاً».

قالت ميرا: «أخي يتمنَّع بالبصيرة الخضراء، يحلُم بأشياء لم تحدث بعد، لكنها تتحقَّق أحيانًا».

بادرَها أخوها: «ليس هناك «أحيانًا» يا ميرا»، وتبادل الاثنان نظرة تفاسمت حُزنه وتحديها.

قال بران: «أخبرني بما سيحدث».

رَدَّ چوچن: «سأفعلُ إذا حكيت لي عن أحلامك».

خَيْمٌ صمت مطبق على أَيْكَةِ الآلهة، فلم يسمع بران غير حفيف أوراق الأشجار وصوت المياه التي يَنْثُرُها هودور بعيداً في الينابيع الساخنة، ووجد أفكاره تتجه إلى الرَّجلِ الذَّهبيِّ والغُرابِ ذي الأعينِ الثَّلاثِ، متذكِّراً العظام تنسحق بين فكَّيه ومذاق الدَّمِ النَّحاسي على لسانه، ثم إنه قال: «لستُ أحلم. المايستر لوين يسقيني عقاقير النَّوم».

- «وهل تُساعدك؟».

- «أحياناً».

قالت ميرا: «ويترفل كلها تعرف أنك تصحو ليلاً تَصْرُخُ وتَتَصَبَّبُ عَرْقاً يا بران. النِّساء يتكلَّمُن عند البئر، وكذا الحُرَّاس في قاعتهم».

وقال چوچن: «أخبرنا بما يُخيفك إلى هذا الحد».

- «لا أريدُ، ثم إنها مجرد أحلام على كلِّ حال. المايستر لوين قال إن الأحلام قد تعني أيَّ شيء أو لا شيء على الإطلاق».

قالت ميرا: «أخي يرى أحلاماً عاديةً كغيره من الصُّبية، وتلك الأحلام قد تُفسَّر بأيِّ شكل، لكن الأحلام الخضراء مختلفة».

لچوچن عينان بلون الطحلب، وأحياناً عندما يتطلَّع إليك، فإنه يبدو كأنه يرى شيئاً آخر... مثل الآن وهو يقول لبران: «رأيتُ في منامي ذبَّاباً مجنَّحاً مقيّداً إلى الأرض بأغلال من الحجر الرَّمادي. كان حُلماً أخضر، فعرفتُ أنه حقيقي. كان هناك غُراب يُحاول تكسير الأغلال بمنقاره، إلّا أن الحجر كان شديد الصَّلادة، فلم يستطع المنقار غير أن يخدشه».

- «أكان للغُراب ثلاث أعين؟».

أوماً چوچن برأسه إيجاباً، فرفع سَمر رأسه من حجر بران، ورمقَ بعينه الذَّهبيَّتين الدَّاكتين ولد الأوحال الذي قال: «في طفولتي كدْتُ أُموتُ بحُمى المستنقعات، وعندئذٍ أتاني الغُراب».

اندفع بران يقول: «لقد أتاني بعدما سقطتُ، وظللتُ غائِباً عن الوعي فترةً طويلةً. قال إن عليَّ أن أطير أو أُموت، ثم استيقظتُ مكسوراً ولم أطر على الإطلاق».

قالت ميرا: «يُمكنك أن تفعلها إذا أردت»، والتفطت شبكتها وهزتها لتتحرل عُقدها الأخيرة، ثم بدأت تُسويها في طَيَّاتِ فضفاضة.
قال چوچن: «أنت الذئب المجنَّح يا بران. لم أكن متأكَّدًا في بداية مجيئنا، لكنني متأكَّد الآن. الغُراب أرسلنا إلى هنا لنُحطِّمَ أغلاك».

- «أهو في القلعة الرَّماديَّة؟»

- «لا، الغُراب في السَّمال».

- «على «الجدار»؟». لطالما أرادَ بران أن يرى «الجدار»، لا سيَّما أن أخاه التَّغل چون هناك الآن، رجل في حرس اللَّيل.

أجابَت ميرا ريد وهي تُعلِّقُ الشَّبكة في حزامها: «وراء «الجدار». السيِّد والدنا أرسلنا إلى ويترفل عندما أخبره چوچن بِحُلمه».

سأل بران: «كيف أحطِّمُ الأغلال يا چوچن؟».

- «افتح عينك».

- «إنهما مفتوحتان، ألا ترى؟».

أجابَ چوچن مشيرًا: «اثنان فقط مفتوحتان. واحد، اثنان».

- «وَأنا لا أملكُ غير اثنتين!».

قال چوچن بطريقة كلامه المتمهِّلة الرَّفيقة: «بل تملك ثلاثًا. الغُراب أعطاك العين الثالثة، لكنك تَرُفُض أن تفتحها. بعينين ترى وجهي، وبثلاث يُمكنك أن ترى قلبي. بعينين ترى شجرة البلوط هذه، وبثلاث يُمكنك أن ترى الجوزة التي نمت الشَّجرة منها والبقايا التي ستصيرها ذات يوم. بعينين لا تَري أبعد من أسوارك، وبثلاث يُمكنك أن تَنظُرَ جَنُوبًا إلى بحر الصَّيف وشَمالًا إلى ما وراء «الجدار»».

نهَضَ سمر، بينما ارتسمت ابتسامة متوتِّرة على وجه بران وهو يقول: «لا أحتاجُ إلى النَّظَر بعيدًا هكذا. لقد سَمِعتُ الكلامَ عن الغُربان. لتكلِّمَ عن الذَّئاب، أو الأسود الزَّواحف. هل اصطدَّت أحدها من قبل يا ميرا؟ إنها لا تعيش في هذه الأنحاء».

التفطت ميرا رُمح صيد الضَّفادع من بين الشَّجيرات مجيئة: «تعيش في الماء، في التُّهيرات البطيئة والمستنقعات العميقة...».

قَاطَعَهَا أَخُوها سائلاً بران: «هل حلمت بأسدٍ زاحف؟»
- «كلا. قلتُ لك إنني لا أريدُ...».

- «هل حلمت بذئب؟».

قال بران وقد بدأ الغضب ينتابه: «لستُ مضطراً لأن أحكي لك عن أحلامي. إنني الأمير، ابن ستارك في وينترفيل».

- «هل كان سَمَر؟».

- «صمتاً!».

- «ليلة مآذبة الحصاد حلمت أنك سَمَر في أَيْكة الآلهة، أليس كذلك؟».
صاح بران: «كفى!»، فانسَلَّ سَمَر تجاه شجرة الويروود وقد كشفَ أسنانه.
تجاهله جوجن ريد، وتابع: «عندما لمسْتُ سَمَر، شعرتُ بك في داخله، تماماً مثلما أنت في داخله الآن».

- «لم يكن بإمكانك أن تفعل، لأنني كنتُ نائماً في سريري».

- «كنت في أَيْكة الآلهة والرّمادي يكتشفك».

- «كان مجرد حلم سيئ...».

نهض جوجن قائلاً: «لقد شعرتُ بك، شعرتُ بك تَسْقُط. أهذا ما يُخيفك؟ الشُّقُوط؟».

الشُّقُوط، والرجل الذهبي، شقيق الملكة، هو أيضاً يُخيفني، لكن الشُّقُوط يُخيفني أكثر. غير أن بران لم يَبْجِ بأفكاره، فكيف يستطيع؟ إنه لم يَقوَ على إخبار السير رودريك أو المايستر لوين حتى، ولا يستطيع أيضاً أن يُخبر الأخوين ريد. عساه ينسى إذا ظَلَّ لائِذاً بالصَّمت، فهو لم يرغب في أن يتذكَّر إطلاقاً، وقد لا يكون ما يتذكَّره صحيحاً من الأساس.

سأله جوجن بهدوء: «هل تَسْقُط كُلَّ ليلةٍ يا بران؟».

خرَجَتْ من حَلَق سَمَر زمجرة غاضبة واطئة خالية تماماً من حِسِّ اللَّعب، وتقدَّم مكشوف الأسنان متَّقد العينين، فتقدَّمت ميرابورها لتحول بين الذئب وأخيها رافعة رُمحها، وقالت: «اجعله يتوقَّف يا بران».

- «جوجن يُثير غضبه».

فضَّضت ميرابور شَبكتها، بينما قال أخوها: «إنه غضبك أنت يا بران، وخوفك».

- «كلا، أنا لستُ ذئبًا»، قال بران على الرغم من أنه كان يعوي مع الذئبين ليلاً وعرف طعم الدّم في أحلامه.

- «سمر جزء منك، وأنت جزء منه. إنك تعرف هذا يا بران».

اندفع سمر إلى الأمام مسرعًا، لكن ميرا سدّت الطريق في وجهه ملوّحة برُمحها ثلاثي الشعب، فانزلق الذئب جانبًا وداز متحيّئًا فرصة الهجوم، والتفتت ميرا تواجّه قائلة: «اجعله يرجع يا بران».

صاح بران: «سمر! سمر، إليّ!»، وخطّ براحة يده المفتوحة على لحم فخذه، فاستشعر وخزًا في يده، بينما لم تشعُر ساقه الميتة بشيء.

انقضّ الذئب الرّهيب ثانية، وثانيةً اندفع رُمح ميرا، وتفاداه سمر وداز متراجعًا، ثم صدرَ حفيف من وسط الشُّجيرات، وخرجَ جسم أسود رشيّق من وراء شجرة الويروود كاشفًا أسنانه. كانت الرّائحة قويّة، واشتم أخوه غضبه. أحسّ بران بالشُّعيرات تنتصب على مؤخّرة عنقه، وقد وقفت ميرا إلى جوار أخيها وعلى جانبيهما الذئبان، وصاحت: «بران، اجعلهما يرجعان!».

- «لا أستطيع!».

- «چوجن، تسلّق الشجرة».

- «لا داعي. اليوم ليس يوم مماتي».

صرخت فيه: «تسلّق!»، فبدأ أخوها يصعد مستخدمًا ملامح الوجه المحفور كدعامات، وانقضّ الذئبان معًا، فتخلّت ميرا عن الشّبكة والرُمح، ووثبت إلى أعلى متمسّكة بالغُصن الذي يعلوها، ليُطبق فكّا شاجي على الهواء تحت كاحلها مباشرةً وهي تتأرجح إلى أعلى لتقف فوق الغُصن. جلسَ سمر على قائمته الخلفيتين وراح يعوي، بينما افترسَ شاجيدوج الشّبكة ومزّقها بأسنانه.

حينئذٍ فقط تذكّر بران أنهم ليسوا وحدهم، فكوّر يديه حول فمه صائحًا: «هودور! هودور! هودور!». كان يرتجف خوفًا، وبشكل ما يحسّ بالخزي أيضًا، فقال لصديقيه العالقين فوق الشجرة: «لن يمسا هودور بأذى».

مرّت لحظات قليلة قبل أن يسمعوا دندنة بلا لحن، وظهرَ هودور نصف

عارٍ وملوثٍ بوحل الينابيع السّاخنة، لكن بران لم يشعُر بمثل هذا الشُّرور لرؤيته من قبل، وقال: «هودور، ساعدني، اطرُد الذّئبين، اطرُدْهُمَا».

لَبَّى هودور الأمر بمرح وقد أخذَ يُلَوِّحُ بذراعيه ويدقُّ الأرضَ بقدميه صائحا: «هودور، هودور»، بينما يجري نحو ذئبٍ ثم الثّاني، فانسحبَ شاجيدوج أولاً وانسلَّ بين الشّجيرات مطلقاً زمجرةً أخيرةً، ثم عندما اكتفى سمر، عادَ إلى بران واستلقى إلى جواره.

اختطفَتَ ميرا شبكتها ورُمحها بمجرد أن لمست قدميها الأرض، أمّا جوجن فلم يرفع عينيه عن سمر لحظةً، وقال لبران بنبرة من يقطع وعداً: «ستكلمُ ثانية».

لا يفهم حقّاً كيف تصرّف الذّئبان بهذا الهياج. هما من فعلا هذا وليس أنا. لعلّ المايستر لوين كان محقّقاً عندما جسّهما في أيكة الآلهة. قال: «هودور، خُذني إلى المايستر لوين».

كان بُرجُ المايستر الواقع تحت المِغْدفة من أماكن بران المفضّلة دائماً، وعلى الرغم من أن لا أمل في تعلّم لوين ترتيب حاجياته، فمنظر الكتب واللّفائف والقوارير المكوّمة بلا نظام يظلّ مألوفاً ومريحاً لبران، تماماً كالبقعة الصّلعاء على رأس المايستر وكُمّي ثوبه الرّمادي الفضفاض، كما أن الصّبي يُحبُّ الغدغان أيضاً.

وجدَ لوين جالساً على كرسي مرتفع ويكتب، ففي غياب السير رودريك وقع عبءُ حُكم القلعة بأكملها على عاتقه. قال عندما دخلَ هودور: «سمو الأمير، جئت مبكراً إلى دروسك اليوم». جرّت العادة على أن يقضي المايستر عدّة ساعاتٍ كلّ يومٍ بعد الظّهر في تعليم بران وريكون والصّبيّين والدرّفراي. قال بران: «هودور، قف ثابتاً»، ثم تمسّك بشمعدان مثبتٍ إلى الحائط بكلتا يديه، واعتمدَ عليه ليسحب نفسه إلى أعلى وخارج السّلة، ثم تدلّى من ذراعيه في الهواء لحظةً، قبل أن يحمله هودور ويضعه في أحد الكراسي، حيث جلسَ وقال: «ميرا تقول إن أخاها يتمتّع بالبصيرة الخضراء».

حكّ المايستر لوين جانب أنفه بريشة الكتابة قائلاً: «حقّاً؟».

أوماً برأسه إيجاباً، وقال: «أذكرُ أنك أخبرتني بأن أطفال الغابة كانوا يتمتعون بها».

- «البعض يزعم أنهم كانوا يملكون تلك القدرة، وكان حُكماؤهم يُسمّون الأنبياء الحُضر».

- «أكان هذا سحراً؟».

- «يُمكنك أن تُسمّيه سحراً لافتقارنا لتعبير أفضل، لكنه كان مجرد ضرب مختلف من المعرفة في جوهره».

- «وماذا كان؟».

وضع المايستر لوين ريشته، وأجاب: «لا أحد يعرف على وجه اليقين يا بران، فقد غاب الأطفال من العالم، وغابت معهم حكمتهم. نعتقد أن للأمر علاقة ما بالوجه المحفورة على الأشجار، وقد آمن البشر الأوائل بأن الأنبياء الحُضر كانوا يستطيعون النظر من خلال عيون أشجار اليرودد، ولهذا السبب قطعوها متى خاضوا معركة من أطفال الغابة. يُعتقد أيضاً أن الأنبياء الحُضر كانوا يملكون سلطاناً على حيوانات الغاب وطيور الشجر، وحتى الأسماك. هل يدعي ابن ريد امتلاكه شيئاً من تلك القوى؟».

- «لا، لا أظن، لكن ميرا تقول إنه يرى أحلاماً تتحقّق أحياناً».

- «كلنا نحلم بأشياء تتحقّق أحياناً. أنت نفسك حلمت بالسيّد والدك في السّرايب قبل أن يبلغنا خبر موته، أتذكر؟».

- «وريكون كذلك، كلانا رأى الحلم ذاته».

- «اعتبرها البصيرة الخضراء إذا أردت... لكن تذكر أيضاً عشرات الآلاف من الأحلام الأخرى التي رأيتها أنت وريكون ولم تتحقّق. هل تذكر ما علّمتك إياه عن طوق الحلقات الذي يرتديه كل مايستر؟».

فكر بران برهةً محاولاً التذكّر، ثم أجاب: «المايستر يُكوّن حلقات سلسلته في قلعة البلدة القديمة، وهي سلسلة لأنك تُقسّم على الخدمة، ومصنوعة من معادن مختلفة لأنك تخدم البلاد، والبلاد فيها مختلف أنواع النّاس، وكلما تعلّمت شيئاً جديداً تُضيف حلقةً؛ الحديد الأسود لفنّ الغدنة، والفضّة للعلاج، والذهب للحسابات والأرقام... لا أذكرها كلها».

دَسَ لوين إصبعا تحت سلسلته وبدأ يُدَوِّرها بوصةً بوصةً حول عُنقه
 الثَّخين مقارنةً بجسده الصَّغير، لكنه سرعان ما دَوَّرها بالكامل، وقال عندما
 تدلَّت حلقة مصنوعة من معدنٍ رماديٍّ داكن فوق ثَفَاحَة حَلَقه: «هذا فولاذ
 فاليري. مايستر واحد من كلِّ مئة يضع حلقةً كهذه، تُشير إلى أنني درستُ
 ما يُسمُّونه «الغوامض العُليا» في «القلعة»، أي السَّحر لعدم وجود مصطلح
 أوفى. إنه مسعى مشوّق حقًا، لكن محدود الفائدة، ولهذا السَّبب يُجَسَّم عددٌ
 قليل جدًّا من المايسترات نفسه عناء الاهتمام به. كلٌّ من يدرسون الغوامض
 العُليا يُجَرَّبون التَّعامل مع التَّعاوِذ عاجلاً أم آجلاً، ويجب أن أعترف بأنني
 استسلمتُ لهذا الإغراء، لكنني كنتُ صبيًّا، وأني صبيٌّ لا يتَمَنَّى سِرًّا أن يكتشف
 قُوَى خَفِيَّةً في نفسه؟ على أن جهودي لم تُثمر أكثر مما أثمرت جهود ألفٍ
 قبلي وألفٍ غيرهم منذ ذلك الحين. يُؤسِّفني أن أقول إن السَّحر لا يعمل».
 قال بران معترضًا: «إنه يعمل أحيانًا. لقد رأيتُ ذلك الحُلُم، ويكون
 أيضًا، كما أن هناك سحرة ومشعوذين في الشَّرق...».

قال المايستر لوين: «هناك مَنْ يُسمُّون أنفسهم سحرةً ومشعوذين. كان
 لديَّ صديق في «القلعة» يستطيع أن يُخرج وردةً من أذنك، لكنه لم يكن يتمتَّع
 بأيِّ قُدَراتٍ سِحَريَّة. أوه، بالتأكيد هناك الكثير مما لا نفهمه، فالسَّنون تمرُّ
 بالآلاف، وماذا يرى الإنسان من الحياة غير بضع أصيافٍ وأشتية؟
 إننا نتطلَّع إلى الجبال ونقول إنها أبديةٌ خالدة، وهكذا تبدو بالفعل... لكن في
 مجرى الزَّمن ترتفع الجبال وتَسْقُط، وتُغَيَّر الأنهار مجاريها، وتهوي التَّجَوم
 من السَّماء، وتغرق المُدن العُظمى في أعماق البحار، وحتى الآلهة تموت
 حسبما نعتقد. لا شيء يبقى على حاله أبدًا. لعلَّ السَّحر كان من القُوَى الخارقة
 التي عرفها العالم في الماضي، لكنه لم يَعد كذلك، وما تَبَقَّى منه ليس أكثر
 من خيط الدُّخان الذي يظلُّ في الهواء بعدما يهمل الحريق العظيم، وحتى هذا
 الخيط باهت الآن. فاليريا كانت الجَمرة الأخيرة، وفاليريا هَلَكَت، والثَّنائين
 انقرضت، وماتَ العمالقة، وراحَ أطفال الغابة في غياهب النِّسيان بكلِّ
 معارفهم. لا يا سموَّ الأمير، ربما رأى چوچن ريد حُلُمًا أو اثنين يُصدِّق أنهما
 تحقُّقا، لكنه لا يتمتَّع بالبصيرة الخضراء، ولا رجل حيًّا لديه هذه القُدرة».

كان هذا ما أعاده بران على مسامع ميرا ريد عندما جاءتَه عند الغسق، إذ جلسَ على مقعده المجاور للتأفذة يتفرّج على أضواء القلعة والحياة تنبث فيها، ثم قال لها: «أسفٌ لما حدثَ مع الذئبين. لم يكن ينبغي لِسمر أن يُحاول إيداءَ چوچن، لكن لم يكن يجدرُ بچوچن أن يقولَ كلَّ ما قاله عن أحلامي. لقد كذبَ الغُراب عندما قال إنني سأطيرُ، وأخوكِ كذبَ كذلك.»

- «أو لعلَّ ما يسترُك مخطئٌ».

- «كلا. أبي نفسه كان يعتمد على نصيحته».

- «ليس لديَّ شكٌ في أن أباك كان يُصغي إليه، لكنه اتَّخذ قراراته بنفسه في النهاية. بران، هل تسمح بأن أحكي لك حُلماً لچوچن رآكَ فيه مع أخويك بالتربية؟».

- «الوالدران ليسا أخويَّ».

لم تُعرِ تعليقه انتباهًا، وقالت: «كنت جالسًا تتناولُ العشاء، لكن المايستر لوين قدَّم لك طعامك بدلًا من أحد الخدم، نصيب الملك من الشَّواء، لكن اللَّحم كان نيئًا وداميًا، وإنما شهية الرَّائحة لدرجةٍ أسألتُ لُعاب الجميع، بينما كان اللَّحم الذي قدَّمه لولديِّ فراي قديمًا ورماديًا وميتًا، وعلى الرغم من ذلك راقَهم طعامهم أكثر مما راقَكَ طعامك.»

- «لستُ أفهمُ».

- «أخي يقول إنك ستفعل، وعندها ستتكلَّم ثانية».

شعرَ بران بالتوجُّس من الجلوس إلى العشاء ليلتها، لكنهم قدَّموا له فطير الحمام الذي قدَّموه للجميع، ولم يرَ عيبًا في نصيب الوالدين من الطَّعام، فقال لنفسه: المايستر لوين على حق. لا شيء سيَّئًا سيأتي إلي ويتربَّل مهمما قال چوچن، ما أشعرَ بران بالرَّاحة... وبخيبة الأمل أيضًا، فما دامَ هناك سِحْر فكلُّ شيءٍ ممكن، أشباح تمشي على الأرض، أشجار تتكلَّم... ويُمكن أن يَكْبُر صبيٌّ مكسور ليُصبح فارسًا. «لكن ليس هناك سِحْر»، حدَّث نفسه بصوتٍ عالٍ في ظلِّمة عُرفته. «ليس هناك سِحْر، والقِصص مجردُ قِصص».

ولن يمشي بران أبدًا، ولن يطير، ولن يكون فارسًا.



تيريون

كان البساط شائعًا تحت قدمي تيريون الحافيتين وهو يقول لپودريك باين، الذي أتاه نصف نائم، ومتوقِّعًا لا شك أن يشويه حيًّا لإيقاظه: «ساعة غريبة يختارها ابن عمِّي للزيارة. اصحبه إلى عُرفتي السُّمسيَّة وقلْ له إنني سأُنزلُ بعد قليل».

خَمَّن من السَّواد السَّائد خارج النَّافذة أن الوقت تجاوزَ منتصف اللَّيل بكثير، وقال لنفسه متسائلًا: هل يُفكِّر لانسِل أنه سيجدني نعسانًا بطيء البديهة في هذه السَّاعة؟ كلا، لانسِل يكاد لا يفكِّر أبدًا. سرسي هي التي وراء هذا. لكن أخته ستُصاب بالإحباط، فتيريون يعمل -حتى وهو في الفراش- إلى الصُّباح الباكر؛ يقرأ على ضوء الشُّموع المتذبذب، ويُدقِّق في تقارير جواسيس فارس، ويُراجع دفاتر حسابات الإصبع الصَّغير، إلى أن تتشَوَّش الأعمدة والسُّطور أمام عينيه الموجوعتين.

رَشَّ وجهه بالقليل من الماء الفاتر من الحوض المجاور لسريره، ثم استغرق وقته وقد قرفصَ في بيت الرَّاحة شاعرًا بهواء اللَّيل البارد على جلده. السير لانسِل في السادسة عشر من العُمر، وليس معروفًا بتمتُّعه بفضيلة الصَّبْر. فليتنظر إذن وينمو توتره مع طول الانتظار. بعدما أفرغ أمعائه، ارتدى تيريون معطف النَّوم ونفَسَ شعره الكتَّاني الخفيف بأصابعه، ليبدو أكثر وأكثر كأنه أوقفَ من نومه.

كان لانسِل يتحرَّك جيئةً وذهابًا بعصبيةٍ أمام رماد المستوقد، وقد ارتدى سِترةً من المخمل الأحمر، يبرُز من تحت كمَّيها المُشرَّطين كُمان آخَران من

الحرير الأسود، بينما تدلّى من حزام سيفه غمد مذهب فيه خنجر مقبضه مطّعم بالجواهر. حيّاه تيريون قائلاً: «أهلاً يا ابن العم. زيارتك قليلة حقاً. لأيّ شيء أدبني بهذه البهجة غير المستحقّة؟».

أجاب السير لانسل: «جلالة الملكة الوصيّة على العرش أرسلتني لأمرّك بالإفراج عن المايستر الأكبر پايسل»، وعرض على تيريون شريطاً قرمزيّاً يحمل ختم سرسي، الأسد المطبوع في الشمع الذهبي، وأضاف: «ها هو تفويضها».

لوح تيريون بيده دلالة على عدم اكتراثه بالاطلاع على التفويض، وقال: «بالتأكيد. أمل أن أختي لا تُجهد نفسها أكثر من اللازم بعد وعكثها. سيكون مؤسفاً حقاً أن تُصاب بانتكاسة».

قال السير لانسل باقتضاب: «جلالتها تعافت تماماً».

- «خبر له وقع الموسيقى على أذني». مع أيّ لست مغرماً بهذا اللحن. كان عليّ أن أضع لها جرعة أكبر. كان تيريون يأمل في قضاء بضعة أيام إضافية دون تدخّل سرسي، لكن استردادها صحتّها بهذه السرعة لم يُدهشه كثيراً، فهي توأمة چايمي في النهاية. رسم ابتسامة كيّسة على وجهه، وقال: «أشعل لنا ناراً يا بود، فالهواء بارد للغاية. هلا احتسيت كأساً معي يا لانسل؟ التبيّد المتبلّ يُساعد على النوم».

أجاب لانسل: «لا أحتاج مساعدة لأنام. لقد جنّثُ لتبليغ رسالة نيابة عن جلالته، لا لأشرب معك أيها العفريت».

فكّر تيريون أن الفُروسيّة أصابت الصبي بالجرأة، بالإضافة إلى الدور البائس الذي لعبه في اغتيال الملك روبرت، ثم إنه ابتسم قائلاً وهو يصبّ: «التبيّد له أخطاره... بالنسبة للمايستر الأكبر پايسل، فأعتقد أن أختي الجميلة كانت لتأنيب نفسها لو أنها قلقة عليه حقاً، لكن ها هي تُرسلك أنت، فماذا أمنتجُ من هذا؟».

- «استنتج ما شئت ما دمت ستُطلق سراح السّجين. المايستر الأكبر صديق وفي للملكة الوصيّة على العرش، وتحت حمايتها شخصيّاً، وتراقصت لمحة من الاستهزاء على شفطي الصّبي تشي باستمتاعه، ما جعل تيريون يقول

لنفسه: إنه يتلقَّى دروسه من سرسي، بينما تابع لانسِل: «جلالتهَا لن تُوافق أبداً على هذا الاعتداء، وتُذكِّرك بأنها هي الوصيَّة على جوفري».

- «كما أنني يد جوفري».

رَدَّ الفارس الشاب بلا مبالاة: «اليد يخدم، أمَّا الوصيُّ فيحكِّم حتى يبلغ الملك».

قال تيريون: «ربما يجدر بك أن تُدوِّن هذا كي أتذكَّره لاحقاً». كانت النَّار تُطَقِّطُ بمرح في المستوقد، فالتفتَ إلى مُرافقه قائلاً: «يُمكنك أن تتركنا الآن يا بود»، ولَمَّا خرَّجَ الصَّبي عادَ إلى لانسِل وسأله: «أهناك المزيد؟».

- «نعم. جلالتهَا طلبت مني إبلاغك بأن السير جاسلين بايووتر عصي أمراً باسم الملك».

ما يعني أن سرسي أمرت بايووتر بإطلاق سراح پايسل بالفعل، فرفضَ أن يُلَبِّي. «مفهوم».

- «إنها تصرُّ أن يُعزَّل الرَّجل من منصبه ويوضَّع رهن الاعتقال بتهمة الخيانة، وأحذرك أن...».

قاطعه تيريون منحيًا كأسه جانباً: «لن أقبل منك أيَّ تحذيرات يا ولد».

قال لانسِل بجمود: «قُل «أيها الفارس»، وسَس سيفه، ربما ليُذكِّر تيريون بأنه يحمل واحداً، وتابع: «احذر كيف تُخاطبني أيها العفريت». لا شك أنه يقصد أن يبدو مهذِّداً، لكن شاربِه الخفيف السَّخيف أفسدَ التأثير».

- «أوه، اترك السَّيف. صيحة واحدة مني ويقتحم شاجا المكان ليقتُلك، بفأس وليس قربة نبيذ».

أَحَقَّقَ وجه لانسِل. أهو أبله لدرجة أن يُصدِّق أن دوره في موت روبرت مرَّ مرور الكرام؟ بدأ يقول: «إنني فارس...».

لكن تيريون بادره مقاطعاً: «هذا ما سمعته. أخبرني، هل أنعمت سرسي عليك بالفُروسية قبل أن تأخذك إلى فراشها أم بعدها؟». الاضطراب في نظرة لانسِل كان كلَّ الاعتراف الذي احتاجه تيريون لأن يتأكَّد من أن ما قاله فارس حقيقي. على الأقل لا أحد يُمكنه أن يدَّعي أن أختي لا تُحبُّ عائلتهَا. «ماذا؟ أليس لديك ما تقوله؟ لا تحذيرات أخرى لي... أيها الفارس؟».

- «ستسحب هذه الاتهامات القذرة، وإلا...».
- «صه. هل فكرت مرّة فيما سيفعله جوفري عندما أخبره أنك قتلت أباه لتُضاجع أمّه؟».
- صاح لانسِل مرتعّبًا: «ليس هذا ما حدث!».
- «حقًا؟ ما الذي حدث إذن؟».
- «الملكة هي من أعطتني التّبيذ القوي! أبوك اللورد تايوين قال لي بنفسه يوم تعييني مُرافقًا للملك أن أطيعها في كل شيء».
- «وهل قال لك أن تنكحها كذلك؟». انظر إليه، ليس طويلًا أو وسيم الملامح لهذه الدّرجة، وشعره يُشبه الرّمْل لا الذهب المغزول، ومع ذلك... حتى هذه النّسخة الرّديئة من جاييمي أفضل من الفراش الخالي على ما اعتقدُ.
- «لا، لا أظنّ أنه قالها».
- «لم أقصد قط أن... لقد فعلتُ كما أمرتُ... إنني...».
- «تكره كلّ لحظةٍ من كلّ هذا، أليس كذلك؟ أمّا ما تُريدني أن أصدّقه؟ المكان العالي في البلاط، الفُروسيّة، وأختي تفتح لك ساقها كلّ ليلة... أوه، حقًا، لا ريب أنك تُعاني أيّما معاناة!»، ثم نهضَ تيريون قائلاً: «انتظر هنا. لا بُدّ أن جلالته سيرغب في سماع هذا».
- تسرّب آخر ما تبقى في لانسِل من تحدّ في الحال، وهوى الفارس الشاب على رُكبتيه وقد استحال صبيًا راجفًا، وقال بضراعة: «الرّحمة يا سيّدي، أتوسّل إليك».
- «وفّر التوسّلات لجوفري، فهو يُحبّها حقًا».
- «سيّدي، كان هذا أمر أختك الملكة كما قلت أنت، لكن جلالته... إنه لن يتفهّم أبدًا...».
- «هل تُريدني أن أكتّم الحقيقة عن الملك؟».
- «من أجل خاطر أبي! سأغادرُ المدينة وكأن شيئًا لم يكن! أقسمُ أنني سأنهي...».
- كان عصبيًا على تيريون ألا يضحك لحظتها وهو يقول: «لا، لا أظنّ».
- بدا الصّبي حائرًا، وقال: «سيّدي؟».

- «كما سمعتني. أبي قال لك أن تُطيع أختي؟ ليكن إذن، أطعها، ابقَ إلى جانبها وحافظ على ثقتها ومتّعها كلما أرادت. لن يعرف أحد أبدًا... ما دُمت ملتزمًا بإخلاصك لي. أريدُ أن أعرف ما تفعله سرسي، أين تذهب، مِن تُقابل، عمّ يتكلمون، الخطط التي تُصمّمها، كل شيء، وأنت ستُخبرني بكل شيء، أليس كذلك؟».

أجابَ لانسِل دون لحظة تردّد واحدة، الشيء الذي راقَ تيريون: «بلى يا سيّدي، أقسمُ لك، كما تأمر».

قال تيريون: «انهض»، وملاً كأسًا ثانيةً بالنبيذ ودَسّها بين يدي لانسِل مواصلاً: «اشرب نخب تفاهمنا. تأكّد أن لا خنازير برّية موجودة في القلعة على حدّ علمي»، فرفعَ الصّبي الكأس ورشفَ منها، وإن على مضض، بينما تابعَ تيريون: «ابتسم يا ابن العم، فأختي امرأة جميلة، وكلّ هذا في صالح البلاد. يُمكنك أن تستفيد كثيرًا من الموقف، فالقُروسية شيء لا يُذكر، وإذا تصرّفت بدكاء، ستنال اللوردية مني قبل أن ينتهي عملك»، ودوّر النبيذ في كأسه مكملاً: «نريد أن تثق بك سرسي تمامًا. عُد لها وأخبرها أنني أطلبُ منها الصّفح، قل لها إنك أخفّنتي وإني لا أريدُ أيّ خلافاتٍ بيننا، وإني لن أفعل شيئًا دون موافقتها من الآن فصاعدًا».

- «لكن... مطالبتها...».

- «أوه، سأعطيها پايسِل».

لاحتَ الدهشة على لانسِل وهو يقول: «حقًا؟».

أجابَ تيريون مبتسمًا: «سأفرجُ عنه غداً. يُمكنني أن أقسم أنني لم ألمس شعرةً من رأسه، لكن ذلك لن يكون صحيحًا تمامًا. إنه في حالٍ لا بأس بها عمومًا، وإن كنتُ لا أزعمُ تمثّعه بالحيويّة، فالزّنازين السّوداء ليست بالمكان الصّحّي لرجل في سنّه. فلنحتفظ به سرسي حيوانًا أليفًا لها أو نرسله إلى «الجدار»، لا أبالي، لكنني لا أريده في المجلس».

- «والسير چاسلين؟».

- «قل لأختي إنك واثق بقُدرك على استمالته بعيدًا عني مع الوقت. من شأن هذا أن يجعلها تبقى قاعةً فترةً».

قال لانسِل: «كما تقول»، وأنهى نبذَه.

- «ثُمَّ شيء آخر. مع موت الملك روبرت، سيكون الحرج عظيمًا إذا انتفَخَ بطن أرملة بطل».

قال الصَّبي متلعثمًا: «سيدي، إنني ... نحن ... الملكة أمرتني بالأ...»، واكتسبت أذناه لون لانسِر القرمزي وهو يُتابع: «إنني أفرغُ نطفتي على بطنها يا سيدي».

- «وليس لديَّ شكُّ في جمال بطنها. رطبُه كما وكلما شئت... لكن احرص على عدم إراقة سائلك في أيِّ مكانٍ آخر، فلستُ أريدُ المزيد من أولاد الأخت، مفهوم؟».

حنى السير لانسِل رأسه بجمود، واستأذَن بالانصراف.

سمَحَ تيريون لنفسه بالشُّعور بالشفقة على الصَّبي وهلةً وهو يُفكِّر: أحقَّ آخر، وضعيف كذلك، لكنه لا يستحقُّ ما نفعله به أنا وسرسي. من الرَّحمة أن لعمَّه كيفان ابنين آخرين، فليس من المحتمل أن يظلَّ هذا الابن حيًّا حتى نهاية العام. سوف تَقْتُلُه سرسي في الثَّوِّ واللَّحظة إذا علَمت أنه يخونها، وإذا لم يَحْدُث ذلك بسبب عناية إلهيَّة ما، فلن يعيش لانسِل يومًا بعد رجوع چايمي إلى كينجز لاندنج. السؤال إن كان چايمي سيَقْتُلُه في نوبة الغيرة الغاضبة، أم ستسبِّقه سرسي لتحول دون معرفة چايمي بما كانت تفعله في غيابه. رهان تيريون على سرسي.

انتابته حالة من الضَّجر، فأدرك أنه لن يخلُد إلى النَّوم اللَّيلة. ليس هنا على الأقل. وجدَ بودريك باين نائمًا على كرسيٍّ خارج الباب، فهزَّه من كتفه قائلاً: «استدع برون، ثم اجرِ إلى الاسطبلات وجهِّز حصانين».

ردَّد المرافق بعينين عليهما غمامة النَّوم: «حصانين».

- «تلك الحيوانات البنيَّة الكبيرة التي تُحبُّ التَّفاح، أنا واثق بأنك رأيتها من قبل، أربع سيقان وذيل... لكن برون أولاً».

لم يمض وقت طويل قبل ظهور المرتزق، الذي قال لتيريون: «من بال في حسانك وكَدَّرَكَ هكذا؟».

- «سرتسي كالمعتاد. كنتُ أحسبني اعتدتُ الطَّعم، لكن لا عليك بهذا. يبدو أن أختي الرِّقِقة تحسبني ند ستارك».

- «سمعتُ أنه كان أطول منك».

- «ليس بعد أن بترَ جوف رأسه. كان حريًّا بك أن ترتدي ثيابًا أثقل، فالليَّة باردة».

- «أنحن ذاهبان إلى مكان ما؟».

- «أكلُ المرتزقة بذكائك؟».

على الرغم من المخاطر التي تحفُّ شوارع المدينة، شعَرَ تيريون بالأمان في وجود برون. أخرَجَهما الحُرَّاس من بَوَّابَةٍ جانبيَّة في السُّور الشَّمالي، ومن هناك قطعَا الدَّرب المظلل بحصانئهما حتى سفح تَلِّ إيجون العالي، ثم اتَّجها إلى رُفَّاق الخنازير، حيث مرَّا بصفوفٍ من الثَّوافذ المغطَّاة بالسَّتائر، والمباني الطَّويلة المبنية بالخشب والحجارة، التي تميل طوابقها العُليا فوق الشَّارع بزوايا حادَّة تجعلها تلوح كأنها على وشك تبادل القُبلات. بدا أن القمر يتبعهما أينما ذهبا، يختلس النَّظر إليهما ثم يتوارى وراء مدخنة، وهكذا دواليك، بينما لم يُصادفَا أحدًا باستثناء عجوزٍ شمطاء وحيدة تحمل قِطْعَةً مِيتَةً من ذيلها، رَمَقَتْهُما بنظرة خائفة، كأنها تخشى أن يُحاولا سرقة عشائها، ثم انسَلَّت وسط الظلال بلا كلمة واحدة.

أجَالَ تيريون فِكره في الرَّجلين اللذين شغلا منصب يد الملك قبله، واللذين أثبتا أنَّهما لا يُدانيان سرتسي في الكيد. وكيف يُمكنهما مُباراتهما؟ رجال كهذين الاثنين... إنهم أشرف من أن يعيشوا وأنبِل من أن يُخدعوا، وسرتسي تلتهم أمثال أولئك الحمقى على الإفطار يوميًّا. السَّبيل الوحيد لهزيمة أختي أن تلعب لُعبتها، الشَّيء الذي رفضَ اللوردان ستارك وآرن أن يفعلاه تمامًا. لا عجب أن كليهما ميت الآن، بينما لم يَشعُر تيريون لانستر بالحياة هكذا من قبل قَطُّ. قد تجعله ساقاه ناقصتا الثَّمو يبدو كفقرة تسليّة في احتفال الحصاد، لكن هذه هي الرِّقصة التي يُجيدها.

كان الماخور مزدحمًا على الرغم من تأخُر السَّاعة، وحيثهما شاتايا ببشاشة واصطحبَهما إلى القاعة العامَّة. صعدَ برون إلى الطَّابق العُلوي مع فتاة داكنة

العنين من دورن، لكن أليايا كانت منشغلة مع أحد الزبائن، فقالت شاتايا: «سُسَّر كثيرًا عندما تعرف أنك أتيت. سأحرصُ على تجهيز غرفة البرج لك. هل يرغب سيدي في كأسٍ من النبيذ بينما ينتظر؟» - «نعم».

وجد النبيذ رديئًا مقارنةً بخمور «الكرمة» المعتقة التي يُقدِّمها المكان عادةً، فقالت شاتايا: «سامحنا يا سيدي، لكنني لا أستطيع العثور على نبيذ طيب بأيِّ سعر مؤخرًا». - «أخشى أنك لست الوحيدة».

تبادلت شاتايا معه بضع عبارات الشكوى والمواساة التقليدية، ثم استأذنت وابتعدت، وفكر تيريون وهو يُراقبها تذهب: امرأة حسناء. لم يرَ من قبل أناقة ورُقيا كهذين في عاهرة، وإن كانت هي ترى نفسها رابعةً ما. لعلَّ هذا هو السرُّ، العبرة ليست بما نفعله، وإنما بالسبب الذي نفعله من أجله. بشكلٍ ما بَثَّ فيه هذا الخاطر الراحة.

كان عدد من مُرتادي المكان الآخرين يحدجونه بنظراتٍ جانبية. آخر مرةً غامرَ فيها بالخروج، بصقَ رجل عليه... أو أنه حاول، لكن البصقة حطَّت على برون بدلًا منه، وفي المستقبل سيَبْصُقُ الرَّجل بلا أسنان.

- «أيشعرُ سيدي بأنه منبوذ؟»، قالت دانسي وهي تجلس في حجره، وعضضت أذنه مضيفةً: «لديَّ علاج لهذا».

هَزَّ تيريون رأسه مبتسمًا، وقال: «أنت أجمل من أن توصفي بكلماتٍ يا حلوتي، لكنني صرتُ مولعًا بعلاج أليايا».

- «لكنك لم تُجرب علاجِي. سيدي لا يختار أحدًا أبدًا غير يايا. إنها بارعة، لكنني أبرع. ألا تُريد أن ترى؟».

- «المرَّة القادمة ربما». ليس لدى تيريون شكٌّ في أن دانسي ستكون شديدة الإمتاع، فهي مرنة وذات أنفٍ أفطس، وعلى وجهها نمش، وتمتَّع بشعر أحمر كثيف ينسدل إلى ما بعد خصرها... لكن شاي تنتظره في إيوانها. ضاحكةً، وضعت يدها بين ساقيه واعتصرت من فوق السراويل قائلةً:

«لا أظنّه يرغب في الانتظار حتى المَرَّة القادمة. أعتقد أنه يُريد أن يخرج ويعُدّ نمشاتي».

- «دانسي»، قالت أليايا التي وقفت في المدخل ببشرتها الدّاكنة وملامحها الهادئة، وقد ارتدّت الحريّر الأخضر الشّفاف. «حضرة اللورد أتى لزيارتي أنا».

خلص تيريون نفسه برفق من الفتاة الأخرى ونهض، ولم يبدُ على دانسي أنها تُمانع، وإن قالت مذكّرة: «المَرَّة القادمة»، ووضعت إصبعًا في فمها ومصّته.

قالت الفتاة سوداء البشرة ريشما فادته على السّلالم: «مسكينة دانسي. أمامها أسبوعان ليختارها سيّدي، وإلاّ ستخسر رهانها مع ماري وتُعطيها لأكثرها السّوداء».

ماري تلك فتاة هادئة رقيقة شاحبة الملامح سبق أن لاحظها تيريون مرّة أو اثنتين، خضراء العينين وبشرتها كالبورسلين، وشعرها الشّبيه بالفضّة طويل مسترسل، رائعة الجمال حقًا، لكن شديدة الكآبة. قال: «أكره أن نخسر المسكينة لأكثرها بسبي».

- «خُذها إلى الطابق العلوي المَرَّة القادمة إذن».

- «قد أفعل».

ابتسمت قائلة: «لا أظنّ يا سيّدي».

إنها محقّة، لن أفعل. قد تكون شيّ مجرّد عاهرة، لكني مخلص لها بشكل ما.

في غرفة البرج، وهو يفتح باب الصّوان، التفت إلى أليايا وسألها بفضول: «ماذا تفعلين في غيابي؟».

رفعت ذراعيها وتمطّت كهرة سوداء رشيقة، وأجابّت: «أنام. إنني أنال راحة كافية منذ بدأت زيارتنا يا سيّدي، كما أن ماري تُعلّمنا القراءة، وقد أتمكّن قريبًا من تزجية الوقت بكتاب».

قال: «النّوم جيّد، والكتب أفضل»، ثم قبلها سريعًا على وجنتها، قبل أن ينزل البشر ويقطع النّفق.

بينما خرجَ تيريون من الاسطبل على حصانه الأرقط، تناهت إلى مسامعه أنغام الموسيقى الطافية في الهواء فوق أسطح المباني، وكان من السَّار أن يُفَكِّر أن النَّاس ما زالوا يُعْتَنُونَ، حتى في وسط المذابح والمجاعة. أفعمت عقله الألحان المتدفقة في ذاكرته، ومَرَّت لحظة كادَ يستطيع فيها أن يسمع نايشا إذ غَنَّت له منذ نصف عُمر، ولَمَّا جذبَ عِنان الحصان لِيُوقِفَه، وجدَ اللَّحْنَ غير صحيح، والكلمات أبعد من أن يُمَيِّزَهَا. إنها أغنيةٌ أخرى. ولمَ لا؟ من البداية إلى النهاية ونايشا البريئة العذبة محض كذبة، مجرد عاهرة استأجرها أخوه چايمي لتصنع منه رجلاً.

إنني خُرٌّ من نايشا الآن. لقد لاحقتني ذكراها نصف حياتي، لكني لم أعد أحتاجها، تمامًا لا أحتاجُ أليايا أو دانسي أو ماري، أو المئات من أمثالهن اللاتي عاشرنهن على مرَّ السنين. إن لديَّ شَيءَ الآن، شَيءٌ. كانت أبواب الإيوان مغلقة وموصدة، ودَقَّ تيريون حتى انفتحت الكوة البرونزية المنقّعة، فقال: «إنه أنا».

الرَّجُل الذي فتحَ له وأدخله واحد من اكتشافات فارس الممتازة، مُقاتِل بالخناجر من برافوس لديه شفة أرنيّة مشقوقة ومصاب بالغمَش⁽¹⁾. لم يرغب تيريون في وجود حرس شباب وسيمي الطَّلعة حول شاي يومًا تلو اليوم، وقال للخصي: «اعثر لي على رجالٍ قباح في وجوههم ندوب، ويُفَضَّل أن يكونوا عاجزين جنسيًا كذلك، رجال يُفَضِّلون الغلمان، أو يُفَضِّلون الماعز حتى، لا فارق». لم يجد فارس أحدًا من محبِّي الماشية، لكنه عثرَ على خَنَاقٍ مخصي، ورجلين مقيتي الرائحة من إيبين، لا يقلُّ غرامهما بالفؤوس عن غرامهما ببعضهما بعضًا، أمَّا الآخرون فنخبة متقاة من المرتزقة الذين خبَرَتهم الزَّنازين وخبروها، وكلُّ منهم أقبح من الآخر. عندما عرضَهم فارس عليه، خشيَ تيريون أنه تمادى، لكن شاي لم تنبس بشكوى واحدة.

(1) الغَمَش أو العين الكسول صَعَف في الرؤية المركزيّة للعين دون سبب عضوي، بحيث يحدث خلل في انتقال إشارات العصب البصري إلى المخ.

ولم تشكّي؟ إنها لم تشكّك مني قطّ على الرغم من أنني أقيح من خُرّاسها مجتمعين. لعلّها لا ترى الفُحّ أصلًا.

ومع ذلك كان تيريون يُفضّل أن يحرُس بعض رجال قبائل الجبال الإيوان بدلًا من هؤلاء، رجال تشلا من الأذان السوداء ربما، أو إخوة القمر، فثقتهم في إخلاصهم الحديدي وحاسّة الشرف لديهم تفوق ثقتهم في جشع المرتزقة كثيرًا. غير أن المخاطرة كبيرة، فكينجز لاندنج كلها تعلم أن الهمج رجاله، وإذا أرسل الأذان السوداء إلى هنا، فهي مسألة وقتٍ فحسب حتى تعرف المدينة كلها أن يد الملك لديه محظيّة.

أخذَ واحد من الاثنين الإيبينزيين حصانه، فسأله تيريون: «هل أيقظتموها؟».

- «كلا يا سيّدي».

- «عظيم».

لم يتبقّ من النّار في غُرفة النّوم غير بضع جمراتٍ صغيرة، لكن المكان لا يزال محتفظًا بدفته. كانت شاي قد أزاحت الأغطية والملاءات في نومها، وتمدّدت عاريةً على الفراش المحشو بالريش، وقد تخطّطت منحنيات جسدها النّاعمة بالوهج الخافت القادم من المستوقد. وقفَ تيريون في المدخل ينهل من منظرها مفكّرًا: أصغر من ماريي، وأعذب من دانسي، وأجمل من الأيايا. إنها كلُّ من أحتاجُ وأكثر. كيف يُمكن لعاهرة أن تبدو بهذه النّظافة والجاذبيّة والبراءة؟

لم يكن ينوي أن يُقلِق نومها، لكن منظرها كان قميئًا بأن يجعل ذكره يتصبّب بشدّة، فترك ثيابه تسقط أرضًا، ثم صعد إلى الفراش وباعد بين ساقها برفق وقبّلها بين الفخذين، ولمّا غمغمت شاي بشيء ما في نومها قبّلها ثانية ولعق حلاوتها السريّة، وأخذ يلعق ويلعق حتى غرقت لحيته وفرجها تمامًا، وعندما أطلقت أنّه خافتة وارتعدت، اعتلاها ودفع نفسه في داخلها، لتتفجّر ذروته بعد لحظاتٍ معدودة.

كانت عيناها مفتوحتين، وتبسّمت وملّست على شعره هامسة: «رأيتُ أجمل حلِمٍ على الإطلاق لتوي يا سيّدي».

عَصَّ تيريون حلمتها الصَّغيرة المتصبية ووَسَّدَ رأسه كتفها دون أن يُخرج نفسه من داخلها، متمنيًا لو أن من الممكن ألاَّ يُخرج أبدًا، وقال: «لم يكن حلمًا». إنها حقيقة، كلُّ هذا حقيقة، الحروب والدَّسائس ولُعبة العروش الدَّامية، وأنا في مركزها بالضبط... أنا، القزم، الوحش، الذي تهكَّموا عليه وضحكوا منه، لكنني أملكُ كلَّ شيء الآن، السَّطوة والمدينة والفتاة. هذا ما خُلِقْتُ من أجله، ولتسامحني الآلهة، هذا ما أحبه... وأحبُّها... وأحبُّها.



آريا

آيا كانت الأسماء التي انتوى هارن الأسود إطلاقها على أبراج قلعته، فقد طواها النسيان منذ زمن بعيد، والآن تحمل الأبراج أسماء أخرى، هي بُرج الفزع، وبُرج الأرملة، وبُرج العويل، وبُرج الأشباح، وبُرج محرقة الملك. تنام آريا على فراش من القش في كُوة غير عميقة في الحائط في السرايب الغائرة تحت بُرج العويل، حيث لديها ماء وصابون تغتسل بهما متى أحبت، وعلى الرغم من أنها وجدت العمل شاقًا، فهو ليس أشقَّ من المشي أميالًا كلَّ يوم، كما أن بنت عرس ليست مضطَّرةً للتَّنقيب عن ديدان وحشرات تأكلها مثلما كان آري يفعل، فهناك خُبز بصفحة يومية، وبيخنة الشعير بالجزر واللُّق، بالإضافة إلى مقدار صغير من اللحم يُوزَّع عليهم مرَّة كلَّ أسبوعين.

كان هوت باي يأكل أفضل منها بكثير، بما إنه في المكان الذي ينتمي إليه، المطابخ التي تحتل مبنى حجريًا مستديرًا تُعطيهِ قُبَّة، وتُعدُّ عالمًا قائمًا بذاته. تتناول آريا وجباتها على مائدة قابلة لللفك والتَّركيب في سرداب تحت الأرض مع ويز وعامليه، لكنها تُكلِّف أحيانًا بإحضار طعامهم، وعندها تسترق برهةً لتتكلَّم مع هوت باي، الذي لا يتذكَّر أبدًا أن اسمها بنت عرس الآن، ويصرُّ على دعوتها بآري، على الرغم من أنه يعرف أنها فتاة. ذات مرَّة حاول أن يسرق لها فطيرة تُفَّاح ساخنة، لكنه تصرَّف برعونة وراه اثنان من الطُّهاة، فأخذوا الفطيرة منه وتبادلا ضربه بملعقة خشبيَّة كبيرة.

أرسل جندري إلى ورشة الحدادة، فكان نادرًا ما تراه آريا، أمَّا من تخدم

معهم فلم تَشْعُر برغبة في معرفة أسمائهم حتى، الشيء الذي يُصيّبها بألم أكبر حينما يموت أحدهم. معظمهم أكبر منها، ولا يُمانعون أن يدعوها وشأنها. هارنهال شاسعة حقًا، وإن طال الاضمحلال معظمها. كانت اللبدي وِنت تُحافظ على القلعة باعتبارها حاملة راية عائلة تلي، لكنها استخدمت الثُلثين السُّفليين فقط من اثنين من الأبراج الخمسة، وتركّت الخراب يُحقيق بالباقي، قبل أن تفرّ من المكان تاركةً عددًا محدودًا من الأتباع، لا يكفي على الإطلاق لتلبية احتياجات جميع الفُرسان واللوردات والأسرى الثُّبلاء الذين جاء بهم اللورد تايوين معه، ومن ثَمَّ كان على رجال لانستر البحث عن الخدم بالإضافة إلى كُلِّ ما هو قابلٌ للسلب والنَّهب. يقول الكلام الدائر إن اللورد تايوين يُزعم إعادة هارنهال إلى مجدها الغابر، ويجعلها مقرّه الجديد بمجرد أن تضع الحرب أوزارها.

يُكَلِّف ويز آريا بحمل الرِّسائل ورفع المياه من البئر وإحضار الطَّعام، وأحيانًا بالتَّخديم على الموائد في قاعة الثُّكنات الواقعة فوق مستودع السِّلاح، حيث يأكل الجنود وجباتهم، وإن كانت غالبًا ما تعمل في التَّنظيف. تُخصَّص الطَّابق الأرضي من بُرج العويل لتخزين الأطعمة والغلال، واحتوى طابقان آخران فوقه جزءًا من رجال الحامية، بينما ظلَّت الطَّوابق العُليا مهجورة طيلة ثمانين عامًا كاملة، والآن أمر اللورد تايوين بجعلها صالحةً للسُّكنى من جديد، فكان لا بُدَّ من دغك الأرضيَّات، وغسيل الثَّوافتِ مما عليها من سُخام، والتخلُّص من المقاعد المكسورة والأسيرة المتعفِّنة. وجدوا الطَّابق الأعلى يعجُّ بأعشاش الخفافيش السوداء الضَّخمة، التي تتخذها عائلة وِنت رمزًا لها، بالإضافة إلى الجرذان التي وجدوها في الأقبية... والأشباح التي يقول البعض إنها تَسْكُن المكان، أرواح هارن الأسود وأبنائه.

خطرٌ لآريا أن الاعتقاد في ذلك سُخف حقيقي، فهارن وأبناؤه ماتوا في بُرج محرقة الملك، الذي استمدَّ اسمه من هذه الحادثة بالتَّحديد، فلم تعبُر أشباحهم السَّاحة لثلاحيَّتها؟ أمّا بُرج العويل فلا يُعول إلا حينما تهبُّ الرِّيح من الشَّمال، وليس ذلك أكثر من الصَّوت الذي يُصدِّره الهواء إذ يمرُّ من صُدوع الحجر الذي تشقُّق من فرط الحرارة في الماضي. لو أن هناك

أشباهًا في هارنغال، فهي لا تُزعجها بتاتًا، بينما أخشى مَنْ تخشاهم أحياء؛
ويز والسير جريجور واللورد تاوين لانستر نفسه، المستقرُّ في بُرج محرقة
الملك، الذي يظلُّ أعلى بروج القلعة وأقواها، وإن مَالَ تحت ضغط الحجارة
المصهورة التي جعلته يبدو كشمعة سوداء عملاقة نصف ذائبة.

تساءلت كيف ستكون ردّة فعل اللورد تاوين، لو أنها ذهبت إليه الآن
واعترفت بكونها آريا ستارك، لكنها تُدرك أنها لن تستطيع الاقتراب منه أبدًا
لشخيره بأيّ شيء، كما أنه لن يُصدّقها أبدًا إذا فعلت على أيّ حال، وبعدها
سيضربها ويز حتى يُدميها.

على طريقته المختالة الخاصّة، يكاد ويز يكون مخيفًا كالسير جريجور
ذاته، فالجبل يسحق النّاس كأنهم ذباب، وإن كان لا يبدو في أغلب الآونة أنه
يلحظ وجودك أصلًا، أمّا ويز فيعرف دومًا أنك هناك، وما تفعله، وأحيانًا ما
تُفكّر فيه كذلك. إنه يضرب لأهون استفزاز، كما أن لديه كلبة تُناهزه في سوء
الطّباع، كلبة قبيحة مرقّطة رائحتها ألغن من أيّ كلب شمّته آريا في حياتها
كلها، وقد رآته مرّة يُطلقها على عامل مراحيض أثارَ ضيقه، فمزّقت قطعةً
كبيرةً من ربّلة ساق الصّبي بينما انفجر ويز ضاحكًا.

استغرق ويز أيامًا ثلاثة فقط حتى احتلّ موضع شرف في صلواتها
الليّليّة، فتبدأ آريا هامسةً اسمه: «ويز»، قبل أن تستكمل القائمة: «دانسن،
تشيزويك، پوليفر، راف المعسول، المُدغدغ وكلب الصّيد، السير جريجور،
السير آموري، السير إلين، السير مرين، الملك جوفري، الملكة سرسي». إذا
سمحت لنفسها بأن تنسى واحدًا فقط من تلك الأسماء، فكيف ستعثر على
صاحبه ذات يوم وتقتله؟

على الطّريق شعرت آريا كأنها شاة، لكن هارنغال حولتها إلى فأر،
وهي تبدو كالفتران بالفعل بشوبها الرّمادي المصنوع من الصّوف الخشن،
وكالفتران لزمت شقوق القلعة وفتحاتها ودروبها المظلمة، زاحفةً بعيدًا عن
طريق الأقوياء.

بين الفينة والفينة يخطر لها أنهم جميعًا فتران وراء تلك الأسوار السّميكة،
حتى الفرسان واللوردات الكبار، وقد جعل حجم القلعة الهائل السير

جريجور نفسه يبدو ضئيلاً، فهارنهال تُغطّي ثلاثة أضعاف مساحة ويتترفل، وبنائاتها أضخم كثيراً، حتى إن لا مجال للمقارنة بين هذه وتلك، وتُتسع اسطبلاتها لألف من الخيول، بينما تحتلُّ أيكة الآلهة عشرين فدّاناً كاملةً، وتُماثل المطابخ قاعة ويتترفل الكبرى في الحجم، أمّا قاعة هارنهال الكبرى فتحمل الاسم المهيّب «قاعة المئة مستوقّد»، على الرغم من أنها لا تضمُّ غير ما يزيد على الثلاثين مستوقّداً بقليل (وقد حاولت آريا أن تُحصيها مرّتين، فعُدّت نارةً حتى 33 ونارةً حتى 35)، غير أن القاعة فسيحة للغاية، لدرجة أن اللورد تاوين يستطيع إقامة مأدبة لجيشه كله هناك إذا أراد، وإن لم يفعلها قَطُّ. الجُدران والأبواب والقاعات والدَّرجات، كلُّ شيءٍ مُشَيّد بمقياس غير إنساني حداً بآريا لأن تتذكّر القصص القديمة التي كانت العجوز نان تحكيها عن العمالقة الذين عاشوا وراء «الجدار» في سالف الزّمان.

ولأن اللوردات والليديّات لا يلاحظون الفئران الرّماديّة الصّغيرة تحت أقدامهم، فقد اطّلت آريا على أسرارٍ من شتّى الأنواع، لمجرّد أنها تفتح أذنيها بينما تُمارس واجباتها. بيا الحسناء التي تعمل في مخزن المؤن فتاة فاسقة تتنقّل بين جميع فُرسان القلعة، وزوجة السّجّان جبلي، لكن الأب الحقيقي إمّا السير أكين ستاكسير أو مطرب اسمه وات ذو البسمة البيضاء، واللورد ليفورد يسخر من حكايات الأشباح على الملأ، وعلى الرغم من ذلك يُبقي شمعةً موقّدة دائماً إلى جوار فراشه، ومُرافق السير دونافر المدعو جودج لا يستطيع حبس بوله وهو نائم، والطهاة يحتقرون السير هاريس سويفت ويُتبلون طعامه كله ببصاقهم، كما أن آريا سمعت مرّةً خادمة المايستر توثميور إذ أسرّت إلى أخيها بكلام عن رسالة تقول إن جوفري نغل وليس الملك الشرعي على الإطلاق، وأضافت الفتاة هامسةً: «قال له اللورد تاوين أن يُحرق الرّسالة ولا يتكلّم عن تلك القاذورات ثانيةً».

سمعت أن ستانيس ورنلي أخوي الملك روبرت قد انضمّا إلى القتال، وقال ويز: «وكلاهما ملك الآن. في البلاد ملوك أكثر مما في القلاع من جرذان». حتى رجال لانستر تساءلوا كم من الوقت سيستطيع جوفري الحفاظ على العرش الحديدي، وسمعت لوردًا صغيرًا يُغمغم وهو سكران: «الفتى لا

يملك جيشًا غير ذوى المعاطف الذهبية، ويتحكم فيه خصي وقزم وامرأة. كيف سيفيده أمثال هؤلاء إذا اشتعلت المعركة؟». كما أن هناك دائمًا كلام عن اللورد بريك دونداريون، وقال قواس يدين في مرة إن الممثلين السّفاحين قتلوه، إلا أن زملاءه ضحكوا ساخرين، وقال أحدهم: «لورك قتلَه في منطقة الشَّلالات الدّافقة، والجبل فتك به مرّتين. أراهن بأيل فضّي أنه لن يظلّ ميتًا هذه المرّة أيضًا».

لم تعرف آريا مَنْ يكون الممثلون السّفاحون هؤلاء إلّا بعد أسبوعين، عندما وصلت أغرب جماعةٍ رأتها على الإطلاق من الرّجال إلى هارنهال. تحت رايةٍ عليها كبش أسود ذو قرنين دامين، ركب رجال نُحاسيُو البشرة في جدائل شعرهم أجراس، ورمّاحون يمتطون خيولًا مخطّطةً بالأبيض والأسود، ورُماة ذوو وجوه مدهونة بالمساحيق، ورجال خشنون مُشعرون قصار القامة يحملون تروسًا متواضعةً، ورجال بيّو البشرة يرتدون معاطف مزينة بالريش، ومهرّج ناعم الملامح يرتدي ثيابًا من الأخضر والوردي، ومُبارزون لهم لحى متشعبة غريبة مطلّية بالأخضر والأرجواني والفضّي، وحاملو حِراب ذوو ندوب ملوّنة تُغطّي خدودهم، ورجل ناحل يرتدي ثوب السّبتونات، وثانٍ عطوف الملامح يرتدي ملابس المايسترات الرّماديّة، وثالث يبدو عليه السّقم ويرتدي معطفًا جلدّيًا موشّى بشعر أشقر طويل.

وعلى رأسهم كان رجل فارغ الطول رفيع كعصا، وجهه أعجف مسحوب، ويبدو مستطيلاً أكثر بسبب اللحية السوداء الطويلة المجدولة كالحبال، التي تنبت من ذقنه المدبّب وتكاد تلبّغ خصره. من قرن سرجه تدلّت خوذة من الفولاذ الأسود، مطرّقة على شكل رأس كبش، بينما أحاطت بعنقه سلسلة حلقاتها من العُملات مختلفة الأحجام والأشكال والمعادن، أمّا حصانه فواحد من تلك الأحصنة الغريبة المخطّطة.

قال لها ويز لمّا رآها تتطلّع إلى الرّجل ذي خوذة رأس الكبش: «لستِ ترغيبين في معرفة هذه الشّرذمة يا بنت عرس». كان معه اثنان من نُدمائه، رجلان مسلّحان في خدمة اللورد ليفورد، ولمّا سألت عمّن يكون هؤلاء الغُرباء، ضحك أحد الجنديّين وأجاب: «إنهم رجال الأقدام يا فتاة، أصابع

الكبش، ممثلو اللورد تايوين السَّفَّاحون»، فأسرعَ ويز يقول: «يا لك من أبله! إذا تسبَّبت في أن يُسلَخَ جلدها، فلتُظَف أنت السَّلام!»، ثم خاطبَ آريا قائلاً: «إنهم مرتزقة يا فتاة، يُسمُّون أنفسهم رِفقة الشُّجعان، فلا تستخدمِي أيًّا من تلك الأسماء الأخرى على مقربةٍ من أحدٍ منهم أبدًا، وإلا ستأذنين كثيرًا. صاحب خوذة رأس الكبش قائدهم، اللورد فارجو هوت».

قال الجُندي الثاني: «ليس لوردًا أو أيَّ خراءٍ مشابه. سمعتُ السير آموري يقول ذلك. إنه مجردَ مرتزقٍ فمه مليءٌ بالزَّيالة ويُعالي في تقدير نفسه». ردَّ ويز: «أجل، لكن من الخير لها أن تُلقَّبه هي باللورد إذا أرادت الاحتفاظ بكلِّ أعضائها».

تطلَّعت آريا إلى فارجو هوت ثانيةً، ونساءلت: كم وحشًا يملك اللورد تايوين؟

سكَّن رجال رِفقة الشُّجعان بُرج الأرملة، فلم يكن على آريا أن تخدمهم، الشَّيء الذي أراحها، ففي ليلة وصولهم ذاتها نشبَ عراكٌ بين المرتزقة وبعض رجال لانستر، فطعنَ مُرافق السير هاريس سويقت حتى الموت، وجرحَ اثنان من الممثلين السَّفَّاحين، وفي اليوم التَّالي شتقهما اللورد تايوين على جُدران مبنى البوابة، ومعهما واحد من رُماة اللورد ليدن. قال ويز إن الرَّامي هو من بدأ المشكلة كلها عندما استفزَّ المرتزقة بذكر بريك دونداريون، وبعد أن كَفَّ المشنوقون عن ركل الهواء، تعانقَ فارجو هوت والسير هاريس وتبادلا القُبلات على الخدود، وأقسما أن تجمع بينهما المحبَّة دائمًا، بينما راقبهما اللورد تايوين. فكَّرت آريا أن لثغة فارجو هوت ولُعايه السَّائل دائمًا شيء طريف حقًّا، وإن كانت أعقل من أن تضحك.

لم يبقَ الممثلون السَّفَّاحون في هارنغال طويلاً، لكن قبل أن يُغادروا مجدِّداً، سمعت آريا أحدهم يقول إن جيشاً شَماليّاً تحت قيادة رووس بولتون احتلَّ مخاضة الباقوت في نهر الثَّالوث، فقال أحد رجال لانستر: «إذا عبر، سيسحقه اللورد تايوين ثانيةً مثلما فعلَ في معركة الفرع الأخضر»، لكن رفاقه تهكَّموا عليه، وقال أحدهم: «بولتون لن يعبُر أبداً قبل أن يزحف الذئب الصَّغير من ريفرَّن مع رجاله الشَّماليين الهمج وقطيع الذئاب».

آريا لم تكن تعلم أن أخاها قريب إلى هذا الحد، فريفررن أقرب كثيرًا إلى ويتصرف، وإن كانت لا تدري أين تقع بالنسبة لهارنهال. يُمكنني أن أعرف بوسيلة ما، أعلمُ أنني أقدرُ، فقط إذا استطعتُ الفرار. عضتُ شفتها عندما فكرت في رؤية وجه روب ثانية، وقالت لنفسها: وأريدُ أن أرى جون أيضًا، وبران وريكون وأمِّي، وحتى سانزا... سأقبلُها وأطلبُ منها السماح كما تفعل الليدي الحفّة، سيروقها هذا.

عرفت من الكلام في السّاحة أن العُرف العلويّة في بُرج الفرع تضمُّ أكثر من ثلاثين من الأسرى الذين سقطوا في معركةٍ ما دارت على فرع الثالوث الأخضر. مُنح معظمهم حرّيّة التّجوال في القلعة، مقابل تعهّدهم بعدم محاولة الهرب، ففكرت آريا: لقد أقسموا على عدم الفرار، لكنهم لم يقسموا على عدم مساعدتي عليه!

يتناول الأسرى وجباتهم على مائدةٍ خاصّة بهم في قاعة المئة مستوقد، وكثيرًا ما تراهم هنا أو هناك، ومنهم أربعة إخوة يتمزّنون مع بعضهم بعضًا كل يوم، فيماتلون بالهرّاءات والثّروس الخشبيّة في ساحة الحجر المصهور. ثلاثة منهم من آل فراي سادة «المعبر»، والرّابع أخوهم النّفل، ولم يطل بقاؤهم في هارنهال، إذ وصل أخوان آخران ذات صباح تحت راية السّلام ومعهما صندوق من الذهب، الذي دُفع فديةً للفرسان الذين أسروا إخوتهم، ثم رحل أبناء فراي السّنة معًا.

غير أن أحدًا لم يدفع فديةً لإطلاق سراح مجرّد واحدٍ من الشّماليين. قال لها هوت باي إن لوردًا صغيرًا سمينًا يتردّد إلى المطابخ طول الوقت، دائمًا يبحث عن لقمةٍ يأكلها، شاربه كَثٌّ للغاية ويُغطّي فمه، والمشبك الذي يُببّت معطفه عبارة عن رُمح ثلاثي الشّعب من الفضة والياقوت الأزرق، وهو من أسرى اللورد تاوين. أمّا الشاب القوي الملتحي الذي أحبّ أن يذرع الشّرفات بمفرده، مرتديًا معطفه الأسود المزّين بالشّموس البيضاء، فقد أخذه فارس متجوّل ينوي أن يُثري من وراثته. كانت سانزا ستعرف من يكون، هو الآخر البدين، بينما لم تعبأ آريا قط بالألقاب والرّموز، وكلما ثرثرت السّبّة موردن عن تاريخ هذه العائلة أو تلك، كانت تشرّد دائمًا وتحلّم وتساءل متى ينتهي الدّرس.

على أنها تذكّرت اللورد سروين، الذي تقع أراضيه قريباً من وينترفيل، وهكذا كان يأتي مع ابنه كلاي للزيارة باستمرار. لكن شاءت الأقدار أن يكون اللورد سروين الأسير الوحيد الذي لا يراه أحد أبداً، إذ ظلَّ طريق الفِراش في حُجيرة في بُرج، يتعافى من جرح أصيبَ به في المعركة. أياماً وأياماً حاولت آريا التوصل إلى وسيلةٍ تنسل بها من وراء حارسه لتراه، فلا بُدَّ أن معه ذهباً بما أنه لورد، كلهم معهم ذهب، ولربما يرشو بعض مرتزقة اللورد تايوين ليأخذوها إلى ريفررن. لقد قال أبوها إن المرتزقة يخونون أيَّ أحدٍ لقاء ما يكفي من الذهب.

ثم جاء صباح لمحت فيه ثلاث نساء في ثياب الأخوات الصّامات الرمادية ذات القلنسوات، يرفعن جثّة إلى عربتهن. كانت الجثّة ملفوفة بمعطفٍ من الحرير الثمين، مزين برمز البلطة الحريّة، وحين استفسرت آريا عن الميت، أجابها أحد الحُرّاس أنه اللورد سروين. أحسّت بالكلمات كركلةٍ تلقتها في بطنها، وقالت لنفسها والأخوات يخرجن بالعربة من البوابة: لم يكن ليستطيع مساعدني على كلِّ حال، بل لم يستطع أن يُساعد نفسه حتى أيّتها الفأر المغفل.

بعد ذلك عادت إلى التّظيف والانسلال والتّنصّص على الأبواب. سمعت أن اللورد تايوين سيزحف عمّا قريب إلى ريفررن، أو أنه سيّجّه جنوباً إلى هايجاردن، فلا أحد سيتوقّع ذلك. لا، بل عليه أن يُدافع عن كينجز لاندنج، لأن ستانيس يُشكّل التّهديد الأكبر. سمعت أنه أرسل جريجور كليجاين وفارجر هوت لتدمير روروس بولتون ونزع هذه الشّوكة من ظهره، وأنه أرسل طيوراً إلى «العُش» عارضاً الزّواج على لايسا آرن بغرض أن يضمَّ «الوادي» إلى صفّه، وأنه جلب أطناناً من الفضة لصناعة سيوفٍ سحريةٍ من أجل القضاء على أوراج⁽¹⁾ جيش ستارك، وأنه يكتُب لليدي ستارك ليتفق معها على شروط السّلام، بما أن قاتل الملك سيُطلق سراحه قريباً.

(1) الواج كلمة ذات أصول نورديّة وجرمانيّة وفارسيّة قديمة بمعنى «ذئب»، وفي عالم الرّواية يُسمّى البشري الذي يستطيع تلبّس الحيوانات بعقله لينحكّم فيها «مبدّل الجِلدة»، والواج فئة نادرة من مبدّلي الجِلدة، تستطيع تلبّس الذّئاب والكلاب على وجه التّحديد.

وعلى الرغم من أن الغدبان تروح ونجيء طيلة اليوم، فاللورد تاويون نفسه يقضي السّواد الأعظم من وقته وراء الأبواب المغلقة مع مجلسه الحربي. أحياناً ما تلمحه آريا، لكن من بعيدٍ دومًا، مرّةً وهو يتجول على الأسوار في ضُحبة ثلاثة مايسترات والأسير البدين ذي الشّارب الكَث، ومرّةً وهو يُغادر مع اللوردات حملة رايته لزيارة المعسكرات، لكن غالبًا ما تراه يقف في واحدةٍ من قناطر الشُّرفة المسقوفة، يُشاهد تدريبات الرّجال في السّاحة في الأسفل، يقف دائمًا مشبكًا يديه معًا على قبيعة سيفه الطويل الذّهبيّة. يقولون إن اللورد تاويون يُحبّ الذهب أكثر من أيّ شيءٍ آخر، وسمعت آريا واحدًا من مُرافقي الفُرسان يقول مازحًا ذات مرّةٍ إنه يتربّز ذهبًا كذلك. يبدو اللورد لانستر قويًا بالنّسبة لرجل متقدّم في السّن، ولديه لحية ذهبيّة متيّسة ورأس أصلع، وثمة شيء في وجهه يُذكرها بأبيها، على الرغم من أن لا تشابه على الإطلاق بين ملامح الاثنين. قالت لنفسها: إنه يملك وجه لورد، وهذا كل شيء، وتذكّرت أنها سمعت السيّد والدتها تقول لأبيها يومًا أن يرتدي وجه اللورد ويذهب ليتعامل مع مسألةٍ ما، فضحك أبوها، لكنها لا تتخيّل أن يضحك اللورد تاويون على أيّ شيءٍ كان.

ثم جاءت ظهيرة، بينما تنتظر دورها في سحب دلوٍ من الماء من البئر، عندما سمعت صرير مفصلات البوّابة الشرقيّة، وببطءٍ عبرت مجموعة من الرّجال على متن الخيول تحت الشّبكة الحديدية، وحين لمحت المانيكور الرّاحف على تُرس قائدهم، شعرت بطعنة الكراهية الماضية في أعماقها.

لا يبدو السير آموري لورك مخيفًا في نور النّهار كما كان في ضوء المشاعل، لكنه لا يزال يملك العينين الخنزيريتين اللتين تذكّرهما. قالت إحدى النّسوة إنه دار مع رجاله دورةً كاملةً حول «عين الآلهة» ليُطارِدوا بريك دونداريون ويقتلوا المتمرّدين، فحدّثت آريا نفسها: لم تكن متمرّدين، بل حرس اللّيل، وحرس اللّيل لا يتدخّلون في شؤون البلاد. على أن عددًا أقلّ مما تذكّره من الرّجال عادَ مع السير آموري، بينهم جرحى كثر، فقالت في قراتها: أتمنى أن تتعفن جروحهم ويموتوا جميعًا.

ثم إنها رأت الثلاثة الرّاكبين قُرب نهاية الطّابور.

كان رورج يضع خوذة قصيرة سوداء ذات واقبي أنف حديدي عريض، يجعل من الصعب أن تبيّن أنه بلا أنف، وإلى جواره ركب العضاض بتناقل فوق يبدو على وشك الانهيار تحت وزنه، وقد غطت الحروق نصف المندملة جسده، جاعلة منظره أشنع مما كان من قبل.

لكن چاكن هاجار كان لا يزال يتسم. رأت أنه ما زال يرتدي ثيابا بالية منسخة، لكنه وجد الوقت لغسل وتصفيف شعره، الذي انسدل على كتفيه أحمر وأبيض ولا معًا، وسمعت آريا الفتيات يتبادلن ضحكات الإعجاب.

كان ينبغي لي أن أترك النار لتلهمهم، هذا ما قاله جندري، وكان عليّ أن أسمع كلامه. لو أنها لم تُلقي لهم تلك البلطة، لكان ثلاثتهم موتى الآن. شعرت بالخوف لحظة، لكنهم مروا بها دون أدنى لمحة من الاكتراث، وكان چاكن هاجار الوحيد الذي ألقى نظرة عابرة في اتجاهها، وتجاوزتها النظرة مباشرة، ففكرت: لم يتعرفني. آري كان ولدًا صغيرًا شرسًا يحمل سيفًا، لكني مجرد فار رمادي يحمل دلوًا.

أمضت بقية اليوم في دغك السلالم في بُرج العويل، ومع حلول المساء كانت يداها مسحوجتين دامتيتين، وذراعاها تؤلمانها للغاية، حتى إنهما اهتزتا وهي تعود إلى القبر حاملة الدلو. شاعرة بتعب لا يجعلها تقوى على الأكل حتى، استأذنت آريا من ويز وذهبت إلى فراشها القش لتنام، ثم قالت متاثبة: «ويز، دانسن، تشيزويك، پوليفر، راف المعسول، المُدغدغ و كلب الصّيد، السير جريجور، السير آموري، السير إلين، السير مرين، الملك چوفري، الملكة سرسي». خطر لها أن تُضيف ثلاثة أسماء أخرى إلى صلاتها، لكنها أكثر إرهاقًا من أن تُقرر الليلة.

كانت آريا تحلم بالذئاب تعدو حُرّة في الغابة، عندما أطبقت يد قويّة على فمها كحجر أملس دافئ، صلبة ولا تتزحزح، فأفاقت في الحال مقاومة تُحاول التملص، فهمس صوت من وراء أذنها: «الفتاة لن تقول شيئًا، الفتاة ستبقي فمها مغلقًا فلا يسمع أحد، ثم يتكلم الصديقان سرًا، اتفقنا؟».

بقلب يدق بعنف، حرّكت آريا رأسها بتؤدة بالغة لتومئ إيجابًا. رفع چاكن هاجار يده. كان ظلام القبر حالكًا فلم تر وجهه الداني منها

للغاية، وإن شَمَّت رائحة الصَّابون النّظيفة على بشرته والعطر في شعره، أمّا هو فغمغم: «الصَّبِي أصبح بنتًا».

- «كنتُ بنتًا طول الوقت. لم أحسب أنك رأيتني».

- «الرَّجل يرى، الرَّجل يعرف».

تذكّرت أنها نكرهه، فقالت: «لقد أخفّيتي. إنك واحد منهم الآن. كان يجب أن أترككم تحترقون. ماذا تفعل هنا؟ اذهب وإلا ناديتُ ويز».

- «الرَّجل يُسدّد ديونه، الرَّجل مدين بثلاث».

- «ثلاث؟».

- «لا بُدَّ أن يُوفّي الإله الأحمر حقَّه أيتها الفتاة الخلوة، والموت وحده ثمن الحياة. هذه الفتاة أخذت ثلاث أنفُس كانت له، وعلى هذه الفتاة أن تُعطيه ثلاثًا بدلًا منها. قولي الأسماء وسيتولّى الرَّجل الباقي».

إنه يُريد أن يُساعدني، قالت آريا لنفسها مع دفقة الأمل التي أحسّت بها وأصابتها بالدوار، فاندفعت تقول: «خُذني إلى ريفرون. إنها ليست بعيدة. إذا سرّقنا خيولًا فيمكننا...».

وضع إصبعه على شفتها قائلاً: «ثلاث أنفُس ستالين مني، لا أكثر ولا أقل، ثلاثًا ثم تنتهي. على الفتاة أن تُفكّر إذن»، وطبع قُبلة ناعمة على شعرها مضيقًا: «لكن ليس طويلًا».

لَمَّا أشعلت آريا عُقب شمعتها، لم يكن قد تبقي منه غير رائحة واهية، نفحة من الزّنجبيل والقرنفل ظلّت في الهواء.

انقلبت المرأة النَّائمة في الكوّة المجاورة على فراشها القش متدمّرة من الضّوء، فنفضت آريا في الشّمعة وأطفأتها، وعندما أغلقت عينيها من جديد، رأت الوجوه طافية أمامها؛ جوفري وأمه، إلين باين ومرين ترانت وساندور كليجاين... لكنهم على بُعد مئات الأميال في كينجز لاندنج، أمّا السير جريجور فلم يبقَ غير بضع ليالٍ قبل أن يرحل ثانيةً بحثًا عن المزيد من الخدم والغنائم، وأخذ معه راف وتشيزويك والمُدغِدغ. لكن السير آموري لورك هنا، وهي تكاد تبغضه مثلما تبغض الآخرين، أليس كذلك؟ إنها ليست واثقة، كما أن هناك ويز دائمًا.

فَكَرَّت فِيهِ ثَانِيَةً فِي الصَّبَاحِ التَّالِيِ عِنْدَمَا جَعَلَتْهَا الْحَاجَةُ إِلَى التَّوَمِ تَشَاءَبَ، فَقَالَ وَيز بِصَوْتٍ كَالْقَرَقَرَةِ: «بِنتِ عَرَسٍ، إِذَا رَأَيْتُ فَمَكَ مِفْتوحًا ثَانِيَةً، سَأَقْطَعُ لِسَانَكَ وَأَطْعِمُهُ لِكَلْبَتِي»، وَلَوْى أُذُنَهَا بِأَصَابِعِهِ لِيَتَأَكَّدَ مِنْ أَنَّهَا أَصَغَتْ إِلَيْهِ، وَقَالَ لَهَا أَنْ تَعُودِ إِلَى دَعْكِ السَّلَالِمِ، فَهُوَ يَرِيدُهَا نَظِيفَةً حَتَّى الْبَسْطَةِ الثَّالِثَةِ مَعَ حُلُولِ الْمَسَاءِ.

فَكَرَّت أَرِيَا وَهِيَ تَعْمَلُ فِيمَنْ تُرِيدُهُمْ مَوْتَى، وَتَظَاهَرَتْ بِأَنَّهَا تَرَى وَجُوهَهُمْ عَلَى السَّلَالِمِ، فَكَانَتْ تَدْعُكَ بِقُوَّةٍ أَكْبَرَ لِمَسْحِهَا. عَائِلَةٌ سِتَارَكَ فِي حَرْبٍ مَعَ عَائِلَةٍ لَانَسْتَرِ، وَهِيَ مِنْ عَائِلَةِ سِتَارَكَ، فَعَلِيهَا إِذَنْ أَنْ تَقْتُلَ أَكْبَرَ عَدَدٍ مِمَّنْ مِنْ رِجَالِ لَانَسْتَرِ، فَهَذَا مَا يَحْدُثُ فِي الْحُرُوبِ، لَكِنِّهَا لَا تَحْسَبُ أَنَّهَا تَسْتَطِيعُ الثَّمَنَ بِجَاكُنَ. يَجِبُ أَنْ أَقْتُلَهُمْ بِنَفْسِي. كُلَّمَا حَكَمَ أَبُوهَا عَلَى أَحَدٍ بِالْمَوْتِ، كَانَ يُنْفِذُ الْحُكْمَ بِنَفْسِهِ بِسَيْفِهِ الْعَظِيمِ «جَلِيدٍ»، وَذَاتَ مَرَّةٍ سَمِعَتْهُ يَقُولُ لِرُوبٍ وَچُونِ: «إِذَا كُنْتَ سَتَسَلِبُ رَجُلًا مَا حَيَاتِهِ، فَأَنْتَ مَدِينٌ لَهُ بِأَنْ تَنْظُرَ فِي عَيْنَيْهِ وَتَسْمَعَ كَلِمَاتِهِ الْأَخِيرَةَ».

تَحَاشَّتْ چَاكُنَ هَاجَارَ فِي الْيَوْمِ التَّالِيِ وَالْيَوْمِ الَّذِي تَلَاهُ، وَلَمْ يَكُنْ هَذَا عَسِيرًا، فَهِيَ ضَعِيفَةٌ لِلْغَايَةِ وَهَارِنَهَالُ ضَخْمَةٌ لِلْغَايَةِ، وَمَلَأَى بِالْجُحُورِ الَّتِي تَسْتَطِيعُ الْفَتْرَانِ التَّوَارِي فِيهَا.

ثُمَّ عَادَ السَّيْرُ جَرِيحًا مَبْكَرًا عَنِ الْمَتَوَقَّعِ، سَائِقًا قَطِيعًا مِنَ الْمَاعِزِ هَذِهِ الْمَرَّةَ بَدَلًا مِنَ الشَّجَنَاءِ، وَسَمِعَتْ أَنَّهُ فَقَدَ أَرْبَعَةَ رِجَالٍ فِي وَاحِدَةٍ مِنْ غَارَاتِ اللَّوَرْدِ بَرِيكَ اللَّيْلِيَّةِ، لَكِنْ مَنِ تَمَقُّتُهُمْ أَرِيَا عَادُوا دُونَ أَنْ يُصِيبَهُمْ خَدَشٌ وَاحِدٌ، وَسَكَنُوا الطَّابِقَ الثَّانِي مِنَ بُرْجِ الْعَوِيلِ، فَحَرَصَ وَيز عَلَى تَزْوِيدِهِمُ الْمُسْتَمِرَّ بِالشَّرَابِ، وَتَمَتَّمَ بِتَبَرُّمٍ: «هَؤُلَاءِ الثَّلَاةُ يَشْعُرُونَ بِالْعَطَشِ دَائِمًا. بِنْتُ عَرَسٍ، أَصْعَدِي إِلَيْهِمْ وَسَلِّهِمْ إِنْ كَانَتْ لَدَيْهِمْ مَلَابِسُ تَحْتَاجُ رَتَقًا، وَسَأَجْعَلُ النَّسَاءَ يُصَلِّحْنَهَا».

انْطَلَقَتْ أَرِيَا تَصْعَدُ السَّلَالِمَ الَّتِي نَظَّفَتْهَا بِإِتْقَانٍ، وَلَمْ يُعْرِهَا أَحَدُهُمْ انْتِبَاهًا عِنْدَمَا دَخَلَتْ. كَانَ تَشِيزُويْكَ جَالِسًا بِالْقُرْبِ مِنَ النَّارِ وَفِي يَدِهِ قَرْنٌ مِنَ الْمِزْرِ، يَحْكِي وَاحِدَةً مِنْ قِصَصِهِ الطَّرِيفَةِ، فَلَمْ تَجِرْ عَلَى مِقَاطَعَتِهِ خَشْيَةً أَنْ يُدْمِيَ شَفَتَهَا بِضَرْبَةٍ مِنْهُ.

كان تيشزويك يقول: «كان هذا بعد دورة مباريات يد الملك، قبل الحرب، وكنا في طريق العودة غربًا، سبعة منا مع السير جريجور. كان راف معي، والشاب چوس ستيلوود الذي خدم سيدي في مضمار التزال. طيّب، ثم إذا بنا نتوقّف عند ذلك النّهر القذر الفائض بسبب الأمطار التي هطلت قبلها، ولا سبيل لدينا للعبور، لكننا وجدنا حانةً قريبةً فذهبنا إليها، وهناك يُوقظ سيدي الخمّار ويقول له أن يحرص على امتلاء قرونا حتى تنحسر المياه، وكان حريّا بكم أن تروا عيني الرّجل الشّبهتين بعيني خنزير وهما تلمعان مع مرأى الفضة. هكذا يجلب لنا المِزر، هو وابنته، وكان نوعًا رديئًا جدًّا أقرب إلى البول البني، الشّيء الذي لم يُرضني أو يُرض سيدي طبعًا. وطول الوقت يُردّد ذلك الخمّار أنه مسرور للغاية لاستضافتنا، فالزّبائن قليلون بسبب المطر، ولا يخرس الأحقّ أبدًا على الرغم من أن سيدي لم يُقل كلمة واحدة، فقط يُفكّر عابسًا في فارس الورد إياه والحيلة القذرة التي مارسها، وكان من الواضح أن فمه مزوم تمامًا، وأنا والأولاد أعقل من أن نقول حرفًا واحدًا له في حالته هذه، لكن الخمّار لم يزل يتكلّم، بل ويسأل كيف أبلى سيدي في التزال، فرمقه سيدي بهذه النظرة فقط»، وقهقهة تيشزويك وجرع من مزره ثم مسح الرّغوة بظهر يده مواصلاً: «في تلك الأثناء كانت ابنته تُحضّر الشّراب وتصبّه، فتاة بدينة، في الثامنة عشر أو نحوها...».

لوى راف المعسول شدقيه، وقال متفاصحًا: «كانت أقرب إلى الثالثة عشر».

- «أيّا كان، فلم يكن منظرها سارًا كثيرًا، لكن أجون شرب كثيرًا وبدأ يتحمّسها، ولربما تحسّستها بعض الشّيء بدوري، ثم يقول راف للشّاب ستيلوود إن عليه أن يجرّ الفتاة إلى الطابق العلوي ويصنع من نفسه رجلًا، هكذا على سبيل تشجيع الصّبي، وأخيرًا يمدّ چوس يده تحت ثورتها، فتصرّخ وتُسقط الإبريق الذي تحمله وتهرع إلى المطبخ. كان من الممكن أن ينتهي الأمر عند هذا الحد، لولا أن الأحقّ العجوز ذهب بعدها إلى سيدي وطلب منه أن يجعلنا ندع الفتاة وشأنها، بما أنه فارس منصّب وما إلى ذلك. السير جريجور لم يكن متبهاً لمرحنا، لكنه يرفع عينيه الآن ويُنظر، تعلمون

نظرته تلك، ويأمر بمشول الفتاة أمامه، والآن يجزّها العجوز من المطبخ ولا يلوم من إلا نفسه، ثم يتطلّع سيّدي إلى الفتاة ويقول: هذه إذن هي العاهرة التي تشغل نفسك بها، فيردّ العجوز المخبول: ابنتي ليانا ليست عاهرة أيها الفارس، يقولها في وجه السير جريجور مباشرة، ولا يطرف جفن لسيّدي، ويقول من فوره: إنها كذلك الآن، ويلقي أيلًا فضيًا آخر للرّجل، ثم يمزّق ثياب البنت ويأخذها هناك على المائدة أمام أبيها، بينما تتلوّى هي وتحاول التملّص كالأرانب وتصدّر الأصوات إياها. النظرة على وجه العجوز جعلتني أنفجر ضحكًا حتى خرج المزّر من أنفي، ثم يسمع ذلك الصّبي الجلبة، الابن كما خمّنت، ويأتي مندفعًا من القبو، فيغريس راف خنجرًا في بطنه. كان سيّدي قد فرغ عندئذٍ، وعادَ إلى الشّرب ونال كلّ منا دوره. توبوت، إنكم تعرفونه، يقلبها على بطنها ويدخل من الباب الخلفي، ولما حان دوري كانت الفتاة قد كفت عن المقاومة، لعلّها قرّرت أن هذا يروقها، وإن لم أكن لأمانع القليل من التلوّي في الحقيقة. أمّا أفضل جزء على الإطلاق... عندما انتهى كلّ شيء، يقول سيّدي للرّجل إنه يُريد باقي نقوده، فالفتاة لا تسوى قطعة فضيّة... ولتحلّ بي اللّعة إن لم يُخرج العجوز حفنة من القطع النحاسيّة ويعتذر لسيّدي ويشكره على الزّيارة!«.

هدر الرّجال ضاحكين، أصخبهم تشيزويك نفسه، الذي ضحك بعنفٍ على القصة التي رواها حتى سالّ المخاط من أنفه إلى لحيته السّائبة الخشنة. وقفت آريا وسط ظلال بثر الشّلّم وراقبته، ثم إنها رجعت إلى القبو دون أن تقول كلمة، ولما عرفَ ويز أنها لم تسأل عن الثّياب، أنزل سراويلها وضربها على مؤخرتها بالعصا حتى سالت الدّماء على وركيها، لكن آريا أغلقت عينيها وفكرت في كلّ الأقوال التي علّمها سيريو فورل إياها، فشعرت بالألم بالكاد. بعد ليلتين أرسلها إلى قاعة الثّكنات للتّخديم على الموائد، وكانت تحمل إبريق نبيذٍ وتصبّ حين لمحت جاكّن هاجار الجالس أمام صحيفة طعام على الجانب الآخر من الممشى. مضغت آريا شفّتها وتطلّعت حولها بحذرٍ لتأكّد من عدم وجود ويز في الجوار، وقالت لنفسها: ضربة الخوف أمضى من السيف.

تحرّكت خطوة، ثم أخرى، ومع كلّ خطوة إضافية كان شعورها بأنها فأر يتخلّى عنها، وشقّت طريقها بطول الدّكة مألثةً الأقداح. جلسَ رورج إلى يمين چاكن سكرانًا تمامًا، لكنه لم يلاحظها، فمالت آريا وهمست: «تشيزويك» في أذن چاكن مباشرة، فلم يُبدِ اللورائي أمارّةً على أنه سمعها.

عندما فرغَ الإبريق، هرعت آريا إلى القبو لتملأه من اليرميل، ثم عادت مسرعةً إلى صَبِّ التّبيد للرجال، لكن أحدًا لم يمت من الظّمأ في غيابها، أو لاحظ أنها غابت أصلًا.

ولم يحدث شيء في اليوم التّالي أو الذي تلاه، لكن في اليوم التّالث ذهبت آريا إلى المطابخ مع ويز ليحضّر طعام الغداء، وسمعت ويز يقول لإحدى الطّاهيات: «أحد رجال الجبل سقط من فوق سور ليلة أمس وكسر عنقه الأحمر».

سأله المرأة: «أكان سكرانًا؟».

- «ليس أكثر من المعتاد. يقول البعض إن شبح هارن هو من ألفاه»، وأطلق نخيرًا ليربها رأيه في الأفكار المشابهة.

أرادت آريا أن تقول: لم يكن هارن، بل أنا. لقد قتلت تشيزويك بهمة، وما زال هناك اثنان آخران ستقتلهما قبل أن تنتهي. قالت لنفسها: أنا الشّبح الذي يسكن هارنهال، وتلك اللّيلة نقصت الأسماء التي تكرها آريا واحدًا.



كاتلين

كان موقع اللقاء مرجًا عُشبيًا انتشر فيه الفطر الرمادي الباهت وبقايا الأشجار المقطوعة.

- «نحن أول الواصلين يا سيّدي»، قال هالس مولين بينما توقّفا بحصانيهما وحدهما وسط الجذوع المبتورة وبين الجيشين، وقد خفقت راية ذئب ستارك الرّهب على السّارية التي يحملها. لم تستطع كاتلين أن ترى البحر من مكانهما هذا، وإن أحسّت بقرّبه الشّديد، إذ هبّت الرّيح من الشّرق محمّلة برائحة الملح القويّة.

كان رجال ستانيس باراثيون قد قطعوا الأشجار من أجل بناء أبراج الحصار والمجانيق، وتساءلت كاتلين كم من الزّمن احتلّ البُستان هذه المنطقة قبل أن تأتي عليه الحرب، وإن كان قد استراح هنا عندما قاد جيشه جنوبًا، ليرفع الحصار السّابق عن ستورمز إند. يومها حقّق انتصارًا عظيمًا، أعظم ما فيه أن دماء لم تُرقّ.

قالت كاتلين في قرارة نفسها: فلتهب لي الآلهة القُدرة على تحقيق المثل. كان أتباعها المخلصون أنفسهم قد حسبوها معجونةً لمجرّد المجيء إلى هنا، وقال السير وندل ماندرلي: «هذه ليست معركتنا يا سيّدي. أعرف أن الملك لم يكن ليرغب في أن تُعرّض أمّه نفسها للخطر».

أجابته بلهجة ربما كانت أحدًا من اللاّزم: «كلنا في خطر بالفعل. أتحسب أنني أريدُ أن أكون هنا أيها الفارس؟». مكاني في ريفوردن مع أبي المحتضر، في ويسترفل مع ولديّ. «روب بعثني جنوبًا لأتكلّم نيابةً عنه، وهذا ما أنوي

أن أفعله». إنها تعلم أن إقامة السّلام بين هذين الأخوين لن تكون بالمهمة اليسيرة، لكن عليها أن تُحاول في سبيل البلاد.

وراء المرتفعات الحجرية والحقول المشبعة بمياه الأمطار، ارتفعت قلعة ستورمز إند العظيمة كأنما تَبْلُغُ عِنان السّماء، وقد ولّت البحر غير المرئي ظَهرها، وبدت قوَّات ستانيس باراثيون التي تُطَوِّق أسوارها الرّماديّة الباهتة ضئيلة نافهة كفثران تحمل الرّايات.

يُحكى في الأغاني أن ستورمز إند شُيِّدَتْ في عصرٍ سحيق على يد داران أول ملوك العواصف، الذي فازَ بِحُبِّ الجميلة إليني، ابنة إله البحر وإلهة الرّيح، وفي ليلة زفافهما تخلّت إليني عن بكارتها للفاني الذي أحَبَّته، ومن ثَمَّ حكمت على نفسها بالموت كما الفانين، فأطلق أبواها الثّكلانان غضبتهما كلها في صورة الرّياح والأمواج التي انقضّت على معقل داران لتدكّه، واتسحق أصدقاؤه وإخوته وضيوف زفافه جميعًا تحت الجدران المتهاوية، أو طيّرهم الهواء العاصف إلى البحر، لكن إليني وقّت داران بذراعيها فلم يمسه أذى، ولمّا طلع الفجر أخيرًا، أعلن الملك الحرب على الآلهة، وتعهّد بإعادة بناء القلعة.

خمس قلاع أخرى شيّدها داران، كلّ منها أكبر وأقوى من سابقتها، فقط ليشهدها تُدمَّرُ واحدة تلو الأخرى وسط الأعاصير الجارفة التي هبّت عاويةً من خليج الشّفن الغارقة، تدفع أمامها جدرانًا هائلةً من المياه. ناشده لورداته أن يبني إلى الدّاخل، وقال له كهنته أن عليه مهادنة الآلهة بإعادة إليني إلى البحر، وحتى رعيّته استعطفوه كي يلين، لكن إصرار داران لم يتزعزع قيد أنملة، وشُيِّدَت القلعة السّابعة أضخم من السّابقات كلهن. قال البعض إن أطفال الغابة ساعدوه على بنائها بتشكيل الحجارة بالسّحر، وزعم آخرون أن صبيًا صغيرًا أخبره بما يجب أن يفعله، صبيًا سيكبر ليصبح براندون البّناء. لكن مهما حُكِيت الحكاية، فخانتها واحدة، تقول إن الآلهة هاجمت القلعة بعاصفةٍ تلو العاصفة، لكن القلعة السّابعة تحدّتها وتصدّت لها كلها، وعاش داران وِلِل الآلهة والجميلة إليني معًا حتى نهاية أيامهما.

الآلهة لا تنسى، وتظلّ العواصف الثّائرة تهبُّ من البحر الضيّق، لكن

ستورمز إند بقيت صامدةً على مَرِّ القرون وعشرات القرون، قلعةً لا مثيل لها. يرتفع الشُّور الوافي العظيم مئة قدم كاملة، لا تتخلله أيُّ فتحاتٍ لإطلاق السَّهام أو أبوابٍ جانبيَّة، وكلُّ جزءٍ منه منحَن مستدير وأملس تمامًا، كما ترتصُّ الأحجار معًا بدقَّةٍ متناهية لم تترك صدعًا أو زاويةً أو ثغرةً تدخل منها الرِّيح. يُقال إن سُمك الشُّور يبلُغ أربعين قدمًا في أضيق نقاطه، ونحو ثمانين في الجزء المواجه للبحر، ويتشكَّل من صفَّين متوازيين من الأحجار صُبَّ بينهما الرَّمْل والدَّبش، وفي داخل هذا الحصن الجبَّار تبقى المطابخ والاسطبلات والسَّاحات في أمانٍ من الرِّيح والأمواج. من الأبراج ليس هناك غير واحد، بُرج دائري عملاق بلا نوافذ حيث يُواجه البحر، وواسع للغاية لدرجة أنه يضمُّ صومعة الغلال والشُّكنات وقاعة الاحتفالات ومسكن اللورد في آنٍ واحد، وتُتَّوَّجُه شُرْفَةٌ هائلة تجعله يبدو من بعيدٍ كقبضةٍ شائكةٍ في نهاية ذراعٍ مرفوعةٍ إلى السَّماء.

خَرَجَ راكبَان من المعسكر الصَّغير المنظَّم تحت أسوار القلعة، وأتَّجها نحوهما ببطء، فقال هال مولين: «سيِّدتي، لا بُدَّ أنه الملك ستانيس».

قالت كاتلين وهي تُراقبهما يدنوان: «لا شك». لا بُدَّ أنه ستانيس، لكن هذه ليست داية باراثيون. كانت الرَّاية ذات لونٍ أصفر فاقع، وليس اللُّهبي الفاخر كرايات رنلي، والرَّمز الذي تحمله أحمر، وإن لم تستطع كاتلين تمييز شكله. سيكون رنلي آخر من يصل، فهذا ما قاله لها قبل أن تُغادر، وبالفعل لم يتحرَّك لا متطاء حصانه حتى رأى أخاه في طريقه بالفعل. على أول من يصل أن ينتظر الآخر، ورنلي لا ينتظر أحدًا. قالت لنفسها: إنها لُعبة يُحبُّها الملوك. حسنٌ، إنها ليست ملكًا، وعليه فليست مضطَّرةً لأن تشترك في اللُّعب، كما أنها متمرَّسة في الانتظار.

مع اقترابه، رأت أن ستانيس يعتمر تاجًا من الذهب الأحمر، ورؤوسه المدبَّبة مطرَّقة على شكل ألْسنة اللُّهب، بينما طُعِمَ حزامه بالعقيق الأحمر والتوباز الأصفر، واستقرَّت ياقوته مربَّعة كبيرة في مقبض السَّيف الذي يحمله، لكن فيما عدا ذلك فثيابه تقليديَّة تمامًا، سُترة جلديَّة أزراها من الحديد فوق صُدرةٍ مبطنَّة، مع حذاءٍ بالٍ وسراويل من الصُّوف البني الخشن. كان الرَّمز

على رايته الصَّفرَاء كالشَّمْس عبارةً عن قلب أحمر محاط باللَّهب البرتقالي المتقد، وصحيح أن الوعل المتوج موجود أيضًا، إلا أنه منكمش ومحصور داخل القلب. الأكثر إثارة للفضول من الرّاية كانت حاملتها، تلك المرأة التي ترتدي ثيابًا حمراء بالكامل، ويتوارى وجهها تحت قلنسوة معطفها القرمزي الواسعة. قالت كاتلين لنفسها حائرة: راهبة حمراء. لهذه الطائفة أتباع كثير وسلطة لا يُستهان بها في المُدن الحُرّة والشرق البعيد، لكن عدد الممتنمين إليها في الممالك السَّبع محدود.

قال ستانيس باراثيون بكياسة باردة وهو يتوقّف بحصانه: «ليدي ستارك»، وحنى رأسه الذي زحف عليه الصِّلَع أكثر عن آخر مرّة رآته فيها. أجابت: «لورد ستانيس».

أطبق فكّيه الثَّقيلين بقوة تحت لحيته المشدّبة بعناية، لكن أشعرها بالامتنان أنه لم يترفع عليها إزاء الألقاب، بل قال: «لم أتوقّع أن أجدك عند ستورمز إند».

- «لم أتوقّع أن أكون هنا».

ومقّتها عيناه العميقتان بانزعاج، فهذا الرّجل ليس مخلوقًا لتبادل عبارات المجاملة، وقال لها: «آسف لموت السيّد زوجك، مع أن إدارد ستارك لم يكن صديقًا لي».

- «لكنه لم يكن عدوك قطّ يا سيّدي. عندما سجّك اللوردان تايرل وردواين في هذه القلعة وجعلاك تتضور جوعًا، كان إدارد ستارك من كسر الحصار».

ردّ ستانيس: «بأمر أخي، لا لمحبتّه لي. لن أنكر أن اللورد إدارد أدّى واجبه، فهل أقلّ عنه في هذا؟ كان يجب أن أكون أنا يد روبرت».

- «تلك كانت رغبة أخيك، لكن ند لم يرغب في المنصب قطّ».

- «لكنه أخذه بينما كان المفترض أن يكون لي. ومع ذلك أعطيك كلمتي، ستالين العدالة لمقتله».

كم يُحبّ هؤلاء الرّجال الذين يُريدون ملوكًا أن يعدوا بالرؤوس المبتورة. «أخوك وعدني بالشّيء نفسه، لكن الحقّ أنني أوتّر أن أستعيد ابنتي وأدع إنجاز

العدالة للآلهة. ما زالت سرسي تحتجز ابنتي سائزا، ولا توجد أخبار عن آريا منذ يوم موت روبرت».

رَدَّ: «إذا عثرنا على ابنتيك عندما آخذُ المدينة، سُرِّسلهما إليك»، بينما قالت نبرته: حيَّين أو ميتين.

- «ومتى سيكون هذا يا لورد ستانيس؟ كينجز لاندنج قريبة من جزيرتك دراجونستون، لكنني أجِدُك هنا بدلاً من ذلك».

- «أنت صريحة يا ليدي ستارك. ليكن، سأجيبك بصراحة إذن. كي آخذ المدينة، فإنني أحتاجُ قوَّةَ هؤلاء اللوردات الجنوبيَّين الذين أراهم عبر المرج. إنهم مع أخي، ويجب أن آخذهم منه».

- «النَّاسُ يمنحون ولاءهم لمن يشاؤون يا سيدي، وهؤلاء اللوردات أقسموا على الولاء لروبرت وعائلة باراثيون. إذا نَحَيْتِ أنت وأخوك خلافاً كما جانباً...».

- «ليس لديَّ خلاف مع رنلي إذا أثبتَ طاعته لي. إنني أخوه الأكبر ومليكه، ولا أريدُ إلَّا ما هو حقِّي شرعاً. رنلي مدين لي بالإخلاص والطَّاعة، وأنوي أن أنالهما منه ومن أولئك اللوردات الآخرين»، وتمعَّن في وجهها متسائلاً: «لكن ماذا أتى بك إلى هذا المكان يا سيديتي؟ هل ضَمَّت عائلة ستارك رجالها إلى أخي؟ أهذا ما حدث؟».

فكَّرت: هذا الرَّجُل لن يلين أبداً، لكن عليها أن تُحاول على الرغم من هذا، فالكثير جدًّا على المحك. هكذا قالت: «ابني يَحْكُمُ بصفته الملك في الشَّمال، لكن برغبة لورداتنا وشعبنا، ولا يركع أمام أحد، وإن كان يمدُّ يد الصَّدَاقَةِ للجميع».

قال ستانيس بجفاء: «الملوك ليس لديهم أصدقاء، بل رعايا وأعداء فقط».

- «واخوة!»، قال صوت مرح من ورائها، فألقت كاتلين نظرةً من فوق كتفها لترى فرس اللورد رنلي تشقُّ طريقها بين بقايا الأشجار. بدا الأخ باراثيون الصَّغير شديد الأناقة في سُترةٍ من المخمل الأخضر ومعطفٍ من الحرير الموشَّى بالفراء، بينما طَوَّقَ تاج الورود الذهبيَّة رأسه وارتفع رأس الوعل المنحوت من اليشب فوق جبهته، ومن تحته استرسلَ شعره الفاحم

الطَّويل، وزَيَّنتْ كُتْلَ مَدْبَّةٍ مِنَ الماسِ الأسودِ حزامَ سيفه، فيما أَحاطَتْ بِعُنقه سلسلة من الذَّهَبِ والزمُرَّد.

رنلي أيضًا اختارَ امرأةَ تحملَ رايته، على الرِّغمِ من أن بريان أخفَّت وجهها وجسدها تحت درع من الصَّفائح المعدنيَّة لا تدل على جنسها إطلاقًا، وعلى السَّارية التي ترتفع أثني عشر قدمًا جعلت رِيَّاح البحر الوعل المتوجَّج الأسود يتواثب على الخلفيَّة الذهبيَّة.

حيَّاهُ أخوه بافتضاب: «لورد رنلي».

- «الملك رنلي. أهذا أنت حقًّا يا ستانيس؟».

قطَّب ستانيس وجهه قائلاً: «ومَن غيري؟».

هَزَّ رنلي كتفيه باستهتار، وأجاب: «لم أكن واثقًا حين رأيتُ هذه الرَّاية. راية مَن هذه التي تحملها؟».

- «رايتي أنا».

تكلَّمت الرَّاهبة الحمراء قائلةً: «الملك اتَّخذ قلب إله الضَّياء النَّاري رمزًا له».

بدا أن رنلي وجدَ هذا طريفًا، فقال: «أفضل كثيرًا. إذا استخدمَ كلانا الرَّاية نفسها، ستكون المعركة مريكةً تمامًا».

قالت كاتلين: «لنأمل ألاَّ تقع معركة. نحن الثلاثة لدينا عدوٌّ مشترك يسعى إلى تدميرنا جميعًا».

رمَقها ستانيس بنظرةٍ فاحصة، وقال بوجهٍ جامد: «العرش الحديدي من حقِّي، وكلُّ مَن يُنْكِرُون هذا أعدائي».

قال رنلي: «البلاد كلها تُنْكِرُه يا أخي، المسنون يُنْكِرُونه وهُم يلفظون آخر أنفاسهم، والأجئة يُنْكِرُونه في بطون أمَّهاتهم، يُنْكِرُونه في دورن ويُنْكِرُونه على «الجدار». لا أحد يُريدك ملكًا، آسف».

انقبَضَ فكَّا ستانيس وشَدَّ وجهه، وقال: «لقد أقسمتُ أني لن أنعامَل معك أبدًا ما دُمت ترندي تاج الخيانة هذا، فليتي حافظتُ على قسَمي».

تدخَّلت كاتلين قائلةً بحدَّة: «هذه حماقة. اللورد تايوين جالسٌ في هارنِهال ومعه عشرون ألف مُحارب، وفلول جيش قاتِل الملك عادوا يُنظَّمون

صفوفهم عند قلعة «الثَّابِّ الذَّهَبِي»، بينما يحتشد جيش لانستر آخر في ظلَّ كاسترلي روك، ومرسي وابنها يُسَيِّطِرَان على كينجز لاندينج وعرشكما الحديدي الغالي. كلاهما يُسمِّي نفسه ملكًا، لكن المملكة تنزف، ولا أحد يرفع سيفه دفاعًا عنها سوى ابني.

هَزَّ رنلي كتفيه قائلاً: «ابنك ربح بضع معارك، لكنني سأربح الحرب، وليتظر آل لانستر كلَّ الأشياء الجميلة التي أعدَّها لهم».

قال ستانيس بغلظة: «إذا كان لديك ما تعرضه، فأعرضه وإلا رحلت».

- «ليكن إذن. أعرضُ أن تترجَّل وتركع وتُقسِم لي على الولاء».

كَبَتْ ستانيس غضبته السوداء، وقال: «هذا ما لن تناله مني أبدًا».

- «لقد خدمت روبرت، فلم لا تخدمني؟».

- «روبرت كان أخي الأكبر، وأنت أخي الأصغر».

- «الأصغر والأجراً والأوسم بمراحل...».

- «ولصَّ وغاصب كذلك».

هَزَّ رنلي كتفيه من جديد قائلاً: «آل تارجارين لقَّبوا روبرت بالغاصب، لكنه بدا قادراً على حمل هذا العار، وكذا أنا».

فَكَّرَتْ كاتلين: لن يصلح هذا أبدًا، ثم رفعت صوتها قائلة: «اسمعا نفسيكما! لو كتتما ابني، لضربتُ رأسيكما معاً وجبستكما في غُرفة حتى تتذكَّرا أنكما أخوان!».

عَبَسَ ستانيس في وجهها، وقال: «إنك تتجرَّئين كثيراً يا ليدي ستارك. أنا الملك الشرعي، وخيانة ابنك لا تقلُّ عن خيانة أخي هذا، وسوف يأتي يومه». أشعلَ التَّهديد السَّافر غضبها، فقالت: «أنت حُرٌّ في اعتبار الآخرين خونةً وغاصبين يا سيدي، لكن فيم تختلف أنت عنهم بالتَّحديدي؟ تقول إنك وحدك الملك الشرعي، بينما يبدو لي أن روبرت أنجبَ ابنين، ووفقاً لكلِّ قوانين الممالك السَّبع، فالأمير جوفري هو الوريث الشرعي، وتومن من بعده... وكلنا خونة مهما كانت وجاهة أسبابنا».

ضحك رنلي، وقال: «يجب أن تُسامح الليدي ستارك يا ستانيس، فقد

قطعت الطريق الطويل من ريفررَن إلى هنا على ظهر حصان، وأخشى أنها لم تر رسالتك».

قال ستانيس بلهجة جافة: «جوفري ليس من صُلب أخي، ولا تو من. إنهما نغلان، والفتاة كذلك. ثلاثهم مسوخ مولودون من زنى المحارم».

مصعوفة تساءلت كاتلين: «أمن الممكن أن تكون سرسي نفسها بهذا الجنون؟»

قال رنلي: «أليست قصة ممتازة يا سيّدي؟ كنت معسكراً في هورن هيل عندما تلقى اللورد تارلي نسخته من الرسالة، ويجب أن أعترف بأنها أبهرتني حقاً»، وابتسم لأخيه متابعا: «لم أتوقع قط أنك بهذه البراعة يا ستانيس. ليتها قصة صحيحة، لكنّ روبرت روبرت حقاً».

- «ليتها قصة صحيحة؟ أنقول إنني كاذب؟».

- «هل يُمكنك إثبات كلمة واحدة من هذه الخرافة؟».

وكثر ستانيس على أسنانه.

فكرت كاتلين: ليس ممكناً أن روبرت كان يعلم، وإلا لفقدت سرسي رأسها في لحظة، ثم قالت: «لورد ستانيس، إذا كنت على دراية بارتكاب الملكة تلك الجرائم الوحشية، فلم لُذت بالصمت؟».

أجاب ستانيس: «لم ألد بالصمت، بل ذهبتُ بشكوكي إلى جون آرَن».

- «بدلاً من الذهاب إلى أخيك؟».

قال ستانيس: «كل اعتبار أخي لي كان بدافع الواجب لا أكثر، وإذا أتت تلك الاتهامات مني، لكانت قد بدت بدافع الحقد والأنانية، مجرد وسيلة لوضع نفسي في تسلسل الخلافة، فخطر لي أن روبرت سيُصغي إذا جاءت الاتهامات من اللورد آرَن، الذي كان يُحبّه».

قال رنلي: «آه، إذن فليس لدينا إلا كلمة رجل ميت».

- «أعتقد أن موته كان مصادفةً أيها الأحمق الأعمى؟ لقد سمّته سرسي

خشية أن يفضح سرّها. اللورد جون كان يجمع أدلةً معيّنة...».

- «... ماتت معه بلا شك. يا لها من صدفة!».

كانت كاتلين تتذكّر وترصّ قطع اللغز معاً، فقالت: «أختي لايسا اتهمت

الملكة بقتل زوجها في رسالةٍ أتتني منها في ويتترفل، ويعد ذلك، في «العش»،
ألقت التُّهمة على شقيق الملكة تيريون».

قال ستانيس ساخرًا: «إذا دخلت بيت الأفاعي، فهل يهْمُ مَنْ يلدغكِ
أولًا؟».

قال رنلي: «كلُّ هذا الكلام عن الأفاعي وزنى المحارم مسلٌّ حقًا، لكنه لا
يُغيِّر شيئًا. قد تكون صاحب الدُّعوى الأفضل يا ستانيس، لكنني ما زلتُ أملك
الجيش الأكبر»، ودسَّ يده في معطفه، فلاحظ ستانيس ومدَّ يده من فوره
إلى مقبض سيفه، لكن قبل أن يستلّه... أخرج أخوه خوخةً، وسأله مبتسمًا:
«أترغب في واحدةٍ يا أخي؟ إنها من هايجاردن، وأؤكد لك أنك لم تذوق
شيئًا بهذه الحلاوة من قبل»، وقضم من الثمرة ليسيل العصير على جانب فمه.
ردَّ ستانيس وهو يتميِّز من الغيظ: «لم آتِ إلى هنا لآكل الفاكهة».

صاحت كاتلين: «أيها السيدان! يجدر بنا أن نسنَّ شروطًا للتَّحالف، لا أن
نبادل عبارات الاستفزاز».

قال رنلي وهو يلقي النِّواة: «لا يجب أن يرفض أحد تذوق الخوخ أبدًا،
فقد لا ينال الفرصة ثانية. الحياة قصيرة يا ستانيس. تذكَّر ما يقوله آل ستارك...
الشتاء قادم»، ومسح فمه بظهر كفه.

- «لم آتِ إلى هنا لأتلقَّى التَّهديدات كذلك».

ردَّ رنلي بحدة: «وأنا لم أهْدِّدك، فستعرف عندما أهْدِّد. إذا كنت تُريد
الحق، فأنا لم أحبِّك قطُّ يا ستانيس، لكنك من دمي في النهاية، ولا أرغبُ
إطلاقًا في مصرعك. إذا كانت ستورمز إند هي ما تروم، فخذها... كهديَّةٍ
أخويَّة. كما أهدانيها روبرت من قبل، ها أنا أهديك إياها».

- «إنها ليست ملكك لتُهديها، بل ملكي أنا شرعًا».

متنهدًا، التفت رنلي نصف التفتاة فوق سرجه، وقال: «ماذا أفعلُ مع أخي
هذا يا بريان؟ يرفض خوختي، ويرفض قلعتي، بل واجتنب حضور زفافي
كذلك...».

- «كلانا يعلم أن زواجك مسرحيَّة هزليَّة. منذ عامٍ واحدٍ كنت تُخطِّط
لجعل الفتاة واحدةً من بغايا روبرت».

- « منذ عام واحد كنتُ أخطُّ لجعل الفتاة ملكة روبرت، لكن ما أهميّة هذا الآن؟ الخنزير البرّي نال من روبرت، ونلتُ أنا مارجري. سيترك أن تعرف أنها جاءتني عذراء. »

- « وفي فراشك ستموت عذراء غالبًا. »

- « أوه، إنني أتوقّع أن أزرع فيها بذرة ابني قبل نهاية العام. قل لي، كم ابنًا لديك يا ستانيس؟ أوه، هذا صحيح، ولا واحد، ورسم رنلي على وجهه ابتسامة بريئة وهو يواصل: « وبالنسبة لابنتك، فأنا متفهم. لو أن زوجتي تُشبه زوجتك، لأرسلتُ مهرّجي لمعاشرتها أيضًا. »

بصوتٍ هادر صاح ستانيس: « كفى! لن أسمح لك بالشخيرة مني في وجهي، هل تفهم؟ لن أسمح! »، وسحب سيفه الطويل من غمده، فتألّى الفولاذ على نحو عجيب في نور الشمس الشاحب، لحظة أحمر، ولحظة أصفر، ولحظة أبيض ومّاجًا، وبدا الهواء من حوله ملتهبًا كأنه يبتّ الحرارة. صهل حصان كاتلين وتراجع خطوة، لكن بريان تقدّمت تحول بين الأخوين وسيفها في يدها، وهتفت في ستانيس: « نَح سيفك جانبًا! ». لنفسها قالت كاتلين بتعب: لا بُدّ أن سرسي لانستر تضحك حتى تقطّع أنفاسها.

أشار ستانيس بسيفه إلى أخيه، وبصوتٍ كالرعد قال الرّجل الشّهير بعدم الرّحمة: « أنا لستُ عديم الرّحمة، ولا رغبة لديّ في تلوّث «جالب الضّياء» بدماء أخي. لأجل خاطر الأم التي حملتنا، سأعطيك الليلة لتعيد التّفكير في حماقاتك يا رنلي. أنزل راياتك وتعال إلّي قبل الفجر، وسأعطيك ستورمز إند ومقعدك السّابق في المجلس، بل وسأسمّيك وريثي إلى أن يولد لي ابن. إمّا هذا أو أدّمرك تدميرًا. »

ضحك رنلي، وقال: « ستانيس، أقرّ بأنه سيف جميل، لكنني أخشى أن وجهه أضعف بصرّك. انظر عبر المرح يا أخي. أترى كلّ تلك الرّايات؟ ».

- « أتحسب أن بضع لفائف من القماش ستجعلك ملكًا؟ ».

- « سيوف تايرل ستجعلني ملكًا، روان وتارلي وكارون سيجعلونني ملكًا بالفأس والصّولجان الشّانك ومطرقة الحرب، سيوف تارث ورماح

پنروز، وفوسوای، وکوی، ومالندور، وإسترمونت، وسلمي، وهایتاور،
 وأوکهارت، وکرين، وکازویل، وبلاکبار، وموريجن، وبيزبوري، وشريم،
 ودون، وفوتلي... وحتى عائلة فلورنت، إخوة زوجتك وأعمامها، كل
 هؤلاء سيجعلونني ملكًا. سلاحُ فرسان الجنوب كله معي، وهذا أقلُّ جزءٍ
 من قوّتي، فما زال مُشاتي في الطريق، مئة ألفٍ من حاملي السُّيوف والرِّماح
 والحراب... وستُدّمرني؟! بماذا؟ بهؤلاء الغوغاء الذين أراهم متحلّفين حول
 أسوار القلعة؟ سأكون كريمًا وأحصي خمسة آلافٍ منهم، لوردات السّمك
 وُفرسان البصل والمرتزقة. أراهنُ أن نصفهم سينضمُّ إليّ قبل بدء المعركة،
 كما أن كشّافتي أبلغوني أن لديك أقلُّ من أربعمئة من الخيالة، أنهم مُحاربون
 غير نظاميين يرتدون الجلد المقوّى، ولن يصمدوا لحظةً أمام حاملي الرِّماح
 المدرّعين. لا أبالي بأنك تحسب نفسك مقاتلاً مخضرمًا يا ستانيس، فجيشتك
 هذا لن يحتمل أكثر من هجمة واحدة من طليعة جيشتي».

قال ستانيس: «سنرى يا أخي»، وبدأ لكاتلين أن شيئًا من نور الدُّنيا انطفأ
 عندما دَسَّ ستانيس سيفه في غِمدته وأكمل: «سنرى حينما يطلع الفجر».

- «أملُ أن إلهك الجديد رحيم يا أخي».

أطلق ستانيس نخيرًا ساخرًا، وابتعد بسرعةٍ وقد لاح عليه بالازدراء، بينما
 تخلّفت الرّاهبة الحمراء عنه لحظةً، وقالت وهي تدور بحصانها: «تأمل في
 إصر الخطايا الذي تحمله يا لورد رنلي».

رجعت كاتلين واللورد رنلي معًا إلى المعسكر، حيث ينتظر آلاف وقلائها
 عودتهما، وعلّق رنلي قائلاً: «كان هذا مسليًا، إن لم يكن مفيدًا لأقصى درجة.
 تُرى أين يُمكنني الحصول على سيفٍ كهذا؟ لا شك أن لوراس سيُهديني إياه
 بعد المعركة. يُحزنني أن تصل الأمور إلى هذا الحد».

قالت كاتلين، التي تُشعر بالغَمِّ حقًا ولا تتصنّعه: «إنك تُعبّر عن حُزنك
 بطريقةٍ بهيجةٍ فعلاً».

تساءل رنلي: «حقًا؟»، وهزّ كتفيه متابعًا: «ليكن إذن، أعتزُّ بأن ستانيس
 لم يكن أحبَّ أخ لي قطُّ. أتُحسبن أن حكايته تلك حقيقة؟ إذا كان چوفري
 ابن قاتل الملك حقًا...».

- «... فأخوك الوريث الشرعي».

- «ما دام حيًا، على الرغم من أنه قانون سخي، ألا ترين ذلك؟ لماذا الابن الأكبر وليس الأصغر؟ سيلائمني التاج كما لم يُلائم روبرت قط ولا يُلائم ستانيس البتة. إنني أملك القدرة على أن أكون ملكًا عظيمًا، قويًا لكن كريمًا، ذكيًا وعادلًا ومثابرًا ومخلصًا لأصدقائي ومرورًا مع أعدائي، لكن قادرًا على الغفران، وصبورًا...».

أضافت كاتلين: «ومتواضعًا؟».

ضحك رنلي قائلاً: «عليك أن تسمح لي بالقليل من العيوب يا سيديتي». شعرت كاتلين بإنهاك بالغ. كل هذا كان بلا طائل، وسيُغرق الأخوان باراثيون بعضهما بعضًا في الدماء، بينما يواجه ابنها جيوش لانستر وحده، ولا شيء يُمكنها أن تقوله أو تفعله سيغيّر هذا. آن أوان عودتي إلى ريفوردن لأغلق عيني أبي. أستطيع أن أفعل هذا على الأقل. قد أكون مبعوثة فاشلة، لكنني محنكة في الأحزان، ولستولني الآلهة برحمتها.

أقيم معسكرهم في موقع جيد فوق مرتفع حجري واطى يمتد من الشمال إلى الجنوب، وبدا أكثر تنظيمًا بمراحل من المعسكر الآخر المنتشر على نهر الماندر، وإن كان يبلغ ربع حجمه فقط. عندما علم رنلي بهجوم أخيه على ستورمز إند، قسم قواته مثلما فعل روب عند «التوأمتين»، وترك مشاته بأعدادهم الغفيرة في «جسر العلقم» مع ملكته الشابة ومركباته وعرباته وحيوانات الجرّ وجميع آلات الحصار الثقيلة، بينما قاد رنلي نفسه فرسانه ومُحاربيه غير النظاميين سريعًا إلى الشرق.

كم يُشبه أخاه روبرت، حتى في هذا... غير أن روبرت كان يحظى دومًا بإدارد ستارك ليهدئ اندفاعه وينصحه بالحرص. مؤكّد أن ند كان ليُحَثّ رنلي على المجيء بقوته كاملة ليُطوّق ستانيس ويُحاصر المحاصرين، لكن رنلي حرّم نفسه ذلك الخيار بلهفته المتهوّرة لمواجهة أخيه، فابتعد عن خطوط إمداده، وأخّر الطّعام والمؤن أيّامًا عن الوصول إليه مع جميع مركباته وثيرانه ويغاله.

يجب أن يدخُل المعركة قريبًا إذن، أو يجوع جيشه.

أرسلت كاتلين هال مولين للعناية بالخيول، بينما سارت في ضُحبة رنلي إلى السُرادق الملكي في قلب المعسكر، وكان قاداته واللوردات حملة رايته جالسين في الخيمة ذات الحوائط الحرير الخضراء، ينتظرون أن يعرفوا نتيجة المفاوضة، فقال لهم ملكهم الشاب ريشما خلعت بريان معطفه ورفعت تاج الذهب واليشب عن جبهته: «أخي لم يتغير، لن يقنع بالقلاع والمجاملات، ويُريد الدّم. حسنٌ، أفكرُ في أن أحقق له رغبته».

قال اللورد مائيس روان: «لا أرى حاجةً لخوض معركة هنا يا جلالة الملك، فحامية القلعة قويّة ومزوّدة بالكثير من المؤن، والسير كورتناي پنروز قائد مخضرم، ولم يُبنَ بعدُ المنجنيق الذي يستطيع اختراق أسوار ستورمز إند. دَع اللورد ستانيس يُحاصر القلعة، فلن يجد أيّ مسرّة في هذا، وبينما يجلس في مكانه باردًا جائعًا دون أن يُثمر حصاره شيئًا، سنأخذ نحن كينجز لاندنج».

- «وأجعلُ النَّاس يقولون إنني خفتُ من مواجهة ستانيس؟».

قال اللورد مائيس بالحاح: «لن يقول ذلك غير الحمقى».

نظر رنلي إلى الآخرين متسائلًا: «وما رأيكم أنتم؟».

أعلن اللورد راندل تارلي: «رأيي أن ستانيس خطر عليك. دَعه بلا إراقة دمٍ وسيستقوي أكثر، بينما تخور قوّتك من معركة إلى أخرى. آل لانستر لن يُهزّموا في يوم واحد، ومع فروغك منهم قد يكون اللورد ستانيس قد أصبح في مثل قوّتك... أو أقوى».

ردّد آخرون موافقتهم، ما جعلَ الملك يبدو مسرورًا، وقال: «سنُقاتل إذن».

حدّث كاتلين نفسها: لقد خذلتُ روب كما خذلتُ ند، ثم خاطبت رنلي قائلة: «سيّدي، ما دُمت عازمًا على القتال، فقد انتهى الغرض من وجودي هنا. أطلبُ منك الإذن بالعودة إلى ريفررن».

أجاب رنلي وهو يجلس على واحدٍ من كراسي المعسكرات: «لا أعطيك الإذن».

تخشَّبت في مكانها قائلة: «لقد أملتُ في مساعدتك على تحقيق السَّلام يا سيِّدي، لكني لن أعيذك على الحرب».

هَزَّ رنلي كتفيه مغمغمًا: «أجسُرُ على القول بأننا سننتصر دون رجالِك الخمسة وعشرين يا سيِّدي. لستُ أريدك أن تُشارك في المعركة، بل أن تشهدِها فحسب».

- «كنتُ في الغابة الهامسة بالفعل يا سيِّدي، ورأيتُ ما يكفي من الذَّبَح. لقد أتيتُ مبعوثًا...».

- «وسُفادِرين مبعوثًا، لكن أكثر حكمةً مما كنتُ حين أتيت. سترين بأُمِّ عينيك ما يَحْدُث للمتمرِّدين، كي يسمع ابنك التَّفاصيل كلها من فمك. سَحَافِظ على سلامتك، فلا تخشي شيئًا»، والتفت رنلي عنها لعمل تربيته، وكَلَّم رجاله قائلاً: «لورد مائيس، ستقود قلب قوَّتي الأساسيَّة. برايس، الميسرة لك، والميمنة لي. لورد إستمونت، ستقود قوَّات الاحتياط». أجاَّب اللورد إستمونت: «لن أخذلك يا سيِّدي».

رفعَ اللورد مائيس رِوان صوته متسائلاً: «من سيقود الطَّلِيعَة؟». قال السير جون فوسواي: «جلالة الملك، أناشدك المَنَّ عليَّ بهذا الشَّرَف».

قال السير جايارد الأخضر: «ناشده كما نشاء، لكن الحقَّ أن يُسدِّد واحد من حرسه السَّبعة الضَّربة الأولى».

تدخَّل اللورد راندل تارلي قائلاً: «الهجوم على حائطِ من الثُّروس يتطلَّب أكثر من معطفٍ أنيق. لقد كنتُ أفودُ طليعة جيش مايس تايرل وأنت لا تزال ترضع من حلمة أمِّك يا جايارد».

ذاعَ الهرج والمرج في الشُّراذق إذ اندفعَ الرِّجال الآخرون يُطالِبون بقيادة الطَّلِيعَة، فقالت كاتلين لنفسها: فُرسان الصَّيف. ثم إن رنلي رفعَ يده قائلاً: «أيها السَّادة، لو كانت لدي دسنة من الطَّلانِع، لوَّيتُ كلاً منكم على واحدة، لكن الحقَّ ينصُّ على أن المجد الأعظم ينتمي للفارس الأعظم. السير لوراس هو من سيقود الهجمة الأولى».

ركعَ فارس الزُّهور أمام مليكه، وقال: «بقلبٍ فَرِح يا جلالة الملك».

امنحني مباركتك وفارسًا يركب إلى جواري حاملاً رايتك. فلْيَدْخُلِ الوعل والوردة المعركة جنبًا إلى جنب».

تطلّع رنلي حوله، وقال: «بريان».

غمغمت: «جلالة الملك؟». كانت لا تزال ترتدي درعها الفولاذية الزرقاء، وإن خلعت خوذتها، وجعلت حرارة الشراذق المزدحم العرق يلصق شعرها الأصفر المتهدل بوجهها العريض الدميم. «مكاني إلى جوارك. إنني حاميتك التي...».

قاطعها الملك مذكرًا: «واحدة من سبعة. لا تخافي، فأربعة من رفاقك سيكونون معي خلال القتال».

هوت بربان على رُكبتها قائلة: «إن كان لا مناص من فراق جلالتك، فامنحني شرف تسليحك للمعركة».

سمعت كاتلين أحدًا يُطلق ضحكة مكتومة وراءها، ففكرت بأسف: المسكينة تُحبُّ، تلعب دور مُرافقه لمجرد أن تلمسه، ولا تُبالي بأنهم يعدّونها بلهاء كبيرة.

قال رنلي: «لكِ هذا. والآن اتركوني كلكم، فحتى الملوك يجب أن يستريحوا قبل المعركة».

قالت كاتلين: «سيّدي، ثمة سبت صغير في آخر قرية مررنا بها. ما دُمت لن تأذن لي بالعودة إلى ريفرزن، فاسمح لي بأن أذهب إلى هناك وأصلي».

- «كما تشائين. سير روبار، اعمل على اصطحاب الليدي ستارك بأمان إلى ذلك السبت... لكن احرص على عودتها إلينا قبل الفجر».

قالت كاتلين: «قد يُفيدك أن تُصلي أنت أيضًا».

- «للنصر؟».

- «للحكمة».

ضحك رنلي، وقال: «لوراس، ابتّع معي وساعدني على الصلاة، فقد مضى وقت طويل منذ آخر مرة ونسيتُ كيف أصلي. أمّا بقيتكم، فأريدُ كلَّ رجلٍ في موقعه مع خيوط النهار الأولى، مسلّحين ومدرّعين وعلى متن خيولكم. سنُري ستانيس فجراً لن ينسأه قريباً».

كان العَسق قد بدأ يحلُّ لَمَّا غادرت كاتلين الشَّرادق، وخرج السير روبرار رويس في أعقابها. إنها تعرفه بعض الشيء، فهو واحد من أبناء يون البرونزي، وسيم على نحو خشن، ومُحارب حقَّق نوعاً من الشهرة في دورات المباريات. كان رنلي قد أنعمَ عليه بمعطفٍ بألوان قوس قزح ودرعاً قانيّة كالدم، وعيَّنه واحداً من حرسه الملكي السَّبعة. قالت له: «بعيد أنت جدّاً عن «الوادي» أبها الفارس».

- «وبعيدة أنت جدّاً عن ويترفل يا سيّدتني».

- «أعرفُ ما جاء بي إلى هنا، فلمَ جئت أنت؟ هذه ليست معركتك كما أنها ليست معركتي».

- «جعلتها معركتي عندما جعلتُ رنلي ملكي».

- «عائلة رويس تحمل راية عائلة آر».

- «السَّيد والدي يدين لليدي لايسا بالولاء، ووريثه كذلك، بينما على الابن الثَّاني أن يسعى إلى المجد حيثما يستطيع»، وهَزَّ السير روبرار كتفيه مضيئاً: «وسمَّتُ المباريات».

خَمَّنت كاتلين أن عُمره لا يتعدَّى الحادية والعشرين، يُقارب ملكه في السن... لكن ملكها هي، ابنها روب، يتحلَّى في سنِّ الخامسة عشر بحكمةٍ أكثر مما تعلَّم هذا الشَّاب في حياته كلها، أو أن هذا ما تتمنَّاه من الآلهة. في رُكن كاتلين الصَّغير من المعسكر، كان شاد يُقَطِّع الجزر في قِدر، بينما انغمس هال مولين في لعب التَّرد مع ثلاثة من رجال ويترفل، وجلس لوكاس بلاكوود يشحذ خنجره، وعندما رآها قال: «ليدي ستارك، مولين يقول إن المعركة ستبدأ عند الفجر».

ردَّت: «هال مُحقِّق»، ولا يستطيع أن يكتُم سرّاً على ما يبدو.

- «هل تُحارب أم نهرب؟».

أجابته: «نُصِّلِي يا لوكاس، نُصِّلِي».



سانزا

قال لها ساندور كليجاين محدّراً: «كلما تركته ينتظر مدّة أطول، ستكون العقابة أوخم».

حاولت سانزا أن تُسرّع، لكن أصابعها تلمّست أزرار وعُقد ثيابها باضطراب بالغ. كلب الصّيد خشن اللسان دائماً، لكن شيئاً ما في نظره إليها أفعمها رهبة. هل علمَ چوفري بلقائها بالسير دونتوس؟ فكّرت وهي تُمشط شعرها: أرجوك لا أيتها الآلهة. السير دونتوس أملها الأوحد. يجب أن أبدو جميلة، چوفري يُحبّني جميلة، ودائماً استحسنَ رؤيتي في هذا الفُستان وهذا اللون. سوّت نسيج الفُستان، وأحسّت به مشدوداً على صدرها.

سارت سانزا على يسار كلب الصّيد عندما خرجت من عُرفتها، بعيداً عن جانب وجهه المحروق، وقالت: «أخبرني ماذا فعلت».

- «ليس أنتِ، بل أخوك الملوكي».

تحفظ سانزا الكلمات صمّاً، وهكذا ردّدت: «روب خائن، وليس لي دور فيما فعله أيّا كان». أرجوك أيتها الآلهة، لا تجعليه قاتل الملك. إن أذى روب چايمي لانستر، فسيعني هذا حياتها. فكّرت في السير إلين وهاتين العينين الشّاحبتين الفظيعتين، اللتين تُحدّقان بلا أدنى أثرٍ للرّحمة فيهما من وجهه الضّاوي المجذور.

قال كلب الصّيد ساخراً: «دربوك جيّداً أيتها الطّائر الصّغير».

قادها إلى الفناء الشّفلي، حيث احتشدَ رهط حول أهداف الرّماية، وأفسَح لها الحاضرون الطّريق. سمعت سُعال اللورد جايلز، بينما رمقها عمّال

الاسطبلات المتسكعين حول المكان بنظراتٍ وقعة، لكن السير هوراس ردوا بن حوّل بصره عنها وهي تمرّ، أمّا أخوه هوبر فتظاهر بأنه لا يراها من الأصل. على الأرض كانت قطة صفراء تحضر، تُطلق مواءً واهناً يُمرّق نياط القلوب، وقد اخترق سهم نُشائية ضلوعها، فدارت سائرا حولها شاعرة بالغثيان.

منذ لم يستطع السير دونتوس امتطاء حصانه في دورة المباريات بسبب نَمَله الشّدِيد، قضى الملك ألا يذهب إلى أيّ مكانٍ بلا حصان، وهكذا اقترب منها على حصانه الخشبي المصنوع من عصا مكنسة، وهمس معتصراً ذراعها: «كوني شجاعة».

وقفَ چوفري في مركز الحشد، يُدَوّر بكرة نُشائية مزخرفة، ومعه السير بوروس والسير مرين، اللذين كان منظرهما كفيلاً بأن تنقلب معدتها تماماً. ركعت قائلة: «جلالة الملك».

قال الملك: «لن يُنقذك الرُّكوع. قفي. إنك هنا لتُكفري عن خيانات أخيك الأخيرة».

- «جلالة الملك، أيّا كان ما فعله أخي الخائن، فلم يكن لي دور فيه. إنك تعلم هذا، أتوسّل إليك، أرجوك...».

- «أنهضها!».

وجذبها كلب الصّيد لتقف، وإنما ليس بخشونة. قال چوفري: «سير لانسِل، أخبرها باعتداء أخيها».

لطالما رأت سانزا لانسِل لانسِت وسيمًا لبقًا، لكن النّظرة التي حدّجها بها لم تحمل أيّ عطفٍ أو رافة إذ قال: «أخوك استخدم حيلةً سحريةً وضيعةً وكرّ على السير ستافورد لانسِت بجيشٍ من الأوراج، على بُعد أقلّ من ثلاثة أيام بالحصان من لانسپورت. آلاف من الرّجال الصّالحين دُبحوا في نومهم، دون أن ينالوا فرصة رفع سيفٍ واحد، وعقب المذبحة أقام السّمالثيون وليمةً من لحم القتلى».

وطوّق الرّعب عُنى سانزا بيدين باردتين. سألتها چوفري: «أليس لديك ما تقولينه؟».

تمت السير دونتوس: «المسكينة مصدومة يا جلالة الملك».
صاح چوفري: «اخرس أيها المهرج»، ثم صوب نُشايته إلى وجهها قائلاً:
«أنتم كائنات غير طبيعية حقاً يا معشر الشماليين، تماماً كذئابكم تلك. إنني لم
أنس كيف حاول وحشك افتراسي».
قالت: «كانت ذنبه آرياً. ليدي لم تمسك بأيّ أذى، لكنك قتلتها على كلّ
حال».

قال چوف: «لا، أبوك هو من قتلها، وأنا قتلْتُ أبوك، وليتي فعلتها بنفسي.
لقد قتلْتُ رجلاً أكبر حجماً منه ليلة أمس. جاءوا إلى البوابة يصيحون باسمي
ويطلبون الخبز كأيّ خبّاز، لكنني لَقنتهم درساً، وأصبْتُ أصخبهم في حلقه
مباشرة».

- «وهل مات؟». كان عصياً عليها التفكير في شيء آخر تردُّ به بينما ترى
رأس السهم الحديدي القبيح مصوّباً إلى وجهها.

- «طبعاً مات، لقد احترق سهم حلقه. كانت هناك امرأة تقذف الحجارة،
وأصبتها أيضاً لكن في ذراعها فقط»، وعقدَ چوف حاجبيه وهو يخفض
النُشايّة مردفاً: «كنتُ لأرميك بسهم أيضاً، لكن أمّي تقول إنهم سيقتلون
خالي چايمي لو فعلتُ. إلّا أنك ستعاقبين بدلاً من هذا، وسُرسل خبراً إلى
أخيك يُعلمه بما سيجري لك إذا لم يستسلم. أيها الكلب، اضربها».

- «دعني أنا أضربها!»، صاحَ السير دونتوس دافعاً نفسه بين الحاضرين
ودرعه الصفيح تُصلصل. كان مسلّحاً بـ«هراوة شائكة» رأسها عبارة عن
ثمرة شَمَام. فارسي فلوريان. كانت لتقبّله لحظتها ببشرته المبقّعة وشبكة
الأوردة البارزة من تحتها، ودارَ هو بحصانه الخشبي حولها صائحاً: «خائنة!
خائنة!»، بينما يضربها بالشَمامة على رأسها، فرفعت سانزا يديها تقي نفسها،
مترنّحة كلما ضربتها الثمرة، وقد تلزج شعرها مع الضربة الثانية فقط. كان
الموجودون يضحكون، وتفسّخت الشَمامة تماماً، فقالت سانزا لنفسها
والعُصارة تسيل على وجهها وصدر فُستانها الحريري الأزرق: اضحك يا
چوفري، اضحك وارضَ.

لكن چوفري لم يُصدِر مجرد ضحكة مكبوتة، وقال: «بوروس، مرين».

أطبَّقَ السير مَرين ترائت على ذراع دونتوس، ودفعه بعيدًا بغلظة، فانطرحَ المهرج ذو الوجه المشرب الحُمرة أرضًا ومعه عصا المكنسة والشَّامة، بينما أمسك السير بوروس سانزا.

قال چوفري أمرًا: «اتركا وجهها. أحبها جميلة».

هوى بوروس بلكمة على بطن سانزا أفرغت ما في صدرها من هواء، فلمَّا انحنت إلى الأمام، جذبها الفارس من شعرها واستلَّ سيفه، ومرَّت لحظة شنيعة أيقنت خلالها سانزا أنه سيشقُّ حلقها، لكن عندما نزل بالجانب المسطح من السيف على ظهر فخذها، أحسَّت بساقيها على وشك الانكسار من عُنف الضربة، وصرخت واحتشدت الدُموع في مُقلتيها. سرعان ما ينتهي هذا... لكن سرعان ما عجزت هي عن عدِّ الضربات التي توالَّت.

سمعت صوت كلب الصيد الأَجشَّ يقول: «هذا يكفي».

قال الملك: «كلا، لا يكفي. بوروس، عرِّها».

دَسَّ بوروس يده اللَّحيمَة داخل صدر سانزا من الأمام وشدَّه بعُنف، فتمزَّق الحَريِر لِيعرِّيها حتى الخصر، وغطَّت سانزا نديها يديها بينما تناهت إلى أذنيها ضحكات هازئة بعيدة، وقال چوفري: «اضربها حتى يسيل دمها. سنرى كيف يروق أخاها أن...».

- «ما الذي يحدث هنا؟». شقَّ صوت العفريت الهواء كالسَّوط، وفجأة وجدت سانزا نفسها طليقة، فنهضت مترنحة وقد تقاطعت ذراعاها على صدرها وتقطعت أنفاسها. قال تيريون لانستر غاضبًا: «أهذه فكرتك عن الفُروسيَّة يا سير بوروس؟». كان مرتزقه المدلَّل يقف معه، بالإضافة إلى واحد من رجاله الهمج، صاحب العين المحروقة. «أيُّ فارسٍ هذا الذي يضرب الفتيات العاجزات؟».

قال السير بوروس: «الفارس الذي يُطيع ملكه أيها العفريت»، ورفع سيفه، فتقدَّم السير مَرين يقف إلى جواره مستلًا سيفه من غِمدِه.

قال مرتزق القزم: «توخَّيا الحذر مع هذين السَّيفين، فلستما تُريدان تلوِث معطفيكما الأبيضين الجميلين بالدِّماء».

قال العفريت: «فليعط أحدكم الفتاة شيئًا تَسْتُرُ نفسها به»، فخلع ساندور

كليجاين معطفه وألقاه إليها، وضَمَّته سائزا إلى صدرها غارسةً قبضتها في الصُّوف الأبيض، وشعرت بالنَّسِيج الخشن يحكُّ جِلدها، لكنها لم تحسَّ براحةٍ كهذه مع أيِّ مخمل ارتدته من قبل.

خاطَبَ العِفريتِ چوفري قائلاً: «هذه الفتاة ستُصبح ملكتك. ألا يعينك شرفها؟».

- «إنني أعاقبها».

- «بأيِّ جريرة؟ إنها لم تُقاتل في معركة أخيها».

- «دماء الدُّب في عروقها».

- «وأنت في رأسك عقل إوزة!».

- «لا يُمكنك أن تُكلِّمني هكذا. الملك يفعل كما يُريد».

- «إيرس تارجارين فعل كما أراد، فهل حكَّت لك أمك ما حاقَ به؟».

تنحنح السير بوروس منذراً، وقال: «لا أحد يُهدِّد جلالته في حضور الحرس الملكي».

رفع تيريون لانستر حاجباً، ورَدَّ: «لا أهدِّدُ الملك أيها الفارس، بل أهدِّبُ ابن أختي. برون، تيميت، إذا فتح السير بوروس فمه مرَّةً أخرى، اقتلاه، وابتسم القزم وأردف: «هذا يكون التَّهديد أيها الفارس. أترى الفارق؟».

احتقنَّ وجه السير بوروس تماماً، وقال: «ستسمع الملكة بهذا!».

- «لا شك، فلمَ الانتظار إذن؟ چوفري، هل نستدعي أمك؟».

واحتقنَّ وجه الملك هو الآخر.

واصلَ خاله: «أليس لديك ما تقوله يا جلالة الملك؟ عظيم. نعلِّم أن تستخدم أذنيك أكثر وفمك أقل، وإلا سيكون حُكمك أقصر مني. الوحشية الغاشمة ليست وسيلةً تكسب بها حُبَّ شعبك... أو ملكتك».

قال چوفري: «أمِّي تقول إن الخوف أفضل من الحُب»، وأشار إلى سائزا مضيقاً: «هي تخافني».

زفرَ تيريون قائلاً: «نعم، مفهوم. من المؤسف أن ستانيس ورنلي ليستا فتاتين في الثَّانية عشرة أيضاً. برون، تيميت، أحضِراها».

نحَرَّكت سائزا كأنها في حُلُم. حسبت أن رجليَّ العِفريت سيُعِيدانها إلى

غُرْفَة نومها في حصن ميجور، لكنهما قاداها إلى بُرج اليد. لم تكن قدماها قد وطأتا هذا المكان منذ يوم سقوط أبيها من النُّعْمة إلى النُّقْمة، وأشعرها صعود هذه الدَّرَجَات من جديد بالدَّوَار.

تولَّت بضع خادِماتٍ أمرها، فخلعت واحدة أسمال فُستانها وثيابها الدَّاخِلِيَّة، وحمَّمتها أخرى وغسَلت شعرها ووجهها من العُصارة اللَّزْجة، وبينما نظَّفتها بالصَّابون وصبَّين الماء الدَّافئ على رأسها، لم ترَ أمامها غير وجوه الحاضرين في الفناء. الفُرسان يُقسِمون على الدِّفاع عن الضُّعفاء وحماية النِّساء والقتال في سبيل الحقِّ، لكن أحداً منهم لم يُحرِّك ساكناً. وحده السير دونتوس حاول أن يُساعدَها على الرغم من أنه لم يُعد فارساً، تماماً مثل العفريت الذي ليس بفارس، أو كلب الصَّيد... كلب الصَّيد يفض الفُرسان... وأنا أيضاً أبغضهم. هؤلاء ليسوا فُرساً حقيقيَّين، لا أحد منهم.

بعدما عادت نظيفةً، أتى المايستر فرنكن ذو الجسد الممتلئ والشَّعر البني المحمر، وطلبَ منها أن تمتدَّ علي بطنها على الفراش، ثم دهنَ مرهماً على الكدمات الحمراء الغاصبة التي غطَّت رِبلتيَّ ساقها، قبل أن يمزج لها جرعةً من نبيذ الثَّوم ويُضيف إليه العسل لِيساعدها على الابتلاع، وقال لها: «نامي قليلاً يا صغيرتي، وسيبدو كلُّ هذا حلماً مزعجاً فحسب عندما تستيقظين».

فكرت سانزا: كلا، لن يبدو كذلك أبها الأبله، لكنها احتست الثَّيْد على كلِّ حالٍ وغابت في النَّوم.

وكان الظَّلام قد حلَّ حين استيقظت غير مستوعبة أين هي بالضَّبط، إذ بدت لها الغُرْفَة غريبةً وفي الآن نفسه مألوفةً على نحوٍ غريب، ثم إنها نهضت فشعرت بالوجع يسري كالبرق في ساقها ويُعيد إليها الذِّكرى كلها، فاغرورت عيناها بالمعبرات. كان أحدهم قد بسطَ معطفاً لها إلى جوار الفراش، فارتدته سانزا وفتحت الباب، وفي الخارج وقفت امرأة صارمة الملامح ذات بشرةٍ بيَّنة متينة، تُحيط بعُنقها النَّاحِل ثلاث قلادات، واحدة من الذَّهب والثَّانية من الفضة والثَّالثة حلقاتها آذان بشرية. سألتها المرأة المستندة إلى رُمح طويل: «أين تحسب نفسها ذاهبة؟».

- «أيكة الآلهة». يجب أن تجد السير دونتوس وتستجديه أن يأخذها إلى الدَّيَّار الآن وفورًا قبل أن يفوت الأوان.
أجابَت المرأة: «التَّصِف رجل قال ألا أترككِ تُغادرين. صلي هنا، فالآلهة تستمع».

بخنوع خفَضَت سائرا ناظريها وعادت إلى الدَّاخل، وأدركت بغتةً لَمْ يبدو المكان مألوفًا لهذه الدَّرجة. لقد وضَعوني في عُرْفَة آريا القديمة، عندما كان أبونا يد الملك. أغراضها كلها اختَفَت ومواضع الأثاث تبدَّلت، لكنها العُرْفَة ذاتها...

بعد مدَّة قصيرة، جلبت خادمة صحيفةً من الجبن والخُبْز والزَّيتون وإبريقًا من الماء البارد، فقالت لها سائرا أَمَرَة: «ارفعي هذا الطَّعام»، لكن الفتاة تركته على المائدة. على أنها أدركت أنها ظمآنَةٌ جدًّا، وكانت كلُّ خطوةٍ أخذتها نحو المائدة بمثابة سكاكين تطعن فخذيهما، وإن أجبرت نفسها على عبور العُرْفَة، فشربت كوبين من الماء، وكانت تقضم زيتونةً عندما سمعت الطَّرقة.
التفتت متوتِّرةً إلى الباب، وسَوَّت طيَّات معطفها قائلةً: «نعم؟».
انفتح الباب، ودخل نيريون لانستر وقال لها: «سَيدتي، أتمنى أني لم أزعجك».

- «أنا سَجِيتك؟».

كان يرتدي سلسلة منصبة، القلادة المصنوعة على شكل أبادٍ ذهبيَّة متعانقة، وقد أجابها: «ضيفتي، وخطر لي أن نتكلَّم».
وجدت سائرا عدم التَّحديق فيه صعبًا، فقسّمت وجهه قبيحةً لدرجةٍ تُصيبها بنوع عجيبٍ من الافتتان، لكنها قالت: «كما يأمر سيَّدي».
قال: «هل حازَ الطَّعام والملبس رضاكِ؟ إذا كنتِ تحتاجين شيئًا آخر، فما عليكِ إلّا أن تطلَّبي».

- «أنت شديد اللطف، وهذا الصَّبّاح... كان رائعًا منك أن تُساعدني».

- «لديكِ حقٌّ في معرفة سبب غضبةٍ چوفري. قبل ستِّ ليالٍ، انقضَّ أخوكِ على عمِّي ستافورد المعسكر مع جيشه في قريةٍ اسمها أوكسكروس تَبْعُد أقلَّ

من ثلاثة أيام بالحصان عن كاسترلي روك. لقد حقق قومك الشماليون نصرًا
ماحقًا، ولم يُبلغنا الخبر حتى صباح اليوم».

فكرت مغتبطة: روب سيقتلكم جميعًا. «هذا... شنيع يا سيدي. أخي
خائن آثم».

قال القزم بابتسامة واهنة: «إنه ليس ظيئًا على الأقل، فقد جعل هذا واضحًا
جداً».

- «السير لانسيل قال إن روب قاد جيشًا من الأوراج».

أطلق العفريت ضحكة ازدراء، وقال: «السير لانسيل مُحارب قرب النيبذ،
وأجهل من دابة. ذئب أخيك الرهيب كان معه، لكنني أشك في أن الأمر تجاوزَ
هذا. لقد تسلل الشماليون إلى معسكر عمي وقطعوا عنه خطوط الخيول، ثم
أطلق اللورد ستارك ذئبه بينها، وحتى الخيول المدربة على الحرب أصابها
الجنون، فدعست الفرسان حتى الموت في خيامهم، واستيقظ الجنود
الأوباش مرعوبين وألقوا أسلحتهم كي يفرّوا أسرع. قُتل السير ستافورد وهو
يُطارِد حصانًا، إذ غرس اللورد ريكارد كاستارك حربة في صدره، وماتَ
السير روبرت براكس أيضًا، بالإضافة إلى كل من السير ليموند فيكاري
واللورد كراكهول واللورد چاست، وسقط نصفمئة آخرون أسرى، بمن
فيهم أبناء چاست ومارتن لانستر ابن عمي كيفان. النَّاجون يَشْرون حكاياتٍ
مخيفة، ويُقسمون أن آلهة الشمال القديمة تزحف مع جيش أخيك».

- «هل... استُخدِم السحر إذن؟».

أجاب تريون ساخرًا: «السحر صلصة يغرفها البُله على وجه الفشل
ليُخبثوا مذاق عجزهم. عمي الأحق لم يُجسِّم نفسه عناء تعيين حراسة
على ما يبدو، كما أن أفراد جيشه لم يتمتعوا بأي خبرة، مجرد صبية ورش
وعُمَّال مناجم وحقول وصيَّادين، كُناسة لانسپورت. اللغز الوحيد هو كيف
وصل أخوك إلى هناك، فقواتنا لا تزال تُسيطر على معقل «النَّاب الذهبي»،
ويُقسمون أنه لم يمرَّ إطلاقًا»، وهزَّ القزم كتفيه بضيق، وأردف: «طُيب، روب
ستارك مشكلة أبي، وچوفرني مشكلتي أنا. أخبريني، بِمَ تُشعرين تجاه ابن
أخي الملوكي؟».

أجابَت سانزا على الفور: «أحبُّه من صميم قلبي».
لم يبدُ عليه الاقتناع وهو يسألها: «حقًّا؟ حتى الآن؟».
- «حُبِّي لجلالته أكبر مما كان في أيِّ وقتٍ سابقٍ».

ضحك العفريت بصوت عالٍ، وقال: «أحدهم علّمك أن تُحسِنِي الكذب، وقد تجدين نفسك ممثَّنة لهذا ذات يومٍ يا طفليتي. إنكِ ما زلتِ طفلةً، أليس كذلك؟ أم أنكِ أزهرتِ؟».

تورّد وجهها. كان السؤال وقحًا، لكن الخجل من التعرّي أمام نصف القلعة جعله تافهًا بالمقارنة، فقالت: «بلى يا سيّدي».

- «هذا أفضل كثيرًا. لو أن في هذا عزاءً ما، فأنا لا أنوي أن تتَمَّ زيجتكِ جوفري أبدًا، إذ أخشى أن لا زواج سيُثمر صلحًا بين ستارك ولا نستر بعد كلِّ ما حدث، وهذا مؤسف أكثر، لأن تلك كانت واحدةً من أفضل الأفكار التي تفتّق عنها ذهن الملك روبرت، لولا أن جوفري أفسد الأمر كله».

أدركت أن عليها أن تقول شيئًا، لكن الكلام احتبس في حلقها.
قال تيريون لانستر: «أراكِ لائذةً بالصَّمْت. أهذا ما تُريدين؟ نهايةً لخطبتكِ؟».

- «أنا...». لم تعرف سانزا ماذا تقول. أهذه خدعة؟ هل سيعاقبني إذا قلتُ الحقيقة؟ حدّقت في جبهة القزم البارزة جدًّا، والعين السوداء القاسية والثانية الخضراء اللامعة، والأسنان المعوجة واللحية الخشنة. «أريدُ أن أكون وفيةً فقط».

قال القزم متأملًا: «وفيةً، وبعيدةً عن أيِّ لانستر، ولا ألومكِ على هذا. لقد أردتُ الشَّيء نفسه عندما كنْتُ في سنِّكِ»، وابتسم مضيقًا: «يقولون لي إنكِ تتردّدين إلى أيكَة الآلهة يوميًا، فلايُّ شيءٍ تُصلِّين يا سانزا؟».
أصلي لانتصار روب وموت جوفري... وللوطن، لويتر فل. «أصلي لأن ينتهي القتال».

- «سيحدث هذا عمّا قريب. ستدور معركة أخرى بين أخيكِ روب والسيّد والدي، وعندها سنُسوَّى المسألة».

سيهزمه روب. لقد هزمَ عمَّك وأخاكِ جايمي، وسيهزم أباكِ أيضًا.

كأن وجهها كتاب مفتوح قرأ فيه القزم آمالها بمتهى اليسر، فقال لها بلهجة رقيقة: «لا يُعَرِّنُكَ ما حدث في أو كسكروس يا سيّدتى، فالمعركة ليست حرباً، والسيّد والذي ليس عمّي ستافورد بكل تأكيد. عندما تزورين أيكّة الآلهة المرأة القادمة، فادعي أن يتحلّى أخوك بالحكمة ويركع، فبمجرد أن يرجع الشّمال إلى سلام الملك، سأعيدك إلى ديارك»، ونزل من على مقعد النّافذة قائلاً: «يُمكنك قضاء اللّيلة هنا. سامر عددًا من رجالي بحراستك، من الغربان الحجرية ربما...».

اندفعت سائرا تقول مذعورة: «لا!». إذا ظلّت حبيسةً في بُرج اليد، تحت حراسة رجال القزم، فكيف سيَهْرَبُها السير دونتوس إلى الحرّية؟ - «هل تُحبّذين الأذان السّوداء؟ سأعطيك تشلا إذا كنتِ تشعرين بالطمأنينة أكثر في وجود امرأة».

- «لا، أرجوك يا سيّدى، الهمج يُخيفونى». ابتسم قائلاً: «ويُخيفونى كذلك، لكن الأهمّ أنهم يُخيفون چوفري والأفاعي الخبيثة والكلاب المسعورة التي يُسمّيها حرسًا ملكيًا. في وجود تشلا أو تيميت إلى جانبك، فلن يجرؤ أحد على التعرّض لك». قالت: «أفضّل العودة إلى فراشي»، ثم خطرت لها الكذبة فجأةً، فأضافت: «رجال أبي قتلوا في هذا البرج، وستُصيّبني أشباحهم بكوابيس شنيعة، وسأرى دماءهم أينما نظرتُ».

تمعّن تيريون لانستر في وجهها، ثم قال: «ليست الكوابيس بالشّيء الغريب عليّ يا سائرا. لعلك أكثر حكمة مما ظننتُ. اسمحي لي على الأقل إذن بأن أصحبك بأمانٍ إلى مسكنك».

الرواية التي تحولت إلى ظاهرة

«مارتن راوي قصص بالفطرة يتمتع بخيال واحد في المليون، والمسلسل المأخوذ عن سلسلته رائع، لكن الكتب أفضل بكثير». ستيفن كينج

«نجحت سلسلة مارتن الخيالية في إشعال خيال الملايين للسبب نفسه الذي جعل أعمال هومبروس وسوفوكليس وشكسبير تدوم عصوراً». الجارديان

«مارتن هو الأفضل على الإطلاق بين من يكتبون في مجال الفانتازيا الملحمية في العصر الحالي، ولا مبالغة في وصفه بأنه تولكين الأمريكي». تايم

«موهبة مارتن في الحكى تكاد تكون خارقة للطبيعة». نيويورك تايمز

في «صدام الملوك» يواصل جورج ر. ر. مارتن أحداث تحفته الفنية الأصيلة، التي تحوي أفضل ما في الأدب الخيالي من إثارة وغموض ومغامرة، على مستوى أكبر من الواقع، بالإضافة إلى مجموعة كبيرة من الشخصيات الأساسية والفرعية المثيرة لاهتمام وتفاعل القارئ، ما جعل الملايين من عشاق الفانتازيا حول العالم يقعون في غرامها ويتابعون أجزاء ملحمة «أغنية الجليد والنار» بمتهى الشغف.

من حيث انتهت أحداث الكتاب الأول مباشرة تبدأ أحداث الكتاب الثاني هذا. فبينما يشق السماء مذنب بلون الدم واللهب، تضرب ويلات الحرب البلاد إذ يتصارع خمسة ملوك على عرش الممالك السبع الحديدي، في صدام عنيف تظل فيه عجلة الدسائس والمؤامرات والخيانة والسحر الأسود دائرة بلا انقطاع، لتسلب الآلاف من الأبرياء والمذنبين أرواحهم على حد سواء. فيما يبدأ الخطر القادم من الشمال في الإفصاح عن وجهه، وتواصل الملكة المنفية إلى بلاد أخرى سعيها إلى استعادة عرش أبيها. في هذه الحرب تولد التحالفات وتموت في غمضة عين وتسيل الدماء، فحين يتصادم الملوك تنزف البلاد بأكملها.

ISBN 978-977-6483-92-7



9 789776 483927



الشرع للطباعة والنشر والتوزيع

لونس - بيروت - القاهرة

25-02-2017